دائرة معارف القرن الرابع عشر العشرين

قاموس عام مطول للغة العربية والعلوم النقلية والعقلية والكونية بجميع أصولها وفروعها
ففيه النحو والصرف والبلاغة والمسائل الدينية وتاريخ الفرق والمذاهب والتفسير
والحديث والاصول والتاريخ العام والخاص وتراجم مشهوري الشرق
والغرب والجغرافية الطبيعية والسياسية والكيمياء والفلك والفلسفة
والعلوم الاجتماعية والاقتصادية والروحية والطب والعلاج
وقانون الصحة والفوائد المنزلية وخواص العقاقير والاقرباذين
والاحصاءات وسائر مايهم الانسان في جميع المطالب

﴿ تأليف ﴾

محمد فريد وجدي

(المجلد التاسع)

حاز هذا الكتاب رضاء وزارة المعارف العمومية والجامعة
الازهرية ومجالس المديريات فقررته لجميع معاهدها الدراسية

(الطبعة الثانية)

﴿ طبع بمطبعة دائرة معارف القرن العشرين ﴾
(سنة ١٣٤٣ هـ وسنة ١٩٢٥ م)

وهو داء يأتي من وراء طريق الكوفة من قبل السماوة ثم يقطع طريق الكوفة الي طريق البصرة حتى يصيب في البحر في بلاد بني سعد من يبرين

ومسقط مدينة من نواحي عمان في آخر حدودها مما يلي اليمن علي ساحل البحر ومسقط رستاق بساحل بحر الخزر دون الباب والابواب جيله مسلمون (أي الناس الساكنون به) لهم قوة وشوكة بين باب الابواب والكر احداثه كسرى انو شروان

تقول ان مدينة مسقط التي هي الآن قصبة بلاد عمان يبلغ عدد سكانها عشرة آلاف نفس

﴿مسك به﴾ يمسك اخذ به وتعلق واعتصم. (مسك به) اعتصم به ومنه (امسك به) و(تمسك به وتماسك واستمسك) بمعنى اعتصم. و (فيه مسكة من خير) اي بقية

﴿المسك﴾ مادة تستخرج من افراز كيس خاص بحمله حيوان يسمي بالظبي المسكي. وهو حيوان من ذوات الثدي من الحيوانات المجترة العادمة القرن له ظلفان وله اربع معدات وقناه معوية طويلة. قامته كقامة الظبي. يكاد يكون عادم الذنب وهو منطو يوبر كثيف اسمر من طرفه السائب بلون القرفة وابيض من قاعدته شديد التجعد صلب غليظ سهل التفتت اشبه بأبر القنفذ منه بالشعر هذا. الحيوان لايخرج الا ليلا ويعيش وحيداً في جبال تبيت وبلاد التتار والسواحل الواسعة بين سيبريا والصين شكله ظريف وهو خفيف في الجري

أنواعه قليلة ومعظمها يعيش في البلاد الحارة اشهر أنواعه هو الذي وصفناه هنا وهو يتميز بشرطين ابيضين محدودين بالسواد ومتفصلين احدهما عن الآخر بشريط اسود وذلك علي طول العنق والذي يميزه جيداً هو الكيس الذي يحمله الذكر البالغ يتولد تحت جلد الحشفة امام القلفة وهو الذي يفرز المسك ويكون مخزناً حافظاً له

هذا الكيس محنور بقلم يمتد فيه القضيب وفيه قناة قاذفة الافراز فتحتها امام القلفة وذلك الكيس هو المفرز المسك ويكون صغيراً في الحيوانات المسنة وكبيراً زمن الازدواج فكأنه مرتبط بعمل التناسل وهو غشاء رقيق جاف محاط بنسوج

خلوى مملوء بعروق وفيه من الباطن غضون أشبه بصمامات يتكون منها حواجز غير تامة وهو ملتصق من الخارج بجزء من جلد الحيوان بل ربما أحاط به كله. وزن كل كيس خال من الجلد من ٥ الي ٨ دراهم وفيه تفرطح واسطوانة واستدارة وقطره من ٥ الى ٦ سنتيمترات ودائرته من ١٤ الي ١٥ سنتيمتراً

أنواع هذه الاكياس في المتجر اثنان أحدهما أكياس مسك تونكين وهو الصيني والاجود وانما نسب الي تونكين لان الاوروبيين يتناولونه من هذه المملكة وأما الانجليز فيأخذونه من الصينيين بواسطة الهنود والوجه الظاهر لهذه الاكياس ملتصق بجلد رقيق من الحيوان مغطي بشعر أشقر. وهذه الاكياس مملوءة وفيها استدارة وليس فيها تقوس سوس

وثانيهما مسم كبردان ويظهر أنها تأتي من التبيت ولذلك يسمي مسكها التبيتي ويكون أقل اعتباراً من السابق وهي غالباً مستطيلة مستدقة الطرفين مغطاة بجلد تخين شعره مبيض ففي وليست عظيمة الامتلاء وتكون احيانا منقبة من اكل السوس وقد يوجد في كل نوع منهما ما يشبه الآخر. والصفة المميزة للنوع هي الرائحة التي تظهر جيداً اذا دخل دبوس في الكيس

ويوجد في المتجر نوع يسمونه مسك بنغالة ونسب اليها لانه يمر بها في طريقه الي اوروبا اكياسه مستديرة وعليها شعر أشقر كالذي علي اكياس مسك تونكين وانما تكون رائحة هذا المسك ضعيفة تشبه رائحة مسك كبردان ولا تكون منقبة ويظهر انها مصنوعة باليد وذلك هو ما تسميه العرب بالهندي ويقولون عنه انه دم يؤخذ من الحيوان بالذبح ويضرب مع كبده وبعره ويجفف وهذا كما لايخفي خطأ عظيم

المسك حبوب متجمعة غير منتظمة لونها اسمر محمر أي قاتم تشبه في المنظر الدم المتجمد المجفف ورائحته خاصة به قوية الانتشار وطعمه كريه فيه مرار وملمسه لطيف قطني ورطوبته قليلة وقابلة للتجفيف ويكون متوسط السائلية في الحيوان الحي واكثر صلابة في الحيوان الميت مقدار مايحتوى عليه الكيس من المسك من درهمين الي ستة دراهم علي

حسب سن الحيوان

حلل الكيماويون المسك فوجدوه مركباً من دهن طيار وراتينج وجسم دهني شمعي

وقد قارن بعضهم بين مسك تونكين ومسك كبردان فرأوا ان مائة غرام من الاول مكونة من ٨٫٣٣ من كربونات النوشادر و٧٫٠ من شمع نقي و٠٫٨٣ من راتينج و٥٠ من جلاتين أي مادة هلامية و٢٥٫٨٠ من مادة زلالية وأغشية حيوانية و٢٫٥٠ من ملح الطعام و٠٫٨٣ من البوتاسا و٣٫٣٤ من كربونات الكلس و١١٫٦٨ من أجزاء مفقودة ولم يوجد فيه شيء من دهن طيار

وأما الثاني فركب من ٥ من روح النوشادر و٥ من شمع غروي و٥٠ من مادة هلامية و٣٦ من أغشية حيوانية و٢ من كربونات الكلس و٢ من أجزاء مفقودة ولم يوجد فيه زلال ولا دهن طيار

المسك شديد الانتهاب يحترق بشعلة بيضاء ويبقي فحما اسفنجيا خفيفا جدا والماء المغلي والكحول يذيبان جزءاً منه والاثير الكبريتي يكاد يذيبه كله. ورائحته تضعف شيئاً فشيئاً بتعريضه للهواء بدون أن يفقد من وزنه شيئاً محسوساً اذا كان جافا فلذا يجب حفظه في أوان من زجاج جيدة السد بسدادة زجاجية

وذكر العرب ان أجود المسك مارعي حيوانه السنبل وانه يفتش بالراوند والشارة العود وبالقرفة والقرنفل والزراوند والسنبل ودم الاخوين والجاوى ونحوها تسحق مع مثلها من عصارة طحال الماعز المجففة ودم الحمام ودهن البيض ويخدم الكل بماء الورد المسك ويطيب بالمسك الطيب ويعلق في الكنف مدة وقد يزاد علي ذلك ماء التفاح

قالوا وربما كان غشه بمجرد الدم المجفف أو خره بعض الطيور أو الميعة أو برادة الحديد أو نحو ذلك وكثيراً مايندى بالبول. وتسهل معرفة هذا الغش بضعف رائحة هذا المسك ولونه عدم توافق أجزائه وعدم ذوبانه كله علي النار

(خواصه الدوائية) اذا استعمل المسك بمقدار من قمحة الي أربعة قمحات فانه يوقظ الجهاز العضلي ويزيد القوى

بسرعة في المجموع الحيواني فان كانت المعدة حينئذ منهيجة شعر بعد ازدراده بثقل وحرارة في القسم المعدى وجشاء وجفاف في المرىء. فاذا أدمن من استعمال مقادير منه من ٤ قمحات الى ٦ في كل ساعة حتى بلغ المقدار في اليوم ٢٤ قمحة أو درهما أو أكثر نفذت قواعده الفعالة في البنية وأثرت في منسوجاتها وأحدثت تنبهاً عاماً . فقد يعرض رعاف وازدياد في التنفس الجلدى وتظهر ظواهر عصبية تدل على ان المسك أثر على المراكز العصبية كالصداع والدوار والسبات بل النوم غير الاعتيادى والهبوط والاضطراب والحركات التشنجية وارتجاف الاعضاء الصدرية والبطنية فيعلم من ذلك ان التأثير العصبى تغير عن حاله بعد استعمال هذا الجوهر وتكدر سيره في الجسم

توجد رائحة المسك في البول وفي المواد الثفلية والتنفس الجلدى وعرق المستعملين له . وتكثر تلك الرائحة في افرازات بعض المرضى بحيث ان اليد التي تمس نبضهم تبقى حافظة زمنا طويلا لرائحة المسك . واذا فتحت جثة من استعمله وجدت نجاويف صدورهم وبطونهم مملوءة من عطريته النافذة أيضاً في جميع منسوجاتهم بل وفي الجوهر المخي . فاذا لم يشاهد شيء من ذلك كان المسك رديئاً

أهم ما في المسك من الخواص تأثيره تأثيراً خاصاً في الجهاز المخي الشوكي فأرادوا أن يستفيدوا من ذلك التأثير فائدة في الامراض التي لا يكون هذا الجهاز فيها سليما حتى ترسل مراكزه لجميع أجزاء الجسم تأثيراً غير منتظم بحرض في الاعضاء الدورية والتنفسية والهضمية حركات مرضية وتكدرات محزنة

وزعم الطبيب (كولان) انه أعظم الجواهر المعروفة مضادة للتشنج ومدحه في النقرس المنتقل والنابت . فيمكن أن يقال بوجه عام انه يصح استعماله في علاج الامراض العصبية الثقيلة التي تضاعف الامراض الاخر وتصاحبها على انها نتيجة أو عرض لها أو أصل متميز عنها . ولهذا استعمله بعضهم مع النجاح في بعض الالتهابات الرئوية المصاحبة للهذيان . ومدحوه أيضاً في الحمى التيفوسية المضاعفة بعوارض عصبية غير منتظمة كالهذيان واهتزاز الاطراف والحركات التشنجية والضجر واختلاط القوى

الحساسة ونحو ذلك وتلك أعراض ناشئة من المراكز العصبية فالمسك يسكنها ويعيد التأثير العصبى الحالة الموافقة لقوانين البنية الحيوانية وبذلك يحسن حال المريض ولكن ذلك بشرط سلامة القناة الهضمية . لانها ان لم تكن سليمة سبب تهيجاً في معداتهم واعراضاً أخرى مؤلمة وقلقا في القسم المعدى . أما من كان حسهم متكدراً أو معدوماً فيقبلون تلك الادوية ولا يتضررون منها عاجلا ولكن ادمان استعمالها قد يسبب فيهم اضطرابا وانحرافا في الوظائف وذلك علامة على الشدة التي طبعها ذلك الجوهر في آفات الجهاز المخي الشوكي

نعم شوهد ان المسك قد يحرض انفعالا ربما كان نافعاً لكن حصول مثل ذلك غير يقيني فلا تعلم جيداً الاحوال التي يكون المسك نافعاً فيها

وذكروا أنه دواء قوى الفعل في الغواق وخفقانات القلب وارتجاف المرىء والمعدة والامعاء فالمسك بخاصته المنبهة يزيد في تلك العوارض ولكنه اذا كان له فعل خاص على الجهاز المخي الشوكي فيمكن أن يذهب احيانا الاستعداد المرضى الذى في تلك المراكز و يعيد تأثيرها في الاعضاء الى حالته الاعتيادية وربما كانت الفوائد الحاصلة منه في علاج الآفات العصبية آتية من تلك القوة التي تكون في تلك الحالة مسكنة وربما نسب لها وصف هذا الجوهر بأنه مضاد التشنج أو للآفات العصبية

وقد ذكروا مشاهدات من الالتهابات البلوراوية والرئوية المصاحبة للهذيان أعطي فيها المسك بمقدار من ٤ قمحات الي خمسة في كل ساعتين أو أربع ساعات نحو انحطاط الداء و بعد الفصد عدة مرات فنتج منه نوم مريح وتعريق لطيف وانقطاع لجائي للعوارض الشديدة الثقل . لكن ينبغي أن يعلم أنه يوجد حينئذ مع التهاب المنسوج الرئوى أو البلوراوى حالة مرضية في المخ وغيره من المراكز العصبية ولا يصير المسك نافعاً الا بارجاعه الجهاز الشوكي لحالته الاعتيادية وأوصوا به في الصرع وذكروا مشاهدات تقوى هذا الرأى . لكن أسباب هذا الداء مختلفة والدواء الواحد لا يمكن أن يقاومها كلها . على انه قد يوجد في هذا الداء آفات تتجدد أدواراً وهي التي

تحرض النشبات فيستطيع المسك أن يمنع ظهورها ؟ ثم انه يوجد في هذا الداء آفات دائمة لا يعلم محل مجلسها في المخ أو على مسير الحبيلات العصبية أو في القلب .وذلك لان نوبات الصرع يحفظ دوامها التهاب مخي جزئي أو دون فى اللب المخي اوفى حبيل عصبي أو تيبس او تنوع مرضى آخر في جزء من هذا اللب او من هذه الحبيلات اوضخامة في البطين الايسر أو اتساع في الفوهة الشريانية التى في ذلك البطين او نحو ذلك . والمسك لايقدر على رد شيء من تلك الآفات

وقد منع بعضهم استعماله اذا كانت بنية المريض ممتلئة أى دموية حيث يتوجه الدم فيها بقوة نحو الرأس فيجب قبل استعماله استفراغ الاوعية لتحفظ من العوارض التى قد تحرضها قواعده المنبهة في الجسم الممتلىء دما وشدة فاعلية

وذكروا انه دواء قوى الفاعلية فى الهستريا أى الرعشة مع انه يوجد في هذا الداء قوتان تؤثران في الاطراف فالارادة المخية تبقي حافظة لسلطتها في العضلات فاذا امرت بشيء انقادت لها هذه الاعضاء فتحصل فيها الحركات الارادية وهناك قوة أخرى متولدة من النهيج المتعب للب النخاعي الذى للمخ وسببا التخاع الشوكي فهذه تحرض انقباضات عضلية وهناك عضلات يلزم بقاؤها في سكون لكنها تدخل في الفعل دخولا في غير محله فحركاتها تكدر وتحرم جميع الحركات التى يريد المريض فعلها فاذا أراد المريض أرسال كوب لفمه مثلا عسر على ذراعه أن تبتدىء في الانثناء بل تنجذب الي الاسفل أو الى الاعلي أو الجانب بالعضلات التى تنقبض لمعارضة اختيار المريض فتخط تلك الذراع عدة انثنا آت فيندفع الكوب في الاتجاهات المتعارضة جداً قبل أن يصل الي محله المقصود

وكذا هذا الشخص المصاب بالهستريا أو الرعشة اذا اراد ان يمشي فحينما يوجه ساقه الي أمام تنقبض عضلات منه قهراً فتجذب هذه الساق الي الجانب أو تحفظها منثنية على الفخذ فلا يتقدم الرجل الي الامام لتقل الجسم فيسقط ذلك الجسم على الارض . ويعسر أن تدرك المنفعة التى تحصل من المسك في هذه

العوارض او في الآفة التى انتجتها لانه لايمكنه ان يعيد تحت سلطة الارادة العضلات لمحلها الذى فارقته الا بعد أن يتسلط على السبب الذى حرض انقباضاتها أيقدر المسك على أن يعيد للتخاع حالته الاعتيادية و يعطي للتأثير العصبي سيره الاعتيادى ؟

وذكروا نفعه في الخوف من الماء في داء الكلب ولكن ليست المادة المعدية الكلبية هى التى يفسدها المسك كما زعموا وانما تعارض قوته العوارض التى ينتهى الحال بأن تحرضها هذه المادة المعدية في الجسم الحاوى لها .وبالجملة لم يثبت له عظيم فاعلية في ذلك

وذكروا نفع استعمالها في الهستريا وان بعض العصبيات التى سقط رحمهن اذا شممن رائحته يرجع فيهن هذا العضو الى محله الطبيعي

وذكروا أيضا ان بعض النساء اذا شممن رائحته يحصل لمن تقاص في الرحم وتلك حالة مهمة تجعل استعماله صعبا لمن لانه لايعلم من قبل هل تقع المرأة من استعماله في التقاص أم لا

والخلاصة انه قد ثبت بالمشاهدات فاعليته في الهستريا كما نفع عند القدماء في معظم الامراض العصبية كالخدر والفالج والقوة والرعشة والبلادوالوحشة والخفقان وانه يقوى الحواس ويمنع ضرر الادوية والسموم والمسهلات اذادخل فيها ويوصل كل دواء الي مايراد منه

وقد يجمع المسك مع نثرات البوتاس لتلطيف فعله المنبه بخلافه مع الكافور فانه لزيادة فعله كما هو مع الافيون او الراتينجيات او البلاسم أو العنبر أو الادهان الضارة او أكسيد الخارصين أو غير ذلك من مضادات التشنج

ويجمع مع الكبريت الذهبى للانتيمون ليزول منه معظم رائحته بدون أن يتخلل تركيبه وأما القرنز المعدني فينيره فقط الي رائحة البصل . وجمعوه مع روح النوشادر لايقاف الغنغرينا وجعل هذا الجوهر قاعدة لمركبات دوائية وقتية كثيرة كالجلاب المسكي لفولير والمسحوق التونكيني وهو مخلوط من ١٦ قمحة من المسك مع ١٢ من الزنجفر وتلك الكمية تستعمل كما في الصين لعلاج داء الكلب وكاقراص وحبوب مسكية نوشادرية مضادة للتشنج ومقوية للقوة

التناسلية .ويستعمل ايضا لتعطير بعض الاشربة الروحية

(مقدار استعماله) مقداره من ٤ قمحات الي نصف درهم حبوبا او معلقا في جرعة بمساعدة جسم لعابي والمخلوط المسكي يصنع بأخذ غرام من كل من المسك والصمغ العربي والسكر و٤٨ من ماء الورد والاستعمال من اوقية الي اوقيتين في كل ساعتين او ثلاث ساعات

وقد تنوع الجرع فمن ذلك تصنع جرعة بأخذ اوقية ونصف من كل من مقطر زهر الزيزفون وماء زهر البرتقان . واوقية من شراب بلسم طلو و٢٤ قمحة من مسحوق الصمغ و٦ قمحات من المسك ويعمل ذلك حسب الصناعة جرعة تستعمل بالملاعق الصغيرة

والحبوب المضادة للهستريا تصنع بأخذ غرام من كل من المسك وخلاصة الفاريانا و١٢ قمحة من خلاصة الافيون وتصنع ١٦ حبة (ملخص من المادة الطبية)

المسك ويقال له القبض يعترى بعض الناس فيمتنعون عن التبرز ٢٤ ساعة او يومين او ثلاثة واكثر وهو ليس بمرض ولكنه عرض ثقيل جداً يسبب اعراضاً كثيرة كالكرب والالم في الرأس والثقل فيه والدوار أو قلة الشهية وغير ذلك وهو يكثر بين العصبيين وبين الذين يعيشون معيشة جلوسية والذين يكثرون من اكل اللحوم او الاطعمة المنبهة او الذين يقتصرون علي حمية شديدة أو يشربون أشربة روحية بكثرة او من يهمل التبرز في وقت الحاجة اليه ويكثر في الحوامل أيضا

(علاجه) يقوم علاجه اولا بجعل وقت معين للتبرز والقيام لقضاء الحاجة في تلك الساعة وان لم يكن هناك ميل للتبرز وذلك لتنبيه وظيفة الامعاء

ومن علاجه ايضا ان يأخذ حقنة باردة والماء البارد يفيد اكثر من الفاتر لانه مقو ينبه الامعاء الي حركتها الطبيعية بخلاف الفاتر او الساخن فانهما يكسبانها خمولا وضعفا . واذا لم يكف وحده يضاف اليه ملعقة من زيت الزيتون او الغليسرين أو قليل من الملح او الصابون او السكر

ومما جرب في الامساك دلك البطن باليد وهو ان يستلقي المصاب علي ظهره

قبل خروجه من السرير ويضع علي كفه قليلا من الفازلين لتسهل انزلاق كفه علي بطنه ثم يأخذ في دلك بطنه فيتجه من الجهة اليمنى تحت الخاصرة في خط مستقيم يقطع البطن تحت السرة بقيراطين وهو الموضع الذى يمتد فيه المستقيم الذى يحمل الفضلات فيمر بيده ضاغطا علي ذلك الخط حتى ينتهي الى الجهة اليسرى ثم ينزل بميل نحو العانة علي خط مستقيم متتبعاً سير بقية المعى الغليظ ويكرر هذا العمل مراراً عديدة ثم يدلك بطنه دلكا مستديراً حول السرة ثم يعمد الى الطريقة الاولى ثم يعود الثانية وهكذا نحو ربع ساعة ثم ينهض من السرير الي محل الخلاء فيفيده هذا الدلك في انزال الفضلات وتنبيه وظيفة الامعاء .ولو دأب عليها المصابون بالقبض لوصلوا الي شفاء مايهم من كسل الامعاء وخمولها علي شرط ترتيب أوقات التبرز وعدم امساكه متى حدث شعور بالضرورة اليه

فان استعصي الامساك علي هذه الوسائل يعمد المصاب الى وسائل أخرى وذلك بأن يكثر من أكل الخضر والفواكه فيأكل التفاح والكمثرى والخوخ والتين والعنب والبطيخ والشمام والاجاص (البرقوق) وغيرها صباحا وظهراً وعشياً وأن يكثر من المشى والتنزه في الهواء الطلق وأن يقلل من أكل القوابض كالرمان والمعجنيات واللحم والاقلو به

والبن الحليب يفعل فعل بعض الملينات أو المسهلات فيؤخذ كوب منه محلي بقليل من العسل الابيض قبل النوم

ومن الملينات الجيدة في ازالة القبض الراوند فهو يباع علي حالة مسحوق او أقراص صغيرة فيؤخذ نصف غرام قبل النوم من مسحوق أو حبة من حبوبه فان لم تفد فحبة ونصف أو حبتان فتكون ملينا حسناً في اليوم التالى مع تقوية المعدة وعدم احداث قبض بعدالين

ومن العلاجات الحسنة له الصبر والمانيزيا . وفي الصبر عيب وهو أن يجعل احتقاناً في الاوعية الدموية التي حول المقعدة فيسبب البواسير فليجتنبه المصابون بها وكذا النساء المعرضات لامراض حمية أو لازمة دموية

ومن الملينات تقيع عرق السوس ومسحوقه وهو يباع في مخازن الادوية في حقات من الصفيح

من الناس من يبادرون عند كل قبض بأخذ مسهل وهو خطأ عظيم فان المسهلات تحدث اقلالا عظيما في اعضاء التبرز وافرازا كبيراً في الغدد المعوية لا يعمد اليه الطبيب الا عند الضرورة القصوى فلا يجوز لأحد الناس ان يعتمد على هذه الوسيلة الا بأمر الطبيب الحاذق الحريص على صحة الشخص . والمليّنات أفضل منها فهي تحدث اللين بدون أن تصيب الوظائف التبرزية بصدمة قوية بل تعمل فعل الاغذية في البنية فتنبه وظائف التبرز بلطف

ويحسن بنا هنا أن نأتي على مقارنة فعل المسهلات بالمليّنات ليتبين القارىء فضل الثانية على الاولى فلا يعتمد الا عليها

(تركيب الجواهر الملينة وفعلها ومقارنتها بالمسهلات) الجواهر الملينة مركبات من لعاب وسكر وزيت ثابت وحوامض نباتية . واما الجواهر المسهلة فهي قواعد مرة وخلاصية ومادة بأملاح

الجواهر الملينة طبيعتها غذائية وموادها الكيماوية كثيراً ما تتساط عليها القوى الهضمية فتغير طبيعتها وتحولها الى كيموس والجواهر المسهلة ليست قابلة للانهضام ولا يمكن استخدامها في تركيب القواعد المصلحة للجسم

المليّنات ترخي منسوج الامعاء فاذا حصل عقب استعمالها استفراغات ثفلية فذلك لكونها صارت جسما ثقيلا متعبا تقسي هذه الاعضاء في التخلص منها سريعا اى بدفع جميع ما تحتوى عليه في باطنها . ولكن المسهلات تحدث في الطرق الهضمية تهيجا يثير الحركة التفلية في الامعاء والاستفراغات التي تتبع استعمال مسهل يتركب معظمها من أثفال مخاطية ومصلية وصفراوية وهو الذى حرضها

المليّنات تفعل على جميع المنسوجات الحية انطباعا مرخيا أو معدلا ولا يتبع استعمالها بكدر أصلا في التأثير العصبي ولا ينتج أصلا جملة العوارض التي تكون تابعة لافراط الاسهال . واما الجواهر المسهلة فلها على أعصاب المجموع العقدى وعلى النخاع الشوكي فعل لا ينبغي انكاره فاذا استعملت بمقدار كبير فانها تعطي للتأثير العصبي صفة أخرى وتحدث اعتقالات في العضلين والساقين . ثم ان

امتصاص جزئياتها يثير دورة الدم ويرفع درجة الحرارة الحيوانية وغير ذلك

المليّنات تستعمل في الامراض الناتجة من التهيجات والالتهابات وأما الجواهر المسهلة فكثيراً ما تزيد في قوة هذه الآفات فاذا استعملت المليّنات في الامراض الحادة فانها كما هو واضح تلطف الاحتراق الحي وتقلل شدة العوارض المرضية . وأما المسهلات فاذا استعملت في هذه الاعراض فانها تزيد في الحمى وتقوى جميع الامراض وقد استفيدت منافع جليلة من المسهلات في الاحتقانات الدموية التي تكون في المخ وفي اعضاء الصدر ونحو ذلك واما المليّنات فاستعمالها في هذه الحالة أن يكون غير نافع والمسهلات تكون قوية الفعل في الاوذيات الخلوية وأما استعمال المليّنات في ذلك فتعين غالباً على زيادة هذه الاحوال المرضية

مساء قال له مساك الله بالخير و (أمسى) دخل في المساء و (المساء) ما بين الظهر الى المغرب

مشجه يشجه خلطه . و (مشيج ومشيج) اى مختلط جمعه أمشاج

المشمش يسمى بالسان النباتي (ارمينيا كاردجاريس) وأصله من بلاد الارمن ثم نقل الى رومية وأنواعه كثيرة

(الاقاليم والارض) تنضج ثماره في شمال فرانسا والارض التي توافق شجر الخوخ توافقه

(تكاثره) يطعم على شجر البرقوق وشجر اللوز وشجر المشمش المتحصلة من البزر

فشجر البرقوق هو الاكثر استعمالا وتنتخب منه الاصناف القوية لأجل تطعيمها وشجر اللوز أقل استعمالا من شجر البرقوق لأن المطعم عليه ينفصل منه بسهولة وشجر المشمش جيد لذلك وتطعم هذه الاشجار بالازرار أو التطعيم الاكليلي أو بالتطعيم بالشق

ويزرع هذا الشجر أما في بستان الفاكهة واما في بساتين الخضر فيزرع في بستان الفاكهة في الهواء المطلق ويعطي له الشكل الهرمي ويزرع في بساتين الخضر كما يزرع شجر الخوخ فتحصل منه محصولات وافرة

ولاجل ان يعيش الشجر زمنا طويلا

وتتحصل منه محصولات وافرة على الدوام لا ينبغي ان يغرك وتقسه بل يلزم تقليمه في كل شتاء وبدون ذلك يتغطى نحو قاعدته بفروع عديدة شرهة غير لازمة تجذب نحوها العصارة الينفاوية فتميت معظم فروع هيكل الشجرة والفروع الثمرية فبعد زمن يسير يكون عدد الفروع اليابسة كعدد الفروع الرطبة تقريبا فاذا قرطت قمم الفروع مرتين في زمن الانبات امتنع بذلك نمو الفروع غير اللازمة التي هي مضرة من وجهين اولهما انها تمتص أغلب العصارة الينفاوية وثانيهما انه ينشأ عن ازالتها مرض الصمغ الذى هو عميت لشجر المشمش في الغالب

(تقوية شجر المشمش) هذا الشجر ينتهي بعد مضي ١٥ أو ١٨ سنة بأن يصير عقيما فتتجرد فروعه من الفريعات الثمرية وتجف وتنمو الفروع الشرهة السفلي غير اللازمة ثم قطعها كل سنة ينشأ عنه هذا السقم ففي حصل ذلك ينبغي أن يقوى هذا الشجر ولاجل ذلك يكفي أن تقلم فروع هيكل الشجرة نحو قاعدتها فوق النقطة التي ينمو فيها فرع شره فهذه الفروع الحديثة الشرهة يتكون منها هيكل جديد ويأتي تكرار هذا العمل مراراً متعاقبة اذا اقتضت الحاجة ذلك

(امراضه) المرض الذى يخشى منه على هذا الشجر كثيراً هو الصمغ ويعالج بالطرق التي أسلفنا ذكرها

(اجتناء ثماره وحفظها) يجنى المشمش كما يجنى الخوخ ولا يتأتي حفظه رطبا وانما يجفف كالبرقوق بعد نزع عجمه منه فاذا عطن المجفف منه في الماء ثم طبخ مع السكر حسبما تقتضيه الصناعة تحصلت منه مربي لذيذة الطعم (من كتاب الزراعة لاحمد بك ندى)

(خواصه الغذائية والطبية) المشمش من الفواكه المغذية الملائمة للدم ولكن فيه ثقل فيجتنب الاكثار منه

وقد ذكر له أطباء العرب خواص طبية جليلة فقالوا انه ينفع من الحكة والقوب والعطش وهيجان الحارين والحميات المحرقة والبخار المتغير ويفتح السدد ويلين الصلابات ويعدل أمزجة المحرورين بشرط ان يتبع بما يخرجه عن البدن بسرعة كالسكنجبين ودبوب الفاكهة ومن اتبعه بالماء والعسل وتقيأه أخرج ما في المعدة من الاحتراقات حتي الكرائية

والزنجارية وقطع الحمى

وهو يضر المبرودين (يعني العصبيين) ويضر المشايخ ومن غلب عليه البلغم ويضر المعدة لفساد وحمضه ويولد الرياح الغليظة . ومن فصد بعد أكله شاهد بياض الدم وبذلك يوجب البرص اذا أدمن ولا يجوز فوق طعام ولا على ريق الا بقصد القيء ويصلحه الانيسون والمصطكي بالعسل في المبرودين والا فبالسكر . ومما قيل تبين ان الخوخ أجود منه بكثير ويابسه أجود من طريه

ولبه المر حار يابس في الثانية والحلو حار رطب في الاولي ودهن كل يفتح السدد وينعم البشرة ويزيل الصلابات والخشونات والآثار والمريفتت الحصي شربا ويفتح الصمم قطوراً . ويسكن مع الافيون كل ضارب لوقته ويقوى فعل المسهلات وليس له بمفرده قوة في ذلك وأجزاء شجرته باردة يابسة في الثانية اذا طبخت وشربت أدرت وأسقطت الديدان وتحمل الاورام نطولا وورقه يقطع الاسهال

من خواصه التركيب في اللوز والخوخ وكل في الآخر

وقد ينقع المشمش ثم يضرب ويصفي من نواه ويفرش على ألواح قد دهنت بالسيرج في الشمس وقد رقق كاللبن فيجف وهو المعروف بقمر الدين

﴿ مشط ﴾ الشعر يمشطه سرحه ومثله (مشّطه) و (امتشط) مطاوع و (المِشط) آلة التمشيط

﴿ المُشاقة ﴾ ما سقط من الشعر والكتان والحرير عند المشط . و (امتشقه) اختطفه واختلسه . و (قد ممشوق) أى طويل مع رقة

﴿ الماشية ﴾ الابل والغنم والبقر جمعها مواش و (المشاؤون) من الفلاسفة هم أتباع أرسطولأنه كان يحدثهم في الفلسفة وهو ماش

﴿ المصر ﴾ الحاجز بين الشيئين والمدينة جمعه أمصار . و (المصير) المعى جمعه مُصران وجمع المصران مَصارين

﴿ مصر ﴾ من أشهر أقطار الدنيا وأقدمها ذكراً في التاريخ وأبعدها عهداً بالمدنية والعلم . موضعها من الكرة الارضية في الشمال الشرقي من افريقا وهي عبارة عن واد ضيق محصور بين سلسلتي جبال يختلف ارتفاعها بين ٨٠ و ٣٥٠ متراً

وهما سلسلة جبال العرب جهة الشرق وسلسلة جبال ليبيا جهة الغرب . وخلف هاتين السلسلتين صحراوان تمتد احداهما شرقا الي البحر الاحمر وتسمي صحراء العرب والثانية تتصل بالصحراء الكبرى وتسمي صحراء ليبيا

يحد مصر شمالا البحر الابيض وشرقا بلاد الشام والعرب والبحر الاحمر وجنوبا بلاد النوبة وغربا طرابلس الغرب والصحراء

مساحة مصر (٦٠٠٠٠٠) كيلو متر أى (١٥٠) مليون فدان بما فيها الصحارى . ومن غير الصحارى تبلغ مساحته (٢٦٠٠٠) كيلو متر أى (٦١٥٨٠٧٧) فدانا . منزوع منها (٥٦٥٠٠٠٠) فدان والباقي أرض قابلة للزراعة ولم تزرع

أما عدد أهلها فيبلغ الآن نحو ١٣ مليونا وكان سنة ١٨٠٠ (٢٤٦٠٢٠٠) وفي سنة (١٨٢١) حين احصاه محمد علي باشا (٤٤٧٦٤٤٠) وفي احصاء سنة (١٨٨٢) في عصر توفيق باشا بلغ (٦٨١٣٩١٩) وفي سنة (١٨٩٧) بلغ (٩٧٢٤٤٠٥) وبلغ في سنة (١٩٠٧) ١١١٤٣٠٠٠ وقد صار في سنة (١٩١٧) ١٢٥٦٦٠٠٠ واليك جدولا أصدرته مصلحة الاحصاء عن الاحصاء الأخير لسنة (١٩١٧) فيه تفصيل الاهالي في المديريات والمحافظات مع مقارنتها بعدد أهلها في سنة (١٩٠٧)

الزيادة في المئة	الاحصاء سنة ١٩١٧	الاحصاء سنة ١٩٠٧	الاقسام الادارية	
٢١،٥	٧٨٥٠٠٠	٦٤٦٠٠٠	مصر	
٢٣،٦	٤٣٥٠٠٠	٣٥٢٠٠٠	الاسكندرية	
٤٧،٥	٩٠٠٠٠	٦١٠٠٠	القنال	المحافظات
٨٨،٨	٣٤٠٠٠	١٨٠٠٠	السويس	
—	٣١٠٠٠	٥١٠٠٠	دمياط	
٢١،٩	١٣٧٥٠٠٠	١١٢٨٠٠٠	مجموع سكان المحافظات	

الزيادة في المئة	الاحصاء سنة ١٩١٧	الاحصاء سنة ١٩٠٧	الاقسام الادارية	
١٤،١	٨٨٤٠٠٠	٧٧٥٠٠٠	البحيرة	
٧،٦	٩٤٧٠٠٠	٨٨٠٠٠٠	الشرقية	
١٣،٣	٩٧٧٠٠٠	٨٦١٠٠٠	الدقهلية	الوجه البحرى
١١،٠	١٦٤٩٠٠٠	١٤٨٥٠٠٠	الغربية	
٢١،١	٥٢٧٠٠٠	٤٣٥٠٠٠	القليوبية	
١٠،١	١٠٦٨٠٠٠	٩٧٠٠٠٠	المنوفية	
١١،٩	٦٠٥٢٠٠٠	٥٤٠٦٠٠٠	مجموع سكان الوجه البحرى	
١٠،٩	٩٦٩٠٠٠	٨٧٧٠٠٠	اسيوط	
٧،٧	٢٥١٠٠٠	٢٣٣٠٠٠	اصوان	
٢٠،٧	٤٤٩٠٠٠	٣٧٢٠٠٠	بنى سويف	
١٤،٧	٥٠٧٠٠٠	٤٤٢٠٠٠	الفيوم	
٧،٧	٨٥٤٠٠٠	٧٩٣٠٠٠	جرجا	الوجه القبلي
١١،٨	٥٢٣٠٠٠	٤٦٨٠٠٠	الجيزة	
٧،٥	٨٢٩٠٠٠	٧٧١٠٠٠	قنا	
١٦،٠	٧٥٧٠٠٠	٦٥٣٠٠٠	المنيا	
١١،٥	٥١٣٩٠٠٠	٤٦٠٩٠٠٠	مجموع سكان الوجه القبلي	
١١،٧	١٢٥٦٦٠٠٠	١١١٤٣٠٠٠	المجموع العام (مؤقتا)	

(التاريخ القديم للأمة المصرية) ينقسم التاريخ القديم لهذه الامة الي ثلاثة ادوار: دور الجاهلية ، ودور الاسر المالكة المصرية ، ودور الحكم اليوناني في مصر

فأما الدور الاول فأوله مجهول وينتهي الي سنة (٥٠٠٤) قبل الميلاد . واما الدور الثاني فيبدأ من سنة (٥٠٠٤) ق م الى سنة (٣٤٨٠) قبل الميلاد . واما الدور الثالث فيبدأ من تلك السنة الى سنة (٣) ق م

(٣ = دائرة = ٤ = ٩)

ثم يلي هذا تاريخها الحديث وهو يبتدىء من سنة(٣٠) حيث استولي عليها المسلمون الي اليوم

(الدور الاول) تاريخ الامة المصرية في عهد الجاهلية غامض لا يعرف عنه شيء كبير وغاية ما عرف ان هذه الامة كانت منقسمة الى قبائل على كل منها رئيس مستقل ثم توحدت هذه القبائل واوجدت مملكتين احداهما في الوجه البحرى والاخرى في الوجه القبلي

في هذا الدور كان الكهنة نفوذ قوى فرتبوا للامة ديانتها ورضعوا لها اسماء آلهتها وكان مقرهم مدينة طيبة وتسمي بالقبطية ابيدوس هي الآن العرابة المدفونة الخربة قبلي جرجا بينها و بين البلينا ساعتان

يبدأ التمدن المصرى من سنة (٥٠٠٤) ق م حيث بدأ المصريون يلبسون جلود الحيوانات ويستعملون النحاس والفخار ويتخذون السيوف والمدى والاواني وينسجون التيل ويصنعون الآجر (الطوب) ويشيدون المباني ويستخرجون الذهب والفضة ويبنون السفن ويتجرون عليها

(الدور الثاني) يبدأ من سنة (٥٠٠٤ الي ٣٣٢) ق م وهو دور الاسر الملكة او دور المنازعة . بلغ عدد هذه الاسر (٣١) اسرة ملكت البلاد من اول سنة (٥٠٠٤ الي سنة ٣٣٢) ق م وهي ثلاث طبقات

(١) الطبقة الاولي تشمل العشر الاسر الاولى ومدة حكمها ١٩٤٠ سنة

(٢) والطبقة الثانية تشمل السبع الاسر الثانية ومدة ملكها ١٣٩١ سنة

(٣) والطبقة الثالثة تشمل الاربع عشرة أسرة الاخيرة ومدتها ١٣٧١ سنة

(الطبقة الاولي) من سنة (٥٠٠٤) الي سنة (٣٠٦٤) اولها الاسرة الاولي من سنة (٥٠٠٤) الي (٤٧٥١) ذهبها الملك (مينا) او (مينيس) تزوج ابوه بأميرة من الوجه البحرى فصار مينا حاكما بالوراثة على الوجهين فأول ما وجه اليه همه اضعاف سلطة الكهنة وتقوية شوكة الملكية و بنى هيكلا للمعبود (بتاه) بقرب الجيزة وحول مجرى النيل من سفح الجبل الغربي الي مجراه الحالي وبنى مدينة منف أو منفيس وهي الآن ميت رهينة والبدرشين ثم بنى جسراً لوقاية مدينته من النيل يعرف الآن بحسر قشيشة

مات وخلفه ابنه (تيتا) فأسس في منفيس القصور واشتغل بعلم الطب وعمل مجموعاً للوصفات الطبية توجد الآن بمكتبة برلين

(الاسرة الثالثة) من سنة (٤٤٤٩ الي ٤٣٣٥) ق م كانت في منف تقدم على عهدها فن النقش والبناء وجر الاثقال بنى في مدتها الهرم المدرج بسقارة قرب البدرشين بناه الملك (ذوسر) الذى تولي سنة (٤٣٨٥) ق م و بنى في مدتها الهرم الكاذب بميدون أما محطة الرقة الآن بنى سويف بناه (سنفرو) آخر ملوك هذه الاسرة وهو أول من بنى السفن الحربية ومن أشهر اعمال هذه الاسرة أبو الهول الباقي الآن بقرب اهرام الجيزة

(الاسرة الرابعة) من سنة(٤٢٣٥ الي سنة ٣٩٥١) بمنف بنى في عهدها الاهرام الثلاثة الموجودة بالجيزة فبنى الاكبر (خوفو) في ثلاثين سنة و بنى الثاني (خافرع) ابنه . أما الهرم الثالث فبنى جزءاً منه الملك (من كاورع) وتوجد جثته الآن بدار الآثار بلندن وأتمت بناءه الملكة (نيتوخريس) من الاسرة السادسة

(الاسرة الخامسة) أصلها من جزيرة اسوان (الفنتين) من سنة (٣٩٥١) الى (٣٧٠٣) ق م في عهدها بنيت اهرام ابو صير بالجيزة من ملوك هذه الاسرة الملك (رع اُسرآن) صاحب المقبرة الشهيرة بجهة سقارة ثم الملك اوناس وله هرم بالجنوب الغربي الهرم المدرج بسقارة

(الاسرة السادسة المنفية) من (٣٧٠٣ الي ٣٥٠٠) ق . م أشهر ملوكها مَرى — رع الذى حارب النوبة وليبيا واستولى على طور سينا وجعل لمصر شهرة عظيمة . وخلفه ابنه (مرنرع) الاول ففزا النوبة واحضر منها اسلابا كثيرة ثم الملك (نفر — كا — رع) الذى حكم مصر مائة سنة ، حافظت فيها على رونقها ومجدها . وقام بعده (مرنرع) الثاني وقد وقعت ثورة بعد سنة من حكمه قتل فيها . ثم خلفته زوجته (نيتوكريس)

قال هيرودوت : « ان نيتوكريس لما تولت ، دبرت مكيدة لقاتلي زوجها فعملت سردابا يوصل بين قاعة ، اعدت فيها وليمة فاخرة ، وبين النيل ، ثم دعت قاتلي زوجها وبينما هم في تلك القاعة، اذ فتحت طريق السرداب من النيل فدخل ماؤه الي القاعة واغرق من فيها » . وهي التي اتمت بناء الهرم الثالث بالجيزة . وقد اعدت لنفسها مدفنا بأعلي الحجرة التي دفن فيها الملك (منقرع) قبلها بخمسمائة سنة

(الاسرتان السابعة والثامنة المنفيتان والاسرتان التاسعة والعاشرة الاهناسيتان من سنة (٣٥٠٠ الي ٣٠٦٤ ق . م) لا يعلم شيء يذكر عن هذا الاسر

قال ليسيوس المؤرخ عن الطبقة الاولي « انه في زمنها كثر علي الآثار اسم (اوزيريس) والتوسل اليه ، وانقنت صناعة التصوير وامتازت الصور باعتدال القامة واستدارة الوجه وانشراقه . وكان القوم في ذلك العهد يعتنون بالكتب فجعلوا لها دوراً ومراقبين ، واهتموا بعمل التقاويم السنوية ، فبينوا فيها وقت شروق الكواكب وغروبها ولا سيما الشعرى اليمانية التي كان ظهورها علامة علي زمن الفيضان ورأس السنة

الطبقة الثانية من سنة (٣٠٦٤ — ١٧٠٣) ق . م

(الاسرة الحادية عشرة الطيبية)

من سنة (٢٠٦٤ - ٢٨٥١) ق . م .

من أشهر ملوكها (منتوحتيب الثالث) الذي له صورة في جزيرة الكنوز وهو منتصر علي امم اجنبية يقاتلها . وله وقائع منقوشة باتقان في وادي الحمامات بمديرية قنا ، كان هذا الملك يخص بالعبادة الاله خم معبود مدينة قفط

وفي دار الآثار المصرية لهذه الاسرة اسلحة وآلات الصناعة وجدت بجهة ذراع ابي النجا

(الاسرة الثانية عشرة الطيبية) من سنة (٢٨٥١ الى ٢٦٠٠) ق . م

دخلت هذه الاسرة في دور جديد من الوحدة بعد ان كانت مقسمة بين امرائها . فلم يكن لملك مصر غير السلطة الاسمية . فلما حكمت هذه الاسرة كسرت شوكة الامراء وكان اول من ملك منها (آمن — ام — حت) الاول الذي انتصر علي قبائل واواى — الذين

كانوا العدو الالد للمصريين واسرقبيلة المتانيو بصحراء ليبيا واعاد لمصر مجدها

وكان لهذا الملك هرم في اشت ، وله كتاب تداولته المدارس القديمة لعظيم فائدته

(الملك اوسرتسن الاول) هو صاحب المسلة القائمة الآن بعين شمس البالغ ارتفاعها ٢٨ر٣٠ متراً ، والمكتوب علي كل من جوانبها الاربعة بأقلام الهيروغليفي الالقاب الآتية : وان هوروس الشمس ، حياة المولودين ، ملك الوجهين القبلي والبحري — خبر — كارع ، سيد التاج المزدوج ، حياة المولودين ، ابن الشمس ، اوسرتسن ، صديق ارواح أون ، المخالد ، الاله هوروس ، المحبي ، المولود من الاله الكريم خبر — كارع ، هو الذي صنع هذا الاثر في اول السنة الثلاثين لحكمه الخالد الي الابد » . وكان بجانبها مسلة أخرى سقطت في اواخر القرن الثالث عشر وقد كان امام المسلتين هيكل الشمس المشرقة المسمي (نوم) ووجدت الملك المذكور مسلة ثالثة بجوار قرية ابجيج بالفيوم اقامها تمثيلا لمعبودات ذلك الاقليم . ويعد هذا الملك من المؤسسين الاول لمعبد الكرنك بطيبة ، وله هرم في اشت .

(أوسرتسن الثاني) كانت مصر في عهده محافظة علي مجدها . من آثار هرم اللاهون (بالفيوم) المقامة بجواره مقبرة الخاصيح . والملك المذكور مقبرة بالمنيا بناها له خنوم — حتب ، بجوارها الآن بلدة بني حسن ، وعليها نقوش تدل علي احكام الوراثة في ذلك العصر ، وعلي أن (خنوم — حتب) كان قريب الملك ووالياً علي المنيا ، وعلي انه صالح هذا القسم واحيا اسم والده نهيري الذي كان والياً قبله ، وعلي انه شيد المعابد واقام بها التماثيل ورتب لها ما يلزم للقرابين وعين لها كاهنا اقطعه الملك اراضي كثيرة فرتب للاموات الصدقات في جميع الاعياد المشهورة ، وعلي قبر (خنوم حتب) المذكور رسوم دالة علي كيفية الفلاحة واعمال العسكرية والحان الموسيقي وتربية المواشي ، وبعض قواعد الاحكام وتدبير المنزل ، وفيها صور طقوس دينية وتاريخية وملاحظات علي الملاحة وعلم الحيوانات

(اوسرتسن الثالث) كان هذا الملك صاحب هرم وحزم نال بهما شهرة

عظيمة فعبده الناس بعد وفاته . من أعماله أنه ارسل جيشاً لمقاتلة النوبيين قصد توسيع مملكته . وشيد في وادى حلفاً ، بالقرب من الشلال الاول . قلاعاً واستحكامات وأقام حجرين كحد فاصل بين مصر والنوبة مكتوبا على احدهما : « هذا حد مصر الجنوبي وضع في السنة الثالثة من حكم الملك أوسرتسن الثالث المخلد الذكر . لا يجوز لاى اسود كان أن يتجاوز هذا الحد أثناء سفره . لا اذا كان في سفينة تقل حيوانات من بقر وغنم وحمير من قبل بنى الاسود » . ولهذا الملك هرم في دهشور بجنوب سقارة وقد عرف الناس قدره فعدوه حامياً لمصر ورجلا مقدسا . وبعد مضي خمسة عشر قرنا من تاريخ موته أى في عصر الاسرة الثامنة عشرة شيد له توتميس الثالث معبداً في سمنة كتب عليه أدعية كان المصريون يتغنون بها في ذلك الزمن .

(آمنْ ـ آم ـ هَتْ الثالث) .

هو ابن الملك السالف شيد العمارات الفخمة في الفيوم . ولما رأى ان النيل يفيض بكثرة في بعض أيام السنة ويتناقص في البعض الاخر اهتم بخزن مائه وقت الفيضان ، في ارض منبسطة بالفيوم ، احاطها بجسر سماه (ميرى) اى بحيرة وقد اطلق اليونان عليها اسم (موريس) . وكانت تلك البحيرة اذا طفحت وقت الفيضان يتصرف ماؤها الزائد في البحيرة الطبيعية المعروفة ببركة قارون : وقال هيرودوت : « ان في داخل مسطح البحيرة كانت مشيدة (مدينه كروكود وبوليس او ارسينو (مدينة الفيوم) وكان في وسط البحيرة هرمان عظيمان يعلوهما تمثالان احدهما تمثال الملك والثاني تمثال زوجته المسماة سبك نفرورا» . وقد زعم بعضهم ان القاعدتين العظيمتين الموجودتين بجهة بيَهْمو (بالفيوم) ربما كانتا قاعدتي الهرمين المذكورين وزعم غيرهم انهما آثار موردة لشحن وتفريغ المراكب المارة بالبحيرة حيث هناك سلالم بتمثالين . وقد وجد رسم هذه البركة في صحيفة بردية محفوظة بالمتحف المصرى . ومن اعمال هذا الملك المدينة الشهيرة التى لغرابتها ظنها المؤرخون القدماء قصراً واحداً وسموه (لابيرانته) وهى لفظة مصرية اصلها (لابور ـ اهونت) اى معبد فم البحيرة

وكان يجتمع في قسم منها كبار المملكة وحكامها بأمر الملوك ، ويتداولون فى شؤون المملكة . وقد اقام ذلك الملك بجوار هذه المدينة هرم (هوارة المقطع) ، وله آثار في وادى الحمامات يؤخذ منها انه استخرج المعادن واخصها الفيروزج من طور سيناء

(الملكة سبك — نفرورا) زوجة الملك السالف واخت الملك (آمن — آم — هت الرابع) ، تولت الملك بعد اخيها

مما تقدم يعلم ان مصر في عهد حكم هذه الاسرة كانت سائرة فى طريق الرقي فانتظم فيضان النيل ، وازهرت المدارس

(الاسرة الثالثة عشرة الطيبية) من سنة (٢٦٠٠ الى ٢٣٩٨) ق م

يطلق على معظم ملوك هذه الاسرة لقب (سَبَكُ هتبْ) و (نُفِرْ هتبْ) وجدت اسماء ملوكها مرتبة فى جدولين على ورقة تورينو ، وعدتهم سبعة وثمانون ملكا

حافظت مصر فى عهد هذه الاسرة على مدنيتها ، كما دلت على ذلك الآثار التى وجدت في جزيرة (ارجو) بجوار دنقلة وفي جهة (صان)

وقال مريت باشا عن هذه الاسرة : « ان آثارها توجد جهة الكاب (جنوبي اسنا) وجهة اسيوط »

(الاسرة الرابعة عشرة السخوية) من سنة (٢٣٩٨ الى ٢٣١٤) ق . م .

لم يعرف شيء عن كثير من ملوكها اما آثارها ففي مديرية اسيوط . قال ماسبرو : « ان انقراض هذه الاسرة نشأ من فتنة ضد آخر ملك لها »

(الاسرة الخامسة عشرة) طيبية وعربية من سنة (٢٣١٤ الى ٢٠٠٥) ق . م . ينقسم ملوك هذه الاسرة الى قسمين : وطنيين تاريخهم مجهول حكموا الوجه القبلي وجعلوا عاصمتهم طيبة . واجانب وهم العرب المعروفون بالهكسوس حكموا الوجه البحرى واتخذوا مدينة (اواريس) قاعدة لهم ثم جعلوا عاصمتهم مدينة صان

اغار العرب على هذه البلاد وانتشروا في انحائها واخذوا يحرقون المعابد والقرى وينهبونها ، وعلى ذلك هاجر الامراء الوطنيون الى الوجه القبلي ، وحكموا هنالك

في مدينة طيبة ، واصبح الوجه البحرى في قبضة العرب فعينوا لهم ملكا اسمه (سلاطيس) واتخذوا (منف) مقراً لهم ثم قام بعد سلاطيس خمسة ملوك خافوا من الامراء الوطنيين فاتخذوا مدينة اواريس قاعدة لهم . وقد كان المصريون يمقتون العرب و يضمرون لهم العداء

(الاسرة السادسة عشرة) العربية من سنة (١٠٠٠ لي ١٧٥٠) ق م

اثار ملوك هذه الاسرة حربا هوآنا على المصريين فأخذوا منهم الجزء الشمالي للوجه القبلي واعقب ذلك وفود كثيرين من السوريين والعرب الي مصر

جلبت هذه الاسرة الخيل الي مصر ومن ملوكها (رع ـ كا ـ تن) وهو المعروف عند العرب (بالريان بن الوليد) قال بعض المؤرخين : « انه في مدة هذا الملك وفد على مصر جماعة الاسمعيليين الذين شروا يوسف الصديق من اخوته و باعوه الى فوطيفار رئيس شرطة مصر فأتي بيوسف الي منزله فبهر حُسن يوسف زوجة فوطيفار فراودته عن نفسها فأبي، فتسببت في سجنه ، وكان السجن يومئذ في الجهة الشمالية لسقارة بالقرب من هرم (بي) وتعرف للآن «بسجن يوسف»

ويقول بعض المؤرخين ان مجيء بني اسرائيل من ارض كنعان الى مصر كان بعد طرد العرب منها ، اى في مدة الاسرة الثامنة عشرة الوطنية ، حيث قام يوسف بمدينة منف وتسلط على سائر البلاد في ايام الملك توتميس الذى تولي بعد طرد العرب

وقد انقرضت هذه الاسر العربية بسبب الحرب التى اثارتها المناقشات الدينية بين ملوكها وبين الوطنيين من امراء الوجه القبلي وجلس (تا ـ آ) الاول على سرير الملك ، واسس في الصعيد الاسرة السابعة عشرة

الاسرة السابعة عشرة ـ طيبية وعربية ـ من سنة (١٧٥٠ الي ١٧٠٣) ق م .

كانت مصر في عهد هذه الاسرة تحت حكم حكومتين : وطنية قاعدتها طيبة ، وعربية قاعدتها اواريس . ولما تولي الملك (تا آ) شهر الحرب على العرب ، و بمساعدة الامراء له طردهم تدريجا ، وقام خلفاؤه بعده فجدوا في حربهم طلبا لاستقلال مصر فلم يبق لهم

الا معسكرهم الحصين في اواريس. واخيراً تغلب عليهم الملك (اهمس) الاول وطردهم نهائيا ، فلم يبق الا النذر اليسير منهم، ولم تزل ذريتهم (البشامرة) تقطن شواطيء المنزلة محترفة صيد السمك وقنص الطيور وهكذا انتهت الطبقة الثانية على أحسن حال

(الطبقة الثالثة) من سنة (١٧٠٣ ـ ١٤٦٢) ق م

(الاسرة الثامنة عشر الطيبية من سنة ١٧٠٣ ـ ١٤٦٢). ق.م

ظهرت هذه الاسرة بمظهر القوة فانفردت بالسلطة ، فاتسعت مصر وزادت ثروتها وسميت امبراطورية وأول براطرتها آه ـ ميس (اهميس)، ويسمي أيضا اوازيس وهو الذى قام بجيشه وحاصر قلعة اواريس براً وبحراً (كما ذكرنا) ففتحها وطرد العرب مقتفيا اثرهم الي نهر الفرات بأرض الجزيرة (مابين النهرين)، فخلص مصر منهم بعد ان ملكوها خمسمائة سنة . ثم اصلح هذا الامبراطور المعابد المتداعية للسقوط ، واستخدم اسرى العرب في نقل الاحجار من (طرة) ، واصلح معبد (بتاه) بمنف ومعبد (آمون) بالكرنك وهدم قلعة اورايس ، وهجر مدينة صان وقد وجدت جثته بكنز الدير البحرى.

(تهوتمس) أو (توتميس) الاول أى ابن توت . تغلب على بلاد النوبة واثيوبيا ـ وكانت تلك البلاد تصدر لمصر الحيوانات والحبوب والجلود والعاج والاخشاب والمعادن ولاسيما الذهب ثم هزا توتميس العرب بفلسطين وأرض كنعان ووصل الي نهر الفرات . ولهذا الملك عمارات كثيرة ومسلة توجد في معبد آمون بالكرنك

(الملكة هاتاسو) هي ابنة توتميس الاول . أقيمت وصية على أخيها القاصر توتميس الثالث فتولت الحكم وشرعت في تشييد الهياكل وتعيين القرابين والصدقات لها . وكانت تحكم بلاد الشام والنوبة. بنت مراكب حربية وأرسلتها الى البحر الاحمر للاستيلاء على بلاد بونت (اليمن والصومال). فسلم أهلها بدون قتال. ثم أسست معبد الدير البحرى في مدينة طيبة. وكتبت على جدرانه قصة غزوتها لبلاد البونت ، ومن اعمالها أيضا انها انشأت معامل لصنع الزجاج واقامت مسلتين بمعبد الكرنك ، ولم تزل

{ ٤ = دائرة = ٤ = ٩ }

واحدة منها الي الآن مكتوبا عليها : «ان المملكة هاتاسو اقامتها لتخليد ذكر والدها توتميس الاول» ولما بلغ اخوها سن الرشد أشركته معها في الحكم ومات بعد ان حكمت معه مدة ٢١ سنة

(توتميس الثالث) هو من أعظم ملوك مصر امتنع في بدء حكمه أهل الشام عن دفع الجزية ، وخرج عليه اغلب سكان آسيا فهزمهم شر هزيمة وفتح الشام ووصل الي (نينوى) ببلاد الجزيرة وقهر بلاد النوبة ونقش انتصاراته على جدران هيكل الكرنك وعلي حجر محفوظ بالمتحف المصرى وفيه صورته ايضا و بنى اسطولا عظيما كانت له السيادة علي الجزء الشرقي من البحر الابيض . وفتح بمساعدة هذا الاسطول جزيرة قبرص والاناضول (آسيا الصغرى) فانسم نطاق التجارة وعاش المصريون في عهده عيشا رغداً. وأقام مسلتين في عين شمس امصرتهما الملكة كليو بطرة سنة ٤٤ ق م الي الاسكندرية فسميت باسمها

مات توتميس الثالث سنة ٤٤ من حكمه بعد أن نشر العلوم والمعارف وانشأ معامل الزجاج والفخار وقد كان عصره من اعظم العصور لمصر ،وجثته محفوظة بالمتحف المصرى

(آمن ـ حُتِپ) او امنوفيس الثالث لما صعد علي سرير الملك كانت مملكته تمتد من اعالي الفرات الي الشلال الرابع، ولشهرته في الاقطار سماه اليونان (ممنون). وفي عصره اشتدت الفتن في الشام فأطفأها بحسن التدبير والسياسة وكان ماهراً في صيد الاسود ، يعرف ذلك من النقوش المرسومة في هيكل الاقصر وفي صخور بالقرب من جزيرة فيلي أو فيليا .ولهذا الملك آثار عظيمة منها هيكل المعبود (مُوت) زوجة آمون، وانشأ ايضا علي شاطيء النيل الايسر تجاه الاقصر معبداً كان هذا المعبد من اعظم الآثار المصرية ولم يبق منه الآن الا التمثالان الكبيران الموضوعان علي يمين ويسار الداخل الي المعبد ،يمثل كل منهما صورة الملك، ويعرفان (بشامة وطامة) . ويعرف التمثال الموجود في الجهة البحرية عند الافرنج باسم (ممنون) (آمن ـ حُتِپ) او (آمنوفيس) الرابع

كان هذا الامبراطور قبل توليه

الملك عابداً الشمس وكاهناً لها ،فلما تولي حمل الناس عن عبادتها ، ورفض غيرها من سائر المعبودات ، وسمي نفسه (خوت — ان — أتن) أى نور قرص الشمس ، وصار يمحو أسماء أجداده المذكورة مع اسم المعبود (آمون) لبغضه له . وقد سرى اليه هذا المعتقد من أمه (تاعي) التى كانت تقدس الشمس ،وامر هذا الملك بتخطيط مدينة جديدة بمحل تل العمارنة قرب الضيا علي الشاطئ الشرقي للنيل . وجعلها قاعدة للحكومة بدلا من مدينة طيبة التى فيها المعبود آمون ،ونقل الى مدينته الجديدة تمثال قرص الشمس في معبد بناه لها وصارت الديانة الشمسية شعاراً له ولمشايعيه ، ومع ذلك كان محافظا علي بلاده جرياً علي عادة اجداده . ومن آثاره هيكل رملة بطيبة مات عن غير وارث فتولي بعده خمسة ملوك ، قامت في مدتهم فتن عظيمة في أنحاء البلاد بسبب تغيير الديانة وتعداد أحزابها ، وأخيراً قام الاهالى ودكوا هيكل الشمس وخربوا المدينة الجديدة واحرقوا جثة الملك .فضعف المصريون لكثرة المنازعات بينهم ، وعلي ذلك طمعت فيهم الامم الاخرى وخرج من طاعتهم اهل آسيا وسورية وانضموا الي الخيتاس

(الاسرة الثامنة عشرة الطيبية) من سنة (١٤٦٣ — ١٢٨٨) ق . م. اجتهد ملوك هذه الاسرة في اخضاع امارات آسيا ، حتى انه لما تولي (سيتى الاول) ابو الملك رمسيس الاول خف الي الاعمال النافعة، وعزز جانب المملكة المصرية ، مقتدياً بجده توتميس الثالث ، فهجم علي سكان آسيا الغربية ، وتوجه بجيشه الي فلسطين وحارب الخيتاس فتغلب عليهم ولكنهم استمروا علي العناد حتى ارتبط معهم بمعاهدة . وشيد جزءاً كبيراً من معبد الكرنك اسمه «ايوان المائة العمود» كما شيد هيكلا في العرابة المدفونة ، وهو الذى رسم لاول مرة الخرائط الجغرافية ، ووصل نهر النيل بالبحر الاحمر ، بواسطة ترعة حفرها من تل بسطة (بوبسطيس) متجهة نحو الشرق في وادى الطميلات (رأس الوادى) الي أن تصب في البحيرات المرة ، وفتح طريقا للقوافل من قرية رداسية (بالقليم اسنا) الي معبد الذهب الموجود

بجبل أتوكي ، ولهذا الملك قبر في بيبان الملوك ، أما جثته فمحفوظة بالمتحف المصرى

(رمسيس الاكبر) وهو (رمسيس الثاني) يسميه اليونان سيزوستريس (١٤٠٠ - ١٣٣٩ق م)

كان اكبر ملوك مصر سطوة وجاها واعظمهم قوة وبأسا . وضمه ابوه وهو في سن الطفولة على حجره فأدى له الشعب التحية والاكرام. وكان ابوه يستصحبه في الحفلات الرسمية بلو هامته تاج صغير من الذهب. ولما قصد صحراء ليبيا في احدى غزواته استصحبه وهو في العاشرة من عمره

تولى رمسيس الاكبر فتمرد عليه سكان شمال سورية فهزمهم في ارض الآموريين ونقش حوادث انتصاراته في مسلة منصوبة على شاطىء « نهر الكلب » شمال (بيروت) وقد عصاه ايضاً قبائل لتيناس وكاني وكركميش التي يخترقها نهر الفرات ، زحفوا عليه حتى وصلوا الى وادى الأرنط (نهر العاصي) المار بمدينة حماة وانطاكية ، فبرز رمسيس لمحاربتهم بالقرب من قدش واذ ضل وجيوشه الطريق شمر بالخطر الذى احدق به فعقد مجلساً من قواده وما لبثوا أن هجم عليهم الاعداء فلاذ معظم جيشه بالفرار وبقي رمسيس منفرداً ، فأنقض بعربته عليهم - بعد ان تضرع الى المعبود آمون - وخاض غمار القتال على مرأى من أتباعه ، فأحاط به الفان وخمسمائة عربة في كل منها ثلاثة محاربين ، فهزمهم شر هزيمة (كذا) فاضطربت قلوبهم وخرج رمسيس من وقعة قادش او وقعة الخيتاس رافعاً راية الغلبة.

ثم جمع جيوشه ودوخهم

وبعد قتال وحروب دموية دامت ١٦ سنة بين رمسيس والخيتاس ، سألوه الصلح وعقدوا بينهم معاهدة . ثم سار رمسيس بجيشه الي بلاد ايتوبيا وفتحها وحمل منها شيئاً كثيراً من الذهب والعاج وريش النعام . وبنى اسطولا كان له السيطرة على البحر الابيض والبحر الاحمر وبحر الهند وجزائره ، حتى ان اهالي افريقية كانوا يؤدون الجزية لمصر من الذهب وخشب الآبنوس وسن الفيل وسن فرس البحر وجلده والحيوانات النادرة الوجود ، كذلك بلاد العرب فانها كانت تؤدى لها الذهب

والفضة والحديد والنحاس والمر والبخور ومثلها بلاد الهند فانها كانت تبعث اليها بالحجارة الكريمة والمواد المعدنية والاقمشة الثمينة وبعد ذلك شرع رمسيس في اقامة المباني والآثار بكل مدينة . فبنى هيكل الرمسيوم بطيبة وهيكل أبسمبل (بالقرب من كروسكو) ومعبد الكرنك والاقصر وابيدوس ومنف وتل بسطة . ونصب سماتي الاقصر . ونشر العلوم والفنون والزراعة حتى بلغت مصر في الحضارة شأواً بعيداً . وقد جعل بعد ذلك اقامته في مدينة تانيس (صان) .

وسخر بنى اسرائيل في بناء مدينتي رمسيس (رعمسيس) و بيثوم (هيروبوليس) بأرض جاسان ، وأمر بأن تقاس أراضي مصر فقيست بالسهم والقيراط والفدان. وكان له جدول فيه اسماء المشهورين من اجداده . ومجموعة بردية كتاريخ لذلك التي فتحها وبلغت اثنتي عشرة مملكة وقد نظم (بنتاؤر) الشاعر المصرى الشهير قصيدة منقوشة على معبد الكرنك وعلى غيره من المعابد الشهيرة امتدحه بها لتشجيعه العلوم ومحبته لابيه . وكان رمسيس بطلا مهيباً قتياً ورعا مات بعد ان حكم ٦٧ سنة ودفن في بيبان الملوك وخانه (منفطا) وهو الثالث عشر بين أبنائه . وقد وجدت جثة رمسيس الاكبر بكنز الدير البحرى بعد ان اعتدت عليها أيدى اللصوص فسلبتها ثيابها وصوجاتها وبعد ان ظلت محجوبة نحو ثلاثة آلاف ومائتي سنة . وهي الآن بالمتحف المصرى

(مر — إن — بتاه) ومعناه محجوب بتاه ، ويسمي ايضاً (منفطا الاول) وهو لقب جده (سيتي الاول)

تولى منفطا وله من العمر ستون سنة وفي أيامه أغار الليبيون على مصر من جهة الغرب ، والخيتاس من جهة الشرق قاصدين فتح الوجه البحرى ، فأقام منفطا الاستحكامات على ضفة فرع رشيد . وأرسل طائفة من جيشه الي مواقع العدو. وبينما هو كذلك اذ رأى في المنام معبوده (بتاه) يغلده سيفا ويأمره بأن يبرز الى ميدان القتال بنفسه فتنتل وكسر الاعداء في حرب حمي وطيسها. وقصة هذه الوقعة تُرى منقوشة على معبد الكرنك . ولهذا الملك عمارات وآثار بطيبة ومنف . وله قبرة ببيبان الملوك . وقد عثر على

جثته المستر لورث سنة ١٧٩٩ م . في قبر أمنوتب الثاني بطيبة ، قال بعض المؤرخين ان خروج بني اسرائيل من مصر على يد موسى عليه السلام كان في حكم (منفطا الاول) وقال غيرهم بل كان ذلك في حكم ابنه (سيتي الثاني)

سيتي الثاني : — هو ابن منفطا الاول وكان ناذراً نفسه لثالوث طيبة « آمون ، وزوجته موت ، وابنهما خنسو » فبنى محرابا في معبد الكرنك وقبراً في بيبان الملوك ، وفي آخر أيامه نازعه الملك رجل اسمه « سيتاه » أو امنميس » فاختل الامن وسادت القلاقل ومات سيتي بعد ان حكم سنتين ، وقد عُثر على جثته في قبر آمنهوتب الثاني بطيبة فانفرد الولاة كل بولايته ، ومن ثم كثر وفود الاجانب على مصر

الاسرة العشرون الطيبية من سنة (١٢٨٨ - ١١١٠) ق . م عدد ملوكها اثنا عشر ملكا ، اطلق كل منهم على نفسه اسم رمسيس واول هؤلاء الملوك رمسيس الثالث وهو من أعظم ملوك مصر حفلة تتويجه تُرى منقوشة على أسوار مدينة (آبو) بطيبة . ولما تولى وطد دعائم الامن في البلاد و بعد ثلاث سنين هاج الليبيون فأخضعهم . ثم سار أهل سورية وباتحادهم مع بعض قرصان (لصوص) البحر . من شواطيء آسيا الصغرى وشواطيء كريت . هجموا على الوجه البحرى . فقابلهم رمسيس الثالث بأسطوله العظيم وكسرهم على شواطيء سورية واغرق سفنهم وأسر كثيرين منهم وهذه الوقعة ترى منقوشة في الرواق الاول من معبد (آبو) . ثم بنى رمسيس سوراً بالقرب من السويس لحماية مصر . وأمر بزيادة القرابين لآمون ، وبعث بالسفن الى بلاد بونت لجلب البضائع ، وأرسل تجريدات الى سيناء فأخضعها وحصلت مصر في مدته على شيء من الراحة فاشتغلت بالتجارة والزراعة والصناعة ، ومات رمسيس الثالث بعد أن حكم ٣٢ سنة ودفن ببيبان الملوك ، وتابوته وجثته محفوظات بالمتحف المصرى :

رمسيس الرابع : — هو ابن رمسيس الثالث وكان عهده عهد سلام فزار معظم مدن مصر وكان مغرما بالعمارات فشجع المهندسين وقربهم منه والنقوش الموجودة في وادى الحمامات ، تدل على ذلك كله

تدل على انه كان يستخرج من هناك حجر الجرانيت « الصوان » والرخام السماقي وله قبر ببيبان الملوك منقوشة فيه أدعية وابتهالات للمعبودات . ومات رمسيس الرابع بعد أن حكم احدى عشرة سنة وقد وجدت جثته في قبر امنهوتب الثاني بطيبة وهي محفوظة بالمتحف المصرى

ومن أشهر خلفائه رمسيس السادس فانه كان فلكياً ماهراً ، وكانت له المؤلفات النفيسة في علم الزراعة ، وقد وجدت جثته بالدير البحرى . أما باقي ملوك هذه الاسرة فلم يشتغلوا بالحروب ، وتركوا السياسة للكهنة . وانغمسوا في الترف والبذخ . فضعفت لذلك شوكتهم وزالت هيبتهم . وقد أنشأ « هَر — هيرو » رئيس كهنة آمون حزبا مضاداً لحزب الرمسيسيين فتفرقت كلمة المصريين وانتهى « هر — هيرو » هذا بأن انتزع السلطة من رمسيس الرابع عشر وجعلها في قبضة الكهنة

(الاسرة الحادية والعشرون) الطيبية والتانيسية من سنة (١١١٠-٨٩٠) ق م - : رأس هر - هيرو حكومة طيبة ولما كان ذلك بغير حق شرعي ساءت الاحوال وفقدت مصر كثيراً من مستعمراتها . ومما زاد الحال اضطرابا ان قبض (هر — هيرو) على من بقي من الرمسيسيين — وعددهم أربعة أمراء — ونفاهم الى الواحات . ولما مات هر - هيرو تولى ابنه الكاهن بيانخي ، الذى لضعف عزيمته كثرت الفتن واختل الامن حتى نبشت القبور . وخلف بيانخي ابنه الكاهن بنيوتم أو بنيوزم وفي أيامه هجم على مصر نمرود (ملك آشور) بجيش جرار وانتزعها منه وأدخلها تحت حكمه سنة ٩٨٠ ق م . ولما مات نمرود دفن بالعرابة المدفونة وخلفه ابنه الملك (شَشَنْق) في حكم مصر وآشور

أما ملوك تانيس فقد قال عنهم العلامة ماسبرو : « انه لما أراد هر - هيرو حصر الملك في أسرته عارضه سكان الوجه البحرى وأقاموا سيمنتو - ميامون ملكا عليهم فاتخذ مدينة تانيس قاعدة لحكومته ونفى بعضاً من الكهنة الى ايتوبيا ولكن الايتوبيين لضعفه وضعف خلفائه الاربعة خرجوا عن طاعة مصر واستقلوا تحت حكم كاهن قبطي من نسل (هر - هيرو)

ثم التجأ ملوك نائيس الى الدولة الآشورية وصاهروا ملوكها ، فانتقضت عليهم البلاد الموالية لهم ونشأ عن ذلك ضعف المصريين وتملك الاشوريين

(الاسرة الثانية والعشرون البسطية) : (أشورية) (٩٥٠ - ٨١٠ ق م) - : قاعدتها مدينة بسطة المعروفة بتل بسطة جنوبي الزقازيق . واول ملوكها «ششنق» وقد هذا الرجل في مصر ولذلك احترم معبوداتهم فغزا ارض فلسطين وقصد اورشليم بألف ومئة عربة وستين الف فارس ، وقاتل رحبعام بن سليمان عليه السلام ونهب اموال القصبة الملكية وسلب الدروس السليمانية الذهبية ، وقد رسمت هذه الحادثة على السور القبلي من معبد الكرنك كما رسمت عليه صورة ملك يهوذا موثق اليدين ، ثم شاد ايوانا قبلي هيكل رمسيس الثالث يسمي « ايوان البيلسطة » . ومات بعد ان قطع دابر نابشي القبور وبعد ان حكم ٢١ سنة . ثم خلفه (اوروسوركون او اسرخان) فحارب مملكة يهوذا ولما التقي بملكها في « وادي مصد » وقع الرعب في قلبه فمات وخلفه ابنه (تاكلوت) الذي لم يقف له التاريخ على أثر . وقد كان ضعف وضعف الملوك الآشوريين باعثا الى استيلاء جماعة من التانيسيين المصريين على المملكة

الاسرة الحادية والعشرون التانيسية من سنة (٨١٠-٧٢١ ق م)

أول ملوكها (بنسو باستيس) حكم الوجه البحري وأخذ في تقوية المملكة ونزع طيبة من الاثيوبيين ودام حكمه اربعين سنة وقام بعده أربعة ملوك كانت أيام هذه الاسرة أيام مشاغبات وتحزبات فانقسمت مصر الى ولايات صغيرة ، أما مستعمراتها فانها استقلت بالحكم

الاسرة الرابعة والعشرون الصاوية من سنة (٧٢١-٧١٥ ق م)

اول ملوكها (تفنخت) كان حاكما على مدينة منوفي : ولما تولي المملكة كانت مصر منقسمة الي عشرين مملكة فأخضع كل هذه الممالك ثم قام بجيوشه الى الصعيد فوصل الي قسم ارمنت وحاصر قسم أهناس الذي كان تحت حكم الاثيوبيين ولما بلغ ذلك (بيانخي) ملك اثيوبيا حضر بنفسه وهزم تفنخت وضم مصر الي ملكه وأناب عنه تفنخت في حكمها . ولما

توفي تفنخت خلفه ابنه بوخوريس أو باكوريس وكان قانونيا متضلعاً ذا رأى صائب . فنزع السلطة من يد الامراء وخلع عن مصر نير الاثيوبيين . أما بيانخي فلما علي أثر وصوله الي اثيوبيا وقام بعده (كاشتا) الذي لم يكن من أسرة ملكية . ثم خلفه ابنه (صباقون أو شبقة) واذ وقف علي ما أتاه باكوريس بن تفنخت قصد مصر لمحاربته . ولما رأى صباقون ان امراء مصر يمقتون باركوريس لنزعه السلطة منهم تعاون بهم عليه كما تعاون بهم بيانخي علي تفنخت من قبل . ولما وقع باكوريس في قبضة صباقون طرحه في النار . وهكذا عادت مصر الي حكم ايتوبيا ونشئت الاسرة الصاوية المصرية في الدلتا تترقب خروج الاثيوبيين من مصر

الاسرة الخامسة والعشرون الصاوية — اثيوبية سنة (٧١٥ — ٦٨٠ ق م) - :

ان السبب في احتلال الاثيوبيين لمصر هو اختلاف كلمة أمراء مصر في الاسرة السابقة واشتعال نار الفتن الداخلية ، فقضي الله ان يتولي امر مصر ملك جبار يدبر شؤونها ، فأتاح لها سباقون الاثيوبي (الذي أتينا علي ذكره في الاسرة السابقة) فلقب نفسه بالاغاب الفرعونية وابقي كل أمير علي ولايته ثم قوى جسور النيل وطهر الترع وعمر مدينة بسطة وأصلح معابد طيبة وحكم بالعدل وأبدل عقوبة القتل بالاشغال الشاقة فتمتعت مصر بالسكينة علي يده . وحدث أن مملكة آشور كانت في ذلك الوقت مستظهرة على الفينيقيين وعلي بني اسرائيل والفلسطينيين فرأى هؤلاء من الصواب أن يتحالفوا مع (صباقون) لينقذهم من شر الآشوريين ، فبعث (هوشع) ملك بني اسرائيل يهدايا الى صباقون وطلب منه التحالف على (سلمناسر) ملك آشور فأجابه صباقون الى طلبه ، ولما علم سلمناسر بذلك ، اسر هوشع اولا وحاصر مدينة السامرة ، ثم مات وتولى بعده (سرجون) فاقتدى بسلفه وفتح السامرة ثم زحف بجيوشه علي فلسطين فلما رأى صباقون ان سرجون غدر بحلفائه انضم بجيوشه الى أحدهم - (مانون) ملك غزة

فقابلتهم جيوش الآشوريين وأسرت

حاتون وهرب سباتون الى مصر مهزوما ، فعساه سكان الوجه البحرى وطردوه الى طيبة و بذلك استقلت مدينة صا الحجر وبسطة واهناس . ثم مات سباتون وترك حكم الصعيد وانيوبيا لابنه (سبيخون) وكان النزاع قائما بين الاسرتين الصاوية والثانيسية طمعاً في الاستيلاء على الوجه البحرى . فلما تولى سبيخون انتقم من الاسرتين اللتين ناصبتا والده العداء وانفرد بملك مصر ، وما لبث ان قتله (طهراقة أو ترهاقة) الانيوبي وانتزع منه الملك وساعده امراء سورية وفلسطين ضد الآشوريين ، فأغار (آشور أخي الدين) ملك آشور على مصر من ناحية فرع القطيفة (هو أحد فروع النيل ويسمى الآن بحر البقر) وهزم طهراقة والانيوبيين ونهب مدينة منف وطيبة سنة ٦٧٢ ق م . ثم اشتغل باصلاح مصر ورد الى امرائها - وعددهم عشرون - امتيازاتهم وضرب عليهم الجزية وأقام (نخاو الاول) أمير صا الحجر (او امير منف) رئيساً عليهم وكان نخاو هذا ذا نشاط وغيرة . ثم رجع (آشور اخى الدين) الى نينوى عاصمة بلاده . وبعد مدة اغار طهراقة على مصر فبلغ (آشور اخى الدين) امرُه وكان قد تنازل لابنه (أشور بانيبال) فسار هذا لمحاربة الانيوبيين وتغلب عليهم وأرجع الحكم ثانية الى امراء مصر . ولما عاد الى وطنه اعاد طهراقة الكرة على مصر واسترد طيبة ومنف وابطل منها عبادة العجل ابيس . ولما علم بذلك ملك آشور عاد الى مصر وهزم الانيوبيين امام طيبة ونهب المدينة وأخذ الاشوريين مسلتين نصبوهما في نينوى ، واستمرت مصر تابعة لملكة آشور وبانصحلالها استولى (تنوت ميامون) ملك انيوبيا وريب (ابن زوجة) طهراقة على الوجه القبلي بواسطة طائفة من الانيوبيين كانوا قد أسسوا لهم حزبا قويا فى طيبة اما أمراء الوجه البحرى فعارضوه وحاربوه ، فأشار عليهم رئيسهم (بكرور) بأن يؤدوا له الطاعة

(الفترة ما بين الاسرتين الخامسة والعشرين والسادسة والعشرين) مدتها ١٥ سنة وفيها ضعفت مصر وشق على اهلها تحمل حكم ملوك انيوبيا ، فقام حكام مدن الوجه البحرى وطردوا الانيوبيين وملكوا عليهم (بسامتيك)

ابن نخاو الاول . ولقد أورد هيرودوت هذه الحادثة في قصة غريبة قال . « ان كاهنا أبياً امراء الوجه البحرى الاثنى عشر بأن صبأني يوم يشرب فيه أحدهم الشراب في قدح حديدى تقربا من المعبود بتاه ، وبذا يصير ملكا على مصر وحدث أنه بينما كان أولئك الامراء مجتمعين للتنادم على الشراب تقربا لذلك المعبود وبينهم أحدى عشرة كأسا من الذهب ، أخذ كل منهم كأسا ويقى بسامتيك بدون كأس فنزع منفره الحديدى من رأسه وشرب فيه . فتذكر رفاؤه نبوءة الكاهن فأكرهوا بسامتيك على أن يختفي في أجمة شمالي الدلتا . واتفق أن رست بتلك الجهة سفن تحمل رجالا اشداء من ملاحي اليونان لينهبوا الشواطئ ، فتحالف معهم بسامتيك على أن ينصروه وانضم اليهم حزبه أيضا فتغلب بسامتيك »

الاسرة السادسة والعشرون الصاوية من سنة (٦٦٥ الى ٥٢٧ ق م) لما انفرد (بسامتيك الاول) بالحكم افتتح لمصر ثانية باب المجد وعاد اليها رونقها القديم وبعد ان تم فتح الوجه البحرى حتى مدينة موفيس الشهيرة الآن بمنوف ، فتح الوجه القبلي الى الشلال الاول . ولما كان بسامتيك غريبا عن الاسرة الملكية فلم يكن لقريته حق الوراثة قانونا ، فبعد ان تزوجه باميرة من السلالة الملكية جعل لقريته ذلك الحق ، فتزوج (نايت تب) بنت الملكة (أمن ريتس) حاكمة الوجه القبلي وبذلك صار ملكا شرعيا . وكان معظم أبطال المصريين في مبدأ حكمه قد هلكوا فاعتزى مصر الخراب من حروب الانيوبيين والآشوريين ومن ثم شرع بسامتيك في اصلاح الترع والطرق واعادة الامن الى نصابه وتعمير المعابد . فانتعشت صناعة النقش والرسم وجمعت التماثيل بين التناسب والاعتدال ، ثم عمد بسامتيك فشيد حصونا وقلاعا في مضايق طرق الشام وضواحي بحيرة المنزلة خوفا من هجوم الآشوريين على بلاده ، وحصن الشلال الاول ، وجعل جزيرة اسوان معسكراً لصد هجمات الانيوبيين ثم حصن النقطة المشيدة عليها الاسكندرية اليوم اتقاء غزو الليبيين . ولما أتم اكل ذلك انتقل من حالة الدفاع الى حالة

الهجوم انزل النوبة ثم أرض كنعان . قال هيرودوت «ان بعد هذه الفتوحات دهمت مصر مصيبة كبرى وهي وفود الاجانب من يهود و يونان عليها ، فاكرم بسامتيك مثواهم وأقطعهم – ولا سيما اليونان و بعض من سكان الاناضول (الكاريون) أرضا بالقرب من تل بسطة ليسكنوها . فأدخل اليونان أولادهم في المدارس المصرية فتبغ منهم الفلاسفة صولون وفيثاغورس وافلاطون ، فنقلوا الى بلادهم هذه العلوم وكان بسامتيك في عنايته بشأن هؤلاء الاجانب ناظراً الى الفائدة التجارية التي تعود على بلاده منهم ولكن هؤلاء الاجانب سعوا في تكدير راحة البلاد وسلب أموال الاهالي فنفروا منهم وقد جاء انعام بسامتيك على اليونان بالرتب والوسامات ضغثا على ابالة فاستاء منه المصريون لذلك ، وازدادوا استياء عند ماضم الى حرسه فريقا من أولئك الاجانب ، ومن ثم عزم بعض الاهالي على هجر البلاد . واخلائها لبسامتيك وأصفيائه الاجانب . فاجتمع منهم نحو المائتين والاربعين الفا وكلهم شاكي السلاح وجعلوا وجهتهم بلاد اثيوبيا ، ولم يعلم بسامتيك بخبرهم الا بعد خروجهم من مصر ، فسار في أثرهم واستعطفهم بمعبودات بلادهم فلم يقو على مصالحتهم . اما ملك اثيوبيا فقابلهم بكل حفاوة واتخذهم جنوداً له . ومن هؤلاء تكونت أمة عظيمة بين النيل الابيض والارزق . لما رأى بسامتيك بلاده مجردة من جنودها البواسل عض أصبع الندم وأخذ في تدريب غيرهم ولكنه لم يرأى أن ارجاع مصر الى سطوتها القديمة بعيد أشد قلقه ومات سنة ٦١١ق م فدفن في صا الحجر وخلفه ابنه نخاو

الملك نخاو الثاني (نخو) من سنة (٦١١ الى ٥٩٥) ق م — : سمي اسم جده وتولى طاعنا في السن فسلك بهمة ونشاط مسالك مشهوري الفراعنة التوتميسيين والسيتيسيين حتى اعاد لمصر مجدها ، فأتم نظام الجيش الوطني الذي درب به والده في آخر أيامه ، ورتب قواده و بنى سفنا حربية وأبدل السفن القديمة بسفن جديدة تسير بالمجاذيف (الاغرية) رغبة في الاستيلاء على سواحل البحرين الاحمر والابيض . ثم هم بمشروع عظيم وهو ايصال البحر الاحمر بالبحر الابيض

وذلك بقطع برزخ السويس - وكان قد سبقه الى هذا المشروع سيتي الاول – ، فأعاد نخاو حفر الترعة من مدينة بسطة الى بركة التمساح والبحيرات المرة . قال هيرودوت : « ان مئة وعشرين الف نفس هلكت في حفر هذه الترعة فتشاءم نخاو ولم يتم حفرها لا سيما بعد ما أخبره الكهنة بأن حظ الانتفاع بها يكون لدولة أجنبية . ثم أمر نخاو بعض رجاله بأن يطوفوا حول أفريقية فساروا من البحر الاحمر الى المحيط الهندي ثم الى بحر الظلمات « المحيط الاطلسي » بعد أن صاروا حول « رأس الرجاء الصالح » حتى بلغوا بوغاز « أعمدة هرقول » المعروف ببوغاز جبل «طارق» أو « زقاق سبتة » ومروا منه الى البحر الابيض فوصلوا الى مصر في ثلاث سنين ، وقالوا انهم في بعض المواقع رأوا الشمس في الجهة الشمالية ، مما يثبت انهم مروا بخط الاستواء وفي هذه الاثناء انحطت قوة الآشوريين بسبب حروبهم مع الميديين فانتهز نخاو تلك الفرصة وصعد الى كركيش عن طريق الفرات بجيش جرار ، ولما اجتاز مدينة (أشدود) الى مضيق (كرمل) صده عساكره « يوشيا » ملك يهوذا . فهزمها ثم هرج على قادش فكركيش حتى وصل الى الفرات مدخلا تلك البلاد في حوزته . ولما نزل بجوار مدينة حماة بلغه ان اليهود تظاهروا ثانياً بالعصيان وجعلوا (يهوآحاز) بن يوشيا ملكا عليهم فاستدعاه اليه وعزله وولى (الياقيم) أخاه بدله وسماه (يهو ياقيم) وحكم على شعب يهوذا بغرامة قدرها مئة وزنة من الفضة ووزنة من الذهب . وبعد أن استولى على سورية وفلسطين رجع الى مصر ومعه (يهوآحاز) المعزول . أما مملكة بابل فانها في ذلك الوقت استفحرت على مملكة آشور وخربت نينوى سنة (٦٢٤) ق م ومن ثم سقطت آشور ولم تقم لها قائمة بعده وهم (نبوخذ نصر) أو (بختنصر) ملك بابل (٦٠٩–٥٦١ق م) باسترجاع سورية وفلسطين من نخاو ، فتقابلا عند نهر الفرات بالقرب من كركيش سنة ٦٠٥ ق م فانهزم نخاو ، ولكن (نبوخذ نصر) اضطر أن يعقد معاهدة معه لفتنة ثارت ببابل . أما يهو ياقيم ملك يهوذا فانه لم يفلت من شر بختنصر فصعد اليه وقيده بسلاسل من نحاس وسحبه الى

بابل ، وبعد ذلك بسنتين مات نخاو الثاني وخلفه ابنه بسامتيك الثاني

الملك بسامتيك الثاني — : لما تولي قامت عليه انيوبيا فأخضعها سنة ٥٩١ ق . م . ومات ولم يعلم من سيرته شيء وخلفه ابنه (يوه - آب — وع) أو أبرياس. وفي عصره استنجد به (صدقيا) ملك يهوذا علي (نبوخذ نصر) ملك بابل ، وكان إرميا النبي ينذر صدقيا وأسلافه بالكف عن فعل الشر لئلا يزول أمر مملكتهم الي الدمار فلم يصغ أحد اليه وخرج صدقيا عن طاعة البابليين وامتنع عن أداء الجزية فغضب (نبوخذ نصر) لذلك وسار بنفسه الي أورشليم وقتل صدقيا وفقأ عينيه وسلب أمتعة الهيكل وأحرقه سنة (٥٨٦ ق.م) وسبى من بقي من اليهود الي بابل (السبي البابلي) . غير ان بعض اليهود التجأ الي مصر فقبلهم ابرياس وانتشروا في بحدل (شرق الدلتا) ومنف والصعيد فأراد (نبوخذ نصر) أن ينتقم من ملك مصر لاخذه بناصر اليهود. فأغار (نبوخذ نصر) علي مصر وقتل ملكها وأقام حاكما عليها من قبله ثم ساق أمامه اليهود الذين استوطنوها

ولما استنجد أهالي سواحل ليبيا بالملك أبرياس علي قبائل اليونان سكان القيروان رأى من الصواب ألا يرسل الي أهل هذه القبائل جنوداً يونانيين من جنسهم فأرسل اليهم جيشاً من الوطنيين ، ولما اشتبكت الحرب بين الفريقين جهة (ابراته) انهزمت فرقة الجيش المصرى ، فقامت مصر علي الملك لمخاطرته بجنودها الوطنيين دون جنوده اليونانيين وانتشر العصيان حتى عم جميع البلاد ، فبعث اليهم الملك رجلا اسمه احمس ليسكن هياجهم، فأخذ يشير عليهم بالهدوء والسكينة وبينما هو كذلك اذ أقبل عليه أحد الجنود وأيبسه منفراً وصاح الجند بأعلي صوت. «قد رضيناك ملكا علينا» فقبل ذلك أحمس وسار منهم لمحاربة الملك ابرياس الذى لم يكن في صفه غير الجنود الاجانب البالغ عددهم ثلاثون الفا ، فالتقي الفريقان عند مدينة صا الحجر وانهزم الملك وجنوده ووقع أسيراً في قبضة أحمس، فقتله الجنود خنقا

الملك أحمس الثاني (اموزيس) —: لما جلس علي عرش مصر تزوج بحفيدة

الملك بسامتيك وحافظ علي سطوة مصر في فينيقا واتم فتح جزيرة قبرص في البحر الابيض ، وكان ذكي الفؤاد حسن السياسة فهابته الامم . ولما كان يخاف علي مملكته من بطش الفرس (العجم) حسن علاقته مع ملكهم (كورش) وصفا له الجو خمسا وعشرين سنة فارتقت الزراعة ونمت التجارة وسعدت مصر في أيامه . ومن مآثره انه حتم علي كل مصرى ان يثبت اسمه في آخر كل سنة بمحكمة الجهة القاطن بها وان يبين صناعته وأسباب معيشته ، وعاقب من خالف ذلك او كان متشرداً عائشا من التنصب والاحتيال . ولما كانت زوجته مقيمة بطيبة ومم مابها من الآثار ثم بنى في صا الحجر مداخل لمعبد (نيت) ونصب امامها تماثيل لابي الهول ومسلتين كبيرتين

وقد حذا هذا الملك حذو سلفه في الترحيب باليونان حيث أسكنهم مدينة نقراطيس (هي نبيرة الحالية غربي انباى البارود) وأباح لهم اشهار دياناتهم فنموا وكثروا وراجت تجارتهم غير انهم لم يقابلوا الاحسان بمثله اذ كانوا ينقلون اخبار مصر الي الخارج مما تسبب عنه طمع الامم فيها لاسيما الفرس الذين كانوا يتحينون الفرص لشن الغارة عليها واتفق ان مات كورش ملك الفرس وخلفه ابنه قمبيز فطلب ان يتزوج بابنة أحمس ظنا منه أن أباها يرفض طلبه فيحاربه . غير أن احمس أدرك هذه المكيدة وأرسل اليه ابنة ابرياس سلفه بدل ابنته فتزوجها قمبيز يوما باعتبارها ابنة احمس فأنكرت عليه ذلك ، فحقد قمبيز علي أحمس وعول علي أن يغزو مصر طمعا في كثرة خيراتها وفيض نيلها ، ولم يثنه عن عزمه الا خوفه من ضياع جيشه في الصحراء المتسعة اذ كان لا يعرف طريقا غيرها يوصله الي مصر . غير أن يونانيا يدعي (فانيس) — كان بين جنود مصر الاجانب — دله علي أقرب الطرق وباشارة هذا الخائن عقد قمبيز معاهدة مع قبائل سورية التى كانت علي تلك الطريق لتنقل الي جيشه الماء عند ظهور نوقها . وعلي ذلك سار الجيش الفارسي ، وما بلغ مدينة الطينة حتى علم بوفاة أحمس وتولية ابنه بسامتيك الثالث

الملك بسامتيك الثالث —: دارت رحي القتال بين قمبيز الفارسي وهذا

الملك ، وبعد ان دافع المصريون دفاعا طال أمده كانت الغلبة لقمبيز بسبب كثرة جيوشه وانتشار جواسيسه الاجانب المنتظمين في الجيش المصرى ثم تقدم قمبيز الى منف وحاصرها واستولي عليها قسراً وقتل كثيراً من الاعيان واسر بسامتيك وارسله الي فارس فمات هناك وبذلك دخلت مصر تحت حكم الفرس المرة الاولي

الاسرة السابعة والعشرون — الفارسية الاولى — من سنة (٥٢٧ — ٤٠٦) ق . م اول ملوكها قمبيز (٥٢٧ — ٥٢٢ ق م) سلك في مبدأ أمره مسلك العقلاء فأبقي لمصر عبادتها واحترم امتيازات امرائها وقرب امناء الديانة المصرية منه وتعلم الحكمة المصرية من الكاهن (أوزاموس) وعزم على أن يجعل مصر حصنا يستعين به على فتح افريقية ولما كان فتح قمبيز لمصر قد افزع الامم المجاورة أتاه الليبيون ودفعوا الجزية وكذلك القورينيون سكان (قورينة وهي برقة الآن) . قال هيرودوت : « اراد قمبيز ان يغزو ثلاث امم مختلفة في آن واحد ، وهم القرطاجيون سكان مدينة قرطاجة والآمونيون سكان واحات آمون (واحات سيوة) والكوشيون وهم الاتيوبيون فجهز لغزو القرطاجيين سفنا يقودها الفينيقيون . واذ كان بين هؤلاء والقرطاجيين صلة قرابة فشلت هذه الغزوة . وارسل الي هذه الواحات خمسين الف جندى لفتحها وهدم هيكل المشترى فضلوا الطريق ونفد منهم الزاد وهبت عليهم ريح السموم فأغرقتهم في بحر الرمال وبذلك لم يتجاوزوا حدود مصر . ولما رأى قمبيز ما آل اليه امر الاتيوبيين من رفعة المكانة بسبب كثرة الذهب ببلادهم ، طمع فيهم وارسل اليهم رواداً من وادى الكنوز باسوان يحسنون لغة اتيوبيا ويحملون الهدايا لملكها فعرف الاتيوبيون انهم جواسيس قمبيز ولكنهم رحبوا بهم ، واعجب ملكهم بهدية الشراب (من نبيذ التمر) التى كانت بين تلك الهدايا ، وأراد أن يتحف قمبيز بهدية عظيمة ، فأحضر قوسا واوترها بحضور رُسل قمبيز وقال لهم : « ان ملك اتيوبيا ينصح ملك الفرس أن يحضر بنفسه لمحاربته اذا استطاع هو أو أحد رعيته ان يوتر قوسا مثل هذه »

وما بلغت هذه العبارة آذان قمبيز حتى طاش عقله وهجم بجيشه على غير انتظام قاصداً (نباتا) عن طريق الصحراء باعتبارها أقرب طريق الي أتيوبيا فانحرف عن شواطيء النيل وتوغل بعساكره الكثيرة في صحراء كرسكو ، ولما قطع ربع الطريق وصل الى سهول رملية ، فنفد زاده واكل الجيش الحيوانات التى كانت تحمل ما معه من الاثقال ، ثم أكل بعضهم بعضا بالاقتراع واذا خاف قمبيز على نفسه من الهلاك رجع بجيشه القهقرى ولما وصل الى طيبة أراد أن يستعيض خسائره الجسيمة فسلك مسلك القسوة والجور وسلب أمتعة الهياكل وذخائرها واذ صادف دخوله منف يوم احتفال الاهالي بعيد العجل ابيس ، توهم انهم فرحون بهزيمته فقتل الكهنة وبعض الامراء وطعن العجل ابيس وخرب مدينة عين شمس ونهب النفائس المدفونة في القبور . وقد اسهب المؤرخون في وصف عتوه وقبح اعماله حتى قالوا انه كان في بلاده (فارس) يلهو بقتل الاهجام ويذبحهم كالاغنام وان عتهه وتوحشه اديا به الي قتل اخته وزوجته قال هيرودوت : « بينما كان قمبيز يركب جواده في المكان الذى طعن فيه العجل أبيس قاصداً بلاد الفرس ليخلع عن عرشها من اغتصب ملكه بها اذا انساب سيفه من غمده فجرحه في فخذه جراحات على أثره »

الملك دارا الاول — عندما جلس على سرير ملك فارس نظم أمورها ووسع ممتلكاتها وضرب نقوداً من الذهب استعملت في مصر بدل النقود المصرية التى كانت على أشكال الحلقات والجعارين وغيرها ، وفرض على مصر جزية من الغلال تكفي لمؤونة جيش الاحتلال البالغ قدره اثنى عشر الفا . قال دهروجه : « ان دارا أحسن معاملة القبط لينزع من صدورهم ما كمن فيها من فظائع قمبيز ، فاحترم ديانتهم وكهنتهم غير أنه اساء صنعا بعدم خلعه (أرياندش) الفارسي من منصب نيابة مصر — وكان قمبيز قد أسندها اليه اذ قد أفسد ارياندس أعمال دارا مما هاج المصريين ودعا دارا الي عزله وقتله ولم يكفه ذلك بل حضر نفسه الي مصر وهدأ خواطر أهلها وتوجه الي منف ليظهر أسفه لموت العجل ابيس وهكذا

أخذ نار الفتنة »

وقال هيرودوت :قبل ان يبارح دارا مصر زار معبد (بتاه) وأراد ان يصنع تمثالا يجوار تمثال رمسيس الاكبر فمنعه الكهنة قائلين : ان ما ابتناه من فتح وغزو لايذكر بجانب ما اتاه رمسيس الاكبرلان رمسيس فتح بلاد السكينة (التركستان الصينية والروسية الآن) التى لم تفتحها أنت فامتثل لقول الكهنة واحترم رأيهم » ثم مهد دارا طرق التجارة فوصل البحر الاحمر بالبحر الابيض بواسطة الترعة التى لم يتم حفرها نخاو الثانى ، وفتح أيضا طريق قفط الموصل الى البحر الاحمر وطريق أسيوط الممتد الى قرية البرابة المدفونة فأسوان وحصن الواحات الكبرى وأصلح معبد آمون غير ان المصريين مع كل ما كان عليه دارا من حسن السياسة كانوا يترقبون فرصة لرد استقلالهم . لما اراد يونانيو ساردس هي (سارت الآن) أن يتخلصوا من سلطة الفرس وساعدهم سكان اثينا على ذلك ، غضب دارا وتوجه الى بلاده وأرسل حملة الى اثينا تحت قيادة (هيبياس) فعبروا بحر الارخبيل ، فقابلهم الآثينيون بقيادة (ملتياس) وانتصروا عليهم عند سهل (مرتونون) سنة ٤٩٠ ق.م

أما مصر فطردت جيش الاحتلال الفارسي وولت خبيش ملكا عليها سنة (٤٧٦) ق م وقد كان خبيش هذا من ذرية بسامتيك — : بدأ حكمه بتحصين مصر والوجه البحرى بالقلاع خوفا من هجوم الفرس: وفي هذه الآونة مات دارا سنة (٤٨١) ق. م. وخلفه في فارس ابنه (شيارش اوزركسيس) الذى هجم على مصر وقهرها ونهب معابدها

وفي حكم الملك ارتخشيش الفارسي (٤٦٥ — ٤٢٥) ق.م استقل المصريون أيضا ونصبوا ايناروس بن بسامتيك الثالث ملكا عليهم ، ولما لم يقو بجيشه الصغير على مقاومة الفرس تحالف مع الآثينيين عليهم ، ولكن ارتخشيارش اجتهد في اضرام نار الشقاق بين الطرفين فرشا الآثينيين لينقطعوا عن مساعدة مصر وقد نجح فياسي اليه . ومن ثم هجم الفرس على مصر وأسروا ايناروس وأرسلوه الى فارس وقتل هناك وافيم ابنه (ثانيراس) مكانه ولما مات ارتخشيارش قام بعده

(شيارش الثاني فسوغديانوس فدارا الثاني) ، وفي هذه الاثناء ضعفت شوكة الفرس فاستدعي المصريون (اميرتيوس) الذى كان امير الدلتا ونصبر ايناروس وجعلوه ملكا عليهم فاستظهر في الحرب على الفرس وطرد جنودهم المحتلة وبموت دارا الثاني انقرضت من مصر أسرة الفرس الاولي وكانت مدتها ١٢١ سنة واستقلت مصر استقلالها الاخير الذى دام ٦٦ سنة

الاسرة الثامنة والعشرون الصارية (٤٠٦ — ٣٩٩ ق . م .) لما ارتقي (اميرتيوس) عرش مصر ثارت ثائر الفتن بسبب توليته لانه لم يكن من السلالة الملكية ، فسعي في اخمادها وتوطيد سلطته ، فلما اعترف له جماعة الثائرين بالسيادة اطلق على نفسه الالقاب الفرعونية واصلح فى سنى حكمه السبع كل مادمرته ايدى الفرس من المعابد وأحيا الصنائع الاهلية ، ثم ادركته الوفاة لحالت دون نفاذ بقية مشروعاته الجليلة

الاسرة التاسعة والعشرون المنديسية منديس هي الآن تل الامديد الموجودة بقرب المنصورة (٣٩٩ — ٣٧٨) ق . م عدد ملوكها اربعة ومدتها ٢١ سنة .

أولهم الملك نفريتس الاول ولم يعلم التاريخ سبب ارتقائه العرش ولكنه يعلم انه كان باذلا همته في تقوية مملكته ووقايتها من الفرس مقتديا في ذلك بالملوك الصاويين ، فعقد المعاهدات مع خصوم فارس ، غير ان الفارسيين لم يهجموا على مصر في مدته لاشتغالهم بحروب اخرى مات نفريتس وخلفه الملك (اخوريس) فتعاهد مع اهل جزيرة قبرص وأثينا والفيروان وحصن بلاده من غارة الفرس الذين هجموا على مصر فردهم خائبين ، وسعي في اصلاح ماخربته أيديهم كما دلت على ذلك النقوش المرسومة على هيكل طيبة ، ومات اخوريس سنة ٣٨٢ ق . م فخلفه الملك (بسامونيس) الذى لم يخف له على أثر غير صورته المنقوشة في الكرنك ومعبده الصغير فى طيبة . وخلفه الملك نفريتس الثاني ابن الملك اخوريس ولم يحكم الا أربعة شهور هزمه الجيش بعدها ومن آثاره تمثال أبي الهول المحفوظ بمتحف باريس

الاسرة الثلاثون السمنودية من سنة (٣٧٨ ـ ٣٤٠ ق . م .) ـ : عدد ملوكها ثلاثة : أولهم (نخت ـ هو رهيب) المشهور بنقطانب الاول . كانت أيامه كلها قلاقل واضطرابات لاهتمام الفرس اذ ذاك باسترجاع مصر ، ولما هجم الفرس البالغ عددهم مائتا الف على مصر وهزموا خفر السواحل قام نقطانب بجيشه وكسرهم وخلص مصر من ايديهم وهكذا رفرف الامن على الربوع المصرية ، فبنى نقطانب هيكل (ايزيس) جهة بهبيت وبوابة في معبد خنسو بالكرنك ثم مات (وتابوته محفوظ بمتحف لندن) وخلفه الملك تاخو الذى فكر في أن يصد عن مصر هجمات الفرس قبل وصولهم اليها فأبرم معاهدة مع أهل اسبارطة (باليونان) تقضي عليهم بأن يكونوا يدا واحدة في مقاتلة الفرس اذا هاجموا فينيقية . وكان جيش تاخو مؤلفاً من ١٨ الف وطني و١٠ آلاف اجنبي ومائتي سفينة بحرية ، غير أن الجنود الوطنيين كانوا متحيزين ضد ملكهم لميله الى الجيش الاجنبي فما برح المصريون حتى تمرد عليه الجنود الوطنيون وعزلوه وأقاموا قائدهم (نقطانيبوس) ملكا عليهم باسم نقطانب الثاني (٣٥٧ — ٣٤٠ ق.م) فاستمر هذا في تجهيز المعدات الحربية واقامة المتاريس والاستحكامات لمقاتلة الفرس الذين تولى عليهم (أوخوس) ابن ارتخشياش واتحد نقطانب مع أهل صور وصيدا واذ حارب الفرس الصوريين ارسل اليهم نقطانب اربعة آلاف مقاتل لمساعدتهم فانهزم الصوريون وحرق أوخوس مدينة صور وتقوى على مصر ونزل بجوار قلعة الطينة والتقى بجيش نقطانب الثاني ، ولما كان تلثا هذا الجيش من الاجانب انهزم نقطانب الثاني أمام الفرس وجمع امواله وهرب الى بلاد ابيوبيا سنة ٣٤٠ ق م . ومن ذلك الحين غربت شمس المملكة الفرعونية وانقطعت سلسلة ملوك المصريين ومال دعلم عزهم وطويت صحيفتهم الناصعة في سجلات التاريخ

الاسرة الحادية والثلاثون ـ الفارسية الثانية ـ (٣٤٠ ـ ٣٣٢ ق م) ـ : بعد ان تخلصت مصر من حكم الفرس ستا وستين سنة تغلبوا عليها ثانية وأسس

اوخوس هذه الاسرة وعدد ملوكها ثلاثة : أولهم أوخوس وتولى باسم (ارتخشياش) أو أزدشير الثالث فاتبع طريق القسوة في فارس وفي مصر فات مسموماً ، وخلفه الملك (اوسيس) ثم (كودومانوس) باسم دارا الثالث الذى في عهده ضعفت دولة الفرس لاختلاط ملوكها باليونان كما ضعف قبلهم المتأخرون من ملوك القبط وفي هذه الاثناء أخذت مقدونيا (شمال اليونان) في الظهور تحت حكم ملكها فيليبس اوفيليب ، ولما مات فيليب هذا خلفه ابنه (الاسكندر الاكبر) في السنة التي تولى فيها دارا الثالث وهي سنة ٣٣٦ ق.م . فوسع مملكة أبيه ثم بعد شمل فارس واستولى على مصر سنة ٣٣٢ ق.م . ومن ذلك الحين دخلت مصر تحت حكم المقدونيين كما سنرى وقد عثر على حجر نقشت عليه حرب الفرس مع المقدونيين في مصر ، وغضب المعبود خنوم على مصر ، ونبوءه بزوال حكومة القبط ، والقمر على تخليد ذكرى ملوكهم على مر السنين . وكانت مصر اذ ذاك أصابها الدمار لما كان عليه الفرس من طغيان وبغي حيث سلبوا أموالها وكنوزها العلمية والفنية وصروا بها بلادهم التي كانت غريقة في بحور الجهالة والهمجية .

(الدور الثالث)

حكم اليونان (الاسرة المقدونية ـ البطالسة) (٣٣٢ — ٣٠ ق م)

الاسرة المقدونية من سنة (٣٣٢ — ٣٠) ق م

أول ملوكها الاسكندر الاكبر عامل المصريين بالرفق واللين وأطلق لهم حرية العبادة ورفع عنهم المغارم التي كانوا يؤدونها للفرس واحترم المعبودات آمون وبتاه والعجل أبيس وقدم لها الهدايا والقرابين ، وفي سنة ٣٣٢ ق م بنى مدينة الاسكندرية في المكان المسمى (راكوتي) وأباح للأجانب من يونان وسوريين وغيرهم أن يستوطنوا بها ، وأسند ولاية مصر الى أمير وطني اسمه (اقليونوس) ثم سار بجيشه الى آسيا وقهر دارا الثالث ملك فارس بقرب مدينة (اربل) عند الموصل سنة ٣٣١ ق.م ، وبعد ذلك غزا الهند ورجع الى مدينة بابل بموكب عظيم وقضى بها سنة أقام في خلالها المواسم والمآدب لجنداه

بانتصاراته ، ولما بلغ من العمر ٣٣ سنة أصيب بحمى مات على أثرها سنة ٣٢٣ ق.م. وكان له أخ من أبيه اسمه (فيليبس اريدس) وابن من بنت دارا الثالث اسمه (هرقولوس) فاجتمع رؤساء الجند وولوا أخاه اريدس سنة ٣٢٠ ق.م فوزع الايالات على طوائف أمراء الجند وقلد (نطليوس لاغوس) النيابة على مصر. ولما مات اريدس خلفه هرقولوس باسم الاسكندر الثاني سنة ٣١٧ ق.م وحكم ست سنوات وبموته انقرضت الاسرة المقدونية وتقسمت مملكة الاسكندر بين قواده فاستقل بطليموس بحكم مصر وكون الاسرة المشهورة بدولة البطالسة

دولة البطالسة (٣٠٥—٣٠ ق م.)

انفصلت هذه الاسرة عن مملكة مقدونيا انفصالا تاماً وجعلت عاصمتها مدينة الاسكندرية . عدد ملوكها ١٤ وآخرهم الملكة كليوبترة

الملك بطليموس الاول (سوتير) (٣٢٣ — ٢٨٥ ق.م) — كان والياً على مصر مدة ١٧ سنة ولما استتب له الملك سنة ٣٠٥ ق . م تفرغ لتنظيم شئون مصر وبنى الهياكل ، وأسس المدرسة والمكتبة الشهيرة « بدار الحكمة » بالاسكندرية وفي أيام بطليموس انتشرت التجارة وكثر ورود الاجانب على مصر لاسيما اليونان اذ كانوا من جنس الاسرة المالكة — وأصبحت اللغة اليونانية لغة البلاط الملكي ، أما اللغة القبطية فظلت لغة الأمة كما ظلت الاوامر الملكية تكتب بها متبوعة باليونانية . وقد أرسل بطليموس قائده (نيكانور) لفتح سورية وأسر كثيرين من اليهود وضم الى مصر برقة وجزيرة قبرص (بالبحر الأبيض) وفينيقية — ثم تنازل لابنه بطليموس الثاني وتوفي سنة ٢٨٣ ق.م.

الملك بطليموس الثاني (فيلادلفوس) (٢٨٥ - ٢٤٧) ق . م — : نهج منهج أبيه في رفع شأن العلوم والفنون فجمع الكتب المفيدة وأرسل البعثات لاستكشاف شواطئ البحر الاحمر والمحيط الهندي وتأسيس المراكز التجارية هناك وجدد ترعة سيزستريس الأول التي أصلحها فراعنة الثاني وأتمها دارا الثالث ، ثم أمر بترجمة التوراة من العبرانية الى اليونانية (هي الترجمة السبعينية) وأوعز الى مانيثون

بوضع تاريخ لمصر، وشيد منارة بالاسكندرية في محل طابية برج الزفر التي تهتدي بها السفن ، وبنى هيكل أنس الوجود القريب من خزان اسوان ثم مات وخلفه ابنه بطليموس الثالث

بطليموس الثالث (ايفر جيتس) (٢٤٧— ٢٢١ ق م) أشهر الحرب على سلوقيوس ملك سورية وانتصر عليه ثم غزا البلاد التي في غرب الفرات واخضع الجزيرة والعراق وتوغل في فارس حتى وصل الى همدان وبلخ واسترد معبودات المصريين التي كان قد أخذها قمبيز في اغارته على مصر، ثم عجل بالعودة الى الاسكندرية لفتنة قامت بها مأخذها ومن ثم نجا نحو أبيه فوسع دائرة العلوم والفنون وسلم إدارة المكتبة الى العلامة (ابراتوستين) وأسس معبد (ادفو) ذا الابراج الشاهقة ، وفي أيامه سقط صنم جزيرة رودس ثم مات بطليموس الثالث وخلفه ابنه بطليموس الرابع

الملك بطليموس الرابع (فيلوباتير) (٢٢١ ٢٠٥) ق.م كان صبياً مشتغلا عن الرعية بانهماكه في الملاذ والملاهي ، وكان وزيره (سوسيبيوس) ينقل اليه اخباراً كاذبة ليحفظ مكانته عنده . وحدث أن انطونيوس الثالث ملك سورية أغار على مدينة سيلوقية التي يخترقها نهر الارونط التي كانت من أملاك مصر ، فألح الناس على بطليموس بأن يذهب بنفسه لمقاتلة ملك سورية فسار اليه ومعه سبعون الف جندي بين قبط ويونان فالتقى الفريقان بين العريش وغزة فانهزم ملك سورية وولي مدبراً الى (رفح) ودخل بطليموس يافا وسار الى أورشليم وسأل كاهن اليهود أن يريه « قدس الاقداس » وأواني الهيكل فأبي فحقد بطليموس على اليهود وما عاد الى الاسكندرية حتى امر باستئصال شأفتهم ثم وسع معبد ادفو ورمم دير المدينة ثم انهمك في اللهو فمات وخلفه ابنه بطليموس الخامس

الملك بطليموس الخامس المسمي ابيفان أي الماجد (٢٠٥-١٨١) ق.م تولى الملك وهو في الخامسة من عمره وفي عهده آثار العامة فتنة ضد وصيه (اغاثوقليس) الذي كان أحد وزراء أبيه وكانت تلك الفتنة سبباً في سقوط اغاثوقليس المذكور عن الوصاية ومن ثم عهد بها الى (اوبيتومين) . ولما بلغ

يبقان من الرشد تزوج بكليو بطرة بنت انطيوخوس الثالث ملك سورية وقد ارتكب من المظالم ما حمل الاهالي علي المناداة بخلعه غير انه تدارك الامر بأن بعث الي رومية سنة ١٩١ ق م بألف رطل من الذهب ضمن هدايا أخرى ، فأيده مجلس شيوخها (السناتو) ولكنه مات مسموماً خلفه ابنه بطليموس السادس

الملك بطليموس السادس (فيلومانير) (١٨١ - ١٦٤) ق م تولى الملك قاصراً فقامت امه كليوبطرة بنت انطيوخوس بالامر بحزم وعزم غير ان اخاها (سلوقيوس) ملك سوريا قام بغزو مصر دون ان يراعي حرمة اخته وابنها القاصر الا ان المنية لم تمهله فمات وخلفه انطيوخوس الرابع الذى اتبع طريق سلوقيوس وهجم علي مصر ووصل الي منف سنة ١٧٥ ق م فخانت كليوبطرة بطشه ومن ثم أرسلت الجمهورية الرومانية قائدا اسمه (بوبيليوس) تغلب علي عسكر سورية وأخرجهم من مصر ، ولما كان انطيوخوس الرابع ملك سورية قاسيا علي اليهود بأورشليم فر من وجهه اونياس بن حنانيا رئيس كهنة اليهود والتجأ الي بطليموس وطلب منه التصريح ببناء هيكل لليهود بمصر علي مثال هيكل بيت المقدس . وكان عدد اليهود بمصر يومئذ يقرب من المائة الف نسمة . فأذن له بتشييد الهيكل الذى اشتهر بعد ذلك باسم اونياس

الملك بطليموس السابع المسمي أويرتير اى المنجد أباه (١٤٦ - ١١٧ ق م) قامت عليه الرعية بسبب ظلمه وقوته فالتجأ الي جزيرة قبرص ولم يرجع لي الملك الا بمساعدة الرومان ولما مات خلفه أخوه بطليموس الثامن

الملك بطليموس الثامن المسمي لاثيروس (١١٨-١٠٧) : اتخذ له جيشاً أجنبياً وسام الرعية خسفاً فقتله ، ولما استفحل شره ثارت عليه رعيته فهرب الي قبرص ثم أعيد ثانية (٧٨-٨١) ق م حيث اشتغل بتشجيع العلوم الادبية التي تلقاها علي المعلم ارستارخس الشهير وفي أيامه سافرت البعثة العلمية المصرية لاكتشاف بحر الهند برياسة القائد هورشيش القوزيقي الذى كان يحسن الارصاد الفلكية فتبين مواقع الارض وتخطيطها وطاف حول افريقية . ثم مات

بطليموس الثامن وخلفه العاشر لموت التاسع « سنة ٨٨ ق . م . »

الملك بطليموس التاسع المسمي فسكون (١٠٧ — ٧٧) ق م . كانت امه تبغضه وتحب اخاه الاسكندر فقام بينها وبين بطليموس نزاع شديد وقعت نتائجه علي رؤس المصريين حيث قامت الفتن الداخلية وكثرت الاحزاب مما ادى الي خلع بطليموس وتولية اخيه الاسكندر وما تولي هذا حتى طغي وكرهته أمه فقتلها وغضبت عليه الرعية فهرب من وجهها هاجراً مصر وعلي ذلك استدعي بطليموس ثانية وكانت طباعه قد تهذبت فتولي ملكا حتى مات

الملك بطليموس العاشر (ديونيروس) (٨١ - ٨٠ ق . م) تولي بمعاونة السناتو الروماني ، ولما رأى الجنود المصريون ان الرومان يتدخلون في شؤون مصر بدون حق وان بطليموس راض عن ذلك ، عقدوا النية علي قتله فقتل ذبحا بعد تسعة عشر يوما من حكمه وبذلك انقرض نسل لاغوس

الملك بطليموس الحادى عشر « أولينس » (٨٠ - ٥١) ق م لما تولى أولينس احتج ورثة لاغوس علي توليته لدى الجمهورية الرومانية فقادم أولينس هذا الاحتجاج بهدايا أرسلها مع وفد الى بعض امراء هذه الجمهورية . ولما انعقد المجلس الروماني للنظر في الامر قام المستشار « رولوس » وطلب من المجلس أن يضم مصر الي الدولة الرومانية فعارضه الخطيب (شيشرون) وقال : « ان موقع مصر الجغرافي يقضي ببقائها مستقلة » فوافقه المجلس . وحدث بعد ذلك ان ثار المصريون علي أولينس فهرب الي قبرص ومنها الي رومية ونزل بها حتى سنة ٥٥ ق م حيث اقيم « بومبيوس » قنصلا علي الرومان وأمر قائده « بينوس » بأن يعيد أولينس الى مصر ويرد اليه تاجها ، فقام « بينوس » بجيش يقوده معه « مرقس انطنيوس » صديق أولينس ، ولما وصلوا الي الاسكندرية قاومهم « ارخيلاوس » زوج بنت أولينس فقتلوه وأقروا أولينس علي سرير الملك ، ولما استقر له الامر انتقم من معارضيه وصادرهم في اموالهم وسلمها لبينوس ومرقس الذين تركاه وقفلا عائدين الي رومية متقلين بالذهب بعد أن أبقيا مع

اولتس من يحميه وقد مات ممكنا الرومان من شؤون مصر فخلفه ابنه بطليموس الثاني عشر

الملك بطليموس الثاني عشر (٥١ ٤٧) ق م كان قاصراً وكانت اخته كليو بطرة المشهورة في التاريخ تبلغ من العمر ١٧ سنة . وقد أوصي ابوهما قبل وفاته بأن تشارك كليو بطرة أخاها القاصر في الملك لتدفق دلائل الذكاء من عينيها وكان لها ولع بالسياسة واستعداد للسيادة والحكم . فأقيم عليها ثلاثة أوصياء كانوا يمقتونها لموالاتها للرومانيين . ولما وقعت العداوة بين « يوليوس قيصر » و (بومبيوس) اللذين كانت بيدهما رياسة الدولة الرومانية . أرسل بومبيوس اكبر أولاده مع قائد من حزبه اسمه (كونليوس سيبوس) الى مصر يطلب من كليو بطرة اعانة علي خصمه فأمدته بستين سفينة حربية وخمسمائة جندى ، ولما كان ذلك علي غير رغائب اوصيائها حرضوا الاهالي عليها حتى فرت الي سورية ولم تجد نجدتها لبومبيوس نفعا فجاء الي مصر فاراً من وجه يوليوس . فقبض عليه بطليموس وكان قد بلغ أشده وأمر بقتله امام مدينة الفرما . ولما حضر يوليوس قيصر الي الاسكندرية وعلم بمقتل خصمه حزن عليه وحنق عليه بطليموس ورد كليو بطرة الى مصر لتحكمها بالاشتراك مع اخيها

أما المصريون فكانوا ناقمين علي الاسرة المالكة وعلي تدخل الرومان في شؤون البلاد فأشاروا علي الامير « اخلاس » قائد الجيوش المصرية بأن يزحف علي الاسكندرية ويطرد قيصر منها . فاتفق الوزير « بوطين » الطواشي مع اخلاس وهجما علي الاسكندرية ومعهما ٢٢ الف جندى ، فارتبك قيصر وفضل احراق سفنه الحربية علي وقوعها في أيديهم . وبينما كان علي شفا الهزيمة اذ جاءه جنود من سورية يقودها « ميتريدات » عاونوه علي قهر الاسكندرية فغرق بطليموس في النيل وعلي اثر ذلك طلب اهالى الاسكندرية الصلح فأجابهم قيصر الى طلبهم وعين لهم بطليموس الثالث عشر ملكا بالاشتراك مع اخته كليو بطرة وأخيراً رجع الي رومية

الملك بطليموس الثالث عشر (٤٧-٤٣) ق.م تزوج بأخته كليو بطرة

فأصبحت صاحبة الكلمة والسلطة التامة في مصر ثم توجهت مع زوجها الي رومية لتوثيق عرى المودة بينها وبين يوليوس قيصر فقابلها الرومانيون بالاجلال والترحيب وأقامت بقصر علي نهر التيبر ولما قويت شوكة يوليوس قيصر أراد حزب الجمهورية أن يتخلص منه بقتله ، فأوعز بذلك الي (بروتوس) الذى جرد خنجراً طعن به قيصر في المحفل العام في ١٥ مارس سنة ٤٤ ق . . وقال قيصر وهو يموت : « لقد طعنت أباك ياهذا » قيل وقد كان بروتوس بن قيصر من السفاح غير انه في وقت اعتدائه عليه لم يكن يعلم هذا السر ، وبعد موت قيصر أصبحت كليو بطرة فاقدة النصير ، لاسيما بعد أن فقدت زوجها الذى قيل انها دست له السم لتتوصل الى تمليك أصغر أولادها بطليموس الرابع عشر وهو علي دعوى المؤرخين ابن يوليوس قيصر (٤٠ - ٣٠) ق . م وفي مدته حكم بطليموس الرابع عشر ، كان مرقس أنطنيوس — الذى قاد الجيش المساعد لبطليموس الزامر كما مر — رئيساً لمجلس رومية مع شريكه (اكتافيوس) ، فلما رأى انطنيوس كليو بطرة اذهله جمالها فعشقها واهمل بسببها شؤون وظيفته مفضلا الاقامة معها ولما هدده مجلس رومية بخلعه من منصب الرياسة خرج من مصر مكرها ، فتوجه الي ايطاليا ومنها الى سورية لغزو الفرس وقد طلبت كليو بطرة منه أن يعطيها جزيرة قبرص وبلاد العرب لتوسيع ملكها وترويج تجارة الاسكندرية التى كسدت اذ ذاك . وبينما هو في الطريق عرج علي مصر ليقوم بطلبات كليو بطرة ، وقد حاول اضعاف الجمهورية الرومانية ، وأعطي لقب ملك لولديه من عشيقته ، فحكم عليه المجلس بالعزل وأشهر الحرب علي مصر . فتأهبت كليو بطرة وتبعها انطنيوس الي ساحة القتال في مدينة (أكتيوم) التى هي (ازيو) علي ساحل موريا في اليونان ، وكان ذلك في ٢ سبتمبر سنة ٣١ ق . م . وبينما الحرب تدور رحاها اذ انفصل ستون سفينة عن باقي العمارة البحرية ، فولت كليو بطرة هاربة من القتال تمخر البحر علي احدى السفن — قال بعض الكتاب . « ولا يعلم ان كان هرب كليو بطرة لفزعها من الحرب أو لاتفاق وقع بينها وبين اكتافيوس رئيس

الجمهورية » - وولي انطنيوس ورامافير ان اكتافيوس اقتفي أثرهما فسلمت كليو بطرة مدينة الفرما التي هي مفتاح مصر وأرادت بهذه الخيانة أن تخطب وده عازمة على تجريبه منها باقصاء عشيقها عنها ، ولما وصل أنطنيوس الي الاسكندرية قابلته كليو بطرة بفتور ، وبإشارة من تلك الخائنة انفصل الجيش عن أنطنيوس وانضم الي اكتافيوس ولكنها عادت فشمرت بسوء فعلتها فتوارت في مدفن كانت قد شيدته لتدفن فيه وأشاعت انها تريد الانتحار ، فلما علم أنطنيوس بذلك طعن نفسه بخنجر ، ثم بلغه وهو في النزع ان كليو بطرة لم تزل على قيد الحياة فأمر أن يحملوه بها فأنزلوه في جهة من المدفن حيث مات شر ميتة وأما كليو بطرة فكانت تتظاهر والخنجر في يدها بطلب الموت قاصدة أن تفتن اكتافيوس كما فتنت عمه يوليوس قيصر وغيره فخاب ظنها ، ولما خافت الاسر قتلت نفسها شر قتلة. وقيل انها وضعت ثعباناً في سلة ومكنته من تدبيها فقتلها ، وأما اكتافيوس، فقد قتل ابنها بطليموس قيصرون ، ولما عاد الى رومية عمل لكليو بطرة تمثالا وبجانبه ثعبان ينهشها وبموتها انتهي حكم اليونان (البطالسة) لمصر سنة ٣٠ ق م وأصبحت هذه البلاد ايالة تابعة لحكومة رومية الي سنة ٦٤٠ م.

قال المؤرخون : ومع ان مصر تأخرت في أيام هذه الدولة ورجعت القهقرى الا أنها كانت كثيرة المفاخر والمآثر . فان البطالسة أطلقوا الحرية لجميع أهل البلاد وجعلوهم متساوين أمام الشريعة ، وأنشأوا كما ذكرنا عمارات كثيرة في بلاد النوبة وجزيرة العربي التي هي أنس الوجود وبنوا مدينة أرمنت وحسنوا طيبة وأقاموا فيها هيكل دير المدينة وقد شيدت كليو بطرة هيكل دندرة ومدينة ادفو القديمة . ولم تضعف دولة البطالسة الا بعد معاهدتها مع رومية حيث أخذت في الاضمحلال والفناء .

(تلخصنا الفذلكة المتقدمة من (مختصر تاريخ الامة القبطية) تأليف الفاضل سليم افندى سليمان فاننا ألفيناه أجمع ملخص لما يهم معرفته من تاريخ قدماء المصريين . وكان اعتمادنا عليه تنويهها بفضل مؤلفه)

(دور الدولة الرومانية) يبتدى بهذا

الدور من سنة (٣٠) ق م الى السنة (٦٤٠) بعد الميلاد فكانت مصر تابعة لحكومة رومية الي سنة (٣٩٤) فلما انقسمت هذه المملكة الي قسمين شرقية عاصمتها القسطنطينية وغربية عاصمتها رومية وقعت مصر في حصة المملكة الشرقية من السنة المذكورة انظر (رومان)

فكان النظام المتبع في حكومة مصر أن ترسل اليها الحكومة الرومانية بالحكام من رومية أولا الي سنة (٣٩٥) ثم من القسطنطينية بعد ذلك الي سنة (٦٤٠) وفي تفصيل سيرة هؤلاء الحكام تطويل وغاية ما يقال ان مصر شهدت في ذلك العهد من المظالم مالم تره في أي عصر من عصورها ولا سيما فيما يختص بالاضطهادات لاجل الدين فان المصريين أخذوا بالديانة المسيحية في منتصف القرن الاول للميلاد بدعوة مرقس صاحب الانجيل فانه وفد الى مصر في منتصف القرن الاول ونشر التعاليم المسيحية فقبلها المصريون . وأول كنيسة شيدت في هذه البلاد كانت في الاسكندرية سنة (٦٠)

فلم يرق هذا الدين في أعين الرومانيين في أوروبا فعارضوه ومنعوا انتشاره وأخذوا متبعيه بالقسوة المفرطة فصاروا يحرقونهم او يمذبونهم حتى يموتوا تعذيبا وأوعزوا الي نوابهم في مصر ان يجروا على هذه الطريقة فجروا عليها في معاملة القبط فأزهقوا منهم أرواحا لاتحصي وظل الحال على هذا المنوال الي ان تولى الامبراطور الروماني ديقلاديانوس من سنة ٢٨٢ الي ٣٠٣ فعزم على ابادة المسيحيين فأعمل فيهم السيف في اوربا وأمر نائبه على مصر ان يجد وجده في هذه البلاد ثم حضر هو نفسه الي هذه البلاد واعمل في أهلها الحديد والنار حتى قتل منهم مايزيد عن الثمان مئة الف نسمة وهي من الاضطهادات الكبرى التي قلت أمثالها في تاريخ البشر

ولم يكن الحكم الروماني من الوجهة المدنية على اسلوب يحبب اهل هذه البلاد فيهم فقد كان الظلم سنة لتلك الحكومة حتى ضج الناس ولم يجدوا لهم محيصا . غير الاستسلام فصبروا مكرهين الى سنة (٦٤٠) حتى أتاهم العرب مخلصين

(دور المسلمين في تاريخ مصر)

يبتدىء هذا الدور من سنة (٦٤٠) الى ماشاء الله ويحسن بنا اعطاء تفصيلات عن هذا الدور لابد منها لان هذا الدور أساس حياة مصر الحالية ومن اصوله تستمد أصول المصريين الحيوية

لما امتد ملك المسلمين في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الي الشام الخ عمرو بن العاص علي الطليعة ان يأذن له في فتح مصر وأراه سهولة ذلك وان المصريين ينتظرون من يغزو بلادهم ليثوروا معه علي ظالميهم الرومانيين الي غير ذلك من الاقناعات حتى قبل منه ذلك فعهد اليه في سنة ١٨ وجهزه بجيش صغير فسار حتى بلغ الفرما وكانت بلدة بالقرب من قطيه علي بعد يوم منها وكانت محصنة فافتتحها بعد ما قاتل الرومانيين بها نحو من شهر وانما كان دفاعهم فيها شديداً لانها باب مصر . ثم سار عمرو حتى بلغ بلبيس وكانت محصنة أيضا فافتتحها بعد قتال عنيف وكان بها ابنة المقوقس القبطي وهو نائب الرومان علي مصر السفلي فأرسلها الي والدها يستهاموه فوقع ذلك لدى المقوقس احسن وقع

ثم طلب عمرو من امير المؤمنين المدد فأرسل اليه أربعة آلاف رجل فسار بهم حتى نزل علي حصن قوى علي شاطيء النيل يضفته الشرقية يقال له بابل أو بابليون شيده الفرس قديما وكان هذا الحصن أمام مدينة منفيس علي الضفة الغربية وكان بها المقوقس فأخذ عمرو في مقاتلة الرومان يصبحهم ويمسيهم فلما ابطأ عليه الفتح كتب الي عمر بن الخطاب يستمده فأمده بأربعة آلاف آخرين وجعل علي كل الف واحدا من مشهوري القواد وكتب اليه : « اني قد امددتك بأربعة آلاف علي كل الف منهم رجل بمقام الف وهم الزبير بن العوام والمقداد بن الاسود وعبادة بن الصامت ومسلمة بن مخلد وأعلم انه صار معك اثنى عشر الفا ولا تغلب اثنى عشر الفا من قلة »

وكان الرومان قد خندقوا عليهم والقوا بالخنادق حسك الحديد أى شوك الحديد وهو ما يعبر عنه الآن بالحدايد الشائكة . فلما امتنع الحصن علي المسلمين وضع الزبير بن العوام سلما الي جانب الحصن وصعد عليه وتبعه كثير من المسلمين فلم يشعر الرومان الا وقد دهمهم العرب فأخذوا في الحرب وتمكن الزبير

واصحابه من فتح باب الحصن فخاف المقوقس علي نفسه فهرب هو واكابر القبط من منفيس ولحقوا بجزيرة في وسط النيل وأمروا بقطع الجسر الذي يوصل بينها وبين الحصن وكان مصنوعا بسفن متلاصقة بعضها بجانب بعض

وأرسل المقوقس الي عمرو بن العاص يحسن له أمر الصلح ويخوفه من جيوش الرومانيين فقبل القائد العربي ان يصالح علي احد هذين الشرطين وهما : اما الاسلام واما الجزية . فقبل المقوقس الجزية علي ان يدفع كل قبطي في مصر من شريف ووضيع دينارين عن نفسه وليس علي من لم يبلغ الحلم ولا الشيخ الهرم ولا علي النساء شيء وان لهم ارضهم وأموالهم لا يتعرض لهم في شيء منها وأحصي من تستحق عليه الجزية يومئذ فبلغوا اكثر من ستة ملايين . فلما بلغ ملك الرومان ما فعله المقوقس ارسل اليه يقبح رأيه ويأمره بقتال العرب مستعيناً بالقبط وبمن في مصر من جنود الرومان وكان يبلغ عددهم مئة الف

فلم ير المقوقس ان يخرج مما دخل فيه وترك الرومان والعرب حتى تفيء الي أمر الله واعتزل هو وقومه القتال

أما هرقل امبراطور الرومان فأرسل الي مصر جيوشا كثيفة النفقت مع العرب مرارا فكان العرب ينتصرون في كل مرة حتى أوصلوهم الي الاسكندرية فتحصنوا بها وكانت حصونها لاترام وكان القبط يمدون المسلمين بما يحتاجون اليه من الاطعمة والمعاونة . وكان الرومانيون تأتيهم الامداد من بلادهم بطريق البحر حتى هم هرقل بالمسير بنفسه الى مصر فمات وهو يستعد لذلك سنة (٢٠) هجرية فانكسرت شدة الرومانيين بالاسكندرية ورجع منهم عدد عظيم وبقي عمر ينازل من بقي منهم حتى افتتحها يوم الجمعة من شهر المحرم سنة (٢٠) هجرية الموافقة ٢٢ ديسمبر سنة (٦٤٠) ميلادية بعد أن حاصرها أربعة عشر شهراً

ثم ان عمرو أخذ يتعقب من هرب من فلول الجيش الروماني الى داخل البلاد فلما بلغ الرومانيين ان حامية الاسكندرية من المسلمين قليلة عادوا فحاصروا الاسكندرية وحصنوها فعاد اليها عمرو بن العاص فافتتحها ثانية وأقام بها وكتب بذلك الي امير المؤمنين فرد عليه

بأنه لا يجاورها وقبح رأيه في تتبع من هرب

ثم عاد عمرو الى المكان الذى كان نزله المسلمون عند محاصرتهم لحصن بابليون وكان عمرو تركه فسطاطه منصوبا فبنى المسلمون حوله بيوتا واختطوا خططا صارت فيما بعد مدينة أطلق عليها اسم الفسطاط وهي مصر القديمة وبنى بها مسجده المشهور الآن وهو الذى تصلي به آخر جمعة من رمضان وصياً تذكاراً لفتح المسلمين لمصر

من أعمال عمرو بن العاص النافعة حفره خليجاً يوصل النيل بالبحر الاحمر لسهولة المواصلة مع بلاد العرب ونقل الغلال الى تلك البلاد وبه تمكن من نقل الحبوب الى بلاد العرب زمن القحط وكان ذلك الخليج يسمي بخليج امير المؤمنين . وأبطل عادة القاء عذراء في النيل تقربا اليه باعتبار ألوهيته وقد ثبت ان هذا اختلاق

ثم أرسل عمرو جيشاً ففتح برقة فصالحه أهلها

ولما توفي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وتولي الخلافة عثمان بن عفان عزل عمرو بن العاص عن مصر وولاها عبد الله ابن أبي سرح فسار سيرة حسنة محمودة وغزا ثلاث غزوات ذات شأن : غزا افريقية وقتل ملكها ، وغزا الاساورة حتى بلغ دنقلة وغزا الصواري . وبلغ خراج مصر في مدته أربعة عشر الف الف دينار أى ١٤ مليون دينار فلما لقي عثمان عمرو بن العاص قال له قد علمت ان الفتحة درت بعدك. فقال عمرو نعم ولكنها أجاعت أولادها

والذى جباه عبد الله بن أبي سرح هو الجزية من عدد النفوس غير الخراج والاموال الديوانية . مات عبد الله بن أبي سرح سنة (٣٥) بعد أن استخلف علي مصر عقبة بن عامر الجهني فكانت ولايته احدى عشرة سنة ونحو نصف سنة

فلما تولي الخلافة أمير المؤمنين علي ابن ابي طالب ولي مصر محمد بن عبادة الانصاري فأقام قليلا ثم مات

فعقبه محمد بن أبي بكر فوصل الي مصر في نصف رمضان سنة (٣٧) فهدم دور شيعة عثمان ونهب أموالهم وسجن ذراريهم فبلغ ذلك معاوية فبعث عمرو ابن العاص في جيش الي مصر فحدث قتال عنيف بينه وبين محمد بن أبي بكر وانتهى

القتال بغلبة عمر فهرب محمد فظفر به معاوية بن حديج فقتله ثم جعله في جيفة حمار وأحرقه بالنار سنة ٣٨ فكانت ولايته خمسة أشهر

ثم تولي عامر بن عقبة الجهني من قبل معاوية وصرف عنها سنة ٤٧ فكانت ولايته سنتين وأربعة أشهر

ثم تولى مسلمة بن مخلد الانصاري من قبل معاوية وتوفي في ولايته سنة ٦٢ فكانت ولايته خمس عشرة سنة وأربعة أشهر

ثم تولي سعيد بن يزيد بن علقمة الاسدى من قبل يزيد بن معاوية وعزل سنة ٦٤ فكانت ولايته سنة واحد عشر شهراً

ثم تولي عبد الرحمن بن عقبة بن حجر من قبل عبد الله بن الزبير فأقام تسعة أشهر

ثم تولي عبد العزيز بن مروان من قبل أبيه الخليفة مروان بن الحكم سنة ٦٥ فكانت ولايته عشرين سنة وعشرة اشهر وثلاثة عشر يوماً

ثم تولي عبد الله بن عبد الملك بن مروان من قبل أبيه عبد الملك سنة ٨٠ وهو ابن سبع وعشرين سنة وكانت ولايته اربع سنين وعشرة أيام

ثم تولى قرة بن شريك العبسى من قبل الوليد بن عبد الملك سنة ٩٦ فكانت ولايته ست سنين الا أياما

ثم تولي عبد الملك بن رفاعة من قبل سليمان بن عبد الملك سنة (٩٦) الي غاية صفر سنة ٩٩ فكانت ولايته ثلاث سنين

ثم تولى أيوب بن شرحبيل بن الصباح من قبل عمر بن عبد العزيز سنة ٩٩ ومات سنة ١٠١ فكانت ولايته سنتين ونصف سنة

ثم تولى بشر بن صفوان الكلبي من قبل يزيد بن عبد الملك سنة ١٠١ وفي ولايته استولي الرومان علي تنيس ١٠٢

ثم تولى حنظلة بن صفوان وهو أخو شريك المذكور باستخلاف أخيه فأقره يزيد بن عبد الملك وعزل سنة ١٠٥ فكانت ولايته ثلاث سنين

ثم تولي محمد بن عبد الملك بن مروان من قبل أخيه هشام سنة ١٠٥ فوقع وباء بمصر فهرب منها ولم يلها الا نحواً من شهر

ثم تولي الحر بن يوسف بن يحيي ابن الحكم من قبل عبد الملك واستقال

سنة ١٠٨ فكانت ولايته ثلاث سنين

ثم تولى الحفص بن الوليد الحضرمي من قبل هشام بن عبد الملك ثم صرف بعد اسبوعين

ثم تولي عبد الملك بن رفاعة ثانية فقدم مصر ثانية ١٠٩ ومات في نصف المحرم فكانت ولايته خمس عشرة ليلة

ثم تولي الوليد بن رفاعة باستخلاف من أخيه فأقره هشام بن عبد الملك فتوفي وهو وال في جمادى الآخرة سنة ١١٧ فكانت ولايته تسع سنين وخمسة أشهر

ثم تولي عبد الرحمن بن خالد باستخلاف من الوليد فأقام سبعة أشهر

ثم تولي حنظلة بن صفوان ثانية من قبل هشام بن عبد الملك سنة ١١٩ فحصل بينه وبين القبط محاورة فبلغ ذلك هشام فصرفه عنها وولاه أفريقية وخرج في ربيع الآخر سنة ١٢٤ فكانت جملة ولايته خمس سنين وشهرين

ثم تولي حفص بن الوليد الحضرمي ثانية من قبل هشام سنة ١٢٤ ولما مات هشام واستخلف بعده أخوه الوليد ابن يزيد أقر حفصا . ثم صرف عن الولاية سنة ١٢٥ فكانت مدة ولايته سنة وشهرين

ثم تولي عيسى بن عطاء من قبل الوليد بن يزيد الى أن عزله مروان الاخير ابن مروان الاول سنة ١٢٦ فكانت مدة ولايته خمسة اشهر

ثم تولي حسان بن عتاهية من قبل مروان المذكور في المحرم وعزله في سنته

ثم تولي حفص بن الوليد ثالثة على كره فأقام رجب وشعبان ثم عزل في المحرم سنة ١٢٨

ثم تولي حوثرة بن سهل بن عجلان الباهلي من قبل مروان المذكور في المحرم سنة ١٢٨ فاجتمع الجند على منعه فأبى عليهم حفص فخافوا حوثرة وسألوه الامان فأمنهم ونزل ظاهر الفسطاط وقد اطمأنوا اليه فأخذ في طلب من كان سبباً للفتنة فجمعوا له فضرب أعناقهم. ثم صرف من ولايته في جمادى الاولى سنة ١٣١ وبعثه مروان الي العراق فقتل فكانت مدة ولايته ثلاث سنين وستة أشهر

ثم تولى المغيرة بن عبد الله بن المغيرة من قبل مروان سنة ١٣١ وتوفي سنة ١٣٢ فكانت جملة ولايته عشرة أشهر

ثم تولى عبد الملك بن مروان من قبل أبيه مروان الخليفة فكان آخر نواب خلفاء بني امية وذلك في سنة (١٣١)

(من تولي مصر من قبل الدولة العباسية) جاءت الدولة العباسية فكان اول نوابها بمصر صالح بن علي بن عبد الله ابن عباس من قبل امير المؤمنين ابي العباس السفاح. قدم في المحرم سنة ٣٣ فقتل كثيراً من شيعة بني امية وجهز طائفة منهم الي العراق فقتلوا ثم ورد كتاب من السفاح الي صالح المذكور بامارة فلسطين واستخلافه على مصر من يشاء

ثم تولي ابو عون بن عبد الملك الجرجاني في مستهل شعبان سنة ١٣٣ فوقع وباء بمصر فهرب ابو عون من مصر واستخلف عكرمة بن عمرو وخرج الي دمياط سنة ١٣٥ ثم ورد كتاب من السفاح بولاية صالح بن علي ثانية على مصر في ربيع الاول سنة ١٣٦ ومات السفاح في ذى الحجة واستخلف أمير المؤمنين عبد الله المنصور فأقر صالحا على ولايته

ثم صرف عنها فكانت جملة ولايته خمس سنوات

ثم تولى ابو عون ثانية من قبل المنصور في ربيع الاول سنة (١٤١) ثم صرف عنها فكانت ولايته هذه ثلاث سنين وستة أشهر

ثم تولي موسى بن كعب بن هبيرة من قبل المنصور في ربيع الآخر سنة (١٤١) فكانت ولايته ستة أشهر

ثم تولي محمد بن الاشعث الخزاعي من قبل المنصور في ذى الحجة سنة (١٤١) ثم صرف عنها فكانت ولايته ستة اشهر

ثم تولي حميد بن قحطبة من قبل المنصور فدخل في عشرين الفا من الجند في شهر رمضان سنة (١٤٣) ثم صرف في ذى القعدة سنة (١٤٦) فكانت ولايته ثلاث سنوات وسبعة أشهر

ثم تولي يزيد بن حاتم المهلب من قبل المنصور في نصف القعدة سنة (١٤٦) وصرف عنها في ربيع الآخر سنة (١٥٢) فكانت ولايته سبع سنين واربعة اشهر

ثم تولي عبد الله بن عبد الرحمن من قبل المنصور في ربيع الآخر وهو أول من خضب بالسواد وصرف عنها في رمضان سنة (١٥٤) فكانت ولايته

سنتين وشهرين

ثم تولي محمد بن عبد الرحمن بن معاوية باستخلاف من اخيه عبد الله فأقره المنصور ومات في نصف شوال فكانت ولايته ثمانية اشهر ونصف شهر

ثم تولي موسي بن علي بن رباح باستخلاف من محمد بن عبد الرحمن ولما مات المنصور وبويع لولده محمد المهدى أقر موسي المذكور الى ذى الحجة سنة (١٦١) فكانت ولايته ست سنين وشهرين

ثم تولي عيسي بن لقمان بن محمد الجعي من قبل المهدى في ذى الحجة سنة (١٦١) وصرف عنها في جمادى الاولى سنة (١٦٢) وصرف عنها في رمضان من السنة المذكورة فكانت ولايته أربعة شهور

ثم تولي منصور بن يزيد الزغبي وهو خال المهدى من قبل المهدى في رمضان سنة (١٦٢) وصرف في نصف القعدة فكان مقامه شهرين وثلاثة ايام

ثم تولي يحيي ابو داود من خراسان من قبل المهدى في ذى الحجة سنة (١٦٢) وكان أبوه تركيا من أشد الناس واعظمهم هيبة واقدمهم علي الحرب فمنع من اقفال المدروب بالليل ومن اقفال الحوانيت ومنع حراس الحمامات ان يجلسوا فيها وقال من ضاع له شيء فعلي اداؤه فكان الرجل يضع ثيابه في الحمام ويقول يا أبا داود احرسها فاذا ضاعت يأتيه فيعوضه يوماً ثم يأتي بها ممن أخذها فكانت الامور علي هذا المنوال واستمر الي المحرم سنة (١٦٤) فكانت ولايته قريباً من سنتين

ثم تولي ابراهيم بن صالح بن علي ابن عبد الله بن عباس من قبل المهدى في المحرم سنة (١٦٥) وفي ولايته خرج دحية ابن مصعب بن مروان بالصعيد ودعا لنفسه بالخلافة فتراخي ابراهيم ولم يحفل بأمره حتى ملك عامة الصعيد فسخط عليه المهدى وعزله عزلا قبيحاً في ذى الحجة سنة (١٦٦) فكانت ولايته ثلاث سنين

ثم تولى موسي بن مصعب من قبل المهدى في ذى الحجة سنة (١٦٧) فتوجه بعسكره الي بلاد الحوف لقتالهم فلما التقوا انهزم اهل مصر بأجمعهم وقتلوه من غير ان يتكلم وكان قتله في شوال سنة

١٦٨ فكانت ولايته عشرة أشهر وكان ظالما غاشما سمعه الليث يقرأ في خطبته انا اعتدنا للظالمين ناراً احاط بهم سرادقها . فقال الليث اللهم لاتمتنا

ثم تولى عصامة بن عمر باستخلاف موسي بن مصعب وبعث الى دحية جيشا مع أخيه بكار فحارب يوسف بن نصر وهو علي جيش دحية فتطا هنا فوضع يوسف الرمح في خاصرة بكار ووضع بكار الرمح في خاصرة يوسف فقتلا معاً ورجع الجيشان منهزمين واستمر الي صلخ المحرم سنة ١٦٩

ثم تولي علي بن سنان بن علي من قبل الهادى سنة ١٦٩ ولما مات الهادى واستخلف هرون الرشيد أقر علي بن يوسف المذكور وأظهر الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومنع الملاهي والخمور والكنائس المحدثة بمصر فبدأت النصارى في هدم هدمها مايزيد علي خمسين الف دينار فلم يقبل وكان كثير الصدقات عزل في ربيع الاول سنة ١٧١

ثم تولي عيسي بن موسي العباسي من قبل الرشيد فأذن للنصارى في بناء الكنائس التي هدمها علي بن سنان فبنيت بمشورة العلامتين الليث بن سعد وعبد الله ابي لهيعة ثم صرف عن مصر سنة ١٧٢ فكانت ولايته سنة واحدة وخمسة اشهر ونصف شهر

ثم تولي مسلمة بن يحيي البجلي من خراسان من قبل الرشيد ثم صرف عنها في شعبان سنة ١٧٣ فكانت ولايته أحد عشر شهراً

ثم تولي محمد بن زهير الازدى من قبل الرشيد في شعبان المذكور فثار عليه الجند ولم يستقم له حال فصرف عنها في غاية ذى الحجة سنة ١٧٣ فكانت ولايته خمسة أشهر

ثم تولي داود بن يزيد بن حاتم المهلبي وقدم هو وابراهيم لاخراج الجند الذين قاموا علي محمد الازدى فدخلا مصر في المحرم سنة ١٧٤ فأخرجا العسكر القديم الي الغرب واستقام الحال وسكنت الفتنة

ثم صرف داود المذكور عن ولايته في المحرم سنة ١٧٥ فكانت ولايته سنة ونصف سنة

ثم تولي موسي بن عيسى العباسي من قبل الرشيد في شهر صفر سنة ١٧٥

وصرف في شهر صفر سنة١٧٦ فكانت ولايته سنة واحدة

ثم تولي ابراهيم بن صالح ثانية من قبل الرشيد في غرة ربيع الاول سنة ١٧٦ وتوفي في ولايته فكان مقامه بمصر شهرين وثمانية عشر يوما

وقام بعده بالامر ابنه صالح مع صاحب شرطته خالد بن يزيد

ثم تولى عبدالله بن المسيب من قبل الرشيد سنة ١٧٦ فكشف امر الخراج وزاد علي المزارعين زيادة اجحفت بهم فخرج عليه أهل الخوف فقاتلهم فقتل كثير من اصحابه فكتب الي الرشيد بذلك فجهز جيشا عظيما وبعثه الي الخوف فتلقوه بالطاعة وأذعنوا له وقاموا بالخراج كله

ثم صرف عبد الله المذكور في رجب سنة١٧٨ فكانت ولايته سنتين وسبعة أشهر

ثم تولي هرثمة بن اعين من قبل الرشيد في شهر رمضان سنة ١٧٨ فأشار عليه الرشيد بالمسير الى افريقيه فكان مقامه شهرين ونصف شهر

ثم تولي عبد الله بن صالح العباسي من قبل الرشيد فلم يدخل مصر واستخلف عبد الله بن المديب وصرف سالخ سنة ١٧٨ فكانت مدته شهراً واحداً ونصفا

ثم تولي عبد الله بن المهدى من قبل أخيه الرشيد في المحرم سنة١٧٩ فاستخلف بن المسيب وصرف في رمضان فكانت ولايته تسعة أشهر

ثم تولي عيسي بن موسي ثالث مرة من قبل الرشيد فأرسل ابنه يحيي خليفة عنه في رمضان سنة١٧٩ وصرف في جمادى الآخرة سنة ١٨٠ فكانت ولايته تسعة أشهر

ثم تولي عبد الله بن المهدى ثانية من قبل أخيه الرشيد فقدم داود بن حباسة خليفة عنه في جمادى الآخرة سنة ١٨٠ وصرف في رمضان سنة ١٨١ فكانت ولايته سنة واحدة وثلاثة أشهر

ثم تولي اسماعيل بن صالح العباسي من قبل الرشيد في سابع رمضان المذكور فاستخلف عون بن وهب الخزاعي في جمادى الآخرة سنة ١٨٢ فكانت ولايته تسعة أشهر

ثم تولى اسماعيل بن عيسي العباسي

سنة ١٨٢ وصرف في رمضان من السنة المذكورة فكانت مدته ثلاثة شهور

ثم تولي الليث بن فضل من أهل بيروت من قبل الرشيد في سابع رمضان من السنة المذكورة وقدم مصر في شوال فجاءه المال والهدايا والتحف واستخلف أخاه الفضل وتوجه بالمال والهدايا الي الرشيد

ثم عاد وتوجه ثانية بالمال واستخلف هاشم بن عبد الله وكلما أتم سنة وخرج من حسابها توجه بالمال الي الرشيد ومعه الحساب

ثم صرف من مصر في جمادى الآخرة سنة ١٨٧ فكانت ولايته أربع سنين وسبعة أشهر

ثم تولي احمد بن اسماعيل العباسي من قبل الرشيد في جمادى الآخرة سنة ١٨٧ ثم صرف في رمضان سنة ١٨٩ فكانت ولايته سنتين وشهراً ونصف شهر

ثم تولي عبد الله بن محمد بن ابراهيم العباسي من قبل الرشيد في شوال وصرف في شعبان سنة ١٩٠ فكانت ولايته عشرة أشهر

ثم تولي الحسين بن جميل من قبل الرشيد في رمضان سنة ١٩٠ وصرف في ربيع الآخرة سنة ١٩٢ فكانت مدة ولايته سبعة أشهر . ثم تولي دلهم الكلبي من قبل الرشيد في ربيع الآخرة سنة١٩٢ وصرف في صفر سنة ١٩٣ فكانت ولايته عشرة أشهر

ثم تولي الحسن التحتاح من قبل الرشيد في ربيع الاول سنة ١٩٣ فمات الرشيد واستخلف ابنه محمد الامين فثار الجند ووقعت فتنة عظيمة فجهز الحسن مال مصر فوثب أهل الرملة لأخذه فبلغ الحسن فسار من طريق الحجاز لفساد طريق الشام وكان سيره في ربيع الاول سنة ١٩٢ فمكانت مدة ولايته سنة واحدة

ثم تولي الحاتم بن هرثمة من قبل الامين في ربيع الثاني سنة ١٩٤ وصرف في جمادى الآخرة سنة ١٩٥ فكانت ولايته سنة واحدة وخمسة أشهر

ثم تولي حاتم الاشعث الطائي من قبل الامين وكان ليناً فلما حدثت فتنة الأمين والمأمون قام السري بن الحكم

عصبياً للمأمون وردها الناس الي خلع الامين فاجابوه وبايعوه للمأمون لثمان بقين من جمادى الاولي سنة ١٩٦ وأخرجوا حاتماً الاشعث فكانت ولايته سنة واحدة

ثم تولى عبادة بن محمد بن حسان ابن أبي نصر من قبل المأمون في رجب سنة ١٩٦ فبلغ الامين ماكان بمصر فكتب الي ربيعة بن قيس رئيس الجوف بولاية مصر وكتب الي جماعة تعاونه بيعة الامين وخلع المأمون ولما قتل الامين صرف عبادة في شهر صفر سنة ١٩٨ فكانت ولايته سنة وسبعة أشهر

ثم تولي المطلب بن عبد الله الخزاعي من قبل المأمون في ربيع الآخرة سنة ١٩٨ ثم صرف في شوال فكانت ولايته سنة وسبعة أشهر

ثم تولى العباس بن موسي العباسي من قبل المأمون في ذى القعدة سنة ١٩٨ وعزل سنة ١٩٩

ثم تولي المطلب ثانيا من قبل المأمون في المحرم سنة ٢٠٠ وعزل في شعبان من السنة المذكورة

ثم تولي السرى بن الحكم من أهل بلخ من قبل المأمون في مستهل رمضان سنة ٢٠٠ وتوفى السرى المذكور سنة ٢٠٤ وهي السنة التي مات بها الشافعي رضى الله عنه

ثم تولي محمد بن السرى المذكور من قبل المأمون وتوفى في شعبان سنة ٢٠٦ فكانت ولايته أربعة عشر شهراً

ثم تولي عبد الله بن السرى بإجماع من الجند وعزله عبيد الله بن طاهر من قبل المأمون في ربيع الآخر سنة ٢١١

ثم تولي عيسى بن يزيد الجلودى باستخلاف عبد الله بن طاهر الى سابع عشر القعدة ٢١٣

ثم تولي الامير ابو اسحق بن هرون الرشيد وهو المعتصم فأقر موسي علي الصلاة فقط وجعل صالح بن شيراز علي الخراج فظلم الناس فحاربوه وقتلوا أصحابه في صفر سنة ٢١٤

ثم تولى عمر بن الوليد التميمي باستخلاف أبي اسحق بن هرون الرشيد فخرج لقتال الجوف في ربيع الآخرة

سنة(٢١٤)فكانت ولايته شهرين

ثم تولي عيسي الجلودى ثانيه باستخلاف ابي اسحق بن هرون الرشيد فحارب أهل الجوف بالمطرية ثم انهزم فأقبل ابو اسحق في أربعة آلاف من أتراكه فقاتل أهل الجوف وقتل اكابرهم وخرج الي الشام غرة المحرم سنة (٢١٥) في اتراكه ومعه الاسارى .ثم تولى عبدوبه ابن جبلة من قبل ابي اسحق فاستمر الي نهاية سنة (٢١٥)وتوجه الي برقة

ثم تولي عيسي بن منصور الرافي من قبل ابي اسحق المذكور في أول سنة(٢١٦) فاختلف عليه عرب مصر وقبطها في جمادى الاولي من السنة المذكورة وخلعوا الطاعة فقاتلهم وقتل منهم جماعة فكانت حروبا عظيمة الي أن قدم عبيد الله المأمون الى مصر سنة (٢١٧) فسخط علي عيسي وحمل لواءه ونسب هذه الفتنة اليه ثم ان المأمون جهز الجيوش لاهل الفساد وسبي منهم من سبي وقتل منهم من قتل

ثم ولي الخليفة المعتز بالله بك التركي أميراً علي مصر فأناب عنه احمد بن طولون فولاه امارة مصر بالنيابة عنه وذلك سنة(٢٥٤) فاستقل بها وكان مؤسسا الدولة الطولونية من سنة(٢٥٤) الي (٢٩٢)ه

أصل ابن طولون من الفرغستان وكانت أسرته تسكن بجوار بحيرة لوب ببخارى الصغرى فأسر ابوه في احدى الوقائع الحربية وجيء به الي ابي أسد العجلي وكان من عمال المأمون يدفع له اتاوة سنوية من المماليك والخيل . فكان طولون في جملة من أرسلهم ابن أسد من المماليك الى المأمون سنة (٢٠٠) فأعجب به المأمون والحقه بحاشيته ومازال يرقيه حتى جعله رئيس حرسه ولقبه بأمير الستر فبقي طولون نحواً من عشرين سنة في هذا المنصب علي عهد المأمون والمعتصم وفي هذه الاثناء رزق بابنه احمد بن طولون فربله تربية عالية فشب تقيا حسن الاخلاق لين العريكة . ولما توفي والده سنة(٢٢٩) ولاه الخليفة امارة الستر بدلا عنه ولكنه كان مغرما بالعلم يتردد الي طرسوس لتلقي الدروس بها ثم استأذن أمير المؤمنين أن ينقطع في طرسوس لتلقي العلم بها فأذن له في ذلك مع بقاء النيابة ومرتباته لحين عوده فأتقن احمد بن

طولون هنالك علم الحديث وغيره وعاد الي بغداد وقد اخذ من المعارف بقسط وافر فرأى أن الاتراك قد عزلوا المستعين وبايعوا المعتز وآل امر الاول الي التغريب بواسط فوكلوا به احمد بن طولون . فلما أراد المعتز قتل المستعين خوفا من عودته الي الخلافة امر احمد بن طولون وهو الموكل به ان يقتله فأبي فسير اليه المعتز من قتله فلما علم احمد بن طولون بذلك عظم لديه هذا الامر فجهزه ودفنه فرفعت هذه الحادثة من قدر احمد بن طولون في نظر الناس ولما تعين بك التركي والياً علي مصر أرسل احمد بن طولون اليها بالنيابة عنه

دخل ابن طولون مصر وكان علي خراجها احمد بن المدبر فتلقاه باحتفاء عظيم وأرسل اليه بهدية فلم يقبلها احمد بن طولون فتخوف ابن المدبر من ذلك وأخذ يسعى في حتفه . أما احمد فلم يبال به بل أخذ في تعزيز حصون مصر واستحكاماتها واعداد الجنود من أهلها فكتب الامير اماجور التركي والي الشام الي الخليفة يخونه من ابن طولون ويذكر له أنه قد صار له فيها دولة وكتب لمدبر الخوارج ابن المدبر بمثل ذلك ايضا . فأرسل اليه الخليفة بترك مصر والانتقال الي سامرا واستخلاف من شاء فهم بتلبية الامر ولكنه أدرك أنها حيلة لاصطياده فجهز احمد بن محمد الواسطي كاتب سره وأرسله بالنيابة عنه الى سامرا وزوده بالهدايا الفاخرة الي الوزير فلك لعوده وسعي له عند الخليفة حتى التي أمر السابق وأقره علي مصر كما كان وصرح له بنقل اسرته اليها

وفي سنة (٢٥٧) قتل بك التركي خلفه برقون التركي وهو حو احمد بن طولون فأقره علي مصر جميعها وأحال اليه جباية خراجها ايضا فصار هو المتصرف المطلق بها

وفي سنا (٢٦٢) أرسل الموفق الي احمد بن طولون يطلب منه حمل خراج مصر اليه مع انه كان من نصيب المفوض (لان الخليفة المعتمد قسم الاعمال بينهما فكانت مصر من نصيب المفوض) وفي الوقت نفسه أرسل الخليفة المعتمد الي ابن طولون يطلب حمل المال اليه ويحذره من الموفق فعزم ابن طولون علي تسليم المال الموفق فسلمه لتحرير خادمه واخذ ما كان معه من المكتب . فوجد فيها

مكتبا باسم بعض قواده يستميلهم اليه ويعدهم ويمنيهم فقبض عليهم احمد بن طولون وقتلهم

فلما وصل المال الي الموفق استقله فأرسل لاحمد بن طولون يوبخه فرد عليه أحمد جوابا غليظا . فلما وصل الجواب الى الموفق حنق حنقا عظيما وعزم علي غزله فمرض ولا ينهما علي كل جدير بها فأبوا لاحسان ابن طولون وأياديه لديهم فمرضها علي اماجور والي الشام فأباها بتاتا . فلما رأى ذلك أرسل قائده موسي بن بغا لاخراج احمد بن طولون من مصر باقوة فلما وصل الى الرقة اختلفت جنوده عليه لقلة المال فاضطر الرجوع

وفي سنة (٢٦١) توفي أماجور أمير الشام وتولي ابنه مكانه فطمع ابن طولون في ضمها الي ملكه فسار اليه فخضع له ابن اماجور بلا حرب فأقره عليها واتبعها بملكه . ولما ذهب احمد بن طولون الشام مرة ثانية لقمع فتنة ثارت بها عهد بأدارة البلاد لابنه عباس فأغراه بعض الناس بشق عصا الطاعة علي ابيه فلما علم أبوه بذلك وقصده خاف عباس فأخذ الاموال التي في خزائن مصر وسار الي برقة وأخذ يستميل اليه اهل المغرب فلم تصادف دعوته قبولا وأخذ احمد بن طولون يكاتبه ويلاطفه فلم يقبل وما زال منشرحاً في طرابلس الي سنة (٢٦٧) حتى ابعثه عصابة قوية فسار بها الي الاسكندرية فلقيه ابيه . فأرسل أبوه وزيره احمد الواسطي فحاربه وانتصر عليه وأمسكه حياً وجاء به الى والده في منتصف سنة (٢٦٨) فاعتقله وقتل كل من كان سبباً في غوايته

وفي سنة (٢٦٩) اضطر ابن طولون للذهاب الي الشام لقمع فتنة ثارت بها وأخذ معه ابنه عباسا واستخلف علي مصر ولده خمارويه وبينما هو يحارب بانطاكية أصيب بمرض عضال فحمل الي مصر علي المحوج فتوفي سنة (٢٧٠)

فقام بالامر بعده خمارويه ابن أحمد من سنة (٢٧٠ الي ٢٨٢) فلما بويع له أحضر أخاه وطلب ان يبايعه فأبي فأعاده الى معتقله ثم قتله بايماز الفائد أبي عبد الله ثم خاف ابو عبد الله هذا من امكان تقدم خمارويه علي ما فعل فيعود الى الانتقام منه فكاتب الموفق وأخذ يصف بذخ خمارويه وبطشه في أخذ الشام من يده

لما توفي احمد بن طولون طلب اسحق بن كنداج عامل الجزيرة وابن ابي الساج عامل الكوفة من الموفق ان يأذن لهما في استخلاص الشام من يد خمارويه فأذن لهما فسارا اليها وفتحاها فأغضب ذلك خمارويه فسار في جيشه وجعل القيادة السعيد قائده فبلغ المعتضد ذلك فسار من دمشق نحو الرملة فاتاه خبر خمارويه وكثرة من معه من الجنود فهم بالعود فلم يمكنه اصحاب خمارويه فدارت رحى الحرب وحملت ميسرة المعتضد على ميمنة خمارويه فهزمت فارتاع لذلك خمارويه وكان حدثا لا عهد له بالقتال فعمد الى الحرب هو ومن معه من الاحداث ونزل المعتضد خيام خمارويه وهو لا يشك في النصر فخرج اليه سعيد القائد ببقية الجيش فتوهم المعتضد أن خمارويه قد عاد فحدثت موقعة عظيمة قتل فيها من جنود بغداد عدد لا يحصى وبعد الوقعة تفقد سعيد خمارويه فلم يجده ثم علم انه هرب الى مصر وكان معه اخوه أبو العشائر فأقامه العسكر مقام أخيه فوزع بينهم الغنائم. فلما بلغ خبر هذا النصر خمارويه خجل من هربه ولكنه فرح بما حدث على يد قائده ووزع الاموال والصدقات واحتفل بهذا الحادث احتفالا عظيما

وفي سنة (٢٧٥) خلع ابن أبي الساج عامل الجزيرة طاعة خمارويه فسار اليه وقاتله وهزمه وولي مكانه اسحق بن كنداج

وفي سنة (٢٧٩) توفي الخليفة المعتمد وتولى المعتضد فأرسل خمارويه يتحبب اليه وأرسل له هدايا فاخرة وعرض عليه أن يزوج ابنته قطر الندى لابن الخليفة علي . فقبل الخليفة ان يكون الزواج له هو وحصل الزفاف على احسن ما يكون سنة (٢٨٢) وفي هذه السنة قتل خمارويه قتله خدمه خوفا من تحقيق كان شرع فيه لما بلغه وجود علاقات غرامية بين بعض نسائه وبعض قواده

ثم تولى بعده جيش بن خمارويه من سنة (٢٨٢ الى ٢٨٣) هـ وكان يلقب بأبي العساكر فلم يلبث ان نازعه الجنود طالبين خلعه وتولية عمه فلاطفهم كاتبه علي بن احمد حتى رجعوا فقتل جيش عمين له وثار الجند عليه فرمى اليهم بالرأسين فهاجوا وماجوا واقتحموا قصره وقتلوه شر قتلة وكانت ولايته تسعة أشهر

تولى بعده هرون بن خمارويه من سنة (٢٨٣ الى ٢٩٢) فأخذ الناس يثورون عليه بايعاز طغج بن جف حاكم الشام التابع له

وفي سنة (٢٨٥) قصد المعتضد بالله استرجاع بلاد الشام من هرون فارتاع لهذا الخبر وصالحه على أن يتنازل له من قنسرين والعواصم كلها بلا حرب فقبل الخليفة المعتضد ذلك

وفي سنة (٢٩٢) أرسل الخليفة المكتفي بالله قائده محمد بن سليمان بالجيوش لاستخلاص مصر من يد هرون ابن خمارويه فافتتحها وبلغ الفسطاط ووقع القتال في جيوش هرون فقاتل بعضهم بعضاً فلما اشتد بينهم القتال سار هرون بنفسه لاطفاء الثائرة فأصيب بطعنة من أحد المقاتلة فسقط ميتاً في ١٨ صفر سنة (٢٩٢)

تولى بعده شيبان بن احمد بن طولون وهو عم هرون فلم يهنأ بالحكم لان لامة أبت قبوله ملكا عليها وخابرت محمد بن سليمان قائد الخليفة المكتفي أن يعطيهم الامان فأمنهم وملك الفسطاط واعتقل بني طولون وشردهم في البلاد

وعادت مصر كما كانت تابعة للخلافة العباسية

فتولى مصر عيسى النوشري من قبل الخليفة المكتفي من سنة (٢٩٢) الى (٢٩٥)

ثم خانه محمد بن الخليج فلم يلبث الا قليلا حتى اقتضت الاحوال اعادة النوشري اليها فتولاها حتى مات سنة (٢٩٧)

فولاها المقتدر تكين الخزري أبا منصور فبقي فيها الى سنة (٣٠٢)

فتولاها زكاء الرومي أبو حسن الاعور وبقي فيها خمس سنوات الى سنة (٣٠٧)

فأعيد تكين ثانية فبقي فيها الى أن توفي سنة (٣٢١) وكان له ولد يدعى محمداً فاستولى على الحكومة بدون اذن أمير المؤمنين . فأراد هذا أن يعاقبه على جرأته فولي على مصر محمد بن طغج الاخشيد وكان هذا حاكما في دمشق وأصله من أولاد ملوك فرغانة كان المعتصم بن هرون الرشيد قد استقدم من فرغانة جماعة وصفوا له بالشجاعة والتقدم في الحروب فبالغ في اكرامهم وأقطعهم قطائع في مدينة سر من رأى . وكان من هؤلاء

جف جد محمد بن طغج فأقام بمصر من رأى ثم توفي في بغداد سنة (٢٤١) وخرج أولاده الي البلاد في طلب المعاش واتصل طغج بن جف بأوزجور غلام ابن طولون فاستخدم في حكومة مصر ثم انحاز طغج الى أصحاب اسحق بن كنداجيق فأعجب به وأخذه من اسحق وقسمه علي جميع من معه وولاه دمشق ولم يزل كذلك حتى قتل خمارويه فسار طغج الي الخليفة المكتفي بالله فخلع عليه وكان وزير الخليفة يومئذ العباس بن الحسن فلم ينزاف اليه طغج فأغرى به الخليفة المكتفي فقبض عليه وحبسه وابنه أبا بكر . توفي طغج بالسجن وبقي ابنه محبوساً مدة ثم أطلق وخلع عليه ولم يزل بالعباس بن الحسن الوزير حتى أخذ بثأر أبيه منه وهرب الي الشام وأقام متغربا بالبادية سنة

ثم اتصل بأبي منصور تكين الخزري ولم يزل بصحبته الي سنة (٣١٦) ثم فارقه وسار لي الرملة فوردت كتب المقتدر اليه بولاية الرملة فأقام بها الي سنة (٣١٨) فوردت كتب المقتدر اليه بولاية دمشق فسار اليها ولم يزل بها الي أن ولاه القاهر بالله ولاية مصر في رمضان سنة (٣٢١) لكنه لم يذهب الي مصر لان الخليفة جعل بدله احمد بن كيغلغ بعد توليه بشهر

وفي سنة (٣٢٢) عزل الخليفة القاهر بالله وتولاها الراضي بالله فعزل ابن كيغلغ عن مصر وولى مكانه محمد بن طغج فقدم لتسلم الولاية فامتنع ابن كيغلغ عن تسليمه فقاتله محمد بن طغج وانتصر عليه وهرب احمد بن كيغلغ بمن معه من ذويه وخلق بيرقة ثم سار منها الى القيروان والتجأ الي ابي القاسم القائم بأمر الله الخليفة الفاطمي وحرضه علي المسير الي مصر فجهز الفاطمي جيشاً عرمرماً لفتحها فبلغ ذلك واليها محمد بن طغج فحصن الحدود الغربية لمصر وجعل فيها حامية قوية ولكن جيوش القائم بأمر الله الفاطمي وصلت الى تلك الحدود وانتصرت على حامينها واستولت علي الاسكندرية وتقدمت الي الفسطاط واحتلت قسما كبيراً من الصعيد ثم رأى القائم بأمر الله ان جنوده ربما لايقوون علي فتح العاصمة فأجل ذلك الي وقت آخر منتظراً قرب انحلال الخلافة العباسية

وفي الواقع كانت الخلافة العباسية

قد بطلت سطوتها ، وذهبت قوتها فطمع أصحاب الولايات كل في ولايته وكان من بينهم محمد بن طغج طمع في مصر فأعلن استقلاله سنة (٣٢٤) فاضطر الخليفة الي تثبيته لعجزه عن مقاومته وأضاف اليه سورية

وفي سنة (٣٢٧) أنعم عليه بلقب الاخشيد وكان ذلك لقب ملوك فرغانة وهو من أولاده ومعنى هذه اللفظة ملك الملوك

وفي سنة (٣٢٨) قلد الراضي بالله بن رائق أمير الامراء ببغداد أعمال حران والرها وما جاورهما وجند قنسرين والعواصم فسار اليها وطمعت عينه الي ملك الشام وكان عليها بدر بن عبد الله عاملا من قبل الاخشيد . فحاربه وهرب بدر الي مصر ثم تقدم ابن رائق قاصداً مصر حتى اذا بلغ العريش لقيه جنود الاخشيد فانتصرت عليه انتصاراً باهراً ولم يكد يرجع الا في قليل من أصحابه فأراد محمد بن طغج أن يتمم انتصاره علي خصمه فأرسل خلفه أخاه أبا نصر بن جف ليتعقبه فلبث له ابن رائق في دمشق وهزمه شر هزيمة وقتله ثم حدث بين الزعيمين صلح بأن تكون لاحدهما مصر والآخر سورية وذلك سنة (٣٢٩)

وفي سنة (٣٣٠) اتصل بطغج بن جف الاخشيد ان محمد بن رائق قتل فانتهز هذه الفرصة لاسترداد الشام فسار اليها واستولي علي دمشق وما جاورها

وفي سنة (٣٣٣) أغار سيف الدولة ابن حمدان علي حلب وملكها وتقدم الى حمص فأرسل اليه الاخشيد جيشاً تحت قيادة قائده كافور فانتصر عليه سيف الدولة وملك حمص وحاصر دمشق فامتنع عليه أهلها وكان الاخشيد قد خرج من مصر الي الشام لمقاتلة سيف الدولة فالتقي الجمعان في قنسرين فحصلت بينهما معارك شديدة فلم ينهزم واحد منهما فقفل سيف الدولة راجعاً الي الجزيرة والاخشيد الي دمشق . ثم عاد سيف الدولة الي حلب وملكها

وفي سنة (٣٣٤) توفي الاخشيد محمد ابن طغج في دمشق وسنه ٦٠ سنة فكانت مدة حكمه ١١ سنة و ٣ أشهر ويومين ودفن بالقدس الشريف

تولي بعده ابنه أبو القاسم انوجور وكان صغيراً فقام كافور قائد الاخشيد

وكان اسود خصيا يتدبير الدولة . وعلم سيف الدولة بموت الاخشيد فاغتنم هذه الفرصة وقدم دمشق واستولى عليها فلما بلغ ذلك كافور أسرع الى سيف الدولة بجيش عظيم فلقي سيف الدولة بالرملة قادماً من دمشق فالتحم الجيشان وبعد معارك دموية انهزم سيف الدولة لي الرقة واسترد كافور منه دمشق

وفي سنة (٣٤٩) توفي انوجور محمد الاخشيد بعد ان حكم ١٤ سنة وعشرة أيام كان الحاكم فيها في الحقيقة وزيره كافور

تولى بعده اخوه علي الملقب أبي الحسن الاخشيد وقام كافور بتدبير الدولة في أيامه كما كان في أيام أخيه

ثم توفي علي بن الاخشيد سنة (٣٥٥) بعد أن حكم خمس سنوات وشهرين ويومين

فاستقل كافور بمصر وكتب له أمير المؤمنين المطيع بعهده علي مصر والشام والحرمين وكناه العالي بالله . فلم يقبل كافور الكنية ولقب نفسه الاخشيدي واستوزر ابا الفضل جعفر بن الفرات . كان كافور جواداً ممدوحا صبوسا كثير الخشية لله والخوف منه . وكان يداري المعز لدين الله الخليفة الفاطمي بالمغرب ويهاديه

ثم توفي كافور سنة (٣٥٧) بعد أن حكم سنتين وأربعة أشهر

فقام بالامر بعده احمد ابو الفوارس ابن علي بن محمد الاخشيد وكان سنه ١١ سنة فقام بتدبير أمره الحسن بن عمه عبدالله بن طغج . وكانت الدولة الفاطمية التي أقامت بالمغرب تتحين الفرص للسقوط علي مصر فلما ضعف أمر هذه الدولة رأى المعز لدين الله الخليفة الفاطمي ان الفرصة سانحة لضرب ضربة قاضية يحتاز بها مصر . أرسل اليه جيشاً كثيفاً تحت قيادة قائده جوهر الصقلي فاستولي عليها سنة (٣٥٩) وما زال يقاتل الاخشيدية حتى أجلاهم عن مصر سنة (٣٦٢) وزال حكم الدولة الاخشيدية وتلتها الدولة الفاطمية

فاختط جوهر القاهرة ليجعلها مقر الخلافة الفاطمية وبنى الجامع الازهر وحضر المعز لدين الله الي القاهرة سنة (٣٦١) واتخذها عاصمة ملكه

ولما توفي سنة (٣٦٥) كما تقدم خلفه

ابنه العزيز الي سنة (٣٨٦) وكان أهل مكة خطبوا للمعز ابيه فلما مات امتنعوا عن الخطبة له فبعث جيوشه الى الحجاز فحاصرت مكة والمدينة وضيقت عليهما حتى خضعتا

وفي سنة (٣٨٦) خلفه ابنه الحاكم بأمر الله بن العزيز فأصيب كما يقال بمرض في عقله وأتي من الاعمال الجنونية بما لم يرو مثله التاريخ وظهر مذهب الدراوية فجاهر باتباعه فاحتقره الناس وكرهوه من افعاله الغريبة المخالفة للاصول الاسلامية كاضطهاده اليهود والنصارى والزامهم بحمل علامة تميزهم عن المسلمين وذلك بأن يحمل اليهود اذا دخل الحمام جرساً والنصراني صليبا من الخشب طوله ذراع في مثله ووزنه خمسة ارطال وان يكون مكشوفا ليراه الناس ومنعهم من ركوب الخيل وأباح لهم ركوب البغال والحمير علي سروج من الخشب والسيور السود وان لا يستخدموا مسلما وان لا يشتروا عبداً ولا امة فأسلم منهم عدد عديد هربا من هذه البدع

ثم امر مرة بترك صلاة التراويح وقتل كل من جاهر بها ثم عاد فأباحها ثم أمر بهدم كنيسة القيامة ثم عاد فأمر ببنائها علي نفقته الخاصة وفتح عدة مدارس ورتب فيها العلماء ثم قتلهم واخربها وأمر الناس باغلاق محلات تجاراتهم نهاراً وفتحها ليلا ثم ابطل هذا الامر وأمر النساء بعدم الخروج من بيوتهن وامر بعدم أكل الملوخية . ثم ادعي الالوهية وفتح له سجلا يكتب فيه الذي يؤمن به اسمه فكان عدد من كتبوا اسماءهم سبعة عشر الفا

وفي سنة (٤١١) خرج يطوف ليلا في جبل المقطم كعادته فلم يعد فخرج أهل الدولة للبحث عنه فوجدوا حماره مقطوع الايدي ثم وجدوا ثيابه ممزقة ومطعونة عدة طعنات بالسكاكين فأيقنوا بقتله قبل ان اخته ست الملك اوعزت الى أحد قواده ابن دواس بقتله فأرسل رجلين فقتلاه ثم امرت رجالها بقتل ذلك القائد فقتلوه

ولكن أصحابه الذين كانوا يتابعونه في مذهبه انكروا ولا يزالون ينكرون موته ويقولون انه اختفي في بستانه داخل سرداب وانه سوف يخرج في آخر الزمان وفي وادي التيم وجبل لبنان وغيرهما من بلاد الشام قوم يقال لهم الدروز لا يزالون

يعتقدون خروجه في آخر الزمان ليملأ الارض عدلا بعد ان ملئت ظلما (انظر دروز)

ثم تولي ابنه الظاهر لاعزاز دين الله من سنة (٤١١) الى (٤٢٧)وكان سنه لا يجاوز السبع سنين فقامت عمته ست الملك بتدبير المملكة الي ان توفيت بعد اربع سنين وكان يخطب باسمه في مصر والشام وافريقية وكان حسن السيرة عادلا الا أنه كان منهمكا علي اللذات

خلفه ابنه المستنصر بالله من سنة (٤٢٧) الى (٤٨٧)

في سنة (٤٣٤) ظهر بمصر رجل كان يشبه الحاكم بأمر الله فادعي انه هو فتبعه خلق كثير ممن يعتقدون رجوعه فقاتلهم رجال المستنصر حتى ابادوهم

وفي سنة (٤٤٤)عمل محضر ببغداد يتضمن القدح في نسب الفاطميين وانهم كاذبون في دعواهم الانتساب الي علي عليه السلام . ولكن هذا لم يمنع علي بن محمد من اقامة الخطبة للمستنصر بتلك البلاد

وكانت والدة المستنصر قد استولت علي السلطة بمصر فضعف امر الدولة واقسم جيشها الذي كان يتألف من العبيد والترك الي حزبين فتجمع الأتراك تحت قيادة ناصر الدولة بن حمدان وقاتلوا العبيد قتالا عنيفا وهزموهم واستولوا علي الحكم وقبض علي والدة المستنصر وعزم علي قطع الخطبة له والدعوة للعباسيين فعلم القائد التركي الدكز بقصده فقتله سنة (٤٦٥) وبقي الامر مضطربا بمصر الي سنة (٤٦٧) فاضطر المستنصر لاستدعاء بدر الجمالي وكان متوليا سواحل الشام وطلب اليه ارغام المشاغبين علي الطاعة فقتل الدكز والوزير ابن كنيدة وغيرهما فعادت مصر الي احسن ما كانت عليه من الخفض والنماء وبقيت مصر بعد ذلك عشرين سنة لم يحدث فيها ما يوجب الذكر

وفي سنة (٤٧٧) توفي قائد الجيوش بمصر بدر الجمالي وتولى الوزارة بعده ابنه شاهين شاه ولقب بالافضل

ثم توفي المستنصر سنة (٤٨٧) وكان مدة خلافته ستين سنة

خلفه ابنه المستعلي بالله وكان المستنصر قد عهد بالخلافة من بعده لابنه نزار فخلعه الافضل وبايع ابنه الثاني احمد ولقبه

بالمستعلي فهرب نزار الي الاسكندرية وتبعه أهلها وخطبوا له ولعنوا الافضل وصار الافضل اليهم بالاسكندرية فهزموه ثم أعاد الكرة وتغلب عليهم وأخذ المستعلي أخاه وبقي عليه حائطا فات علي أشنع حالة . وتوفي المستعلي سنة (٤٩٥)

خلفه ابنه الآمر بأحكام الله وكان عمره لا يجاوز الست سنين فقام بتدبير الملك أمير الجيوش الافضل وفي عهده خرجت الشام من حكمهم الى الصليبيين بعد حروب كثيرة ولم يبق لهم فيها الا عسقلان

وفي سنة (٥١١) خرج بدوان ملك الصليبيين لفتح مصر فبلغ تنيس فأدركه مرض فعاد بعسكره الي أورشليم وعكف الافضل علي اصلاح البلاد وأقام مرصداً بجوار المقطم ، فلما تغلغلت وطأته علي الآمر بأحكام الله أمر بقتله فقتل سنة (٥١٥) فولى بدله عبد الله بن البطايحي ولقبه المأمون فصار أشد عليه من الافضل فقتله سنة (٥١٩) وصلبه

كان الآمر بأحكام الله سيء السيرة مولعاً بالهو لا يسمع بامرأة جميلة الا أحضرها وفي سنة (٥٢٤) خرج الي متنزه له فكمن له عشرة من الباطنية فقتلوه وعمره أربع وثلاثون سنة

وكان له شعر منه قوله :

أصبحت لا أرجو ولا أتقي
سوى الهي وله الفضل
جدي نبي وأمامي أبي
ومذهبي التوحيد والعدل

تولي بعده الحافظ لدين الله من سنة (٥٢٤) الي (٥٤٩) وكان كثير اللهو واللعب وكان نصير بن عباس الوزير من أخص ندمانه فتقول الناس في علاقتهما أقوالا كثيرة ، فاستدعي الوزير عباس ابنه نصيراً وأطاعه علي ما يقوله الناس وأغراه بقتل الحافظ ليجعو منه ما يتحدث به الناس فقتله سنة (٥٤٩) ولأجل أن يخفي الوزير جريمته مزق قتله لأخوي الظافر جبريل و يوسف وقتلهما ظلما

ثم أتي بابن الحافظ وهو أبو القاسم عيسي ولم يكن له الا خمس سنين وأجلسه علي سرير الملك وبايعه الناس بالخلافة ولقب الفائز بالله

فانفرد الوزير عباس بادارة الملك فلم يرق ذلك في أعين نساء القصر فكتبن الى طلايع بن زريك وكان والياً علي منية

خصيب وأعمالها (مدبرية المنيا) وأرسلن اليه بشورهن على الكتاب يستنئن به من عباس ومظالمه ويطلبن اليه القدوم الى القاهرة ليسلمن الامور اليه فسار طلايع بن زريك في جنوده قاصداً القاهرة فهرب الوزير العباس بأمواله وأهله الى الشام فلقيه الافرنج فقتلوه وغنموا مامعه

أما زريك فتولى الوزارة في القاهرة وتلقب بالملك الصالح

وفي سنة (٥٥٥) توفي الخليفة الفائز بالله وكانت البلاد قد وصلت في أيامه الى منتهى الضعف حتى انها كانت تدفع للصليبيين شبه جزية ليمتنعوا من غزو مصر

ثم ان الوزير طلايع بن زريك هم باختيار أحد كبار الفاطميين الخلافة فتاه أصحابه قائلين لا يكن عباس أحزم منك اذ كان يولي الصغار ليخلو له الجو ، فاختار طلايع أبا محمد عبد الله بن يوسف ابن الحافظ وهو حينئذ غلام ولقبه العاضد لدين الله وزوجه ابنته . واستبد الوزير بالأمر وشتت شمل الاعيان في البلاد ليأمن شرهم فأغاظ ذلك كبار رجال الدولة وسواهم وكان من الناقمين عليه عما العاضد فأغرت به بعض الرجال فوقفوا في دهليز القصر وأخذوا يطعنونه بالسكاكين حتى جرحوه جراحا بالغة فحمل الي قصره وأرسل الي العاضد يعاتبه على ما حدث ويلقي عليه تبعته مع ما له من اليد في توليته الخلافة . فأرسل اليه العاضد يؤكد له بأنه لم يكن الآمر بما حصل وليس له به علم وأظهر له شديد الاسف على ما كان. فأرسل اليه الوزير يقول ان كنت بريئاً مما جرى فأرسل الي عمك لاتقدم منها . فأرسلها اليه فقتلها ثم مات هو أيضاً بعد أيام وذلك سنة (٥٦٦) وكان شجاعا جواداً كريماً فاضلا ، شديد المقالاة في التشيع صنف كتابا سماه الاعتماد في الرد على أهل العناد وهو يتضمن امامة علي ابن أبي طالب والكلام على الاحاديث الواردة في ذلك

وله شعر كثير منه قوله يؤيد مذهبه :

يا أمة ضلت ضلالا بينا
حتى استوى اقرارها وجحودها
ملتم الي ان المدامي لم يكن
الا بتقدير الاله وجودها

لو صح ذا كان الاله بزعمكم
منع الشريعة أن تقام حدودها
حاشا وكلا أن يكون الهنا
ينهي عن الفحشاء ثم يريدها

مات الوزير طلايع بن زريك الملقب بالملك الصالح فعهد بالوزارة من بعده لابنه زريك وتلقب بالملك العادل

وكان الملك الصالح قد عين أحد رجاله واسمه شاور أعمال الصعيد فأحسن السيرة وأخذ بالحزم في الامور حتى اجتمعت القلوب على حبه فلما رأى الملك الصالح ذلك عزم على عزله ولكنه خاف من عاقبة الاقدام على هذا الامر فتركه على عمله . فلما تولي الوزارة ابنه الملك العادل أغراه بعضهم بعزله فعزله فلما وصل اليه الرسول يكتابه قبض عليه وسار بجنوده الي القاهرة فهرب الملك العادل ولكن تمكن شاور من القبض عليه وقتله سنة (٨٠٥)

ودخل شاور القاهرة فاستوزره الخليفة العاضد ولقبه بأمير الجيوش

وكان صاحب الباب شخص يقال له ضرغام طمع في الوزارة ونازع شاور فيها وساعده بعض مريديه فثار على خصمه في شهر رمضان من السنة المذكورة واضطره لترك القاهرة والهرب الي الشام ملتجئاً الي السلطان نور الدين محمود بن زنكي. واستوزر العاضد ضرغاما ولقبه الملك المنصور

أما شاور فانه أخذ يحسن السلطان نور الدين فتح مصر ويكشف له عن وجوه ضعفها ، ولكن السلطان كان يخشي بأس الافرنج في طريقه الي تلك البلاد فيقدم رجلا ويؤخر أخرى . وما زال به شاور حتى رضي بأن يرسل الي مصر جيشاً تحت قيادة قائده أسد الدين شيركوه. وكان مع هذا القائد يوسف بن أخيه نجم الدين (هو يوسف صلاح الدين رأس الدولة الايوبية) ولكنه كان صغير السن فسار هذا الجيش حتى وصل الى مدينة بلبيس. فلما علم الوزير ضرغام بقدوم جيش الشام أرسل أخاه ناصر الدين بالجيوش المصرية فانهزم وعاد الي القاهرة واستمد أسد الدين شيركوه في زحفه حتى بلغ القاهرة فخرج الوزير ضرغام من باب زويلة هاربا فتبعه الناس بالسب والشتم حتى قرب من مسجد السيدة نفيسة فأمسكوه هناك واجتزوا رأسه وبعوه عادت الوزارة الي

شاور. وأقام أسد الدين شيركوه بمعسكره خارج القاهرة

فلما استتب الامر لشاور لم يف بوعده للسلطان نور الدين وأرسل يطلب الي شيركوه العودة الي الشام فامتنع من اجابة طلبه وأخذ يذكره بايمانه لنور الدين فلم يؤثر ذلك فيه . فلما رأى شيركوه هذه الخيانة زحف علي مدينة الشرقية فامتلكها كلها . وعمد شاور الي الاتحاد مع الافرنج علي دفعه عن مصر فلبى الافرنج هذه الدعوة بكل ارتياح لتحقيق مطامعهم القديمة في امتلاك مصر وحاصر الجيش شيركوه فلم يستطيعوا أن ينالوا منه شيئاً وكان السلطان نور الدين في هذه الاثناء يقاتل الافرنج بالشام وينتصر عليهم فاضطر الافرنج المقاتلون بمصر أن يرجعوا عن شيركوه ويتركه هو أيضاً مصر ويرجع لمولاه فوجده منتصراً علي الافرنج فانضم اليه وافتتح معه عدة حصون

ثم أن شيركوه أخذ يحث السلطان نور الدين علي فتح مصر وما زال به حتى عينه لذلك سنة (٥٦٢) فعلم شاور بقدومه استمد الافرنج فأمدوه أما شيركوه فما زال ينتصر علي كل من يقف في وجهه حتى وصل الي اطفيح ومنها عبر النيل الي البر الغربي واستولى علي الجيزة وكثير من بلاد الصعيد

ولما وصلت امداد الافرنج الي مصر اتحدت مع جنود شاور وقصدوا جميعاً الجيزة فعاد شيركوه من الصعيد ولقيهم جميعاً وهزمهم ثم تقدم الي مصر السفلي منتصراً حتى بلغ الاسكندرية وملكها وولاها يوسف صلاح الدين

ولكن الافرنج جاؤا بامداد كثيرة وقطعوا عليه خط الرجعة فاضطر شيركوه لمصالحتهم فسلم البلاد الى شاور وعاد الي الشام

فازدادت مطامع الافرنج بمصر فطلبوا من شاور أن يكون لهم قنصل بمصر وأن تكون مفاتيح أبواب القاهرة بأيديهم وأن يحمل اليهم جزية سنوية فقبل شاور ذلك ولكن الافرنج كانوا قد استقدموا جيشاً جراراً لامتلاك مصر نهائياً . فقدم ذلك الجيش ودخل مدينة الشرقية وحاصر بلبيس وافتتحها وذبح جميع من فيها . وعزم جيش الافرنج علي التقدم لفتح القاهرة . فكتب شاور يستنجد بالسلطان نور الدين فأنجده بشيركوه فجاء

مصر ثالث مرة

ولكن شاور خاف من قدوم شيركوه فاتحد مع الافرنج علي ان ينسحبوا في مقابل دفع مليون جنيه فانسحبوا فقابلهم شيركوه وهو قادم من الشام في بلبيس فقاتلهم حتى شردهم ودخل القاهرة وقابل الخليفة العاضد فأمر اليه قتل شاور. فأمر شيركوه ابن اخيه صلاح الدين يوسف وعز الدين جرديك بقتل شاور فترصداه بطريق الامام الشافعي فقتلاه. فولى العاضد الوزارة لشيركوه ولقبه بالملك المنصور

لم يمكث شيركوه يتم هذه الاعمال حتى توفي سنة (٥٦٤) فولي العاضد الوزارة لابن اخيه يوسف صلاح الدين ولقبه بالملك الناصر فاتت الجيوش الشامية اعتباره وزيراً لصغر سنه فأرضاهم بالعطايا الجزيلة

ثم ظهر لصلاح الدين خصم اسمه مؤتمن الخلافة جوهر النحسي حدثته نفسه بخلع صلاح الدين فاتفق من جماعة من الاعيان والجنود المصرية وأرسلوا للافرنج يستقدمونهم وجعلوا الكتب في نعل حتى لا تضبط بالطريق وسار الرسول حتى وصل الي قرب بلبيس فاشتبه في امره . احد رجال صلاح الدين ففتشه فلم يجد معه غير ذلك النعل الجديد فشقه فوجد فيه تلك الكتب فأرسلها هي والرسول الي صلاح الدين فعلم من مقابلة خطوطها بمن كتبها ووقف علي جلية الامر فأفضي عن مؤتمن الخلافة مدة ثم أرصد له من قتله

وكان ممن ساعد مؤتمن الدولة كثير من زعماء الشيعة منهم العويرس وقاضي القضاة وعمارة اليمني الشاعر الزبيدي وكان متولي كبرها (أي انه كان اكبر زعماء هذه الفتنة) فاراد صلاح الدين ان يفتك بهم ولكنه ترقب الفرص الي ان اتاه أخوه طوران شاه وحكي له ان عمارة مدحه بقصيدة يغريه فيها بالمضي الي اليمن ويحمله علي الاستبداد به وعرض في تلك القصيدة بالمقام النبوي تعريضا يؤاخذ عليه وهو قوله:

فاخلق لنفسك ملكا لا انضاف به
الي سواك وأور النار في العلم
هذا ابن تومرت قد كانت ولايته
كما يقول الورى لحما علي وضم
وكان أول هذا الدين من رجل
سعي الي ان دعوه سيد الامم

فجمعهم صلاح الدين وشنقهم في يوم واحد واستمل صلاح الدين علي القصر

خصيا له أبيض يقال له قراقوش

غضبت الجنود المصرية واكثرهم من السودان لقتل مؤتمن الدولة الخصي واجتمعوا خمسين الفا وقاتلوا جنود صلاح الدين بين القصرين وكادوا ينتصرون عليهم لولا شجاعة طوران شاه اخي صلاح الدين فانهزموا شر هزيمة ثم طلبوا الامان

ولما استتب الامر لصلاح الدين كتب اليه السلطان نور الدين يقطع الخطبة للفاطميين وجعلها باسم العباسيين فكتب اليه صلاح الدين يرجوه ارجاء هذا الامر الى حين . فكتب اليه نور الدين يوجوب الاسراع في ذلك فلم تسمه مخالفته وكان قد قدم الى مصر عالم فارسي اسمه الامير العالم الخبشاني فلما رأى أحجامهم وعدم تجاسرهم خوفا من الفتنة قال لهم انا ابتدىء بقطعها واخطب للمستضيء العباسي . فلما كانت الجمعة الاولى من المحرم سنة (٥٦٧) صعد المنبر قبل الخطيب ودعا للخليفة المستضيء فلم ينكر عليه أحد فأمر صلاح الدين في الجمعة الثانية جميع الخطباء أن يخطبوا باسم الخليفة العباسي . وكان الخليفة الفاطمي مريضا فلم يعلم بما حصل أحد وبقي جاهلا هذا الامر الى ان توفي في تلك السنة وبه انقرضت الدولة الفاطمية سنة (٥٦٤) .

لما توفي الخليفة الفاطمي العاضد استولى صلاح الدين على قصره وصادر جميع مابه من الذخائر والاعلاق وأرسل نور الدين يبشر الخليفة العباسي بما حصل فأرسل الى نور الدين سيفين علامة الملك على الشام ومصر وأرسل الى صلاح الدين خلعة ومعها الشعار العباسي الاسود فصارت مصر من ذلك الوقت تحت سلطة نور الدين محمود بن زنكي وصلاح الدين نائب عنه فيها

وكان في مصر أحزاب الفاطميين فلم يقووا على احداث أى شغب لتغيير الحكم الجديد

وأحس نور الدين ان صلاح الدين يريد استخلاص مصر لنفسه والاستقلال بها فأمر بالشخوص الى الكرك لينجده على الفرنج فأظهر صلاح الدين الامتثال ثم عاد فجأة موهما انه حدث ما يقتضي عودته وبانه أن نور الدين يقصد اخراجه من مصر بالقوة او القبض عليه فيها فجمع أهل بيته وخاصته وقال لهم: « بلغنا ان نور الدين يقصدنا فما الرأى ؟ » فقال

عمر بن أخيه . « فقال وقصده » فأنكر عليه أبوه هذا القول وقال له . « أنا أبوكم ولو رأيت نور الدين انزلت وقبلت الارض بين يديه والرأى عندى أن نكتب الى نور الدين كتابا نقول فيه بلغنى انك تريد الحركة الى هذه البلاد فأى حاجة الى هذا يرسل الولي نجابا يضم في رقبتى منديلا و يأخذني اليك وما هنا من يمنع

ثم أخذ صلاح الدين ابنه في خلوة وقال له « لو قصدنا نور الدين أنا كنت أول من يمنعه ولكن اذا أظهرنا له الطاعة نمادى الوقت بما يحصل به الكفاية عند الله » فاتبع الولد نصيحة أبيه وكسر من حدته

فلما وصل كتاب صلاح الدين الى نور الدين سكن من غضبه وهدأ من غيظه وترك قصد مصر واهتم بالصليبيين كما كان

ولكن صلاح الدين كان لا يزال متخوفا من بطش نور الدين فاتفق مع أولاده وأهل دولته على الحصول على ممالك اخرى حتى اذا تمكن نور الدين من طردهم من مصر التجأوا اليها. فاستولوا على اليمن لهذا القصد

ثم عاد الجفاء بين نور الدين وصلاح الدين حتى عزم نور الدين نهائيا على فتح مصر ومعاقبة صلاح الدين فأدركه الموت قبل أن ينفذ عزمه سنة (٥٦٩)

قام بعد نور الدين ابنه الملك الصالح وعمره احدى عشرة سنة فأظهر صلاح الدين الطاعة له. ولكن قواده اختلفوا عليه لصغر سنه وذهب كل منهم بما في يده . واتفق أن شمس الدين بن الداية والي حلب أرسل يستدعي الملك الصالح اليه ليقيم بحلب فابى الدعوة وأخذ معه كشتكين فعظم أمره (أمر كشتكين) وقبض على شمس الدين وغيره وحبسهم وامتنع بالامر فأتاه ابن المقدم الذى كان واليا على دمشق فاتفق مع غيره من الولاة وكاتبوا صلاح الدين ليتسلم الملك فسار اليهم صلاح الدين فاستقبلوه أحسن استقبال ونزل بدار أبيه ولكن القلعة أظهرت عليه العصيان فسلمها بالمال .

ثم ترك صلاح الدين دمشق بعد أن استخلف عليها أخاه سيف الاسلام طغتكين وسار الى حمص فملكها ثم حماة فأخضعها ، ثم قصد حلبا سنة (٥٧٠) وبها الملك الصالح بن نور الدين فجمع

وعينه من اهل حلب وقال لهم : « قد عرفتم احسان ابي اليكم ومحبته لكم وسيرته فيكم وانا يتيمكم وقد جاء هذا الظالم الجاحد احسان والدى اليه يأخذ بلدى ولا يراقب الله ولا الخلق » وزاد على هذا كثيراً و بكي فبكي الحاضرون وعاهدوه على مكافحة صلاح الدين فكانوا يخرجون ويقاتلونه عند جبل جوشن ولا يستطيع القرب من المدينة

ثم ان الملك الصالح كاتب ابن عمه سيف الدين غازى صاحب الموصل يستنجده على صلاح الدين وكان صلاح الدين طلب حصار حلب وقصد حمص لرد الفرنج عنها ثم سار الي بعلبك فملكها . فلبى سيف الدين غازى دعوة ابن عمه الملك الصالح وأمده بجيش تحت قيادة اخيه عز الدين مسعود بن مودود ابن زنكي فوصل هذا الجيش الي حلب وانضم اليه جنود الملك الصالح وقصدوا صلاح الدين فأرسل هو يبذل للملك الصالح حمص وحماة على ان تبقي له دمشق ويكون فيها نائبا عن الملك الصالح فلم يجيبوه الي ماطلب وساروا الي قتاله فقابلهم عند قرون حماة فكسرهم وغنم اموالهم وتعقبهم حتي حصرهم في حلب

فقطع صلاح الدين الخطبة باسم الملك الصالح بن نور الدين وأزال اسمه عن السكة واستبد بالسلطة فطلب اليه الملك الصالح ان يصالحه عن ان يكون له مابيده من الشام ويترك مابقي له فصالحه على ذلك ورحل عن حلب. ولما وصل الي حماة وصلت اليه بها خلع الخليفة مع رسوله

وفي سنة (٥٧١) حاصر حلباً ثم طلب اليه أهلها الصلح فصالحهم وترك الملك الصالح قلعة عزاز وسبب ذلك ان الملك الصالح أخرج الي صلاح الدين اختا له صغيرة فلاطفها صلاح الدين وقال لها ماذا تريدين ؟ فقالت له قلعة عزاز . وكانوا قد لقنوها ذلك فسلمها اليهم ورحل عنهم الي مصر بعد أن دوّخ الشام واستخلف عليه اخاه توران شاه

وكان صلاح الدين قد سلم امور مصر عند ذهابه الي الشام لوزيره الامير بهاء الدين الاسدى الملقب بقراقوش وهو خصي فارسي وامره باحداث المباني اللازمة لتقوية البلاد وعماريتها فأنفذ الوزير اشارته على احسن مايكون ونظم الرى فأتت الارض بمحاصيل عظيمة

وامر صلاح الدين بعد عودته وزيره ببناء قلعة الجبل وترميهم سور القاهرة ففعل ولا تزال تلك القلعة موجودة الي اليوم

واتهم الاهالي الوزير بهاء الدين بالظلم والاستبداد بالرأى ولقبوه بقراقوش اى الطير الاسود وهو العقاب وينسب اليه العامة احكام تناقض المعقول يبعد صدورها منه لالشيء غير ان مثل صلاح الدين لايعتمد الا على الرجال الاكفاء وخصوصا حين غيبته عن البلاد فلولم يعلم ان بهاء الدين هذا ملء مركزه لما ترك له البلاد وهى على مقربة من عهد الانقلاب

فلما عاد صلاح الدين الي مصر غزا الفرنج انطاكية فسطا عليهم صلاح الدين في فلسطين فخرج من مصر سنة (٥٧٣) وسار الي عسقلان فبنها وتفرق عسكره يغيرون ويغنمون من الفرنج واحرقوا الرملة واخربوا عمل اللد فاشتد رعب الناس منهم

فلما بلغ ذلك ملك ارشليم خرج لصلاح الدين فقاتله وهزمه وغنم ما معه وعاد المصريون بلادهم مكسورين

وفي سنة (٥٧٥) سار صلاح الدين الى الشام وفتح حصنا كان الفرنج قد بنوه عند مخاضة الاحران فدكة وعاد الي مصر

وفي سنة (٥٨٧) سار صلاح الدين من مصر لقتال الفرنج والسبب في ذلك ان الصالح بن نور الدين كان قد توفي واستخلف عز الدين ملك الموصل فنقض هذا المعاهدة التى كانت بين صلاح الدين والملك الصالح واستنجد الافرنج على الاستيلاء على بلاد صلاح الدين بالشام فأسرع صلاح الدين الى سورية فجاء حلبا وحصرها فسلمت اليه ثم استولي على الرها ورقة ونصيبين وسروج والخابور وسنجار وحران وحاصر الموصل ثم تركها واستولي على آمد بعد قتال عنيف ثم عاد الي دمشق فطار صيت صلاح الدين وصار له الحكم المطلق على مصر والشام والجزيرة واليمن فكان لا يوجد في هذه البلاد الشاسعة من يخالفه الا الصليبيين وهم محصورون في وسط ملكه

وقد كان الفرنج مهادنين لصلاح الدين فتجاراً (رانود وشاتيبلون) والي الكرك وهو فرنجى على خرق شروط الهدنة وهجم سنة (٥٨٣) على قافلة

المسلمين وقتلها وأسر رجالها

فأرسل اليه صلاح الدين يطلب اليه أن يرد اسرى المسلمين ويعطيهم ما أخذه منهم احتراما لشروط الهدنة فأبي فاعلن صلاح الدين انتقاض الهدنة وعزم على اخراج الفرنج من صورية فأغار على الكرك وارسل ابنه للاغارة على عكا فغنما غنائم شتى . ثم تقدم صلاح الدين وحاصر طبرية وفتحها فزحف اليه الفرنج فخرج اليهم صلاح الدين من طبرية والتقى الجمعان في حطين فأحيط بجيش الفرنج وقتل اكثر فرسانه وأسر الملك جوفروا ملك اورشليم وراتود صاحب الكرك وغيرهما من الامراء

فلما انتهت الوقعة جلس صلاح الدين في خيمته والى جانبه جوفروا والملك الفرنج فأعطاه السلطان ماء مثلوجا فشرب ثم ناول جوفروا الكوب لراتود فشرب هو أيضا . فقال صلاح الدين للترجمان قل للملك : « انت الذي سقيت هذا أما أنه فما سقيته » يريد بذلك ان جوفروا آمن ولكن راتود غير آمن . وكان السلطان شديد الحنق على راتود هذا لانه هو الذي خرق الهدنة فقام وضرب عنقه بنفسه فاضطرب الملك جوفروا عند ذلك وخشي على نفسه فهدأ صلاح الدين روعه

ثم سار صلاح الدين الى عكا فصالحها فرتجها على الخروج منها مع أخذ ما يقدرون عليه من أموالهم وتركوا الباقي وكان شيئاً كثيراً جداً

وفي مدة اقامة السلطان بعكا تفرق عسكره الى الناصرة وقيسارية وحيفا وصفورية ومعليا والشقيف والقولة وغيرها من البلاد المجاورة لمكان فلكوها ونهبوها فأسروا رجالها وسبوا نساءها وأطفالها

ثم ارسل السلطان عسكرا الى نابلس فأتي السامرة وبها قير زكريا عليه السلام فأخذه من النصارى وصلاه للمسلمين

ثم سار الى تبنين فحاصرها وضايقها فأطلق أهلها الاسرى المسلمون الذين كانوا عندهم فلم يرض السلطان أن يتركهم على ذلك بل ضايقهم حتى طلبوا الامان فأمنهم وسار الى صيدا واجتاز في طريقه على صرفند فأخذها بلا قتال . وكان صاحب صيدا عند سماعه بمجيء صلاح الدين اخلاها فدخلها صلاح الدين

وسار منها الى بيروت فقاتله اهلها قتالا عنيفا وبينما هم يقاتلون اذ ضج الناس ضجة عظيمة وتساءلوا عن الخبر فقيل ان المسلمين افتحموا المدينة من جهة أخرى فاتضح لهم ان الخبر مكذوب ولكن لم يمكن تسكين ثائر الناس فاضطر المحاربون لطلب الامان فأمنهم السلطان ثم ارسل سرية من رجاله الى جبيل من اعمال لبنان فتسلمتها

ولما هزم صلاح الدين الافرنج بطبرية ارسل يبشر اخاه الملك العادل بمصر ويأمره بالمسير الى بلاد الافرنج من جهة مصر فأسرع الى ذلك ونازل حصن بجدل وحصره وغنم مافيه وسار منه الى مدينة يافا فملكها عنوة ونهبها وقتل رجالها واسر نساءها والفى بها من أنواع القسوة مالم يسمع بمثله

وكان صلاح الدين يهتم جداً بفتح عسقلان وبيت المقدس لانه اذا أخذهما لم يبق للفرنج ملجأ فسار قاصدا عسقلان فحاصرها وقاتلها حتى استولى عليها . ثم بعث سرية من جيشه الى غزة وبيت جبريل والنيرون فأخذوها بغير قتال

ثم جمع جنوده وقصد بيت المقدس فوصله في ١٥ رجب سنة (٥٨٣) وكان الفرنج قد أخذوا اهبتهم للقائه فجمعوا رجالهم المدودين وفرسانهم المقدمين وحصنوا بيت المقدس تحصينا عظيما فلما قدم صلاح الدين طوقها وأخذ يقذفها بالمجانيق حتى اشتد على اهلها الكرب فطلبوا الامان فلم يقبل صلاح الدين وقال للرسول لا افعل بكم الا كما فعلتم بأهل هذا البلد حين ملكتموه

فلما رجع الرسول خرج الي صلاح الدين احد عظمائهم . وقال له اعلم انا في المدينة خلق كثيرون فان لم تقبل ان تؤمننا عمدنا الى نسائنا واولادنا فقتلناهم وأحرقنا جميع مالنا ثم اخربنا الصخرة والمسجد الاقصى وغيرها من المواضع ثم نقتل من عندنا من اسرى المسلمين وعددهم خمسة آلاف اسير ثم نخرج اليكم مقاتلين مستميتين فلا يقتل الواحد منا حتى يقتل امثاله منكم فنعيش اعزاء أو نموت كراما

ففكر صلاح الدين في الامر واستشار اصحابه فأشاروا عليه باعطائهم الامان فأمنهم وعاد بيت المقدس الي المسلمين كما كان

فلما حدث هذا الحدث الجلل هاج الاوروبيون في أوربا وأخذ رجال الدين يشعلون في صدورهم نيران الحمية فأرسلت أوروبا الى الشام جيشاً عرمرما لاستنقاذ بيت المقدس من صلاح الدين تحت قيادة ملك الانجليز ريشارد قلب الاسد وفيليب ملك فرنسا وفريدريك ملك المانيا فسار بعضهم براً وبعضهم بحراً الى ان نزلوا على عكا سنة (٥٨٥) وحاصروها برا وبحرا الأن صلاح الدين تمكن من انجادها بعد قتال فتح جيشه طريقا اليها ودامت الحرب سجالا حول عكا ثم صادفوا السلطان نفسه وحملوا على قلب جيشه فأزالوه وأخذوا يقتلون جنوده الى أن بلغوا الى خيمة السلطان فقاتلهم حرس السلطان حتى قتلوا منهم نحو عشرة آلاف نسمة وانهزم بعض جنوده صلاح الدين فوصل بعضهم الي طبرية وبعضهم الي دمشق

ومرض السلطان بالقولنج فرحل عن عكا الى الخروبة بأمر الاطباء فتمكن الفرنج من حصار عكا ثانية . ولما انقضى الشتاء عاد صلاح الدين من الخروبة وعادت نار الحرب تتأجج حول عكا واشتد القتال على المحصورين وكان قد أصاب السلطان مرض اعجزه عن الحرب فطلب أهل عكا الامان فأجيبوا اليه وتسلم الافرنج عكا بعد حصارها نحو سنتين

بعد ان استقر الفرنج بعكا صاروا قاصدين يافا وصادفهم ٢٠٠ الف مقاتل من جنود الشام فدارت بين الجيشين رحا الحرب فانهزم جنود صلاح الدين هزيمة شنعاء واستولي الفرنج على يافا، ثم عزموا على قصد بيت المقدس فقابلهم صلاح الدين فردهم عنه. فعقد الفرنج هدنة لمدة ثلاث سنين وثمانية أشهر تكون في خلالها أبواب بيت المقدس مفتوحة للزائرين من النصارى يدخلونه بالسلاح

فعزم صلاح الدين على غزو آسيا الصغرى وأخذ مافيها المسلمين وملك الروم وفتح القسطنطينية والتطرق من هنالك الي الفرنج في بلادهم . ولكنه أصيب بحمى شديدة قضت عليه سنة (٥٨٩)ه ودفن في قلعة دمشق وخلف سبعة عشر ذكراً وبنتا واحدة

من صفاته انه كان حسن الخلق صبورا على مايكره كثير التغافل عن

ذنوب اصحابه يسمع من احدهم ما يكره ولا يعلمه بذلك ولا يتغير عليه . وكان ظاهر المجلس لايذكر احداً في مجلسه الا بالخير

لما توفي صلاح الدين كان معه بدمشق ابنه الافضل نور الدين فأخذ لنفسه دمشق والساحل وبعلبك وصرخد وبصرى وبانياس وشوش وجميع الاعمال الى الداروم

وكان بمصر ابنه العزيز عثمان فاستولي عليها . وكان بحلب ابنه الظاهر غازى فاستولي عليها وعلي اعمالها واطاعه صاحب حماة . وكان الملك العادل اخو صلاح الدين بالكرك فامتنع فيه ولم يبايع لاحد من ولد اخيه فأرسل اليه الملك الافضل وهدده بالقتال ان لم يحضر لدمشق ويبايع له ففعل

فانقسمت الدولة الايوبية الى ثلاث دول : مصر وهي للعزيز ، ودمشق وهي للافضل ، وحلب وهي للظاهر

تولي مصر العزيز بن يوسف صلاح الدين من سنة (٥٨٩ الي ٥٩٠) وكان معه بمصر موالي ابيه وهم لايحبون الافضل فأغروا العزيز بانتزاع دمشق من يده فسار الى دمشق وحاصر أخاه فأرسل هذا الى عمه العادل واخيه الظاهر صاحب حلب وابن عمه المنصور صاحب حماة فساروا الى دمشق وأصلحوا بين الاخوين

وفي سنة (٥٩١) عاودت الملك العزيز فكرة فتح دمشق فسار اليها فشغب عليه بعض جنوده فاضطر الرجوع . وكان الملك الافضل قد كتب لعمه العادل يستنجده فلما رجع العزيز الي مصر تبعه الملك الافضل والملك العادل فنزلوا على بلبيس فطلب الملك مناجزة حاميتها فتنحه عنه . وقصد الافضل المسير الى مصر والاستيلاء عليها فنعه عمه العادل ايضاً وقال له (مصر لك متى شئت) وكاتب الملك العزيز سراً أن يرسل القاضي الفاضل ليصلح بين الاخوين فأصلح بينهما وأقام الملك العادل عند العزيز بمصر وعاد الافضل الى دمشق

وفي سنة (٥٩٢) اتفق العزيز والعادل على قصد دمشق واخذها من الافضل وتسليمها للعادل فتم ذلك وسار الافضل الي قلعة صرخد

في سنة (٥٩٣) اخذ الملك العادل يافا من الفرنج واخذ الفرنج بيروت من

المسلمين

وفي سنة (٥٩٥) توفي الملك العزيز صاحب مصر بعد ان ملك ست سنين الا شهرا

تولى بعده ابنه ناصر الدين محمد ولقب الملك المنصور ولكونه كان صغيراً لايجاوز سنه الثمان سنين استدعي رجال الدولة عمه الملك الافضل من الشام ليتولى الوصاية عليه . فأرسلوا اليه بقلعة صرخد فجاء مختفيا خوفاً من عمه الملك العادل الذى كان بدمشق

فلما استقر الافضل بمصر حسن له اخوه الملك الظاهر صاحب حلب ان يقاتل عمه الملك العادل ويبتزه دمشق فخرج الافضل قاصداً تلك المدينة وأنجده اخوه الظاهر ثم حدث بينهما شقاق ادى الي تركهما دمشق لصاحبها . فلما رأى العادل ذلك زحف علي ابن اخيه بمصر سنة (٥٩٦) وهزمه ففر الي الظاهر فتبعه اليها فطلب الافضل الصلح علي شرط ان يعطي ميافارقين وحاني وسميساط فأجابه العادل الى ذلك ولم يف له به ودخل العادل القاهرة وسافر الافضل الي صرخد

تولي مصر الملك العادل اخو صلاح الدين من سنة (٥٩١) الي (٩١٥) ه علي انه وصي علي الملك المنصور محمد بن العزيز ابن صلاح الدين ولكنه خلعه بعد مدة يسيرة وأعلن ملكيته

فاتفق الملك الافضل والملك الظاهر ابنا صلاح الدين علي مقاتلة عمهما واخذ مابيده فبدآ بحصار دمشق وكان عليها الملك المعظم بن العادل فأخذها وحدث بينهما اختلاف ادى الا تفرقهما فزحف عليهما الملك العادل فأخضعهما لحكمه وبذلك توحد ملك صلاح الدين بعد ان كان قد تقسم

وفي سنة (٥٩٩) ه قاتل الملك العادل الفرنج في حصن الاكراد وطرابلس وغيرهما فهزمهم وقتل منهم كثيرا

وفي سنة (٦٠٠) ه وصل كثير من الفرنج بحراً الى عكا قاصدين بيت المقدس فنهبوا كثيراً من بلاد المسلمين فخرج لهم الملك العادل من دمشق ونازلهم ثم تقررت هدنة بين الفريقين كان من شروطها اخذ الفرنج يافا والناصرة وغيرها ونصف البلد والرملة . ولما رجع الملك العادل الي مصر اغار الفرنج علي

حماة واخذوا منها غنائم كثيرة

وفي سنة (٦٠٣) سار الملك العادل من مصر الي الشام فنازل عكا فصالحه اهلها ثم وصل الى دمشق وكان الفرنج قد اكثروا الاغارة علي حمص فاستعان صاحبها اسد الدين شيركوه بالملك الظاهر فأنجده حتى وصل العادل واخذ في مكافحة الافرنج لي الشتاء فلبثه في دمشق

وفي سنة (٦١٤) وصلت امداد الفرنج الي عكا فقصد الملك العادل الرملة ومنها الي لد وقصده الفرنج من عكا فسار هو الي نابلس فسبقه الفرنج اليها فنزل علي بيسان فتقدم الفرنج اليه وكانت جنوده قليلة فلم ير ان يقاتلهم لكيلا تكون هزيمة . وتقدم الفرنج الي بيسان فأخذوا كل مافيها ونهبوا البلاد من بيسان الي بانياس ثم رجعوا الي عكا بعد ان غنموا شيئا كثيراً ثم جاؤا الى صور وقصدوا الشقيف ونهبوا صيدا والشقيف وعادوا الي عكا ثم نازلوا قلعة الطور علي رأس جبل بالقرب من عكا) ثم رجعوا عنها

أقام الفرنج بعكا الي سنة (٦١٥) وساروا بحراً الي دمياط وأرسوا بسواحلها والنيل بينهم و بينها وكان علي النيل برج حصين تمر منه الى سور دمياط سلاسل من حديد تمنع السفن من البحر الملح أن تصعد الي النيل . فلما نزل الفرنج الي ذلك الساحل خندقوا عليهم وبنوا سوراً بينهم وبين الخندق وشرعوا في حصار دمياط . وبعث الملك العادل الى ابنه الكامل بمصر ان يخرج في جنوده ويقف امامهم ففعل ونزل بالعادلية قريبا من دمياط . وألح الفرنج علي منازلة ذلك البرج اربعة اشهر حتى ملكوه ووجدوا سبيلا الي دخول النيل ليتمكنوا من النزول علي دمياط . فبنى الكامل بدل السلاسل جسراً عظيما يمانع الداخلين الي النيل فقاتلوا عليه قتالا شديداً حتى قطعوه فأمر الكامل بمراكب مملوءة حجارة وخرقوها وأغرقوها وراء الجسر لتمنع المراكب من الدخول الى النيل فحول الافرنج مجرى النيل واصعدوا مراكبهم اليه

اشتد خوف العادل من نزول الافرنج الي دمياط فرحل من مرج الصفر قاصداً مصر فأدركه أجله سنة (٩١٥) ه وكان قد قسم البلاد في حياته بين أولاده

فكانت مصر للكامل ودمشق والقدس وطبرية والكرك وما وليها للمعظم عيسى، وخلاط وما وليها وبلاد الجزيرة غير الرها ونصيبين وميافارقين للاشرف موسى، والرها وميافارقين لشهاب الدين غازى وقلعة جعبر للخضر ارسلان شاه

فلما توفي العادل استقل كل منهم بعمله فتجزأت دولة صلاح الدين مرة ثانية

تولى الكامل بن العادل من سنة (٦١٥) الي (٣٦٥) ه وكان الفرنج محاصرين لدمياط والحال في غاية الخطورة وفي تلك الاثناء ثار الامير عماد الدين بن المشطوب الكردى طالبا عزل الكامل وتولية الفائز. فترك الكامل جنوده ونزل الى اشمون طناح فلما لم يجد جنده تركوا معسكرهم وتبعوه فانتهز الفرنج هذه الفرصة فنزلوا الي دمياط وضيقوا عليها الحصار حتى فتحوا المدينة فنهبوها. وفي هذه الاثناء وصل الملك المعظم عيسى نجدة لاخيه فطردا الامير عماد الدين ابن المشطوب الي الشام فاتصل بالملك الاشرف صاحب الجزيرة وصار من جنده

أما الفرنج فبعد أن ملكوا دمياط بثوا سراياهم الى ما جاورها من البلاد وشرعوا في تحصينها وسمع الفرنج في بلادهم بفتح دمياط فأخذوا يفدون اليها من كل فج. فنزل الملك الصالح أمام طلخا ليمنع الفرنج من التقدم الي داخلية البلاد وأقام معسكراً في محلة المنزلة وأمر بتحصين المعسكر ببناء الدور والفنادق والحمامات والاسواق وصارت هذه المدينة تدعي بعد ذلك الحين بالمنصورة اشارة الي انتصاره علي الفرنج هناك. وكتب الي أخيه الملك المعظم بدمشق والملك الاشرف بالجزيرة يستنجدهما ويحثهما علي الحضور بنفسيهما. وكان الملك الاشرف مشغولا عن نجدته بما أصاب بلاده من اختلاف الكلمة ولما استقامت له الامور سار هو وأخوه صاحب دمشق سنة (٦١٨) ه الي مصر وكان الفرنج قد زحفوا من دمياط الي أن نزلوا أمام الملك الكامل وبينهما بحر اشمون وشنوا الحرب عليه. فقصد الملك المعظم دمياط رأساً ليقطع خط الرجعة علي الفرنج وزحف الكامل والاشرف الى الفرنج واشتد بينهم القتال فعرض الكامل عليهم أن

يسلمهم بيت المقدس وعسقلان وطبرية وجبلة وصيدا واللاذقية وجميع ما فتحه صلاح الدين الا الكرك علي ان يتركوا دمياط فلم يرضوا وطلبوا ثلاث مئة الف دينار عوضا عن تخريب اسوار بيت المقدس ليعمروه بها. فعادوا الي القتال وقطع المسلمون النيل فركب الماء أكثر الارض التي عليها الفرنج ولم يبق لهم جهة يمرون منها الا جهة ضيقة ونصب الكامل علي النيل جسوراً عبر المصريون عليها فملكوا الطريق الذى يسلكه الفرنج ان ارادوا العود الي دمياط فانحصر الفرنج في تلك البقعة وندموا علي عدم قبولهم شروط الصلح ولما يئسوا من النجاة أحرقوا خيامهم وأثقالهم وزحفوا الى المصريين فحالت الاوحال دون ما يرغبون وقلت أقواتهم فراسلوا الكامل يطلبون الامان ليسلموه دمياط بلا عوض. وأقبل الملك المعظم الذى قطع الخط علي الفرنج فاشتدت قوة المصريين فتم الصلح بين الفريقين علي تسليم دمياط والرضاء من الغنيمة بالاياب وكان ذلك في سنة (٦١٨) ه

وفي سنة (٦٢١) وصل الى الشام فريدريك الثاني ملك المانيا ونزل عكا واستولي علي كثير من مدن المسلمين المجاورة لبيت المقدس ولم يقدر الكامل علي دفعه فراسله وهو بغزة في الصلح واستقرت القاعدة بينهم عن ان يسلموا الي فريدريك بيت المقدس ومواضع أخرى علي أن تستمر اسواره خرابا فاستعظم المسلمون ذلك واكبروه ووجدوا له من الوهن والتألم مالا يمكن وصفه

وكان الملك المعظم بن الملك العادل قد مات سنة (٦٢٤) وتولي بعده ابنه الملك الناصر فزحف عليه الكامل وأخذ منه دمشق وعوضه عنها الكرك والبلقاء والصلت والاغوار والشوبك واعطاها لاخيه الملك الاشرف

احس الملك الكامل سنة (٦٣٥) بزكام فدخل الحمام وسكب علي نفسه ماء شديد الحرارة فحدثت له حمي مات منها السنة المذكورة. وكان عاقلا فاضلا حسن السياسة كثير الاصابة شديد الهيبة محبا للفضائل واهلها

خلفه ابنه العادل من سنة (٦٣٥) الي سنة (٦٣٧) ه فقام بالملك سنتين

ثم حصره جماعة من المماليك بعد أن قبضوا عليه وأرسلوا الي الصالح أيوب ابن الكامل فسار هو والناصر داود الي مصر وزينت له البلاد وفرح الناس بقدومه

تولي الملك الصالح من سنة(٦٣٧) الي (٦٤٨) فأول عمل عمله ان قبض علي أيبك الاسمر وعلي غيره من الامراء والمماليك الذين قبضوا علي أخيه العادل وأودعهم السجون وشرع في بناء قلعة الجزيرة بمصر واتخذها مسكنا لنفسه

في سنة(٦٣٨)قدم الخوارزميون هاربين امام جنكيز خان ملك التتر الي سورية الشرقية فأرسل اليهم الملك الصالح رسلا ليعاهدهم علي قتال الفرنج وأمراء سورية الذين يوالونهم فأجاب الخوارزميون واخترقوا سورية الي ان بلغوا غزة فحاربوا الفرنج عند أسوارها واهجدهم الملك الصالح من جهة مصر فهزم الفرنج فتبعوهم حتي استولوا علي غزة وبيت المقدس باسم الملك الصالح ووصلت الاسرى والرؤوس الي مصر ودقت فيها طبول البشائر عدة ايام وذلك سنة (٦٤٢) ثم سارت جنود الكامل والخوارزميون الى دمشق ففتحوها وعرضوا علي صاحبها بعلبك و بصرى والسواد . ولم يف الملك الصالح الخوارزمية ما وعدهم به فانقلبوا عليه وساعدوا صاحب دمشق الذى انتزعوها منه وهو الصالح اسماعيل وانضم اليهم صاحب الكرك فحاصروا جيما دمشق .فاتفق الملك الصالح صاحب مصر والملك المنصور صاحب حمص وأهل حلب علي قتال الخوارزمية وهم محاصرون لدمشق فحدث بين الفريقين قتال شديد انتهي بهزيمة الخوارزميين وقتل رئيسهم حسام الدين

وفي سنة (٦٤٧)وصل الملك لويز التاسع ملك فرنسا الى دمياط في جيش عظيم لامتلاكها . فأمدها الملك الصالح بجيش بقيادة فخر الدين بن الشيخ ليكون امام الفرنج بظاهر دمياط . فلما وصل الفرنج عبر فخر الدين من البر الغربي الي البر الشرقي ووصل الفرنج الى البر الغربي وقاتلوا حامية دمياط وهزموها فهربوا وهرب الاهالي معهم وتركوا المدينة فتملكها الفرنج بغير قتال واستولوا علي ما بها وعظم ذلك علي الملك الصالح وامر بشنق حامية دمياط المهزومة فشنقت

فمن آخرها ووصل الملك الصالح الي المنصورة ونزل بها فاشتد عليه المرض فمات سنة (٦٤٧) ه

كان هذا الملك عالي الهمة طاهر اللسان كثير الصمت جم من المماليك ما لم يجمعه غيره حتى كان اكثر عسكره مماليكه وجمع منهم جماعة حول دهليزه سماهم البحرية

تولي بعده ابنه الملك المعظم توران شاه من سنة (٦٤٧) الي سنة (٦٤٨) ولم يكن حاضرا لما توفي ابوه بل كان علي حصن كيفا وكان الملك الصالح جارية محظية تدعي شجرة الدر ذات رأى بسياسة فكتمت وفاته وقالت لجمهور الامراء والاعيان: وان السلطان يأمركم ان تبايعوا بعده ابنه الملك المعظم غياث الدين توران شاه وقد عين الامير فخر الدين أتابكا لادارة الاحكام ، فقبل جميع الامراء هذا الامر بالطاعه ثم ارسلت هذه الاوامر الي القاهرة (لانه توفي في ساعة القتال بالمنصورة) فبايع جميع من فيها وكانت تبعث الرسائل مختومة بختم الملك الصالح فكان الجميع يظنون انها خطه . ثم أرسل فخر الدين قاصدا لاحضار الملك المعظم من حصن كيفا وشاع موت السلطان ولكن لم يجسر أحد أن يتفوه بذلك

وتقدم الفرنج من دمياط للمنصورة وكان الامير فخر الدين المذكور في الحمام بالمنصورة فركب مسرعا فصادفه جماعة من الفرنج فقتلوه . ثم حمل المصريون والمماليك البحرية علي الفرنج فردوهم عن الزحف . ووصل الملك المعظم توران شاه الي المنصورة واشتد القتال بين المصريين والفرنج براً وبحرا فدارت الدائرة علي الاخيرين وغنم المسلمون منهم ٣٢ مركبا وكان المسلمون قد قطعوا خط رجعتهم الى دمياط فانهزموا فتبعهم المصريون وقتلوا منهم عدداً كبيرا يبلغ الثلاثين الفا وانحاز لويز ملك فرنسا وجماعة من قواده الي بلد هناك وطلبوا الامان فأمنهم الملك المعظم توران شاه وأحضروا الي المنصورة واعتقل الملك لويز في دار فخر الدين ووكل به الطواشي صبيح المعظمي ولم يزل معتقلا حتى فداه الفرنسيون بتسليم دمياط للمسلمين

وكان الملك المعظم توران شاه قد أحضر معه من كيفا بعض مماليكه فتسلطوا علي مماليك أبيه وأغروا الملك

المعظم بقتلهم لاستبدادهم عليه فأل الملك المعظم لتنفيذ أغراضهم فاجتمعوا على قتاله وهجموا عليه بالسيوف وكان أول من ضربه ركن الدين بيبرس الذى تولى السلطنة المصرية في دولة المماليك فهرب الملك المعظم منهم والتجأ الى برج من خشب كان هناك فأضرموا فيه النار فلما وصلت اليه رمى بنفسه الى الخليج فجاءوا اليه ورموه بالسهام وهو في الماء ذات غريقا حريحا

فلما قتل وقعت الفتنة بين الامراء وتنازعوا الملك فاستدركت شجرة الدر عملوكة الملك الصالح وحظيته الامر وطلبت الملك لنفسها فبايعوا الجميع على أن يكون عز الدين ايبك الصالحي قائداً عاماً للجنود وخطب باسم شجرة الدر على المنابر وضربت السكة باسمها وسميت والدة خليل نسبة الى ابن كان لها اسمه خليل توفي صغيراً

أول عمل باشرته عقد الصلح مع الفرنسيين على اطلاق سراح ملكهم لويز في مقابل نزولهم عن دمياط وذلك في ٣ صفر سنة (٦٤٨)

ولما استقر الامر لشجرة الدر بمصر أرسل الامراء المصريون الى الامراء الذين بدمشق في الخطبة لما فلم يجيبوا اليه بل كاتبوا الملك الناصر يوسف صاحب حلب فسار اليهم وملك دمشق واطاعته سورية كلها

فلما رأى المصريون ان الشام خرجت من يدهم لاستخفات النساس بهم من تمليك امرأة قيادهم عمدوا باسقاطها فرأى عز الدين ايبك أن يتزوجها ويجلس على سرير الملك مكانها ففعل وتلقب بالملك المعز ولكن لم يصف له الامر فان الامراء قرروا أن يسند الامر الى واحد من ذرية السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فاختاروا الملك الاشرف ومعنى يوسف صاحب اليمن

تولى الملك الاشرف بن يوسف سنة (٦٤٨) فتوجس الملك الناصر يوسف صاحب دمشق وحلب من ذلك شراً فسار قاصداً مصر وصحبه كثير من أمراء الايوبيين فلما التقى العسكران بقرب العباسية انهزم المصريون ولكن حدث ان جماعة من مماليك الملك الناصر انحازوا الى المعز ايبك قائد المصريين فكر بهم على الشاميين فهزمهم وأسر ايبك جماعة

من أمراء الايوبيين فقتل بعضهم وحبس البعض الآخر

وبقيت حالة الحرب بين المصريين والشوام حتى أرسل الخليفة العباسي فأصلح بينهم سنة (٦٥٠) على أن يكون المصريين نهر الاردن والملك الناصر دمشق وحلب وما وراء ذلك

وكان المعز ايبك قائد الجنود وزوج شجرة الدر يطمح الى خلع الاشرف وتبوأ الملك . وكان انطاى الجامدار من أمراء المماليك يدافعه عن ذلك فأرصد له المعز ايبك ثلاثة من المماليك البحرية فقتلوه فأغضب ذلك مماليك انطاى فثاروا ثم لحقوا بصاحب دمشق

فخلع المعز ايبك الملك الاشرف ومنع الخطبة له فكان آخر أمراء بنى أيوب بمصر وخطب المعز ايبك . ولما وصل المماليك الناقمون على المعز ايبك الى دمشق حسنوا لصاحبها أن يزحف على مصر فسار وملك غزة وبرز ايبك وجنوده الى العباسية واستراب من المماليك العزيزية الذين كانوا انضموا في الواقعة السابقة بينه وبين الملك الناصر يوسف صاحب دمشق فعاد هؤلاء وانضموا الى صاحبها وترددت الرسل بين المعز وبين الناصر صاحب دمشق فاتفقوا على أن تكون الحدود بين مصر والشام العريش

ثم أراد المعز ايبك سنة (٦٥٥) أن يتزوج بنت لؤلؤ صاحب الموصل فثارت الملكة شجرة الدر وقتلته في الحمام

فتولى بعده علي بن المعز ولقب بالمنصور فاتقم لابيه وقتل شجرة الدر

وفي سنة (٦٥٥) اتصل بالملك الصالح صاحب دمشق ان المماليك الذين كانوا مقيمين عنده بعد مقتل انطاى الجامدار يريدون الفتك به فاستوحش منهم وأجلاهم عن دمشق فساروا الى غزة وانتموا الى الملك المغيث صاحب الكرك وأرسل صاحب دمشق عسكراً في أثرهم فانهزموا الى البلقاء . فالتجئوا الى صاحب الكرك فحسنوا له فتح مصر فزحف عليها بجنوده والمماليك معه حتى التقى بجيش المصريين بالعباسية فانهزم صاحب الكرك ومن معه وكان في جملة المماليك الذين حسنوا له فتح مصر بيبرس البندقداري الذى صار بعد ذلك ملكاً على مصر . فعاد أولئك المماليك الى الكرك فلم يزل صاحب دمشق مرابطا

منهم ومن صاحب الكرك فبعث اليهم عسكره من دمشق فظفروا به واستقبل أمرهم بالترك . فسار الناصر اليهم بنفسه سنة (٦٥٧) ومعه صاحب حماة فحاصرا الكرك فأرسل صاحبها الى الناصر يطلب اليه الصلح فشرط عليه أن يحبس المماليك فأجاب الى شرطه واتصل الخبر الى بيبرس أميرهم فهرب في جماعة منهم ولحق بالناصر صاحب الشام

وفي هذه الاثناء قدمت عساكر التتار الى الشام وملكوها وهرب الناصر الى مصر أولا ثم الى بلاد العرب ثم حسن له أصحابه أن يقصد هولاكو ملك التتار فأقبل عليه ووعده برده الى ملكه وأبقاه عنده

فزحف صاحب مصر وهو يومئذ الملك المظفر قطز على الشام لمقاتلة التتار فهزموا وقتل قائدهم النائب عن هولاكو فأحضر هولاكو الناصر ولامه على ما كان منه من تسهيله على أمر الشام فاعتذر الناصر له فلم يقبل عذره ورماه بسهم فقتله ثم قتل الظاهر والصالح بن الاشرف صاحب حمص فانقرض بذلك ملك بني أيوب من الشام كما انقرض ملكهم من مصر وذلك سنة (٦٥٩) وحلت محلهم دولة المماليك البحرية

وقد قدمنا ان سبب اتصالهم بالملك أن الملك الصالح بن الكامل بن العادل الايوبي كان قد استكثر من المماليك وبنى لهم قلعة بين شمبق النيل أزاء المقياس وسماهم لهذا السبب بالبحرية . فكانوا عصبة سلطانه ، وعادة قوته ، وخاصة قصره وكان من كبرائهم عز الدين ايبك الجاشنكير وزديغه فارس الدين قطاى الجامدار وركن الدين بيبرس البندقداري ، ولما توفي الملك الصالح سنة (٦٤٧) وهو يحارب الفرنسيين بالمنصورة تحايلت شجرة الدر على توليه ابنه توران شاه فقتله المماليك كما مر ثم اجتمع أمرهم على تولية شجرة الدر فتزوجها رئيس المماليك عز الدين ايبك وخلعها وتملك بعدها سنة (٦٤٨) الى (٦٥٥) ولم يصف له الامر فان كبير الايوبيين بالشام الناصر يوسف بن العزيز بن الظاهر بن صلاح الدين يوسف بن ايوب وهو يومئذ صاحب حلب وحمص وما يليها طلب الامر لنفسه فبايعه أهل الشام وأغروه بأخذ مصر فسار

اليها . فلما بلغ المماليك الخبر أرادوا أن يحتالوا بتولية احد بني ايوب ليكفوا ألسنة الناس عنهم ويكون لهم الحكم في الحقيقة فبايعوا لموسى الذي كان ابوه يوسف أطسز بن المسعود بن الكامل وهو يومئذ ابن ست سنين ولقبوه الاشرف وهيئوا المعزايبك رئيس المماليك الذي كان تولى الملك وصيا عليه فلم تمنع هذه الحيلة الملك الناصر من التقدم الى مصر فبلغها هو واكثر امراء الايوبيين سنة (٦٤٨) فجمع المعزايبك جنوده وخرج لقائهم فالتقوا بالعباسية فانهزم المصريون اولا ثم كروا فهزموا أهل الشام ورجع ايبك الى مصر منصورا فظهر قوس قطاى من الشجاعة ما لا منتهى له وكان زعيما لحزب من المماليك الصالحيين وكانوا يطلبون له المشاركة في الملك مع الملك الاشرف وما زالوا حتى نالوا مطلوبهم فلم يرق ذلك في عين عز الدين ايبك فأضمر له السوء فاستدعاه اليه يوماً سنة (٦٥٢) للمشاورة وكان قد اكمن له ثلاثة من موالية فوثبوا عليه عند مروره بهم وبادروه بالسيوف وقتلوه فثار حزبه وقصدوا القلعة وطلبوا زعيمهم فألقى اليهم عز الدين ايبك رأسه فارتابوا في الامر واجمع امراؤهم وركن الدين بيبرس البندقداري وسيف الدين قلاوون الصالحي وسيف الدين سنقر الاشقر على المهاجرة الى الشام فيمن ينضم اليهم من المماليك البحرية واختفى من تخلف منهم وصادر عز الدين ايبك اموالهم وذخائرهم . فلما تخلص منهم قبض على الملك الاشرف وخلعه وسجنه وأمر بأن يخطب باسمه وكانت امرأته شجرة الدر لا تلد فاتخذ له السراري فولدت له احداهن ولداً اسماه نور الدين علياً ثم عزم على مصاهرة بدر الدين لؤلؤ ملك الموصل فثارت زوجته شجرة الدر وأغرت جماعة من خصيانها على قتله في الحمام سنة (٦٥٥)

تولى بعده ابنه نور الدين علي باجتماع كلمة امراء المماليك على مبايعته فأمر بقتل شجرة الدر امرأة ابيه . وفي هذه الاثناء اخذ التتار بغداد وقتلوا الخليفة وتقدموا الى الشام فاستصغر امراء المماليك سلطانهم نور الدين علي لعدم ممارسته الحروب ومحققوا انه لصغر سنه غير كف لمحاربة التتار فخلعوه سنة (٦٥٧) بعد أن حكم

سنتين فقط وولوا سيف الدين قطز المعزى مماليك المعزايبك

المظفر سيف الدين قطز تولى من سنة (٦٥٣) الي سنة (٦٥٨) وكان مرهوبا بالشدة والصرامة والاقدام فتلقب بالمظفر فقبض علي نور الدين وقتله وكان التتار بعد استيلائهم علي بغداد قد تقدموا بقيادة هولاكو خان بن تولى خان وعبروا الفرات ووصلوا الي الشام فأهلكوا فيها الحرث والنسل وبهم انقرض بنو ايوب من الشام كما انقرضوا من مصر ولما ضاق الحال بأهل الشام كتبوا الي السلطان المصرى سيف الدين قطز يستنجدونه وفي هذه الاثناء وصل الذى قطز أيضاً رسالة من هولاكو يدعوه الى الخضوع فلم يكن من قطز الا أن ضرب اعناق رسل هولاكو ونهض علي رأس جيشه الي الشام لمقاتلة التتار وتقدم كتبغا قائد التتار لقائه فالتقيا بالقرب علي عين جالوت فاقتتلا قتالا عنيفا انهزم بعده التتار هزيمة شنيعة وقتل قائدهم وتتبعهم المصريون فأفنوهم وهرب من بقي منهم الي المشرق

وأرسل السلطان قطز بيبرس البندقداري ورامعم لطردهم عن البلاد كلها

فأظهر بيبرس من المقدرة والشجاعة ماجعل السلطان يتنازل له عن حلب ثم لم يف السلطان بما وعد فأضمر له بيبرس الشر ثم اتفق مع بعض الامراء علي قتله فقتلوه سنة (٦٥٨)

تولي بعده بيبرس من سنة (٦٥٨) الي (٦٧٦) هـ فلقبوه بالظاهر فأزال ما كان أحدثه سلفه من المكوس. ولما علم علم الدين سنقر بقتل قطز أعلن استقلاله بالشام فأرسل اليه الملك الظاهر استاذه علاء الدين البندقداري فهزمه وأمسكه واحضره الي مصر فاعتقله الظاهر

وفي سنة (٦٦٠) قدم الي مصر جماعة من العرب ومعهم شخص اسمه احمد شهدوا انه ابن الظاهر محمد ابن الخليفة الناصر العباسي فيكون هو المستعصم آخر خلفاء بني العباس الذى قتله التتار سنة (٦٥٦) فعقد الملك الظاهر بيبرس مجلساً حضر فيه أكابر الرجال والعلماء وأثبت القاضي نسب احمد المذكور وبايعه الملك والناس بالخلافة ولقب المستنصر بالله فأصبحت القاهرة من ذلك الحين مقر الخلافة العباسية الا أنه لم يكن لهم من الامر شيء فقد كانوا ممثلين للخلافة

المصورية ليس الا وكانوا يلقبون بالائمة

ثم اراد الملك الظاهر بيبرس أن يستخرج بغداد الخلفاء العباسيين من يد التتار فأنفق أمو الا طائلة في اعداد المددات الحربية ثم نهض الي بغداد ومعه الخليفة المستنصر بالله فلما وصلوا دمشق عاد بيبرس الي مصر وتقدم المستنصر بالله قاصداً بغداد وقبل أن يصل اليها وصل اليه التتار فقاتلوه وقتلوه هو واكثر جيشه ولم تكن خلافته غير نحو خمسة اشهر

وكان بحلب رجل من العباسيين هو احمد ابو العباس بن علي هاجر اليها مختفيا من بغداد فاستقدمه الملك الظاهر الي مصر وبويع له بالخلافة ولقب الحاكم بامر الله

وكان الفرنج لا يزالون ماسكين لكثير من بلاد فلسطين فعزم بيبرس علي اخراجهم منها وتجهز للسير لقتالهم ونهض سنة (٦٦٣) هـ من مصر ونازل قيصرية وفتحها وهدمها ثم سار الي أرسوف ففتحها وعاد الي مصر. ثم عاد الي الشام ثانية ففتح جيشه المليقات وحلبا وهرفا ونزل هو علي صفد وضيق اليها الخناق ثم فتحها بالامان وقتل أهلها عن آخرهم

ثم وجه جيشه الي الارمن فوصل الي بلاد سيس فانتصر علي صاحبها وغنم منها مغانم شتى وعاد الظاهر الي مصر

وفي سنة (٦٦٨) عاد الظاهر الي الشام واغار علي هكا فرأى أنها لا تنال فتوجه الي دمشق ثم حماة وجهز عسكراً الي بلاد طائفة الاسماعيلية فأخذوا مصياف وعاد الى دمشق ومنها الى مصر

وفي سنة (٦٦٩) رجع الملك الظاهر الي الشام فنازل حصن الاكراد وكان للفرنج وملكه ثم تسلم قلعة المليقة وبلادها من الاسماعيلية. ثم جهز اسطولا لغزو قبرس فتحطم وأسر الفرنج من كان فيه من المصريين فلم يثن ذلك همة بيبرس بل أمر بانشاء اسطول آخر للاخذ بالثار ولكنه مات قبل أن يتم ما عزم عليه سنة (٦٧٦) وكان بدمشق ودفن فيها قرب الجامع الاموى وكان مملوك بدر الدين بيلي بك المعروف بالخاندار مونه وارتحل بالجيش ومعهم المحفة مظهراً أن الملك فيها وأنه مريض ولما وصل بدر

الدين الي القاهرة أعلن موته وبايع لابنه بركة خان . وكانت مدة بيبرس نحو ١٧ سنة

تولي بعد ابنه السعيد بركة خان من سنة(٦٧٦)الى(٦٧٨) فقام بتدبير ملكه مملوك أبيه بيلي باى فسعدت البلاد في أيامه الا ان مدته لم تطل فمات وكان السعيد يكره الامراء ويتهمهم بأنهم قتلوا بيلي باى ثم اختار لوظيفة الاتابكية اى الوزارة آق سنقر فلم يلبث معه الا يسيراً حتى أمر بخنقه فلم يجسر احد من أمراء المماليك أن يتولوا هذا المنصب واضمروا السعيد الشر

وفي سنة(٦٧٧)سار الملك السعيد من مصر الي الشام فلما وصل الي دمشق أرسل بعض جيشه بقيادة الامير سيف الدين قلاوون للاغارة علي سيس ببلاد الارمن فشنوا الغارة عليهم وعادوا منها بالغنائم ، وأجمعوا علي الثورة ضد الملك السعيد وخلعه ومروا علي دمشق ولم يدخلوها فأرسل اليهم الملك السعيد يستعطفهم ودخل عليهم مع والدته فلم يأبهوا به وتابعوا مسيرهم الى مصر فسبقهم اليها الملك ودخل القلعة وتحصن بها فأخذ من معه يتركونه و ينضمون الثائرين فأدرك موه مصيره فطاعهم علي الانخلاع علي أن يعطي الكرك بالشام فاعطاها فذهب اليها

ثم اتفق اكابر المماليك علي اقامة أخيه سلامش ملكا فبايعوه ولقبوه الملك العادل وكان عمره اذذاك سبع سنين وشهوراً واختاروه بهذا السن ليكون الامر لهم واقاموا الامير سيف الدين قلاوون الالفي وصيا عليه . ثم اجمع الامراء علي خلعه وأرسلوه الى الكرك منفيا

تولى بعده سيف الدين قلاوون من سنة(٦٧٨) الى سنة (٦٨٩) وتلقب المنصور فلما علم بذلك سنقر الاشقر الذى كان قلاوون ارسله واليا علي الشام أيام كان وصيا اعلن الاستقلال وتلقب بالملك الكامل شمس الدين سنقر فجهز له الملك المنصور قلاوون جيشا بقيادة علم الدين سنقر الحلبى فبرز اليه سنقر الاشقر فانهزم وهرب الى الرحبة وكاتب ابقا بن هولاكو التتارى يطمعه في ملك الشام وسار فاستولي علي صهيون وبرزنة والشغر و بكاس وعطار وشيزر وقلعة

فسار قلاوون من مصر حتى وصل الي غزة قاصداً دفع التتار من البلاد وكانوا قد وصلوا الى حلب فعاثوا فيها فساداً ثم عادوا الي بلادهم فعاد قلاوون الى مصر

وفي سنة (٦٨٠) سار قلاوون الي الشام لاصلاح أحوالها فبلغه ان ابقاخان ابن هولاكو سلطان التتار يقصد الاغارة علي الشام فلبث حتى وافاه جيش التتار بقيادة منكوتمر بن هولاكو فالتقي الفريقان في ظاهر حمص وحصل قتال عنيف انتصر فيه المصريون انتصاراً باهراً فانهزم منكوتمر وكان ابقاخان أخوه يحاصر الرحبة فتبعه في الهزيمة

وفي سنة (٨٦١) توفي ابقاخان بن هولاكو وتولى الملك بعده تكدار بن هولاكو وأسلم وتسمي احمد وأرسل الى الملك قلاوون يعلمه بذلك

وفى سنة (٦٨٤) استولي علي حصن المرقب بالشام وكان للفرنج

وفي سنة (٦٨٦) جهز جيشاً مع نائب سلطنته بالشام حسام الدين طرنطاى وأمرهم بالمسير الي قلعة صهيون وكان صاحبها حينئذ سنقر الاشقر كما مر فاضطر سنقر لتسليمها شارطا الامان وسار حسام الدين طرنطاى الى اللاذقية وكان بها برج للفرنج فحصره وتسلمه بالامان وهدمه ولما وصل سنقر الاشقر الي مصر أمنه السلطان وعفا عنه

وفي سنة (٦٨٨) خرج الملك المنصور قلاوون الي الشام ونازل طرابلس وكانت بيد الفرنج ففتحها ولم ينج من اهلها الا النزر اليسير

ثم عاد الملك المنصور الي مصر وأخذ يتجهز لفتح عكا ولكن المنية أدركته فمات سنة (٦٨٩) بعد أن ملك احدى عشرة سنة وثلاثة أشهر

تولى بعده ابنه الاشرف صلاح الدين خليل ففوض نيابة السلطنة الي بدر الدين بيدرا وأراد تتميم مقصد أبيه من فتح عكا فشخص الي الشام ونازل حصن الاكراد وفتحه ثم سار الي عكا وحاصرها ثم افتتحها عنوة وفتك بمن كان فيها من الفرنج وغنم غنائم لاتحصي. فاضطر الفرنج بمسقوط عكا ان يخلوا صيدا وبيروت وصور بلا قتال وذلك سنة (٦٩)

ثم توجه الملك الاشرف سنة (٦٩١) الي قلعة الروم وهي حصن حصين علي

جانب الفرات ففتحها وغنم غنائم عظيمة واستناب عنه بالشام عز الدين ايبك الحموى وعزل علم الدين ايبك الشجاعي وكذلك عزل قراسنقر نائب السلطنة بحلب واستصحبه وولى مكانه سيف الدين بيلي باى . وعند وصوله الي مصر قبض علي سنقر الاشقر وآخرين من أمراء المماليك ولم يسلم عنهم بعد ذلك شيء

وفي سنة (٦٩٣) ركب للصيد في نفر يسير من أصحابه فقصده بعض أمراء المماليك بينهم بيدرا ولاجين وقراسنقر فابتدره بيدرا بطعنة في كتفه ثم أردفها لاجين بأخرى فوقع الملك قتيلا وتركوه ملقي علي الارض فحمله ايدمر الفخرى الي القاهرة وإليه ينسب الخان المشهور بالقاهرة بخان الخليل أو الخان الخليلي وكان في مكانه قبل بنائه مدافن الخلفاء الفاطميين فبناه علي أنقاضها

تولي مكانه بيدرا ولقب بالملك القاهر ولكنه لم يستقر في الملك غير يوم واحد فان مماليك الملك الاشرف قاتلوه ومن معه فتغلبوا عليهم فانهزم بيدرا وتفرق عنه أصحابه فأدركه خصومه وقتلوه ورفعوا رأسه علي رمح واستقر لاجين وقراسنقر

فاتفق أمراء السلطنة علي تولية محمد ابن قلاوون أخي الملك الاشرف فولوه ولقبوه بالملك الناصر وسنه لا يزيد عن ٩ سنين وعينوا الامير زين الدين كتبغا وصياً عليه. أما لاجين وقراسنقر فأقطعا كتبغا الاقطاعات العظيمة ليكونوا عوناً له عند طلبه الملك. فانه سنة (٦٩٤) اعتقل الملك الناصر بقلعة الجبل وأعلن خلعه وتولية نفسه

جلس كتبغا علي سرير الملك ولقب نفسه الملك العادل وجعل لاجين نائباً وفي عهده حدث قحط عظيم حتى أكل الناس الميتة والقطاط

وفي سنة (٦٩٦) خرج الملك العادل من دمشق متوجها الي مصر فلما وصل الي نهر العوجا بلغه نائبه لاجين عازما فكر كتبغا راجعاً الي دمشق ولم يجد من يأخذ بناصره فاضطر خلع نفسه وطلب الي خصمه لاجين أن يعطيه ملكا يأوى اليه فأعطاه صرخد

تولي بعده لاجين من سنة (٦٩٦) الي (٦٩٨) ولكن بعد أن أخذ عليه

المماليك شروطا منها ان لا يستبد برأى دونهم وان لا يسلط مماليكه عليهم فأجابهم الي ذلك ولقب بالملك المنصور وأرسل الي دمشق سيف الدين قبجق المنصورى

وفي سنه (٦٩٧) اغار اغارة علي بلاد سيس الارمنية وعاد بغنائم شتى ثم أمر لاجين بعمل غارة ثانية فخاف ملك الارمن فأرسل اليه يطلب الصلح فشرط عليه أن يكون الحد الفاصل بين ملك مصر وملك الارمن نهر جيحون وأن يكون للمصريين كل مادونه من المدن والقرى والحصون فأجابهم ملك الارمن الى ذلك فكان من ذلك ما لا يحصي من الثروة

وفي سنة (٦٩٨) وثب عليه جماعة من مماليكه فقتلوه وهو يلعب الشطرنج

بعد مقتل لاجين اتفق الامراء علي احضار الملك الناصر محمد بن قلاوون من الكرك واسناد السلطنة اليه ثانية فأحسن السياسه واجاد التدبير

في سنة (٦٩٩) خرج قازان بن ارغون ملك التتار بجيش كثيف فعبر الفرات ووصل الي حلب ثم سار الي حماة ونزل الي وادى مجمع المروج بين حمص وحماة وبلغ الملك الناصر ذلك فنهض له ولقيه في شرقى حمص فحدث قتال شديد انهزم فيه المصريون شر هزيمة وتبعهم التتار حتى غزة والقدس و بلاد الكرك وأخذوا منهم غنائم كثيرة

ثم أعاد الملك الناصر تنظيم جيشه وزحف به علي التتار فأجلاهم عن الشام بعد أن هزمهم هزيمة شنيعة

وفي سنة (٧٠٢) حدث زلزال هائل بمصر والشام فأخرب بلادا كثيرة وخرجت المياه من عيونها في باطن الارض فأغرقت خلقا كثيراً

في زمن هذا الملك استبد سلار نائب السلطنة و بيبرس الجاشنكير بالامر حتى لم يبق للملك الناصر غير الاسم فأظهر انه ينوى الحج فلما انتهى الي الكرك أمر الامراء الذين حضروا معه بالانصراف وكشف لهم انه جعل قصد الحج وسيلة للمقام بالكرك

فاتفق الامراء علي تعيين بيبرس الجاشنكير من سنة (٧٠٨ الي ٧٠٩) فاستمر سلار نائباً للسلطنة فتلقب بيبرس بالملك المظفر ركن الدين . ولكن لم يكن أمراء المماليك مخلصين له فأخذوا

يستميلون الناس سراً الي الملك الناصر قلاوون المخلوع حتى كثرت احزابهم فلما تحققوا من نفسهم القوة ساروا الي الكرك وأعلموا الملك الناصر بما عليه الناس من طاعته ومحبته فلما تأكد الملك من صدقهم سار الي دمشق واستولي عليها ثم بدأ بتجهيز الجيش للسير الي مصر وأخرج بيبرس منها ثم سار حتى وصل الى غزة فاضطر بيبرس ان يخلع نفسه وطلب الامان وان يعطي الكرك او حماة أو صهيون فقال الملك لاعطائه صهيون ولكن بيبرس عاوده الطمع فهرب الى الوجه القبلي طالما في الاستيلاء عليه فأرسل الناصر من أسره واعتقله وكانت مدة السلطان بيبرس أحد عشر شهراً

عاد الملك الناصر محمد قلاوون وتولي السلطنة من سنة (٧٠٩) لي (٧٤١) وكانت هذه المرة الثالثة فلم يحدث في أيامه فتن ولا حروب فصرف جل اهتمامه لتحسين حال الزراع والصناع فراجت التجارة في مدته واغتنى الناس وكثرت المحصولات حتى بيع أردب القمح بخمسة دراهم واردب الشعير بثلاثة دراهم واستمر الحال علي ذلك الي أن توفي بعد أن صفا له الجو ٣٣ سنة

تولي بعده ابنه المنصور ابو بكر بن محمد من سنة (٧٤١) الي (٧٤٢) هـ ولقب بالملك المنصور وقام قوصون وزير ابيه بتدبير مملكته . ولكن لم يكن الملك المنصور أهلا للملك فنزع الى لذاته وشهواته وصار يمشي في طرق المدينة متنكراً مخالطا للسوقة فخلعه قوصون بعد أن ملك ستة وخمسين يوما

تولي بعده الاشرف علاء الدين كجك ابن محمد قلاوون وهو اخو المتقدم ولاه قوصون واستبد عليه فلما بلغ أمراء المماليك بالشام استبداد قوصون بابيهما احمد بن الملك الناصر ابي بكر وكجك وكان مقيما بالكرك لان أباه كان قد ولاه عليها فكاتبا طشتمر نائب حمص وخضر نائب حلب وحرضاه علي طلب الملك وبلغ الخبر قوصون فأرسل قطلوبغا الفخري بالجنود لمحاصرة الكرك وكتب الي طيبغا الصالحي نائب دمشق للسير في عساكره للقبض علي طشتمر وخضر وكان قطلوبغا في نفسه شيء من قوصون لاستبداده فلما خرج بالجنود من مصر

بعث بيعته الي احمد بن الملك الناصر بالكرك وسار الي الشام يستدعي الناس لمبايعة احمد المذكور فاستولى قطلوبغا علي الشام كله بدعوة أحمد وبعث الي الامراء بمصر فأجابوه وهاجوا الاسطبل لان قوصون فهجموا علي داره واقتحموا القلعة وقبضوا عليه وحبسوه بالاسكندرية فمات في الحبس . وخلفه الاشرف علاء الدين كجك بن محمد

تولي بعده الناصر شهاب الدين أحمد ابن محمد من سنة (٧٤٢ الي ٧٤٣) هـ اذ قدم من الكرك ومعه طشتمر نائب حمص وأخضر نائب حلب وقطلوبغا الفخري فاستولى علي الملك ولقب الملك الناصر وولي طشتمر نيابة السلطنة وبعث قطلوبغا الفخري الي دمشق وقبض علي أخضر والي حلب وولي عليها مكانه ايدغمش وبلغ الخبر الى قطلوبغا الفخري قبل وصوله الي دمشق فعدل الي حلب وقبض علي ايدغمش وبعث به الي مصر فاعتقله السلطان واعتقل معه طشتمر نائب السلطنة لارتيابه فيه فاستوحش الامراء من السلطنة وارتاب هو في اخلاصهم فرحل الي الكرك بعد ثلاثة أشهر من بيعته وأخذ معه طشتمر وأيدغمش معتقلين وبعث اليه امراء المماليك بالرجوع فامتنع وقال « هذه مملكتي (أي الكرك) أنزل من بلادها حيث شئت » ثم عاد الي طشتمر وأيدغمش فقتلهما فمين المماليك مكانه أخاه اسماعيل

تولي اسماعيل بن محمد ولقب الملك الصالح من سنة (٧٤٣ الى ٧٤٦) هـ فولى نيابة السلطنة لآق سنقر السلاري وأرسل الجنود الي الكرك للقبض علي أخيه فيها وهو الملك الناصر المخلوع فحدثت وقائع كثيرة قتل فيها الملك الناصر

استبد الملك الصالح بالملك وقبض علي نائبه آق سنقر واعتقله بالاسكندرية وقتله وولي مكانه انجاح الملك . ثم توفي سنة (٧٤٦) هـ

تولي بعده الكامل زين الدين شعبان بن محمد من سنة (٧٤٦ الي ٧٤٧) وهو أخو المتقدم ولقب بالملك الكامل فجعل نيابة السلطان لارغون العلاوي وأرسل انجاح للملك ليكون نائبا بصفد ثم استرده من طريقة وبعثه معتقلا الي دمشق حتى توفي في معتقله ثم أطلق الملك الكامل يده بالعسف في أمراء المماليك

خوفا من أن يتألبوا عليه ، ولكن ذلك دعاهم الى التآمر عليه فانتقض عليه طنبغا اليحياوى نائبه بدمشق وقام على رأس جيش لمحاربته فساق الملك الكامل الجنود الى الشام واعتقل حاجى وحسينا أخويه بالقلعة وثار الامراء بمصر وركبوا الى قبة النصر فركب السلطان اليهم في مواليه واقتتلوا فقتل ارغون العلاوى نائبه فرجع السلطان الى القلعة منهزماً ودخل من باب السر مختفياً وقصد محبس أخويه ليقتلهما فحال الخدم بينه وبينهما وأغلقوا الابواب ودخل الامراء القلعة من بعده فأخرجوا حاجي أخا السلطان من معتقله وبايعوه وقبضوا على الكامل واعتقلوه ثم قتلوه في اليوم الثاني وكان ملكه سنة وشهراً

تولى المظفر زين الدين حاجي بن محمد من سنة (٧٤٧) الى (٧٤٨) هـ وهو السادس من أبناء محمد بن قلاوون الذين تولوا الملك من بعده . فعهد المظفر بنيابة الملك الى أرغون شاه والحجازى وولى طشتمر الاحمدى النيابة بحلب والصلاحي النيابة بحمص ولم يكن المظفر أقل استبداداً من أخيه الكامل فقبض على نائبه الحجازى والناصرى وقتلهما وأرسل ارغون شاه نائبه الى صفدلينوب عنه بها فاستوحش منه الامراء وانتقض عليه اليحياوى نائب دمشق وتبعه نواب الشام في الخلاف وبلغ الخبر الى مصر فتواعد الامراء بها النوب على المظفر ونما الخبر اليه فاستدعاهم من الغد وقبض عليهم وقتل بعضهم واعتقل الآخرين وبعث بعضهم الى الشام فقتلوا بالطريق وكان عددهم خمسة عشر قولي من غده بدلهم . وكان المظفر قد أرسل بعض خاصته لدمشق ليستطلع أمر اليحياوى فحمل الناس على قتله فقتلوه فاستقام الامر للمظفر ثم تجددت الثورة بمصر وخرج الامراء الى قبة النصر فركب المظفر في مواليه لمقاتلتهم . ولما تورط في الزحف اليهم أسلمه من كان معه الى الامراء المخالفين له فقتلوه على تربة أمه خارج القلعة وكان ملكه سنة وثلاثة أشهر

* * *

تولى بعده الناصر حسن بن محمد من سنة (٧٤٨ الى ٧٥٢) هـ كان صاحب

الاخوة أولاد محمد بن قلاوون . لقب الملك الناصر وقام بيقاروس القاسمي بأمر دولته ثم شرع في العسف فعزل امراءه واستعمل غيرهم وقتل ونفى كثيرين منهم وقبض أخيراً على نائبه بيقاروس واعتقله واستعمل بدله الامير طاز . فأغرى طاز هذا بقية الامراء على خلع الناصر ففعلوا

تولى بعده الصالح صلاح الدين بن محمد من سنة (٧٥٢ الى ٧٥٥) هـ وهو ثامن الاخوة من أولاد قلاوون فثارت بينه وبين الامراء فتن أدت الى القتال فانتصر عليهم . وفي أيامه كثر فساد العربان في الصعيد فجرد عليهم الامير شيخو فقاتلهم وأبادهم . وأمر ان تكون مصائم اليهود والنصارى دون عشرة أذرع وأن يمنعوا من تولي الامور بالدواوين وان لايدخل واحد منهم الحمام الا بصليب في رقبته وأن لايدخل نساؤهم مع نساء المسلمين وان تكون ازر النصارى زرقاء واليهود صفراء . فكان نتيجة هذا الجنون ان كرههم الامراء فدخلوا عليه وخلعوه وأعادوا الناصر حسن بن محمد ثانية من سنة (٧٥٥) الى ٧٦٢) فعزل وولي الامراء واستبد شيخو بالدولة وكان سرغتمش رديفه في الولاية الى ان وثب يوما بعض الموالي على شيخو في مجلس السلطان وضربه بالسيف ثلاثا فاصاب رأسه ووجهه وذراعيه فأمر السلطان بقتل المملوك الذى ضربه . ثم مات شيخو وهو أول من سمي بالامير الكبير واستقل رديفه سرغتمش بتدبير مهام الملك الى ان قام عليه الملك فقبض عليه وعلى جمهور من الامراء واعتقلهم بالاسكندرية واستبد برأيه في الملك وكان يأنس بالعلماء والفضلاء ويجمعهم في داره ويفاوضهم في المسائل العلمية ويحسن اليهم

وكان السلطان مملوك اسمه يلبغا وقاه الى ان جعله قائداً لألف فحدث انه استوحش منه فخاف يلبغا على نفسه فالتزم معسكره لايخرج منه فركب اليه الملك الناصر ليسأله لاغتياله وكان الخبر وصل الى يلبغا فخرج من معسكره وكمن له مع جنوده في بعض الجهات فلما قرب منهم خرجوا اليه فهرب السلطان ومن معه الى القلعة ولم يجد لجنوده خيولا لان الخيول كانت بالربيع فلبس الملك لبس العرب هو وابن عمر الدويدار ونزل من القلعة في آخر الليل قاصدين الشام فمر

بهما بعض المماليك فاحضروهما الي الامير يلبغا فكان ذلك آخر عهد الناس به

تولي بعده محمد بن المظفر حاجي بن محمد بن قلاوون فلقبه يلبغا بالمنصور وقام بكفالته واستبد بالرأي فاستعفى نائب دمشق المسمي استدمر من ذلك فاستقل بدمشق

فلما علم يلبغا ذلك قصده علي رأس جيش ومعه الملك المنصور وحاصره فنزل هو وأصحابه علي الامان فقبض عليهم واعتقلهم بالاسكندرية وولي الامير الماردائي نائبا بدمشق وقطاوبغا الاحدى نائبا بحلب

ثم لزاب يلبغا في اخلاص الملك المنصور فعزله واعتقله وولى مكانه الملك الاشرف شعبان بن حسن من سنة (٧٦٤) الى (٧٧٨) وكان عمره عشر سنين فلقبه الملك الاشرف وتولى الوصاية عليه

حدث انه في سنة (٧٦٧) قصد ملك قبرس الاسكندرية بأساطيله ونزل اليها وسبى كثيراً من أهلها ونهبها بعدان هزم حاميتها ثم عاد من غده موقراً بالغنائم فقصد يلبغا والملك الاشرف الاسكندرية علي رأس جيش فبلغهم وهم في الطريق ان القبرسيين أقلعوا من المدينة فلم يثنهم ذلك بل قصدوا الاسكندرية وشاهدوا ماحل بها من الويل فعزم يلبغا ان ينتقم من ملك قبرس فأمر ببناء مئة سفينة فلما أوشك هذا الاسطول علي اتمام بيروت حدثت حوائق منعته من اتمام مرامه

طال استبداد يلبغا بالناس والامراء الي ان صار يجدع الانوف ويصلم الآذان حتى انه فعل ذلك بأخي استدمر كبير خواصه فاستوحش منه وفاتح الامراء في الثورة علي يلبغا الي البحيرة وأخذ الجميع فسرح يلبغا الي البحيرة وأخذ الجميع يتشاورون في غيبته علي الايقاع به فبلغه ذلك فحضر الي القاهرة وخلع الملك الاشرف وذهب لحاله (انوك) ولقبه الملك المنصور واستعد هو لمحاربة السلطان الأشرف لانه كان غائبا عن القاهرة فلما قرب منهم اخذ جنود يلبغا يرمونه بالسهام ثم ادركته الجنود وانقض اصحاب يلبغا عليه فولي منهزما الي داره فقبض عليه الملك الاشرف واعتقله ثم حدث انه كان مقبلا علي الملك ليضرع اليه

فقابله بعضهم بالطريق فقطع رأسه

فقام بتدبير الملك استدمر الناصري ورديفه نيبغا الاحدى وغيرهما من الامراء واظهروا الاستخفاف بالسلطان والرمية ونادوا بخلع السلطان فركب في مماليكه وجنوده وبعض العامة فهزم الخارجين عليه وقبض علي استدمر فشفع فيه الامراء فأطلقه وابقاه في وظيفته

ثم انتقضوا عليه ثانية فقاتلهم وتغلب عليهم وقتل كثيرين منهم واعتقل بعضهم واستدعي سنكلي بنائب حلب وجعلها نائبكا واستقدم الامير علبا الماردائي من دمشق وولاه النيابة

وفي سنة (٧٧٤) تولي سنكلي الاتابك فولي السلطان مكانه الجائي اليوسفي وكان أميراً السلاح عنده فبطر النعمة وخرج علي مولاه فأمر بقتله فهرب ثم مات غريقا . واستدعي السلطان ايد مر العزى وكان نائبا بطرابلس فولاه الاتابكية مكان الجائي المذكور ورفع رتبته واستقر السلطان الاشرف في دولته مستبداً بالامر

ثم اراد الملك الاشرف قضاء فريضة الحج فخرج اليه سنة (٧٧٨) فلما انتهي الى عقبة ايلة انتقض عليه بعض مماليك يلبغا الذين كان قد ردهم الي خدمة الدولة فاضطر السلطان الي الرجوع لمصر من طريق البحر وكان عند سفره استخلف بها ابنه عليا بكفالة قرطاى الطازى فسولت لقرطاى نفسه الانتقاض واتفق مع بعض الامراء علي ذلك فأتي بالامير علي بن الاشرف وبايعه واستدعي الامراء القائمين بالقاهرة فبايعوه وأخذ مكفالة السلطان وجعل ايبك البدرى رديفا له وأما السلطان فبلغه وقعة القاهرة وهو بالطريق فأسرع بالرجوع اليها وانتهي بمن معه الي قبة النصر ليلا ففشي أصحابه التعاس فناموا وانفرد السلطان عنهم واختفي وبلغ أهل الثورة امرهم فوثبوا عليهم وقتلوهم . وجاءت امرأة الي ايبك فدلته علي السلطان في بيت جارتها فأخرجه واستدل منه علي الخزينة ثم قتله خنقا وكانت مدة حكمه اربع عشرة سنة

تولي بعده الملك المنصور علي بن شعبان من سنة (٧٧٨) الي (٧٨٣) هـ وقام بأمر دولته قرطاى الطازى ورديفه ايبك البدرى . وكان قرطاى كثير

الانهماك على لذاته وشهواته فاستبد رديفه بأمور الدولة وأفرى السلطان على اسناد نيابة المملكة اليه فلم يمانعه قرطاى في ذلك وغاية ما فعله أنه طلب الامان لنفسه من أبيك وأمنه ثم قبض عليه بعد قليل وسيره الى صفد واستبد ابيك بالدولة

ثم انتقض طشتمر بالشام ووافقه كثيرون من الامراء فندب أبيك الجيش السير الى الشام وجعل في مقدمته ابنه احمد وأخاه قطلوبغا ثم خرج بالساقة مع السلطان والامراء والجنود فثار الامراء الذين كانوا بالمقدمة على أخيه فرجع اليه منهزما فاضطر أبيك الرجوع الى القاهرة مع السلطان والجنود فخرج ساعة وصوله جماعة من الامراء فسرح اليهم العساكر مع أخيه فأوقعوا به وقبضوا عليه فسرح أبيك اليهم من بقي معه من الامراء ثم هرب واختفى ولم يلبث أن ظهر فقبض عليه وأعتقل بالاسكندرية

وأقام الامراء ببيقاء الناصري مكانه فلم يمضوا له الطاعة الواجبة وبقي أمرهم مضطربا فاستدعوا طشتمر من الشام وسلموه زمام الدولة ثم انتقضوا عليه واستدعوه الى القلعة وقبضوا عليه واعتقلوه بالاسكندرية

فقام بالامر من بعده الامير برقوق وبرکة ثم وقع الخلاف بينهما وتغلب الاول على الثاني، بعث به الى الاسكندرية فحبس بها ثم قتل. واستبد برقوق بالدولة وصار صاحب النقض والابرام ولم يكن للسلطان سوى الاسم

تولى بعد المنصور الملك الصالح حاجي من سنة (٧٨٣) الى (٧٨٤) وجعل برقوق نائبا للسلطنة وكان الملك الصالح صغير السن فقام برقوق بكفالته فولي كثيرين من أصحاب يلبغا الذين كانوا أنصاره لانه منهم فطمعوا في الاستبداد وظنوا بلذة الملك ومالت نفوسهم الى أن يستقل امرهم بالدولة . وكان برقوق حسن السيرة جميل الاثر في البلاد فأنس به الناس وأحبوه وبلغ الامراء هذا الامر فتمعضوا واخذوا يتناجون في حيلة ليوقعوا به فنمي اليه خبرهم فقبض عليهم فقتل واعتقل بعضا ونفى البعض الآخر

ثم تفاوض أصحاب برقوق في أمر نصبه ملكا عليهم فجمع في رمضان سنة

(٧٨٤) الخاصة من الجنود والعلماء والاعيان فأجمعوا على بيعة برقوق وعزل السلطان الصالح وبعث برقوق أميرين من الامراء فأدخلا السلطان الى بيته وتناولا السيف من يده وأحضراه الى برقوق فلبس شعار السلطنة وخلعة الخلافة وجلس على سرير الملك وأتاه الناس يبايعونه وكان الملك الصالح آخر ملوك دولة المماليك البحرية وخلفتهم دولة المماليك الجراكسة الآتي ذكرها

أول دولة المماليك الجراكسة الملك الظاهر برقوق وانما دعيت كذلك نسبة الى أصل ملوكها فانهم من الامة الجركسية

أما برقوق هذا فكان مملوكا اشتراه يلبغا أيام كان نائب السلطنة بمصر فرباه وعلمه الفقه والعلوم الاسلامية المروءة حتى انه كان يلقبه يلبغا بالشيخ وتعلم أيضا آداب الملك وأتقن الرماية وما زال في خدمة يلبغا الى أن قضي الله عليه فتشتت مماليكه وقبض على بعضهم وسجنوا فسجن برقوق هذا في الكرك هو وأمير آخر خمس سنين ثم أطلقا فدخلا في خدمة منجك حاكم الشام اذذاك فاستدعي الملك الاشرف برقوق وأضافه الى حاشية ولده الامير علي فلم يزل برقوق معه حتى صار في دولته نائب السلطنة . ولما توفي السلطان علي عين برقوق أخاه السلطان حاجي ملكا ثم طمع في الجلوس على سرير الملك كما رأيت فتم له ما أراد وخلع السلطان الصالح حاجي واستبد بالامر دونه في ١٩ رمضان سنة (٧٨٤) كما مر ولقب بالملك الظاهر

لما استتب الامر للملك الظاهر برقوق قبض على يبغا الناصري واعتقله ثم أفرج عنه فسار الى حلب وأغرى بعض الامراء على الانتقاض على السلطان وبلغ ذلك السلطان فاعتقل أولئك البعض من الامراء فاجتمع بعض الامراء الى يبغا الناصري المذكور بقصد الثورة سنة (٧٩١) واتصل الخبر بطرابلس وكان بها جماعة من الامراء يرومون الفتنة فصعدوا الى الايوان السلطاني وقبضوا على نائب السلطنة وحبسوه . وفعل مثل ذلك أهل حمص وغيرها وبلغ الخبر الى السلطان الملك الظاهر برقوق فأرسل الجنود لقتال هؤلاء الثائرين . فلما وفد هذا الجيش الى دمشق أرسل سفراء الى يبغا الناصري

ليعيده الى الطاعة فاعتقل السفراء ولم يجب وصار لقاء جيش السلطان فلما حدث القتال دارت الدائرة على جيوش الملك الظاهر ودخل الناصري دمشق واستولى عليها وعاثت عساكره في نواحيها واستعد السلطان برقوق للمدافعة

أما الناصري فبعد هذا الانتصار عمد الى الزحف على مصر حتى وصل الى بلبيس ثم تقدم الى بركة الحاج وبرز السلطان في ممالكه ووقف أمام القلعة بقية يومه و بعض الجنود والعامة يهرعون الى الناصري حتى ان بعض الامراء طلبوا منه الامان خوفا من بطشه فرأى السلطان ان مركزه قد تحرج فعمد الى ملاطفة بيبغا فكتب اليه بالصلح فأشار عليه أن يتوارى بشخصه مخافة أن يصيبه أحد بسوء فتوارى وعاكر الناصري وأصحابه القلعة واستدعوا السلطان حاجي بن الاشرف وهو الذي خلعه برقوق واستولى على سرير الملك بعده فأعادوه الى ملكه وقبلوه بالملك المنصور واستدعوا الامراء المنفيين بالاسكندرية فحضروا وركب الناصري وأصحابه لقائهم وأشرك الناصري الجوباني في تدبير المملكة

ثم طلب الامراء الملك برقوق فما زالوا يحثون عنه حتى استدلوا عليه وتشاوروا في أمره فكان منطاش وغيره يطلبون قتله وأبى بيبغا الناصري والجوباني الا الوفاء له فأرساوه الى الكرك واعتقلوه بها ووكل به بيبغا الناصري أحد خواصه وأوصاه بخدمته ومنعه ممن يريده بسوء

أما الامراء الثائرون فجعلوا الجوباني اتابك السلطان المنصور و بيبغا الناصري رأس النوبة الكبرى (أي مدبر الدولة) ثم بعثوا بدلار نائباً على دمشق وكشبغا نائباً على حلب وقبضوا على جماعة من الامراء الذين كان هواهم مع برقوق منهم سودون والعثمانى نائب دمشق وغيرهم فحبسوا بالاسكندرية وبالشام ثم تتبعوا مماليك السلطان برقوق فحبسوا أكثرهم وأجلوا بقيتهم الى الشام

كان منطاش يريد بدخوله مع الناصري ومتابعة هواه في الثورة على السلطان أن يناله قسط كبير من الامر والثروة فلما لم يشركوه في الامر أخذ يوقظ الفتنة النائمة ووافقه عليها كثير من أمراء المماليك وبلغ الخبر بيبغا الناصري والجوباني فعزما على نفي منطاش

الى الشام فتمارض وأقام في بيته أياماً ليحكم التدبير فأرسل بعض رجال الثورة الى الجوباني فترصدوا له في بيته وقتلوه وركب منطاش الى الرملة واجتمع اليه من تابع أهواءه في الثورة و برز بيبغا الناصري له وأمر الامراء بالحملة على أصحاب منطاش فوقفوا ولم يجيبوه الى ذلك فأحجم الناصري عن الحملة في ذلك النهار

وفي الغد تزايدت جموع منطاش فهاجمه الناصري فانهزم وانفض أصحابه عنه فهرب لا يدري له وجهاً فاستقل منطاش بتدبير الدولة و نصب في وظائفها من شاء من أصحابه . ثم كتب الى نائب الكرك بأن يقتل السلطان برقوق وكان الناصري قد أوصاه أن يمنعه ممن يريده بسوء فلم يقبل وشعر برقوق ان منطاش يريد اغتياله فأرسل خلف الذين معه لقتال حامية الكرك فهزموهم وقتلوا قائدهم واستولى السلطان برقوق على قلعة الكرك وبايعه أهلها وفشا الخبر بالنواحي فتسارع اليه مماليكه من كل جهة . و بلغت أخباره الى منطاش فأوعز الى ابن باكيش نائب غزة أن يسير في جنوده اليه ويرد برقوق في لقائه ثم عزم على الشخوص الى دمشق فسار اليها ومعه الف رجل أو يزيدون فأرسل جنتمر نائب دمشق اليه جيشاً لمدافعته فانهزم ذلك الجيش واستمر السلطان برقوق في زحفه على دمشق ثم أحس بأن ابن باكيش وجنوده يتبعونه فكر اليهم ليلا وصبحهم على غفلة منهم فانهزموا واستولى السلطان على ما معهم واستفحل أمره فقصد دمشق ونزل بميدانها فأغلق أهلها أبوابها فأقام محاصراً لها الى المحرم من سنة (٧٩٢)

أما منطاش فانه رأى أن لا مناص من مقابلة السلطان برقوق بكل قوته فخرج من مصر على رأس جيش ومعه الملك المنصور والخليفة والقضاة والعلماء في أواخر سنة (٧٩١) وكان برقوق اذ ذاك محاصراً دمشق فتراءى جيشاه ونزل بقرب شقحب وحدثت بين الفريقين هنالك وقعة هائلة انتهت بفوز السلطان برقوق واستحواذه على الملك المنصور والقضاة والخليفة والعلماء ولحق منطاش بدمشق موهما نائبها بأنه قد انتصر على السلطان برقوق وان الملك المنصور قادم على أثره . ثم ماهي الا أيام حتى وافاه

السلطان برقوق فقاتله وهزمه وأثخن في جنوده ثم عاد الي شقحب وحمل الملك المنصور علي التنازل عن الملك وحمل الخليفة والقضاء علي اعادة الملك اليه وسار بهم الي مصر فدخلها في ٤ صفر سنة (٧٩٢) وأفرج عن الامراء المعتقلين بالاسكندرية والتفت الي منطاش فأخذ يرسل اليه بالامر اثر الامر لمقاتلته وكانت الحروب بينهم سجالا حتى انتهي الامر باضمحلال أمره فهرب الي حي من العرب يقال لهم آل فضل وتزوج منهم وأقام بينهم فصاروا يدافعون عنه.ثم وفد علي السلطان برقوق أحد أمراء آل فضل ووعده بتسليم منطاش اليه فوعده السلطان ومناه فرجع ذلك الامير وقبض علي منطاش وسلمه الى نائب حلب وبعث السلطان أسيراً من مصر فاحتز رأسه وطاف به في ممالك الشام وجاء به الي القاهرة سنة (٧٩٥) فعلق علي باب القاهرة ثم دفنه الي أهله فدفنوه وانتهت به الفتن والثورات

وفي سنة (٧٩٦) فر أحمد بن أويس صاحب بغداد أمام تيمورلنك التتري الذي كان قد ملك أكثر البلاد الشمالية وأثخن فيها وحاصر بغداد فهرب صاحبها المذكور وجاء الى السلطان برقوق مستنجداً به علي طلب ملكه والانتقام من عدوه فأجابه السلطان الي طلبه وجهزه بجنود الي الشام وكان تيمورلنك بعد أن استولى علي بغداد زحف علي تكريت وحاصرها ٤٠ يوماً وملك ديار بكر وأرزنجان . فكتب السلطان الظاهر برقوق الي جليان نائب حلب أن يخرج الى الفرات بجيشه ليترصد تيمورلنك ثم أرسل اليه يمدد من دمشق مع كشبغا الاتابك وغيره وكان تيمورلنك قد شغل بحصار ماردين فأقام عليها أشهراً ثم ملكها وامتنعت عليه قلعتها فارتحل عنها الي ناحية بلاد الروم ومر بقلاع الكرد فأغارت عساكره عليها واكتسحت نواحيها وبقي السلطان الي شعبان من السنة المذكورة فتربصاً لخصمه وبدا لتيمورلنك أن يقصد بلاد الهند فقصدها فعاد الملك الظاهر برقوق الى مصر

وفي سنة (٨٠١) هـ أرسل تيمورلنك الملك الظاهر برقوق يطلب اليه أن يخطب باسمه علي منابر مصر فأجابه السلطان اجابة تدل علي الازدراء والاستخفاف وتريه انه عازم علي قتاله وابتدأ الظاهر من يومه بجمع الجنود لمحاربته ولكن

أدركته منيته قبل ان ينفذ ما عزم عليه سنة (٨٠١) هـ

تولي بعده ابنه الناصر فرج من سنة (٨٠١) الى (٨٠٩) وكان عمره عشر سنين فظن الناس ان الاحوال تضطرب في أيامه ولكن لم يحرك احد ساكنا

وفي سنة (٨٣٠) أغار تيمورلنك علي بلاد الشام ونازل حلب وافتتحها ومثل بأهلها تمثيلا شنيعا فخاف اهل الشام وقدموا طاعتهم اليه.اما اهل بعلبك فامتنعوا عليه فسار اليهم وضيق عليهم الحصار فطلب اهلها الامان فلم يؤمنهم بل أوغل فيهم قتلا وتمثيلا

فاتصل الخبر بالملك الناصر فخرج بجيشه لملاقاة تيمورلنك الذي كان بجوار بغداد يريد اذذاك . فحدثت عدة مناوشات بينهما ثم حدث خلاف في جيش السلطان فعاد فريق منهم الي مصر .ودخل بعض خواص السلطان فرقه من احتمال وقوعه أسيراً في يد تيمورلنك ومما يتوقع من سوء معاملته له فداخله الذعر فرجع قاصداً مصر من ليلته فلما علم تيمورلنك بهرب خصمه احاط بدمشق وملكها وقتل اهاليها وسبى نساءها وأحرقها هي والجامع الاموي وكان فيه جم غفير من الملتجئين اليه من النساء والاطفال والشيوخ فهلكوا جميعا حرقا.ثم أخرب جميع المساجد والمعابد والقلاع وارتكب جنده من الفظائع مالا يوصف كعادتهم

ثم سار تيمورلنك عن دمشق الي ماردين وبغداد فملكهما وحارب بايزيد السلطان العثماني وقهره سنة (١٤٠٢) ميلادية

وفي هذه السنة أرسل تيمورلنك الي السلطان فرج بمصر هدايا نفيسة واعتذر اليه عما فعله بسورية من الفظائع

وفي سنة (٨٠٨) هـ وقعت فتن بين الامراء بمصر فخاف السلطان فرج علي نفسه واختفي ولم يعلم احد اين ذهب بعد ان ملك ست سنين واشهرا

فبايع اهل الحل والعقد لخاله عبد العزيز بن برقوق ولقبوه الملك المنصور ثم ظهر الملك الناصر من مخبأه فأمسك أخاه المنصور عبد العزيز وحبسه ثم قتله فكانت مدة ولايته ٤٧ يوما

فعاد الملك الناصر فرج ثانية . وفي سنة (٨٠٨) ظهر أمير عربي اسمه يعبر ابن مهنى فوثب علي دمشق وامتلكها

وهزم نائب السلطان بها وشكا الناس من جوره فقصده الملك الناصر فأزاله عنها وجدد بناء الجامع الاموى

وفي سنة (٨١٥) اتفق الامير شيخ ونوروز نائب الشام وغيرهما من الامراء على العصيان بالشام فخرج اليهم السلطان فلما وصل الى غزة فر بعض عسكره الى الامير شيخ ونوروز فقصدهم السلطان بمن معه فتوجها الى القاهرة عن طريق بلبك ووادى التيم فجد في طلبهما حتى أدركهما بالناصرة فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم السلطان وهرب الى دمشق فحاصراه بها ثم طلب الامان فأمناه . فلما نزل من القلعة قبضا عليه وسجناه وادعى عليه أحدهم بقتل أخيه ظلما فحكموا عليه بالقتل فقتلوه وأقاموا مريانا على مزبلة ثلاثة أيام وأضيفت السلطنة الى الخليفة بمصر المستعين بالله أبي الفضل العباس ابن محمد العباسي وصار خليفة وسلطانا مدة سنة أشهر

وكان الامير شيخ المحمودى الذى ثار على الناصر يعمل على أن ينال السلطنة فلما ولى الخليفة السلطنة ولي هو النيابة عنه بمصر ونوروز النيابة عنه بالشام ثم تطلع الامير شيخ المذكور لانتزاع السلطنة من يد الخليفة وتذرع لنيل غرضه بقومه فثاروا على الخليفة وعزلوه من الخلافة والسلطنة . وولوا السلطنة للامير شيخ المذكور وولوا الخلافة للفضل داود العباسي

تولى الملك الامير شيخ المحمودى الظاهرى أصله من مماليك الملك الظاهر برقوق أعتقه وقدمه في المراتب الى أن صار مقدم الف في دولة الملك الناصر فرج ثم نائب السلطنة بطرابلس ثم بالشام أيضا وأمره نيسور لنك في حلب ثم نجا من الاسر وكانت له أمور مع الملك الناصر فسجنه مدة . ثم انضم الى نوروز نائب الشام في عصيانه ولما قتل الملك الناصر وولى الخليفة العباسي كان الامير شيخ قائما بالجنود بمصر فخلع الخدمة كما تقدم وجلس مكانه في سرير الملك سنة (٨١٥) وتلقب بالملك المؤيد

من صفاته انه كان عاقلا حسن السياسة فسعدت البلاد في أيامه ولم يكدرها الا عصيان نوروز نائب الشام عليه لأنه لما رأى استبداده بالمملكة وخيانته اليهود التي كانت بينهما بقي بخطب

باسم الخليفة العباسي على منابر دمشق واستمر واضعا يده على البلاد الشامية الى غزة والى الفرات الى سنة (٨١٧) التي فيها سار الملك المؤيد بالجنود من مصر الى الشام ومعه الخليفة المعتضد بالله داود والقضاة الاربعة فوجد نوروز قد حصن دمشق فحاصره المؤيد فسلم نوروز نفسه فقطع رأسه وأرسله الى القاهرة فعلق على باب زويلة ثم دفن

أقام الملك المؤيد بعد ذلك بدمشق أياما لتنظيمها ثم عاد الى مصر واستمر سلطانا على مصر والشام الى أن مات سنة (٨٢٤) وهو الباني لمسجد المؤيد المشهور بالقاهرة بقرب باب زويلة

لما توفي الملك المؤيد شيخ اجتمع الامراء وبايعوا لابنه احمد بن شيخ وكان طفلا لم يتجاوز الثانية فعارض الخليفة في توليته ولكنه اضطر للاذعان فبايع له ولقبه الملك المظفر . وقام الامير تغربردي بتدبير الدولة حتى يبلغ رشده ثم طمع في الملك فخلع المظفر وجلس على السرير مكانه سنة (٨٢٤)

استتب الامر للامير تغر وخطب باسمه على منابر مصر والشام وتلقب بالملك الظاهر ولكنه لم يهنأ بالملك طويلا فتوفي سنة توليته

تولى بعده الملك الصالح محمد بن تغر من سنة (٨٢٤) الى (٨٢٥) هو ابن المتقدم وكان عمره احدى عشرة سنة فقام بتدبير دولته جاني بك الصوفي فصار صاحب السلطة التامة فاستوحش الملك أمراء المماليك فثار عليه برس باى فقيده وأرسله الى السجن بالاسكندرية وقويت شوكة برس باى وتعصب له جماعة من الامراء فخلعوا الملك الصالح محمد بن تغر ونادوا ببرس باى ملكا فكانت مدة سلطنة الملك الصالح ثلاثة أشهر وأربعة عشر يوما

تولى بعده برس باى وتلقب بالملك الاشرف من سنة (٨٢٥) الى (٨٤١) وكان عاقلا حسن السياسة فأزال المظالم التي أحدثها سلفه وسعدت البلاد في أيامه واغتنى الفقراء . من أعماله التي تدل على وفور عقله منعه الناس من تقبيل الارض بين يديه كعادة الملوك الذين سبقوه وابداله ذلك بتقبيل اليد فقط

أرسل في سنة (٨٢٩) جيشا الى قبرص لقتالها ولا ننس ان القبرصيين

سقطوا على الاسكندرية في عهد الاشرف شعبان فأحدثوا فيها من المنكرات مالا يوصف ثم رحلوا عنها فبلغ جيشه الى المنوفية ثم الى الملاحة وحدث قتال شديد بين الجيشين فانهزم ملك قبرص فأسر عساكر السلطان نحو ٧٠٠ أسير وملك حصن لامسون وقتل أخو الملك وأسر الملك نفسه فأحضروه الى مصر بعد أن نهبوا قصره وأحرقوه وأحرقوا معه دوراً أخرى كثيرة وغنموا شيئا كثيراً . ولما بلغوا بملك قبرص الى القاهرة اصطفت جنود مصر صفين أمام باب القلعة وأدخلوا الملك بينهما مقيداً راكبا بغلا فسجن . ثم اتفق الملك مع السلطان أن يفدى نفسه بمئتي ألف دينار يدفع له نصفها معجلا والنصف الآخر عند عودته الى قبرص وأن يدفع له جزية سنوية ٣٠ الف دينار فقبل السلطان ذلك

في هذه السنة أى (٨٢٩) أكملت عمارة المدرسة الاشرفية بسوق الوراقين بالقاهرة

وفي سنة (٨٣٣) حدث في مصر طاعون شديد اجتاح منها خلقا كثيراً حتى مات في يوم واحد نحو ٢٤ الف نسمة وضج الناس وصار بعضهم يودع بعضاً كأنهم في ساحة حرب لا مناص فيها من الموت الزؤام

وفي سنة (٨٤١) مرض السلطان الملك الاشرف برس باى وحدثت له ماليخوليا فأمر بنفي الكلاب من القاهرة الى الجيزة ورسم أن لا تخرج المرأة من بيتها فكانت المرأة اذا أرادت الخروج لحاجة حملت على رخصة من المحتسب وعلقتها برأسها ليباح لها أن تمشي في السوق

تولى الاشرف في تلك السنة بعد أن ملك ١٧ سنة وستة أيام

تولى بعده ابنه العزيز يوسف ولقب الملك العزيز وكان عمره أربع عشرة سنة فقام بتدبير دولة الاتابك جقمق فاستبد بالامور وصار صاحب الحل والعقد حتى دبت عقارب الفتن بينه وبين بقية الامراء المماليك فأخذوا في معاكسته وكان الملك العزيز يميل جقمق كالاتابك وهم جماعة يقتل جقمق فلم يمكنوهم أنصاره من الامراء المشايعين له فانشب القتال بين الطائفتين فهزمت الطائفة الثائرة فاتفق أنصار جقمق بعد هذا النصر العظيم على تمليكه وخلع العزيز فحصل ذلك وتولى

جقمق الملك باسم الملك الظاهر

تولى الملك الظاهر من سنة (٨٤٢) الى (٨٥٧) فتلقب الملك الظاهر فرزع المناصب والاقطاعات على حزبه فولى نيابة السلطنة بمصر لاقبغا التمرازى وهو آخر من تولى هذه الوظيفة بمصر لان المماليك ابطلوها بعده

وفي سنة (٨٤٣) خرج اينال الحكمي نائب الشام عن الطاعة وتابعه على ذلك تمرى برمش نائب حلب فأرسل الظاهر اليهما العساكر ونصب الاتابك أقبغا التمرازى المذكور نائبا بالشام بدل اينال فسار التمرازى وحارب الثائرين وهزمهم وأسرهم وضرب أعناقهم وأرسل برؤوسهم الى القاهرة فعلقت على باب زويلة

وفي سنة (٨٥٧) شعر الظاهر بقرب أجله فاستدعى القائم بأمر الله وقضاة المذاهب الاربعة وخلع نفسه من الملك وعين بدله ولده عثمان

أنشأ الملك الظاهر كثيراً من المساجد والقناطر والجسور وكان يكرم العلماء ويحب الفقراء ويواسيهم

تولى بعده ابنه عثمان جقمق فلقب بالملك المنصور فعين اينال العلائي رئيسا لجيشه واضطر لنقص مرتبات الجنود لعدم توفر المال لديه فثار عليه الامراء وخلعوه وعينوا اينال قائد جنوده ملكا عليهم وحاصروا الملك عثمان بالقلعة وقطعوا عنه الماء وضيقوا عليه وعلى من معه حتى اضطر للتسليم فقبض عليه اينال وأرسله معتقلا الى الاسكندرية فكانت مدته ٤٣٤ يوما

تولى الملك اينال العلائي ولقب بالاشرف من سنة (٨٥٧) الى (٨٦٥) كان عاقلا حسن السيرة سعدت الامة في عهده ولم يحدث في ايامه ما يهم التاريخ من الحوادث . ولما مات كان الاسف عليه عاما

تولى بعده أبنه احمد فلقب المؤيد وكان عمره ٣٨ سنة واهلا للملك بصيراً بمصالح الرعية فنفر به المماليك وخلعوه وبايعوا قائد جنوده خوش قدم

تولى خوش قدم من سنة (٨٦٥) الى (٨٧٢) ولقب بالظاهر ولم يكن جركسي الاصل بل روميا اشتراه التاجر ناصر الدين وباعه للملك المؤيد شيخ فأعتقه فبلغ رتبة جامدار ثم صار خاصيكيا في عهد الملك الظفر ثم رقي الى مقدم

الف بدمشق . ولما تمم السلطان علي الامير قاني بك حاجب الحجاب نفاه واستحضر خوش قدم وانعم عليه باقطاع الامير المذكور سنة (٨٥٤) ثم صار اميراً سلاح في دولة الملك الاشرف اينال ولما توفي وتولي بعده ابنه احمد جعل خوش قدم قائداً للجنود . ولما خلع المماليك السلطان أحمد اينال عينوه سلطانا ولقبوه بالملك الظاهر سنة (٨٦٥) فكان حكيما بارأ حليما محبا للرعية ساهراً على راحتها فأجمع الكل على طاعته وحبه فحكم ست سنين ونصف سنة كانت كلها سلاما ورخاء وتوفي سنة (٨٧٢)

تولي بعده الملك الظاهر بلباي المؤيدي نسبة الي الملك المؤيد شيخ وحضر الخليفة المستنجد بالله يوسف وقضاة المذاهب الاربعة فبايعوه بالسلطنة وسمي الملك الظاهر وكنى ابي نصر ولقب سيف الدين . عين تمربغا قائد الجنود ووزع بقية المناصب على خاصته وقبض على بعض الامراء وسجنهم بالاسكندرية وقطع مرتبات بعض الخدم فتنفرمنه القلوب وحدثت فتنة أفضت الى اجتماع الامراء سنة (٨٧٢) خلعوا فيه الملك الظاهر بلباي بحضور الخليفة والقضاة الاربعة واتفقوا على ان يبايعوا رئيس الجنود تمربغا سلطانا فقبضوا على بلباي وقيدوه وأرسلوه معتقلا الى الاسكندرية فكانت مدة حكمه شهرين الا أربعة أيام

تولي تمربغا سنة (٨٧٢) ولقب بالظاهر وهو رومي الاصل كان كفؤا للحكم وله الم ببعض العلوم . فجعل الامير قايتباي قائداً لجنوده ووزع المناصب والاقطاعات على من شاء من الامراء . ثم وقعت وحشة بينه وبين مماليك السلطان خوش قدم فاتفق رئيسهم خير بك مع بعض الامراء على خلع الملك الظاهر والبيعة لنفسه فهجموا على قصر السلطان وقبضوا على جماعة من امرائه وخيل للامير خير بك انه قد تم له الامر فأخذ يوزع المناصب من ليلته . وكان قائد الجنود قايتباي غائبا فأسرع الي مصر تلك الليلة فثار مع رجاله على خير بك واسقطه في تلك الليلة نفسها ودعا الناس الي مبايعته وصار من قصده الي القلعة فلما رأى خير بك ما حل به أخرج السلطان تمربغا من السجن وأجلسه على منصة

الملك وقبل الارض بين يديه وقال له اتتلقى فقد كنت باغيا عليك . فقال له السلطان : «قضى الامر ولم يبق لي ولا لك بقاء» ودافع رجاله وخير بك عنه دفاع الابطال فلم يغنوا عنه شيئاً وقبض عليهم قايتباي وسجنهم بالقلعة وارسل السلطان تمربغا مكرما الي دمياط . وكانت مدة حكمه ٥٨ يوما

تولي قايتباي من سنة (٨٧٢) الى (٩٠١) ولقب بالملك الاشرف وهو جركسي الاصل كان من مماليك الملك الظاهر جقمق اشتراه من تاجر اسمه محمود فأعتقه وجعله جامدارا ثم خاصكيا ثم دويدارا وتوفي الظاهر جقمق وتملك الظاهر بلباي فجعله رأس نوبة النواب ولما تولى الظاهر تمربغا جعله اتابك الجنود أي قائدها فتم الامر كما رأيت سنة (٨٧٢) وسمي الملك الاشرف وكنى ابا النصر ولقب سيف الدين

لما تولي هذا الملك كانت البلاد على أسوأ حالات الاضطراب فاستعمل الحزم والعزم في معاملة المفسدين حتى عادت السكينة الى البلاد وعمها العدل ولم يحدث مدة ملكه الطويلة شيء من الفتن بمصر فالتفت الاشراف الي الخارج ورأى أن هناك دولة تتربص بمملكته الدوائر الا وهي المملكة العثمانية وكان السلطان العثماني في عصره بايزيد فطمع في الاستيلاء على الشام ومصر فأرسل جيشه سنة (٨٩٢) لفتح سورية فبلغ الملك قايت باي الخبر فأرسل جيشه لصد الترك فحدثت بينهما موقعة قتل فيها خلق كثير من الطرفين وانهزم الترك ورجعوا الي أدنة فتبعهم اليها الجراكسة وحاصروها واخذوها منهم

وفي سنة (٨٩٤) طمع الترك في الاستيلاء على حلب فأرسل قايت باي جيشا نجدت قيادة قانصوه الشامي فاستولي على بعض بلاد الترك ثم حصل صلح بين بايزيد والاشراف وتبادلوا اطلاق الاسرى

مات هذا السلطان وعمره (٨٩) سنة بعد ان حكم ٢٩ سنة وأربعة اشهر وأياما ولم تتفق هذه المدة لغيره من سلاطين هذه الدولة وقد خلف كثيراً من الآثار التي تحمد ذكره منها مدرسة بمكة وعمارة المسجد المكي ومدرسة بيت المقدس ومدرسة بدمشق واخرى بغزة ورباطا

بدمياط وخامسة بالاسكندرية وجامع بالصحراء وآخر بالروضة وغيرذلك

تولى من بعده الناصر محمد بن قايتباى من سنة (٩٠١الى٩٠٢) وكان عمره ١٤ سنة فانهمك على اللعب فلم يرق في نظر الناس فاجتمع امراء الجراكسة والطليقة والقضاة وعزلوه وولوا مكانه قائد الجنود قانصوه خمس مئة (لقب بذلك لانه اشترى بخمس مئة دينار)

تولى قانصوه خمس مئة ولقب بالملك الاشرف قام بالقبض على الملك الناصر فتعصب له بعض المماليك وحدث بين الفريقين قتال فتغلب حزب الناصر على حزبه وحاصروه هو ومعه الطليقة والقضاة يومين حتى جرح قانصوه واختفى عليخجدله بعض غلمانه وعاد الناصر الى الملك

عاد الملك الناصر محمد بن قايتباى من سنة (٩٠٢ الى ٩٠٤) فتوجه اليه الطليقة والقضاة الاربعة وهنأوه بانتصاره بعد ان كانوا بلامس مع خصمه قانصوه يفتون له بما يحب ويهوى . ورجع الناصر الى ماكان عليه من اللعب وشرب الخمر حتى مقته الناس وتربصوا به لاغتياله

وفي سنة (٩٠٤) خرج السلطان الى الجيزة فقضى هنالك ثلاثة ايام مع ندمائه وخلانه في أشد حالات التهتك والخلاعة ثم ركب في آخر تلك الايام عائداً الى القاهرة ولم يكن معه الا أبناء عمه وبعض صلاحداريته فمر على الطالبية وكان هناك طومان باى الامير الجركسي فخرج مسرعا لقاء السلطان وسأله أن ينزل عنده فأبى فقدم له كأسا من لبن فوقف السلطان وهو على جواده ليتناول ذلك اللبن وطومان باى آخذ بلجام فرسه واذا بخمسين مملوكا خرجوا من الخيام التي هناك فهاجموه بالسيوف فقتلوه شر قتله ونسب ذلك الى طومان باى

فاتفق المماليك على تعيين قانصوه الاشرفي وهو خال الملك الناصر فبايعوه ولقبوه بالملك الظاهر وكنوه أبا سعيد فعين الامير جان بلاط قيادة الجنود واستعمل دولت باى في نيابة حلب والامير قصروه في نيابة الشام وبلباى في نيابة طرابلس

وكان طومان باى يطمع في السلطنة فهرب الى الصعيد فأرسل اليه السلطان يستدعيه وحلف له بأن يحسن اليه ويكرمه فلم يرجع فأحس الملك الظاهر بقرب

الشر فأخذ يستعد للحصار وملأ القلعة بالمؤن والذخائر وقبض على بعض المماليك المشايعين له ووزع السلاح على خاصته وحضر طومان باى من الصعيد في رجاله واتفق مع رئيس الجنود وهو الامير جان بلاط على احداث ثورة فكان ما أراد واستمرت الحرب ثلاثة أيام وانتهت بهزيمة شيعة الملك وهرب هو في زي امرأة الى المقابر . فعثروا عليه بعد خمسة عشر يوماً وأرسلوه الى الاسكندرية معتقلا بعد أن تولى سنة وثمانية أشهر ويومين

تولى بعده جان بلاط ولقب بالاشرف من سنة (٩٠٥) الى (٩٠٦) فأظهر قصروه نائب الشام العصيان فأرسل اليه جان بلاط أمير جنوده طومان باى لاخضاعه ، ولكن طومان باى هذا بدل ان يحارب الثائر انضم اليه وعادا معاً الى القاهرة فخلع جان بلاط وخاف الامراء شر طومان باى فأخذوا ينخلون عن الاشرف وينضمون اليه . وتقدم طومان باى فقبض على الملك وقيده بقيد ثقيل وارسله الى الاسكندرية معتقلا . ثم امر بخنقه وكانت مدة ملكه سنة أشهر وثمانية عشر يوماً

تولى بعده طومان باى ولقب الملك العادل سنة (٩٠٦) وكان عند بيعته بدمشق فصلى الجمعة بالمسجد الاموى ثم دخل قلعة دمشق وسكنها وخطب له بالشام . ثم قصد مصر وفي خدمته قائد جنوده قصروه الذي كان نائب الشام فترح به الناس لينضموا جان بلاط فلما تمكن طومان باى من الملك قتل قصروه واستخف بالامراء المقدمين فحقدوا عليه واتفق الامير قنبل امير السلاح وقانصوه النوري الدويدار الكبير وغيرهما على الثورة عليه فهرب طومان باى واختفى ثم عثروا عليه فقتلوه وقطعوا رأسه ودفنوه في تربته التي كان أعدها لنفسه أيام امارته في أطراف الصحراء فكانت مدة ملكه ثلاثة أشهر ونصف شهر

تولى قانصوه النوري ولقب الملك الاشرف وكان لين العريكة سهل الازالة في أي وقت ارادوا لانه كان اقلهم مالا واضعفهم حالا . ولما عرضوا عليه الملك قال لهم اقبله على شرط أن لاتقتلوني قتلاً أردتم عزلي فاخبروني وأنا انتازل لكم عن الملك فعاهدوه على ذلك ففرح الناس

ولايته . كان كثير الدهاء والفطنة شديد العلم كثير الظلم فأخذ يغرى بعض الامراء ببعض ويأخذ هذا بهذا ويدس لهم السم في الدسم حتى أباد كبراءهم ودهاتهم

وفي سنة (٩٢٢) بلغ قانصوه أن السلطان سليم العثماني يقصد الشام ومصر فتجهز له وخرج الي دمشق ومنها الى حلب وهناك وصله وفد من السلطان سليم العثماني للمفاوضة معه في الصلح وكان ذلك خدعة من السلطان سليم ليتم قانصوه من الاستعداد . فخلع قانصوه على الوفد وأرسل الي السلطان سليم الامير منلباى الدويدار للمفاوضة في الصلح فقبض السلطان سليم عليه ووضعه في الحديد وأراد شنقه فشفع فيه بعض وزرائه فتركه ثم أمر السلطان سليم جنوده بأن يسيروا نحو حلب فوصلوا الي عنتاب وملكوا ملطية وغيرها فلما بلغت هذه الاخبار الملك قانصوه خرج من حلب وسير أمامه النواب والجنود وعاد اليه الامير منلباى سفيره وقص عليه ماقيه من الاهانات وبلغه رسالة السلطان العثماني وهي : « قل لسلطانك أن يلاقينا بمرج دابق » فاضطرب قانصوه من ذلك

وفي يوم الاربعاء ١٩ رجب سنة (٩٢٢) رحل قانصوه الى مرج دابق فوصله في ١٥ منه وأقبلت عليه جنود السلطان التركي فحصلت بين الفريقين معركة دموية انجلت عن هزيمة الجراكسة وقتل قانصوه الغورى وتشتت جيوشه شذر مذر ووقع كل ما كان معه في قبضة سليم الاول

كانت مدة ولاية السلطان الغورى ١٥ سنة و ٩ أشهر . من آثاره جامع الغورية ومدرسة الغورية في أول شارع السكة الجديدة بالقاهرة

دخل السلطان سليم حلب فملكها ثم توجه الي حماة وحمص فاستولي عليهما ثم قصد دمشق فاستقبله أهلها وطلبوا منه الامان فتم له ملك سورية برمتها فأقام عليها العمال وصار منها الي مصر

تولي بعد السلطان قانصوه طومان باى ابن أخيه وكان يدبر الملك في غيبته فلقبوه الملك الاشرف فبدأ يستعد للاقاة الاتراك . أما السلطان سليم فلم يمهله فقد قسم عسكره الي فرقتين أرسل فرقة من تحت الجبل الاحمر وفرقة لمقابلة الجراكسة

في الريدانية فهزمتهم وشتتت شملهم وثبت الملك الاشرف طومان باى يقاتل مع نفر قليل الي أن خاف أن يقبض عليه فهرب واختفي ودخل القاهرة جماعة من الترك شاهر بن سيوفهم وذلك في أواخر سنة (٩٢٢) ه

فلما هلت سنة (٩٢٣) أمر السلطان سليم جنوده بالكف عن النهب وأمر باحضار من قبض عليه من الجراكسة فضرب أعناقهم . وفي يوم الاثنين ٣ من المحرم دخل السلطان القاهرة في موكب عظيم

أما طومان باى فانه لما اختفي جمع عسكرا كثيفا ووثب يوم الاربعاء ٥ محرم على محلة السلطان سليم وأحاط بها فنشب بينهم القتال ودام الليل كله واستمر الى اليوم التالى فانهزم الجراكسة بعد أن قاتلوا قتال الجبابرة وكان أشد ما قوبل من هذه الحرب مدافع السلطان سليم وبارودها ولم يكن سبق منها شيء

فهرب طومان باى الي الصعيد ولحق به هناك كثيرون من الامراء والعساكر فلما قوى شأنه تقدم الي الجيزة فبرز اليه الترك وحصلت بين الفريقين موقعة هائلة أخرى تقلب الجراكسة في أولها ثم دارت عليهم الدائرة في آخرها وولي طومان باى منهزما فلاقاه حسن بن مرعي في ضيعة اسمها البوطة وكان صديقه من زمان بعيد فأنزله ضيفا عنده وحلف له ان لا يخونه ولا يدل عليه ولما بالمربان احتاطوا به من كل جهة وهو لا يدرى وأطلوا السلطان العثماني بمكانه فأرسل جماعة من جنوده فقبضوا عليه وقيدوه بالحديد وأتوا به فأبقاه مقيداً أياماً وفي يوم ١١ ربيع الاول سنة (٩٢٣) أمر بشنقه على باب زويلة فكانت مدته ثلاثة أشهر وأربعة عشر يوماً وبموته انقرضت دولة المماليك وأصبحت سورية ومصر في قبضة العثمانيين

وكانت مصر مقر الخلافة الاسلامية من بني العباس كما قدمنا من عهد السلطان الظاهر بيبرس فكان الخليفة على عهد السلطان سليم المتوكل على الله محمداً فطلب السلطان الى الخليفة أن يتنازل له عن الخلافة فتنازل له وسلمه الآثار النبوية وهي الراية والسيف والبردة وسلمه أيضاً مفاتيح الحرمين فأصبحت الخلافة في سلاطين الترك من ذلك الحين

ولي سنة (٩٢٣) عاد السلطان سليم الى مقر ملكه بالآستانة بعد أن ولى مصر خير بك امير الامراء طمعة له طول حياته وكان وعده بذلك من قبل فتولاها ومات سنة (٩٢٦)ه

فصارت مصر مع العثمانيين كما كانت مع الدولة الرومانية يرسل اليها الولاة لمدة قصيرة فتولاها بعد خير بك مصطفى باشا ثم قاسم جزل باشا ثم احمد باشا الملقب بالخائن سنة (٩٣٠)ه وكان السلطان سليمان بن سليم قد ولي الصدارة أوداباشا وكان احمد باشا والي مصر أقدم منه في الخدمة وكان يؤمل ان يرقي الى رتبة الصدارة قبله فأراد السلطان أن يستوضيه فولاه على مصر فصار الصدر الاعظم يتحين الفرصة لاتهامه بما يوجب قتله فأوعز الى امراء الجراكسة بمصر أن يجتمعوا عليه و يقتلوه و يولوا احدهم مكانه الى أن يرسل اليهم واليا جديداً فصار احمد باشا على هذه المكيدة فأظهر الاستقلال بمصر وضرب السكة باسمه وكان قد حبس بالقلعة امير بن كبير بن من امراء المماليك وهما وهب جانم الخزاوى ومحمد بك وأراد قتلهما فبلغهما انه دخل الحمام فكسرا السجن وخرجا ونصبا صنجقا سلطانيا وناديا من اطاع الله ورسوله والسلطان فليقف تحت الصنجق فوقف تحته خلق كثير وصار سردارهم جانم الخزاوى ومحمود بك وتوجها بالجنود الى الحمام فكبسوه على احمد باشا وكان قد حلق نصف رأسه فأعجله عن حلق النصف الثاني هجوم الجنود فهرب الي سطوح الحمام وتسلق من مكان الي مكان الي أن وصل الي الارض فنهبوا جميع ما كان عنده من السلاح والذخيرة ثم التفوا أثره فأدركوه بخنية جناح بالغربية فقتلوه في أواخر سنة (٩٣٠) ه وجزوا رأسه وجيء بها الى مصر وعلقت في باب زويلة ثم جهزت وأرسلت الي السلطان نفسه فكانت مدة تصرفه بمصر سنة واحدة

تولي بعده ابراهيم باشا سبعة أشهر ثم طلب لتولى الصدارة العظمي فخلفه سليمان باشا الخادم سنة (٩٣١)ه فعين الامير كيوان سنة (٩٣٢) لمساحة قرى مصر وضبط أراضيها كل اقليم على حدته من الاطيان السلطانية والارزاق والاوقاف والاقطاعات وغير ذلك وكتب بذلك

دفاتر محررة ووضعت بديوان مصر المحروسة وسميت دفاتر تراييع سنة (٩٢٣) ثم عينه السلطان باليمن سنة (٩٤١)

ثم تولي خسرو باشا سنة (٩٤١). ثم عاد سليمان باشا الخادم لولاية مصر وبقي فيها الي سنة (٩٤٥)

ثم تولي داود باشا سنة (٩٤٥) فبنى مدرسة عظيمة بسويقة اللالا بمصر ووقف لها أوقافا جمة وبقي بمصر الي سنة (٩٥٥) فكانت مدته احدى عشرة سنة وشهراً وعشرين يوما وتوفى بمصر

ثم تولى مصطفي باشا صنصفان فلم تزد مدة ولايته عن أربعة أشهر ونصف شهر

ثم تولي علي باشا الى سنة (٩٦١) فكانت مدته أربع سنوات وخمسة أشهر و ٢٦ يوما

ثم توالت ولاة لا فائدة في ذكرهم عقبهم سنان باشا سنة (٩٧٥) فورد عليه الامر بالتوجه لفتح اليمن واسترجاعها من الزيديين الثائرين فتوجه اليها ومعه جماعة من أكابر صناجق مصر وكان أولئك الصناجق قد أتهموا بقتل أحد الولاة فلم يرجع منهم الي مصر أحد

فتح سنان باشا اليمن واسترجعها من يد الثائرين الزيديين . ثم تولي بعده اسكندر باشا الفقيه وهو جركسي الاصل فبقي لي سنة (٩٧٩) ثم عاد سنان باشا فأحدث فيها مآثر جليلة ومساجد جميلة ور بطا وتكايا في كثير من البلاد السورية والمصرية بحيث فاق في ذلك كل من تقدم من الولاة. ثم توجه لزيارة قبر السيد البدوى فبلغه ان الامير منصور بن بغداد أمير ولاية المنوفية صغير السن غير ملتفت لغير اللعب واللهو ولكنه مع ذلك يستند الى معونة الصدر الاعظم سياوش باشا فخشي سنان باشا من ضياع الاموال الديوانية فعزله عن ولايته وجعل مكانه الامير علام بن بغداد وقبض على الامير منصور وسجنه بالقلعة فبقي معتقلا الي ان تولى مصر حسن باشا الخادم فأطلقه وأعاده الي ولايته فكانت مدة حبسه نحو عشر سنوات

ثم دعي سنان باشا لتولي الصدارة بعد أن مكث بمصر المرة الثانية سنتين

ومن ولاة الترك بمصر مسيح باشا واليها سنة (٩٨٢) وكان عادلا محبا فقيرا

يكره أهل الفساد واللصوص وقطاع الطريق ويتجسس عن أخبارهم ومواطنهم ويقتل منهم من يظفر به ويشنع في قتله فاتنظمت الاحوال في زمانه وأمن الناس على أنفسهم وأموالهم وخافه الحكام والولاة وبطلت الرشوة . توفي سنة (٩٨٨) بعد أن لبث بمصر خمس سنوات وسبعة أشهر وخمسة عشر يوما

ثم تولى بعده حسن باشا الخادم فأمر بأن يلبس اليهود العراطير الحمر والنصارى البرانيط السود وكان قبل ذلك لبس اليهود العمائم الصفر والنصارى العمائم الزرق . وكان هذا أول محبا لجمع المال فصادر أموال الكثيرين من المصريين

تولى بعده الوزير ابراهيم باشا ففرح الناس بقدومه وكان بيده أمر سلطاني بمحاسبة حسن باشا الوالي السابق وكان يرجو أن يظفر به في مصر الا انه كان قد سبقه وأقام وكيلا عنه لقاضائه فظهرت عنده أموال كثيرة أخذها من الناس غصبا . ثم ان ابراهيم باشا توجه بنفسه الى بئر الزمزمة فأحاط بها علما وأخذ منها بعض الاحجار وتوجه الى الاهرام وأراد الوقوف على سره فلم يستطع الى ذلك سبيلا

ثم تولى اويس باشا فحدثت في أيامه فتن فهرب الناس الى كل فج خوفا من الجنود الثائرة ومنع المصريين من الانتظام في سلك الجندية ومن التشبه بالجنود في ملابسهم وحدثت مناهب ومسالب . وحدث زلزال لم ير مثله في مصر فسقطت منائر بعض المساجد وبيوت وربوع وفاض الماء من حوائط الحمامات وخاف الناس خوفا شديدا . وتوفي اويس باشا سنة (٩٩٩) هـ فكانت مدة ولايته أربع سنوات وشهراً واحداً وثمانية أيام

تولى بعده احمد باشا حافظ وكان محباً للفقراء والفقراء ذا رأى وتدبير عمر وكالة كبيرة ووكالة صغيرة وسوقا وقهوة وبيوتاً وربوعا ببولاق وصنع سحابة بطريق الحاج ثم ولي الصدارة فسافر من مصر فحزن الناس لفراقه حزنا شديدا لما كانوا رأوه من عدله وحسن أثره بينهم. ثم انه استقال من الصدارة ومر حاجا فلقيه المصريون باحتفال عظيم أظهروا له فيه ما تكنه صدورهم من حبه والشعور بما أثره

تولى بعده الشريف محمد باشا سنة (١٠٠٤) فأهرع الناس اليه يشكون من حكومة حسن الشاغرت وأحمد السلماني بسبب خيانتهما في جميع الاموال الديوانية فحقق التهم الموجهة اليها فثبتت عليهما فأمر بشنقهما

ثم عزم على التوجه الى الربيع فتهاه بعض خاصته لما يعلم من تألب البعض عليه فلم ينته فذهب وقضى وطره وبينما هو عائد بموكبه الحافل تعرض له الجنود عند باب الوزير فوقفوه وأمروه المجيء معهم للمحاكمة فلما رأى أن حرسه لا يكفي للدفاع عنه أوهمهم بانه قد أطاعهم وسار معهم الى ان وصل الى الرملية فركض فرسه ودخل القلعة واقفلها عليه واستمر على ذلك حتى صرف عن ولايته ومما يعزى اليه اصلاحات أحدثها بالازهر

ومن ولاة الترك علي باشا تولاها سنة (١٠١٠) وعند قدومه تكاثرت عليه الشكاوى من الكشاف (أي مديري الاقاليم) واكثر ذلك من بروبز كاشف المنوفية فأمر بقتله ثم حدثت شكاوى في حق محمد بن نجا حاكم الشرقاوية فأمر بقتله أيضاً فهابه الحكام واستقاموا له وخافه الناس كلهم ولقبوه بالنمر

ثم بدا له كأكثر ولاة الترك أن يزور السيد البدوي في موكب حافل فزاره ووزع الصدقات على الفقراء والجوائز على المستخدمين . وبينما هو راجع تصداه الجنود بالسلاح فطلبوا اليه أشياء كان منعهم اياها فلم يسعه الا أن منحهم اياها وحدث له بعد ذلك غيظ شديد مرض بسببه فطلب من السلطان أن يقيله فأقاله سنة (١٠١٢) هـ

في زمنه ظهر بمصر التبغ وولع به السود والسوقة وسرى الى بعض الخاصة

ومن ولاة مصر ابراهيم باشا وكان مستبداً برأيه لا ينقاد لنصح ناصح ولا اشارة مشير فأخذ يتتبع عثرات الجنود ويتجسس عن أخبارهم وعن اجتماعاتهم ولاسيما في مجالس الانس والطرب فانتهز الجنود فرصة وجوده بوليمة وعمه الامير اللواء محمد خسرو باشا فهجموا عليه وطلبوا اليه مطالب لا يمكن منحها فاغلظ لهم في القول وهم امير اللواء محمد خسرو بدفعهم بقتله وقتلوا الوالي وحملوا رأسيهما على جريدتين وهما بباب زويلة

تولى بعده مصطفى أفندي عزمي

زاده سنة(١٠١٣)فلم يلبث غير شهرين وثلاثة عشر يوما

ثم تولي بعده جرجي محمد باشا فألقته الرياح وهو قادم لمصر الي ثغر دمياط فنزل منه وتعقب قتلة ابراهيم بشا فهربوا منه في كل وجه فتتبعهم فمن عثر عليه منهم قتله ومن لم يعثر عليه بقي مشرداً . ثم دعي بعد نحو سبعة أشهر لتولى الصدارة العظمي

ومن ولاة مصر محمد علي باشا وليها سنة(١٠١٦)هـ فتراكمت عليه الشكاوى من جميع الجهات عند قدومه لان الناس كانت في ضنك شديد من تصرف مديرى الاقاليم فكان لايرد علي أحد منهم بكلمة ثم أخذ في اصلاح الامور فاستدعي اليه سليمان ابن درغت كاشف المنوفية وبرويز بحر كاشف الغربية وكوسة علي كاشف البحيرة فقتلهم وولي كشافا بدلهم وأخذ عليهم العهود والمواثيق أن يسيروا بالعدل والا يجحفوا بحقوق مرؤوسيهم وكان من جملة من ولاهم الحلوجي عينه الغربية فتوجه لي بولاق لقضاء بعض مصالحه فلقيه جمهور من الجنود فطلبوا اليه شيئاً فلم يعطهم اياه فقصدوه بالسوء فألقي بنفسه الى سفينة هناك ومنها رمي بنفسه الي البحر فغرق فبلغ ذلك الوالى فجمع أمراء الجنود باليدان ونصب البيرق ونادى مناد من كان مطيعاً لله ورسوله وأولي الامر فليدخل تحت لواء السلطنة العثمانية فاجتمع عالم كثير من الامراء وأكابر الجنود فلبثوا هنالك ثلاثة أيام ثم مازوا الذين فتكوا بالحلوجي من سواهم وقتلوهم فهدأت تلك الثائرة

ثم أن جنوداً تألبوا من الاقاليم واجتمعوا في المرج والزيات وتحالفوا علي الحرب فأرسل لهم محمد باشا من يعظهم ويردهم الي الطاعة فلم ينتهوا فلم يسعه الا أن جمع جنوداً ومعهم بعض العرب وأمر السردار مصطفي بك بمقاتلة الثائرين فساروا الي أن وصلو بركة الحاج فلما تراأى الجمعان انهزم الثائرون وقبض علي محركيهم وضربت أعناقهم ولم ينج منهم الا القليل فقال أحد شعراء ذلك العصر في ذلك وانما نذكر هذا الشعر ادلالا علي ماكانت عليه حالة الادب في مصر في ذلك العهد قال:

يوم نصر الوزير قد كان عيداً
عيد فطر لفطر قلب الحسود

واذ قلت عيد أضحي فصدق
فضحاياه ضاريات الاسود
ألحدوا في الانام نهبا وقتلا
فأزيلوا وأسكنوا في اللحود

وقال شاعر مورخا :

أنظر أنظر الى البغاة ومن هم
لوزير المليك راموا نكالا
وتعدوا طوراً وجاؤا بانك
طلبوا الغدر حين راموا جدالا
وأتوا بالجيوش من كل فج
واستحقوا القيود والاغلالا
وأتوا مصر صاغرين لقتل
لم يروا منه للفرار مجالا
وعلاهم الذل فارخت زالوا
وكفي الله المؤمنين القتالا

ونظم العلامة الشيخ عبد الله الدنوشرى في ذلك :

بشرى لمولانا الوزير محمد
فهو الذى بذوى المفاسد يفتك
وعلي البغاة له انتصار دائم
تاريخه جمع الخوارج أهلكوا

ثم دعي محمد باشا المذكور للصدارة العظمي فخرج من مصر في موكب حافل وتقلد الولاية بدله حاجي باشا فلم يبق الا شهراً واحداً وسبعة عشر يوماً ثم خلفه محمد باشا سنة (١٠٢٠) وجاء معه أربعة آلاف جندى من الاتراك كانوا أحدثوا فتنة بالقسطنطينية فاحتال عليهم وأخذهم معه موهما اياهم باسكانهم مصر واغداق خيراتها عليهم فلما حضروا أمرهم بالاستعداد للسفر الي اليمن فأدركوا ان اخراجهم من بلادهم كان حيلة أريد بها نفيهم الي حيث لايعودون فثاروا ثورة رجل واحد وألقوا بالامر عرض الحائط ثم أظهروا الانقياد فعين الوالى عليهم فندق بك فيروز فلما مروا بباب النصر عادوا الي التمرد فأقفلوا باب النصر والفتوح وألقوا خلفهما الاحجار واحتاطوا لانفسهم من كل جانب ومنعوا ضباطهم من الخروج والذهاب الي الديوان مخافة أن يتركوهم وشأنهم لنيران المدافع ثم سدوا الشوارع الموصلة اليهم حتى لا يستطاع ايصال المدافع تجاه معقلهم وتحصنوا وراء متاريس أقاموها وصعدوا الى أسطحة المنازل وعلي مآذن المساجد فتعذر علي جنود الوالي التغلب عليهم لأنهم كانوا ينالون الجنود من أعالي الاسطحة بالاذى ولا ينالهم من رصاصهم شيء . فجمع الوالى الصناجق

والكشاف ومعهم رجالهم ودفعهم على الثائرين فلما رأوا ذلك خافوا ورفعوا الحواجز والمتاريس وأظهروا انهم أذعنوا للسفر فأحضر لهم الوالي أكثر من ثمانين جملا لحمل أثقالهم فلما انتهت الجمال اليهم أسقطوا أحمالها وضربوها بالسيوف فنفرت ثم عادوا فأقفلوا الابواب وتحصنوا ورامها أعظم تحصين وأشرعوا لهم قنواتهم فأمر الوالي بالخروج اليهم فخرج هو ومعه جمع كبير من الامراء الجراكسة وتقدم الامير يوسف القطاس ومعه ستة مدافع وتقدم الامير علي فتوصل اليهم من وكالة البطيخ والامير قاسم والامير عبدي من جهة الخلف ورفع الامير يوسف القطاس الحواجز والمتاريس وتقدم للجنود عليهم أماكن مختلفة فتسربوا اليهم من كل مكان فاضطر الثائرون لطلب الامان وأظهروا اذعانهم للولي فنقلهم الى السويس ومنها الى اليمن فدفنت تلك الفتنة وقال شاعر مصر اذ ذاك :

خرج الخوارج للسويس وهيجوا
من أرض مصر لكثرة الافساد
وقصت لهم طيرا فقالوا زالت
زالوا فزالت جملة الانكاد

حفروا لمولانا الوزير محمد
بئراً ففيها أوقدوا لفساد
والله ساعده على اذهابهم
وأمده بنهاية الامداد

حصل في زمن هذا الوزير رخاء عظيم حتى بيع الاردب من القمح بخمسة وعشرين نصفا فلوسا نحاسا والفول بخمسة عشر نصفا والعدس والبازلة كل أردب بثمانية عشر نصفا والسكر كل قنطار بالوزن القوى بمئة وستين نصفا وبيعت اللحوم والاسماك بما لا يتصوره العقل . ووزن القنطار القوى المذكور هنا (٢٥١) رطلا

صرف محمد باشا من ولاية مصر بعد أن مكث والياً ثلاث سنوات وستة أشهر وثمانية وعشرين يوما

تولى بعده احمد باشا الدفتردار سنة (١٠٢٤) فمر بوكب حاج قاصداً القلعة وكان على عمامته ريشتان من الماس العظيم وبينما هو ماريجهة الجوخيين سقط على عمامته حجر وزنه خمسة أرطال فأتلف احدى الريشتين على الارض ومزق جانبا من الشاش وانهم رجل من أقارب ابراهيم المنصوري الخياط برمي

ذلك الحجر فقبض على الرامي وشنق وكان ذلك الرامي موصوفا بخلل في عقله فمكث احمد باشا والياً سنتين واحد عشر شهراً وثلاثة أيام

ومن الولاة جعفر باشا تولاها سنة (١٠٢٨) فلما صدر الامر بتقليده حكومة مصر فرح المصريون فرحا لامزيد عليه لانهم كانوا يعرفونه من قبل ، وذلك انه لما أرسل والياً على اليمن مر بمصر ومكث بها أياما فعرفه الناس بالعلم والفضل والقناعة وكانت له مشاركة في أكثر العلوم فتداولي مصر استبشر به الناس وأملوا في حكومته خيراً فخرج لاستقباله يوم مجيئه العلماء والامراء والاعيان فركب في موكب حافل جداً . ولكن الله لم يرد أن يكون على يديه مايفرح به الناس فداهمهم الوباء الفتاك حتى اشتغل الناس بدفن موتاهم فلما ذهب الوباء واستعد الوالي المذكور لاظهار مواهبه ، والعمل على شاكلته أتاه امر الدولة بالعزل فذهب مأسوفا عليه

ثم توالت على مصر الولاة الى أن تولى السيد أبو بكر باشا الطرابلسي في ٢٥ ربيع الاول سنة (١٢١١) هـ وفي مدته قدم الجنرال بونابرت (نابليون الاول) فاتحاً مصر من قبل الدولة الفرنسية فنزل بجيشه الى الاسكندرية ثم زحف على مصر فاستقبلهم جيش مصر عند الرحمانية فانهزم المصريون وحدثت موقعة دموية أخرى بالجيزة كان حظ المصريين منها كحظهم في الموقعة الاولى وفر مراد بك الجركسي ومن معه من الذين كانوا يقاتلون في الشاطيء الغربي من النيل الى الصعيد وهرب ابراهيم بك الجركسي الذي كان يقاتل في الشاطيء الشرقي الى الشام فدخل الجنرال بونابرت الى القاهرة ونشر منشوراً ذكر فيه انه انما جاء لتخليص البلاد من جور الجراكسة وانه لايتعرض للاهالي في دينهم وعقائدهم وأموالهم وانه يحترم كتاب المسلمين ورسولهم والعثمانيين أيضاً وحدثت من بعض الاهالي مقاومة اضطرت الجيش الفرنسي الى الايقاع بهم ومكث الجنرال بونابرت بمصر سبعة أشهر ثم توجه لفتح الشام في رمضان من تلك السنة وكان بها احمد باشا الجزار فحاصره برنابرت في عكا حصاراً شديداً ولم يظفر به ثم عاد الى مصر بعد ان فقد من رجاله ٤٠٠٠ جندي فحصن القاهرة ببناء القلاع حولها

اما الدولة العثمانية فأنها أرسلت الي مصر جيشا مؤلفا من ١٨٠٠٠ رجل من جهة أبي قير لاخراج الفرنسيين تحت قيادة مصطفي باشا فذهب اليهم بونابرت بجيشه وهزمهم وأسر قائدهم وعاد الي مصر ثم بدا له أن فرنسا في حاجة اليه فأخذ بعض قواده معه ونزل من أبي قير ووصل الي فرنسا ناجيا من السفن التي كانت أرصدتها انجلترة للقبض عليه فتولي قيادة الجنود في غيبته الجنرال كليبر فهجم عليه في ذات يوم أحد طلبة الشوام بالجامع الازهر وقتله ولما سئل عن شركائه في الجريمة لم يعين أحداً وانما قال انه جاء من سورية بقصد اغتيال كليبر منذ ثلاثين يوما واختبأ في رواق الشوام بالازهر وسمي جماعة كان مقيما معهم وهم ثلاثة من العلماء فأتهمهم الفرنسيون بأنهم كانوا يعلمون بقصد ذلك السوري ولم يخبروا عنه فقتلوهم معه وأقفل الجامع الازهر خشية أن يكون مصدراً الحوادث التي من هذا القبيل

أما انجلترة فلم يرقها احتلال الفرنسيين مصر لان هؤلاء كانوا يضمرون لملكتها بامتلاك طريقها الي الهند فاتفقت مع الترك علي محاربتهم فأرسل السلطان سليم الثالث جيشاً تحت قيادة الصدر يوسف باشا من طريق سورية فوصل الي غزة في رجب سنة (١٢١٤) ثم زحف علي العريش ففتحها بعد أن حدث بين الفريقين تعاقد علي خروج الفرنسيين من مصر علي سفن انجليزية حاملين علي كرامتهم العسكرية ولكن الاميرال (كيث) الانجليزي أبلغ كليبر بعد ايام بأن الحكومة الانجليزية لم تقر علي هذا الاتفاق وتصر علي تسليم الجيش الفرنسي بدون شرط . فغضب كليبر من ذلك وهجم علي الجيش التركي في المطرية فهزمه . ثم عاد الى القاهرة وكان ابراهيم بك البركي قد عاد اليها فضربها كليبر بالمدافع وتمكن من دخولها بعد عشرة أيام. فلم يسع مراد بك الا الاتفاق مع الفرنسيين علي حكم مصر تحت سيادتهم وان يدفع لهم جزية سنوية فدخلت مصر ثانية تحت الحكم الفرنسي وكاد يستقر فيها قدم الفرنسيين لولا حدوث تلك الحادثة التي قتل فيها كليبر بيد ذلك السوري وكان ذلك في ١٤ يونيو سنة ١٨٠٠ فتعين مكانه الجنرال منو

وفي أول سنة (١٨٠١) نزل ٣٠٠٠٠ انجليزي الى مصر تحت قيادة الجنرال ابركرمبي من أبي قير فحدثت بينهم و بين جيش منو واقعة انهزم فيها منو هزيمة شنيعة بسبب عدم مساعدة الجنرال ريني له فاضطر لأن ينسحب الي الاسكندرية ولكنه وقع بها محصوراً وبقي نائبه بليار محصوراً أيضاً بالقاهرة مع ٨٠٠٠ جندي فاضطر لتسليم علي شروط رقمة العريش الي الاتراك والانجليز المحاصرين له فخرج منها محاطاً بالتكريم العسكري واركب في سفن انجليزية وأعيد الي بلاده . وفي ٢ سبتمبر من السنة المذكورة (١٨٠١) سلم الجنرال منو أيضاً علي شروط بليار وأعيد الى بلاده علي سفن انجليزية فتم اخلاء مصر من الفرنسيين

كان في الجنود العثمانية فصائل من الالبانيين والانكشارية والمليونجية وهم من أنواع الجند العثماني فتفرقوا في بلاده لحماية مصر العليا والصعيد . اما الانجليز فنزلوا تحت قيادة الجنرال هتشنسون الي الاسكندرية وبقوا فيها ريثما يتم الامر للباب العالي ويكبح جماح المماليك الذين كانوا لا يزالون يعملون لنيل الاستقلال

فأرسل الباب العالي خسرو باشا وكان من مماليك حسين قبطان باشا وكانت معه اوامر تحتم عليه قتل المماليك وابادة عصاباتهم بأية وسيلة كانت فأخذ يحاربهم بالصعيد فضاق بهم الامر فلم يروا وسيلة أفضل من استنجادهم بفرنسا فكتبوا اليها فلم تستطع أن تحرك ساكنا لما كانت فيه من الحوادث الثورية

أما الحملة التي بعثها خسرو باشا الي الصعيد فقد قاتلت المماليك في عدة مواقع ولكنها لم تفز منهم بطائل وكان محمد علي قد ترقي اذذاك الي درجة قائد علي أوبة آلاف من الالبانيين فبعثه خسرو باشا علي رأس رجاله مدداً لحملة الصعيد فانكسرت تلك الحملة قبل وصول محمد علي اليها فعزا قائدها انكساره لتلكؤ محمد علي عنه عمداً فعزم خسرو باشا علي قتله وامره بالشخوص اليه ليلا. فأدرك محمد علي ما ينويه الوالي في حقه فلم يلب طلبه وأعلن انضمامه الي المماليك وبه تمكنوا من اخراج خسرو باشا من القاهرة ففر الي دمياط فعينوا مكانه طاهر باشا ثم حدثت فتنة قتل فيها هذا

الوالي واحتل محمد علي القلعة فقام أحمد باشا رئيس الشرطة اذ ذاك يطلب الولاية لنفسه فطرده المماليك من القاهرة . ثم اتحد المماليك ومحمد علي على محاربة خسرو باشا في دمياط لاخراجه من مصر كلها فأسروه وأتوا به الى القلعة مستقلا

أما الدولة العثمانية فلما بلغها هذا الخبر ارسلت الى مصر واليا اسمه علي باشا الجزائري فلم يصل الى مصر الي بصعوبة ولما تولى الاحكام اخذ يكيد للمماليك ومحمد علي فدارت الدائرة عليه

والذي فت في عضد المماليك واضعف أمرهم انه كان لهم رئيسان يتزاحمان على السلطة احدهما محمد بك الالفي والآخر ابراهيم بك البرديسي . فسار الالفي لطلب معونة انجلترة فاغتنم محمد علي هذه الفرصة واتفق مع خصمه البرديسي على الايقاع به . فأدرك الالفي انه مقصود بالاذى من الرجلين فمر الى الصعيد برجاله فخلا الجو في القاهرة للبرديسي ولكن محمد علي كان له بالمرصاد يريد اسقاطه ليتم له الامر نهائياً فأومأ الى رجاله من الالبانيين ان يثوروا و يطالبوا برتباتهم فثاروا وهددوا البرديسي بالاذى اذا لم يدفع اليهم مرتباتهم فاضطر لتحصيل الاموال من اهل القاهرة بالعنف فثاروا جميعاً عليه فاضطر الى مغادرة القاهرة وذلك سنة (١٨١٤) فخلا الجو لمحمد علي فجمع اليه العلماء والاعيان وتفاوضوا في أمر اطلاق خسرو باشا من سجنه وأن يعود الى منصبه فأقروه على ذلك فأعادوه ولكنه لم يلبث الا يوما واحداً حتى اخرجوه من القاهرة الى رشيد ومنها أرسل الى الآستانة وكان ذلك بمساعي محمد علي ومهارته لنيل مآربه

ثم اظاهر محمد علي بان الامور لا تستقيم الا بتعيين والٍ عثماني تركي صميم حر لا جركسي معتوق وأشار على العلماء والاعيان بتعيين خورشيد باشا وكان بالاسكندرية فوافقه الناس على ذلك وعلى أن يكون محمد علي نائبا عنه وارسلوا الى الباب العالي يخبرونه بذلك و يسترحمونه في قبول اقتراحهم

فلما تولى خورشيد باشا رأى ان محمداً عليا مستأثراً بالامور وأن ليس له هو الا الاسم وذلك اعتمادا على رجاله الالبانيين فاتخذ له جنوداً من المغاربة

اسمهم الدلاتية ليستعين بهم على محمد علي ولكن حدث ان هؤلاء الجنود كانوا يعيثون في الناس فكرهوهم

وفي ٢ صفر سنة (١٢٢٠) ورد الى محمد علي أمر من الآستانة بولايته على جدة وكان القصد من ذلك ابعاده عن مصر لما بدا لهم من تطلعه اليها فتظاهر محمد علي بأنه يريد الذهاب الى جدة فثار عليه الجنود يطالبونه برتباتهم فقال لهم ان مرتباتكم لدى الباشا الوالي ورجع الى داره بالازبكية وهو ينثر الذهب فوق رؤوس الناس فازدادوا حباً له وكرهاً في الوالي

وبعد ثلاثة أيام من هذا التاريخ صار العلماء والاعيان الى دار محمد علي وهم يصيحون لا نقبل خورشيد باشا والياً علينا . فقال لهم محمد علي ومن تريدون اذن ؟ قالوا له لا نريد سواك. فامتنع أولا وجعل يرغبهم في خورشيد باشا ويحسن لهم الاذعان له فلم يقبلوا . فاضطر الى موافقتهم فأحضروا له الكرك والقفطان وألبسوه اياها و بعثوا الى خورشيد باشا يطلبون منه أن ينزل من القلعة فأبى فحاصروه فيها وكتبوا الى الباب العالي بذلك واسترحموه في تعيين محمد علي فورد اليه الفرمان بالولاية في ١٩ ربيع الآخر سنة (١٢٢٠) ٩ يوليه سنة ١٨٠٥ وعزل خورشيد باشا فخرج من القلعة بأمر من مولاه فغادر البلاد وفي نفسه من النيظ على محمد علي ما فيه . ولكن المماليك كانوا أشد منه غيظا لما ظهر لهم من خدع محمد علي لهم واسقاطهم في شر أعمالهم الواحد بعد الآخر بعدان استخدمهم لاغراضه فثاروا عليه وفي مقدمتهم الالفي فانه عند ما علم بتولية محمد علي ثار عليه وكتب الى انجلترة بأن تساعده على عزله وهو يسلمها البلاد وعلم قنصل فرنسا بذلك فأخذ يعرقل مساعاه فأخذ يتحد مع محمد علي على شيء يتنازل له عنه فلم يتفقا فعاد الالفي لمحاربة قنصل انجلترة فأقنعت هذه الدولة الباب العالي بوجوب ارسال والٍ حازم مع العفو عن المماليك فبعث واليا اسمه موسى باشا فقام العلماء والوجهاء ومعهم سفير فرنسا في الآستانة يوضحون للباب العالي مقاصد المماليك من هذه الحركة فتبين محمد علي في مركزه ولكنه أمر بعدم التعرض للمماليك بسوء فساعدته المقادير بوفاة البرديسي ثم الالفي فتولي

علي المماليك شاهين بك ولكن كانت سطوة أولئك المماليك قد قلت

أما انجلترة فاعتبرت اعادة محمد علي اهانة لها فأرسلت حملة الي مصر تحت قيادة الجنرال فرازر لارجاع السلطة للمماليك ولكن المماليك كانوا قد تشتتوا في البلاد ولم تعد لهم جامعة كما كانت ايام الالفي والبرديسي فأقامت الجنود الانجليزية في ثغور مصر من مدة ثم اصطلحت علي ابقاء محمد علي والياً علي مصر . ثم سعي بعضهم في الصلح بينه وبين شاهين بك زعيم المماليك فتصالحا وقدم هذا الى مصر بالهدايا الثمينة لمحمد علي فأكرمه وبنى له قصراً لسكناه بالجيزة

أخذ محمد علي بعد أن تم له الامر علي ما رأيت يصلح ما أفسدته الفتن من مصالح الناس فعين كثيراً من اقاربه الموثوق بهم في الوظائف الكبيرة وكان شديد الحب لاسرته

وفي هذه الاثناء ظهرت فتنة الوهابيين في بلاد العرب وهم طائفة ادعت انها علي الحنيفية السمحة وكان صاحب دعوتها يدعي محمد عبد الوهاب ولد سنة (١١١٠) هجرية تفقه وحج وأظهر دعوته فاجتمع عليه الناس فكان من مذهبه ان الناس ضلوا وبدلوا الدين وعبدوا القبور والاحجار باسم زيارة الاولياء والصالحين فاستحال الاسلام الى ديانة وثنية كالتي جاء الاسلام بنقضها وأخذ يشير علي أصحابه بهدم القبور والقباب والمآذن وكل ما لا يوافق القرآن وجعل القرآن دستوره ورفض جميع المذاهب والاقوال الشارحة للقرآن فاجتمعت عليه أحزاب كثيرة فلما آنس من نفسه قوة فتح نجدا فالحجاز فالحرمين وما زال يوالي الفتوح حتى مات سنة (١٢٠٥) وسنة ٩٦ سنة فاستمر اتباعه يتممون ما عهده اليهم الي سنة (١١٢٤) تحت قيادة الامير سعود فأصبح لهم مملكة يحدها من الشمال صحراء سورية ومن الجنوب بحر العرب ومن الشرق خليج العجم ومن الغرب البحر الاحمر فلم ير الباب العالي طريقة لكبح جماحهم امثل من تكليف بطل مصر محمد علي باشا بتقويض دولتهم

فأجاب محمد علي باشا الامر فجمع جيوشه وأخذ أهبته ولكنه قبل أن يخرج من مصر فكر في أمر المماليك وتحقق انه لو تركهم وشأنهم احدثوا حدثا

عظيما قد يعجز عن تلافيه فأجمع أمره علي ابادتهم قبل خروجه فأعد أربعة آلاف جندي تحت قيادة ابنه طوسون باشا لارسالها الي بلاد العرب وكتب للباب العالي يطلب اليه أن يرسل اليه بالخشب لبناء سفن لنقل الحملة فأرسل اليه ما طلب فبنى بالسويس ١٨ سفينة

وكان المماليك قد يئسوا من الاستقلال لما رأوا عليه محمد علي من العزيمة واليقظة فاكتفوا بالتمتع بأرزاقهم في حالة سلام وهدوء فقطن بعضهم الصعيد وبعضهم القاهرة وبعضهم الاقاليم الاخرى . وكان رئيسهم في أرض له بين الجيزة وبني سويف أقطعها اياه محمد علي باشا

وفي المحرم من سنة (١٢٢٦) سار قواد الحملة من القاهرة وعسكروا في قبة العرب في الصحراء ينتظرون باقي الحملة ومعها طوسون باشا وتعيين يوم الجمعة لوداعه والاحتفال بخروجه فأعلن ذلك في المدينة ودعي جميع الاعيان لحضور ذلك الاحتفال وفي جملتهم المماليك وطلب اليهم أن يكونوا بملابسهم الرسمية

فاحتشد الناس يوم الجمعة ٥ صفر وجاء شاهين بك في رجاله فاستقبلهم الباشا في قصره وقدمت لهم القهوة وغيرها ولما تكامل الجمع وجاءت الساعة المعينة أمر محمد علي بالمسير فسار الموكب فجعلت المماليك في الوراء يكتنفهم الفرسان والمشاة حتى اذا قربوا من باب الغرب من أبواب القلعة أمر محمد علي باشا بأغلاق الابواب وأشار الى جنوده الالبانيين باطلاق النار عليهم فأخذتهم النيران من كل صوب فهموا بالهرب فلم يجدوا طريقا فحاولوا الفرار مترجلين فتركوا خيولهم وأخذوا يعدون يميناً ويساراً والجنود تتصيدهم من هنا وهنا وتقتلهم . فقتل شاهين بك رئيسهم أمام ديوان صلاح الدين وحاول بعضهم الالتجاء الي الحريم أو الي طوسون باشا فلم يتمكنوا من ذلك فقتل في هذه المجزرة نحو ٤٠٠ من المماليك منهم ٢٣ بيكا ونادى مناد في المدينة من وجد مملوكا فليقتله فصار الناس يتصيدونهم ويأتون بهم زرافات الي كخيا بك فيذبحهم ذبح الاغنام . وبهذه الوسيلة لم ينج من زعماء المماليك الا اثنان أحدهما اسمه احمد بك وكان غائباً بجهة موش والثاني أمين بك وكان قد أتي متأخراً فلما قرب من باب القلعة وسمع اطلاق

الرصاص على سر المكيدة فتمز جواده وفر لا يلوى على شيء وقيل انه لحق بالآستانة

ثم نزل الالبانيون وأخذوا ينهبون دور المماليك وقصورهم ويسبون نساءهم وفي اليوم التالي نزل محمد علي باشا من القلعة وطوسون باشا معه بطاقية المدينة ينهون الناس عن النهب ويوعدونهم بالقتل ان هم خالفوا الامر

وأمر محمد علي باشا بحفر حفر في الارض والقاء جثث زعماء المماليك فيها وحي نساءهم ولم يسمح بتزويجهن الا لرجاله

فلما أمن محمد علي باشا على مصر من تشتيت المماليك أخذ ينظر في أمر الوهابيين لفتح طريق الحج فكتب الى الشريف غالب شريف مكة يخبره بأنه أعد حملة لانقاذه من الوهابيين وطلب اليه أن يمهد له السبيل فأجابه شاكراً ووعده بالاعانة

أما سعود أمير الوهابيين فأنبأه جواسيسه بما تم فاستعد لملاقاة جيش مصر . وسارت الحملة تحت قيادة طوسون باشا بن محمد علي باشا حتى وصلت الى ينبع فاحتلتها وسارت منها الى صفر وفيها معسكر ابن سعود وكانوا قد تأهبوا للدفاع فهجم طوسون باشا فتقهقر سعود ورجاله أولا ثم ارتدوا على الجيش المصري فهزموه وغنموا منه جميع ماكان معه من مؤن وذخائر فاضطر الجيش أن يعود الى ينبع

فلما بلغ محمد علي باشا ماحل بجيش مصر أمده بمدد عظيم فأعاد طوسون باشا الكرة حتى أتى الى المدينة فحاصرها وهدم سورها و فتحها ووضع السيف في حاميتها حتى سلمت وانتشر خبر افتتاح المدينة في جميع بلاد العرب فخاف الوهابيون وفرح أعداؤهم وكان الشريف غالب في جدة لا يدري ماذا يكون من أمر تلك الحملة فلما بلغه خبر انتصارها طار فرحاً

أما الوهابيون فبعد هزيمتهم في المدينة جلوا من مكة فاحتلها طوسون باشا بلا قتال وكتب الى أبيه يفرح بذلك فرحا شديداً وجيء اليه بقائد حامية المدينة الوهابي فأرسله الى الآستانة فقتلوه هناك . أما من بقي من قادة الوهابيين فكانوا في مأمن خارج مكة مع ابن سعود

فلما جاء صيف سنة ١٢٢٨ (١٨١٣) علم الوهابيون ان جنود طوسون لا يقوون على حر الحجاز فساروا أمام القتال وافتتحوا تربة وهي واقعة شرقي مكة ثم ساروا الى المدينة فاستولوا على كل ماحولها وبين مكة ونهدوا المدينة فاتصل الخبر بمحمد علي فلم يرَ بداً من ذهابه بنفسه لنجدة الجنود المصرية فساروا في جيش عظيم حتى الى جدة فنزلها في ٣٠ شعبان سنة (١٢٢٨) فلاقاه الشريف غالب بالترحاب و بعد ان ادى فريضة الحج رأى ان الشريف ليس ممن يعتمد عليهم في الدفاع فخلعه ووضع يده على ممتلكاته وأرسله وأسرته الى القاهرة ومنها الى سالونيك فعاش فيها أربع سنوات ومات

اما الوهابيون فان قائدهم سعود في ٢٦ من ربيع الآخر سنة (١٢٢٦) ﻫ

فانحطت دولتهم وقام مقامه ابنه عبدالله ولم يكن كأبيه لهذا الامر فحصلت بينه وبين الجنود المصرية مناوشات كثيرة لم تأت بفائدة

وفي ٢٨ من المحرم سنة (١٢٣٠) حدثت موقعة فاصلة بين جنود محمد علي باشا والوهابيين تحت قيادة فيصل أخي عبد الله انتهت بهزيمة العرب فتقدم طوسون باشا الى نجد الا انه اضطر الى الوقوف لقلة المؤونة ولم يصل الى درعية عاصمة الوهابيين

ثم اقتضت الاحوال عود محمد علي الى مصر فاهتم بتدريب الجنود على النظام الاوروبي فتبرم من ذلك الالبانيون فتركهم وشأنهم وأخذ في تدريب المصريين عليه

وفي أثناء ذلك عاد طوسون باشا الى مصر فوجد ان امرأته قد وضعت غلاما كانت حملت به قبل ذهابه فسماه عباسا ولم يعش طوسون بعد ذلك الا قليلا ذات من حمى أصابته بضعة ساعات وكان محمد علي بالقاهرة حين مرض طوسون فلما بلغ الخبر اليه أسرع الى الاسكندرية فلما قيل له انه توفي بهت ولم يبد حراكا وبقي على حالته تلك ثلاثة أيام. ونقلت جثة طوسون باشا الى القاهرة ودفنت بقرب الامام الشافعي وراء جبل المقطم حيث مدفن الاسرة الخديوية

ثم عاد محمد علي باشا الى رشده بعد صدمة ابنه فأخذ يفكر في ابادة الوهابيين بعد ان استنقذ منهم الحرمين

فكتب الى عبد الله بن سعود بأن يرد الاموال التي سلبها من الحرم النبوي والكعبة وان يذهب المسير اليه وقال عن تلك الاموال انها قد وزعت في عهد ابيه وارسل له هدايا فاخرة فأعاد محمد علي اليه هداياه وكتب له بهدده ثم جرد اليه حملة عهد قيادتها الي ابنه ابراهيم باشا . فسارا ابراهيم باشا بحملته من القاهرة في النيل الي قنا ومنها في الصحراء الي القصير ومنها الى ينبع ثم الي المدينة وتربص هناك يستعد للهجوم فالتف حوله العرب المخلصون لابيه ولما اكتملت قواته شهر الحرب فما زال يحارب حتى قبض علي زعيم الوهابيين عبدالله بن سعود فأرسله الي أبيه فوصل الى القاهرة في ١٨ من المحرم سنة (١٢٣٣) فأذن له بالمثول بين يديه فقبلهما فرحب به كثيراً لانه كان معجبا بجسارة الوهابيين ثم أرسله الي الآستانة فطافوا به في أسواقها ثلاثة أيام ثم قتلوه وخلع السلطان علي ابراهيم باشا خلعة سنية ومياه واليا علي مكة . فلما وصلت هذه الاخبار الي درعية عاصمة الوهابيين هدموا مدينتهم وفروا هاربين فاحتلها الجنود المصريون وانتهي أمر الوهابيين

اما محمد علي فانه نال من السلطان لقب خان مكافأة له علي اخلاصه وبسالته وهو لقب لم يمنح لاحد من رجال الدولة غير حاكم القرم

ثم فكر محمد علي باشا في افتتاح السودان فجند خمسة آلاف من الجنود النظامية وبعض العربان وجعل معهم ثمانية مدافع وارسل الجميع بقيادة ابنه اسماعيل باشا فسارت تلك الحملة من القاهرة في شعبان سنة (١٢٣٥)ه الموافقة لسنة (١٨٢٠) م عن طريق النيل فقطعت الشلال الاول والثاني والثالث حتى السادس فأتت شندى والمتمة بعد ان اخضعت كل ما مرت به من القرى والبلدان بدون مقاومة ثم سارت الى سنار علي البحر الازرق وراء الخرطوم فدخلت سنار وبورنيو وكوردفان في ملك الحكومة المصرية . ثم سار اسماعيل باشا الي قرغل وهناك ظن انه اكتشف معادن الذهب وفشا في رجاله الوباء فمات منهم كثيرون ثم وصلت اليه نجدة مؤلفة من ثلاثة آلاف رجل تحت قيادة صهره احمد بك الدفتردار

فقوى امره فأبقى صهره في كردفان وسار هو بجيشه الي المتمة علي البر الغربي من النيل ثم اجتازه الي شندى في البر الشرقي لجباية المال وجمع الرجال فاستدعى اليه ملكها واسمه (النمر) وقال اريد منك أن تملأ قربي هذا من الذهب وأريد فوق ذلك المئين من الرجال . فأخذ النمر يستعطف الباشا ليتنازل عن هذا المقدار فقبل منه بدل الذهب عشرين الف ريال من الفضة فأجابه الي ما اراد ولكنه لم يكن يستطيع جمعها في تلك المهلة فطلب اليه اطالة الاجل فضربه اسماعيل باشا بالشبك في وجهه قائلا له اذا كنت لاتدفع المال فوراً فليس لك الا الطازوق . فسكت النمر مضمراً له الشر ولكنه كظم غيظه ووعده بأداء المال . وأخذ يأتي باحمال من التبن ويضعها حول معسكره موهما انه يجعل اليه علفاً للبهائم حتى احاط العسكر بتلك الاحمال وفي المساء جاء هو في نفر من رجاله يزمرون ويرقصون علي اسلوب بلدهم وكان اسماعيل باشا جالسا مع أركان حربه وخاصة رجاله فطربوا لذلك واجتمع الناس فازال الناس يكثرون حتى صار الباشا ورجاله محصورين واذذاك امر النمر رجاله بالهجوم فهجموا فقتل اسماعيل باشا ورجاله ثم أشعل التبن أيضا فاحترق كثيرون من الجنود ولما أصبحوا قتلوا الباقين واستاقوا جميع ما كان معهم في معسكرهم من الاموال والسلاح

فلما بلغ صهره احمد بك الدفتردار ماحصل اشتعل غضبا واقسم لينتقمن من السودانيين بقتل عشرين الفاً من رجالهم مقابلهم وبر بقسمه فهدأت الاحوال ولم يعد يستطيع أحد هنالك ان يحرك ساكنا وتم فتح السودان . وبقي احمد بك المذكور واليا عليه الي سنة (١٢٤٠) ثم أبدل برستم بك

وفي سنة (١٢٣٩) أرسل محمد علي باشا حملة مصرية بقيادة ابنه ابراهيم باشا لمحاربة المورة من بلاد اليونان الثائرة فأبلي المصريون في تلك الحرب بلاء حسنا ولكن الدول الاوربية ساعدت اليونانيين بأساطيلها فتم لهم الفوز

ثم حدث بين والي عكا وبين محمد علي باشا عداء فارسل الاخير ابنه ابراهيم باشا لقتاله سنة(١٢٤٧)ه الموافقة لسنة (١٨٣١)م فسارت الحملة براً وبحراً

فاستولت حملة البر على غزة ويافا بغير مقاومة ثم وصل ابراهيم باشا الى يافا وسار قاصداً عكا فحاصرها براً وبحراً نحو خمسة أشهر ثم هجم عليها هجوماً عاماً فملكها له . ثم زحف قاصداً دمشق فأخضعها وبارحها الى حمص

اما الدولة العثمانية فعدت ابراهيم باشا خارجاً عليها وارسلت له جيشاً في حمص تحت قيادة محمد باشا والي طرابلس فحدثت بين الجيشين معارك انتهت بأخذ المصريين حمص فهال السوريين امر الجيش المصري فسلمت له حلب بدون قتال وهذا حذوها غيرها فلم يسع الباب العالي الا ارسال السر عسكر حسين باشا على رأس جيش لوقف ابراهيم باشا عند حده . ولكنه لم يكن خطه احسن من خط محمد باشا والى طرابلس فانهزم الى الاسكندرونة فزحف اليه ابراهيم باشا وكسره هنالك أيضاً وأخذ في الزحف شمالاً فلم يجد مقاومة تذكر وزحف قاصداً قونية وكان السلطان محمود قد أرسل له هناك جيشاً عرمرماً تحت قيادة رشيد باشا وكان ابراهيم باشا قد قوى جيشه بما جمعه من الجنود الجديدة من البلاد التي افتتحها فحدث بين الجيشين معارك انتهت بهزيمة رشيد باشا فافتتح امام المصريين طريق الآستانة فدخلت الدول الاوربية ولاسيما الروسيا فأرسلت الى محمد علي البرنس موراڤيف تطلب اليه ان يأمر ابنه بالوقوف والا اضطرت اصدقه فبعث والي مصر لابنه بالوقوف ثم حدث بين الدول اتفاق مؤداه ان تكون سورية للسلطان ملكاً لمصر وان يكون ابراهيم باشا حاكماً عليها وجابياً خراج ادنة وقدتم ذلك الاتفاق سنة (١٨٣٣)م وهو المدعو اتفاق كوتاهيا

فعاد ابراهيم باشا الى سورية يدبر أمورها ويجعل مقامه اولاً في انطاكية وابقى له فيها قصراً ونكنات وولى اسماعيل بك علي حلب واحمد منكلي باشا على ادنة وطرسوس . فثار علي ابراهيم باشا الساط والكرك وامتدت الفتنة الى اورشليم ثم تفاقم امرها فبلغت السامرة وجبال نابلس . وهجم المسلمون بصفة على اليهود فقتلوا بهم وفعلوا بالمسيحيين مثل ذلك بالناصرة وبيت لحم واورشليم وأصبحت سورية كلها شعلة من نار فلم يسع محمد علي باشا الا أن حضر بنفسه

اليها وشتت شمل الثائرين الا النابلسيين فانهم قاوموه طويلاً ثم انتهى أمرهم بالاذعان ثم هاجم الساط والكرك وهدمهما فهدأت الاحوال قليلاً . ولكن الثورة ما عتمت ان ظهرت بجبال النصيرية فأرسل اليها محمد علي جنوداً انحدت مع الماروئيين والدروز فقمعوها . ثم سعى ابراهيم باشا في تجريد السوريين من السلاح ففعل ولكنه لم يستطع تجريد اللبنانيين

فأخذ محمد علي يعمل لتوسيع دائرة حكمه وشرع يتأهب لذلك بجمع الجيوش والطيول فلم ترق هذه الحركات في نظر السلطان محمود فأرسل حافظ باشا على رأس ثمانين الف مقاتل سنة (١٨٣٩) لمحاربة محمد علي وكان قد شخص الى السودان تاركاً القاهرة لتدبير حفيده عباس باشا فلما عاد اليها علم بما أعده الباب العالي فكتب الى ابنه يستحثه لحشد جيوشه في حلب لدفع العثمانيين ثم علم ان معهم الاهالي يرقبون في حكم دولتهم الاصلية ويستمدون التسليم متى لاحت لهم الفرصة . وكان اشد ميلاً لذلك الدروز تحت قيادة بطلهم شبلي العريان

حدثت معارك شديدة بين الجيش التركي والجيش المصري في نزيب انتهت بهزيمة الاول منقهقراً الى مرعش . وكان السلطان قد أرسل أسطولاً لاحتلال الاسكندرية فصايها ما أصاب الجيش البري وتوفي السلطان محمود قبل ان يبلغه خبر هذه الهزائم

فرأت الدول أن تعقد مؤتمراً دولياً تفصل بين الدولة العثمانية وتابعتها الحكومة المصرية وكان ذلك سنة (١٨٤٠) فاجتمع هذا المؤتمر بلوندرة فقضى أولاً باعتبار محمد علي تابعاً للدولة العثمانية

فلم يبال محمد علي باشا بقرار المؤتمر معتمداً على جيش له يبلغ ١٧٠ الف جندي على تمام الاستعداد والقوة ولكنه بعد قرار الدول أخذ في زيادة هذا الجيش فضم اليه تلاميذ المدارس حتى استخدم فيه الجرحى والمرضى فعرضت عليه معاهدة لندرة فلم يوافق عليها فأعطي عكا رضية له وطلب اليه أن ينسحب من سورية فأبى

فاضطرت انجلترة ان تنفذ نص القرار بالقوة فأرسلت بجيوشها الي صيدا

فتقهقر ابراهيم باشا الي الجليل وكان الكومودور (نابيه) قد سار في أسطول انجليزي بحري الي بيروت وكانت تحت ادارة سليمان باشا الفرنسي وكانت علي أحسن ما يكون من التحصين فجاءت الاخبار بأن ابراهيم باشا قتل فلم يرد المقاومة قبل أن يتحقق من الخبر فترك بيروت بعد أن ترك عليها الميرالاى صادق بك فوصل اليها الاسطول الانجليزي قبل أن يعود سليمان باشا فاضطر صادق بك للفرار و بلغ سليمان باشا أن ابراهيم باشا لا يزال حياً وأنه يأمر بالدفاع فعاد فوجد أن صادق بك قد فر وخشي صادق بك عاقبة عمله فانضم هو ورجاله الي الانجليز. ثم سار الاميرال نابيه من بيروت الي عكا فحاصرها فقر اسماعيل بك فيمن معه من الرجال وسلمت المدينة

ثم سار نابيه الى الاسكندرية بست سفن وعرض علي محمد علي باشا الصلح فقبله وعقدوا معاهدة وقع عليها الطرفان ولما ارادوا تقريرها عارضت الدول في ذلك و بقيت الامور على حالها حتى دارت المخابرات بين الباب العالي ومحمد علي باشا فأراد السلطان عبد المجيد أرضاء محمد علي باشا فأعطاه مصر بالوراثة بشرط ان يكون له الحق المطلق في اختيار خلفه من ذريته فتردد محمد علي باشا بادىء الرأى ثم أمر جيوشه بالانسحاب من سورية. وكان عددها عند ذهابها اليها ١٣٠ الفا فلم يعد منها الا ٥٠ الفاً فكانت خسائرها ٨٠ الف جندي وكان التعب قد بلغ من تلك الجنود حداً لا يطاق

وصدر اليه فرمان بالولاية سنة (١٨٤١) ثم فرمان آخر بولايته علي بلاد النوبة ودارفور وكردفان وسنار فأرسل ابنه سعيد باشا لتقديم فروض الشكر علي هذا الانعام. وفي سنة (١٨٤٦) قصد الآستانة بنفسه لتقديم شعائر الاخلاص للسلطان فنزل ضيفاً علي صديقه رضا باشا ثم مثل بين يدى السلطان فرحب به ولما أراد تقبيل حاشية ردائه علي العادة التركية أمسكه السلطان بيده وأجلسه الي جانبه وحادثه ساعة وزار محمد علي في هذه السفرة خصمه القديم خسرو باشا الذى كان والياً علي مصر وصافاه. ثم بعد نحو شهر من وصوله الي الآستانة قصد مسقط رأسه (قولة) فبني فيها مدارس ومستشفي ثم

بارحها الي مصر فقوبل بأعظم مظاهر التكريم وكان يستقبل الناس أفواجاً وعلي صدره الطغراء العثمانية تتلألأ كالشمس

وفي منتصف عام (١٨٤٨) بدت علي محمد علي باشا آثار الاضمحلال العقلي من الطعون في السن فلم يكن بد من تولية ابراهيم باشا مكانه فتوجه بنفسه راجياً تثبيته فثبته السلطان. وكان لابراهيم مرض مزمن فعاوده فمات في ١٠ نوفمبر سنة ١٨٤٨ فدفن في مدفن الاسرة الخديوية جهة الامام الشافعي

(اعمال محمد علي باشا) استولي محمد علي باشا علي مصر وهي في منتهي درجات الفوضي في كل ضرب من ضروب الشؤون الاجتماعية فبذل في تخليصها منتهي جهده فبدأ أولا بأنقاذها من الفوضي الحكومية وسعي لذلك سعياً حثيثا وارتكب في سبيله مسألة المادة المماليك وهو عمل قاس جداً الا انه ربما كان ضروريا اذا تأكد نزوعهم الي الثورة عند أول فرصة. فكان اصلاح نظام الحكومة اساسا للاصلاح الاجتماعي فسعي بعد ذلك في ضبط الادارة في البلاد وتوحيد السلطة فيها ومسح الاراضي الزراعية وتقرير الضرائب عليها

كانت الاراضي المصرية الي ذلك الحين ملكا لبيت المال، وكانت علي قسمين، قسم يزرعه بعض الناس بوضع اليد، وليس عليه ضريبة، وقسم تعطيه الحكومة الناس ليزرعوه وتلزمهم دفع الخراج عنه فكان الفلاح يعجز عن دفع ما يفرض عليه فيضرب وتصادر ممتلكاته فكان الناس يهربون من وجه الحكومة حتى لا تلزمهم بأخذ أراض للزراعة. فكانت تضطر الحكومة السابقة لاعطاء الاراضي الخراجية لبعض الاقوياء من الناس باسم ملتزمين وهم يلزمون الناس بزرعها ويحصلون منهم ما تفرضه الحكومة. وكانت الحكومة تمدهم بسلطة واسعة. فلا تسل عما كان يحدث من جراء ذلك من التعديات والمظالم وضروب الضغط

فلما استتب الامر لمحمد علي باشا مسح الاراضي وقسمها الي مديريات ومراكز ونواح وعين عليها المديرين والوكلاء والمأمورين والجباة وأبطل الالتزامات ووزع أراضي كل جهة علي

أهلها فبلغ بعض الانصبة ثلاثة فدادين وبعضها خمسة وجعل للنواحي مشايخ أعطاهم أطياناً معفاة من الضرائب وعين الضباط المتقاعدين في الجهات لارشاد الاهالي لوجوه الاستغلال

ثم انشأ الدواوين ومنها ديوان المعاونة ووظيفته النظر فيما يعرض عليه من الدواوين الاخرى . ومنها الديوان الخاص وكان يقوم بأعمال دواوين الداخلية والخارجية والضابطة . ومنها ديوان الاشغال وديوان المبيعات وديوان الفردة ثم أنشأ بعد ذلك ديوانا للامور الخارجية خاصة وديوانا العسكرية وديوانا المالية وديوانا للاوقاف وديوانا للعامل ودواوين للتفتيش والحفائية والترسانة والابنية والمدارس وكلها ترجع الي ديوان المعاونة

ثم أنشأ مجالس القضاء وأوجد لها ما تستدعيه من النظامات والاصول ورتب ادارة البريد براً وبحراً وأنشأ تلغرافاً بالاشارات بواسطة أبنية مرتفعة ممتدة علي خط واحد من المدن الكبيرة بين البيناء والآخر مسافة تكفي لفهم الاشارة

انشأ الضابطة لتأييد الامن العام وفرق رجالها في انحاء البلاد فأمن الناس علي اعراضهم واموالهم

ونظر الي الزراعة فجلب اليها الصنوف الضرورية كالقطن والنيلة وغيرهما واكثر من غرس الحدائق والاشجار وأقام سدوداً في أبي قير وترعة الفرعونية واشتوم الديبة واشتوم الجميل وغيرها وانشأ كثيراً من الجسور والترع والمساقي وأبدل الطولة بالمهندسين في أعمال الري وبعث كثيراً من المصريين الى أوروبا لدرس فن الزراعة والعلوم الطبيعية وغيرها . وبنى القناطر الخيرية عند رأس الدلتا لحجز مياه النيل عن الاندفاع الي البحر الابيض بدون جدوى . وقد كانت مياه النيل قبل ذلك تفيض في الصيف فتغرق بلاد الصعيد وتنصب الي الوجه البحري فتروي الاراضي البور والمزروعة علي السواء فاذا ذهب دور الفيضان وجاء دور التحاريق لم يوجد في النيل ما يكفي لري الاراضي القابلة للزراعة فكان الناس لا يستفيدون منها . ولكن جاءت قناطر الدلتا فغيرت الحالة اذ جعل لها ابوابا من الحديد تغلق وتفتح عند الاقتضاء

فاذا قفل باب أحد فرعي النيل انصرف الماء الي الفرع الثاني فروى الاراضي المحتاجة الماء ومنع الماء عن الاراضي البور

وأما اصلاحه الجندية فكان من أظهر الاصلاحات . كانت الجندية في مصر وقفاً علي الجراكسة والالبانيين والمغاربة والانكشارية ومن جرى مجراهم وكانوا كثيراً مايعيثون في البلاد فساداً وكان أسلوبهم الاسلوب القديم العقيم فأبدل هذا كله وأنشأ عسكراً علي النظام الاوروبي واستقدم له مدربين من الفرنسيين وأنشأ المدرسة الحربية لتخريج الضباط وكان مركزها بالخانكاه قرب المطرية وجعل سراي مراد بك الزعيم الجركسي بالجيزة مدرسة للفرسان وأنشأ مدرسة أخرى لمدفعية وهذا كله تم برأي الجنرال (سيف) الذي استقدمه محمد علي باشا من فرنسا لتدريب جيشه . ثم أسلم هذا الجنرال فيما بعد وسمي نفسه سليمان باشا الفرنسي الموجود تمثاله الآن في ميدان سليمان باشا بالقاهرة . فكان من أثر هذا التعليم العسكري انتصارات ابراهيم باشا علي الجيوش العثمانية في سورية والاناضول

وأنشأ محمد علي باشا في الاسكندرية داراً لصناعة السفن جاء اليها بأساتذة من الانجليز والفرنسيين وبنى في الاسكندرية حصوناً منيعة لتدفع الغارات الاجنبية وهي قائمة هنالك الآن وان كانت لاتغني شيئاً أمام القنابل الجديدة

ثم انه أخذ في تنشيط حركة التجارة فأنشأ ميناء الاسكندرية وكانت الميناءان المصريتان مينائي رشيد ودمياط وحفر ترعة بين النيل والاسكندرية دعاها بالمحمودية نسبة الى السلطان القائم اذذاك فتقاطر الي الاسكندرية التجار من جميع أصقاع أوربا وأقيمت فيها المباني علي الطراز الاوروبي فأصبحت من أجل المدن المصرية في قريب من الزمن

ثم التفت الصناعة فبنى المصانع والمعامل في جميع أرجاء مصر وجلب اليها مهرة الاساتذة من أوروبا لتعليم المصريين فكان بمصر معامل لعمل الاقمشة البيضاء والطرابيش والجوخ والورق والحرير والكتان والصوف واتخذ معامل لصنع الاسلحة والذخائر الحربية

ثم نظر الامور الصحية فأسس بمصر

مدرسة طبية بقصر العيني وهو منزل الزعيم الجركسي ابراهيم بك البرديسي خصمه القديم وعين عليها الدكتور كلوت بك الفرنسي لتخريج الاطباء وبنى مستشفى بأبي زعبل قرب المطرية وأنشأ مجلساً صحياً ومدرسة بيطرية ورتب مستشفيات وأطباء للجيش وأخرى للأهالي وعين أطباء لمراعاة الاحوال الصحية في المديريات

عرف محمد علي باشا ان العلم قوام الحياة الاجتماعية فأخذ في نشره في البلاد فافتتح المدارس الاولية والثانوية والعالية وساق اليها الناس بالاجبار لان المصريين كانوا يتخيلون ان أبناءهم يؤخذون بهذه الوسيلة الي الجندية وعزز هذه النهضة بارسال ارساليات سنوية الي أوروبا لتخريج كبار الرجال في المعارف الضرورية

وأنشأ مطبعة أميرية وأمر بترجمة كثير من الكتب العلمية وأنشأ جريدة رسمية هي الوقائع المصرية وأسس ديوان المهندسخانة وغير ذلك

(صفاته وأخلاقه) كان محمد علي ربعة في الرجال عريض الجبهة مشرق الوجه بارز حجاجي العينين أسود المقلتين غائرهما صغير الفم كبير الانف فيه هيبة يخالطها وداعة . وكان سريع الخطوات ثابتها، وكان اذا مشي جعل يديه متماسكتين من الخلف غالباً وكان لباسه علي نحو لباس المماليك علي رأسه الطربوش العسكري ثم لبس العمامة وأبدل لباسه العسكري بلباس واسع

كان يكره أن يستكثر من الحاشية فلم يكن علي بابه الا رجل واحد لخفارته وكان اذا جلس أمسك بيده حقة العطوس (النشوق) والسبحة . وكان يميل للعب البلياردو والداما ولا يأنف من مجالسة صغار الضباط . وكان أكثر جلوسه مع القناصل والسياح الكبار الذين كانوا يلقبونه بمبيد المماليك أو محيي البلاد المصرية

كان محمد علي باشا طاهر القلب مع دهاء كبير ، وكان سريع التأثر لا يعرف كظم الغيظ . وكان مع وفور عقله كثيراً ما تروج لديه الدسائس . ولكنه كان كريم النفس سخياً فيعطي بسعة وقد يسرف في البذل أحياناً . وكان يحب الاطلاع علي سياسة أوروبا وله من يترجم له أطوارها

وصل محمد علي باشا الي درجة والي مصر وهو أمي فابتدأ يتعلم القراءة والكتابة بعد أن بلغ الخامسة والاربعين وكان شديد التمسك بالاسلام ، كثير الهواجس السياسية يأرق كثيراً ويتقلب علي فراشه ولذلك وكل اثنين من الخدم يتناوبان السهر في حجرته ليغطياه كلما انكشف جسمه . وكان من أسباب أرقه شهقة ارتجافية كانت تتردد عليه كثيراً وكان أصيب بها عقب ذعر شديد أصابه في بعض وقائع الوهابيين ولكنه مع هذا كان نشطا يهب من نومه في نحو الساعة الرابعة ويقضي نهاره في أعمال المملكة الشاقة

فالناظر في صفات هذا الرجل والمتأمل في سيرته يحكم لأول وهلة بانه كان واحداً من النوابغ الذين يوجدهم الخالق في أدوار خاصة من حياة الامم لانهاضها واخراجها من حال الى حال فهو أحد أفراد يمكن عدهم في العالم الانساني كله علي الاصابع . فتدبر كيف كانت أحوال الحكم في هذه البلاد ، والى أي حال كانت وصلت الارتباكات فيها ثم انظر كيف تغلب علي كل هذه العقبات وتوصل من رتبة ضابط صغير الى الجلوس علي منصة الاحكام فدبر أمورها علي الاسلوب المطلق الذي لم يشاركه فيه مشارك ثم قاوم العوامل الداخلية والخارجية التي كانت تقاومه وتغلب عليها كلها حتى خلا له الجو ولم يصرف بقية أيامه متمتعا بلذة السلطان علي ما عهد في الشرق كله اذ ذاك بل انصرف الي تنظيم ادارة البلاد واعداد الامة للنهضة العلمية والصناعية مستخدما في ذلك كل الوسائل المعروفة علي غير مثال رآه فيما حوله فلم يدع وسيلة عمرانية الا استخدمها لذلك حتى انقلبت حال مصر من طور الي طور آخر ، كل هذا يسمح للناظر المنصف أن يعتقد بأن محمد علي هذا كان نادرة الشرق في عهده ونابغة الاسلام في عصره ، وممن لا يسمح بمثله الا نادراً

يعيب بعضهم علي هذا الرجل قسوته في ابادة المماليك وصرامته في قمع الفتن التي كانت قائمة في البلاد ، وامتداد مطامعه للجلوس علي عرش الشرق كله . فاما اقصاء المماليك كانت ضرورية في نظرنا لان تلك الطائفة كانت لا تزال تتحين الفرص لاثارة القلاقل في البلاد

فان كان استطاع محمد علي في حياته أن يكبح جماحها بيد من حديد فما كان يؤمن شرها بعد وفاته ولهذه الطائفة تاريخ طويل في الفتن والقلاقل غص بها تاريخ مصر وقد أتينا علي طرف منه في هذه المادة فأبادتهم ربما كان من باب استئصال الشر من جرثومته . وقد حذا حذوه السلطان محمود فأباد جيش الانكشارية برمته وكان يعد بالآلاف رماهم بالمدافع في ثكناتهم حتى هدمها على رؤسهم . وسبقه بطرس الاكبر فأباد جيش روسيا القديم علي هذا النحو أيضاً وما كانت تركيا ولا روسيا تفلحان بدون احداث هذه المجزرة العظيمة

أما امتداد مطامعه الي بسط سلطانه علي الشرق كله فلا يعاب عليه لانه كان سنة الاقوياء في تلك الازمان حيث كان التغلب أحد مقومات الحياة الشرقية أحدثه غفلة الشعوب عن ذاتها وهي حالة عرضية كانت ملازمة لمزاج الشرق اذذاك لايمكن لقوى أن يتخلف عن المضي في تيارها

ولد هذا الرجل الكبير سنة (١٧٠٩) في قرية قولة من مقدونيا من أب اسمه ابراهيم أغا كان متولياً خفارة الطرق ولد له سبعة عشر ولداً فلم يعش له منهم الا محمد علي فتوفي ذلك الوالد سنة (١٧٧٣) وتبعته والدته ولم يكن ولدهما يزيد عمره عن أربع سنين . فأصبح محمد علي يتيما ليس له الا عم اسمه طوسون أغا فكفله وكان موظفا بقولة فصدر أمر الباب العالي بقتله فقتل . فاشفق علي محمد علي صديق لوالده اسمه شربنجي فأخذه يربيه مع أولاده ولا تسل عن حالة يتيم يرمي بين أولاد آخرين فلقي من ذل هذه الحالة ما كان يحدثه لذويه بعد ارتقائه منصة الحكم فقال ما معناه :

« رزق أبي بسبعة عشر ولداً فلم يعش له غيري فكان يحوطني بعنايته ويلحظني باهتمامه حتى توفاه الله فأصبحت يتيما لا أجد عائلا فكنت أسمع اتراب أبي يقولون ماذا عسي أن يكون مصير هذا الغلام المنكود الحظ بعد فقده والديه؟ قال فكنت أتغافل عن هذا الكلام شاعراً باحساس غريب يدفعني الي النهوض فكنت أجهد نفسي في كل عمل اتعاطاه حتى كان يمر علي أحياناً يومان لا آكل ولا أنام فيهما الا يسيراً . قال ومما قاسيته

اني كنت مسافراً يوما في سفينة فغرقت فتركني رفاقي وشأني في السفينة ونجواهم علي قارب كان بها فجعلت اقاوم الامواج وأعمل جهدي للنجاة حتى تحطمت يداي من التشبث بها علي الصخور التي كانت تدفعني اليها تلك الامواج ومازلت أجاهد حتى وصلت الي تلك الجزيرة سالما وهي الآن قسم من مملكتي

ومما يحكي عنه أنه كان وهو صغير يتردد علي رجل فرنسي مقيم في قوله اسمه المسيوليون من كبار تجارها فكان يسعف محمد علي بحاجاته فلم ينس رحمه الله هذه المبرة فبعث اليه سنة (١٢٨٠) استقدمه الى مصر ليكرمه جزاء عنايته به وهو طفل فلبى دعوته ولكنه توفي قبل ان يتمها فأسف عليه محمد علي باشا وأرسل الي شقيقته هدية ثمنها عشرة آلاف فرنك

ربي محمد علي باشا ببيت شربنجي فتعلم الضرب بالسيف والجريد وما يتعلمه ابناء تلك البلاد فلما بلغ أشده انتظم في سلك الجندية تحت امرة مربيه فأظهر في تحصيل الضرائب مهارة فائقة فرقاه الى رتبة بلوك باشي وزوجه من بعض قرابته وكانت مطلقة ولها مال وعقار فترك الجندية وأخذ في الاتجار في الدخان فاكتسب شهرة في حسن معاملاته. ومازال تاجراً الي سنة (١٨٠١) أي الي أن بلغت سنه (٣٢) سنة واذذاك عول الباب العالي علي استرداد مصر من الفرنسيين وأخذ يجمع الجنود فانتظم محمد علي في فرقة البحرية برتبة معاون لعلي أغا بن مربيه علي ثلاث مئة جندي ألباني . فجاءت بهم السفن الى ابي قير فتغلب الاسطول الفرنسي علي أسطول العثمانيين فنزل محمد علي الى البر مع جنوده وترك له رئيس القيادة وعاد الى بلاده فترقي محمد علي الى رتبة بكباشي وحدث منه ما حدث بعد ذلك مما رأيته تفصيلا في هذه المادة توفي سنة (١٨٤٨) بالغا من العمر (٧٩) سنة

تولي بعده ابنه ابراهيم باشا وعمره نحو ٦٢ سنة وقد تقدمت سيرته ضمن سيرة ابيه لانهما عملا معا في مصر وكان ابراهيم باشا عضد أبيه في كل مشروع شرع فيه ولد سنة (١٢٠٤) ومال من صغره للاعمال الحربية وكان فيه مواهب كبار القواد وأعماله في مصر والشام والمورة

والسودان تشهد له بالحذق والبراعة وكان يعرف من اللغات العربية والتركية والفارسية وله اطلاع على تاريخ الامم الشرقية

تولى امارة مصر سنة (١٢٦٥) عقب تنازل والده فسار على خطواته ولكنه كان على غير أخلاق أبيه فانه كان شديداً كما هي صفات رجال العسكرية وكان أبوه لين العريكة حسن السياسة حكيما. لم يتول ابراهيم باشا الاحكام غير شهر واحد ثم توفي وأبوه حي

كان ربعة في الرجال ممتلىء الجسم قوي البنية مستطيل الوجه والانف أصغر الشعر في وجهه أثر من الجدري قليل النوم كان نقش خاتمه (سلام على ابراهيم)

خلفه عباس الاول وهو ابن طوسون باشا بن محمد علي ولد سنة (١٢٢٨) وربي تربية حسنة وكان محبا لركوب الخيل رافق عمه ابراهيم باشا في حملته الى الشام وشهد أكبر الوقائع الحربية هناك وفي سنة (١٢٧٥) تولى زمام الاحكام في مصر بعد وفاة عمه وكان جده يحبه حبا جما

شرع في مد الخط الحديدي بين مصر والاسكندرية. وأسس المدارس الحربية بالسباسبة ومد أسلاكا تلغرافية. كان له ولداً اسمه الامير ابراهيم الهامي باشا زار الآستانة فزوجه السلطان ابنته وهو والد الاميرة والدة عباس باشا الثاني الخديوي السابق

من مآثر عباس باشا الاول بناؤه لمسجد السيدة زينب ووضعه الحجر الاول بيده. ولما نشبت الحرب بين الدولة العثمانية وروسيا أرسل لها مدداً وشيع رجاله بنفسه والقى عليهم خطابا موثراً

توفي عباس باشا الاول مقتولا قتله بعض مماليكه بينها سنة (١٢٦٣) الموافقة لسنة (١٨٥٤)

خلفه سعيد باشا بن محمد علي باشا ولد سنة (١٢٢٧) كان محبا للعلوم بارعا فيها وعلى الخصوص في اللغات الشرقية والعلوم الرياضية والبحرية والرسم. وكان يجيد التكلم باللغة الفرنسية

من آثاره الخط الحديدي بين مصر والاسكندرية والشروع في مد غيره ونظم لوائح الاطيان وأدمجها من المنعهدين الى أربابها وعدل الضرائب ونزح ترعة المحمودية. وفي أيامه أخذ دولسبس مشروع انشاء قناة السويس بمساعدته

وبنيت مدينة بورسعيد وغرس الاشجار في طريق المنشية

وفي السنة الثانية من حكمه وضع أساس القلعة السعيدية على رأس الدلتا ولكنها خربت الآن

ثارت في أيامه مديرية الفيوم على الحكومة فأخمد ثورتها. ولما ختن نجله طوسون باشا أطلق جميع المسجونين حتى القتلة. وفي سنة (١٢٧٦) زار سورية وكان في أثناء سيره في الطرقات ينثر على الناس الذهب

خلفه اسماعيل باشا بن ابراهيم باشا ابن محمد علي. ولد سنة (١٨٣٠) وتولى الاحكام سنة (١٨٦٣) وخلع سنة (١٨٧٩) وتوفي سنة (١٨٩٥)

كان لوالده ثلاثة أولاد ذكور أكبرهم البرنس احمد باشا ولد سنة (١٨٢٥) ثم البرنس اسماعيل باشا ثم البرنس مصطفى باشا ولد سنة (١٨٣٤) وكان البرنس احمد باشا من نوابغ أولاد محمد علي باشا يشبه ابراهيم والده خلقا وخلقا ولكنه توفي قصار أكبر أولاد ابراهيم باشا نجله اسماعيل فتولى الملك

ربي اسماعيل باشا في مدرسة خاصة بالقصر العالي فتلقى مبادىء اللغات العربية والتركية والفارسية وشيئاً من الرياضيات والطبيعيات فلما بلغ السادسة عشرة من عمره أرسله جده مع والديه المرحومين البرنسين حليم باشا وحسين بك البرنس أحمد باشا الى أوروبا مع عدد من شبان مصر لتلقي العلوم بباريز فمكث أشراف اصطفان بك الارمني فقضوا في الدراسة بضع سنوات تلقوا فيها العلوم العالية ثم عادوا الى مصر في عهد عباس باشا ذلك اسماعيل باشا على صفاء وسلام الى أن حدث شقاق بقي بين عباس باشا وسعيد باشا بن محمد علي بشأن توزيع التركة أدى الى خصام بين الطرفين فانحاز جميع أفراد البيت الخديوي الى سعيد باشا فسافر الى الآستانة لعرض شكواهم على السلطان عبد العزيز فأرسل السلطان فؤاد افندي وجودت أفندي من نوابغ رجاله فأصلحوا بين عباس وأقاربه فعادوا جميعاً الى مصر الا اسماعيل فبقي في الآستانة فعينه السلطان عضواً في مجلس أحكام تركيا

وفي سنة (١٨٥٤) توفي عباس باشا وخلفه سعيد باشا فعاد اسماعيل الى مصر

فولاه عمه رئاسة مجلس الاحكام فنظمه على مثال مجالس أحكام تركيا

وفي سنة (١٨٦٣) أفضت الولاية اليه بموت عمه سعيد باشا فأخذ في تنظيم البلاد بفتح الشوارع العظيمة وغرس الاشجار على جانبيها وتشييد المباني الفخمة وانشاء الترع والمصارف بسخاء عظيم

من أعمال اسماعيل باشا سعيه في نيل رتبة الخديوية وكان آباؤه يلقبون بالولاة وبذل جهده في جعل الوراثة منحصرة في أولاده لا في الارشد من الاسرة وصدر له الفرمان بذلك سنة (١٨٧٣)

ومما يؤثر عن اسماعيل انه سهل على الاوربيين والامريكيين سكنى البلاد المصرية بقصد نقلها من حالتها الشرقية الى حالة تشاكل بها المدنية الغربية فبذل المجالية الاجنبية كل مساعدة وأيدهم في مشروعاتهم المالية وفتح أمامهم طرق المكاسب اسدراراً لاموالهم فأقبلوا على مصر يرؤوس أموالهم طلباً للارباح العظيمة

وفي سنة (١٨٦٩) احتفل اسماعيل باشا بافتتاح قناة السويس فدعا لحضور هذا الاحتفال ملوك أوروبا فحضرت ملكة الانجليز وأوفد نابليون الثالث امبراطور فرنسا امرأته بدلا عنه وأقام لهم مآدب وزينات يقصر عنهما وصف الواصف فبلغت نفقات هذا الاحتفال ستة عشر مليونا من الجنيهات

وفي عام (١٨٧٢) تعدى الاحباش على حدود مصر وأسروا بعض المصريين وكان اسماعيل باشا يود توسيع نطاق مصر بأخذ البلاد الحبشية فأعلن الحرب على الحبشة فلم يوفق لفتحها

وفي سنة (١٨٧٣) قصد زيارة السلطان بالآستانة فاستقبل هناك استقبالا عظيما وعاد فاحتفل المصريون بقدومه أعظم احتفال

وفي هذه السنة احتفل بتزويج أولاده الثلاثة توفيق باشا وحسن باشا وحسين باشا (وقد تولى سلطنة مصر) فأقام لذلك أفراحاً يقصر عن وصفها قلم أبلغ البلغاء صرف عليها أموالا طائلة

قلنا ان اسماعيل باشا كان ينفق بسخاء عظيم في مشروعاته العمرانية واحتفالاته العامة فكان ايراد مصر

لايكفي لسد هذه النفقات فيضطر للاستدانة من مصارف أوروبا فبلغ دين مصر في عهده ٩١ مليون جنيه وهو مبلغ باهظ بالنسبة لحالة الميزانية اذ ذاك. وقد كان الدين على عهد سلفه (٣٢٩٢٨٠٠) فقط. وكانت فائدته ٧ في المائة وكانت هذه الديون قسمين دين الحكومة ودين الدائرة السنية فضم الدينان في ٧ مايو سنة (١٨٧٦) الى دين واحد. فرأى اسماعيل باشا أن توحيد الدين على هذه الصورة لايتم فأصدر أمراً في ١٨ نوفمبر باصدار سندات بمبلغ ١٧ مليون جنيه بضمان الخطوط الحديدية المصرية وميناء الاسكندرية وقائدته ٥ في المئة وسماه الدين الممتاز

ولكن المالية المصرية لم تكن على حالة تستطيع معها توفية الاقساط المطلوبة للدائنين ولافوائد هذه الملايين فاضطرت الدول الدائنة لتعيين لجنة مالية مختلطة لمراقبة حسابات الحكومة المصرية فحضرت تلك اللجنة وفحصت الحسابات فوجدت فيها عجزا مقداره مليون ومئتا الف جنيه فتنازل اسماعيل باشا عن أملاكه الخاصة وأملاك أسرته للحكومة وهي التي تعرف بأملاك الدومين وتقرر اقتراض ٨ ملايين جنيه ونصف لتسوية الحسابات وجعلوا أملاك الدومين رهنا لها وهذا هو الدين المعروف بدين رونشيلد

كانت أعمال الحكومة تجرى بارادة الخديو المطلقة ولكن لما تعين المراقبان الاجنبيان على المالية اضطر اسماعيل باشا لمشايعة النظامات الدستورية فعين وزارة لتدبير أمور المصالح المختلفة تحت رئاسة رئيس مسئول أمامه فتشكل مجلس النظار برئاسة نوبار باشا وصادق على تعيين المراقب الانجليزي ناظراً للمالية والمراقب الفرنسي ناظراً للاشغال فرأى مجلس النظار أن يقتصد من النفقات العسكرية فحال كثيرين من الضباط على المعاش فثار أولئك المعزولون وعددهم ٤٠٠ ضابطا ومعهم جنود كثيرون وحاصروا المالية وطلبوا صرف رواتبهم وكلموا المراقبين والوزراء بعنف وعلت الضوضاء وكاد يحدث مالا تحمد عقباه فحضر اسماعيل باشا نهد الثائرين. فاستقال نوبار باشا ورياض باشا لما آنسوه في أعمال الخديو من المخاطرة فصدر أمره بتعيين

ابنه توفيق باشا رئيساً لمجلس النظار ولكنه عاد في ٧ ابريل سنة (١٨٧٩) فأسقط هذه الوزارة ودعا شريف باشا لتأليف وزارة وطنية باحتة وأمره بعدم قبول المراقبين الاجنبيين لما رآه منهما من معارضة مشروعاته. فلم ترض انجلترة وفرنسا بهذه الاهانة وأصرتا على وجوب اعادة الوزيرين وحددتا اسماعيل باشا بالعزل فأصر الخديو على رفضهما فسمت تلك الدولتان لدى الباب العالي فأصدر أمره بعزله في ٢٥ يونيو سنه (١٨٧٩) وأتى فرمان بتوليه ابنه توفيق باشا

من أعماله تقسيم مصر الى ١٤ مديرية وتأسيس مجلس دعاه مجلس النواب على نحو مجلس شورى القوانين وتنظيم القضاء الاهلي والشرعي وجعله لكل منهما رؤساء وحدوداً، ووضع نظام المجالس الحسبية وانشاء المحاكم المختلطة بمساعي وزيره نوبار باشا وقد جاءت رحمة على المصريين بالنسبة لما كان حاصلا في مصر اذ ذاك من جراء اطلاق المحاكم القنصلية

وبيان ذلك ان للأجانب في مصر امتيازات خاصة بهم فلا يحاكم واحد منهم مدنياً ولا جنائياً الا امام قنصله فكان اذا تعامل أحد الاجانب مع أحد المصريين وحدث بينهما خصام ترافعا الى القنصل فكان يحدث من ذلك سوء تفاهم كبير بسبب جهل المصريين بلغة اولئك الاجانب من جهة وبسبب عدم حيازة تلك المحاكم القنصلية لجميع الضمانات التي يستدعيها الفصل بين الخصوم. فهضمت بذلك حقوق كثير من المصريين فلم ير اسماعيل باشا بداً من ابدال هذه القوضى بمحاكم مختلطة تعين الدول أعضاءها تحت رئاسة قضاة من المصريين تفصل في الخصومات المدنية التي تقع بين الاجانب أو بينهم وبين المصريين وعهد اليها أيضا النظر في المخالفات فكانت نتيجة تأسيس هذه المحاكم ضمان حقوق المصريين ووجود الوئام بينهم وبين الاجانب وكان من أحسن نتائجها حصر سلطة القناصل وتضييق دائرتها

وكانت مصلحة البريد تابعة للشركات أجنبية فجعلها اسماعيل باشا مصلحة اميرية وعهد بادارتها الى بعض الاكفاء من الاجانب

وزاد في مطبعة بولاق أدوات كثيرة

وأمر بترجمة كتب عديدة وطبعها ونشرها وأسس بالمطبعة معملا للورق وتكاثرت على عهده المطابع والجرائد فظهرت أولا جريدة التجارة ومصر والوطن (قبل عهدها الاخير) والاهرام والكوكب الاسكندري وروضة الاسكندرية وروضة المدارس واليعسوب ونزهة الافكار وحديقة الابصار ووادي النيل (قبل عهده الاخير) فحدثت نهضة عربية وكان اسماعيل باشا يحب العلماء ويجيزهم الجوائز العظيمة وكان يشهد الاحتفال بامتحان التلاميذ بنفسه ويسلم الجوائز لمستحقيها بيده وقد يقف عند تقديمها تنشيطا لهم

ولم يكن في مصر حين توليه الاحكام لا الخط الحديدي المتد بين الاسكندرية والقاهرة فأنشأ كثيراً من الخطوط الحديدية في شرق البلاد وغربها ومد الاسلاك التلغرافية وبلغ مقدار ما صرف على ذلك نحو عشرة ملايين جنيه

ومن آثاره مدينة الاسماعيلية على قنال السويس وأنشأ منارات في البحرين الابيض المتوسط والاحمر وجعل سوراً على حديقة الازبكية وغرسها اشجاراً ضخمة وبنى بنايات كثيرة بالقرب من طرة ليجعلها معامل للبارود والاسلحة ولم يستخدمها لذلك وبنى لجان الاسكندرية والخانات المعدنية بحلوان. وبنى مرصد العباسية وكثيراً من معامل السكر وحفر قنوات الري وأقام على النيل جسوراً عظيمة فمن تلك الترع الابراهيمية بالصعيد والاسماعيلية بين القاهرة والسويس. ومن أعظم القناطر قنطرة قصر النيل (الكوبري) وبنى حوضا لترميم السفن بالسويس

وقد ابطل الرقيق في زمنه وتم فتح السودان وبلغت جنوده ما وراء خط الاستواء وعُني بتحسين احوال السودان فمهد شلال عبكة وفتح صداً كبيراً جنوب فشودة طوله ستون ميلا كان يعيق مسير السفن في النيل الابيض فسهلت طرق التجارة. واعاد رونق المدارس اليها بعد ان كانت أخذت في الاضمحلال بعد عهد جده محمد علي وأسس مدارس اخرى فمن التي اسسها اورقاها مدارس المبتديان والتجهيزية ومدرسة الهندسة والمساحة والالسن والعمليات والادارة والسان القديم والتجارة ومدرسة البنات بالسيوفية

وغيرها . وفي عهده حلت الماسونية مصر فأدخلها تحت حمايته ودخل في سلكها نجله توفيق باشا

وفي عهده ارتفع سعر القطن الى ١٦ جنيها القنطار الواحد وذلك لوقوع الحرب بين امريكا الشمالية والجنوبية فأصاب المصريون ثروة طائلة . الخلاصة أنه كان لا يعيب اسماعيل باشا الا بذله حتى وقعت البلاد تحت اعباء الديون

كان اسماعيل باشا ربعة في الرجال ممتلىء الجسم قوى البنية عريض الجبهة كث اللحية يميل الى الصفرة و بعينه ميل الى الحول أو ان احديهما كانت اكبر من الاخرى قليلا وقد كان عظيم الهيبة حتى ان مخاطبه كان يندفع الي طاعته كأنه مسوق بزاجر نفساني لا يمكن التغلب عليه وكان يتكلم اللغة الفرنسية ويحسن العربية والتركية والفارسية وكان يحب البذخ والترف والتنعم

استبدل اسماعيل باشا معاشه قبل وفاته باثنين وعشرين الف فدان باع منها ٢٠٠٠ للاوقاف العمومية و ١٥٠٠ لعفيفه عباس حلمي باشا فبقي له ١٨٥٠٠ منها ١٢ الف فدان بتفتيش ابيار البارود وقفها علي زوجاته الثلاث في حياتهن ثم يرثها ورثته بمدهن والباقي وهو ٦٥٠٠ فدان تركها بلا وقف وترك غير ذلك مما ورثه من والده وهو ٥٠٠٠ فدان وهبها لها عباس باشا الاول و ٩٠٠ فدان وقصراً في حلوان وسراى القصر العالي ومعها حديقة تبلغ ٣٤ فدانا وترك أيضاً ما ورثه من ابنه المرحوم البرنس علي جمالي باشا وهو ٦٠٠ فدان . وترك أيضا في العباسية قصر الزعفران وفي الآستانة قصر ميركون وهو يحتوى علي قصرين كبيرين وقصرين صغيرين وترك فيها أيضا قناق بايزيد وتقدر قيمة أرضه بثلاثين الف جنيه وأوصله المرحوم البرنس حليم باشا فأخذه السلطان عبد الحميد منه ووهبه لاسماعيل باشا

وكان قد أضاف في وصيته نحو ٤٨٠٠ فدان من أطيانه في أيام ولايته الي الاطيان الموقوفة علي اهل قرية وقصرها عشرة آلاف فدان في كفر الشيخ وحفظ لنفسه الشروط العشرة ثم آلت نظارة هذا الوقف اليه فصل الاربعة الآلاف والسبع المئة فدان التي أضافها اليه و وقفها علي حاشيته كلها ولم يستثن احداً منهم

كان جنسه ودينه حتى كتب حصة لسكرتيره الفرنسي وطبيبه الانجليزى فبلغ عدد مستحقي هذا الوقف من الجوارى ٤٥٠ منهن ٤٠٠ من الجركسيات كان قد زوجهن من اعيان مصر وكبرائها قبل مفارقته الديار المصرية

وأقام قائده الكبير راتب باشا وكيلا لحرمه وأوصي أن يعطي ١٥٠ جنيها شهريا وأن تعطى حرمه ٥٠ جنيها شهرياً وأن يضاف مرتبها الى مرتبه اذا توفيت في حياته

خلفه ابنه محمد توفيق باشا من سنة (١٨٧٩) الي (١٨٩٢) ولد سنة ١٨٦٢ فلما ترعرع واشتد أدخله والده الي مدرسة المشيل فدرس فيها العربية والجغرافية والتاريخ والطبيعيات، الرياضيات واللغات التركية والفرنسية والانجليزية وكان به ميل للعلم والمعرفة . تولي رئاسة المجلس الخاص في حياة والده وسنه ١٩ سنة ، ثم تقلد نظارة الداخلية ونظارة الاشغال ورئاسة مجلس النظار

ولما بلغ الحادية والعشرين تزوج بالاميرة آمنة بنت الامير الهامي باشا وهي من أكمل النساء عقلا فولد له سنة (١٨٧٤) أي في السنة التالية لزواجه ولده البكر عباس حلمي باشا الخديوى السابق ثم الامير محمد علي باشا سنة (١٨٧٦) والاميرة خديجه سنة (١٨٧٧) والاميرة نعمت سنة (١٨٨١)

ما زال المرحوم توفيق باشا يتقلد الوظائف في أيام أبيه حتى أسندت اليه الخديوية بعد قالة والده وكان ذلك في ٢٦ يونيه سنة (١٨٧٩) وكان مشهوراً بالعطف علي رعيته لخفف الضرائب وأحدث اصلاحات جمة

وفي عهده تألفت لجنة تصفية الديون وأنشأت قانونا فصادق عليه

ومن أعماله أنه سن للبلاد نظامات شورية كمجلس شورى القوانين ومجالس المديريات والجمعية العمومية

وفي أيامه أنشئت المحاكم الاهلية وتقدمت مصلحة الرى ورفعت السخرة

وفي أيامه حدثت الثورة العرابية والثورة السودانية . فأما الاولي فأحسن ما يكتب فيها اجمالا ما كتبه أحمد عرابي عن نفسه ننقله عن مجلة الهلال فان فيه تاريخ الموجد لتلك الحركة وتفصيل أدوارها تفصيلا وان كان قد راعي فيه

تخفيف التبعة عن نفسه الا انه أجدر بكتاب علمي كدائرة المعارف بمنزل من المناقشات السياسية . قال :

(نشأتي الاولى) ولدت في ٧ صفر سنة ١٢٥٧ هـ من أبوين شريفين من ذرية العارف بالله السيد صالح البلامي البطائحي ومقامه الشريف بقرية فقوس بمديرية الشرقية وهو أول من قدم الى بلاد مصر من بلاد البطائح بالعراق في أواسط القرن السابع الهجرة وهو من ذرية الامام علي الرضا بن الامام موسى الكاظم من سلالة الامام الحسين بن علي بن أبي طالب وابن فاطمة الزهراء البتول بنت محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم : واسم والدي محمد عرابي بن السيد محمدوني بن السيد محمد غنيم بن السيد ابراهيم بن السيد عبد الله الى آخر السلسلة الشريفة واسم والدتي فاطمة بنت السيد سليمان ابن السيد زيد نجتمع مع والدي في جدي الثالث عشر السيد ابراهيم المقلد رحمه الله تعالى . ووالدي كان بقرية هرية رزنة بمديرية الشرقية على ميلين من شرقي بندر الزقازيق وهي بلدة قديمة جداً من ضواحيها مدينة بوباسطة كرسي مملكة العائلة ٢٢ في زمن شيشاق ابن نمرود التي يقال لها الآن (تل بسطة) وعشيرتي فيها نحو ربع تعدادها وكان والدي رحمه الله تعالى شيخا عليها الى أن توفي في شهر شعبان سنة ١٢٦٥ هـ في زمن الموالد الاصغر عن ثلاث نسوة وأربعة أولاد وست بنات وكنت ثاني أولاده الذكور وعمري ٨ سنوات وترك لنا ٧٤ فدانا ولو شاء لاستكثر من الاطيان الزراعية ولكنه رحمه الله تعالى يراعي صالح أبناء عمومته حيث أن أطيان القرية كغيرها كانت مكلفة بأسماء المشايخ يوزعونها بمرقتهم على أهل بلادهم بحسب الاحتياج الى عهد المغفور له عباس باشا الاول وهو أول من كلف الاطيان بأسماء الافراد وألزمهم بدفع خراجها وما زاد منهم يترك للميري ويسمونه المتروك

وكان والدي عليه سحائب الرحمة والرضوان عالما فاضلا تقيا أقام بالجامع الازهر ٣٠ سنة تلقى فيها الفقه والحديث والتفسير وبرع في كثير من العلوم النقلية والعقلية على كثير من المشايخ كشيخ الاسلام الدسوقي رحمه الله تعالى وغيره من العلماء الاطهار

ولما آلت اليه وظيفة المشيخة على عشيرته جدد عمارة المسجد المنسوب الى عشيرته بالقرية المذكورة وفيه أربعة أعمدة من الحجر الصوان القديم ومنبر من الخشب عجيب الصنعة وانشأ بجوار المسجد مكتبا لتعليم القرآن الشريف وجعل له فقيها صالحا هو المايسي الشيخ نجم من سلالة السيد العزازي وألزم الاهالي بتعليم أولادهم . وكان رحمه الله يشدد عليهم في ذلك حتى صار نحو نصف تعداد الناحية المذكورة يحسنون القراءة والكتابة وكل منهم يعرف واجباته الدينية ومنهم نحو مائة وخمسين فقيها عالما ومنهم المرحوم الشيخ محمد حسين الهراوي من علماء الجامع الازهر والشيخ العارف بالله ابراهيم المصيلحي نفع الله به المسلمين فلما بلغ سني ٤ سنوات أرسلني والدي الى المكتب المذكور . فأقمت فيه ثلاثة أعوام ختمت فيها القرآن وعمري اذ ذاك ثماني سنين وبضعة شهور فلما توفي والدي كفلني أخي الأكبر المرحوم السيد محمد عرابي الذي توفي في ٢٥ شعبان سنة ١٣١٨ رحمه الله تعالى وأخذت عنه مبادىء علم الحساب وتحسين الخط مع ملاحظة بعض أشغال الزراعة ثم بدا لي المجاورة بالازهر حين بلغت اثنى عشر عاما فكنت أجود القرآن على أقاربي نهاراً وأتوجه الى بيت عمي ليلا وتلقيت شيئا قليلا من الفقه والنحو وبعد سنتين رجعت الى بلدي

(سعيد باشا) وكان المرحوم سعيد باشا عليه سحائب الرحمة والرضوان قد تولى الحكومة الخديوية في ١٥ شوال سنة ١٢٧٠ وأمر بدخول أولاد مشايخ البلاد وأقاربهم في العسكرية فدخلت من ضمنهم وانتظمت في سلك الأورطة السعيدية المصرية بقناطر فم البحر في شهر ربيع أول عام ١٢٧١ وجعلت فيها وكيل بلوك أمين من أول يوم صار انتظامي في سلك العسكرية بعد امتحاني بحضور ابراهيم بك أمير الالاى وحسن أفندي الالفي حكيم الالاى ثم ترقيت الى رتبة بلوك أمين في شهر رجب من السنة المذكورة بعد اعادة الامتحان الى الطابين فذلك من غير واسطة أحد غير الجد والاجتهاد

وبعد عام نظرت فرأيت بعض الباشجاوشية المصريين ترقى الى رتبة

الملازم الثاني وعلمت أن البلوك أمين لا يترقى الا الي رتبة الصول قول أمامي وفيها يفنى عمره . فجزعت من ذلك وذهبت الي أمير الالاى وطلبت منه ترتيبي في رتبة جاويش في أورطة كانت أفرزت لارسالها الي مدينة المنصورة فأتى المير الاى المذكور من سبب ذلك حيث أن راتب الجاويش أقل ١٠ غروش من راتب البلوك أمين وان كانت الرتبتان متساويتين فأفصحت له عما خالج فكري واني اذا صرت جاويشا سهل علي الحصول على رتبة الجاويش ثم الانتقال الي رتبة ضابط . فعجب لذلك الخاطر وأسف في الحال بجعلي جاويشا فمكثت في هذه الرتبة سنتين وفي تلك المدة حبب الي الانعزال عن الناس والاشتغال بدراسة القوانين العسكرية مع التدبر في معانيها حتى أتقنت قانون الداخلية وقوانين تعليم النفر والبلوك والاورطة وبعض فصول من تعليم الالاى

وفي أوائل عام ١٢٧٤ أمر سعادة راتب باشا بجمع الصف ضباط فاجتمعنا حوله في فسحة قصر النيل وبلغنا ارادة المرحوم سعيد باشا وقال .

ان اقتدينا بلغه انكم تقولون في ما بينكم كيف يصير ترقي الصف ضباط الجدد وتأخير بن هو أقدم منهم في الرتب وأنه أمر أن لا يترقي أحد بعد الآن الا بعد الامتحان علما وعملا فمن فاق أقرانه في الامتحان ترقي الى الرتبة التي يستحقها ولو لم يثبت في رتبته لاولى غير شهر واحد فمن أراد منكم الامتحان فليتقدم الي الامام

فعند ذلك تقدمت أمام سعادته وأحجم الآخرون خوفا وهلعا ظنا منهم انه يريد معاقبة من يتظاهر بذلك

ولما كرر عليهم الطلب خرج آخر وآخر حتى بلغ عدد الراغبين في الامتحان نحو ٣٠ شخصا فصار امتحانهم بحضوره تحت رئاسة المرحوم اسماعيل باشا الفريق فكنت أول فائز في الامتحان

ثم صار جمع الضباط والصف ضباط بمعرفة سعادة راتب باشا الذي كان وقتئذ أمير الاى وصار طابي امام الجميع ووضع في صدري نيشان الباشجاويش وأعلن ترقيتي الي هذه الرتبة

وبعد عام أي في أول عام ١٢٧٥ صار امتحان الباشجاويشية بحضور سعادة

راتب باشا أيضا والمرحوم اسماعيل باشا الفريق فكنت الفائز الاول وترقيت الى رتبة الملازم ثاني التي كنت أدأب في الحصول عليها منذ البدء

ثم بعد سبعة اشهر صار امتحان الضباط في القصر العالي فكنت اول فائز فيه وكتب اسمي في اول الامتحان ولما عرض الجدول على ساكن الجنان سعيد باشا امر باعادة امتحاني وانتدب لذلك المرحوم سليمان باشا الفرنساوي رئيس رجال العسكرية

فطلبت ثانيا الي الامتحان وكان يوما مشهوداً وبعد الامتحان التمس سليمان باشا المشار اليه خروج الخديوي المرحوم الي ميدان الامام الشافعي رضي الله عنه وهناك يصير امتحاني في الميدان بأورطة من العساكر بحضرته الخديوية

فسأله الخديوي عما يقصده بذلك فقال انه مستحق لرتبة المير الاى لأن الذين ترقوا الى هذه الرتبة من المدارس الحربية لم يقرروا في امتحانهم مثله

فقال الخديوي رحمه الله تعالى لا يمكن ذلك

فقال له يحسن البك على الاقل برتبة يكباشي فأبي عليه ذلك وقال يلزم أن يتدرج في كل رتبة ليعرف واجباتها واحسن الى برتبة ملازم أول وأمر باعتبار جدول هذا الامتحان وأن يكون الترقي على مقتضاه بدون تجديد امتحان لمدة مجهولة وقبل مضي شهرين أحسن علي برتبة يوز باشي والتحقت بمأموريته

وفي أوائل سنة ١٨٧٦ ترقيت الي رتبة صاقول أغامي في بني سويف

وبعد العودة الى مصر صار ختان المرحوم الطيب الذكر طوسن باشا النجل الوحيد المرحوم سعيد باشا فأولم المرحوم الخديوي وليمة شائقة دعى اليها جميع أعضاء العائلة الخديوية في قبة عظيمة حضرها جميع الضباط والقوات وغيرهم من الاجانب وبعد الطعام انتصب الخديوي رحمه الله تعالى قائما وقال خطبة ارتجالية ذكر فيها «ان من أمعن النظر في تاريخ بلادنا هذه وتوالي حوادثها المحزنة لايسعه غير الاسف والتعجب كيف توالت الامم الاجنبية على أهلها وهم يظنون سكانها كالكلدانيين والفرس قبل الاسلام والترك والاكراد والشركس وغيرهم بعد الاسلام وكلهم يفسدون و

يصلحون واني عزمت على تثقيف ابناء البلاد وتهذيبهم وترقيتهم حتى تكون حكومة البلاد بأيديهم بصفة كوني مصريا منهم وبالله الاستعانة »—

فوقع هذا الخطاب على من حضر من غير المصريين وقوع الصواعق وتهلك وجوه المصريين وشكروا ودعوا وانقضت الحفلة

ثم في آخر سنة ١٢٧٦ ترقيت الى رتبة بكباشي وفي اوائل عام ١٢٨٧ أحسن الي برتبة القائمقام الرفيعة كما احسن بها على السيد محمد باشا النادى وعلى المرحوم راشد باشا راقب الذى استشهد بحرب الحبشة في عام ١٢٩٣ وعلى المرحوم سليم باشا رفقي الذى صار ناظراً للجهادية قبل الثورة الوطنية . فكنا اربعة قائمقامات اثنين مصريين واثنين شركسيين وكل منا استلم قيادة الاى بيادة

وفي السنة المذكورة سافرت بمعية المرحوم سعيد باشا الى المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة واتم السلام برتبة القائم مقام كما ذكرتم ذلك في كتابكم «تاريخ مصر الحديث»

وفي عام ١٢٧٨ رأى سعيد باشا ان الحكومة سقطت في دين يبلغ مقداره ٦ ملايين جنيه مصرى وذلك يساوى ايراد الحكومة في ذلك الوقت سنة كاملة تقريباً وكان ذلك المبلغ ثمن أسلحة ومهمات حربية وملبوسات وذخائر عسكرية موصى عليها في معامل اوربا وردت بعد وفاته رحمه الله تعالى . فأمر برفت جميع الالايات وأبقى أورطة واحدة كان فيها يوزباشي سعادة مصطفى فهمي باشا رئيس النظار الآن وعلى فهمي باشا الذى نفي معنا الي سيلان . وأمر باستيداع الضباط بالمحافظات والمديريات على حسب رغبتهم ومن له بلد يتوجه الي بلده ويصرف لهم نصف مرتباتهم في استيداعهم وأمر أن تضاف مرتباتهم على الاطيان مؤقتاً ريثما يتم تسديد الدين . فخص الفدان الواحد ٥٠ فضة اى غرش واحد وربع وقد حصل ذلك فعلا ثم صار بيع الخيول ومأكولات العساكر ومفروشاتها وكانت من البوسطي وغيرها وكذا الفضيات الموجودة في خزائن الامتعة والمسافرخانات . وكذا الفوريقات الموجودة في جميع القطر المصرى والاطيان المتروكة في كل المديريات كل ذلك وجاء

تسديد الدين

وفي أوائل عام ١٢٧٩ سافر المرحوم سعيد باشا الي أوروبا لمعالجة نفسه من داء السرطان وكان بمعيته المرحوم محمد على باشا الحكيم المصرى الذى استشهد في حرب الحبشة عام ١٢٩٣ فصدر أمره الكريم الي قائمقام خديوى فخامة اسماعيل باشا الخديو الاسبق بطلب جميع الضباط المصريين من بلادهم واقامتهم في قصر النيل ومداومتهم على التدريس في القوانين العسكرية يقول فيه :

« ان الضباط الوطنيين المترقين من تحت السلاح قد اشتغلوا بملازمة نسائهم وتركوا دروسهم ولو تركناهم على هذا الحال الذى لا يؤول عليهم منه الا الوبال لفقدوا العافية والنظر وصاروا عبرة لمن يعتبر

« وبما اننا نحن الذين ربيناهم ورقيناهم وأظهرناهم فلا يصح لنا تركهم في هذا الحال الذى ذكرناه فقد اقتضت ارادتنا جمعهم من بلادهم وعدم تمكينهم من نسائهم حتى ولا بالنظر اليهن بالعين والتشديد عليهم بمداومة التدريس ليلا ونهاراً في قصر النيل »

وبناء على هذه الارادة صار اجتماعنا في قصر النيل

وفي ربيع الاول انتدبت لفرز الصف ضباط في الوجه القبلي وتعين معي حكيما للفرز المرحوم سالم باشا سالم الحكيم وكان برتبة قائمقام أيضاً

وفي ٢٧ رجب من تلك السنة توفي المرحوم سعيد باشا ودفن في الاسكندرية بالمدفن المجاور لمسجد النبي دانيال عليه السلام بعد عودته من أوربا وجلس على الاريكة الخديوية ابن أخيه اسماعيل باشا الخديو الاسبق وصار ترتيب الالايات فكان ترتيبي قائمقام ٦ جي ألاى بيادة . وأما سعادة نادى باشا فتعين على ألاى جميع ضباطه من المصريين المترقين في زمن سعيد باشا وأرسل الي السودان

وحاصل الامر اني دخلت العسكرية نفراً بسيطاً في أوائل سنة ١٢٧١ وبلغت رتبة القائمقام في أواخر عام ١٢٧٧ بجدى واجتهادى وسهر الليل والنهار على حد قول القائل ومن طلب العلي سهر الليالي

ونجح كثير من تلامذتي نجاحا تاماً حتى كانوا في مقدمة جميع الضباط في الامتحانات العمومية

وكان السبب في هذا الاجتهاد الغريب الذي فاقوا به المتخرجين من المدارس الحربية وكان أغلبهم أميين رغبة سعيد باشا في تقدم أبناء الوطن ومساواتهم لغيرهم كما ذكر ومحبته لهم وانعطافه اليهم ومعاملته للجميع بالعدل والمساواة مع تفقد أحوالهم ومراعاة سيرهم وحسن سلوكهم كأنهم أولاده وكفي بالامر الصادر منه وهو في بلاد أوربا في حقهم المذكور آنفاً برهاناً صادقاً علي حسن معاملتهم الوطنيين كأنه كان وصية منه عليهم لمن يخلفه . وهذا هو الذي أوغر علينا صدور اخواننا من الترك والشركس وغيرهم

ولقد قال لي مرة رحمه الله تعالي وأنا برتبة قائمقام ان جميع الناس عادوني حتى أهلي رجالا ونساء بسبب مساواتكم بغيركم فحققوا أملي فيكم فأجبته ، ولكن الله سبحانه وتعالي يرضى عنك والامة المصرية ترضى عنك لمراعاتك للحق والانصاف ، هذا وبسبب عدله وقناعته أثرت البلاد في زمنه وأخصبت الارض وانتعشت الامة حتى صار الرجل المزارع الذي يعمل يده يحصل له فرق عشرين جنيها في السنة وهذا ما حفظ مصر من الافلاس في مدة خلفه الذي بلغ دين الحكومة في زمنه مائة الف الف والف الف جنيه كما هو مدون في بطون الدفاتر

(نشأتي الثانية) ولما تولى الخديوية المرحوم اسماعيل باشا وأمر بانشاء ٦ ألايات بيادة كنت قائمقام في الالاى السادس وكان المرحوم خسرو باشا أمير الايا علي ألالاى الثاني ثم ترقي الي رتبة لواء باشا وكان رحمه الله متعصباً لابناء جنسه تعصباً أعمي وترتب قومندانا علي الالاى ٥ و٦ ولما وجدني وطنياً قحاً عظم عليه وجودي في الالاى وسعي في رفتي من الالاى لاجل اخلاء محلي لترقية أحد أبناء المماليك مصطفي افندى سليم بن سليم بك المشهور بالحجازى

ولاجل هذه الغاية صار يترقب الفرص للايقاع بي الي أن صدر أمر الجهادية بامتحان الضباط لاجل استكمال النقصان وبعد أن صار الامتحان وتحررت العرائض للمستحقين وختم عليها من أرباب الامتحان وكنت من ضمن أعضاء مجلس الامتحان تحت رئاسة الباشا المذكور أرسل لي عريضة أحد الملازمين

اسمه سيد أحمد أفندى وطلب أخذ ختمي من عريضته والختم علي عريضة ضابط آخر من اورطة مصطفي افندى سليم البكباشي لكونه دائماً يباشر خدمة منزل البكباشي المذكور . فشق علي هذا الامر وتوجهت الي مركز اللواء باشا وأخبرته بأن يعفيني من الختم علي عريضة من لا يستحق . فقال لابد من الختم لاجل خاطر البكباشي المذكور فقلت ان هذا ظلم لا أفعله واذا كنت تراعي خاطر البكباشي في الظلم فأولي لك أن تراعي رئيسه في العدل . وذكرته بعاقبة هذا الامر اذا تشكي المظلوم الي ديوان الجهادية وطلب امتحانه مع الآخر كما حصل مثل ذلك في زمن المرحوم سعيد باشا وصار عزل جميع أعضاء مجلس الامتحان مع رئيسهم بسبب ظلم نفر مستحق رتبة أو نباشي وهي أدني رتب الصف ضباط ثم ذكرته بمعاقبة الظلم غداً بين يدى العزيز الجبار

فحنق لذلك حنقاً شديداً وذهب الي ناظر الجهادية المرحوم اسماعيل باشا سليم وأخبره اني لا أطيع له امراً ولا أعبأ بأوامر ديوان الجهادية . وناظر الجهادية عرض للخديوى الاسبق بذلك ثم صدر الامر برفتي من الجهادية بالقول انى قوى الرأس شرس الاخلاق (ومابي والله من شراسة ولكن جعلني الله سبحانه علي حب العدل والانصاف وكره الظلم والاعتساف) فترتب علي ذلك رفتي من الخدمة وحرماني من المائتي فدان التي صدر أمر الخديوى بالاحسان بها علي كل من القائمقامات الجهادية عقيب مناورة عسكرية حضرها الخديوى وكنت من ضمن من حضرها وكان أصدار ارادة سنية للمديريات بوجه يجرى بتسليم تلك الاطيان الي المنعم بها عليهم

فصدرت ارادة سنية ثانية بتوقيف التسليم فيما يخصني وقد حصل

ولكن الله ليس بغافل عما يعمل الظالمون فانتقم بعدله ممن ظلم من غير امهال وذلك أنه صدر أمر الخديوى في الاسبوع الذى رفت به بالغاء الالاى ٥ و٦ أى اللواء الثالث وأرسل خسرو باشا الى السودان وأصيب حسين باشا الطوبجي بالفالج ومحمد بك أمين القبرصلي بالفالج أيضاً حتي ماتا وأمين بك رئيس فلم يرقي

بديوان الجهادية انتحر بعد تكبيله في الحديد وارساله الي السودان وهكذا كل من اشترك في هذه المظلمة أصيب بقارعة عظيمة

وأما مصطفي سليم المذكور فقد رفت أيضاً وأقام في بيته مرفوتاً نحو عشر سنين حتي أذله الله

وأما اسماعيل باشا ناظر الجهاديه فانه مات في حرب كريد ولكن ليس شهيداً بل مات بسبب اكلة من فريك القمح فانعقدت امعاؤه وقضي نحبه وجيء بجثته الي مصر ودفن فيها سامحه الله تعالي

وفي شهر ربيع أول عام ١٢٨٣ عرضت الخديوى بواقعة الحال والتمست انصافه فصدر امره في ١٦ رمضان عام ١٢٨٣ نمرة ١٦ عرض وهاك صورته:

«ديوان جهادية ناظرى سعادتلو باشا حضرتلرى

٦ جي بيادة سابق قائمقامي أحمد عرابي بكك اشبو عرضحال منظورم أولدى خطا سنى عفوا يتمش اولد يغمدن حاله مناسب خدمة ظهورنده استخدام ايتدير لمسي حقنده ايجابني اجراء ايلمكز ايچون اشبو أمرم اصدار قلندى»

وحيث ان ناظر الجهادية المذكور كان مساعداً لخسرو باشا كرهت الخدمة في العسكرية وطلبت احالتي علي ديوان المالية

وفي التاريخ المذكور صار تعييني محافظاً علي بحر مويس وجزء من البحر الاعظم بمديرية الشرقية زمن فيضان النيل بمعرفة المرحوم اسماعيل باشا صديق

وبعد انقضاء زمن النيل من غير أن يحدث أدني ضرر في مديرية الشرقية كما حصل من الغرق بقطع نادر وقطع بطرة وغيرهما ترتبت مأموراً لتشهيل بناء قناطر فم الاسماعيلية بقصر النيل وتشهيل قطع الاحجار في معامل طرة والدقيقة بالعباسية والجبل الاحمر بالبساتين وشحنتها بالمراكب الى القناطر المذكورة والي سد فم الرياح في شبرا والى القناطر الخيرية والى جميع مديريات الوجه البحرى وتشهيل مراكب النقل وتفريغها بقناطر الاسماعيلية وسد الرياح في شبرا وكان عملا شاقا جداً من غير مراعاة الحكومة لاسباب التسهيل. فكنت أنتقل في كل يوم الي المحلات المذكورة علي ظهر فرسي أو حمارى حتي جاءت

سنة ١٢٨٥ فانتدبت لتشهيل بناء كبرى قشيشة العظيم بمديرية بني سويف وكبرى الرقة بمديرية الجيزة وكبرى أبو راضى علي سكة حديد الفيوم وبعد تمام تلك الاشغال كوفيء غيرى بخمسة آلاف جنيه مصرى ... ثم أحيل علي عهدتي تمديد سكة حديد المنيا الى محطة ملوى وبعد نهوها تصادف جعل المرحوم قاسم باشا فتحي ناظر الجهادية وكان يعرف قدر أعمالي واقتدارى فطلبني وكلفني الانتظام في تلك العسكرية ثانية

فاجبته الي ذلك وترتبت قائمقاما في ٣ جي الاى بياده في أوائل سنة ١٢٨٧ وفي سنة ١٢٨٨ انتقلت الي رئاسة ٢ جي الاى بياده ولكن برتبة القائمقام وفي أواخر سنة ١٢٩٠ توجهت بالالاى المذكور براً الي رشيد للاقامة فيها وفي ٢٤ شعبان سنة ١٢٩٢ انتدبت الى ترتيب عساكر محافظين القلاع الحجازية من أهالي تلك البلاد وارسال العساكر النظامية المصرية الي مصر فتوجهت اليها وحيداً فريداً علي مصاريف نفسى في أول يوم من شهر رمضان حتى وصلت الي قلعة نخل ورتبت لها العساكر اللازمة للمحافظة عليها وجعلت فيها مكتبا لتعليم ابنائهم القراءة والكتابة ثم ذهبت الي قلاع العقبة والمويلح والوجه وأجريت فيها كما اجريت في قلعه نخل وارسلت العساكر النظامية الي مصر ثم عدت قافلا بحراً الي بندر القصير ثم براً الى قنا وبحراً الي أسيوط وبراً الي مصر

ولما عرضت انتهاء مهمتي علي ناظر الجهادية فخامة صاحب الدولة حسين باشا كامل قال لى اني لاعتمادى عليك ووثوقي بك قد عينتك مأموراً للحملة الحبشية فاستعد لذلك بعد عشرة أيام فانتخبت من أعتمد عليهم من الضباط والكتبة وسافرنا جميعاً الي مصوع وبعد انتهاء تلك الحرب المشؤومة عدت الي مصر فامرني دولة المشار اليه أن أعود الي السويس لتشهيل المحضرين من مصوع وزيلع وارسال الذخائر اللازمة لتلك الجهات بدل المرحوم علي غالب باشا حيث أنه تعين مديراً لمديرية الدقهلية فذهبت اليها

وبعد انتهاء تلك المأمورية أيضاً عدت الي الالاى الذى بعهدتي برشيد وفي أوائل سنة ١٢٩٦ صدر لنا الامر

بحضور الالايات الموجودة برشيد الى مدينة القاهرة وتسليم الاسلحة والمهمات وارسال العساكر الى بلادهم فحضرنا . وكنا ثلاثة الايات وسلمنا المهمات في يوم وصولنا وفي اليوم الثاني صباحا ذهبت الى منزل سعادة محمد نادى باشا وكان أمير الاى أحد الالايات المحضرة من رشيد حينذاك فما تشعر الا وأحد الضباط اسمه أحمد افندى نجم حضر وأخبرنا ان تلامذة الحربية وبعض الضباط أحاطوا بالمالية فجاءت العساكر من ١ جي ألاى وضربت عليهم بالسلاح فاندهشنا لهذا الخبر المريع وأرسلنا غير من الضباط ليستكشف الامر ويأتينا بالحقيقة فذهب وعاد وأخبرنا بما صار وبعد يومين صار طلبي وطلب نادى باشا بطلب سر تسريغاتي خديو سعادة عبد القادر باشا حلمي فذهبنا اليه في بيته فأخبرنا ان الخديو يلتمس اتكاره على بك الروبي قد أغرى التلامذة والضباط على حمر المالية وانه سيجرى تحقيق ذلك فان ثبت هذا عليكم صارت مجازاتكم بأشد الجزاء » وصار يهددنا تارة ويعدنا بالسلامة تارة أخرى فاجبناه بقولنا « ياسبحان الله انا حضرنا أمس من رشيد وكنا مشغولين بتسليم الاسلحة والمهمات بمخازن العسكرية وصرف العساكر الى بلادهم فكيف يتصور انا نقرى تلامذة الحربية والضباط ونحن لسنا موجودين بالقاهرة ولا كان أحد من ضباط عساكرنا موجوداً في هذه الحركة أصلا على ان هذا العمل الخارج عن حد التعقل يلزم تدبيره وترتيبه قبل اجرآآته بمدة « فضحك » لانه يعلم ان تلك الحركة كانت بايعاز مقام عال وعمل جاهين باشا جنج لاجل التخلص من نظارة ويلسن المختلطة وأيضا صار طلب المرحوم علي بك الروبي بطرف مأمور الضبطية محمود صامي باشا البارودى و بلغه تلك التهديدات بمينها والافتراآت الظاهرة فتنصل منها

وبعد ذلك صار تشكيل مجلس عسكرى فوق العادة تحت رئاسة رئيس أركان الحرب اسطفون باشا الامريكي وعضوية سعادة افلاطون باشا والمرحوم مرعشلي باشا وجميعهم يعرفون الحقيقة كما يعرفون آباءهم ولكن المسألة خرجت عن مركزها المعين

ثم بعد ذلك صار طلب الضباط والمتهمين من رتبة بكباشي فما فوقها بسراى عابدين وقام الخديو يطيب خواطرنا ويوعدنا بخير ولكن ....

أمور يضحك السفها منها
ويبكي من عواقبها اللبيب

هكذا قلت لسعادة محمد باشا النادى والمرحوم علي باشا الروبي المتهمين معي في مسألة الاحاطة بديوان المالية

وفي ذلك الاجتماع صار جعلنا نحن الثلاثة من ضمن الياوران الذين بجميته

— عجباً والف عجب — لكن بعد أسبوع انخلع علي الروبي من العسكرية وتعين رئيساً لمجلس المنصورة وأبعد نادى باشا بألايه الجديد الى الاسكندرية ثم صار طلبي الى ديوان المالية فذهبت الى ناظرها المرحوم راغب باشا فأخبرني ان أهالي جرجا وأسيوط ومديريات الوجه القبلي قد انتخبوني أمينا من طرفهم في تسليم ٧٠٠ ألف أردب قمح وشعير وفول الى بنك قطاوى وبيحة واجيون باسكندرية لسداد ماعليهم من الديون — والله يعلم ان الامر غير ذلك وأنا أعلم أيضا .... ومع ذلك توجهت الى الاسكندرية

وأديت تلك المأمورية التي حقيقتها سلفة نصف مليون بنتو أخذتها الحكومة لتسديد بعض الاقساط من أرباح الدين المصرى

وفي ٧ رجب سنة ١٢٩٦ صار خلع المرحوم اسماعيل باشا وتولية المرحوم توفيق باشا وشاهدت الاحتفال بتوديع الخديو المخلوع حين انزاله في السفينة من أسكلة محكة الحديد منفياً الى بلاد ايطاليا كما أنزل عمه حليم باشا الى بلاد القسطنطينية

***

وعلى هذا انتهت مدة ولاية اسماعيل باشا كما علمت ولم أنل منه رتبة ولا نيشانا ولا اختصنى بعارية من جواريه ولا أصبت منه خيراً قط ولا أقمت على الدفاع عنه كما ذكرتم ولا خدمت بمينه أصلا ولا اشهرني أبداً ولا صحت حول سرايه ولا قال عني ماذكرت ان صوني أكثر قعقعة أو قرقعة من الطبل وأقل نفعاً منه

وقد تحملت مدة ولايته بكل صبر وثبات جأش ومكثت برتبة القائمقام ١٩ سنة وأنا أنظر الى اليوز باشية والملازمين

الذين تحت اداري وقد صار بعضهم أمير الاى وبعضهم أمير لواء وبعضهم أمير الامراء أعني باشوات وفرقاء وانهمرت عليهم سحب الانعامات والاحسانات فاقطعوا الاقطاعات الواسعة وأخذوا القصور العالية وأغدقت عليهم الخيرات وهم يطلبون قوتي واستعدادي

ولقد اجتهد صاحب الدولة حسين كامل باشا هم الحضرة الفخيمة الخديوية اذذاك في ترقيتي الى رتبة أمير الاى ولكن لم يقبل منه . أخيراً قال لي « اني بذلت مافي وسعي في طلب ترقيتك ولكن قيل لي انك من رجال سعيد باشا » فعجبت لذلك وقلت له أي من رجال الوطن وبلدي اسمها هرية رزنة بمديرية الشرقية ولست مملوكا لاحد

فطيب خاطري ولاطفني وقال لي « لاتفتر همتك وسأواصل السعي في انصافك » فشكرته وخرجت وأنا أشعر بأني لا أنال خيراً في مدة أبيه وكنت أتوسم كل خير في المرحوم توفيق باشا

ولكن من اعتمد على غير الله سبحانه وتعالى أخلاه منه لانه سبحانه غيور على عباده المؤمنين

(خاتمة أمري) ولما تولى المرحوم توفيق باشا مسند الخديوية وحضر الى الاسكندرية أحسن علي برتبة أمير الاى على الالاى الرابع فتوجهت الى رأس التين وقدمت لشكراني وامتناني الى حضرته الكريمة ودعوت له بخير ثم جعلت من ضمن ياوران الخديو ولما صار المرحوم عثمان رفقي باشا التركماني ناظراً للجهادية في وزارة مصطفى رياض باشا واستبدوا بالادارة لا يسأل كل من النظار عما يفعل في ادارته واستخفوا بأمر الخديو كل الاستخفاف وخصوصا عثمان رفقي لجهله وعجبه — خيلت له نفسه أن يمنع ترقية المصريين من العسكر العامل في الالايات والاكتفاء بما يستخرج من المدارس الحربية وصدرت أوامره بذلك

ثم أردفها باحالة عبد المال حلمي بك أمير الاى على ديوان الجهادية ليكون معاونا وكان عمره اذ ذاك أربعين سنة ليس الا ورتب بدله خورشيد ليمان بك من جنسه على الالاى المذكور وكان سنه فوق السنين وهو ضعيف لا يقدر على الحركة العسكرية وبرقت احمد بك

عبد الغفار قائمقام السواري وترتيب شاكر بك ملازه من جنسه بدله وهو طاعن في السن ثم خشت تلك الاوامر وصار قيدها بدفاتر الجهادية

وكنت لا أعلم بشيء من ذلك أصلا وأنما دعيت الي وليمة وسماع تلاوة القرآن الشريف بمنزل المرحوم نجم الدين باشا لمناسبة عودته من أداء فريضة الحج الشريف وكان ذلك ليلة ٤ صفر سنة ١٢٩٨ ولما وصلت الى منزل الداعي وجدته غاصا بالقوات العسكرية وغيرهم فجلست بجوار المرحوم نجيب بك هو رجل كردي الاصل وبجانبه المرحوم اسماعيل كامل باشا الفريق وهو شركسي الاصل ولكنه يتظاهر بحب العدل والانصاف فأخبره نجيب بك بما صار وانه نصح ناظر الجهادية بالاعراض عن هذا الاجحاف فلم يصغ لقوله وقال فهو ساخط ومضطرب

ثم أومأ اليه أن يخبرني بما سمع منه فأخبرني نجيب بك بحقيقة الحال همساً في أذني فقلت لاسماعيل باشا كامل .

« أحق هذا ؟ » فقال « نعم وأعطيت الاوامر الي الكتبة للاجراء على مقتضاها »

فقلت له « ان تلك لفتنة كبيرة لا يقوى ناظر الجهادية عثمان رفقي على هضمها » وبعد تناول طعام المأدبة حضر لي أحد الضباط واخبرني بأن كثيراً من الضباط ينتظرون في منزلي وفيهم عبد المال بك حلمي وعلي بك فهمي

فأسرعت وهم في هياج عظيم وقد بلغهم صدور أوامر ناظر الجهادية قبل ارسالها اليهم

فلما رأوني أخبروني بما سمعته من المرحوم اسماعيل باشا كامل

فقلت لهم « قد سمعت من غيركم فاذا تريدون » فقالوا « انه ليس ذلك فقط بل انه قد كثر اجتماع الشراكسة بمنزل خسرو باشا الفريق صغيراً وكبيراً وهم يتذاكرون في تاريخ دولة المماليك في كل ليلة بحضور رفقي باشا ويلمنون حزب بك ويقولون قد حان الوقت لرد بضاعتنا واتهم لا يغلبون من قلة وظنوا أنهم قادرون على استخلاص مصر وامتلاكها كما فعل أولئك المماليك » . وقد تحققوا ذلك ممن يوثق بخبره

فقلت لهم « وما ذا تريدون اذاً ؟ » فقالوا انما جئناك لاخذ رأيك فيما دهمنا

من الخطب العظيم »

فقلت لهم «أرى أن تطيبوا نفوسكم وتهدئوا روعكم وتعتمدوا على رؤسائكم وتفوضوا لهم النظر فى مصالحكم وهم ينتخبون لهم رئيساً منهم يثقون به كل الوثوق يطيعون أمره ويحفظونه بمضادتكم

فقالوا كلهم «وقد فوضنا اليك هذا الامر وليس فينا من هو أحق به وأقدر عليه منك » .فقلت لهم « لا . انظروا غيرى وأنا أسمع له وأطيع وأنصح له بجهدى» فقالوا «لانبغي غيرك ولانثق الا بك » فقلت « ارجعوا لانفسكم فان هذا أمر عصيب لايسع الحكومة الا قتل من يقوم بها ويدعو اليه».

فقالوا «نحن نفديك ونفدى الوطن بأرواحنا»

فقلت لهم «اقسموا لى بذلك» فأقسموا

وفي الحال كتبت عريضة الي دولة رئيس النظار رياض باشا مقتضاها الشكوى من تعصب عثمان رفقي لجنسه والاجحاف بحقوق الوطنيين والتمست فيها تشكيل مجلس نواب من نبهاء الامة المصرية تنفيذاً للامر الخديوى الصادر أبان توليته

ثانياً ابلاغ الجيش الى ثمانية عشر ألفا تطبيقا لمنطوق الفرمان السلطاني

ثالثاً تعديل القوانين العسكرية بحيث تكون كافلة للمساواة بين جميع أصناف الموظفين بصرف النظر عن الاجناس والاديان والمذاهب

رابعاً تعيين ناظر الجهادية من أبناء البلاد على حسب القوانين العسكرية الحق بأيدينا . ثم تلوت العريضة هذه على مسامع الجميع فوافقوا كلهم عليها فأمضيتها بامضائي وختمتها بختمي وختم عليها على بك فهمي أمير الالاى الحرس الخديوى وعبد العال أمير ألاى السودان

وبا تم ذلك صار ترتيب ما يلزم لحفظ الذات الخديوية وحفظ اعضاء العائلة الخديوية وحفظ الوزراء والامراء الوطنيين اذا حدث أى حادث من الاضباط الشراكسة العاصين في التغلب على البلاد مع ترتيب اللازم لحفظ البيوت المالية وبيوت التجار من الاجانب والوطنيين مع مطامع الرعاع وحفظنا أيضاً من بعض الحكومة أذا أرادت

الايقاع بنا أو رفض الاجتماع على ذلك

وما دعانا الى مجلس نواب للأمة ينظر في صوالحها ومصالحها الا ماحل بالمرحوم اسماعيل صديق باشا الجائز لرتبة المشيرية الحق من لوازمها حفظ صاحبها ولو باستعمال السلاح في عهد الخديوى الاسبق اسماعيل باشا بسبب كلمة حق قالها – وما حل بحضرة السيد حسن موسى العقاد بسبب كلمة عدل أراد بها مساواة الاهالي ، الذين دفعوا للحكومة سبعة عشر مليون ١٧،٠٠٠،٠٠٠ مليون من الجنيهات المصرية باسم المقابلة و٥،٠٠٠،٠٠٠ أخرى باسم السهام، بالاجانب أصحاب الديون وماحصل لكثير من القتل والخنق في السجون بغير حق ولاتحقيق بل بمجرد ظلم واجحاف واستعلاء على الناس بالقهر والجبروت بما تأباه النفوس الشريفة. وفي ضحوة الغد ذهبت الي ديوان الداخلية وقدمت العريضة الي دولة رئيس النظار فقال لنا « سأنظر في هذا الامر وأتكلم مع ناظر الجهادية » وبعد يومين ذهبت الي بيت الرئيس المذكور وهي الاميران المذكوران فقابلنا بين يديه وسألناه عما تم في هذا الامر فقال «ان هذا الطلب مولاك وهو أشد خطراً من العرض الذى قدمه أحمد افندى فهى الذى أرسل بدببه الي السودان » (وتحرير الخبر ان احمد افندى فهى هذا كان كاتبا بديوان المالية وكان طلب المساواة مع خدمة الديوان المذكور لظلم حاق به فكان جزاؤه ارساله الي مقبرة الابرياء من المصريين بالسودان) فأجبته بأننا لم نطلب الا حقا وعدلا وليس في طلب الحق من خطر على اننا نعتبرك ابا للمصريين فاعذ التعريض وما هذا التهديد ؟ «فقال انه «ليس في البلاد من هو أهل لمجلس النواب » فقلت له «عجبا انك مصرى وباقي النظار مصريون والخديو أيضا مصرى اتظن ان مصر ولدتكم ثم اعقمت لايلد فيها من العلماء والفضلاء والنبهاء والبلغاء . وعلى فرض انه ليس فيها من يليق كما ظننت أفلا يمكن انشاء مجلس يستمد معارفكم ويكون كمدرسة ابتدائية وبعد خمسة أعوام يتخرج منها رجال يخدمون الوطن بصائب فكرهم ويعضدون الحكومة في مشروعاتها الوطنية » فانبهر لذلك وقال

لنا « سننظر بدقة في طلباتكم هذه »
فانصرفت على ذلك

ولما كان يوم غرة ربيع الاول سنة ١٢٩٨ انعقد مجلس تحت رئاسة الخديوى بعابدين حضره جميع الباشوات المستخدمين والمتقاعدين وكلهم من الترك والشراكسة الا قليلا من الاوربيين وقرروا فيه لزوم توقيف الثلاثة أمراء الالايات الذين أمضوا على العريضة المتقدمة الذكر ثم اجراء محاكمتهم في مجلس مخصوص مختلط من رجال الجهادية

فقال رئيس النظار رياض باشا « اني أرى أنه اذا صار توقيف المأمورالايات المذكورين يلزم ايضاً توقيف ناظر الجهادية لانه في عدم توقيفه مثلهم خطراً عظيما وذلك لما رأيته فيهم من الجرامة وقلم يوافق المرحوم الخديوى على ذلك وتعهد ناظر الجهادية المذكور بأنه ضامن لاخذنا بسهولة

وفي الحال دعي المرحوم أحمد خيرى باشا الشركسي وكان مهر دار الحضرة الخديوى وصاحب الرأى النافذ فحضر وتلا بالمجلس المذكور امراً فحواه « أن هؤلاء الثلاثة أمراء الايات احمد عرابي وعلي فهمي وعبد العال حلمى مفسدون في الارض وانه يقتضى توقيفهم من الخدمة ومحاكمتهم على افسادهم ومجازاتهم بأشد أنواع الجزاء في مجلس عسكرى فوق العاده تحت رئاسة ناظر الجهادية ويكون من أعضائه أسطون باشا رئيس أركان الحرب (وهو أمريكي) وناظر المدارس الحربية ارفي باشا (وهو فرنساوى) فوقع الخديوى عليه وسلمه الى ناظر الجهادية عثمان رفقي باشا وأرفض المجلس بعد ذلك

وفي المساء أرسل ناظر الجهادية لكل منا تذكرة يدعونا فيها للحضور الى ديوان الجهادية بقصر النيل في غد يوم ٢ شوال سنة ١٢٩٨ لنشهد الاحتفال بزفاف شقيقة الحضرة الخديوية المرحومة جميله هانم وكان وقت زفافها لم يحن بعد فتيقنا أنه يريد خدعتنا والبطش بنا

فالتجأنا الي جانب الحق سبحانه وتعالي وأخذنا حذرنا ثم أعددنا ما يلزم لنجاتنا اذا اقتضت الحال ذلك

وحين حلول الوقت المعين ذهبنا الى ديوان الجهادية فوجدناه غاصا بجميع الشراكسة من رتبة الفريق الى رتبة

الملازم الثاني وجميع شبانهم بأيديهم الطبنجات ذوات ٦ طلقات مملوءة بالرصاص وكلهم في فرح ومرح ولا فرح هناك ولا زفاف

فما حضرنا دعينا الحضور أمام مجلس الهلاك فأجبنا طائعين وتلي الامر الخديوى الآنف ذكره ثم أمرنا بتسليم سيوفنا فأطعنا على هذا التسليم وما يعقبه من السجن وهو مخالف للفظ الحاكم بالتوقيف ثم عين بحضرتنا من يستلم أمرة الالايات وساقونا الي السجن في قلعة بقصر النيل

فرددنا بين صفين من الشراكسة المسلحين وبعد اقفال السجن جاء خسرو باشا وكان رجلا صلفا جاهلا فوقف خارج السجن وقال (ايه زنبيل لي هرفلر) بمعنى فلاحين شقاليين بالمقاطف ولما أقفل علينا باب الغرفة قال علي فهمي بك أحدنا « والله لانجاة لنا من الموت وأولادنا صغار » وجزع جزعا شديداً أردت تثبيته وقلت له متمثلا بقول الامام الشافعي رضي الله عنه :

وكم نازلة يضيق بها الفتى
ذرعا وعند الله منها المخرج

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها
فرجت وكان يظنها لا تفرج

فلا وأبيك ما كان الا هنيهة حتى جاءت أورطتان من ألاى الحرس الخديوى بقيادة الشهم الهمام محمد فتحى عبيد البيكباشي وأحدقوا بديوان الجهادية ثم أمر بعض الضباط الصف ضباط فتحوا الابواب وأخرجونا من السجن وقد فر ناظر الجهادية الشؤوم هاربا وكذا رجال المجلس وغيرهم من المجتمعين

ولما فرج الله علينا أسرعت الي العساكر وحذرتهم وأنذرتهم وقلت لهم « لاتمدوا أيديكم بسوء الى أحد من الجراكسة فأنهم مواطنينا واخواننا استأثروا بأنفسهم علينا ونريد الانصاف والمساواة معهم ليس الا » ثم نظرت فوجدت بجانبي المرحوم اسماعيل كامل باشا أنفت نفسه أن يفر مع الفارين فأخذت بيده وضممته الي صدرى أمام العساكر وقلت هذا جركسي كما تعلمون ولكنه أخي حرام علي دمه وماله وعرضه وكذلك غيره من الجراكسة » فانصرفوا بانتظام على بركة الله ثم سرنا جميعا الي قشلاق عابدين وكانت الأورطة الأولي من

الحرس الخديوى حكمدارية البيكباشي المرحوم احمد افندى فرج واقفة أمام سراى الخديوية لحفظها منها عسى أن يطرأ من الامور كما أمرت بذلك من قبل أمير الاى الحرس على فهمي بك

ولما تم وجود عساكر الالاى المذكور امر امير الالاى العساكر بحمل أسلحتهم بحركة (سلام دور) وعزفت الموسيقة بالسلام الخديوى ونادوا جميعا «يعيش الخديوى» ثلاثا وذلك كان اشارة واعلانا للقوم بأننا على اخلاصنا للحضرة الخديوية

ثم انهم تشاوروا فيما بينهم فقال اسعون باشا الامريكي هذا عصيان ظاهر والواجب حصر الفشلاق المذكور بالطوبجية وألايات البيادة ويطلب من هذا الالاى تسليم الثلاثة امراء فان أبوا تضرب عليهم المدافع وتمطر عليهم البنادق نارا حامية حتى يضطروا الي التسليم

فاستحسن الجميع ذلك الرأى الامريكي ولكن ابتدره المرحوم اسماعيل كامل باشا المذكور آنفا وقال « انا اعتقد اتفاق جميع اصناف العساكر على رأى واحد فلا يجدى هذا الرأى نفعا »

وفي أثناء مفاوضتهم حضر آلاى السودان من طرقوا نضم الى آلاى الحرس ثم عزفت الموسيقية بالسلام الخديوى وهتفوا جميعاً «افندى مزجوق يشا» وأنا العاجز الضعيف كتبت الي وكيل فرنسا السياسي في مصر الكونت « دوونج » من غير أن يكون لي به ولا بغيره من قناصل الدول الاوربية سابق معرفة ولا مقابلة ألتمس منه مخابرة باقي قناصل الدول بحاصل بيننا وبين حكومتنا من الخلاف وأطلب منهم التوسط في اصلاح ذات البين

ثم بتنا على ذلك وفي صباح الغد حضر لنا المرحوم احمد خيرى باشا مهر دار الخديوى ومعه محمود سامي باشا ناظر الاوقاف من قبل الخديوى وقالا لنا « ماذا تريدون » قلنا « العدل والمساواة » قالا « ثم ماذا ؟ » قلنا « استبدال ناظر الجهادية برجل وطني وتشكيل مجلس نواب للامة ينظر في مصالحها وصوالحها وتعديل قوانين العسكرية وابلاغ الجيش الي ثمانية عشر الفا ونحن على طاعتنا للحضرة الخديوية

فذهبا الي الخديوى ثم رجعا وقال « قد عزل عثمان رفقي فمن الذى تريدونه ناظراً الجهادية » قلنا « الذى يختاره الخديوى من الوطنيين » فذهب وعاد ثانية وقالا « ان الخديوى يقول لكم اختاروا انتم من ترضونه حتى لا يحصل منه مثل ما حصل من عثمان رفقي » فقلنا قد أخترنا هذا محمود سامي باشا وهو من أولاد المماليك الاول ولكنه صدق منا ولم يقصد الغدر بنا »

ثم صدرت الاوامر الخديوية باعادة كل منا الي آلايه وعزل عثمان رفقي وصار تولية محمود سامي على نظارة الجهادية مع نظارة الاوقاف وأخذ في سن القوانين العادلة وتعديل القوانين الاصلية وتنقيحها

ثم لما شاعت الاراجيف الكاذبة في أوربا بخروج العساكر المصرية عن الطاعة حضر من الحكومة العثمانية وفد برئاسة المشير علي نظامي باشا ويمينه أحمد راتب باشا والي الحجاز الآن لتحقيق امر العصيان فرده الخديوى قائلا ان عساكرى على طاعتي وان ليس ثم عصيان

وبعد ذلك اجتهدت الحكومة في غدرنا وأخذنا على غرة أو بحيلة من ضروب الحيل ولما لم يوافقها ناظر الجهادية محمود سامي باشا على نواياها صار عزله بتذكرة من رياض باشا رئيس النظار وتشدد عليه بأن لا يجتمع بنا ولا يقيم بالعاصمة وتعين بدله داود باشا يكن وهو عديل الخديوى ولكنه رجل جاهل أحمق مشؤوم فأسرع باصدار أوامر لا يستطاع قبولها فردت اليه وتغيرت القلوب منه

فكتبت له في ٩ سبتمبر سنة سنة ١٨٨١ بأننا سنحضر بجميع العساكر الموجودين في القاهرة الي ساحة عابدين لعرض طلباتنا على فخامة الحضرة الفخيمة الخديوية في الساعة الرابعة بعد الظهر من يوم الجمعة الموافق ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ وكلفته عرض ذلك على الحضرة الخديوية ثم كتبت الى جميع قناصل الدول بذلك واعلنتهم بحفظ جميع رعاياهم فلا خوف عليهم ولا على أموالهم

وفي الوقت المعين اجتمعت الآلايات البيادة والسوارى والطوبجية في رحبة عابدين وكان ما هو مسطر في

بطون التواريخ وهو اسقاط الوزارة وترتيب مجلس النواب وابلاغ الجيش الي القدر المحدد بالفرمان السلطاني

وقد حبانا المرحوم الخديوى باجابة تلك الطلبات العادلة

وقد تعرض لنا المستر كوكس قنصل انكلترا بالاسكندرية حين ذاك وهددنا فلم نعبأ بتهديده لاعتمادى على صدق عزيمتى وطهارة ذمتى

ثم صار استدعاء شريف باشا من الاسكندرية وتعيينه رئيساً للوزارة على حسب اختيارنا له وتعيين محمود سامي باشا ناظراً للجهادية ثانية وقد توقف شريف باشا في قبوله ٧ أيام ثم رضي بعد ذلك وصار توظيفي وكيلا للجهادية

وفي تلك النظارة صارت الامتحانات وترقي كثير من الباشوات وأمراء الالايات والقائمقامية وغيرهم من جميع الرتب واستكملت الالايات وانشئت القوانين العادلة وتعدلت الرواتب والماهيات بنسبة كل رتبة الى مادونها وصرف الحقوق الموقوفة من زمن مديد وانشيء مجلس النواب وجعل رئيسه أبو سلطان باشا وهم العدل واستقامت الامور وحين ذاك عرضت علي رتبة لواء (باشا) فرفضتها لئلا يقال اني انما أشتغل لمصلحتي فقط وبقيت في رتبة الميرلاى مدة وكالتي للجهادية

وأما رفيقاى عبد العال حلمي وعلي فهمي فقد تشرفا برتبة الباشوية الرفيعة

ثم ان مجلس النواب قرر في لائحته الاساسية أن يكون لهم الحق في نظر ميزانية الحكومة ومعرفة كيفية ايرادها ومصروفها بشرط عدم الخروج عن دائرة التعهدات الدولية وقانون التصفية فلم يجبهم المرحوم شريف باشا لذلك لانه سامحه الله أخذ رأى السير مالت وكيل انكلترا السياسي في مصر وقنصل فرنسا أيضاً فأشار عليه بعدم قبول لائحة المجلس فأصر مجلس النواب على الطلب في تنفيذ لائحتهم فلم يوافقهم وقدم استعفاءه واستعفت هيئة نظارته ثم تشكلت هيئة جديدة وتولي رياستها محمود سامي باشا وجعل من رجالها حسن باشا الشريعي رحمه الله تعالي والمرحوم سليمان باشا أباظه والمرحوم عبد الله باشا فكرى والمرحوم محمود باشا فهمي وسعادة مصطفي باشا فهمي رئيس الوزارة المصرية الآن

وجعلوني أيضاً ناظراً للجهادية لاجل اطمئنان خاطر العسكرية الذين لا يأمنون غيرى في ذلك الوقت فقبلت ذلك

ثم أحسن علي برتبة لواء باشا من لدن المرحوم الخديوى توفيق باشا وكنت لا أريد ولكن قالوا انه لا يليق أن يكون ناظر الجهادية برتبة أميرالاى وفي نظارته اللواءات والفرقاء

فقبلتها للضرورة وشكرت للحضرة الخديوية وقد انتظمت الامور وهدأت الاحوال وصارت العساكر في أمن من الغدر — ولكن ألحت أوروبا على الدولة العلية فأرسلت وفداً مندوبا من طرفها تحت رئاسة المشير المرخص درويش باشا بتحقيق مايقال من العصيان فجاء درويش باشا وبحث في الامر وكتب للحضرة السلطانية بأن العساكر على الطاعة وكذلك كتب المرحوم الخديوى بالحقيقة فأرسلت الحضرة السلطانية الى الحضرة الخديوية أربعمائة نيشان من أنواع مختلفة للاحسان بها على المستحقين من ضباط العساكر وأحسن علي بنيشان الدرجة الاولى المجيدى وحضر بوابور مخصوص يحمله سعادة سليم بك ياور الحضرة السلطانية فأبيت استلام النيشان المذكور الا من يد مولاى الخديوى

ثم كتبت تلغرافا الي المابين الهمايوني برفع تشكراتي الخيرية للحضرة المقدسة السلطانية وتشرفت تلغرافيا بقبول تشكراتي لدى جلالة السلطان الاعظم وحصول المحظوظية لدى جلالته . كذا قيل بالتلغراف

وفي شهر مايو سنة ١٨٨٢ جاءت الاساطيل الحربية الانجليزية والفرنساوية الي ثغر الاسكندرية وتقدمت للحكومة المصرية لائحة مشتركة من دولتي فرنسا وانكلترا مجحفة باستقلال الحكومة المصرية وحقوق الدولة العلية وتقدمت منها نسخة للخديوى فرفضها مجلس النظار وقبلها الخديوى فاستعفت الوزارة من وظائفها

وهاجت الافكار العمومية وطاشت العقول الزكية وجميع مجلس النواب وقناصل الدول حولى كعرف الضبع يطلبون مني حفظ الامن والراحة العمومية فقلت لهم لا قدرة لي على ذلك لاني قد استعفيت

فذهب وفد من مجلس النواب وطلب من الخديوى اعادتي الى نظارة الجهادية حفظا للنظام والراحة فصدر الامر الخديوى باعادتى الي النظارة المذكورة ثم دعيت الى الحضرة الفخيمة الخديوية فوجدت عنده جميع قناصل الدول ماعدا وكيل انكلترا السياسي وبحضرته درويش باشا المندوب السلطاني فأخذ علي تعهد آيحفظ رعايا الدول الاجنبية وصار اعلان جميع مصالح الحكومة بذلك

وفي ١١ يونيه سنة ١٨٨٢ حدثت حادثة اسكندرية المشؤومة بتدبير ذوى النايات لاجل تشويه أعمالي في نظر اوروبا وخدش تمهدى بالحفظ والامن العمومى فأسرعت بإرسال العسكر الى الاسكندرية حتى ماتت شوارعها بالعساكر وانتهت الفتنة التي ابتدأ بها أحد الطاليه من التبعة الانجليزية مع أحد حارة الاسكندرية بإيعاز وتعليم

ثم صار الشروع في تحقيقها في مجلس مختلط تحت رئاسة ذى الفقار باشا محافظ المنزه ومن الغريب العجيب انه لم يبحث أصلا في الدماء التي سفكت بل كان البحث قاصراً على معرفة مقدار البضائع التي انتهبها الرعاع ليس الا

وبعد ذلك تشكلت الوزارة بمعرفة الخديوى تحت رئاسة المرحوم الطيب الذكر راغب باشا وكنت من رجالها أيضاً ثم انتقل الخديوى ودرويش باشا الي الاسكندرية

وفي يوم ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ وردت اقادة الي قومندان عساكر الاسكندرية من طرف أميرال الاسطول الانجليزى يقول فيها انه جارى تهديد العمارة الانجليزية بترميم القلاع والاستحكامات وانه يطلب تخريب القلاع وهدمها بأيدى العساكر المصرية والا ضرب الاسكندرية وخرب المدينة ودمرها

فعقد لذلك مجلس تحت رئاسة الخديوى حضره درويش باشا المندوب العثماني وقدرى بك من رجال الوفد المذكور وجميع النظار وكبار الدولة المتقاعدين وبعد المذاكرة أجمعوا على رفض هذا الطلب والاستعداد للحرب ولكن لا يبدأ بها الا بعد اطلاق ثلاث قنابل من الاسطول الانكليزى حتى لا تكون نحن البادئين بالحرب فأعطيت

لاوامر بذلك

وعند اشراق يوم ١٢ يوليو بدأت مراكب الانجليز بالضرب على مدينة الاسكندرية وجميع سواحلها وانتشب القتال بين مصر والحكومة الانجليزية

وأما الاسطول الفرنساوى فاعتزل جانباً كالمتفرج

وضربت الطوابي حتى تهدمت استحكاماتها

وفي أثناء الحرب خرج سكان المدينة مهاجرين منها خوفاً وهلعاً وفي اليوم الثامن انهزمت العساكر فرجعت الي كفر الدوار واتخذت خطا دفاعياً وتراجع المنهزمون الى

وفي ١٤ يوليو أرسلت القطار الخديوى لاستحضار الخديوى ومعيته ومن معه من النظار ولما وصلت القطارات الي سراى الرمل لركوب الحضرة الخديوية ووجوهه الى عاصمة بلاده أبي ان يعود وأسرع في الذهاب الي رأس التين بعائلته ومن بمعيته وانحاز الي السفن الانجليزية

واستدام الحرب الي أن قدر الله تعالي شأنه الخذلان العظيم في النيل الكبير كما هو معلوم للجميع وتم الامر بنفينا الي جزيرة سيلان وخرجنا من مصر في يوم ١٦ صفر الخير سنة ١٣٠٠ على قطار مخصوص الي السويس وفي سبعة عشر منه بارحنا الثغر المذكور على مركب انكليزى اسمه «بريوطة» وفي أول شهر ربيع الاول خرجنا من السفينة الي ثغر «كولومب» ومكثنا بها تسع عشرة سنة الي أن تشرفت جزيرة سيلان بزيارة كريم الشيم عظيم الرأفة والحنو الدوق (كرنوال ديورك) ولي عهد الحكومة الانكليزية وتشرفت بزيارة سموه في مدينة كندى وتفضل علي بالسؤال عن حالى وما أقاسيه من تيار ريح الغربة وذل النفي فقلت لسموه الامبراطورى اني اعتبر تشريف سموه الى هذه الجزيرة وتشريفي باقبال سموه سببا عظيما لانالتى نعمة الحرية والعود الي وطني العزيز من لدن مولاى الخديوى عباس باشا الثاني

فقال لى وهل تعرفنى فقلت نعم وقبلت يد سموه منذ كان في سن ١٠ أعوام فوعدني خيراً فشكرت ودعوت ثم أحسن على بسجارة ملوكية قبلتها أدبا لحفظها تذكاراً لطف سموه ولم أحرقها بنار

وفي ٦ صفر الخير سنة ١٣١٩ صدرت الارادة الخديوية بالرخصة في

بالعود الي مصر والاقامة فيها

أني لارجو من مكارم سمو مولاى الخديو عباس باشا تمام رضاه وقد عرضت لسموه العالي تشكراتي ودعواتي الخيرية الصادرة من صميم الفؤاد واخلاص النية

وقد تحصل حفظه الله سبحانه وتعالي بحملي وعائلتي الي مصر علي مصاريف حكومته الخديوية

فأرجو من الله أن يوفقني لما يحبه ويرضاه

هذا واني أبرأ الي الله من حولي وقوتي في كل ما ذكرته أوفعلته

واني يكون المخلوق العاجز الضعيف مثلي من قوة تدافع بها ارادة أوربا وقوة انكلترة العظمي فضلا عن بعاش حكومة مصر القادرة وموافقة جلالة السلطان الاعظم علي الاعلان بعصياني في جورنال الجوائب وانحياز حاكم البلاد الى المحارب لنا وانما كان ما كان بقضاء الله وقدره ولا راد لقضاء الله وقدره وليس فيه الا مجرد الكسب الاختياري الذى اثاب او اعاقب عليه ولم يخطر ببالي اصلا الاقتداء بالفاتحين والمتغلبين كما ذكرتم ولا بتأليف دولة عربية كما أرجف المرجفون

لاني أرى ذلك ضياعا للاسلام من بكرة ابيه وخروجا عن طاعة الله ورسوله صلي الله عليه وعلي آله والبرهان علي ذلك ارتفاع صوتي بالمحافظة علي حياة المرحوم الخديوى السابق كمحافظتي علي نفسي بكرة وعشيا مع احترام أعضاء عائلته الكريمة يشهد لي بذلك ماهو واضح بدفتر الاخبار اليومية المحفوظ بالديوان الخديوى وارادته الخديوية الصادرة الى مجلس التحقيق بعد اخذلان العظيم بالنل الكبير وسجننا مع جميع رجال العسكرية وأعيان البلاد وحكامها وعلمائها وقضاتها وتجارها مما هو معلوم لدى الجميع وغني عن البيان

والله الذى لا اله الاهو خالق الحب وبارىء النسمة الى ما خدمت بذلك دولة انكلترا ولا فرنسا ولا كنت آلة لدولة ما ولا الخديوى الاسبق المرحوم اسماعيل باشا ولا المرحوم حليم باشا ولا أوصي الي بمساعدة الدولة العلية من عرش عظمتها

وانما كنت أجتهد في حفظ

استقلال بلادى مع نيل الحرية والعدل والمساواة لأهل بلادى المساكين وأنا خادم لهم ونواديت سراً واعلانا بتأييدها وتأييد الذات الخديوية

ولكن المقادير الالهية غالبة فانعكست المرئيات وتوالت المصوبات لنفاذ ما هو كائن في علمه أزلا سبحانه وتعالي

والي والله لا أكره شركسياً ولا رومياً لذاته وانما أكره الاعمال المنابرة للعدالة والانسانية والآداب الشريفة

وأحب العدل والمساواة بين بني الانسان

والحمد لله أولا وآخراً والشكر لله والحضرة الفخيمة الخديوية التي منحتني نعمة العود الي وطني العزيز لاحظي برؤية ذاته الكريمة ورؤية أبناء وطني الكرام قبل أن أفارق هذه الحياة الدنيا والحساب علي الله

أحمد عرابي الحسيني المصرى

هذا ماكتبه أحمد عرابي عن نفسه ولا نتعرض له بمناقشة لان المجال لا يسمح بذلك وكنا نا أن نقول ان هذا البيان يقلم ذلك الزعيم نفسه بسلال لمن يريد أن يعرف أدوار تلك الحركة

عقب انكسار عرابي في النل الكبير انفتح الطريق للجيش الانجليزى فاستمر في تقدمه حتى دخل القاهرة في سبتمبر سنة (١٨٨٢) م فقضي بذلك علي الحركة العرابية وعادت الاحوال الي ماكانت عليه واحتلت انجلترة مصر احتلالا عسكريا

في سنة (١٨٩٢) توفي محمد توفيق باشا خلفه ابنه الاكبر عباس حلمي باشا ففتح السودان في أيامه وتقوضت دولة الدراويش وأتفقت دولة انكلترة مع مصر علي أن يكون السودان المصرى شركة بينهما

وفي شهر أغسطس سنة (١٩١٤) هبت الحرب الاوربية العامة التي اشتركت فيها روسيا وانجلترا وفرنسا واليابان وبلجيكا وسربيا والجبل الاسود ضد ألمانيا والنمسا فأخذ لهيبها ويشتد ويلتهم مايجاورها من الامم فانضمت بلغاريا وتركيا الي ألمانيا والنمسا وكان عباس الثاني في مصيفه بالآستانة فلما انقطعت العلاقات بين انجلترا وتركيا رأت الاولي أن تعلن حمايتها علي مصر وأن تعزل

شديوها وتجعل مصر سلطنة مستقلة تحت حمايتها فأسندت السلطنة الى الامير حسين كامل باشا ولقبته بلقب سلطان فلم يقبل المصريون الحماية ونهضوا تحت قيادة الزعيم الكبير سعد باشا زغلول يطالبون بالاستقلال التام وتبتوا على ما لقوه في سبيل حريتهم من الخطوب الجسام فرأت انجلترة أن تعترف لمصر بحقها في ذلك فأصدرت تصريحاً رسمياً به في ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٣ ولقب جلالة الملك فؤاد الاول القائم بالأمر الآن بلقب ملك وبقيت بيننا وبين انجلترة مسائل معلقة ينتظر أن تحل في مصلحة مصر والله المستعان

(احصاءات عن الشئون المصرية)

ننقل هذه المقتطفات الاحصائية عن الاحصاء السنوي العام الذي تصدره الحكومة

طول الخطوط الحديدية بلغ سنة (١٩١٥) ٤٦٦٣ كيلو متراً منها ٩٩٥ كيلو متراً تابعة لشركة سكك حديد الدلتا و ١٦٦ كيلو متراً سكك حديد الفيوم الضيقة و ١٠٩ سكك حديد الوجه البحري الضيقة

وبلغ عدد الوابورات ٨٠٦ منها ١٦٠ تابعة لشركة الدلتا و ١٣ لسكك الوجه البحرى الضيقة و ١٩ لسكك حديد الفيوم الضيقة

وبلغ عدد عربات الركاب ١٤٨٣ منها ٢٦٦ لشركة الدلتا و ٥٤ لسكك الوجه البحرى الضيقة و ٤٧ لسكك حديد الفيوم الضيقة

وبلغ عدد عربات البضاعة ١٥٩٨٠ منها لشركة الدلتا ١٥٧٢ ولسكك حديد الوجه البحرى الضيقة ٣٠٦ ولسكك حديد الفيوم الضيقة ٢١٣

وبلغ عدد الركاب ٣٣ مليون و ٢٢٦ الف منهم ٥ مليون و ٣٤ الف على سكك حديد شركة الدلتا و ٧٣١ الف على سكك الوجه البحرى الضيقة و ٦٥٧ الف على سكك حديد الفيوم الضيقة

وبلغ ثقل البضائع المنقولة ٤ مليون و ٨٥٧ الف طن منها ٥٥٢ الف طن على سكك شركة الدلتا و ٦٢ الف على سكك حديد الوجه البحرى الضيقة و ٩٥ الف على سكك حديد الفيوم الضيقة

وبلغت ايرادات السكك الحديد في تلك السنة ٢ مليون و ٤١٤ الف جنيه منها ٨٠ الف لشركة الدلتا و ١١ الف لسكك حديد الوجه البحرى الضيقة

و ١٢ لسكك حديد الفيوم الضيقة

وبلغت الايرادات من جميع الخطوط المصرية ٣ مليون و ٩٦٦ الف جنيه في سنة ١٩١٥ ـ ١٩١٦ يقابلها ٤ مليون و ٢٣١ ألف جنيه سنة ١٩١٣ أى قبل الحرب

أما الترموای فقد زاد عدد ركابه في سنة (١٩١٥) أربعة ملايين عما كان عليه في سنة (١٩١٤) وقرب ان يوازى عدد الركاب سنة (١٩١٣)

وبلغت تجارة مصر الخارجية (مجموع الصادرات والواردات) في سنة (١٩١٥) ٤٦ مليون و ٤٠٠ الف جنيه يقابلها ٥٩ مليون و ٥٠٠ الف في سنة (١٩١٣) أى قبل الحرب

وبلغت واردات النقود ٢٠ مليون جنيه يقابلها ٣٧ مليون و ٧٠٠ الف جنيه في سنة (١٩١٣) أى قبل الحرب

وبلغت الصادرات من النقود ٢٧ مليون و ١٨٠ الف جنيه يقابلها في سنة (١٩١٣) قبل الحرب ٤٢ مليون و ٨٠٠ ألف جنيه

بلغ مجموع ما أودع في صناديق التوفير ٥٤٩ الف جنيه يقابلها ٧٥٠ ألف جنيه سنة (١٩١٤)

وورد في ذلك الاحصاء عن الامة المصرية ما يأتي :

« الامة المصرية على الارجح هي جزء من الاصل الحامي الذى تولد منه أيضاً البربر والعرب والانيوبيون لكن هذه السلالة التي من جنس واحد تغيرت في مصر محلياً في جهة الشمال بدخول الاجانب وعلى الخصوص من سورية وفي الجنوب بامتزاج ضعيف مع الجنس الاسود والعرب . وقد حافظ المصريون بصفة عجيبة في مدة الستين قرنا الاخيرة على الصفات الظاهرة الآن على الفلاحين وهذا الثبات كما تقدم القول منسوب لانعزال القطر وعدم تغير جوار أهله الطبيعي

« والنوبيون هم سلالة جنس نشأ عن اختلاط النوع المصرى مع النوع الاسود

« ويوجد عنصر آخر مهم له علاقة بالوطنيين وهو يشمل القبائل الرحالة أو البدو الذين ينقسمون الى فريقين أصليين وهما القبائل التي تتكلم العربية وتسكن صحارى مصر السفلى والمتوسطة ، وقبائل

البيجا وهم القاطنون في الصحراء بين النوبيا وساحل البحر الاحمر

« ان أهم موارد ثروة القطر المصرى هى الزراعة التى يشتغل بها ثلاثة أرباع السكان وتربته ليست كتربة معظم الاقاليم ناتجة من تحلل الطبقة الصخرية بل مكونة من طمي مجلوب بواسطة النيل من تلال الحبشة وتركت فى اماكن هادئة وتربتها مؤلفة من طين صفيق رمادى اللون يختلف في طبيعته بين الطين والرمل الناعم وهى موافقة جداً للزراعة وخصبة لدرجة عظيمة وينسب لهذه الحالة مع اعتدال جوها أو انتظام الفيضان فيها ظهور التمدن بوادى النيل في أوائل التاريخ

« وأهم الحاصلات هي القطن والذرة والقمح والارز والفول والشعير والبصل والطماطم والسمسم والفصب والبرسيم والبطيخ . وبجوار البلاد الكبيرة تزرع الخضروات كما انه جار تصدير كميات عظيمة من البصل والطماطم وبها أيضاً أشجار كثيرة من الفواكه المشتملة على البلح والبرتقال والموز والتين والعنب والتوت ولكنه لا يوجد في القطر الا قليل من أشجار الخشب وعلى ذلك يكون أغلب الاخشاب مجلوباً من الخارج

« والحيوانات الاهلية من جملتها الجمال والخيل والحمير والبقر والجاموس والمعز والغنم ولكن المواشي ليست كافية لتوريد ما يلزم من اللحوم للتغذية ولم تزل آخذة في النقص ولذا تجلب حيوانات الذبح من الخارج بما قيمته مليون جنيه مصرى

« أما الحيوانات الوحشية فقليلة وليست لها أهمية تذكر ومن طيورها المألوفة الغراب والعصفور والصقر والحدأة والسماني والكاشون والبط وطيور مائية أخرى

« أما السمك فكثير في النيل وفي البحيرات المنتشرة على ساحل البحر المتوسط

« أما الحشرات الموجودة بها فهي الذباب والنمل والجراد والناموس والبراغيث وقد اتخذت احتياطات فعالة لازالة الحمى الملارية بواسطة ابادة الناموس في الاسماعيلية وبور سعيد وحلوان وبعض جهات صغيرة

ولا يوجد في جهات السواحل

الوافدة جنوب وادى النيل معادن تصلح للصناعات خلاف الادوات الخاصة بالبناء التى لم توجد بكمية وافرة

« أما ثروة القطر المعدنية فموجودة في الجهات الصحراوية اذ انه جار فيها الآن حفر بعض المناجم خلاف مناجم أخرى كثيرة معلوم بوجودها في أماكن مختلفة كما سيجيء الكلام عن ذلك واذا روعي عظم اتساع تلك الصحارى لتلمست كثيراً بجانبه تلك المناجم المعلوم بوجودها الآن. ومع ذلك فلا يخفى بأن مساحة عظيمة من تلك الصحارى لم تجس الآن وقد يحتمل كثيراً أن يكون بها مناجم أخرى

« أما مواقع المناجم التى اكتشفت للآن فيبعد كثيراً بعضها عن كما وانها بعيدة أيضاً عن النيل وهذا هو السبب في تأخر اتساع صناعة حفر المناجم التى تقدمت في السنوات الاخيرة تقدماً عظيما

« ولما كان المصريين مكرسين أنفسهم للاشتغال بالزراعة فلم يقدم منهم على الاشتغال في المناجم الموجودة الا نفر قليل وان أصحاب هذه المناجم والقائمين بادارة أشغالها هم من الاجانب فقط

« وأهم المعادن الخام الجارى استخراجها لاستخدامها في الصنائع هى أحجار البناء والخزف والجبس والذهب والرصاص والنيكل والزنك والمنغنيس والملح والنطرون ونترات الصودا وزيت البترول والفوسفات وحجر الزيتون والفيروز

« أما محاصيل المحاجر والجبس ونترات الصودا والفيروز فجار البحث لايجاد طريقة لعمل احصائية عنها لأنه لم يعمل للآن عن تلك المحاصيل شيء يعتمد عليه

« ولا يخفى بأنه يوجد أيضاً بالقطر خلاف ما ذكر مناجم القشبة والنحاس والزمرذ وحجر الجرانيت والحديد والنيكل والكبريت ولكن لم يستخرج منها شيء حتى الآن »

ثم جاء في الاحصاء بعد ذلك احصاء عن قيمة محاصيل المناجم المصرية فجاء منه أن ايراد مناجم الذهب بلغ ٢٤٤٩١ جنيه في سنة ١٩١٥ والرصاص بلغت قيمته ١٨٧٢ واستخرج من النيكل ٢٣٣ طونيلاطه واستخرج من الزنك

ماقيمته ١١١٦ جنيه ومن تمرات الصودا ماثمنه ٤٢٧١ جنيه ومن الفوسفات ماقيمته ٨٢٩٩٨ جنيها ومن زيت البترول ماثمنه ٣٠٠٥٤ جنيها

الحرارة الجوية نهايتها الكبرى في شهر يناير ١٨ر١ بالاسكندرية و٢٠ر٤ بأسيوط و٢٣ر٧ باسوان و١٩ بالجيزة

وفي فبراير ١٩ر٣ . و٢٢ر٩ و ٢٦ر٢ و ٢١ في الاولي والثانية والثالثة والرابعة من الجهات المذكورة

وفي مارس	٢٠ر٩	و ٢٦ر٧	و ٣٠ر٣	و ٢٤ر٤
وفي ابريل	٢٣ر٦	و ٣١ر٩	و ٣٥ر٧	و ٢٧ر٩
وفي مايو	٢٦ر١	و ٣٥ر٨	و ٣٩ر٤	و ٣١ر٩
وفي يونيه	٢٨	و ٣٧ر٤	و ٤١ر٩	و ٣٤ر٢
وفي يوليه	٣٠ر٢	و ٣٧ر٢	و ٤١ر٧	و ٣٥ر١
وفي أغسطس	٣٠ر٤	و ٣٦ر٧	و ٤١ر١	و ٣٤ر٤
وفي سبتمبر	٢٩ر٤	و ٣٣ر٦	و ٣٩ر٥	و ٣١ر٦
وفي اكتوبر	٢٧ر٥	و ٣٠ر٦	و ٣٧	و ٢٩ر٤
وفي نوفمبر	٢٣ر٩	و ٢٦ر٣	و ٣٠ر٦	و ٢٥
وفي ديسمبر	٢٠	و ٢١ر٨	و ٢٥ر٣	و ٢٠ر٥

هذه درجة الحرارة التي يصل اليها الجو في النهاية الكبرى في الاسكندرية وأسيوط واسوان والجيزة . وأما نهايتها الصغرى في الجهات المذكورة فهي :

في يناير	١٠ر٣	و ٤ر٥	و ٩ر٤	و ٦ر٥
وفي فبراير	١١ر١	و ٥ر٦	و ١١	و ٦ر٤
وفي مارس	١٢ر٥	و ٩ر٣	و ١٣ر٧	و ٨ر١
وفي ابريل	١٤ر٧	و ١٤ر١	و ١٨	و ١١ر٥
وفي مايو	١٧ر٥	و ١٨ر٤	و ٢٢ر٣	و ١٤ر٦
وفي يونيه	٢٠ر٤	و ٢١ر٣	و ٢٤ر٨	و ١٧ر٦

وفي يوليه	٢٢ر٧	و ٢٢ر٤	و ٢٥ر٣	و ١٩ر٤
وفي أغسطس	٢٣ر٣	و ٢٣	و ٢٥ر٤	و ٢٠
وفي سبتمبر	٢٢ر١	و ٢٠ر٩	و ٢٣ر٢	و ١٧ر٨
وفي اكتوبر	٢٠ر٣	و ١٧ر٧	و ٢٠ر٦	و ١٥ر٧
وفي نوفمبر	١٦ر٥	و ١١ر٦	و ١٥ر٢	و ١١ر٧
وفي ديسمبر	١٢ر٤	و ٧ر١	و ١١ر١	و ٧ر٨

أما متوسط درجة الحرارة في هذه الجهات الاربع في الشهور المذكورة فهي :

في يناير	١٣ر٥	و ١١ر٦	و ١٤ر٨	و ١٠ر٩
وفي فبراير	١٤ر٣	و ١٣ر٢	و ١٦ر٨	و ١٢ر٣
وفي مارس	١٥ر٦	و ١٦ر٨	و ٢٠ر٣	و ١٤ر٩
وفي ابريل	١٧ر٨	و ٢١ر٩	و ٢٠ر٣	و ١٤ر٩
وفي مايو	٢٠ر٨	و ٢٦ر٢	و ٣٩ر٣	و ٢٢ر٨
وفي يونيه	٢٣ر٣	و ٢٨ر٨	و ٣١ر٩	و ٢٥ر٤
وفي يوليه	٢٥ر٤	و ٢٩ر٣	و ٣٢ر٤	و ٢٦ر٠
وفي اغسطس	٢٦	و ٢٩ر١	و ٣٢ر٢	و ٢٦ر٣
وفي سبتمبر	٢٤ر٩	و ٢٦ر٤	و ٣٠ر٣	و ٢٤ر١
وفي اكتوبر	٢٣	و ٢٣ر٤	و ٢٧ر٥	و ٢١ر٦
وفي نوفمبر	١٩ر٣	و ١٧ر٩	و ٢١ر٤	و ١٧ر١
وفي ديسمبر	١٥ر٥	و ١٣ر٦	و ١٦ر٥	و ١٢ر٧

أما أعلي درجة من النهاية الكبرى في الجهات المذكورة فهي :

في يناير	٢٧ر٢	و ٣٠ر٥	و ٣٧ر٢	و ٢٩ر٨
وفي فبراير	٣٣	و ٣٤	و ٣٧ر٥	و ٤٠ر٧
وفي مارس	٣٩ر٤	و ٤٢ر٥	و ٤٣ر٢	و ٣٥ر٩
وفي ابريل	٣٩	و ٤٩	و ٤٦ر٦	و ٤١ر٥

وفي مايو	٤٢	و ٤٦	و٤٧ر٢	و٤٢ر٦
وفي يونيه	٤٤ر٩	و ٤٩	و٥٠ر٠	و٤٥ر٨
وفي يوليه	٣٧	و ٤٥	و٤٧ر٢	و٤١ر٦
وفي اغسطس	٣٥	و٤٢ر٥	و٤٨ر٣	و٣٩ر٢
وفي سبتمبر	٤٠	و٤١ر٥	و٤٨ر٣	و٤٠ر٤
وفي اكتوبر	٣٩ر٩	و٣٩ر٥	و٤٨ر٩	و٤١ر٥
وفي نوفمبر	٣٥	و ٣٤	و٤١ر٥	و ٣٧
وفي ديسمبر	٢٩ر٥	و١٣ر٦	و٣٥ر٢	و٢٧ر٦

أما أقل دوجة من النهاية الصغرى في الجهات المذكورة فهي :

في يناير	٤	و٠ر٠	و ٣ر	و٢ر٥
وفي فبراير	٣	و٠ر٠	و٣ر٥	و٠ر٥
وفي مارس	٥ر٥	و٢ر٠	و٣ر٩	و١ر٠
وفي ابريل	٧ر٩	و٧ر٠	و ١٠	و ٤
وفي مايو	١٢	و١٠ر٥	و١٤ر٤	و٨ر٣
وفي يونيه	١٣ر٦	و ١٥	و١٩ر٠	و١٢ر٢
وفي يوليه	١٧ر٥	و١٥ر٥	و٢٠ر٦	و ١٥
وفي اغسطس	١٨	و ١٩	و١٧ر٨	و١٦ر١
وفي سبتمبر	١٥ر٧	و١٦ر٥	و١٣ر٣	و١٢ر٥
وفي اكتوبر	١٢ر٢	و١٠ر٥	و١١ر١	و١٠ر٢
وفي نوفمبر	٨	و٤ر٥	و ٣	و٤ر٥
وفي ديسمبر	٦	و٠ر٠	و٢ر٥	و٠ر٤

(التعليم في مصر) جاء في كتاب الاحصاء الرسمي تحت عنوان (نبذة تاريخية) وجيزة عن سير التعليم الرسمي القائمة به الحكومة في القطر المصري مايأتي :

« أدخل المرحوم محمد علي باشا مؤسس الاسرة الحاكمة التعليم الحديث بالقطر المصري نظراً لاحتياجاته الحربية

« وضع التعليم على الطريقة الشرقية في القطر المصري منذ سنة (٦٤١) م على الاقل وكان عبارة عن التعليم المشتمل خصوصاً على العلوم الدينية والآداب وأول جامع شيده عمرو بن العاص في مصر القديمة لم يلبث طويلا حتى صار معهداً دينياً مهما . وكان من دأب الامراء المسلمين الذين يلون أمر مصر توطيداً لسلطتهم وتخليداً لذكراهم أن يشيد كل منهم جامعاً من أهم مميزاته وجود مدرسة فيه

« ونحو سنة (٩١٠) م أسس القائد الفاطمي جوهر الجامع الازهر الشريف في القاهرة فحاز أهمية كادت تفوق على أهمية مدينة بغداد التي كانت وقتئذ أهم مركز في العالم للتعليم الاسلامي ولهذه الاهمية كان محطا لرحال عظماء فقهاء الدين وجهابذة علماء اللغة العربية من جميع العالم الاسلامي وقد بلغ عدد طلبته في القرنين الثالث والرابع عشر عشرين الفا

« وفي نحو القرن الخامس عشر انحط شأن هذا المعهد العظيم لما توالى على البلاد الاسلامية من الوهن أما الآن فقد أدخل فيه بعض الاصلاحات الحديثة من جهتي النظام وطريقة التعليم

« وبخلاف هذه المعاهد العلمية الكبرى التي لم يزل باقياً منها خمسة للآن توجد مدارس أخرى معروفة بالمكاتب منها ماهو تابع للجوامع ومنها ما هو تابع للأسبلة والأضرحة وفي هذه المكاتب كانت تعلم التلاميذ الكتابة وحفظ القرآن . أما اليوم فقد نظمت على حسب الطرق الحديثة بواسطة الاعانات الجارى منحها لها بأن اتسع نطاق التعليم وعين لها مدرسون أكفاء بنسبة حالتها

« أما طريقة التعليم الاوربية الحديثة المتبعة الآن كثيراً في القطر المصري فلم تكن مستنبطة من طرق التعليم الشرقي بل هي طريقة مستجلبة اذ أنه لما أسندت ولاية مصر الى المرحوم محمد علي باشا سنة ١٨٠٥ وبعد (تخلصه) من المماليك العصاة سنة (١٨١١) عزم على تمكين دعائم سلطانه بانشاء جيش برى وبحرى منتظمين على الطرق الاوربية ولايجاد المستخدمين اللازمين لهذه المصالح الجديدة وادارة دقها كان محتاجا

والحالة هذه الي رجال غير الذين نشأوا في المعاهد الدينية فشرع في سنة (١٨١٦) أن يرسل الي ليفون وميلان وفلورنسا وروما وفيا بعد الى انجلترة وفرنسا ابناء المماليك والاتراك ثم اتبعهم بأبناء المصريين لدرس الفنون الحربية والعلوم الهندسية (ملكية وعسكرية) والعمارات البحرية والملاحة والنظام الاداري والطب وخلافه وبعد ذلك ببضع سنين أنشأ في بحر عشر من السنين تقريبا (١٨٢٤ — ١٨٣٤) عشر مدارس ابتدائية ومدرسة لطب ومدرسة للبيادة ومدرسة السوارى ومدرسة الطوبجية ومدرسة بحرية ومدرسة لطب البيطرى ومدرسة للمهندسين وخلافه

« وفي سنة (١٨٣٦) أنشأ الوالى مجلسا للمعارف وحول ادارة التعليم من نظارة الحربية الي (نظارة معارف عمومية) وفي خلال السنة التالية أوصل مجلس المعارف عدد المدارس الابتدائية الي خمسين ثم أنشأ مدرسة ثانوية ومدرسة الزراعة ومدرسة للادارة والمحاسبة ومدرسة الترجمة و مدرسة للفنون والصنائع وجميعها نظم علي قدر الامكان علي الطرق الفرنسية ولكن درجة نشر التعليم لم تكن مناسبة لدرجة تقدم البلاد نفسها ولما قضى علي عدة مدارس أن توصد أبوابها بعد سنة واحدة الا عدداً قليلا جداً من بينها بقي حتى سنة (١٨٤١) ومع أن التلاميذ كانوا يسكنون ويأكلون ويلبسون علي نفقة الحكومة وتعطي لهم أيضاً اعانة اذا كانوا ليدخلوا المدارس الا مرغمين كما قال يعقوب ارتين باشا في كتابه المسمي « التعليم العام في القطر المصرى »

« وقد تعدت كراهة الفلاح المصرى لخدمة العسكرية الي الدخول في المدارس رغما عن الفوائد التي كانت تعود عليه من قيام الحكومة بالانفاق علي ولده لتربيته وتعليمه . وقد كان الاهالي يأبون بالاجماع الانتفاع بهذه الفوائد حتى اضطرت الحكومة الى ايجاد نظام اجبارى للدخول في المدارس وبذلك غصت جميع المدارس تقريباً بالتلاميذ الذين أخذوا قهراً من آبائهم ووزعوا عليها علي حسب أعمارهم وبنيتهم وهيئتهم وكانت الحكومة حرة في رفت التلاميذ أو نقلهم من مدرسة لاخرى أو ابقائهم

فيها تبعا لذكائهم وأميالهم

« وقد أوجب تنقيص الجيش عند انتهاء وقائع المرحوم محمد علي باشا الحربية والغاء احتكارات الحكومة وقلل معاملها زيادة من عدد الشبان الحائزين علي شهادات عالية اكثر بكثير من الوظائف الخالية لهم حتى كان عدد كبير من الموظفين الذين ربتهم الحكومة عالة عليها لعدم استطاعتها الانتفاع بهم ولهذه الاسباب التي عباس باشا الاول حال جلوسه علي العرش سنة (١٨٤٩) جميع المدارس ماعدا المدرسة الحربية

ولما جلس اسماعيل باشا علي الاريكة الخديوية سنة (١٨٦٣) أعاد انشاء المدارس علي قاعدة أوسع من ذى قبل الا أنه التزم فيما بعد علي تخفيض عددها نظراً لكون المصاريف التي كانت تنفق عليها لم تأت بنتيجة في وقت قريب وعلي أثر الارتباكات المالية اضطرت الحكومة الي الاقتصاد في هذا الصدد حتى انه في وقت عزل اسماعيل باشا كانت مصاريف التعليم خفضت الى مبلغ ٢٠٠٠٠ جنيه مصرى سنويا

« وفي مدة المراقبة الانجليزية الفرنسية زيد المبلغ المخصص للتعليم الي ٧٠٠٠٠ جنيه مصرى وفي سنوات الاحتلال الانجليزى اضطرت الحكومة الي عمل توفيرات عظيمة لاصلاح حالة البلد المالية ولما تحسنت الحالة المالية بعد ذلك رأت الحكومة أن توجه أولا نظرها نحو حاجاتها الضرورية ولم يتيسر للمصلحة المالية ايصال مصاريف التعليم الى مبلغ ٩١٠٠٠ جنيه الا في سنة (١٨٩٠) ومن بعد ذلك الحين وخصوصا من ابتداء سنة (١٩٠٤) كانت هذه المصاريف تزاد علي الدوام وقد تقدم التعليم بدرجة عظيمة

« وفضلا من المدارس الاميرية وجد عدد عظيم من المدارس الاهلية ابتدائية وثانوية منظمة تقريبا علي نظام المدارس الاميرية وسائرة علي انموذج التعليم المتبع فيها وكثير من هذه المدارس ينفق عليها من جمعيات خيرية وهناك أيضا بعض من المدارس خاصة بالنزلاء الاجانب وأغلبها تابع للارساليات الدينية أنشيء بعضها في أواسط القرن التاسع عشر

وفي سنة ١٩٠٧ أنشأت الحكومة ادارة التعليم الزراعي والصناعي والتجارى وجعلتها تحت مراقبة وزارة المعارف

العمومية سداً للاحتياج العظيم الي صناع ماهرين وبقصد توسيع دائرة التعليم العملي في المستقبل واذ دائرة التعليم الزراعي التي اتسع نطاقها آخذ في الزيادة يوما عن يوم قد نقل مركزها سنة (١٩١٤) الي وزارة الزراعة التي انشئت في بحر سنة (١٩١٠) وقد وسع نطاق التعليم بالمدارس الثانوية وبمدارس البنات ومدارس المعلمات

«وبمقتضى قانون نمرة ٥٢ الصادر في سنة (١٩١١) ضمنت مجالس المديريات سلطة واسعة لنشر التعليم الدني ولهذا الغرض رخص لها بفرض ضريبة عقارية اضافية قدرها ٥ في المئة

«وعلاوة علي ذلك فان وزارة المعارف تعطي اعانات للمدارس الاهلية الابتدائية والصناعية الثانوية» انتهي

في المدارس المصرية ٥٣٧٧٧٠ تلميذاً منهم ٧٩٥٧٣ بنتا وباقيهم أي ٤٥٧٦٩٧ من الذكور منهم مسلمون ٣٩٨٨٦٦ من البنين و٥١٥٣١ من البنات ومن الاقباط ٣٧٤٣٩ من البنين و١١١٨٦ من البنات . ومن الارثوذوكس ٧٢٢٧ من البنين و٥٥٥١ من البنات ومن الكاثوليك ٧٢١٧ من البنين و٦٣٣٨ من البنات ومن البروتستنت ٢٤٠٩ من البنين و٩٠٤ من البنات . ومن الاسرائيليين ٤٣٦٨ من البنين و ٣٨٨٩ من البنات .ومن ديانات أخرى ١٧١ من البنين و١٧٤ من البنات

في القاهرة	٦٩١	مدرسة فيها	٨٣٥٧١	تلميذ
وفي الاسكندرية	٣٨٦	« «	٤٢٩٨٨	«
وفي بورسعيد	٤٦	« «	٥٦٦٣	«
وفي الاسماعيلية	١٩	« «	١٢٦٩	«
وفي السويس	٢٥	« «	١٨٤٤	«
وفي دمياط	٣٨	« «	٤٢٥٨	«
وفي مديرية البحيرة	٥٤٤	« «	٣٧٠٤٥	«
« « الدقهلية	٧٠٤	« «	٤٢٩٣٦	«
« « الشرقية	٨٢٦	« «	٢٢٨٠٣	«

وفي مديرية الغربية	١٢٥١	مدرسة فيها	٧٦٠٧٨	«
« القليوبية	٤٢٣	«	٢٠٤٣٤	«
« المنوفية	٧٧٨	«	٤٥٠٢٢	«
« اسيوط	٥٥٠	«	٣٢٢٦٢	«
« اسوان	١٠٩	«	٩٨٠٠	«
« الجيزة	٢٩٩	«	١٤٠٧٤	«
« الفيوم	٣٠٨	«	١٣٤٤٤	«
« المنيا	٤٦١	«	٢٢٣١٥	«
« بني سويف	١١٦	«	٧٥٣٢	«
« جرجا	٤٩٧	«	٢٣٢١٥	«
« قنا	٤٤٢	«	٢١٢٧٩	«

وجاء في ذلك الاحصاء تحت عنوان (لمحة تاريخية من أعمال مصلحة البريد في القطر المصري مايأتي :

(نظامها الاول) لم يعثر علي أثر لاشتغال البريد في القطر المصري قبل زمن المرحوم محمد علي باشا الكبير فقد أنشئت في عهده ادارة بوستة للمراسلات الاميرية فقط وكان مخصصاً لنقلها سعاة مشاة تحت رئاسة رجل يدعي الشيخ عمر حمد من القاهرة ولم تتمد أشغال البريد في بادىء الامر حدود القطر المصري الا انها ما لبثت أن امتدت الي السودان حين فتحه سنة (١٨٢١) فاضطرت الحال حينئذ لتعيين سعاة هجانة بها

« ولما كانت الحكومة لاتسمح لسعاتها بنقل خطابات خصوصية نظم الشيخ حسن البديلي من سكان القاهرة بريداً من سعاة خصوصيين لنقل رسائل الجمهور

« ولم توضع وقتئذ تعريفة عن الرسائل التي كانت ترسل بواسطتهم بل كانت كما اقتضت الحال لنقل رسائله يتساومون علي أجرتها

« الا انه فيما بعد أخذت الحكومة على نفسها نقل خطابات الجمهور المرسلة الى مصر الوسطى ومصر العليا (الصعيد) والسودان ووضعت لذلك رسوما تتفاوت بين ١٠ بارات و٣٠ بارة أى من ٢ ونصف الى ٧ ونصف مليمات عن الدرهم الواحد وهو يساوى ٣ غرامات ونصف وذلك عن المراسلات التى برسم مصر الوسطى ومن قرش الى ثلاثة قروش أى من ١٠ مليمات الى ٣٠ مليما عن المراسلات التى برسم مصر العليا ومن ثلاثة قروش و٢٥ بارة الى ستة قروش وخمسة بارة أى ٣٦ مليما ورع المليم الى ٦١ مليما ورع المليم عن الرسائل التى برسم السودان

(أول ادارة بريد نظمت بين الاسكندرية والقاهرة) وفي ذلك الحين أنشأ رجل يسمى كارلو ميراني وأصله من ليفورنو ادارة بريدية على ذمته في الاسكندرية لتصدير وتسليم الخطابات المتبادلة مع البلدان الاجنبية واستلام الواردة منها فكان يستلم المراسلات من الجمهور ويحملها في البواخر المسافرة كما انه كان يتوجه لاستلام الخطابات الواردة ويوزعها على أصحابها وبذلك توصل لانشاء مكتب بوستة في الاسكندرية. ولما رأى نجاح عمله هذا أنشأ أيضاً في سنة (١٨٤٣) ادارة منظمة لنقل المراسلات بين الاسكندرية والقاهرة وكان السعاة يقطعون المسافة بين هاتين المدينتين في ظرف ٢٤ ساعة

(البوستة الاوربية) وعلى أثر وفاة ميراني المذكور تولى أولاد أخته اخوان تشيبى ادارة البريد وكانت معروفة وقتئذ بالبوستة الاوروبية

« وفي سنة (١٨٤٧) اشترك مع جاكومو موتسي الذى صار فيما بعد موتسي بك وهو أول من عين مديراً للبوستة المصرية

(مكاتب البوستة الاولية) وأول ما افتتح من مكاتب البوستة بعد مكتب الاسكندرية كان في القاهرة والمحلة ورشيد في سنة (١٨٥٤) ومكتب دمنهور وكفر الزيات في (١٨٥٥) وقت انشاء الخط الحديدى بين الاسكندرية وكفر الزيات وتلا ذلك افتتاح مكاتب طنطا وبنها والبركة في سنة (١٨٥٦) حين مد خط السكة الحديدية الى القاهرة

(نقل البوستة على قطارات السكك

الحديدية) وما كاد يمتد خط من خطوط السكك الحديدية الا وبادرت ادارة البريد الى ارسال مراسلاتها عليه بدلا من السعاة وذلك مقابل مبلغ كانت تدفعه الحكومة سنوياً وبلغ أقصاه في آخر الامر ٧٨٠ جنيها مصرياً وفي سنة (١٨٦٢) رخصت الحكومة بنقل مراسلات البوستة مجاناً على قطارات السكك الحديدية كما ان البوستة الاوربية أخذت على نفسها فرز المراسلات الاميرية وارسال مستخدمين من قبلها لمرافقتها بلا مقابل

«شراء الحكومة لادارة البوستة)

ولما رأت الحكومة اتساع نطاق أعمال تلك الادارة وأهميتها عزمت منذ سنة (١٨٦٤) على شرائها لجعلها مصلحة عمومية فوسطت محل درفيه وشركاه وعهدت اليه المفاوضة في ذلك مع اخوان تشيبى وجاكومو موتسي الذين تنازلوا للحكومة عن ادارة البوستة مقابل مبلغ ٩٥٠٠٠٠ فرنك

« وبناء على ذلك دخلت ادارة البوستة تحت سلطة الحكومة المصرية من أول يناير سنة (١٨٦٥) فصارت مصلحة أميرية وكان عدد مكاتبها وقتئذ ١٩ مكتبا

« سير أعمال البوستة منذ سنة ١٨٦٥) كانت التسعة عشر مكتباً المنوه عنها تتبادل المراسلات على اختلاف أنواعها وكذلك الخطابات ذات القيمة المقررة وحوالات البوستة وصرر النقود وارساليات الاشياء الثمينة

«وأول مافكرت فيه المصلحة الجديدة هو تخفيض رسم الخطابات المتداولة في دائرة الوجه البحرى فجعلته قرشاً واحداً أى ١٠ مليمات عن كل سبعة غرامات ونصف

«وفي سنة (١٨٧٨) قررت أن يكون هذا الرسم عينه عن ١٠ غرامات بدل من ٧ ونصف كما انها خفضت رسم الخطابات المصدرة الى الوجه القبلي من قرشين عن العشرة غرامات الى قرش واحد فأصبح الرسمان متساويين في الوجهين البحرى والقبلي ثم خفض هذا الرسم أيضاً في سنة (١٨٩٠) الى ٥ مليمات عن كل ١٥ غراما وأصبح الآن ٥ مليمات عن كل ٣٠ غراما وكذا رسم التسجيل فبعد أن كان قرشين عن كل مراسلة خفض الى قرش واحد عن كل ١٥ غراما

ثم جعل الآن قرشا واحداً عن كل ٢٠ قراماً وفي سنة (١٩٠٥) خفض هذا الرسم الى ٥ مليمات عن المراسلات المصدرة الى بريطانيا العظمى ومستعمراتها وفي سنة ١٩٠٦ عن المصدرة الى ايطاليا ومستعمراتها ومن أول يوليه سنة (١٩١٢) عن المراسلات المتبادلة مع بلاد النمسا

« كانت أشغال البريد مع البلدان الاجنبية في بادىء الامر قاصرة على تبادل المراسلات ولكن تخليص رسومها لم يكن يخلو من صعوبة وهذه الصعوبة كانت ناشئة عن تحصيل رسمين عن رسالة واحدة رسم مصرى عن الداخل ويلصق عليها بقيمته طوابع بوستة مصرية ورسم أجنبي عن الخارج ويلصق عليها بقيمته أيضاً من طوابع ذلك البلد الاجنبي المصدرة اليه تلك الرسالة وكذلك كانت الحال عند ارسال مراسلات من الخارج الي هذا القطر . ولما كان من الصعب الحصول على الطوابع الاجنبية فنظم الخطابات المرسلة من والي الخارج كانت تتحصل عليها قيمة الرسوم الباقية مضاعفة في البلاد المرسلة اليها

(وقد تناقص هذا الضرر تدريجياً بفضل الاتفاقات الخصوصية التي عقدتها البوستة المصرية الواحد تلو الآخر مع بلدان أجنبية كثيرة ويقتضى تلك الاتفاقات أمكن التخليص على المراسلات بطوابع البلد الصادرة منه وقد تلاشي ذلك الضرر كلية بتنفيذ قرارات مؤتمر برن

(عقد المؤتمر الدولى البريد سنة ١٨٧٤) في برن فقرر تأسيس اتحاد البوستة العام الذى انتظمت فيه مصر منذ تأسيسه والغاء حسابات الرسوم الخاصة بتبادل المراسلات لان المحصل من المراسلات غير خالصة الاجرة كان حقا للبلد الصادرة منه تلك المراسلات وقرر أيضاً الغاء الرسوم العالية والخصوصية لكل بلد وصادق على رضم رسوم متساوية لجميع البلدان القابلة باتحاد البوستة العام عن المراسلات التي ترد غير خالصة الاجرة أو غير مستكملتها

وفي مؤتمر البريد المنعقد في باريس سنة (١٨٧٨) قبلت الحكومة المصرية بأحكام النظام الخاص بتناول الحوالات

الخارجية الا ان مصلحة البوستة المصرية لم تنتظر عقد هذا المؤتمر لتبادل هذه الحوالات بينها وبين بعض البلدان بل عقدت اتفاقا خصوصيا عن ذلك في سنة (١٨٧٢) مع البوستة الايطالية وفي سنة (١٨٧٤) مع البوستة البريطانية

« وفي سنة (١٨٨٠) قرر مؤتمر باريس تبادل طرود البوستة داخل القطر ومع البلدان الاجنبية

« وفي سنة ١٨٨٥ قرر مؤتمر لشبونة الحوالات التلغرافية والطرود المؤن عليها والمحول عليها وأشغال التحصيل ودفاتر اثبات الشخصية

« وفي سنة (١٨٩١) قرر مؤتمر فينا طريقة الاشتراك في الجرائد الخارجية والتأمين على الخطابات والعلب ذات القيمة المقررة والتأمين أيضا على صرر النقود من الاخطار التي تحدث في الاحوال القهرية (وذلك بعد أن أقر على مبدأ خلو مصر من مسؤولية الاخطار التي تحدث في الاحوال القهرية أسوة بكثير من البوستات الاجنبية) وتخفيض أقل رسم يؤخذ عن الحوالات الخارجية وقد أجاز المؤتمر المذكور أيضاً دفع رسوم طرود البوستة الجركية وغيرها مقدما في محل الارسال بدلا من تحصيلها في البلدان المصدرة اليها الطرود

« في سنة (١٨٩٨) قرر مؤتمر شنجتون زيادة أكبر وزن مقرر للعينات وتخفيض رسم الحوالات الخارجية مع اعلاء أقصى القيمة المقررة لها

« وفي سنة (١٩٠٦) قرر مؤتمر روما اعلان وزن الخطابات وتخفيض رسمها وتوسيع المحل المخصص للتحرير في تذاكر البوستة وقسائم المجاوبة وتخفيض رسم الحوالات ورسم مرور ارساليات البوستة

« قبل أن تصير البوستة في مصر مصلحة أميرية رأى الأجانب مختلفو التبعيات الذين كان لهم وقتئذ في الشرق أشغال عديدة أن ينشئوا لهم في القطر مكاتب بوستة خصوصية ولم يبق للآن من جميع تلك المكاتب الا مكتبي البوستة الفرنسية في الاسكندرية وبورسعيد وأنشىء أولهما سنة ١٨٣٦ أما مكتباها في القاهرة والسويس فأنشيء الاول سنة ١٨٧٥ والثاني سنة ١٨٨٨ وكذا ألغيت المكاتب الاجنبية الاخرى فمنها مكتبا البوستة

الانجليزية في الاسكندرية والسويس وكان انشاؤها في سنة (١٨٣١) والغاؤها في سنة (١٨٨٨) وكذا المكاتب النمساوية واليونانية والايطالية والروسية وكلها في الاسكندرية فانها أنشئت في سنوات ١٨٢٨ و١٨٥٩ و١٨٦٦ و١٨٥٧ والغيت في سنوات ١٨٨٩ و١٨٩٢ ١٨٨٤ و ١٨٧٥

« ورغبة في ايجاد طرق للمواصلات مع الجهات التي لم تزل محرومة من الخطوط الحديدية أنشأت مصلحة البوستة وابورات لنقل البريد والركاب أيضاً فوجدت في سنة (١٨٦٩) خط وابورات بوستة في قناة السويس بين بور سعيد والاسماعيلية . وبعد سنة (١٨٨٠) أنشأت خطوطا مثلها في النيل بين أسيوط وأسوان وبين كفر الزيات والمعدف وفي البحر الصغير بين المنصورة والمنزلة وفي بحر شبين وقد الغيت جميع هذه الخطوط بالتدريج على أثر مد خطوط السكة الحديدية اليها

(أنشئت خطوط البوستة الطوافة في أول مايو سنة (١٨٨٠)

(في سنة (١٩٠٥) ابتدىء بتبادل بوتات البوستة الانجليزية ما بين القطر المصري وبريطانيا العظمى والمستعمرات الانجليزية

« ونظرا لما روى من فائدة استعمال هذه البوتات صدرت بوتات مصرية في يوليه سنة (١٩١٥) للتعامل بها في داخلية القطر فقط وهي تعرف باسم أذونات البوستة الداخلية

(طوابع البوستة) أصدرت الطوابع الاولى للبوستة المصرية في سنة (١٨٦٦) وكان صنعها في مدينة جنوة وفئاتها : ٥ و ١٠ و ٢٠ بارة و٢ و ٥ و ١٠ قروش

« ثم الاصدار الثاني في سنة (١٨٦٧) وكان تشغيله في مطبعة بناسون وفئات طوابعه ٥ و ١٠ و ٢٠ بارة و ١ و ٢ و ٥ قروش

« والاصدار الثالث في سنة (١٨٧٢) جرى تشغيله في المطبعة الاميرية ببولاق وفئات طوابعه ٥ و ١٠ و ٢٠ بارة و ١ و ٢ و ٣ ونصف و ٥ قروش

« وفي سنة ١٨٧٤) عمل اصدار اضافي من فئة ٥ بارات (برسم معكوس) و ١٠ و ٢٠ بارة ومن فئة القرش الواحد وفي سنة (١٨٧٩) عدلت قيمة بعض طوابع من فئة القرشين ونصف السالفة

الذكر وجعل بعضها من فئة خمس بارات والبعض الآخر من فئة عشر بارات بواسطة طبع هذه القيم عليها

« وأما الاصدار الرابع فكان في سنة (١٨٧٩) وعهد بتشغيله الى محل الخواجات ديلارى بالوندرة ولم يزل هذا المحل قائما بطبع الطوابع المصرية الى الآن واول طوابع صنعت فيه وجرى تداولها في سنة (١٨٧٩) كانت من فئات ٥ و١٠ و ٢٠ بارة ومن ١ و٢ و٥ قروش

« سنة (١٨٨٤) أصدرت طوابع جديدة بنفسجية ورمادية اللون من فئات عشر بارات

« وفي سنة (١٨٨٤) عهد الى المطبعة الاميرية ان تحول مقدار من الطوابع الى فئة عشرين بارة بواسطة طبع الرقم عشرين بارة عليها وفي تلك السنة صنعت طوابع جديدة في محل ديلارى من فئة عشرة وعشرين بارة وقرش وخمسة قروش

« وفي سنة (١٨٨٤) أنشئت علامات الاجر المستحقة وجرى استعمالها وهي شكل طوابع باقية المستحقة على المراسلات الغير خاصة الرسوم او الغير مستكاتها وهي من فئة عشرة وعشرين بارة وقرش وقرشين وخمسة قروش وكان صنعها بمطبعة بناسون في الاسكندرية

« وعلى أثر تغيير طريقة العملة المصرية في سنة (١٨٨٨) عهد الى الخواجا ديلارى طبع طوابع بوستة من فئة مليم ومليمين وخمسة مليمات الجارى استعمالها للآن

« ولتلك المناسبة عهدت المصلحة الى مطبعة بناسون بصنع علامات جديدة للاجر المستحقة من فيه مليمين وخمسة مليمات ومن قرش وقرشين وخمسة قروش للمراسلات الغير خاصة الرسوم او الغير مستكاتها

« وفي سنة (١٨٨٩) أصدر طابع جديد من فئة عشرة قروش كما أن علامات الاجرة المستحقة الجديدة من مليمين وأربعة مليمات وقرش وقرشين جرى طبعها في تلك السنة في محل ديلارى

(وفي سنة (١٨٩٧) أصدرت طوابع بوستة مصرية مكتوب عليها (سودان) لتستعمل في بوستة السودان

(وفي سنة (١٨٩٩) أصدرت مصلحة بوستة السودان طوابع خصوصية

لها . وفي شهر مايو سنة (١٨٩٨) حولت علامات الاجر المستحقة من فئة القرشين الى فئة ثلاثة مليمات وذلك بواسطة طبع هذه الفئة فوقها لكي تستعمل على الخطابات غير خالصة الاجرة الواردة من رجال الجيش الموجودين بحامية السودان

(وفي سنة (١٩١٤) أصدرت سلسلة مدموغات جديدة من الطوابع البريدية تتألف من عشرة طوابع مبضوم على كل منها منظر أو أثر مصري يختلف عن الآخر وذلك بدلا عن منظر أبي الهول والاهرام الذي كان مطبوعا على كافة الطوابع

(وكان عدد الطوابع القديمة تسعة والطابع الزائد الآن هو من فئة ٢٠٠ مليم

(وقد ابتدىء في بيع الطوابع الجديدة في يوم ثمانية يناير (١٩١٤) الموافق يوم عيد جلوس الجناب العالي الخديوي السابق عباس باشا حلمي النالي على الاريكة الخديوية

أما الرسومات المطبوعة على العشرة طوابع الجديدة فهي :

فئة	مليم	
«	١	سفينة شراعية في النيل
«	٢	الاهة ايزيس
«	٣	سراى رأس التين
«	٤	الاهرام
«	٥	أبو الهول من منظر وجهه
«	١٠	تماثيل مدينة طيبة
«	٢٠	بوابة الكرنك
«	٥٠	قلعة القاهرة
«	١٠٠	هيكل أبي سنبل
«	٢٠٠	خزان أسوان

(وهذه الرسومات الجديدة مطبوعة أيضاً على تذاكر البوستة والظروف والمخازم

(حجم الطوابع الجديدة ذات فئة عشرين وخمسين ومئة ومائتين مليم أكبر من حجم الفئات الاخرى

(الاشغال البريدية مع السودان) من سنة (١٨٢١) أنشئت مواصلات بريدية مع السودان كما توضح آنفا وكانت تلك المواصلات الى مديريتي دارفور وخط الاستواء حين فتحهما في عهد المرحوم الخديوي اسماعيل باشا

(غير انه لم تفتح مكاتب بوستة في دنقلة وبربر والخرطوم الا في سنة

(١٨٧٣)

(و بناء على طلب غردون باشا عند تعيينه حاكما عاما السودان افتتحت في سنة(١٨٧٨) مكاتب بوستة في الدامر وسنار وكرجوع والقضارف وفازوغلو وقاشودة والفاشر والابيض وبهذا العمل امتدت البوستة الى جميع الجهات المهمة

(وفي سنة(١٨٨٣) حين حدوث الثورة في السودان قطعت العلاقات البريدية فجأة مع القطر المصري

« اما مكتب الخرطوم فظل مفتوحا حتى سقوط المدينة

«وآخر ارسالية من ارساليات البوستة التي وردت من الخرطوم سافرت منها على الوابور بردين في ٤ نوفمبر سنة(١٨٨٤) وما هو جدير بالذكر ان المرحوم جياكو لاجروزو الذي كان وكيلا لمكتب البوستة هناك منذ انشائه ذبح بأيدي الثائرين وهو محافظ على مركزه في ذلك المكتب

(وعند استرجاع السودان انشئت ادارة مؤقتة لاشغال البوستة وكانت تتبع الاعمال أولا بأول كما تقدم للجيش جهات البلاد وعند وضع النظام الاداري في ذلك القطر تقرر تثبيت تلك الادارة نهائياً وجعلت مصلحة تحت سلطة حكومة السودان

« ومع ذلك فتعتبر بوستة السودان جزءا من البوستة المصرية فيما يختص باشغالها الخارجية اذ أن الاخيرة قائمة من أول الامر بجميع الاشغال الخارجية والخاصة بالبوستة السودانية

«بلغ عدد المراسلات التي تبودلت داخل القطر المصري سنة (١٩١٥) أحد وعشرين مليون و٤٢٥ الف رسالة وكانت سنة(١٩١٣) أي قبل الحرب ٢٦ مليون و٨٠٢ الف

(وتبودلت بين مصر والخارج ثلاثة عشر مليون و٦٤٦ الف رسالة وكانت قد بلغت سنة(١٩١٣) ستة عشر مليون و٣٢٥ الف

(ويبلغ عدد ما تبودل من تذاكر البوستة ٩ ملايين و٢٢٤ الف

و بلغ عدد الخطابات المسجلة اربعة مليون و٤٢٣ الف

و بلغ عدد المطبوعات والاوراق التجارية والعينات ٩ ملايين و١٨٠ الف وكانت بلغت ١٣ مليون و٨٩

الف في سنة (١٩١٣)

«وبلغ عدد المراسلات الاميريه ٢٨ مليون و٦٩٥ الف . فبلغت جملة المراسلات الداخلية والخارجية ٧٧ مليون و١٣٢ الف وكانت قد بلغت ٨٦ مليون و٩٠٥ الف

«وبلغت قيمة الحوالات العادية ٤ ملايين و٩٠٦ الف و٢١٢ جنيها

«وبلغت صرر النقود مليون واحد و٣٦٩ الف و٣١٨ جنيها

«وبلغت صرر النقود المرسلة من الحكومة بحوالات بوستة ٣ ملايين و١٤٤ الف و ٨٢٥ جنيها

«فيكون مجموع قيمة النقود التي تبودلت ٦ ملايين و ٤٢٠ الف و ٣٥٥ جنيها

«وصدر بالبوستة الى البلاد الخارجية ٣٥١ الف و ٨٨٨ جنيها . وورد منها ٩٣ الف و٤٦٣ جنيها

«فيكون جملة ذلك ٤٤٥ الف و٣٥١ جنيها

«وبلغ عدد الطرود الداخلية ٤٢٨ الف و٩١٠ وبلغ عدد الطرود الصادرة الي السودان ٥١ الف و ٥٣٤ والوارد منه ٨٢٥٩. وعدد الطرود التي صدرت من مصر الى الخارج ١٥٢٨٩٩ والتي ورد اليها ٣٢٢٢٥٧ فيكون مجموع الطرود الداخلية والخارجية ٩٦٤٧٨٠

«وبلغ قيمة اوراق التحصيل الداخلية والخارجية ٣ ملايين و٦١٥٦٧١ جنيها

«التلغراف المصرية) جاء في احصاء سنة ١٩١٥ الحكومة المصرية تحت عنوان مذكرة تاريخية عن تلغرافات الحكومة المصرية مايأتي :

«لم توجد أوراق يستدل منها تماما على منشأ تلغرافات الحكومة وان ماوجد محفوظا منها هو فقط من بعد سنة (١٨٨٩)

«ويستخلص من الاوراق الموجودة بدفترخانة مصلحة التلغراف ان الخطوط التلغرافية مدت في الاصل بمعرفة مصلحة السكك الحديدية ولم تنظم ادارة قائمة بنفسها للتلغرافات الا بعد ذلك بكثير

«في سنة (١٨٥٦) رخص للسنر جيتسبورون بان ينشيء خطوطا تلغرافيه تربط الخط الجنزلي البحري الواصل من الدردنيل الي الاسكندرية بالخط الذي كان مصمما علي مده بين عدن

والسويس

«ومن هذا الترخيص يعلم ان المواصلات التلغرافية بين القاهرة والاسكندرية كانت موجودة قبل هذا التاريخ

«وفي سنة (١٨٧٠) بلغ طول الخطوط التلغرافية الجاري تشغيلها بالقطر المصري ٦٣٢٠ كيلو مترا يمافيها ٢١١٠ كيلو مترات في السودان

«كان القطر المصري بالنظر لتعريفة التلغرافات مقسما الي ثمانية أقسام وكانت تلك التعريفة مقررة علي الوجه الآتي :

«عشرة قروش عن العشرين كلمة الاولي يزاد عليها خمسة قروش عن كل عشر كلمات أخرى وذلك اذا كانت الاشارة التلغرافية لاترسل خارجا عن دائرة القسم الصادرة منه ، وعشرون قرشاً عن كل اشارة مركبة من عشرين كلمة وترسل من القسم الاول للثاني ، وثلاثون قرشاً من القسم الاول للثالث وهكذا الي النهاية بزيادة عشرة قروش عن كل قسم

«وفي السنة نفسها أي سنة (١٨٧٠) أعطي التزام الى شركة التلغراف الانجليزي بمد خطوط تلغرافية بين الاسكندرية والسويس وتكون مختصة بنقل الاشارات الخارجية بين أوربا والشرق ثم في سنة (١٨٧٤) انتقل هذا الالتزام الي شركة التلغرافات الشرقية التي رخص لها أيضاً لمدة خمس سنوات بتوصيل اشارات داخل القطر بين مكاتبها في الاسكندرية والقاهرة والسويس

«وفي سنة (١٨٧٧) بلغ عدد المكاتب التلغرافية الموجودة بالقطر المصري والسودان ١٥١ مكتباً موزعة كما يأتي :

الوجه البحري	٨٦
الوجه القبلي	٤٤
السودان	٢١

«وكان بالوجه البحري ثمانية وعشرون مكتبا لقبول الاشارات الافرنجية أما الوجه القبلي فلم يكن به مكتب ما لهذا الغرض

«وفي أول ابريل سنة (١٨٧٨) استلمت حكومة السودان الخط التلغرافي القائم قبلي حلفا

«وفي سنة (١٨٧٩) سحب من

شركة التلغرافات الشرقية الامتياز الذى كان معطى لها عن توصيل الاشارات التلغرافية بين مكاتبها داخل القطر

« وفي السنة نفسها حلت دوائر تلغرافية بسيطة محل الدوائر المعدنية التى كانت مستعملة وبذلك أمكن الحصول على دائرتين بدلا من واحدة

« ومن أول اكتوبر سنة (١٨٨٤) سلمت خطوط السودان التلغرافية الى ادارة تلغرافات الجيش الانجليزى

« ومن أول سبتمبر سنة (١٨٩٧) وحدت تعريفة الاشارات الداخلية فجعلت خمسة مليمات عن الكلمة بحيث لا تقل أجرة الاشارة عن خمسين مليما

« وفي ١٥ مايو سنة (١٨٨٧) أعيد الخط الذى كان تحت ادارة الجيش الانجليزى الى مصلحة التلغرافات المصرية

ثم في أول يناير سنة (١٨٩١) وضعت تعريفة أخرى بالطريقة الآتية وهى :

« ٥ مليمات عن كل كلمتين بحيث لا تقل أجرة الاشارة عن ٢٠ مليما

(وفي يونيه سنة (١٨٩٦) تقرر أن تكون التعريفة عن الرسائل المستعجلة ثلاثة أمثال العادية

« أما خط الطور فقد مدته وزارة الحربية في سنة (١٨٩٧) ثم ربطته مصلحة التلغرافات بمكتبها بالسويس وتقرر أن تكون الاشارات بهذا الخط ضعف الاجرة العادية

« أما التعريفة من السودان فتقرر أن تكون من أول يناير سنة ١٩٠٠ كما يأتي :

« ٤٠ مليما عن كل كلمتين أو كسورها في الاشارات المستعجلة
« ١٥ « « « « « العادية
« ١٥ « أربع كلمات أو كسورها « المستبطأة

« أما الاشارات التى تتجاوز الثمان كلمات فتعريفتها كما يأتي :

« ٦٠ مليما عن الاشارات المستعجلة
« ٦٠ « « « العادية
« ٣٠ « « المستبطأة

« ولا تسلم الاشارات المستبطأة قبل ٤٨ ساعة

« وسنة (١٩٠١) رخص لشركة السكك الحديدية الضيقة بانشاء مكاتب تلغرافية في المحطات الواقعة على خطوطها الحديدية وأن تتبادل الاشارات مع مصلحة التلغرافات بشروط مخصوصة

« وفي سنة (١٩٠٥) خفضت تعريفة الاشارات التى تصدر الى أوروبا وتقرر في سنة (١٩٠٦) أن تكون الاشارات المختصة بالجرائد بنصف أجرة بشروط مخصوصة

« وفي سنة (١٩١٠) سلمت وزارة الحربية خط الطور الى مصلحة السكك الحديدية وهذه قررت له التعريفة العادية بدلا من تعريفته الخصوصية

« وفي سنة (١٩١١) أنشئ في بور سعيد مكتب التلغراف اللاسلكي لقبول وتوصيل الاشارات المعروفة باسم (راديو تلغراف) الى المراكب في البحر

« وفي سنة (١٩١٢) حصل تبادل الاشارات المستبطأة بنصف اجرة ما بين القطر المصرى والبلاد الاجنبية الشهيرة بواسطة خطوط شركة التلغرافات الشرقية بشرط أن تكون الاشارات المذكورة واضحة المعنى ومحررة باللغة الفرنسية أو باحدى لغات البلاد الصادرة منها أو المصدرة اليه

« وفيما يختص بالخطوط التلغرافية الخاصة بشركة قناة السويس أنظر الملاحظة المدونة في الجزء الثالث من هذا الفصل

« أما النشرات الرسمية من التلغرافات فهي :

(١) التقارير السنوية لمصلحة السكك الحديدية المصرية والتلغرافات الاميرية

(٢) دليل التلغراف

« طول الخطوط التلغرافية المصرية (١٣٤١) كيلو متراً وطول الاسلاك (٢٢٤٨١) كيلو متراً . وعدد الآلات التلغرافية (١٢٢) وعدد المكاتب ٤٠٠ وعدد اشارات مصلحة السكك الحديدية والجرائد ٣١٧٤٨٢٦

وجاء في الاحصاء المذكور تحت عنوان (الخطوط التلغرافية الجارى تشغيلها بمعرفة شركة التلغرافات الشرقية ما يأتي :

«مذكرة تاريخية — بخلاف مكاتب تلغرافات الحكومة يوجد ايضا مكاتب مستقلة لشركة التلغرافات الشرقية

ليمند في القاهرة والاسكندرية وبورسعيد والسويس وبور سودان وسواكن ومرخص لهذه المكاتب بقبول وارسال اشارات برقية من والى خارج القطر

الشركة المذكورة املاك خصوصية غير أملاك الحكومة تنقل عليها ما يرد اليها من الاشارات البرقية الى انحاء القطر ولها أيضا املاك بحرية لربط المواصلات البرقيه بين القطر المصرى وبلاد الهند وجهات أخرى واقعة على البحر الاحمر والبحر الابيض المتوسط

لا يجوز للشركة ان تستعمل أصلا كما لنقل الاشارات بين جهتين واقعتين في دائرة القطر المصرى الا فيما عدا الاشارات المتبادلة بين البحرين حيث يمنع اتصالها وجود قناة السويس ويقتضي ترخيص من الحكومة المصرية مؤرخ ٨ أغسطس سنة (١٨٨٢) واتفاق مبرم بين شركة قناة السويس وشركة التلغرافات الشرقية بتاريخ ٧ نوفمبر من السنة المذكورة قد تنازلت الشركة الاولى الثانية عن حق استعمال خطها الخصوصي الواقع بين السلكين البحريين اللذين أحدهما في السويس والآخر في بورسعيد مع ابقاء ذلك الخط ملكا لشركة قناة السويس التى انشأته لحساب وأشغال شركة التلغرافات الشرقية وقد اشترط فيما بينهما بأن تقوم هذه الاخيرة بدفع مبلغ قدره ٢٥٠٠٠ فرنك سنوياً لشركة قناة السويس مقابل قيامها بحفظ وصيانة ذلك الخط وتكون مدة هذا التنازل مساوية لمدة المرخص بها من الحكومة لشركة التلغرافات الشرقية المذكورة فقد انشئت في سنة (١٨٧٤) بانحلال شركتى (برينش اند رياسوب ماورين تلجراف كومباني) و (انجلو مديترانيان تلجراف كومباني) اللتين كان ترخص لهما من الحكومة المصرية بمقتضى عقود في ٢٧ فبراير سنة (١٨٥٦) و ٧ فبراير سنة (١٨٦٢) و ٨ مارس سنة (١٨٧٠) انشاء وتشغيل خطوط برقية مختلفة في القطر المصرى وبشروط لا محل لذكرها الآن حيث استبدلت جميعها بشروط أخرى مؤرخة في ٢٧ ابريل سنة (١٨٧٤)

«وقد قضت أيضاً هذه الشروط بتخويل الشركة المذكورة جميع حقوق الالتزامات التى كانت منحت من قبل الى الشركتين بادبق الذكر وذلك لمدة ٣٨ سنة تنتهي في ثمانية مارس سنة ١٩١٢ وقد تعهدت الحكومه عند حلول هذا التاريخ بامتداد مدة الالتزام لعشرين سنة أخرى بشروط يتفق عليها الطرفان . وفي حالة عدم اتفاقهما يسوى الخلاف بينهما بواسطة لجنة تحكيم عرفية

«وقد خول الشركة على سبيل المساعدة ذلك الحق الذى كان للشركتين السابقتين وهو المنع بقبول الاشارات البرقية الداخل القطر لمدة تنتهي في أول مارس سنة (١٨٠٩) فقط

« وقد تقرر أن تدفع الشركة المذكورة للحكومة سنويا مبلغ (١٠٠٠) جنيه انجليزى ويكون للمصالح الاميرية حق الانتفاع بخصم ٥ في المئة على رسائلها من تعريفة الشركة العمومية

« أما الالتزام المحرر بشأنه عقد ٢٧ ابريل سنة (١٨٧٤) فلا يشمل احتكاراً لجانب شركة التلغراف الشرقية بل أن الحكومة حفظت لنفسها الحق على الأخص باعطاء التزامات من هذا القبيل الى شركات أخرى

« ولغاية سنة (١٨٧٤) لم يكن للشركة الا ثلاثة مكاتب فقط كائنة في القاهرة والاسكندرية والسويس وفي شهر أغسطس سنة (١٨٧٢) ترخص لها كما ذكر آنفا بانشاء خط بور سعيد والسويس خصيصاً لربط المواصلات بين البحر الاحمر والبحر الأبيض المتوسط

وبتاريخ ١٠ يناير سنة (١٨٧٤) عقد اتفاق بين الحكومة المصريه والحكومه الانجليزيه من جهة وشركة التلغراف الشرقية من جهة أخرى بالترخيص لهذه الاخيرة بانشاء خط برقي بين السويس وسواكن وتكون مدة التزامه مساوية لمدة الالتزامات السابقه وبتخويل الشركة المذكورة أيضا حق الاولوية بالتزام جميع ما يستجد من الخطوط التى يقرر الحكومتين لزوم انشائها بين القطر المصرى والبلاد الاجنبية . واذا أرادت الحكومة المصريه الغاء هذا الاتفاق عند نهاية مدته فيجب عليها أن تعلن الشركة بذلك قبل انقضاء المدة بستة شهور

وتدفع لها مبلغا قدره مئة وخمسون الف جنيه انجليزى بصفة تعويض وذلك بخلاف الفوائد التى لاتزيد في أى حال عن مبلغ ٥٠٠٠٠ جنيه انجليزى عن هذا مع حفظ الحق للشركة المذكورة بأبقاء مكتب لها في سواكن لتبادل الاشارات البرقية مع عدن

« ويقتضى اتفاق آخر في التاريخ المذكور رخصت الحكومة للشركة بفتح مكتب تلغرافي في بور سعيد مقابل دفعها للحكومة مبلغا اضافيا لايزيد عن ٢٥ مليما عن كل كلمة من الاشارات الواردة والصادرة من هذا المكتب ويظل المكتب المذكور باقيا طالما كان خط الحكومة البرى بين بور سعيد والاسكندرية موجوداً

« وباتفاق آخر مؤرخ ١٢ مايو سنه (١٨٩٠) تعهدت الشركة بأن تدفع أيضاً للحكومة سنويا مبلغا قدره ٦٧٥٠ جنيها انجليزيا بصفة ايجار الخطوط الممتدة في انحاء القطر وذلك لمدة عشر سنوات صار امتدادها في أول نوفمبر سنة (١٨٩٩) الى ٨ مارس سنة (١٩١٢)

« وبتاريخ سنه (١٩٠٥) عقد « اتفاق ابتدائي بين الشركة والحكومة بتخفيض تعريفة الشركة من أول يوليه من السنه المذكور وعلى أثر هذا التخفيض الموضح نصه في طلب الاتفاق قد خفض أيضاً مبلغ خمسة آلاف جنيه انجليزى من أصل مبلغ ستة آلاف وسبع مئة وخمسين جنيها انجليزيا الذى كان قد تقرر على الشركة دفعه سنويا

« ومن جهة أخرى قد تعهدت الشركة التى جددت مدة التزامها الغاية ٨ مارس سنة (١٩٣٢) بأن تدفع للحكومة سنويا ونصفا عن كل كلمة تنقلها على الخطوط البرية وكذلك أيضا عن كل كلمة من الاشارات البرقية الواردة أو الصادرة من مكاتب القاهرة والاسكندرية وبور سعيد

« وقد تثبت هذا الاتفاق نهائيا في عقد ١٣ ابريل سنة (١٩٠٩) والذى بمقتضاه امتدت مدة التزام الشركة الغايه ١١ نوفمبر سنة (١٩٦٨) « المادة الاولى »

(الخطوط التلغرافيه الخاصه بشركة قناة السويس) جاء في الاحصاء المذكور تحت هذا العنوان مانصه :

« أنشأت الشركة الخطوط التلغرافيه

الاول مدة حفر القناة لحاجة اشغالها الخصوصية وهذه الخطوط هي :

(١) الخط من الاسماعيليه الي الزقازيق وهناك يلتقي باسلاك تلغرافات الحكومة المصرية وقد انشئت في سنة (١٨٦٢)

(٢) الخط من الاسماعيليه الى بور سعيد وقد أنشيء سنة (١٨٦٣)

(٣) الخط من الاسماعيليه الي السويس وقد انشيء في سنة (١٨٦٤)

« ولم يأت اول يوليه سنة (١٨٦٤) الا وكانت ادارة هذه الخطوط سائرة على مايرام وكان عدد مكاتبها التلغرافية وقتئذ عشرة

« اما في سنة (١٨٦٧) فنظراً لزيادة سكان ذلك البرزخ من جهة ولعدم وجود خطوط تلغرافية هناك للحكومة من جهة أخرى دعت الحال لفتح خطوط الشركة المذكورة لمواصلات العمومية

« وقد وضعت لائحة نص بها عن الاجرة التى يقتضي تحصيلها ومعافاة الاشارات الاميرية منها

« وباتفاق مؤرخ ٢٣ ابريل سنة ١٨٦٩ (المادة الثالثة) تقرر ان تنشيء الحكومة في تلك المنطقة مكتبا ثابتة وآخر تلغراف وذلك لخدمة الشركة المذكورة والاهالي مع حفظ الحق للشركة بابقاء خطوطها الخصوصية لاستخدامها في اشغالها وفى مرور المراكب من القناة

« وحسب نصوص هذا الاتفاق ظلت الشركة سائرة في اشغالها التلغرافية الي الآن مع استمرارها ايضا على قبول وتوصيل الاشارات الاميرية بدون مقابل

« وقد دلت التجارب في ذلك الحين على ضرورة فتح خطوط الشركة أيضا لقبول الاشارات الخصوصية الصادرة والواردة من والي المراكب السائرة في القناة وقد تم ذلك باتفاقين أولها بتاريخ ٢٥ و ٢٧ ابريل سنة (١٨٨٨) والآخر بتاريخ ٢١ ديسمبر سنة (١٨٨٩) وقد خول اول هذين الاتفاقين بان توصل الشركة خطها بخط الحكومة بين بور توفيق والسويس (المدينة) وخول الثاني وصل خط الشركة بخط الحكومة ايضا في بور سعيد ونص به عن الطريقة التى تتبعها الشركة في توصيل الاشارات البرقية بين المراكب السائرة في القناة وبين خطوط الحكومة كما

نص به ايضا بنوع أخص بان تحصل الشركة من مصلحة التلغرافات الاميرية قرشا واحداً عن كل اشارة برقية تبلغ بواسطتها

« وقد ظلت الشروط معمولا بها لغاية الآن ولم يطرأ عليها اى تعديل ما

«ولا يفوتنا أن نذكر هنا ماتم الاتفاق عليه بتاريخ ١٨ نوفمبر سنة (١٨٨٣) بين شركتى قناة السويس والتلغرافات الشرقية مع مصادقة الحكومة عليه وذلك ان تستخدم الشركة الثانية أسلاك الاولى لاشاراتها الخصوصية التي ترسل وأسا بين السويس وبورسعيد

(التليفون) جاء في ذلك الاحصاء على التليفون مانصه:

«وفي ٢٦ يناير سنة (١٨٨١) رخصت الحكومة لخواجه الكسندر جراهم بل بانشاء مواصلات تليفونية في القاهرة والاسكندرية . وقد تنازل الخواجه المومي اليه في شهر ابريل من السنة المذكورة عن هذا الترخيص الى شركة التليفون الشرقية ليمتد بلوندرة (او ينتال كومباني ليمتد) فنالت هذه الشركة ترخيصاً آخر في ٣٠ يناير سنة (١٨٨٣) بعد اسلاكها في بور سعيد والاسماعيلية والسويس والزقازيق والمنصورة وطنطا ثم انها تنازلت عن جميع الترخيصات الى شركة التليفون المصرية ليمتد الذي مركزها بلوندرة وقائمة اليوم بادارة اشغال التليفون في القطر المصرى وذلك بمقتضى عقد محرر في شهر فبراير سنة (١٨٨٠) وبلغ ذلك التنازل الحكومة المصرية في ١١ منه ومن ثم أخذت أسلاك هذه الشركة في الانتشار سواء كان في مكاتبها المفتوحة او بفتح مكاتب جديدة وعلى ذلك فتح مكتب اسيوط في سنة (١٨٨٩) ثم مكتب الفيوم في سنة (١٩٠٨) وبعدها مكتبا المنيا وبنى سويف في سنة (١٩٠٩) ومكتب الاسماعيلية في سنة (١٩١٢) ومكتب دمنهور في سنة (١٩١٣) ومكتب كفر الزيات في سنة (١٩١٤) ولما طلبت الشركة المذكورة من الحكومة بتاريخ ٢٠ اكتوبر سنة (١٨٩١) الترخيص لها بانشاء اسلاك تليفونية جديدة خاصة ببعض الافراد في داخل القطر رأت الحكومة ان تضع شروطها خصوصية بهذه الاسلاك التى تركب في جهات خارجة عن الجهات التى نالت

الشركة عنها ترخيصاً خصوصياً

« ومن بين هذه الشروط الخصوصية نذكر أهمها وهي الآتية :

(أولا) حفظت الحكومة لنفسها الحق في الترخيص أو رفض هذه الاسلاك وهي مع ذلك آخذة دائماً في الازدياد

(ثانياً) حددت الحكومة في أول الامر مدة الالتزام خمس سنوات يسوغ تجديدها برضاء الشركة لمدة مساوية لها وتقرر فيما بعد أن يكون انتهاء مدد جميع الامتيازات التى منحت وستمنح في يوم واحد وهو ٣١ ديسمبر سنة (١٩١٧)

(ثالثاً) قررت الحكومة أن تدفع لها الشركة مبلغاً قدره عشرون قرشاً في السنة عن كل ميل انجليزى وذلك عن الاسلاك المقامة في جهات غير الجهات الموجودة فيها مواصلات تلغرافية أو كانت بعيدة بأكثر من كيلو مترين من مكتب تلغرافي ، ومبلغ ٥٠ قرشاً في السنة عن كل ميل انجليزى في الجهات المرتبطة بمواصلات تلغرافية وكانت المسافة بينها و بين مكتب تلغرافي أقل من كيلو مترين

« وفي سنة (١٩٠٠) عقد اتفاق آخر بين الحكومة والشركة بمد المواصلات التليفونية داخل الاقاليم حتى تتيسر المخابرة بين القرى والمراكز النائية لها أو بين بعضها بعضاً وعلى ذلك ابتدأت الشركة بمد هذه المواصلات في مركز منيا القمح

« ونظرا لما أتى به هذا المشروع من عظيم الفائدة صار تعميمه في جملة مراكز أخرى حتى انه لم تنته سنة (١٩١٦) الا وكانت هذه المواصلات منتشرة في انحاء جميع المديريات

« وعلى اثر ذلك أبرمت اتفاقات خصوصية بين الحكومة والشركة عن المدد التليفونية التى توضع في مصالح الحكومة وآخر هذه الاتفاقات كان في أول يناير سنة (١٨٩٩) ولمدة خمس وعشرين سنة . هذا وانا لا نألو جهداً في مواقاة القراء بالاتفاقات المديدة المبرمة بين الحكومة والشركة عن وضع مواصلات جديدة

« ومن الجداول الآتية يعلم مقدار امتداد الخطوط التلفونية داخل القطر

« اما الاسلاك التى في الاقاليم فتقوم الحكومة بانشائها وصيانتها وعلى

الشركة ادارة تشغيلها بمرفقها وحدها وتحت مسئوليتها وبشروط مختلفة واما بعض الخطوط مثل الخط الواصل بين القاهره والاسكندرية فتدفع الشركة عنها ايجاراً سنوياً قدره ثلاثة جنيهات مصرية عن كل كيلو متر واحد منها وفي غيرها من الخطوط الاخرى تقاسم الحكومة الشركة بنسبة ١٠ في المئة من اجمالي ايراداتها وتستولي ايضا بضمان الشركة على اجرة سنوية مقررة بحسب طول الخطوط

«وبلغ مجموع الخطوط التلغرافية التي تحت الارض في المدن ٢٩ الف و ٨٦٤ كيلو متراً . ومجموع الخطوط الهوائية ٤٢ الف و٧٥ كيلو متراً فيكون مجموعها ٨٤ الف و٢٨٤ كيلو مترا

«وهناك خطوط لخدمة الحكومة والافراد والمكاتب العمومية يبلغ طولها ١٨ الف و٤١٠ كيلو مترات

«وقد بلغ مجموع ايراد هذه الخطوط ١٧٨ الف و٤٠٣ جنيهات وبلغت نفقاتها ١١٠ آلاف و٥٣٦ جنيها

(الحجاج) وورد في الاحصاء المذكور بيان عدد الحجاج الذين مروا بالسويس في عدة سنين فاختار سنة (١٩١٣) لانها كانت قبل سنة الحرب مباشرة فهي أدل على حقيقة العدد العادي من السنين التالية

« كان عدد الجزائريين ٣٩٢٢ والمصريين ١٤٥١٤ والمراكشيين ١٥٩ والعثمانيين ١٣٢٠ والاعجام ٢٠٥٦ والروسيين ٢٤١٧ والتونسيين ١٤٠٥ وغيرهم ٦٣٣

(قناة السويس) جاء في الاحصاء الرسمي تحت هذا العنوان مانصه :

«ان اول مشروع درس في العصور الاخيرة لحفر قناة تصل البحر الابيض المتوسط بالبحر الأحمر منتسب الي زمن الحملة الفرنسية سنة (١٧٩٨) حينما قدم المهندس (لبير) الي الجنرال بونابرت سنة (١٨٠٠) مشروعه الخاص بحفر قناة ذات بوابات تنفصل عن النيل بقرب الزقازيق متجهة شمالا نحو بلوز وجنوبا نحو السويس

« ولكن المشروع الذي تم بحفر القناة في برزخ السويس راجع الي فرديناند دولسبس مدة اقامته في مصر بصفة ممثل دولة فرنسا السياسي في القطر (١٨٣٩-١٨٣٨) فانه بيّن مشروعه في تحرير كان

في النية رفعه الي المغفور له عباس باشا الاول لولا العلم بان الوالي كان مضاداً لكل مشروع من هذا القبيل سنة (١٨٥٢)

«وفي ٣٠ نوفمبر سنة (١٨٥٤) بعد محادثات جرت بين المغفور له سعيد باشا وفرديناند دولسبس اعطي الاول الثاني امتياز حفر القناة واستثمارها لمدة مئة سنة ابتداء من تاريخ فتح القناة للملاحة وستنتهي هذه المدة في شهر نوفمبر سنة (١٩٦٧) وتصبح القناة في ذلك الوقت ملكا للحكومة المصرية . وقد سمت شركة القناة في سنة (١٩١٠) في اطالة مدة الامتياز ٤٠ سنة ولكن بلا فائدة

«وأتم دولسبس درس مشروعه في المدة من سنة (١٨٥٤) الي (١٨٥٨) بمعاونة المهندسين الفرنسيين لينان وموجيل اللذين كانا في خدمة الوالي وقدم سعيد باشا المشروع الي لجنة فنية دولية اقرته بعد زيادة البرزخ اول يناير سنة (١٨٤٥)

«وفي ١٠ ديسمبر سنة (١٨٥٨) تألفت شركة قناة السويس العمومية برأس مال قدره مئتا مليون من الفرنكات وابتدات عملية الحفر في ٢٥ ابريل سنة (١٨٥٩) واحتفل بافتتاح القناة في ٧ نوفمبر سنة (١٨٦٩)

«أما قناة السويس فعبارة عن طريق للملاحة خال من البوابات يصل البحرين الاحمر والمتوسط طوله (١٦٤) كيلو متراً بما في ذلك بواغيز الموانئ

«وبلغ عمق القناة تحت سطح الماء ثمانية امتار بعد تمام عمليات الحفر الاولي بعرض ٢٢ متراً في قاعها

ومن ثم اجريت اشغال مهمة لتحسين القناة وتنظيمها حتى بلغ عمقها الحالي عشرة امتار ونصف على الاقل واقل عرض لقاعها ٤٥ متراً . اما النهاية العظمى لعمق الماء المسموح للمراكب التي تختار القناة للدخول فيه فهي ثلاثون قدما انجليزيا اي تسعة امتار و ١٤ سنتيما

«وقد شرع في ادخال تحسينات جديدة بها ليبلغ عمق القناة ١٢ متراً وعرضها في القاع ٦٠ متراً في الجزء الواقع بين البحيرة الكبرى والسويس وتقرر أيضا انشاء محطات بحرية يكون فيها عرض قناة السويس ستون متراً وطولها ثمان مئة متر وذلك كل عشرة كيلومترات في الجزء الواقع بين بور سعيد والبحيرة المذكورة

«وتسهيل الملاحة ليلا ونهاراً وضعت علامات لارشاد السفن طول القناة وعلى شاطئيها مرابط السفن عند تقابلها لانه ما عدا في بعض الاحوال عند تقابل سفينتين يجب على احداهما ان ترسو لتمر الاخرى

« أنشئت كذلك محطات للاشارات كل عشرة كيلو مترات للاحظة السفن في سيرها واعطائها التعليمات اللازمة لاجتياز القناة وتصل سلوك التلغراف والتليفون . هذه المحطات ببور سعيد والاسماعيليه والسويس

« ولشركة القناة اسطول من البواخر الخاصة لسحب السفن التي تجنح على الشاطئ، وهي معدة أيضاً لمعاونة السفن التي يتسرب الماء اليها أو التي تشب النار فيها

(تعريفة رسوم اجتياز القناة) تضمن عقد امتياز حفر القناة اعطاء الشركة حق فرض رسم لا يتعدى العشرة فرنكات على كل طن من اجمالي حمولة المراكب ولكن الشركة كانت تحصل هذا الرسم عن كل طن من صافي الحمولة الرسمية المقيدة بدفاتر المركب وحددت النهاية الكبرى لعمق حجم السفينة في الماء الى سبعة امتار ونصف

«فرضت الشركة الرسم المنوه عنه سابقا على اجمالي الحمولة الرسمية»

«ومبلغ الرسم المقرر الآن من كل راكب عشرة فرنكات وعن كل ولد بالغ من العمر ٣ الى ١٢ سنة ونصف هذه القيمة اما الاولاد الذين لا يتجاوز أعمارهم الثلاث سنين فلا يدفع عنهم رسم ما

«والمدة التي تستغرقها المراكب في اجتياز القناة ١٦ ساعة تقريبا

(المجالس البلدية والمحلية) وجاء في الاحصاء المذكور تحت هذا العنوان مانصه :

«تنقسم الادارات البلدية في القطر المصري الى ثلاثة انواع مختلفة

(ا) مجالس بلدى الاسكندرية

(ب) المجالس البلدية المختلفة او البلديات

(ج) المجالس المحلية العادية

(مجالس بلدى الاسكندرية) يرجع تأسيس مجالس بلدى الاسكندرية الى لجنة من اعيان المدينة الذين كانوا اعضاء قومسيون الدائرة البلدية الملغاة . ذلك

القومسيون المؤقت الذي كان مكلفا بالانشاء وتنظيم الطرق بواسطة ضرائب اختيارية وقد الغي في ١٥ مارس سنة (١٨٨٩)

« في شهر يوليه سنة (١٨٨٧) قدمت اللجنة المشار اليها عريضة الى وكلاء الدول ضمنتها مشروع المجلس البلدى وفي ٥ يناير سنة (١٨٩٠) صدر الامر العالي بتشكيل قومسيون لمجلس بلدى الاسكندرية

« ومن ذلك الحين لم يدخل على نظامه تعديل ما

« يشكل المجلس من ٢٨ عضواً كالآتي وهم :

« ستة أعضاء قانونيين وهم محافظ الاسكندرية أو وكيله والنائب العمومي لدى المحاكم المختلطة ومدير عموم الجمارك أو وكيله ، ورئيس النيابة أمام محكمة الاسكندرية الاهلية أو وكيله والطبيب الشاغل في الاسكندرية أرقي وظيفة بين مستخدمي مصلحة الصحة العمومية ، والمهندس الشاغل في الاسكندرية أرقي وظيفة بين مستخدمي وزارة الاشغال العمومية

« ثمانية أعضاء يعينون من قبل الحكومة

« ستة أعضاء منتخبون بمعرفة الناخبين الذين لا يقل منهم من خمس وعشرين سنة ولا تنقص قيمة ما يدفعه كل منهم عن خمسة وسبعين جنيهاً مصريا ايجار مسكن سنوياً

« ثلاثة أعضاء منتخبون بواسطة تجار الصادرات

« ثلاثة أعضاء منتخبون بواسطة تجار الواردات

« عضوان ينتخبان بمعرفة ذوى الاملاك الكائنة بمدينة الاسكندرية وضواحيها

«هذا ولا يجوز أن يعين في القومسيون البلدى أكثر من ثلاثة أعضاء منتخبين من جنسية واحدة سواء كانت مصرية أو أجنبية

«كانت ايرادات المجلس البلدى للاسكندرية في سنة (١٨٩) ٥٤٩١٠ جنيهات فبلغت في سنة (١٩١٥) - (١٩١٦) ٣٢٧٧٦٢ جنيها

(المجالس المحلية المختلطة أو البلديات) ان المجالس المحلية المختلطة أو البلديات

لاتختلف عن مجلس بلدى الاسكندرية الا في مسألة جوهرية واحدة وهي كون الضرائب البلدية فى هذه المجالس غير مصادق عليها من الدول وبذا فانها لا تسرى على الاجانب بمجرد صدور لوائح مصرية بها

(فتشكيل البلديات على هذه الصفة يستدعي حينئذ أن يقبل السكان مقدما بالضرائب التى تقدمها تلك البلديات لاصلاح المدينة والسكان الذين يقبلون أن يكونوا الهيئة الناخبة ويلزمون بدفع تلك الضرائب

(والمبدأ الذى عليه تشكيل البلديات هو أن يكون عدد أعضائها احد عشر ثلاثة منهم أعضاء قانونيون وهم المدير بصفة رئيس ومفتش الصحة ومفتش المدن والمباني بالمديرية وأربعة أعضاء وطنيين ينتخبهم الوطنيون وأربعة أعضاء أوروبيين ينتخبهم الاوروبيون بحيث لايجوز تعيين أكثر من اثنين من جنسية واحدة

أما ايرادات هذه البلديات فتكون من الانواع الآتية :

(١) اعانات من الحكومة

(٢) الضرائب المتنازل عنها الحكومة مثل عوائد الذبيح ورسوم أشغال الطريق العمومى والتنظيم

(٣) الضرائب الاختيارية التى تقبل السكان تقريرها على المحصولات الصادرة من والى المدينة وكذا المباني وغيرها

(٤) الارباحات الناتجة من مدمواسير المياه والنور

« وقياما بدفع المصاريف الخاصة بمد هذه المواسير تقترض البلديات من الحكومة مبالغ تسددها على أقساط سنوية قدرها خمسة في المئة من قيمة القرض يخصم منها اثنان ونصف لحساب الفائدة والباقي يحسب لاستهلاك القرض المذكور

(المجالس المحلية العادية) المجالس المحلية العادية تختلف عن المجالس المحلية المختلطة فان هذه فيها هيئتان ناخبتان احداهما وطنية والاخرى أوربية

(ثانياً) أن يكون عدد أعضائها سبعة : ثلاثة قانونيون وهم المدير بصفة رئيس ومفتش الصحة ومفتش المدن والمباني في المديرية وأربعة منتخبون

« وايراداتها يوجه عام من مساعدة

الحكومة كما هو آت :

(١) الاعانة

(٢) المحصل من الضرائب المتنازل عنها الحكومة

(٣) الارباحات الناتجة من مواسير المياه والنور ومصاريف ذلك مأخوذة من الاموال المقروضة لها من الحكومة

(٤) المساعدة المالية من الاهالي (وهي مهمة جدا في المجالس المحلية المختلطة) ومع انها ليست مقررة في الاصل الا ان أهالي دمياط قاموا بهذه المساعدة من تلقاء انفسهم فقرروا على أنفسهم بأنفسهم ضرائب اختيارية وبذا كانوا قدرة لاهالي المدن التى أنشيء فيها بعد ذلك مجالس محلية . والاختصاصات المهمة التى تعهدت بها المجالس المحلية المختلطة والمجالس العادية هى ادارة حركة ايرادات المدينة ومصلحة التنظيم والطرق والكنس والرش وتبليط وانارة الشوارع والميادين العمومية واعمال التطهير وخدمة المياه والوقاية من الحريق و وضع الميزانية وكافة الاعمال التى ينطبق عليها معنى البلدية والاشغال غير العادية التى تكلفها بها وزارة الداخلية . وقياما بتلك الاعمال يمكن لهذه المجالس عقد قروض بمصادقة وزارة الداخلية وموافقة وزارة المالية

(الهيئة الناخبة) وعدا عن التعهد الخاص بدفع الضرائب البلدية كما هو مذكور آنفاً يشترط مبدئياً ان يكون الناخب في المجالس البلدية المختلطة حائزاً (ماعدا بعض الاحوال) الشروط الآتية:

(١) ان يكون سنه خمسا وعشرين سنة

(٢) ان يكون مقيما في نفس المدينة

(٣) ان يملك في المدينة اما عقاراً أو يدفع عنه عوائد ملك سنوية قدرها جنيهان مصريان أو أطيانا يدفع عنها مالا سنويا قدره أربعة جنيهات مصرية أو أن يكون محترفا بحرفة حرة

(٤) ان يكون ذا لياقة تامة لهذا المركز كما ولم يصدر في حقه أحكام تحط بقدره

(قسم البلديات والمجالس المحلية) تسيير البلديات والمجالس المحلية جميعها تحت ادارة ومراقبة قسم البلديات والمجالس المحلية الكائن مركزه في وزارة

الداخلية واختصاصاته هي :

(١) تحضير مشروع انشاء المجالس المحلية العادية والمجالس المحلية المختلطة والقيام بتنظيمها في مدن الاقاليم التي تطلب اهاليها ان يكون لهم مجالس وعليه أيضاً مراقبة سيرها وتوصيم مواردها على الوجه الانفع لصالح الاهالي وعدا ذلك فهو الواسطة بين هذه المجالس والوزارات

(ب) عليه بواسطة مهندسيه وضع خطوط التنظيم وانشاء الطرقات العمومية ومراقبة اعمال الطرق

(ج) عليه بواسطة مهندسيه أيضاً وضع مشروعات من مواسير المياه والنور والمصارف في تلك المدن ومراقبة هذه الاعمال

(اللجنة الاستشارية) وتوصلا لحل المسائل المهمة تساعد قسم البلديات لجنة تسمى (باللجنة الاستشارية) وتتشكل من وكيل وزارة الداخلية رئيساً ومدير عموم المساحات المصرية بالنيابة عن وزارة المالية ومدير عموم مصلحة المدن والمباني بالنيابة عن وزارة الاشغال العمومية ومدير قسم البلديات فتعرض عليها المسائل المهمة الخاصة بالميزانيات وعد مواسير المياه والنور والالتزامات وكافة المسائل التي تعتبر مبدأ فتقرر فيها رأياً ويكون قرارها نافذا

(وزارة الاوقاف) جاء في الاحصاء الرسمي لسنة (١٩١٥) تحت هذا العنوان ما نصه :

(بيان تاريخي) الوقف هو حبس عين عن التمليك بخصوص الواقف ريعها لاعضاء عائلته او لغيرهم بشرط أن يصرف بعد انقراض المستحقين على وجه من وجوه الخير والبر كمسجد أو مدرسة أو التصدق على الفقراء وهذا ما يسمى بالوقف الاهلي

« ويوجد نوع آخر من الوقف يسمى (بالوقف الخيري) وهو اما أن يكون وقفاً أهلياً تحول الى خيري بعد انقراض المستحقين وذريتهم او موقوفاً مباشرة على وجه من وجوه الخير والبر

« ففي النوعين الاهلي والخيري يعين الواقف الناظر الذي يدير أعيان الوقف وعادة يحفظ لنفسه الحق في النظارة وفي ريع الوقف ويختار الناظر الذي يخلفه من

المستحقين فاذا انقرضوا كلهم ولم يوجد نص بالوقفية أو كان النص يستلزم الخيار فللقاضي وحده تعيين الناظر

« ومع مضي القرون كثر عدد الاوقاف الخيرية وكان يديرها نظار كثيرون لا رقيب عليهم فصاروا يتناولون الجزء الاكبر من ريعها ويهملون وجوه الخير والبر المخصص لاجلها هذا الرابع الى أن صارت المساجد تتخرب وأصبحت المدارس والمكاتب مهجورة وذلك رغماً عن وفرة ايراد الاعيان الموقوفة عليها . ثم ان هذه الاعيان نفسها صارت تؤول الى السقوط وتصبح لا ريع لها لاهمال النظار في ترميمها وحفظها فلملافاة هذه الحالة شكل محمد علي باشا الكبير في سنة (١٨٣٥) ادارة عمومية للاوقاف المذكورة وألفاها بعد ثلاث سنوات ثم أعاد تشكيلها عباس باشا الاول في سنة (١٨٥١) وكان اختصاصها قاصراً على ادارة مراقبة النظار ومحاربة القاضي لطلب عزل من يتضح لها منهم اهماله أو اختلاسه مال الوقف وفي سنة (١٨٦٤) قرر اسماعيل باشا انها تخلف كل من مات أو عزل منهم

« ومن ذلك الحين صارت الادارة المشار اليها ليست فقط تراقب ادارة نظارة الاوقاف الخيرية بل تدير أيضاً جزءاً منها وعدد أوقاف هذا الجزء آخذ في الازدياد زيادة مطردة من وقتها الى الآن

« وفي عهد اسماعيل باشا جعلت نظارة يديرها ناظر كباقي نظارات الحكومة واستمرت كذلك لغاية ٢٣ يناير (١٨٨٤) اذ اتفق توفيق باشا مع نوبار باشا الذي كان وقتئذ رئيس مجلس النظار على جعلها مصلحة مستقلة عن النظارة يديرها مدير عام يتلقى الاوامر بشأنها من سمو الخديو مباشرة

« وفي ١٣ يوليه سنة (١٨٩٥) صدر أمر عال بناء على طلب مجلس النظار وبعد أخذ رأي مجلس شورى القوانين بالتصديق على لائحة عمومية لديوان الاوقاف من ضمن مانص فيها انه يدير الاوقاف الاهلية التي يعين حارسا قضائيا عليها والتي يطلب نظارها ومستحقوها أنابته عنهم في ادارتها . وان تصرفات القاضي في الاوقاف الاهلية أو الخيرية التي في ادارة الغير من استبدال وتحكير واستدانة وعزل أو تولية نظار يؤخذ رأي

الديوان فيها وهو يقدم ملاحظاته عنها في مدة ١٥ يوما والا جاز للقاضي توقيع الصيغة الشرعية للتصرفات المطلوبة وأن يكون تنظيم حسابات الديوان والسير فيها بمقتضى القواعد التي تقررها لذلك نظارة المالية. وفي ٢٠ نوفمبر سنة (١٩١٣) صدر أمر عال بتحويل ديوان الاوقاف الي نظارة من نظارات الحكومة وقضت المادة الثالثة من ذلك الامر أن تكون ميزانية الاوقاف نافذة المفعول بمقتضي ارادة سلطانية بعد تصديق المجلس الاعلي و بعد أخذ رأى الجمعية التشريعية ويقدم للجمعية التشريعية الحساب الختامي أيضا لكل سنة بعد انقضائها »

(الايرادات والمصروفات والمال الاحتياطي للأوقاف) بلغت ايرادات الاوقاف سنة (١٩١٥ — ١٩١٦) ٤١٣٠٠٠ جنيه وكانت سنة (١٩١٣) أى قبل الحرب ٥١٨٩٠٠ جنيه وبلغت نفقاتها (٤٧٠٩٥٨) جنيها وبلغ مالها الاحتياطي ٧٤٤٣ جنيها

(المعاهد العلمية الدينية) المعاهد الدينية هي الجامع الازهر ومعاهد الاسكندرية وطنطا ودسوق ودمياط وأسيوط

(الجامع الازهر) هو أول مسجد أنشيء بالقاهرة (تقول القاهرة غير الفسطاط التي بنى بها عمرو بن العاص مسجده) أنشأه القائد جوهر في سنة (٣٦١) وأول من رتب في المدرسين هو الخليفة الفاطمي العزيز بالله نزار بن المعز سنة (٣٧٢) هجرية . وينقسم التعليم الي ثلاثة أقسام أولى وثانوى وعال ومدة كل قسم ٥ سنين وبه مكتبة جليلة يبلغ ما فيها من المجلدات ٣٩٤٦٩

(المعهد الديني بأسيوط) أنشيء هذا المعهد بارادة سلطانية بمدينة أسيوط واحتفل بافتتاحه يوم ٢٧ ذى الحجة سنة (١٣٣٣) الموافق ٦ نوفمبر سنة (١٩١٥)

(المستشفيات وما يماثلها) يتبع وزارة الاوقاف ثلاثة مستشفيات وثماني عيادات وأربع تكايا وملجأ لتربية اليتامي وقد بلغ عدد المرضي الذين عولجوا فيها في المدة من أول ابريل سنة (١٩١٥) لغاية مارس سنة (١٩١٦) ٥٦٤٢٤١

(المساجد وملحقاتها) المساجد وملحقاتها التي كانت تديرها الوزارة في سنة

(١٩١٥—١٩١٦) مالية يبلغ عددها ١٤٧٥ ينفق عليها مبلغ ٦٣٠٠٠ جنيه مرتبات خدمة يبلغون ٧٠٤١ في وظائف متنوعة ويبلغ عدد الجهات الاهلية ١٦٥ عملا بها من الخدمة ٦٨٦

(الدين العمومي المصرى) جاء في كتاب الاحصاء الرسمي تحت هذا العنوان مانصه :

(لمحة تاريخية) افتتحت مصر عهد سلفها العمومية بقرض عقده واليها سعيد باشا في سنة (١٨٦٢) وكان مقداره ٢٢٩٢٨٠٠ جنيه انجليزى تستهلك في مدة ثلاثين عاما وفائدته سبعة في المئة

«وقد عقد الخديو اسماعيل باشا في أيام ولايته قروضاً عديدة منوعا هو بضمانة أملاك العائلة الخديوية (الدوائر) وفي الجدول الآتي بيان عن حالة الدين العمومي في أوائل سنة (١٨٧٦)

تاريخ القرض	قيمة القرض	معدل الفائدة	تاريخ السداد	سنة ١٨٧٦
١٨٦٢	٢٣٩٢٨٠٠	٧	١٨٩٢	٢٥١٧٠٠٠
١٨٦٤	٥٧٠٤٠٠	٧	١٨٧٩	٢١٣٢٠٠٠
١٨٦٥	٣٣٨٧٣٠٠	٧	١٨٨١	١٤٥٧٣١٢
١٨٦٦	٣٠٠٠٠٠٠	٧	١٨٨٤	— — —
١٨٦٧	٢٠٨٠٠٠٠	٧	١٨٨١	١٠٥٧٥٠٠
١٨٦٨	١١٨٩٠٠٠٠	٧	١٨٩٨	١٢٨٢٢٥٢٠
١٨٧٠	٧١٤٢٨٦٠	٧	١٨٩٠	١٠٣٢٦٢٠
١٨٧٣	٣٢٠٠٥٠٠٠	٧	١٩٠٣	٣١٣٠٣٦٥٩
	٦٨٤٦٧١٦٠			٥٣٣٢٦١١

« وما عدا ذلك فقد كان على الحكومة والدوائر من الدين السائر ما تبلغ قيمته ٢٣٠٠٠٠٠٠ جنيه انجليزى

« وحيث ان جميع هذه القروض أصدرت بشروط فادحة فالمبالغ التي دخلت منها فعلا خزينة الحكومة كان أقل كثيراً من قيمتها الاسمية . وكانت جميع ايرادات الحكومة مخصصة لاستهلاك كل من هذه الديون وفي بعض الاحيان لعدة ديون معا

« وزيادة على ذلك فانه يقتضي القانون المعروف بقانون المقابلة الذي أصدر وسنة (١٨٧١) أعني أصحاب الاطيان على الدوام من نصف الاموال المفروضة على أطيانهم مقابل دفعهم الحكومة مبلغاً يعادل قيمة تلك الاطيان عن ست سنوات سواء كان دفعة واحدة أو بأقساط متتابعة لمدة ست سنوات . وفيما بعد أجل هذه الاقساط الى اثنتي عشرة سنة. وهذا العمل يعد بمثابة قرض فائدته ثمانية وثلث في المئة

« فالعسر المالي الذي وقعت فيه الحكومة المصرية وعدم اقتدارها على القيام بالنفقات الناتجة عن هذه القروض أوجبا اصدار الامر العالي المؤرخ ٦ ابريل سنة (١٨٧٦) القاضي بايقاف دفع السندات والبونات المستحقة في ذلك الحين

« وفي ذلك الاثناء كان قد تعين المستر (ستيفن كيف) أحد موظفي الحكومة الانجليزية لدرس الحالة المالية للحكومة المصرية فقدم تقريراً أشار فيه من جهة باستعمال محصولات المقابلة لسداد القروض القصيرة الميعاد التي أصدرت سنة (١٨٦٤) و(١٨٦٥) و (١٨٦٧) ومن جهة ثانية بتحويل سائر الديون الى دين واحد قدره ٧٥٠٠٠٠٠٠ جنيه انجليزي يسدد في خمسين سنة وفائدته ٧ في المئة . وقد أشار أيضاً بانشاء مصلحة للمراقبة يعهد اليها باستلام محصولات بعض أنواع الايرادات على أن لا يصدر أي قرض جديد الا بعد موافقتها عليه

« وقد صدر في ٢ مايو سنة (١٨٧٦) أمر عال يعلن قرب توحيد الديون ويقضي بانشاء مصلحة صندوق الدين العمومي تحت ادارة قومسيون يؤلف من أعضاء أجانب يعينهم الجناب الخديوي بناء على ما تعرضه الدول التابع لها كل منهم مع توكيل تلك المصلحة باستلام الايرادات المخصصة لخدمة الدين من المصالح المحلية

واستعمالها لهذا الغرض دون سواه . وكان هذا الامر يقضي أيضاً على الحكومة بعدم اجراء أي تعديل كان من شأنه تنقيص أموال الاطيان المخصصة لخدمة الدين بغير موافقة القومسيون المذكور وأن لا يعقد أي قرض جديد الا لاسباب تقضي بها حاجة القطر وبعد الحصول على موافقة القومسيون المذكور غير أنه حفظ الحق للحكومة بأن تستلف بالحساب الجاري مبلغاً لا يزيد عن خمسين مليون فرنك للقيام بخدمة الخزينة وتقرر أن تكون المحاكم المختلطة مختصة بنظر كل الدعاوى التي يرى صندوق الدين دفعها على الادارة المالية خدمة لمصالح أصحاب الديون

« وفي سبعة مايو من السنة المذكورة صدر أمر عال بتحويل ديون الحكومة العائمة السنية الى دين واحد قدره ٩٠٠٠٠٠٠٠ جنيه وفائدته سبعة في المئة يسدد في مدة ٦٥ سنة . وقد جاء في الامر المذكور أن السندات المختصة بقروض سنتي ١٨٦٢ و ١٨٦٨ و ١٨٧٠ و ١٨٧٣ تستبدل بسندات جديدة من الدين العمومي بواقع المائة مئة وأن اصحاب قروض سنتي ١٨٦٤ و ١٨٦٥ و ١٨٦٧ يعطون سندات جديدة تحسب لهم بواقع خمسة وتسعين في المئة من قيمتها الاسمية . أما سندات الدين السائر فتستبدل بسندات جديدة بواقع ثمانين في المئة من قيمتها الاسمية

« وخصص لخدمة هذا الدين ايرادات مديرية الغربية والمنوفية والبحيرة وأسيوط وعوائد الدخولية في القاهرة والاسكندرية ورسوم الجمارك وايرادات السكك الحديدية وعوائد الدخان والملح وعوائد الملاحة وبعض رسوم أخرى وقدر مجموع الايرادات المذكورة بمبلغ ٦٤٠٥٢٥٦ جنيها انجليزيا بما في ذلك المبلغ المقرر على الدائرة السنية وقدره ٦٨٤٤١١ جنيها انجليزيا وتقرر أيضاً ايقاف دفع المقابلة

« وقد أحدث هذا القرار احتجاجات عديدة من الاجانب حاملي الاسهم وخصوصاً أصحاب سندات القروض ذات المدة القصيرة وسندات دين الدائرة السنية . وعلى أثر المعارضات التي جرت مع الحولجيات جوشن وجوبير بصفة كونهما وكيلين عن أصحاب الديون صدر في ١٨ نوفمبر سنة ١٨٧٦ أمر

بتعديل المشروع الاول بالكيفية الآتية:

(ا) فصل ديون الدائرة السنية عن ديون الحكومة وعقد اتفاق خصوصي بشأنها

(ب) اصدار سندات ممتازة بمبلغ ١٧ مليون جنيه انجليزى فائدتها خمسة في المئة تسدد في مدة ٦٥ سنة على أن يبدأ بأخذ المبالغ اللازمة لخدمتها من الايرادات المخصصة للدين وخصوصا من ايرادات مصلحة السكك الحديدية وميناء الاسكندرية التي عهد بادارتهما الى مجلس دولى وتلك السندات تعطي بالافضلية لحاملي سندات قروض سنى ١٨٦٢ و ١٨٦٨ و ١٨٧٣

(ج) أقراض قروض سنى ١٨٦٢ و ١٨٦٥ و ١٨٦٧ من الدين الموحد واستهلاكها بواسطة احكام العقود الخاصة بكل منها بواقع ثمانين في المئة بواسطة ايرادات المقابلة التي أعيد تحصيلها بهذا القرار

(د) تخفيض العلاوة المقررة في الامر العالي المؤرخ ٧ مايو سنة (١٨٧٦) لاصحاب الدين السائر من ٢٥ الي عشر في المئة

(ه) تخفيض الدين الموحد الى ٢٩ مليون جنيه انجليزى وابقاء الايرادات المبينة أعلاه وتقرر انه علاوة على المبلغ المخصص لدفع الفوائد التي خفض معدلها الي ٦ في المئة يستعمل معزيادة ايرادات الميزانية مئة وخمسين الف جنيه انجليزى يصير الاستهلاك بواقع ثمانين في المئة

(و) اعتبار صندوق الدين بصفة مستديمة لغاية استهلاك الدين بأكمله

« وفي ١٢ و١٣ يوليه من سنة (١٨٨٠) عقد اتفاق بخصوص تسوية دين الدائرة فيما بين وكلاء أصحاب الديون من جهة وبين كل من الدائرة السنية والدائرة الخاصة من جهة أخرى فبموجب الاتفاق الاول تحول قروض سنة ١٨٧٠ والدين السائر للدائرة السنية الى دين واحد قيمته ٨٨١٠٤٣٠ جنيها انجليزيا ودعي بدين الدائرة السنية الممتاز وقررت له فائدة قدرها ٥ في المئة مع جواز بلاغها الي ٧ في المئة في بعض الاحوال على أن يكون الاستهلاك بطريقة الشراء أو بطريقة القرعة بواقع خمسة وسبعين في المئة أو بواقع المئة مئة حالما يخفض الدين الي خمسة ملايين جنيه انجليزى

(وخصص لخدمة هذا الدين ايرادات الدائرة السنية والدائرة الخاصة مضافة اليها اعانة معينة تؤخذ من مخصصات الحضرة الخديوية وكل ما زاد من الايرادات على فائدة الخمسة في المئة يخصص للاستهلاك ودفع فائدة اضافية لاصحاب الديون واعفاء مخصصات الحضرة الخديوية من الاعانة المقررة عليها وتحسين حالة الاملاك وذلك حسب نص الشروط المبينة في العقد ولذلك رهنت أملاك الدوائر المذكورة لاصحاب الديون ووضعت تحت ادارة مراقبين يعينها أصحاب الديون . ثم أنه بموجب اتفاق ١٣ يوليه الذى عقد مع الدائرة الخاصة تقرر انشاء سندات خصوصية لحاملي سندات الدين السائر للدائرة السنية ولحاملي بونات الدائرة على الخزينة (وهذه البونات داخلة في الدين الموحد) وتلك السندات الخصوصية تمثل قيمة الدين البالغ قدره ١٩٨٤٥٤٢ جنيها انجليزيا مع زيادة ١٠ في المئة وفائدتها ٥ في المئة وتقرر أن يصير استهلاكها بطريقة الشراء او بطريقة القرعة بواقع خمسة وسبعين في المئة وان يخصص لخدمتها قسط سنوى قدره ٥٠ الف جنيه انجليزى تؤخذ من مخصصات الحضرة الخديوية

« وكانت الشؤون المالية تزداد عسراً حتى انه في أوائل سنة (١٨٧٨) عينت لجنة للتحقيق خولت سلطة عامة للنظر في هذه الحالة فكانت احدى النتائج الاولى من أعمال صدور أمر عال في ٢٦ اكتوبر سنة (١٨٧٨) يقضي بالتنازل للحكومة عن بعض أملاك تخص جملة أعضاء من العائلة الخديوية واصدار قرض قدره ٧ ملايين وخمس مئة الف جنيه انجليزى وفائدته ٥ في المئة مضمونا بتلك الاملاك التي عهد بادارتها الى قومسيون دولي

(وفي حالة عدم كفاية ايرادات الاملاك المذكورة لخدمة هذه السلفة يؤخذ الفرق من ايرادات الحكومة العمومية ويقتضي الاتفاقية المحررة في ٣١ اكتوبر مع محل روتشلد المدونة فيها شروط هذه السلفة رخص القومسيون ببيع تلك الاملاك كلها أو بعضها وتخصيص صافي المحصل من هذه المبيعات مع مايزيد من الايرادات بعد سداد الفوائد لاستهلاك السلفة على أن يكون هذا الاستهلاك بطريقة القرعة بواقع المئة مئة

الشراء بسعر السوق

ثم انه بمقتضى الامر العالي المؤرخ ٢٢ ابريل سنة (١٨٧٩) خفضت فائدة الدين الموحد مؤقتاً الى ٥ في المئة وفي خلال الشهر المذكور رفعت لجنة التحقيق تقريرها النهائي فجاء في نتيجته

(اولا) ان الحكومة المصرية في حالة الافلاس

(ثانيا) انه يجب اتخاذ بعض الوسائل لتسوية الحالة المالية وتصفية ديون الحكومة

(ثالثا) ان الحالة تستدعي تشكيل لجنة التصفية

(وقد دعت الحوادث التي جرت بعد تقديم هذا التقرير الى عزل الخديو اسماعيل باشا وتولية نجله توفيق باشا في ٢٦ يونيه سنة (١٨٧٩)

وجاء الفرمان السلطاني الصادر في صيغة أغسطس بهذه التولية محظراً على الخديو عقد القروض الا ما كان منها مختصاً بتسوية الحالة المالية في ذلك الحين

وصدر أمر عال في ٦ يناير سنة (١٨٨١) يقضي بالغاء قانون المقابلة نهائياً

(وفي ٣١ مارس أنشئت بأمر عال لجنة التصفية مؤلفة من أعضاء ينوبون عن مصر وعن الدول الاجنبية فكلفت بتحضير قانون لتسوية علاقات الحكومة مع دائنيها على أن تجعل أساساً لعملها الآراء التي أبدتها لجنة التحقيق في نتيجة تقريرها . فوضعت هذه اللجنة قانوناً دعي بقانون التصفية وصدر في ١٧ يوليه سنة (١٨٨٠) وكان من أهم أحكامه ما يلي :

(ا) اصدار سندات ممتازة اضافية ١٥٨٤٣٨٠٠ جنيه انجليزي تستعمل مع رصيد صافي الدومين وموارد أخرى في تصفية متأخرات الخراج (الويركو) والدين السائر وغيرها من التعهدات الموقوفة . وتعين قسط سنوي قدره ١١٨١٤٢٤ جنيها انجليزيا لدفع فوائد الدين والاستهلاك

(وتقرر أن يكون الاستهلاك في مدة خمس وستين سنة بطريقة القرعة بواقع المئة مئة وأن تضمن خدمة هذا الدين بايرادات السكة الحديدية والتلغرافات وميناء الاسكندرية وفي حالة عدم كفاية

هذه الايرادات لذلك تضمن بالاضافية بالايرادات المخصصة بالدين الموحد

(ب) تخفيض فائدة الدين الموحد الى ٤ في المئة مع الترخيص باصدار سندات جديدة بمبلغ ١٩٩٢٨٠ جنيها مصريا بسعر حسابها بواقع ستين في المئة تستعمل في تحويل الباقي من قروض سنتي ١٨٦٤ و ١٨٦٥ و ١٨٦٧ بواقع ثمانين في المئة من قيمتها الاسمية

(ج) تخفيض صافي ايرادات الجارك بما فيها عوائد الدخان وايرادات مديريات الغربية والمنوفية والبحيرة وأسيوط لخدمة الدين الموحد . وفي حالة عدم كفاية هذه الايرادات لدفع الكوبونات تقوم الحكومة بدفع الفرق وكل مايزيد من الايرادات المخصصة وكل مايحصل من موارد أخرى غير ثابتة يستخدم في استهلاك الدين الموحد بطريقة الشراء بسعر السوق . وعلاوة على ذلك اذا اتفق ان زيادة الايرادات المخصصة له تعادل نصف في المئة من مجموع الدين الموحد تقوم الحكومة بدفع كالة هذا النصف في المئة من زيادة الايرادات الحرة على المبلغ المقرر لمصروفات المصالح الاميرية البالغ قدره ٤٨٩٧٨٨٨ جنيها مصريا

(د) باعتبار أملاك الدائرة السنية والدائرة الخاصة التي عقد في شأنها اتفاقية ١٢ يولية سنة (١٨٧٧) ملكا للحكومة وتخصيصها لضمان دين الدائرة السنية مع وضعها تحت ادارة مصلحة دولية وتقرر دفع مبلغ ٤٥٠٠٠٠ جنيه مصري الى الدائرة السنية بصفة تعويض لعدم وفاء المقرر على مخصصات الحضرة الخديوية وحدد لدين الدائرة السنية فائدة ٥ في المئة منها ٤ في المئة بضمان الحكومة وواحد في المئة فائدة تكميلية لا يصير دفعها الا اذا سمحت بذلك ايرادات الاملاك وكل مايزيد من الايرادات يخصص بعد دفع فائدة ٥ في المئة أولا لتكوين مال احتياطي غايته ٣٥٠٠٠٠ جنيه مصري ثم للاستهلاك كما كان المحصل من بيع املاك الدائرة يخصص ايضا للاستهلاك الذي يصير بطريقة الشراء أو بطريقة القرعة بواقع ثمانين

(ه) ضم دين الدائرة الخاصة الذي انشيء باتفاق ١٣ يوليه سنة (١٨٧٧)

الى دين الدائرة السنية على أن تقوم وزارة المالية بدفع القسط السنوى اللازم لخدمته وقدره ٣٤ الف جنيه مصرى

(و) ابقاء ايرادات مديرية قنا مخصصة لقرض الدومين بصفة ضمان ثان كما تقرر ذلك باتفاق اضافي تاريخه ١٤ ابريل سنة (١٨٨٠)

(ز) تأييد الغاء قانون المقابلة وتخصيص مبلغ مئة وخمسين الف جنيه مصرى سنويا لمدة خمسين عاما لصرف التعويضات اللازمة لارباب الاطيان عن الاموال التي دفعوها طبقا لهذا القانون

« لكن الحالة المالية مالبثت ان عادت فاضطرت بسبب حوادث سنة (١٨٨٢) ونفقات حملة السودان وعجز الايرادات التى وضعت تحت تصرف الحكومة القيام بمصروفاتها الادارية وقد انتهت المداولات التى دارت بهذا الشأن بأن عقد مندوبو الدول اتفاقية في لندرة في ١٨ مارس سنة ١٨٨٥ عقبها صدور الامر العالي المؤرخ ٢٧ يوليه سنة ١٨٨٥ وكان أساس هذا الاتفاق اصدار قرض ٩ مليون جنيه انجليزى بفائدة ٣ في المئة يضمنه كل من دولة المانيا والنمسا والمجر وفرنسا وايطاليا وروسيا وتعيين لفوائد واستهلاك هذا الدين قسط سنوى قدره ٣١٥ الف جنيه انجليزى يبدأ بأخذه من الايرادات المخصصة لخدمة الدين الممتاز والموحد وقد تقرر أيضاً أن يكون الاستهلاك بطريقة الشراء أو بطريقة القرعة بواقع المئة مئة . أما المبالغ المحصلة من القرض فخصصت لدفع تعويضات الاسكندرية ومطلوبات خلافها ولاعمال الرى مع حفظ مبلغ ٥٠٠ الف جنيه مصرى لادارة اعمال الخزينة العمومية ومن جهة أخرى خفض مقدار المبالغ التى كان رخص للحكومة باقتراضها بالحساب الجارى لخدمة الخزينة العمومية فتقرر أن لايتجاوز المليون جنيه مصرى

« هذا وقد تعين المصروفات الادارية التى تؤخذ من ايرادات الحكومة الحرة مبلغ ٥٢٣٧٠٠٠٠ جنيه مصرى مع امكان زيادته في بعض الاحوال . واذا اتفق ان الايرادات الحرة لم تبلغ المقدار المذكور فيقوم صندوق الدين بسداد الفرق من زيادة الايرادات المخصصة وبدفعه الحكومة ، وكل مايزيد من الايرادات المخصصة وكل مايزيد من

المقرر يقسم مناصفة بين الحكومة وصندوق الدين بعد خصم المبالغ اللازمة لخدمة الديون المختلفة والمصروفات الادارية المرخص بها كما تخدم فالحصة التى تعود لصندوق الدين تستعمل أولا في استهلاك الدين المضمون لغاية ٩٠٠٠٠ جنيه انجليزى ثم في استهلاك الديون الاخرى على حسب الشروط المقررة وفيما عدا ذلك يوقف استهلاك الدين الممتاز والدين الموحد

« وتقرر أيضاً بصفة مؤقتة أن يستقطع ٥ في المئة من قيمة كوبونات الدين العمومي في مدة سنتين حتى اذا لم تتمكن الحكومة بعد هذا الميعاد من دفع الفوائد بأكملها تشكل لجنة دولية لاعادة النظر في الحالة المالية

« غير أن تحسن الحالة المالية لم يدع موجباً لتنفيذ هذا القرار

« وقد رخص بأمر عال تاريخه ٣٠ ابريل سنة (١٨٨٨) اصدار سندات بمبلغ مليوني جنيه مصرى فائدتها أربعة ونصف في المئة وذلك من أصل الخمسة الملايين التى رخص بها سلطان تركيا ، وخصص معظم هذا المبلغ لتصفية مطالبات الخديو السابق اسماعيل باشا وأعضاء العائلة الخديوية ولاستبدال المعاشات وكانت السلفة المذكورة بقيمة اسمية قدرها ٢٣٣٠٠٠٠ جنيه مصرى فتقرر خدمتها قسط سنوى قدره مئة وثلاثون الف جنيه مصرى تؤخذ من المصروفات الادارية

« واشترط انه في حالة تأخر الحكومة عن سداد هذا القسط تحول محصلات الاموال المقررة والغير مقررة في مدينة القاهرة الى خزينة صندوق الدين المكلف بخدمة القرض المذكور

« أما الاستهلاك فيعين بطريقة الشراء أو بطريقة القرعة بواقع المئة مئة وقد اشترط أيضاً ان المحصل من مبيع أملاك الميرى الحرة الواردة في الجداول يورد الى صندوق الدين لاستخدامه في استهلاك هذه السلفة الجديدة والدين المضمون معاً

« وفي ١٢ يولية سنة (١٨٨٨) صدر أمر عال يقضي باستعمال زيادة الايرادات المخصصة لصندوق الدين بموجب اتفاقية سنة (١٨٨٥) مع المحصل من مبيع الاراضي وموارد أخرى لتكوين مال احتياطي يحفظ في صندوق الدين ويستعمل

لشراء سندات من الدين المصرى غير انه رخص للاعضاء بتسليف الحكومة ما يلزم من هذا الاحتياطي لمصروفاتها الغير الاعتيادية

« وفي الوقت نفسه تقرر ايقاف تنفيذ الامر العالى الصادر في ٢٧ يوليه سنة (١٨٨٩) والخاص باستهلاك الدين حتى يبلغ المال الاحتياطي مليوني جنيه مصرى

« وقد قضت الاوامر العالية الصادرة بتاريخ ٦ و٧ يونية و ٥ يولية و ٨ نوفمبر سنة (١٨٩٠) بادخال التعديلات الآتي بيانها

(ا) تحويل قرض أربعة ونصف في المئة المعقود في سنة (١٨٨٨) الي دين ممتاز

(ب) اصدار سندات ممتازة جديدة الحصول علي مليون وثلاث مئة الف جنيه مصرى تخصص لاعمال الرى واستبدال المائات

(ج) تحويل الدين الممتاز من خمسة في المئة الي ثلاثة ونصف في المئة مقابل دفع تعويض نقدى لحاملي هذه الاسهم قدره تسعة في المئة

(د) زيادة قيمة الدين الممتاز مبلغا قدره ضعف مليون ومئة الف وثلاثة آلاف ومئتا جنيه انجليزى كنتيجة للعمليات المذكورة آنفا

(ه) تحويل دين الدائرة السنية السموي واعطاء أصحاب الدين سندات جديدة فائدتها أربعة في المئة بمعدل خمسة وثمانين في المئة من قيمة أسهمهم وبذلك خفضت قيمة هذا الدين الاصلية مبلغ مليون ومئتين وثمانية وثمانين الف ومئة وعشرين جنيها انجليزيا

(و) الترخيص بتحويل قرض الدومين ولم يحصل هذا التحويل الا في سنة (١٨٩٣)

(ز) ابقاء الدين الممتاز الجديد ودين الدائرة السنية وقرض الدومين لمدة خمس عشرة سنة كاملة بدون سداد شيء من أصلها الا بطريقة الاستهلاك بالشروط التي وضعت لكل دين ويكون الاستهلاك اما بالشراء بسعر السوق أو بطريق القرعة بواقع القيمة الاسمية

(ح) الوفورات الناتجة عن تحويل الدين الممتاز ودين الدائرة السنية وقرض الدومين في خزينة صندوق الدين مع

تخويله الحق في تشغيلها بسندات من الديون المصرية والمبالغ المتجمعة بهذه الطريقة تقيد بحساب خصومي يسمي (مال الوفورات الناتجة من تحويل الدين)

« وقد حصل تحويل قرض الدومين بمقتضي الامر العالي الصادر في ٢٥ مارس سنة (١٨٩٣) فخفضت فائدته من خمسة في المئة الي اربعة وربع في المئة

وفي ٢١ يونيه سنة (١٨٩٨) عقدت الحكومة مع احدى النقابات التي صارت فيما بعد (شركة الدائرة السنية) اتفاقا مفاده ان هذه الشركة تتولي بيع أملاك الدائرة السنية وتدفع للحكومة المبالغ اللازمة لسداد سلفة الدايرة السنية في استحقاقها اى ١٥ اكتوبر سنة (١٩٠٥) وجميع الارباح الناتجة من ذلك البيع بعد خصم المبالغ اللازمة لاستهلاك الدين وادفع فائدة قدرها ٥ في المئة علي رأس مال الشركة تقسم مناصفة بين الحكومة والشركة

« وقد تقرر بالامر العالي المؤرخ يناير سنة (١٩٠٠) بأن الوفورات الناتجة من تحويل قرض الدومين لا تورد الي صندوق الدين الا اذا زادت ايرادات مصلحة الدومين عن المبالغ اللازمة للقيام بسائر مصاريفها أما المبالغ التي تورد بصفة وفورات فتخفض لسد عجز ايراداتها وتقرر ان لا يسدد قرض الدومين قبل أوائل يناير سنة (١٩١٥) بطريقة الاستهلاك وذلك بواسطة ما يحصل من بيع الاملاك أو من زيادة الايرادات

« وقد رخص بالامر العالى المؤرخ ١٢ يوليه سنة ١٩٠٠ اصدار سندات ممتازة جديدة قدرها مليون وسبع مئة وأربعة وثلاثون الف ومئتا جنيه انجليزى تخصص لادخال تحسينات علي سكك حديد الحكومة فكان هذا القرض مع سلفة أربعة ونصف في المئة المعقودة في سنة (١٨٨٨) وقرض سنة (١٨٩٠) تتمة الخمسة الملايين جنيه مصرى التى رخص به سلطان تركيا في سنة (١٨٨٨)

ثم أنه بموجب الاتفاق الانجليزى الفرنسي الموقع في ٨ ابريل سنة (١٩٠٤) وبمقتضي القانون نمرة ١٧ الصادر في ثمانية وعشرين نوفمبر سنة (١٩٠٤) التى يسرى مفعوله ابتداء

من أول يناير سنة (١٩٠٥) قد استبدلت تلك الطريقة المتعقدة المتقدم سردها تاريخها بنظام جديد فكان من أهم احكامه ما يلي :

(ا) استبدال الايرادات المختلفة المخصصة لخدمة الدين المضمون والدين الممتاز والدين الموحد بايرادات أموال الاطيان في جميع مديريات القطر المصرى ما عدا مديرية قنا التي سبق تخصيص ايراداتها بصفة ضمان اضافي لقرض الدومين وبما أن محصلات تلك الاموال قدرت بمبلغ اربعة ملايين ومئتي الف جنيه مصرى فقد اشترط انه لايجوز اجراء أى تعديل في ضرائب الاطيان ينجم عنه تخفيض أموالها الى ما دون الاربعة الملايين جنيه مصرى الا بعد موافقة الدول

(ب) استخدام المحصل من الايرادات المخصصة في سداد المبالغ اللازمة لخدمة الديون المختلفة وذلك حسب الترتيب الآتي :

(أولا) مبلغ ثلاث مئة وخمسة عشر الف جنيه مصرى قيمة القسط السنوى المخصص من الدين المضمون

(ثانيا) قيمة فوائد الدين الممتاز

(ثالثا) قيمة فوائد الدين الموحد

« فاذا لم تكف تلك الايرادات لخدمة هذه الديون يؤخذ الفرق من ايرادات الحكومة العمومية

(ج) توريد المحصل من الايرادات المخصصة من جهات التحصيل مباشرة الى صندوق الدين حتى تستوفي المبالغ اللازمة لخدمة الدين وما يزيد عن ذلك يرسل الى وزارة المالية مباشرة

(ه) تخفيض مبلغ مليون وثمانون مئة الف جنيه مصرى بصفة مال احتياطي لصندوق الدين ومبلغ آخر لادارة الاعمال وقدره خمس مئة الف جنيه مصرى (وقد زيد هذا المبلغ باتفاق الحكومة وصندوق الدين الى مليون و٢٥٠ الف جنيه مصرى) وتوليد المبالغ الباقية من الاموال الاحتياطية ومن الوفورات الناتجة عن تحويل الدين الى خزينة الحكومة

(ه) حفظ الحق للحكومة في سداد هذه الديون بوافع قيمتها الاسمية ابتداء من التواريخ الآتية وهي :

« ١٥ يوليه سنة ١٩١٠ الدين

المضمون والدين الممتاز

« ١٥ يولية سنة ١٩١٢ الدين الموحد

فاذا لم تف تلك الايرادات بخدمة هذه الديون يؤخذ من ايرادات الحكومة العمومية

ولا يسدد قبل هذه المواعيد شيء من هذه الديون الا فيما يختص بالدين المضمون الذى يستمر استهلاكه بما يتبقى بعد دفع الفوائد من القسط السنوى المقرر لخدمته وقدره ثلاث مئة وخمسة عشر الف جنيه مصرى

(و) استعمال كل ما يزيد من ايرادات الدومين والدائرة السنية بعد دفع الفوائد بواقع أربعة ونصف في المئة لدين الدائرة السنية والمبالغ المحصلة من بيع الاملاك في استهلاك ديون المصلحتين المذكورتين كل واحدة عما يخصها وبخلاف هذه الطريقة لايجوز استهلاك شيء من تلك الديون قبل التواريخ المقررة لسداد كل منها وهي أول يناير سنة ١٩١٥ لقرض مصلحة الاملاك الاميرية و ١٥ اكتوبر سنة (١٩٠٥) لدين الدائرة السنية

(ز) حفظ باقي المطلوب لحساب تصفية سنة (١٨٨٠) وقدره الف جنيه انجليزى بصفة أمانة في صندوق الدين لغاية سداد الطلبات المرقومة

(ح) استمرار دفع قسط المقابلة وقدره ١٥٠٠ الف جنيه مصرى سنويا لغاية ٣٠ يونيو من سنة (١٩٣٠) وذلك من أصل المال المحصل من الاطيان التي دفعت عنها المقابلة قبل (١٨٨٠)

« طبقا للاتفاق الذى عقد في ٢١ يونية سنة (١٨٩٨) قد سدد الباقي من دين الدائرة السنية في ١٥ اكتوبر سنة (١٩٠٥) وذلك بواسطة المبالغ المحصلة من بيع أملاك هذه الدائرة

« وعلى أثر الاستهلاكات التي أجريت حسب الشروط المبينة في الاتفاق المؤرخ ٣١ اكتوبر سنة (١٨٧٨) أصبح قرض مصلحة الاملاك الاميرية جميعه مسدداً في أول يونية سنة (١٩١٣)

« وفي الجدول الآتي بيان عن وجه الدين العمومي في آخر السنة المالية (١٩١٥ — ١٦) مع ما طرأ عليه من التغييرات في السنة نفسها

الدين المضمون بفائدة ٣ في المئة

قيمته في أول ابريل سنة (١٩١٥) ٦ ملايين و ٩٢٩ الفا وستمئة جنيه . المستهلك منه في خلال سنة (١٩٠٥) ١٢٥٦٠٠ جنيه . قيمة هذا الدين في آخر مارس سنة (١٩١٦) ٦٨٠٣٥٠٠ جنيه . وقيمة سنداته الموجودة تحت يد الحكومة وصندوق الدين ٨٣٦٠٠ جنيه . وقيمة سنداته المتداولة في ٣١ مارس سنة (١٩١٦) ٦٧٠١٩٩٠٠ جنيه

الدين الممتاز بفائدة ٣ ونصف قيمته في أول ابريل سنة (١٩١٥) ٣١ مليونا و ١٢ الفا وثمان مئة وثمانون جنيها وقيمته في آخر مارس سنة (١٩١٦) ٣١ مليونا و ١٢٧ الفا وسبع مئة وثمانون جنيها . وقيمة سنداته الموجودة تحت يد الحكومة وصندوق الدين مليونا جنيه و ٤٧٦ الف جنيه وقيمة السندات المتداولة وفي ٣١ مارس سنة (١٩١٦) ثمانية وعشرون مليونا وست مئة واحد وخمسون الفا وسبع مئة وثمانون جنيها

الدين الموحد بفائدة ٤ في المئة قيمته في أول ابريل سنة (١٩١٥) ٥٥ مليونا و ٩٧١ الفا و ٩٦٠ جنيها . وقيمته في أواخر مارس سنة (١٩١٦) وهي مثل القيمة المتقدمة . وقيمة السندات الموجودة تحت يد الحكومة وصندوق الدين ثلاثة ملايين واربعون الف ومئتان وعشرون جنيها . وقيمة السندات المتداولة في ٣١ مارس سنة (١٩١٦) اثنان وخمسون مليونا وتسع مئة واحد وثلاثون الفا وسبعة مئة واربعون جنيها

فتكون جملة الدين ٩٤ مليونا و ٢٨ الفا و ٨٤٠ جنيها وقيمة المستهلك في خلال سنة (١٩١٥) ١٢٥ الفا وست مئة جنيه . وقيمتها في آخر مارس سنة (١٩١٦) ٩٣ مليونا وتسع مئة وثلاثة آلاف ومئتان واربعون جنيها . وقيمة سنداتها الموجودة تحت يد الحكومة وصندوق الدين خمسة ملايين وخمس مئة وتسعة وتسعون الفا وثمان مئة وعشرون جنيها وقيمة سنداتها المتداولة في ٣١ مارس سنة (١٩١٦) ثمانية وثمانون مليونا وثلاث مئة وثلاثة آلاف واربع مئة و ٢٠ جنيها

انتهى ما اقتطفناه من الاحصاء الرسمي للحكومة الذي صدر سنة (١٩١٦) من سنة (١٩١٥)

وقد أغفلنا الكلام على الآثار

المصرية القديمة التي لها قيمة كبيرة في علم الاركيولوجيا (علم الآثار) لأننا أشبعنا الكلام فيها في كلمة (آثار) حرف الالف

﴿ مصّ ﴾ الشيء يمُصه مصّا رشفه و (أمصه اللبن) جعله يمصه و (تمصّص الماء) مصه ومثله (امتصه) و (المُصاص خاص كل شيء . و (المُصاصة) ما يمص من الشيء . و (المَصمصة) مثل المضمضة الا انها تكون بطرف اللسان . وأما المضمضة فتكون باللسان كله . و (مصمص الاناء) غسله

(رجل مِصّاص) أي شديد وقيل هو المتلىء اخلاق الاملس وليس بالشجاع و (مَصب المص) قصب السكر

و(المَصّاص) الحجام . و(المَصّان) الماص يقال للرجل (يا مَصّان والمرأة يا مَصّانة) أي يا واضع الفم لثويا وفي هذا تعيير برضع الفم من أخلافها بالفم

و (المُصّان) قصب السكر
و (مُصة المال) أي خالصه
و (المَصُوص) الناقة الغزيرة
و (المَصُوصة) المرأة المهزولة

و (المُصّاص) خالص كل شيء و (فرس مُصاص) أي شديد تركيب العظام والمفاصل

و (رجل مُصاص) أي حسيب زاك أي خالص يقال (انه لمُصاص في قومه) اذا كان زاكي الحسب خالصاً فيها

و (فرس مُصَيص) أي شديد تركيب المفاصل

﴿ المصطكي ﴾ هذا الاسم معرب عن مصطيخا اليوناني وتسميه العرب بطم الروم وهو راتينج يستخرج من نبات من الفصيلة التربنتينية وهو شجيرة تحمل أوراقا متناقة ريشية منتهية بفرد أو مثلثة الاوراق وأزهارها عنقودية الشكل وهي تنبت في الاقاليم المجاورة لحوض البحر الابيض المتوسط . ومنها أنواع يبلغ عددها اثنى عشر تختلف في راتينجيتها وثمرها يتوفي يؤكل ويستخرج منه دهن جيد للاستصباح

شجيرة المصطكي تنبت في بروفنسا من ايطاليا وبلاد العرب وأفريقا والجزر اليونانية وقد اعتنيت هذا النبات بأماكن كثيرة من البلاد التركية.

ولكن أشجار المصطكي لا تكون منتجة في جميع البلاد فهي في بروفنسا لا تنتج شيئا وفي بعضها تنتج سنة ولا تنتج أخرى وأعظم مقدار يرد الي العالم من المصطكي يستخرج من جزيرة صاقس وهو هناك رأس ثروة أهل تلك الجزيرة

لاجل اجتناء المصطكي من شجره تعمل شقوق كثيرة خفيفة في اليوم الخامس عشر من شهر يوليه في جذوع أشجاره فتسيل منها عصارة سائلة ثم تجمد وتبقى متعلقة بالشجر علي شكل حبوب وقد تسقط علي الارض اذا كثرت فتجبى في ٢٧ أغسطس فيؤخذ منها مصطكي كثيرة ثم تفصل شقوق أخرى في ٢٥ سبتمبر وهو زمن الاجتناء الثاني ويمتنع بعد ذلك من جنيها الا في السنة المقبلة

ولكن العرب ذكروا ان شجره تصنع في السنة ثلاث مرات الاول يكون حباً كبيراً بيضياً والثاني دون ذلك والي الصفرة والثالث يكون صغاراً سوداً وأجودها الابيض النقي

وقد زرعها الاتراك في ٢١ قرية جنوب الآستانة وقد علم انهم يجنون منها في السنة نحو ٦٠٠٠٠ أقة يرسل أفضله الي الآستانة ويرسل الاجتناء الثاني الي مصر وغيرها

ويظن ان الاتراك استنبتوها في بلاد الاناضول أيضاً وكانت مزروعة بمصر في زمن جالينوس

المصطكي راتينج مكون من حبوب صغيرة مصفرة منتفخة اللون جافة سهلة الكسر ملساء شفافة رائحتها تربنتينية قليلا تظهر كثيراً اذا طرحت علي النار حيث تحترق جيداً وينتشر منها دخان أسود وتميم. وهناك نوع ثان يكون قطعاً كبيرة سنجابية غير منتظمة وغير نقية مكونة من تراكم حبوب ومخة فيها جواهر غريبة وهذه التي تسقط علي الارض . والنوع الاول هو المصطكي المذكورة أو الحبوبية والثاني هو المؤنثة أو العامة والرغبة فيها أقل

(خواص المصطكي الكيماوية)

المصطكي وجدت مركبة من راتينجين وقليل من دهن طيار فأحد الراتينجين الذي يتكون منه معظم الكتلة يذوب في الكحول البارد والآخر الذي يكون بمقدار يسير في مصطكي المتجر لا يذوب في الكحول الا اذا كان حاراً ويبقي زمناً

طويلا رخواً بالكحول الماسك هوله

وقال بعض الكيماويين ان الجزء الغير القابل للذوبان في الكحول من المصطكي يكون جوهراً خاصاً مرناً لزجا غروياً مادام محتويا بين اجزائه علي الكحول فاذا لم يبق فيه كحول فانه يصير جافا سهل التفتت ويذوب في الكحول الحار ولا يذوب في البارد ويظهر انه يشبه الراتينج الذي يوجد في الراتينج الحي

(خواص المصطكي في الطب)

تستعمل المصطكي كثيراً في بلاد المشرق لتعطي الفم رائحة زكية فيمضغها نساء الترك واليونان والارمن واليهود بكثرة لذلك السبب ويعزون لها خواص لتطييب النكهة وتقوية اللثة وتبييض الاسنان . وهم يعطرون بها بيوتهم ويضعونها في الاطعمة

وهي في ظنهم تعتبر مقوية للمعدة ومضادة للتشنج وتستعمل كادات علاجا للاوجاع الروماتيزية والنقرسية والعصبية وتقلصات الصدر والآفات العظمية ورأى ابن العظام وأوجاع الآذان والاسنان

وتعطي من الباطن عندهم في نفث الدم والنزلة المزمنة والسيلان الابيض والاسهال والآفات الجرثية ونحو ذلك

ولكنها في أوربا الان لا تستعمل في الطب . وقد توسع أطباء العرب في ذكر خواصها فنقلوا عن جالينوس انها مركبة من جوهر مائي حار قليل ومن جوهر أرضي بارد ليس بكثير المقدار أيضا وبسبب ذلك صارت تقبض قليلا وتجفف وأما حالها في البرودة والحرارة فحالة وسطى معتدلة المزاج والقبض في أجزاء هذه الشجرة علي مثال واحد أعني في عروقها وورقها وقضبانها وأغصانها وأطرافها وثمارها ولحائها

وهي تشرب وحدها أو مع أدوية أخرى في قروح الامعاء واستطلاق البطن وهي نافعة جداً لمن به نفث الدم والنساء اذا انفجر من أرحامهم دم وكذا اذا برزت الرحم أو خرجت المقعدة وكذا في نتوء السرة

ونقلوا عن ديسقوريدس أن الشجرة كلها قابضة وقد يطبخ قشرها وورقها وأصلها بالماء طبخا طويلا ثم يطبخ هذا الماء حتى يسخن ويصير كالعسل فهذا الماء لقبضه يشرب لنفث الدم واستطلاق البطن وقرحة الامعاء ونزف الدم من

الرحم وظهور الرحم والمعدة وقد يقوم مقام هذا الطبيخ عصارة الورق . واذا صب طبيخ الورق على القروح العتيقة وعلى العظام المكسورة بقى اللحم في القروح وعلى العظام وشد الاعضاء المسترخية وقد يقطع سيلان الرطوبات المزمنة من الرحم ويمنع القروح الخبيثة من السعي ويدر البول واذا تمضمض به شد الاسنان المتحركة . واذا عمل من أغصانها مساويك ونسوك بها جلت الاسنان

وقد يؤخذ من هذه الشجرة دهن قابض يوافق كل ما احتاج الى قبض

ومدح الاستاذ ميريه الفرنسي مطبوخ خشب المصطكي دواء عاماً للنقرس واستعمل أيضاً غرغرة ومضمضة ويصنع منه سنون ويعلي ايضا منقوعاً لبيذيا ويستخرج منه لون أصفر جميل بواسطة الكحول

قال امراء العرب وهناك نوع من المصطكي يعرف بالنبطي اسود تجفيفه أشد من تجفيف الابيض وقوة القبض فيه أقل ولذا كان أنفع لمن كان محتاجاً الى التجفيف والقوة ومن أجل ذلك ينفع للاورام الصلبة التي في ظاهر البدن

وأما دهن المصطكي فيتخذ من النوع الابيض وقوته شبيهة بقوة المصطكي وهو جيد للمعدة محرك للجشاء وينفع من الصداع البارد بخوراً ومعوطا بدهن زنبق

واذا ديف بزيت ولطخ به شقاق الشفتين أبرأه . والشراب المتخذ من المصطكي يقوى الاعضاء الباطنة اذا أخذ ممزوجا بالماء البارد عند العطش . وهو يدر البول . واذا حل المصطكي في الادهان القابضة شد اللثة ، واذا تمودى على المضمضة به منع من تحرك الاسنان واذا دهنت المعدة بأحد الادهان النافعة لها وذر عليها مسحوق المصطكي نفع ذلك من وجع المعدة ومن القيء . وان طبخ المصطكي في الشيح وقطر ذلك في الاذن فتح السدد وأزال الصمم (مجرب) وأن يخر بها قطن بل بماء ورد وجعل على العين سكن الرمد والوجع . واذا طبخت مع الزيت أزالت النافض

وقال الاستاذ ميريه ثمار المصطكي لوز ابيض منتفع مزعفر مناسب للاكل وذكر بليناس ان تلك الثمار كانت تؤكل مربيات كالزيتون في زمنه . وقال أن

ديقريطس أبرأ بنت القنصل سرفيوس وكانت مصابة بمرض مزمن باستعمال لبن ماعزة كانت تتغذى بثمر المصطكي

(مقدار الاستعمال) تستعمل المصطكي من الباطن بمقدار من ٥٠ سنتي غرام الى غرامين حبوبا . وماؤها المقطر من ٣٠ غراما الى ٦٠ في جرعة . وشرابها يصنع بجزء منها و٦ من الماء المقطر و٨ من من السكر والمقدار من ٢٠ الى ٣٠ غراما في جرعة والصبغة تصنع بجزء منها و٥ من الكحول الذي في ٣٥ ينفع ذلك مدة ١٥ يوما ثم يرشح والمقدار من غرامين الى أربعة في جرعة (انظر المادة الطبية)

مصوع ثغر من بلاد الحبشة على البحر الاحمر استولت عليه ايطاليا

المصل هو المتحصل من التقطير . و(مصل اللبن) هو ما يستخرج منه من الماء . ويطلق المصل طبيا على السائل الذي يحتويه كل من اللبن والدم

مُضَر أبو قبيلة شهيرة من العرب (انظر كلمة عرب)

و(المَضيرة) نوع من الطعام كان العرب وهي لحم مطبوخ باللبن

مضّ الامر وأمضه الامر آلمه وأحرقه . و (المُضّ) ألم المصيبة

تمضمض الماء في فمحركه و(تمضمض) بمعنى مضمض و(المَضمضة) صوت الحية

المضمضة في الوضوء سنة لا يبطل الوضوء بتركها

مضَغ الطعام بضَغه ويمضُغه مضغا لاكه في فمه . و(مضَغه الشيء وأمضغه اياه) الاكه اياه . و (المُضْغة) قطعة من اللحم أو غيره

مضغ الاطعمة المضغ لا تنحصر فائدته في تحطيم الاغذية وتهيئتها للانهضام في المعدة بل وظيفته أسمى من ذلك أيضا وهو احالة الاغذية النشائية غير القابلة للانهضام الى مادة سكرية تسمى بالجليكوز قبل الانهضام في الاطعمة وبما أن اكثر ما نأكله يحتوي على مواد نشائية فيجب مضغها جيداً حتى يمتزج عليها اللعاب ونخلط به ويتحد الخمير الموجود به واسمه (الدياستاز) بالمادة النشائية فيكون المادة السكرية التي قلنا ان اسمها الجليكوز . هذه الوظيفة كما ترى من أهم وظائف المضغ يتوقف عليها

انهضام المواد النشائية فينبغي والحالة هذه أن يعنى الآكلون بالمضغ جد العناية وأن يعودوا أنفسهم المثابرة عليه حتى تنهضم المواد النشائية في افواههم والا فلو نزلت الي المعدة ثم الي الامعاء الدقاق غير محالة الي الجليكوز فانها لاتقبل هنالك الانهضام وتنزل مع البراز كما اكلت ولا يكون من ورائها الا ماجناه الانسان من التعب في تناولها

﴿ مضَى ﴾ الشيء يمضي ويمضو مُضيا ذهب . (وأمضي الامر) أنفذه

﴿ مطَرت ﴾ السماء تمطُر أنزلت الماء من السحب و(أمطرت السماء) مثله و(استمطر الله) سأله المطر . و(يوم مَطير) ذو مطر

(المطر) السبب الطبيعي للمطر هو أن المياه الموجودة علي سطح الارض في البحار والانهار والبحيرات والمستنقعات تتبخر أى تستحيل الي بخار طول مدة الصيف فتصعد الي الجو ولا تظهر فيه بسبب شدة الحرارة فاذا جاء البرد تكاثفت تلك الابخرة وظهرت وارتفعت الي مسافات عالية من الجو وبقيت فيه أو اندفعت مع الرياح فاذا تراكمت علي جوجهة من الجهات وادركتها هنالك برودة شديدة استحالت الي حالتها الاصلية أى الي ماء فيسقط ذلك الماء وينزل علي هيئة خيوط من السماء هو المطر المعروف

فان قليل لماذا لا تظهر تلك الابخرة المائية في الصيف وتظهر في الشتاء ؟ قلنا انها لا تظهر في الصيف لان الحرارة تفرق أجزاء تلك الابخرة وتلطفها فلا تظهر . والدليل علي ذلك اننا في اثناء تنفسنا نزفر حمض الكربون وبخار الماء ولا يظهر ذلك البخار في الصيف ولكن اذا جاء الشتاء وجدنا ان لزفيرنا دخانا كالسحب هو في الحقيقة بخار الماء الخارج من رئتينا يتكاثف بمجرد ملامسته للهواء البارد كذلك ابخرة الماء التي تنتشر في الجو لاتظهر في أثناء الصيف بسبب شدة الحرارة فيه ولكنها تظهر في الشتاء كما تقدم

﴿ مطّ ﴾ الشيء يمُطه مطا مده ومثله (مطّطه) و(تمطّط) تمدد

﴿ مطَع ﴾ يمطَع مطوعا ذهب

﴿ مطق ﴾ تمطّق الطعام تذوقه وردده في فيه

﴿ مطَل ﴾ الحبل يمطُله مطلا مده و(مطَل زيداً بدينه) سوفه بوعد الوفاء مرة بعد مرة ومثله (ماطله) و(المطّال) الكثير المَطل

﴿ مطى ﴾ امتطي الدابة وأمطاها جعلها مطية . و(تمطّي الرجل) تمدد . و(المَطية) جمعها مطايا

﴿ مَعَدّ ﴾ حي من العرب (أنظر غرب)

﴿ المعدة ﴾ المعدة هي العضو الرئيسي لهضم الاغذية مركزها تحت الرئة اليسرى والقلب يفصلها منهما الحجاب الحاجز وهي مؤلفة من ثلاث طبقات أو أغشية فالطبقات الظاهرة تسمي الزلالية والمتوسطة العضلية والباطنة المخاطية

تشبه معدة الانسان كرش الحيوان من حيث طبقاتها فتجد ان الغشاء الظاهري لها أملس صقيل والغشاء المتوسط مؤلف من خويطات علي طبقتين أليافهما متصالبة والغشاء الباطن رخو تظهر فيه غضون

هذه معدة الانسان أما الحيوانات التي تأكل الاعشاب وتجتر كالغنم والمعز والبقر والجمل فلها أربع معدات . فالاولى تسمي الكرش ووظيفتها أن تقبل الاطعمة من الفم فيبتل فيها وينتفش ثم تدفعه الي المعدة الثانية ومنها يرجع الى الفم فيجتر الحيوان الطعام بفمه ثم ينزل الي المعدة الثالثة ثم ينزل من هناك الي المعدة الرابعة

شكل معدة الانسان بيضي كشكل القربة طرفها الغليظ الى اليسار والدقيق الي اليمين وقاعدتها مستديرة تشمل المراق الايسر وجزءا من اسفل الكبد

حجم المعدة يختلف بحسب الخلاء والامتلاء . قطرها المستعرض نحو ٢٠ سنتي متراً والجزء المقدم الخلفي من ٨ الي ١٠ سنتيمترات . وقيس مسطح المعدة كله متى بلغ غاية نموه فبلغ متراً مربعاً ويمكن أن تشمل المعدة ثلاثة لترات علي الاقل ووزنها المطلق ٢٠٠ غرام

يميز المعدة وجه مقدم ووجه خلفي وحافتان عليا وسفلي وحدبتان كبيرة وصغيرة وطرفان يميني ويساري

فالوجه المقدم يصير علويا متى امتلأت المعدة ومحدبا مجاوراً للحجاب الحاجز الذي يفصله عن الاضلاع الكاذبة والكبد والجزء العلوي من جدران البطن

ويجاور التقعير الشراسيني

واما الوجه الخلفي فيصير سفليا كما تمددت المعدة ويجاوز القولون المستعرض (وهو قسم من الامعاء).

واما الحافة السفلي المسماة بالقوس الصغير وتقعيرها الي الاعلي وهي ممتدة من الفؤاد الي البواب (الفؤاد هي الفتحة العليا للمعدة والبواب هي الفتحة السفلي لها)

واما الحافة السفلي المسماة بالقوس المدى الكبير فهي أكثر طولا من العليا وهي محدبة مستديرة تنطبق علي الجدر الباطنية

والمنتفخ من المعدة الموضوع علي يسار الفؤاد يسمى بالحدبة المعدية الكبيرة وهي تجاور الطحال من اليسار حالة الامتلاء وتكون منفصلة عنه في حالة الفراغ بالرباط المعدي والطحال، ومن الامعاء تجاور السطح السفلي للحجاب الحاجز والست الاضلاع الاخيرة، ومن الخلف البنكرياس والمحفظة فوق الكلي وقة الكلي اليسرى

واما الحدبة الصغيرة فهي عبارة عن الانتفاخ الصغير المجاور للبواب . والطرف اليسارى للمعدة يسمي بالفؤاد ويتصل بالمرىء. وأما الطرف اليمنى فيسمي بالبواب ويتصل بالمعى الدقيق

المعدة عطاء من الباطن بغشاء مخاطي أبيض ضارب للحمرة ذى ثنيات وميازيب غير منتظمة تزول حالة تمدد المعدة فتكون في حذاء البواب شبه ثنية حلقية

(تركيب المعدة)

تتركب المعدة من أربعة أغشية وهي من الظاهر الي الباطن الغشاء المصلي ثم الغشاء العضلي ثم الغشاء الخلوى ثم الغشاء المخاطي

فالغشاء العضلي يتركب من ثلاثة انواع من الياف ملساء طولية وحلقية ومنحرفة فالطولية سطحية وهي استطالات الالياف الطولية للمرىء وهي تنشر في جميع الاتجاهات

وأما الالياف الحلقية فتكون منها طبقة مستمرة في جميع امتداد المعدة ويتراكم بعضها علي بعض في محاذاة البواب فتكون العضلة العاصرة للبواب

وأما الالياف المنحرفة الخاصة بالمعدة فموضوعة أسفل الغشاء المخاطي

مباشرة وهي عبارة عن عروة عضلية تقعيرها محيط بالحدبة المعدية الكبيرة وبالجهة اليسرى من الفؤاد وطرفاها يتجهان بانحراف الى اليمين واليسار علي وجهي المعدة وبانقباض هذه الالياف المنحرفة تنقسم المعدة الي قسمين سفلي يسارى هو مستودع الاغذية ، وعلوى يتكون منه قناة تتبع القوس الصغير وهي ممدة لمرور السوائل مباشرة من المرىء والاثنى عشرى

وأما الطبقة المصلية فتكونة من البريتون المحيط بوجهي المعدة ثم ان ورقتي البريتون تلتصقان فيتكون منهما رباطان أحدهما حذاء القوس الصغير ويسمي بالسرب الصغير أو الرباط المعدى الكبدى والثاني حذاء القوس الكبير ويسمى بالسرب الكبير أى الرباط المعدى السرينى القولوني

وأما الغشاء الخلوى فهو عبارة عن طبقة خلوية ليفية ممتدة لاندغام الطبقة العضلية ومحتوية علي الاوعية الدموية التي تنتهي في الغشاء المخاطي

وأما الغشاء المخاطي فينشق السطح الباطن من المعدة ويستمر من جهة مع الغشاء المخاطي للمرىء الاثنى عشرى وسطحه الداخلي محتو علي ثنيات طولية ومستعرضة وارتفاعات صغيرة تسمي بالحملات وأدمته مركبة من ألياف ليفية وبشرته ذات خلايا أسطوانية ويوجد في سمكها الغدد المعدية وهي أنبوبية بسيطة أو مركبة مستقيمة كل واحدة منها تتركب من غشاء خاص وبشرة وتنقسم هذه الغدد الي نوعين غدد القعر المعدى وغدد المخاط

فالاولي توجد في جميع سطح المعدة الا في مجاورة البواب وتشتمل بواطنه علي خلايا البيبسين التي هي مستديرة وفي باطنها نويات ومواد حبيبية

والثانية أى الغدد المخاطية توجد بالقرب من البواب وكل منها منطو من الباطن بقشرة ذات خلايا أسطوانية

ويوجد أيضاً في سمك الغشاء المخاطي المعدى طبقة رقيقة من ألياف عضلية ملساء محيطة بقاع الغدد المعدية

***

هذا وقد أتحفنا حضرة الدكتور الفاضل حسين افندى الهراوى ببحث جليل في المعدة وبعض أمراضها تنشرها هنا مع الشكر لحضرته علي هذه الخدمة

العلمية وهي :

﴿ المعدة

المعدة موجودة في أعلي التجويف البطني من الجهة اليسرى وفاتحتان العليا فتحة الفؤاد وهي خلف غضروف الضلع السابع علي بعد ١٠ سنتمترات من الامام والفتحة الثانية فتحة الاثنى عشرى علي بعد أربعة قراريط من مكان اجتماع غضاريف الاضلاع وعلي بعد قيراط واحد من خط الثمائل المتوسط ونهايتها من الاسفل أمام الضلع التاسع . هـذه الحدود تتغير في حالات امتلاء المعدة وخلوها ولكن لايمكن أن يصـل الحد الى السرة بأى حال من الاحوال اذا كانت المعـدة سليمـة من الآفات

(اختبار محتويات المعدة)

من استخراج محتويات المعدة واختبارها استفيد فائدة عظمي وهي معرفة أنواع الاحماض الموجودة بها مثل حمض الكلوريدريك واللبنيك ودرجة اليسين وعدم قوة المعدة علي الهضم

(القيء) تلاحظ رائحته ولونه وكيته ومحتوياته . فالرائحة تتغير بما أكـل الشخص من المآكل ذوات الروائح والزيوت العطرية والكحول . أما اللون فاذا اختلف عن لون المآكل المعروفة فانه يتغير الي الاحمر والاسود بوجود الدم والى الاصفر والاخضر بوجود المواد الصفراوية ويجوز أن يكون فيه زبد مخاطي ويجب أيضاً معرفة درجـة الهضم وفي كم ساعة حصل ذلك

والبحث بالميكروسكوب يرى أجزاء نباتية وحيوانيـة كألياف عضلية وأجزاء نشائيـة وميكروبات لا عداد لها . وبعد ترشيح القيء يمكن تحليله كيماويا

(غـذاء الاختبـار) اذا لم يتقايأ المريض من نفسه ويراد معرفة حال المعدة يمكن اعطاء المريض غذاء علي سبيـل الاختبار وهو أن يأكل في الصباح أوقيتين ونصف من الخبز ويشرب ١٠ أوقيات من الماء أو الشاى الخفيف وتغسل المعدة بعد ساعة بواسطة أنبوبة غسيل المعدة ويحلل السائل المأخوذ لحمض الكلوريدريك يرسب الرصاص والفضة في مركباتهما السائلة وحمض اللبنيك الخالص يحول لون الورق المصبوغ بصبغة الكنغو الحمراء الى اللون الازرق . وأحسن الاختبارات لحمض

الكلوريدريك هو كشاف جنزبرج وهو عبارة عن غرامين من فلوروجلوسين وغرام واحد من الفانيلين وثلاثين غراماً من الكحول الخالص فاذا وضع قليل من النقط من هذا الكشاف علي قليل من السائل الذى يحتوى علي حمض الكلوريديك وسخن ذلك علي النار انقلب اللون الى أحمر وردى جميل وكشاف أوفمان لاجل حمض اللبنيك هو عبـارة عن عشرة سنتيمترات من سائل حامض الفنيك أربعة في المئة علي عشرين غراماً مكعبة من الماء ونقطة واحـدة من صبغة ثاني بودور الحديد فيتحول اللون الازرق الي اللون الابيض

(حامض الزبدة) يستخلص الابير من الراسب الباقي بعد ترشيح محتويات المعدة ثم يرشح ويؤخذ السائل ويبخر ويذاب الباقي في ماء ويضاف اليه كلورور الجير فينفصل الحمض علي شكل حبيبات شحمية

(حامض الخل) يعرف اللون الاحمر اذا أضيف اليه قليل من صبغة ثاني بودور الحديد

اما قوة الهضم فتعرف بمقـارنة قوة الهضم الطبيعية بما تهضمه محتويات المعدة من الفيبرين أو مح البيض بعد اضافة ٢ر. في المئة من سائل حمض الكلوريدريك

« امراض المعدة »

سوء الهضم أو عسر الهضم ألفاظ تطلق علي عدم هضم المأكولات علي الشكل الطبيعي أو بقاء الاغذية في المعدة فوق الوقت المعتاد وكل هذا ينشأ من وجود أمراض في المعدة سواء كانت التهابات مختلفة أو أورام أو قرح السداد في فتحة المعدة الاثنى عشرية ولكن في الغالب الشائع أن تكون هذه الآفات نتيجة عدم افراز السوائل الهاضمة علي الشكل الطبيعي أو عدم تحرك المعدة علي الشكل العادى أو أن يكون الافراز غير ملائم للاغذية أو أن تكون القوة العصبية الهضمية ناقصة من أى وجه كان

وقد يجـوز أن يكون المنشأ عدم اعطاء الغذاء الكافي أو فوق العادة فينتج من وراء ذلك تهيـج في المعـدة أو عدم قدرتها علي اداء وظيفتها بالشكل المطلوب وفصل هذه العوامل يؤثر في المعدة فينشأ عنها الالتهاب المعدى فيحول دون معرفة الحقيقة

(عسر الهضم)

يكون هنا ناشئا عن خلل عملي من أكل زائد عن المعدة أو مهيج لها . ويسرى هذا على اى رجل سليم البنية يأكل ما يزيد عن حاجته أو يشرب كثيراً من القهوة أو الشاى أو المشروبات الكحولية فان الطعام يبقى في معدته أكثر من الزمن اللازم ينير هضم مثال ذلك بعد الاعمال الشاقة مدة عدة ساعات لا تستطيع المعدة هضم أى غذاء هذا بخلاف الرياضة الجسمية الغير الشاقة فانها تحسن للمعدة

(اعراضه) اما أن يبتدىء بعد الاكل مباشرة أو بعد عدة ساعات فيشعر الانسان بألم في جهة المعدة أو شعور غير طبيعي في هذه الجهة وربما الاكل حصل فى وقت الغداء فيبقى في معدته حتى وقت النوم فينام الشخص بدون أى ألم فيه ولكنه يستيقظ من ألم في معدته ويكون لسانه جافا وبه صداع شديد فيبقى ساهراً مدة من الزمن وربما حصل ألم في جهة القلب وفي بعض الاحيان تضطرب ضربات القلب وفي الصباح لا تتفتح شهية المريض للاكل ولكن كل هذه الاعراض تزول في قليل من الساعات وفي بعض الاحيان ينتهي المرض بسرعة زائدة بحصول القيء أو بزول كل شيء وربما تكرر القيء ومج معه قليل من الصفراء وربما حصل اسهال في الانى عشرى في الساعة التالية لوقت المرض

(العلاج) ايجاد القيء بأى شكل كان سواء بالمقيئات أو بتهييج داخل الحلق وفي الاحوال البسيطة يمتنع عن الطعام مدة من نصف يوم الى يوم

(سوء الهضم المزمن)

أسبابه اما من نفس الطعام أو أن افراز المعدة لا يكفي للهضم أو من عدم انتظام حركاتها والسببان الاخيران تحت تأثير المجموعة العصبية

وتضمحل قوة الهضم اذا كان ما يؤخذ من الطعام زائداً عن الحاجة أو لعدم مضغه من عدم وجود الاسنان أو مرضها أو أن يكون المأكول لا يذوب في عصارة المعدة بسهولة كاللحم الخشن أو الفواكه الغليظة أو الخضر ذات الالياف الكثيرة وفيها كمية كبيرة من السليولوز

أما من جهة المعدة فان كل مرض عضوى يسبب سوء الهضم مثل قلة افراز

حمض الكلوروديك والبيبسين او كثرة افراز المخاط وضعف جسم المعدة اوضمنها من ضخامة أى جزء من محتويات البطن أو سقوط المعدة من محلها وهذا شائع جداً في السيدات اللاتى تعدد حملهن

(الاعراض الخاصة) الم بين ضلعي زاوية غضاريف الاضلاع يبقى مدة من الزمن بعد الاكل ثم يزول وربما وصل اشعاعه الى مكان القلب ولذلك دعوه (حرقان في القلب) ويعلل بصعود حمض الكلوروديك الي البلعوم وربما وصل أيضا الي الظهر وكلما مضي الزمن على الهضم امتدت وتوسعت دائرة الالم الي السرة وغيرها من البطن وفي بعض الاحيان يكون الالم قبل الاكل ولا يزول الا بتناوله

(الم المعدة)

ألم المعدة اما ان يكون من سوء الهضم او من سبب عصبي خصوصا في السيدات وغالبا يكون من المصابات بالنقرس

(الرياح)

اكثر ما تكون مصحوبة بسوء الهضم فتنتفخ المعدة وما حولها وتزداد الآلام ثم يتجشي المصاب وقد تخرج الارياح من الجهة الاخرى وتسمع القراقر في البطن

وقد تكون الرياح نتيجة تخمر في المعدة من وجود ميكروبات اذا كان افراز حمض الكلوروديك ناقصا وهو من مطهرات المعدة فضلا عن خصائصه الهضمية وقد يكون التجشي غاز حمض الكربونيك من فعل الحمض علي أى كربونات موجودة في الطعام

(النهوع والقيء)

النهوع والقيء معروفان فلا لزوم لشرحهما

(الاعراض العامة للمعدة) يختلف منظر اللسان عن العادة فتارة تكسوه طبقة بيضاء ويكون اكثر انبساطاً او أعظم احمراراً والطبقة التى تكسوه قد تكون بيضاء او صفراء وفي بعض احوال سوء الهضم قد يكون ناشئا عن سرعة عبور الطعام عن المعدة الي الامعاء فينتج الاسهال وكثيراً ما يحصل القيء ويكون هناك أيضا طفح جلدى مختلف الانواع ويتأثر المجموع العصبي فيشعر

الانسان بدوران وعدم النشاط وصداع ورؤية أنوار كاذبة وحمق وضعف عقلي وشيء من فقر الدم

(انواع سوء الهضم)

هي كما قدمنا اما قلة حركة في المعدة أو زيادة في هذه الحركة اوقلة او زيادة في حمض الكلوردريك او قلة البيبسين ولكن هذه الانواع كلها لاتتأكد في كثير من الاحيان الا باختبار افراز المعدة ولكن هناك نوع سوء هضم مع التجشي يكون عادة من عدم قوة المعدة ويشع الي الظهر وقديوجد انتفاخ وامساك شديد

﴿ زيادة افراز حمض ﴾
(الكلوريدريك)

زيادة افراز حمض الكلوردريك يسبب المابعد الاكل بساعتين او اكثر ويزداد هذا الالم فيشعر المريض بحرقان في موضع فتحة الفؤاد

وأكثر ما يكون هذا الالم بعد أكل المواد النشائية والسكرية وربما لا يحصل مطلقا بعد أكل اللحم. واذا استمر افراز الحمض علي الدوام يحصل قيء حمضي وعلي العموم فان هذا النوع له ادوار كل واحد منها يمكث عدة ايام اما سوء الهضم الناتج عن آفة عصبية نحي تلك الحالات المصحوبة بألم عظيم في المعدة وقيء واخراج غازات وهي اكثر ما تكون في العصبيين وباختبار افراز المعدة لايوجد فيه أي تغير

(العلاج) قد أطلنا الشرح الماضي لان هذه الآفات قد لايخلومنها انسان ولا منزل ولذلك سنطيل في الشرح أيضا في ذكر العلاج والمسألة تتعلق بصبر المريض وحكمة الطبيب لان من الامثال الشائعة انه لاتوجد آلام قوية ينساها المصاب بسرعة الا آلام المعدة اذا جلس المرء علي مائدة الطعام ولديه شهية وهو جوعان. وقبل البدء في علاج سوء الهضم يجب أن يتأكد عدم وجود قرحة أو ورم خبيث اوما أشبه ذلك ويجب أيضا الاعتناء بحالة الاسنان اذا لم تكن لها قدرة علي تأدية عملها من تكسير او مرض. ثم يجب السؤال عن الطعام فاذا كان غير لائق او صعب الهضم فيجب الامتناع عنه . ولكن الشرط العلمي ان تختبر مفرزات المعدة قبل البدء في أي علاج وتقدير الناقص منها واذا لم

يتيسر ذلك فان من النقط العلمية أيضاً ما يساعدنا علي خير الوجوه فان سوء الهضم إما أن يكون بسبب تهيج المعدة من الاغذية أو قلة افرازها للمواد اللازمة للهضم أو عدم قدرة المعدة علي الحركات الهضمية لذلك يجب تعديل نظام الطعام اى يؤخذ الطعام بمقادير صغيرة علي دفعات متعددة في أزمنة صغيرة والامتناع عن أكل المواد المهيجة والحريفة مثل لحم الخنزير واللحم الخشن وأم الخلول والفت وأمثالها ويقتصر علي الاطعمة السهلة الهضم ولكن في الاحوال الشديدة يجب الاقتصار علي اللبن المضاف اليه شيء من البيبسين ثم بعد تقوية المعدة يتدرج المريض في الطعام

واذا كان في المعدة تخمر حمضي وجب الاقتصار في الطعام علي المواد الزلالية والامتناع عن المأكولات النشائية والتي تحتوي علي كثير من الدقيق

وفي الغالب تكون الاطعمة الموافقة هي نتيجة اختبارات المريض واذا كان نبيهاً فيمكنه أن يحكم علي الاطعمة الموافقة لمعدته

واذا كان هناك ضعف في المعدة أو انهاك عصبي فان الراحة التامة للمعدة خير واسطة في صلاحها

فاذا وجد ان هذا الضعف موضعي فقط فان التقوية الرياضية هي خير علاج للمعدة كركوب الخيل والقفز والتدليك وما أشبه ذلك

أما العلاج بالعقاقير فينحصر في الكربونات القلوية قبل الأكل والبزموت والاحماض والعقاقير المرة كماق الحمام ومحضرات الكواسيا والجنطيانا والجوز المتيء وفي الحالات البسيطة يضاف حمض الكلوردريك

وتعطى المواد العطاردة الرياح مثل روح النوشادر العطرى والجيهان والزنجبيل

أما زيادة حموضة المعدة فخير علاج لها أن يعطى المريض غراما من بيكربونات الصودا بعد الأكل بساعتين ويمتنع عن أكل المواد النشوية

ثم يعطى خلاصة الجوز المتيء مع الكينين

الدكتور حسين المرادى

هذا ما كتبه حضرة الدكتور حسين أفندى المرادى الفاضل وليس علينا أن نريد عليه الا سرد جميع أنواع أمراض

المعدة سرداً موجزاً مع الاشارة الي أعراضها وعلاجاتها علي حسب الخطة التي اختطتناها لهذه الدائرة فنقول :

(الاعراض العامة لأمراض المعدة)

من الاعراض العامة لآفات المعدة فقد الشهية ويصحبها النوازل المعدية واللانيميا فاذا كان سبب فقد الشهية ليس من مرض بالمعدة فتستعمل لايقاظ الشهية العلاجات المرة كغلي خشب الكواسيا والجوز المقيء والجنطيانا والراوند . وأما اذا كان بالمعدة حالة نزلية فيلزم الابتداء بمعالجتها

ومنها افراط الشهية وهو المسمي بالبوليميا وهذا العرض يصحب الآلام العصبية للمعدة فترى المريض يأكل ويملأ معدته ولا يشبع ويشاهد هذا العرض أيضاً في أمراض البول السكري والاسهال من دودها وانتفاخ عقدها الليمفاوية

وهناك عرض يقال له فساد الشهية ويعبر عنه بالبيكا يشتهي فيه المريض المواد غير المغذية أو القذرة بشراهة مفرطة كالطين والطباشير والجير ونحوها وهذا العرض يشاهد في أثناء الحمل وفي الهستريا وفي الجنون

والتجشي وهو يصحب فساد الهضم غالباً وهو إما أن يكون غازياً أو سائلا

فالتجشي الغازي ينشأ من خروج الغازات من المعدة وحدها او مصحوبة ببعض أجزاء من الطعام. وقد تخرج الغازات متحملة بسوائل حمضية يحس بها في الحلق

وأما التجشي السائل فانه يصحب فساد الهضم أو يكون متعلقاً بحالة نزلية أو يكون ذاتياً عند بعض النساء والشبان ويحصل في الصباح غالباً ويصحبه ألم في القسم الشراسيفي ثم يخرج السائل من المعدة ويصل الي الفم بمقدار وافر ويكون حمضياً مرة أو يكون عنها لا طعم له ويتكرر خروج السائل بحركة التجشي بدون قيء ومتى انتهي بحس المريض بالاستراحة وزوال التعب الشراسيفي. وقد يصل مقدار السائل الخارج من عدة أواني الي الليتر في اليوم ويكون السائل رائقاً أو رغوياً. فبعضهم ينسبه الى ماء الشرب و بعضهم الي زيادة افراز اللعاب وتجمعه في المريء فوق فتحة الفؤاد ثم

خروجه علي حالته الفموية

يعالج التجشي الغازي والحمضي بالبزموت وحده أو مصحوبا بالأفيون والادوية المرة أو القابضة كالكينا والجنطيانا

(٣) والقيء ويشاهد في أمراض المعدة المختلفة كسوء الهضم والالتهاب والاورام المعدية وقد يحصل في بعض الامراض العصبية كالهستريا والضعف العصبي . وقد يشاهد القيء في بعض أمراض المخ والنخاع كالاحتقان المخي وخراجاته والاحتقان والأنيميا وفي هذه الحالة يتكرر القيء غالباً عند حركات الرأس أو انخفاضها أو ارتفاعها الفجائي وبعض الآفات الحشوية يوجب القيء كالتهاب الغشاء المخاطي للأنف والشعب التي يصحبها سعال شديد وأمراض القلب والاوعية والكبد والكلي والبريتون وأعضاء التناسل

وقد يستدل بالقيء علي ابتداء السل الرئوي قبل ظهور علاماته الطبيعية وعلي داء اديسون والحمل عند المرأة ولكن في هذه الحالة الاخيرة لا يستمر القيء بعد الاسبوع أسابيع

ومتى اصطحب القيء بالاسهال يعرف ان المعدة والامعاء في حالة اضطراب من تأثير برد أو سوء هضم وقد يستدل منه علي البول الزلالي أو علي التسمم الحاد والمزمن بالجواهر المهيجة كالزرنيخ والانتيمون

يعالج القيء العصبي إما بمنع الغذاء والشرب جميعاً مدة أيام الي أسبوعين وتغذية المريض بالحقن في المستقيم أو بعدم التصريح للمريض الا بلعقة صغيرة من اللبن ثم يضاعف له المقدار باحتراس ثم يمتنى بعد ذلك في انتخاب الاغذية السهلة الانهضام

(٤) والسعال المعدي ويعرف بأنه جاف متكرر ويتسبب عنه خروج مواد مخاطية آتية من المعدة

(٥) والفواق وهو ينشأ من انقباض الحجاب الحاجز بحالة فجائية تتكرر في مسافات قريبة أو بعيدة تحدث بصوت مخصوص في المزمار عقب مرور الهواء فيه بقوة . وليس الفواق أهمية اذا كان وقتياً وانصرف في بضع دقائق أو بضع ساعات. وأما اذا استمر أياماً متوالية فانه يدل علي خطر

(٦) والاضطراب العصبي وهو من أعراض أمراض المعدة ويشمل الخفقان وعسر التنفس وثقل الرأس والاعراض العصبية الاخرى التي تصحب في الغالب امتلاء المعدة وتمددها بالغازات وسوء الهضم

(أمراض المعدة) (١) التهاب المعدة الحاد. في هذا المرض يلتهب الغشاء المخاطي للمعدة ويمتد الي الطبقات التي تحته وينقسم علي حسب شدته الى التهاب نزلي أو التهاب حاد والتهاب غلغلوني وتسمى ودفتيري

أعراض الالتهاب النزلي الخفيف يعبر عنه بالتلبك المعدي والتخمة المعدية وتشاهد مثلا عند لاطفال متى أفرطوا في أكل المواد العسرة الهضم كالمشمش والبلح

ويحصل عند الكهول اذا أفرطوا في الاكل والشرب وأدخلوا الطعام علي الطعام وتعرضوا للتعب والسهر فتفقد شهيتهم ويحصل لهم غثيان وتبيض ألسنتهم وتتغطى بطبقة وسخة او مصفرة ويشعر بتكسر في الاطراف وملل وتحصل لهم حركة حمية خفيفة ومتى تقايأوا وتفرغت معداتهم يستريحوا ويبرأوا

وقد تكون النزلة المعدية أشد مما ذكر فيصحبها احساس بضغط وثقل في القسم الشراسيفي وتألم أصم ثابت أو منتشر يشع نحو الظهر أو بجوار اللوح ويزداد الالم بالضغط علي المعدة ويصحبه فقد في الشهية وكراهة للاطعمة وتعجن في اللسان وتغطيه بطبقة وسخة سميكة وعطش وميل الى المشروبات الباردة ويكتسب النفس رائحة غير مقبولة ويحصل تجشي غازات منتنة وغثيان وقيء مواد غذائية غير تامة الهضم ومختلطة بمادة مخاطية وقد يتبعها قليل من الصفراء وقد يصحب هذه الاعراض تكسر في الاطراف وحركة حمية خفيفة ونقص في افراز البول مع تركزه وقد يظهر علي الذقن والشفة طفح

تنتهي النزلة المعدية الحادة عادة بالشفاء من يوم الي ثلاثة أم أسبوع ما لم يستمر المريض علي فساد معدته وحينئذ تستحيل النزلة الحادة الي نزلة مزمنة

أسباب هذا المرض عدم انتظام التدبير الغذائي والافراط في الأكل

والتوابل والمشروبات الروحية والاطعمة الساخنة او المثلجة وادخال الطعام علي الطعام وأكل المواد العسرة الانهضام او اللحوم الفاسدة كالسمك وام الخلول العفنة وتعاطي المواد الحريفة والتعرض للتغيرات الجوية في فصل الربيع والخريف وشدة الحرارة في الصيف والتعب واستنشاق الابخرة الزرنيخية كالنوم في غرفة مبطنة بالورق الملون بلون يحتوى علي تركيب زرنيخي. ويحصل هذا الالتهاب أيضاً من الانفعالات النفسية الشديدة

تشخيص هذا الالتهاب المعدى لا صعوبة فيه ولا يلتبس بالحمي التيفودية وانما تجب الدقة في تعيين نوع الالتهاب أن ذاتيا او تسمميا أو عرضيا

معالجة الالتهاب المعدى يكون باعطاء المريض مسهل ضد التلبك المعدى أو التخمة لاجل استفراغ الاطعمة غير المنهضمة الراسخة فوق المعدة وذلك المسهل يكون سلفات الصودا اوماء بولنا أوبرمنس دورف. واذا أضطر الي القيء فيعطي غرامين من عرق الذهب أو يضاف اليه ٥ سنتيغرام من الطرطير المقيء وتراعي الحمية المطلقة وقد تكفي هذه الحمية لشفاء الالتهاب المعدى في ٢٤ ساعة واذا لم يطق المريض الامتناع من الاكل فيعطي اللبن بارداً ومخففا بما الجبن او ماء الصودا او ماء الشعير اوماء الرز المعطر بقليل من ماء الزهر او ماء القرفة والليمونادا الخفيفة وهذه الاخيرة يجب ان يحترس منها وتؤخذ بمقدار قليل ومتى تحسنت الحالة يصرح له بأغذية نشوية كالبالوظة والرز المدقوق مع اللبن (المهلبية)

ولاجل تلطيف العطش يعطي المريض قطعا صغيرة من الثلج يستحلبها ببطء ولاجل تلطيف القيء يعطي البزموث مع كربونات الصودا والمورفين

(٢) الالتهاب المعدى المزمن يتبع هذا المرض النزلة المعدية الحادة غالبا ويكون أصليا عقب تكرار سوء الهضم والتعرض لاسباب التلبك المعدى والافراط في المشروبات الروحية، وهذا الالتهاب يلازم في الغالب بعض آفات المعدة البطيئة السير كالسرطان والقرحة الوحيدة وبعض الامراض التي توجب اعاقة الدورة الوريدية كآفات الصمامات القلبية وسيروز الكبد والانفزيما الرئوية

والالتهاب البلعومي أو المزمن ونحو ذلك ويشاهد هذا الالتهاب المعدى المزمن أيضا في الانيميا والملاريا وغيرهما

(أعراضه) تنحصر أعراض الالتهاب المعدى المزمن في سوء الهضم وسيأتي تفصيله في البحث الثالث الآتي وتبطل الشهية ويتمجن الفم وبشعر المريض بتعب في المعدة وتألم بعد الاكل وحصول التجشؤ والانتفاخ البطني والقيء والامساك وتتألم المعدة من الجس ويشعر بتيبس جدرها أو تمددها وبرجهار بما تسمع القلقلة الخاصة بالتمدد وبقي طال الداء ينشأ عنه التحول وضعف القوى وقد يتضاعف بسيروز الكبد أو البول الزلالي وأساس المعالجة التدبير الغذائي وغسل المعدة

(٣) السبيسيا اوسوء الهضم المزمن. يتم الهضم الطبيعي بأمرين اولهما العصير المعدى وثانيهما حركات المعدة فاذا تنوع العصير المعدى أو اختلفت حركات المعدة ينشأ عن ذلك عدم انتظام الهضم وبما أن الافراز المعدى وحركات المعدة يتعلقان بسلامة الاجزاء الداخلة في تركيبها كالغدد والعضلات والاوعية والاعصاب والطبقات المكونة لجدرها فتكفي اصابة أحد هذه الاجزاء لاضطراب نظام الهضم وحصول بطء فيه أو عسر، ولذلك يحدث سوء الهضم عن أسباب شتى متنوعة

وبما أن سوء الهضم يعقب دائما اصابات المعدة فلا يمكن اعتباره كمرض ذاتي وانما هو عرض لهذه الاصابة

أسباب سوء الهضم أسبابه اما متعلقة بالاغذية أو بالمعدة فاذا كان الغذاء صحيا فربما يحدث سوء الهضم من نقص حمض الهيدروكلوريك والبيبسين في العصير المعدى أو من افراط حموضته او من الزيادة في افراز المادة المخاطية أو الضعف في قوة المعدة او التهاب غشائها المخاطي أوضعف الاعصاب المعدية أو المراكز العصبية فبدلا عن أن تهضم الاغذية تتخمر و يتكون منها حمض الكربونيك والخلات والزبديك وتتألم المعدة و يثقل عليها الغذاء ويحصل التجشؤ والغثيان والقيء

وأما اذا كانت المعدة سليمة والغذاء رديئا عسر الهضم ان كان مقداره زائداً عن طاقة المعدة او كان الغشا ناقص الهضم والهموم متبيسة من افراط الطبيخ

أو كان مضغها وتشربها باللعاب غير تام أو حصل افراط في تناول التوابل والمشروبات الروحية

فيمكن حصر أسباب سوء الهضم في هذه الاسباب وهي :

(أولا عدم نظام التدبير الغذائي كالافراط في الاكل أو عدم مضغه جيداً أو شرب البارد المثلوج الخ الخ

(ثانيا) التعب العظيم وقلة الحركة وعدم الفسحة وادمان السهر والافراط في الاعمال العقلية أو في الشهوات والحزن والهموم والانفعالات النفسانية ، كل هذه الاحوال تؤثر على الهضم وتفسده

(ثالثا) بعض الامراض العامة والانيميا والملاريا والنقرس والسل لان النقرس يصيب المعدة كما يصيب الروماتيزم القلب و يسبق في الغالب النوبة النقرسية و تؤذن بها أو يستمر بلا فتور

(رابعا) اصابة بعض الاعضاء البعيدة كالكبد والرحم والحمى والامراض الجهاز البولي والقلب التي توجب ركود الدورة الدموية

(خامسا) الوراثة والشيبة والكهولة لغاية الخامسة والاربعين أو الخمسين وما عند الاطفال أو الطاعنين في السن فلا يشاهد سوء الهضم الا قليلا وذلك لان سن الشيبة والكهولة عرضة الافراط في الاعمال العقلية والجسدية وهموم المعيشة

(أعراض سوء الهضم) تتنوع أعراض سوء الهضم المزمن بتنوع الاشخاص والاسباب فيقال على وجه عام أنه يصحب سوء الهضم ضعف في الشهية ويحس بتألم خاص في القسم الشراسيني يسمى بلغة مصر بالسخسخة أو يشعر بتألم شديد يشبه التقلص . فاذا أكل شعر بثقل وتعب يصحبه غالبا احتقان في الوجه وثقل في الرأس وميل للنعاس ويستمر ذلك بضع ساعات ويصحبه تألم في القسم الشراسيني أو يمتد خلف القص و ينشأ عنه ضيق في التنفس أو يمتد الى الظهر بجوار الروح الايسر ويتألم المريض من الضغط على المعدة وقد يوجب الضغط خفة واستراحة ويتلذذ من شرب الماء البارد والبعض لا يحس بعطش و يتبعه شرب الماء

ويشكو المريض عادة من كراهة طعم الفم وجفافه ومرارته أو بتشجنه وتكون رائحة النفس كريهة ويكون اللسان وسخا

مغطي بطبقة مبيضة أومسمرة ويتضاعف سوء الهضم كثيراً بالنبحة الحلقية الحبيبية المزمنة

وقد يصحب سوء الهضم المزمن امساك مستعص وثقل في الرأس أوصداع جبهي وتعب في الاطراف وكسل في القوى العقلية وعدم القدرة على الاشغال أو دوار وماليخوليا . ومتى تقدم المرض أبطأ النبض وضعف الجسم وتكون أقل حركة موجبة لسرعته ويحصل عند بعض المصابين خفقان وضيق نفس و يكون الجلد جافا أو ترابياً او رخواً مندى بالعرق وقد تأتي نوبة حمية خفيفة تأتي في المساء وتنتهي بالعرق ويكون البول غزيرا رائقا أوقليلا مركزاًفيه رسوبات بولية أوكسالية او فوسفاتية أو يكون البول زلالياً ولا يشاهد تحول المصاب الا اذا تقدم المرض

ليس القيء يشرط في سوء الهضم المزمن وانما يشاهد غالبا عند المدمنين على الخمر وقد يحل محل فقد الشهية زيادة مفرطة فيها

(تشخيص سوء الهضم) تشخيص هذا المرض سهل وانما الصعوبة في تعيين نوعه هل هو متعلق باضطراب وظيفي فقط أوبالتهاب معدي مزمن أو بضعف المعدة أو مرتبط بمرض عام أو بمرض عضو بعيد هو سابق ومؤذن بمرض عضوي موضعي كالقرحة والسرطان فيجب الاعتناء بالبحث عن ذلك وتكرار البحث يومياً

(المعالجة) تتنوع معالجة سوء الهضم وتكون تدبيرية أو علاجية

فالمعالجة التدبيرية يمكن تطبيقها على أنواع الطعام وهي عبارة عن الاعتناء في تدبير الاغذية وانتخابها وتعيين مقدارها وترتيب أوقاتها وأوقات النوم واليقظة

فلا يأكل المريض الا الاغذية السهلة الانهضام ويعول على الخضر لانها لا تهضم في المعدة بل في الامعاء فيتناول الاسفاناخ والفرع الصغير والرجلة والخرشوف والحلبون فتحضر بحيث لا يوضع فيها دسم . ويؤكل الرز المطبوخ مع اللبن والشعرية والمهلبية . وأما الفجل والجزر وجميع الجذور الصلبة فالاصوب تركها . ويتجنب أكل الكرنب والبقول لانها تولد الرياح ويؤكل الخبز محمراً على

النار ولا تؤكل حيوانات البحر ولا قواقعه ولا الجبن ولا المخللات ولا الفواكه الجافة كالبندق والجوز ويؤخذ اللبن والكوكا مع الماء بدل القهوة والشاي ولا يشرب المريض مع الطعام الا مقداراً قليلا من الماء والافضل عدم الشرب مع الاكل بل بعد الاكل بساعتين أو ثلاث ساعات . ويمتنع عن التوابل بتاتاً ويجب أن يأكل ببطء وأن لا يملأ معدته وأن يمضغ الاغذية مضغاً بالغاً النهاية

وأن لا يعرض نفسه التعب العقلي والجسدي مدة الهضم وأن يواظب على التعرض في الهواء الطلق يومياً وعلى تمهد الجلد بالاستحمام

وأما المعالجة الدوائية فتختلف باختلاف الاحوال وبحسب ما اذا كان مرضاً مستقلا وتابعاً أو منذراً بغيره

(٤) في قروح المعدة تقرحات المعدة عديدة ومتنوعة وأهمها القرحة الوحيدة وهذه التقرحات تحدث من أنواع شتى فاما أن تعقب الاتزفة الشريانية في الالتهاب المعدي الكحولي والبولي أو تعقب الاحتقان المعدي الركودي عقب أمراض القلب او سيروز الكبد وتتصف هذه التقرحات بكونها كثيرة جداً بحيث يصل عددها ٤ أو ٦ في الستي متر المربع من النشاء المخاطي وتكون منتشرة على مسير التفرعات الشريانية الوريدية ولا يزيد قطرها عن نصف سنتي متر وتكون مستديرة أو بيضية وحافتها منحرفة مغلطحة

وقد تحصل هذه التقرحات عند الطفل الغض ويكون مجلسها غالباً قوس المعدة الكبير ويصحبها احتقان وريدي واضح وينسبب عنها في تركيب مواده من مواد مخاطية منقطة بنقط مسودة طبيعتها دموية وتكتسب سحنة الطفل هيئة العجوز وتنور عيناه وينقبض جلده

التقرحات الدرنية تشاهد في المعدة أقل مما تشاهد في الامعاء ومحلها في الغالب القوس الكبير المعدة وتوصف بكونها غير منتظمة ومحفورة على هيئة قمع يختلف حجمها وقد يصل الى ٣ او ٤ سنتيمترات وكل من قاعها وحافتيها يكون موشحاً بحبيبات درنية ينشأ من لينها انساع القروح ، والانسجة تكون تحتها مرتشحة بالدرن على امتداد كبير بطول الاوعية الشعرية. ويندر أن يتسبب عنها

ثقب المعدة او فتح الاوعية ويعقب ذلك التهاب بريتوني او نزيف خطر

يمكن مشاهدة تقرحات المعدة ايضاً في الحمى التيفودية وفي الزهري وهو نادر جداً وفي الحروق المنسعة للجلد وعقب رض القسم الشراسيفي

واما القرحة المعدية الوحيدة وتسمى بالقرحة المستديرة والقرحة الثاقبة فهي قرحة أكالة تمتد في السطح والعمق وتثقب المعدة غالباً وتفتح الاوعية الدموية وهي قابلة للشفاء والالتئام

(أسباب هذه القرحة) رأى العلامة وبرشوأن قبل ان لم تمنع تأثير العصير المعدى على نسيجها اذا سدت الشرايين او الاوردة الشعرية باستحالة شحمية أو غيرها ووقفت الدورة في نقطة من المعدة استولى عليها العصير المعدى وهضمها ويعقب ذلك تكون القرحة الوحيدة فتكون على هيئة قمع قاعدته في حذاء الغشاء المخاطي وقمته مواجهة البريتون . واعترض المؤلفون على هذا الرأى بأن ركود الدورة المعدية عقب آفات صمامات القلب وسيروز الكبد لم يتخلف عنه ظهور القرحة الوحيدة وان القرحة الوحيدة لم يرى لا يصل اليها العصير المعدى ومع هذا فلا يمكن انكار تأثير العصير المعدى على القرحة

تشاهد هذه القرحة الوحيدة في سن الشبيبة والكهولة اى بين ١٦ و ٥٠ سنة من عمر الانسان ونقل مع التقدم في السن ولا تشاهد قبل العاشرة الا في احوال نادرة وتصيب الاناث اكثر من الذكور

(اعراض القرحة المعدية) هي الالم والقيء وتسبقها أعراض سوء الهضم أما الالم فتختلف حدته من درجة الانقباض والثقل في القسم الشراسيفي الى درجة الحرق والقرص والتمزق والثقب ويبتدىء الالم عادة بعد تناول الطعام ببضع دقائق الى نصف ساعة في النادر ويستمر مدة الهضم ويزول بعد تمامه واذا حصل القيء وفرغت المعدة يستريح المريض من الالم ويشتد الالم بالضغط على القسم الشراسيفي وبتعاطي المواد الغذائية الصلبة او العسرة الهضم او الساخنة وفي النادر جداً يحصل الالم على خلاء المعدة ويتلطف بتعاطي الماء الدفيء . وقد يظهر الالم على نوب بدون سبب واضح او يستمر بلا انقطاع مدة ايام او اسابيع متوالية خصوصاً اذا

أزمن المرض ويكون محل الالم في القسم الشراسيفي في حذاء الثنوء الخنجرى أو على يمينه أو يساره بقليل أو أسفل منه بنحو قيراطين ويصحب الالم الخنجرى ألم ظهرى شديد يحس به في حذاء الفقرة الاولى القطنية وقد يكون في حذاء الفقرة الثانية القطنية أو التاسعة الظهرية . ويتحرك الالم و يشتد بالضغط على القسم الشراسيفي حتى ان المريض لا يتحمل أدنى ملامسة حتى ولو لامس الملابس وقد يحرك هذا الضغط الالم الظهرى أيضاً . وفي أحوال نادرة جداً يتلطف الالم بالضغط

أما القيء فيبتدىء عادة بعد ظهور الالم ببضعة أيام أو بضعة أسابيع ويكون دموياً في القرحة الوحيدة . ويصحب القرحة المعدية الوحيدة عادة سوء الهضم والامساك وأما الشهية فقد تكون محفوظة ويرى على الشخص المصاب هيئة الصحة التامة

يبتدىء هذا المرض غالباً بسوء الهضم ثم تحصل الآلام والقيء وقد تستمر هذه الحالة مدة شهر أو سنين وقد تبلغ من ٢٠ الى ٣٠ سنة أو أكثر مع نوبات وفترات تحسين وباتباع التدبير الغذائي والعلاج وربما حصل الشفاء التام

وهذا الشفاء بذاته قد يحصل بمحض اتباع التدبير الصحي

وأما استحالة القرحة الى سرطان فبعض المؤلفين ومنهم (تروسو) ينفيها وبعضهم يقول بامكانها

(تشخيص هذا المرض) متى وجدت الآلام الخنجرية والقيء بعد تعاطي الطعام وانصرفت بعد القيء أو بعد تمام الهضم وكان القيء دموياً أو مصحوبا بالبلينا وكان مقدار حمض الكلوريدريك في العصير المعدى زائداً عن الحد ولم يحس بورم في المعدة وكان المريض شاباً أو كهلا فيمكن تقرير تشخيص القرحة الوحيدة المعدة

ولكن متى كانت الاعراض المذكورة غير تامة أو كانت قليلة الوضوح فتلتبس القرحة بأمراض أخرى كالآلام العصبية وسوء الهضم المؤلم وسرطان المعدة وقرحة الاثنى عشرى وسيروز الكبد والانيميا والسل عند الشابات ويلزم في هذه الاحوال اعتبار الاعراض الاخرى المميزة لهذه الاعراض والوصول

الي التشخيص بطريقة السرد فالآلام العصبية المعدة مثلا تنصف باشعاعها في الاعصاب بين الاضلاع وتلطفها بالضغط علي المعدة أو بتعاطي الاطعمة ولا يصحبها قيء دموي . وان كانت هذه الاوصاف غير كافية دائما الا انها تساعد علي التشخيص

وسوء الهضم المؤلم لا يثور بتعاطي الاغذية ويتلطف غالباً بالضغط علي المعدة ولا يصحبه قيء دموي وتنتشر آلامه بين الاضلاع غالبا

وسرطان المعدة يحس بورمه بالجس ويصحبه تناقص حمض الكلور يدريك أو فقده في العصير المعدي

ومحل المنص الكبدي يجوار الحويصلة المرارية ويصحبه قيء وقشعريرة ويرقان وربما وجدت حصيات في البراز

(معالجة القرحة المعدية الوجيعة) أهم معالجة هذا الداء هو اتباع الشروط الصحية فتجب ملازمة الفرش أو يكتفي بالرياضة الخفيفة ويعتنى بالتدبير الغذائي الذي الصرف حتى تلتحم القرحة فيعطي اللبن بمقدار قليل عدة مرات في اليوم ويكون بيتاً او بارداً بعد الغليان أو منعقداً في الاواني (أي اللبن زبادي) وأذاكره المريض اللبن تضاف اليه ملعقة من ماء الجير أو ملعقة من القهوة أو يضاف اليه ماء الجير مع مليغرام واحد من كاورايدورات المورفين أو الكوكايين أو يعطى له اللبن البيتوني أو يضاف اليه ماء الزهر أو يعطي البيض البسبارشت ويرفق ذلك بالحقن المغذية من الشرج واذا جاء دور النقاهة تنوع الاغذية باحتراس فيعطى الرز مدقوقا ودقيق الارروت ثم مسحوق البسكوت ويجب اجتناب الحلو والسكر خشية تولد الغازات في المعدة وتمددها

أما المعالجة العلاجية فهي من خصائص الاطباء يعطونها علي حسب الاحوال

وبما أن القرحة المعدية عرضة للنكسات فيجب مداومة التدبير الصحي في الغذاء مدة النقاهة وبعد الشفاء ويوصي المريض باجتناب أسباب الضغط علي القسم الشراسيني (أي جهة نهايات الاضلاع) ويجب اجتناب جميع المجهودات

(٥) في الآلام العصبية المعدة تحل

هذا الداء الفروع المعدية للعصب الرئوي المعدي والسمباتوي وقد تكون ذاتية أو تابعة لامراض أخرى موضعية أو عامة

(أسباب الآلام العصبية المعدة) قد تحدث تلك الآلام من تأثير البرد والتعب والافراط الشهواني والافراط في الاشتغال والسهر والحزن واستعمال السوابل القوية ، والمزاج العصبي مهيء لها وتظهر الآلام العصبية مصاحبة لسوء الهضم وقرحة المعدة وسرطانها وفي الطوروز والانيميا والهستريا والاناكسيا وفي النقرس والتسمم الاجاي والسل وأمراض الرحم والنخاع الشوكي وغير ذلك

(أعراض هذا المرض) العرض الاصلي الوحيد هو الالم الذي يظهر علي هيئة نوب وتكون تلك النوب عادة غير متعلقة بالهضم ولا بتعاطي الاطعمة فتارة تسبق الاكل بنحو ربع أو نصف ساعة وتسكن اذا تعاطي الشخص مواد غذائية وتارة تحصل بعد الاكل بنصف ساعة أو ساعة او تحصل بعد اتمام الهضم ويسبق النوب تجشؤ غازي أو حمضي أو غثيان ، ويكون الالم اما قاصراً علي المعدة فيحس به في القسم الشراسيني كتشنج مؤلم ويصحبه قيء متواتر وهبوط أو اغماء أو يكون واخزاً أو محرقاً أو بشع بعيداً عن المعدة في الظهر والصدر والاعصاب بين الاضلاع والبطن والامعاء والمراقين أو ينزل في الحبل المنوي في فروع الضفيرة الشمسية فيتأوه المريض ويتلوى ويشحب وجهه و يغير أوضاعه علي الدوام وتستمر النوبة بضع دقائق الي ربع ساعة أو ساعة وقد تكرر مراراً في اليوم وتعود أياماً متوالية وقد يصحبها اضطراب هضم ولكن في الغالب يستمر الهضم طبيعياً والشهية محفوظة بل ربما تزايدت تزايداً مرضياً

ويتنوع سير هذا المرض بتنوع أسبابه فقد تكون الآلام فيه مستمرة وقد تكون وقتية وتتصرف بسرعة ولكنها عرضة للنكسات

(تشخيص هذا الداء) تشع الآلام في الصدر والبطن وحصولها مدة فراغ المعدة وتسكينها بتعاطي الطعام وبالضغط علي المعدة واستمرارها بعد القيء وعدم وجود الدم فيه وعدم زيادة حمض الكلوريدريك يكفي في تمييز الآلام العصبية الذاتية من آلام القرحة الوحيدة

المعدة التي فيها الآلام محدودة فتجربة فقرية تظهر بعد الاكل وتسكن بعد تمام الهضم أو بعد القيء وتزداد بالضغط على المعدة والقيء فيها دموي ومحتو على مقدار وافر من حمض الكلوريدريك . أما السرطان فآلامه أقل حدة ويصحبه في الغالب ورم يحس به في القسم الشراسيني، وسن المريض والقيء الدموي والكاشيكسيا والاوذيما البيضاء المؤلة الخاصة بالسرطان دلائل على التشخيص

وتتميز الآلام الرومانيزية لعضلات البطن بكونها سطحية وتزداد بحركات البطن

وأما الآلام العصبية بين الاضلاع والنفص الكبدي فانها تتميز بالاعتناء في تحديد مجلسها والبحث عن النقط المؤلة للاعصاب بين الاضلاع وعن الالم الكتفي في النفص الكبدي وزيادة حجم الكبد واليرقان والبول المبر عنه بالكبدي وبقية الاعراض الكبدية

متى تبين تشخيص الآلام العصبية المعدة وجب بيان سببها لانها ربما كانت مسبوقة بالسل الرئوي او التخشب أو متعلقة بالظاهروز أو المستريا أو ذابة صرفا

(المعالجة) يجب الاهتمام بمعرفة سبب النوبة فاذا كانت ناشئة من فراغ المعدة فيكفي تعاطي بعض الاطعمة لتسكينها وقد تسكن بالضغط على قسم المعدة أو بالرقاد والاستراحة على الظهر أو بتعاطي نقط من روح النوشادر العطري او المانيزيا المكلسة وحدها نحو غرامين أو مع البزموت أجزاء متساوية ويمكن تدارك هوديتها باعطاء هذه الادوية متوزعة في اليوم أو يعطي من ٥ الي ١٠ نقط من صبغة الجوز المقيء

وتعالج النوبة الشديدة بوضع مثانة مملوءة بالثلج على قسم المعدة وتحقن تحت الجلد بمحلول كلوريدرات المورفين

وقد تظهر الآلام المعدية بعد الاكل بنحو ساعتين الي أربع ساعات وتستمر شدتها بضع ساعات

ويجب الاعتناء بالتدبير الغذائي واذا اقتضى الحال فيجب مراعاة الحمية اللبنية أو نصف اللبنية

(١) التزيف المعدي والقيء الدموي. التزيف المعدي هو نزيف ينشأ من أوعية المعدة الواصلة الى تجويفها سواء خرج الدم فيما بعد بالقيء أو بالتغوط او لم يخرج الي الخارج . والغرض من القيء الدموي هو عرض يتصف بوجود الدم في القيء سواء كان منشأ الدم نزيفا معديا او ورود الدم الي تجويف المعدة من منشأ آخر كالانف أو الحلق أو الرئة

(أسباب هذا الداء) ينشأ التزيف المعدي غالبا من الاصابات المعدية الجرحية وآفاتها العضوية كالجرح والرض والانتهاب المزمن والقروح ولاسيما القرحة الوحيدة والسرطان وتمدد المعدة

وتمدد احتقان المعدة ربما أدى الي التزيف المعدي كسيروز الكبد وآفات صمامات القلب والانتهاب الرئوي المزمن الذي تحدث احتقانا في الدورة الوريدية وكذلك الاحتقان والتزيف المستيري والعرضي عقب انقطاع الحيض والبواسير وآفات الاوعية المعدية والانيميا الخبيثة والظاهروز والحميات المنتنة والجدري

(أعراض التزيف المعدي) يسبق القيء الدموي فشعر برة وشحوب في الوجه ودوار واغماء واحيانا لايحصل قيء دموي فيخرج النزيف مع الغائط وربما حدث القيء فجأة ونزل الدم من الفم غزيراً

وربما هلك المريض لوقته او وقع في انيميا شديدة ولكن يندر حصول الموت عقب التزيف المعدي حالا ومع هذا فخطورة هذا المرض او عدم خطورته تتعلق بسببه

(معالجة التزيف المعدي) متى حصل هذا التزيف وجب أن يستلقي المصاب على ظهره وان يضع مثانة الجليد على معدته وأن يأخذ قطعا من الجليد يمتصها وان يعطي ليمونادة موريانية أو كبريتية غير محلاة وتستعمل النوابض كفوق كلورور الحديد وماء رابيل وخلات الرصاص بقدر ١٥ الي ٢٠ سنتيغرام مع خلاصة الافيون بقدر سنتيغرام واحد ويعطي زيت الترنتينا من ٢ الي ٣٠ نقطة في كل ست ساعات مرة مع ١٠ أو ٢٠ قطة من حمض الكبريتيك في قليل من الماء

ومتى انصرف التزيف وجبت معالجة سببه

(٢) تمدد المعدة . المقصود بتمدد المعدة اتساع تجويفها سواء وقت جدرها أو غلظت

(أسباب التمدد) الانتهاب المعدي النزلي قد يتسبب عنه ارتخاء وشلل في

جدر المعدة فتتمدد المعدة وهذا مايميزه عن التمدد الحاد وهو نادر . ويحصل التمدد في العادة ببطء تدريجا اما عقب ضيق البواب بورم سرطاني او بأثر التحام مثلا او عقب الافراط في الاكل والشرب فلا تقاوم المعدة الضغط الواقع عليها وتنهي بالتمدد

وقد يحصل التمدد عقب الآفات التي تصيب جدر المعدة وتضعف عضلاتها أو عصبها كالالتهاب المعدى المزمن أو النهوكة التي تعقب الامراض السقيلة كالحمى التيفوئيدية والسل الرئوى وأمراض النخاع الشوكي

ومما يهيء التمدد المعدى الظهورز والانيمياء والضعف العصبي والهستريا والمالخوليا ويصحب التمدد المعدى غالبا خروج احدى الكليتين من مكانها وبقاؤها سائبة

التمدد المعدى اكثر حصوله بين الخامسة عشرة والاربعين من العمر ويشاهد عند الرجال اكثر مما يشاهد عند النساء

(أعراض تمدد المعدة) قد تزيد شهية المصاب بالتمدد او تنقص ويشعر بعطش شديد وامساك مستمر ويكون عضه بطيئا صعبا ويحدث قيء في الغالب وقد يصل مقداره الي بضعة لترات في اليوم من مواد سائلة مخاطية متكونة مرة الطعم ذات رائحة كريهة محتوية على مواد غذائية متعفنة ربما تشاهد فيها بعض الاغذية التي تعاطاها المريض منذ يومين او ثلاثة. ويتسبب من تكرار القيء نقص البول ونهوكة المريض وقد يكون القيء دمويا.

وبالكشف على البطن يرى القسم الشراسيني (أي مادون الاضلاع) بارزاً شديد الرنين تحت القرع ومتسماخصوصا متى كان المريض على الخوى . ومتى رج الجذع رجا خفيفا سمعت له اقلقة تتضح متى أعطى المريض كوبا من الماء وقد يتغير شكل البطن فيتكون بروز في الجهة اليسرى وانخفاض في الجهة اليمنى وبالجس يحس بتقوس قعر المعدة وحافتها السفلي وتقعر الحافة العليا

متى كان تمدد المعدة خفيفا فلا يحدث منه اضطراب واضح في الهضم ولكن متى تزايد وأزمن فانه يصحبه سوء الهضم بدرجات مختلفة مع تألم في القسم الشراسيني وعطش زائد لان المعدة

المتمددة لا تمتص السوائل ويتكرر القيء وتبطل التغذية وتحصل النهوكة والنحافة وتتضاعف الاعراض عند بعض المرضى بالمالخوليا والدوار وتقطع النبض وقد تحصل نوب صرعية او تقلصات مختلفة او شلل او اعراض شبيهة بأعراض التسمم البولي ينسبها العلماء الي امتصاص المعدة السموم المتنة التي تحدث من تخمر المواد الغذائية . وقد يتضاعف تمدد المعدة بالروماتيزم العقدى الاصابع وتقبض عضلاتها

(معالجة تمدد المعدة) تشتمل على وسائط موضعية وعامة أما المعالجة الموضعية فالغرض منها تخليص المعدة من متحصلها الغزير الفاسد ثم تدارك فساد الاطعمة الجديدة

ويستحسن غسل المعدة يوميا ثم بعد مابين الغسلتين متى بدأ التحسن فيها. وبعد الغسل يترك المريض ليستريح بضع ساعات ولا يسمح بغذاء بعدها الا قليلا من اللبن كل ساعتين مرة

وعلى كل حال تجب العناية بالتدبير الغذائي وتتبع الحمية اللبنية او الحمية الجافة على حسب الاحوال ويجب اجتناب المواد الحلوة والنشائيات ولاجل تقوية المعدة تعطي القوابض المرة وصبغة الجوز المتيء لاجل سهولة الهضم يعطي المريض حمض الموريانيك ١٠ نقط في كوبة ماء صغيرة بعد الطعام بساعة ويعطي له قبل الطعام بساعة مسحوق من حمض الساليسليك او الريزمين

باتباع هذه المعالجة بانتظام تتحسن صحة المريض وينتظم التبرز. وأما المعالجة العامة فتكون بمحاولة ازالة الأنيميا والاستعداد العصبي وأهمها حينئذ الاستحمام بالماء البارد والسكنى على شواطيء البحار

واما الطب الطبيعي فيشير بعدم استعمال اى علاج من العقاقير وينصح بالاكتفاء بالتنزه في الفلوات والتغذى بالاشياء الجامدة دون السائلة وعدم شرب الماء دفعة واحدة بل على دفعات متكررة ليكون مقداره قليلا لا يساعد على تمدد المعدة ثم وضع رقادات على المعدة ورقادات محيطة بالوسط كله واستعمال الحمام الجلوسي والحمام البخارى وعدم ملء المعدة بطعام حتى ترجع حالتها الاصلية

(٨) سرطان المعدة. يتكون في المعدة

ورم خبيث فيصيب الرجال اكثر من النساء بعد سن الاربعين غالباً والوراثة دخل كبير فيه والحزن المستطيل مهيء له وقد يعقب الجراح كالصدمات على القسم الشراسيفي

وجود السرطان في المعدة تتسبب عنه آفات تابعية مختلفة فاذا كان محله البواب تسبب عنه تمدد المعدة واذا كان محله فتحة الفؤاد تسبب عنه ضمور المعدة واتساع المرىء

(أعراضه) يسبق ظهور السرطان بأشهر أو سنين حصول انزفة معدية خفيفة تشبه الانزفة الرئوية التي تسبق السل. وأما الاعراض الاولية للسرطان نفسه فتشبه أعراض سوء الهضم البسيط في الغالب فتضعف الشهية ويحس بألم خفيف في القسم الشراسيفي بعد الاكل ويعقب الاكل تجش حمضي ثم يزداد التألم وتفقد الشهية وينحل المريض وتضعف قواه ويشحب لونه ثم يزداد الالم ولكن لا يصل الى ألم القرحة المعدية وقد يبقى محدوداً على المعدة أو يشع الى الظهر والمرفقين ثم يتضاعف بالقيء

وقد يكون السرطان كامناً بحيث لا يشاهد سوء الهضم ولا القيء ويحصل ذلك اذا كان محل السرطان في فتحة الفؤاد أو في الطرف السفلي من المرىء وقد لا يشاهد اضطراب الهضم ولكن تحصل الاعراض العامة كالشحوب والضعف يستدل منها على وجود آفة خبيثة في الجسم

• • •

(نصيحة عامة) أكثر الامراض المعدية تنشأ من الافراط في الاكل والشرب أو من تعاطي الاغذية الغليظة العسرة الهضم أو كثرة التوابل التي أعتيد وضعها في الطعام أو من ضعف البنية وضعف الاعصاب فاذا اعتدل الانسان في مطعمه ومشربه وانتخب من الاغذية مالا يعسر انهضامه ولم يضع فيه شيأ من التوابل المهيجة للغشاء المخاطي للمعدة، واعتنى بصحته على وجه عام وأدمن على التنزه في الخلوات واعتدل في أعماله الجسدية او العقلية وقي باذن الله من شر جميع الامراض المعدية. وقد كتبنا في كلمة أكل وغذاء وهضم مالا بد لمن يريد الاستقصاء في هذه المباحث من الرجوع اليها

﴿ المَعْز والمَعَز ﴾ خلاف الضأن من الغنم أي ذوات الشعر والاذناب وهو اسم جنس واحده ماعز في المذكر وماعزة في المؤنث جمعه أمْعُز ومَعِيز و(المِعزَى) اسم جنس كالمعز

الماعز من الحيوانات الثديية المجترة من فصيلة الخروف قرنه دقيق مرتفع مع ميل الى الخلف وله شبه لحية تحت فكه الاسفل

يعرف من المعز عدة أنواع وحشية تسكن آسيا ولكن لا يعرف من أي نوع منها الماعز الذي لدينا

يمكن أن يبلغ طول ماعز آسيا مترا ولكن الانثى تقل عن ذلك، لون صوفه داكن وهو يعيش أسرابا فوق الجبال

والماعز العادي قد يكون لونه احمر أو أسود أو أبيض أو مختلطا بين أبيض وأسود أو أبيض وأحمر

تحمل الماعزة خمسة أشهر ثم تضع سخلة او سخلتين الى اربع وهي تحمل مرتين في السنة وتربي لبنها الذي يعمل منه الجبن ويؤكل لحمها ولكنه ليس بلذيذ ولا كثير الافادة. ويتخذ جلدها لعمل القفازات والاحذية الجيدة

من أنواعها معزى أنقرة وهي ذات قرون عريضة وذاهبة أفقيا على جهق الرأس ثم تلتوي على شكل حلزوني خفيف. صوفها أبيض ناصع وطويل تورد منه مدينة أنقرة بالاناضول كل سنة نحو مليون من الكيلو غرامات وهو يجز في ابريل وتعمل منه ملابس غاية في الجودة واللطافة. وقد ربيت هذه المعزى في فرنسا واسبانيا وايطاليا وهي مربحة

المعزى قليلة الاكل حتى انها لتستطيع أن تعيش في قمم من الجبال لا يستطيع غيرها من الحيوانات أن يعيش فيها لجدوبتها. وهي لقلة أكلها يكثر الفقراء من اقتنائها وهي في الجملة من الحيوانات المربحة لصاحبها

﴿ معِض ﴾ يمعَض معَضا غضب ومثله (امتعض)

﴿ المعامع ﴾ الحروب والفتن. و (المعمعان) شدة الحر والبرد. و (المَعمعة) صوت الابطال في الحرب جمعها مَعامع

﴿ معُن ﴾ الماء يمعُن مُعونا سهل وسال. و (أمعن الفرس) تباعد في عدوه و (أمعن في الطلب) بالغ في الاستقصاء

و(الماعون) اناء معروف . و (الماعون) أيضاً الزكاة . و (المَعَان) المنزل . و (المَعْن) الطويل والقصير والقليل والكثير و (المَعِين) الماء الجارى

﴿ معن بن زائدة الشيباني ﴾ هو أبو الوليد معن بن زائدة بن عبدالله بن زائدة ابن مطر بن شريك الشيباني

كان من رجال الدولتين العباسية والاموية معروف بالشجاعة والكرم والعطايا الجزيلة حتى مدحه الشعراء وقصدوه من أقاصي البلدان . وكان مروان بن أبي حفصة الشاعر المشهور خصيصاً به وأكثر مدائحه فيه

كان معن في عهد بني أمية متنقلا في الولايات ومنقطعا الى يزيد بن عمرو ابن هبيرة الفزاري أمير العراقين فلما انتقلت الدولة الى بني العباس وجرى بين أبي جعفر المنصور وبين يزيد بن عمرو المذكور من محاصرته بمدينة واسط ماهو معروف في التاريخ أبلى يومئذ معن بن زائدة بلاء حسنا في تلك الوقائع فلما قتل يزيد خاف معن من أبي جعفر المنصور فاستتر عنه مدة وجرى له في استتاره غرائب

فمن ذلك ماحكاه مروان بن أبي حفصة الشاعر المذكور آنفاً قال أخبرني معن بن زائدة وهو يومئذ متولي بلاد اليمن ان المنصور جد في طلبي وجعل لمن يجيء الي به مالا

قال فاضطررت لشدة الطلب الي أن نمرضت الشمس حتى لوحت وجهي وخففت عارضي ولبست جبة صوف وركبت جملا وخرجت متوجها الي البادية لا أفيم بها

قال فلما خرجت من باب حرب وهو أحد أبواب بغداد تبعني أسود مقلد بسيف حتى اذا غبت عن الحرس قبض علي خطام الجمل فأناخه وقبض علي يدي فقلت له وما بك ؟ فقال انت طلب امير المؤمنين . فقلت ومن انا حتى اطلب ؟ فقال انت معن بن زائدة

فقلت ياهذا اتق الله عز وجل وأين أنا من معن ؟ فقال دع هذا فاني والله لاعرف بك منك

قال معن فلما رأيت منه الجد قلت له هذا عقد جوهر قد حملته معي وهو بأضعاف ماجعله المنصور لمن يجيئه بي فخذه ولا تكن سببا لسفك دمي

قال هاته فأخرجته اليه فنظر فيه

ساعة وقال صدقت في قيمته ولست أبله حتى أسألك عن شيء فان صدقتني أطلقتك . فقلت قل . قال ان الناس قد وصفوك بالجود فأخبرني هل وهبت مالك كله قط ؟ قلت لا . قال فنصفه ؟ قلت لا . قال فثلثه ؟ قلت لا . حتى بلغ العشر فاستحييت وقلت أظن اني قد فعلت هذا قال ماذاك بعظيم ، أنا والله رجل فقير ورزقي من ابي جعفر المنصور كل شهر عشرون درهما وهذا الجوهر قيمته ألوف دنانير وهبته لك وهبتك لنفسك ولجودك المألوف بين الناس ولتعلم ان في هذه الدنيا من هو أجود منك . فلا تسجيك نفسك ، ولتحقر بعد هذا كل جود فعلته ولا تتوقف عن مكرمة ثم رمي العقد في حجري ورمي خطام الجمل وولى منصرفا

فقلت ياهذا والله لقد فضحتني ولسفك دمي علي اهون مما فعلت فخذ ما دفعته اليك فاني غني عنه فضحك وقال اردت ان تكذبني في مقالي هذا ، والله ماأخذته ولا آخذ لمعروف ثمنا أبدا ومضي لسبيله ، فوالله لقد طلبته بعد ان امنت وبذلت لمن يجيء به ما شاء فما عرفت له خبراً وكأن الارض ابتلعته

لم يزل معن مستتراً حتى كان يوم الهاشمية وهو يوم مشهور ثار فيه جماعة من أهل خراسان على المنصور فوثبوا عليه وجرت مقتلة عظيمة بينهم وبين أصحاب المنصور بالهاشمية وهي مدينة بناها السفاح بالقرب من الكوفة . ذكر غرس النعمة بن الصابي في كتاب الهفوات ما مثاله : لما فرغ السفاح من بناء مدينته بالانبار وذلك في ذي القعدة سنة (١٣٤) وكان معن متواريا بالقرب منهم فخرج متنكراً معهما متلثما وتقدم الى القوم وقاتل قدام المنصور قتالا أبان فيه عن نجدة وشهامة وفرقهم فلما أفرج عن المنصور قال له من انت ويحك ؟ فكشف لثامه وقال انا طلبتك يا أمير المؤمنين معن بن زائدة . فأمنه المنصور واكرمه وحباه وكساه ورتبه وصار من خواصه

ثم دخل عليه بعد ذلك في الايام فلما نظر اليه قال هيه يا معن تعطي مروان ابن ابي حفصة مئة الف درهم علي قوله:

معن بن زائدة الذي زيدت به
شرفا علي شرف بنو شيبان

فقال كلا يا امير المؤمنين انما أعطيته على قوله في هذه القصيدة:

مازلت يوم الهاشمية معلنا
بالسيف دون خليفة الرحمن
فمنعت حوزته وكنت وقاءه
من كل وقع مهند وسنان

فقال المنصور أحسنت يا معن

وقال له يوما يا معن ما اكثر وقوع الناس في قولك . فقال يا امير المؤمنين: ان العرانين تلقاها محسدة
ولا ترى للئام الناس حساداً

ودخل عليه يوما وقد أسن ، فقال له كبرت يا معن . فقال في طاعتك يا أمير المؤمنين . فقال وانك لجلد . فقال على أعدائك يا امير المؤمنين . فقال وفيك قوة . فقال لك يا امير المؤمنين

قيل عرض هذا الكلام على عبد الرحمن بن زيد زاهد أهل البصرة فقال وبم هذا مازك لربا شيئا

أشهر قصائد مروان فيه وأحسنها القصيدة اللامية التي ذكرنا بعضها في ترجمة مروان وهي طويلة تزيد على خمسين بيتا

وله فيه قصيدة:

قد آمن الله من خوف ومن عدم
من كان جاراً له من جور ذا الزمن
معن ابن زائدة الموفي بذمته
والمشترى المجد بالغالي من الثمن
بر العطايا التي تبقي محامدها
غنا اذا عدها المعطي من الغبن
بنى لشيبان مجداً لازوال له
حتى تزول ذو والاركان من حضن

حضن المذكور في القافية الاخيرة اسم جبل عظيم بين نجد وتهامة

دخل على معن بعض الفصحاء يوما فقال له : اني لو اردت ان استشفع اليك ببعض من يثقل عليك لوجدت ذلك سهلا، ولكني استشفعت اليك بقدرك واستغنيت بفضلك ، فان رأيت ان تقضي من كرمك بحيث وضعت نفسي من رجائك فافعل . واني لم اكرم نفسي عن مسألتك، فأكرم وجهي عن ردك

لمعن بن زائدة أشعار جيدة اكثرها في الشجاعة والحرب فمن ذلك قوله في خطاب أخي عبد الجبار بن عبد الرحمن وقد رآه يتبختر بين السماطين (أي الصفين) وكان قبل ذلك لقي الخوارج ففر منهم فقال معن :

هلا مشيت كذا غداة لقيتهم
وصبرت عند الموت يا خطاب
تختال خوّار العنان كأنه
تحت العجاج اذا انسحت عقاب
وتركت صحبك والرماح تنوشهم
وكذاك من قعدت به الاحساب

وقال أبو عثمان المازني النحوي حدثني صاحب شرطة معن قال بينا أنا على رأس معن اذا هو براكب يوضع (أي يسرع) . فقال معن ما أحسب الرجل بريد غيري . ثم قال لحاجبه لا تحجبه . قال فجاء حتى مثل بين يديه وأنشد :

أصلحك الله قل ما يبدى
فذا أطيق العيال اذ كثروا
ألح دهر دمي بكلكله
فأرسلوني اليك وانتظروا

قال فقال معن وأخذته الاريحية : لاجرم والله لاعجلن أوبتك . ثم قال ياغلام ناقتي الفلانية وألف دينار فادفعها اليه . فدفعها اليه وهو لا يعرفه

ولي معن بن زائدة في أواخر أمره سجستان وانتقل اليها وله فيها آثار وقصده الشعراء فيها من كل صوب فلما كانت سنة (١٥١) وقيل (١٥٢) كان في داره صناع يعملون له عملا فاندس بأمره قوم من الخوارج فقتلوه وهو يحتجم فتبعوه ابن أخيه يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني فقتلهم بأسرهم وكان قتله بمدينة بست. ولما قتل معن رثاه الشعراء بمراث كثيرة نثبت منها هنا بعض ما قاله شاعره المشهور مروان بن أبي حفصه وهو :

مغني لسبيله معن وأبقى
مكارم لن تبيد ولن تنالا
كأن الشمس يوم أن أصيب معن
من الاظلام ملبسة جلالا
هو الجبل الذي كانت نزار
تهد من المعدو به الجبالا
وعطلت الثغور لقد معن
وقد يروى به الاسل النهالا
وأظلمت العراق وأوحشتها
مصيبته الجهاة اختلالا
وظل الشام يرجف جانباه
لركن العز حين وهي فمالا
وكادت من تهامة كل أرض
ومن نجد تزول غداة زالا
فان يمل البلاد له خشوع
فقد كانت تطول به اختيالا

أصاب الموت يوم أصيب معن
على الاحياء أكرمهم فعالا
وكان الناس كلهم لمعن
الى أن زار حفرته عيالا
ولم يبك طالب العرف ينوى
الى غير ابن زائدة ارتحالا
مضى من كان يحمل كل ثقل
ويسبق فضل نائله السؤالا
وما عهد الفؤاد لمثل معن
ولا حطوا بساحته الرحالا
ولا بلغت أكف ذوى العطايا
يميناً من يديه ولا شمالا
وما كانت تجف له حياض
من المعروف مترعة سجالا
لابيض لا يمد المال حتى
يمم به بناة الخير مالا
فليت الشامتين به فداه
وليت العمر مد له فعالا
ولم يك كنزه ذهبا ولكن
سيوف الهند والخلق المذالا
ومادته من الخطي صبر
نرى منهن لينا واعتدالا
وذخر من محامد باقيات
وفضل تقي به التفضيل نالا

ومنها أيضاً :

مضى لسبيله من كنت ترجو
به عثرات دهرك أن يقالا
فلست بمالك عبرات عين
أبت بدموعها الا انهمالا
وفي الاحشاء منك غليل حزن
كجمر النار يشتمل اشتمالا
وقائلة رأت جسمي ولوني
معاً عن عهدها قلباً خلالا
أرى مروان عاد كذى نحول
من المندى قد فقد الصفالا
رأت رجلا براه الحزن حتى
أضر به وأورثه خبالا
فقلت لها الذى أنكرت منى
لفجع مصيبة أنكى وعالا
وأيام المنون لها صروف
تقلب بالفتى حالا فحالا

ومنها أيضاً :

كأن الليل واصل بعد معن
ليالي قد قرن به فطالا
فلهف أبي عليك اذ المطايا
جلن منى كواذب واعتسالا
ولهف أبي عليك اذ اليتامى
غدوا شعثا كأنهم ضلالا

ولهف أبي عليك اذ القوافي
لممتدح بها ذهبت ضلالا
ولهف أبي عليك لكل هيجا
لها تلقي حواملها السجالا
أقنا بالثمامة اذ يئسنا
مقاما لانريد به زيالا
وقلنا أين نرحل بعد معن
وقد ذهب النوال فلا نوالا
وماشهد الوقائع منك أمضى
وأكرم مقدماً وأشد بلا
سيذكرك الخليفة غير قال
اذا هو في الامور بلا الرجالا
ولا ينسى وقائعك التوالي
على أعدائه جلت وبلا
ومعتركا شهدت به حفاظا
وقد كرهت فوارسه النزالا
حباك أخو امية بالمراثي
مع المدح الذى قد كان قالا
أقام وكان نحوك كل عام
يطيل بواسط الرحل اعتقالا
وأقفي رحله أسفا وآلى
يميناً لايشد به حبالا

قال امير المؤمنين ابن المعتز في كتابه طبقات الشعراء دخل مروان بن ابي حفصة على جعفر البرمكي فقال ويحك أنشدني من مراثيك في معن بن زائدة فقال أبل أنشدك فيك فقال جعفر انشدني من مراثيك في معن فأنشد يقول :

وكان الناس كلهم لمعن
الى أن زار حفرته عيالا

حتى فرغ من القصيدة وجعل جعفر يرسل دموعه على خديه . فلما فرغ قال له جعفر هل أتاك على هذه المرثية أحد من أولاده وأهله شيئا ؟ قال مروان لا . قال جعفر فلو كان معن حيا ثم سمعها منك كم كان يثيبك عليها ؟ قال أصلح الله الوزير أربع مئة دينار . قال جعفر فانا نظن انه لايرضى بذلك قد أمرنا لك من معن رحمه الله بالضعف مما ظننت وزدناك نحن مثل ذلك فاقبض من الخازن الف وست مئة دينار قبل أن تنصرف الي رحلك . فقال مروان يذكر جعفراً وما سمع به عن معن على وزن تلك القصيدة ورويها :

نفحت مكافئاً من قبر معن
لنا مما نجود به سجالا
تعجلت المنية يابن يحيي
لنادبه ولم ترد المطالا

فكافأ عن صدى معن جواداً
بأجود راحة بذل النوالا
بنى لك خالد وأبوك يحيى
بناء في المكارم ان يتالا
كأن البر مكي بكل مال
تجود به يداه يفيد مالا
ثم قبض المال وانصرف

وحكى ابو الفرج الاصبهاني في الاغاني عن محمد البيدق النديم انه دخل على هرون الرشيد فقال له أنشدني مرثية مروان بن ابي حفصة في معن بن زائدة فأنشد بعض هذه القصيدة فبكى الرشيد قال وكان بين يديه سكرجة فملأها من دموعه. ويقال ان مروان بعد هذه القصيدة المرثية لم ينتفع بشعره فانه كان اذا مدح خليفة اومن دونه قال له انت قلت في مرثيتك:

وقلنا اين ترحل بعد معن
وقد ذهب النوال فلا تنالا

فلا يعطيه الممدوح شيئا ولا يسمع قصيدته

حدث الفضل بن الربيع قال رأيت مروان بن ابي حفصة وقد دخل على المهدى بعد موت معن بن زائدة في جماعة من الشعراء فيهم سلم الخاسر وغيره فانشده مديحا فقال له من أنت فقال شاعرك مروان بن أبي حفصة . فقال له المهدى الست القائل (وقلنا اين ترحل بعد معن) وانشد البيت المذكور وقد جئت تطلب نوالنا وقد ذهب النوال لا شيء لك عندنا جروا برجله . قال فجروا برجله حتى اخرجوه. فلما كان في العام المقبل تلطف حتى دخل مع الشعراء وانما كانت الشعراء تدخل على الخلفاء في ذلك الحين في كل عام مرة قال فمثل بين يديه وانشده قصيدته التي أولها :

طرقتك زائرة فحي خيالها
قال فأنصت لها الهادى ولم يزل يزحف كلما سمع شيئاً منها حتى صار على البساط اعجابا بما سمع . قال له كم بيت هي؟ قال مئة بيت فأمر له بمائة ألف درهم . يقال انها اول مئة ألف أعطيها شاعر في خلافة بني العباس

قال الفضل بن الربيع فلم يلبث الا أياماً حتى أفضت الخلافة الى هرون الرشيد ولقد رأيت مروان مالا مع الشعراء بين يديه وقد انشده شعراً فقال أنت القائل في معن كذا وأنشده

البيت ثم قال خذوا بيده فأخرجوه فانه لا شيء له عندنا ثم تلطف حتى دخل عليه بعد ذلك فأنشده فأحسن جائزته

ومن المراثي النادرة مما رثي به معن بن زائدة أيضاً وهو من شعر الحسين بن مطير بن الاشيم الاسدى وهي :

ألما على معن وقولا لقبره
سقتك الغوادي مربعا ثم مربعا
فيا قبر معن كيف واريت جوده
ويا قبر معن أنت أول حفرة
من الارض خطت للمكارم مضجعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميت
ولو كان حيا ضاقت حتى تصدعا
فتى يعيش في معروفه بعد موته
كما كان بعد السيل مجراه مرتعا
وما مضى من مضى الجود واقتضى
وأصبح هرنين المكارم أجدعا

﴿ معن ﴾ تمعّن فهم وأدرك
﴿ المَعَي ﴾ والمِعَى المصران
﴿ المَغْرة ﴾ صبغ أحمر يصبغ به
﴿ مغرص ﴾ الرجل يمغص مَغصا ومُغِص أصابه المَغْص فهو ممغوص و (أمغصه) أوجع بطنه

﴿ المَغْص ﴾ هو ألم قد يبدأ خفيفا ثم يأخذ في الاشتداد شيئاً فشيئاً أو يفاجيء الانسان بقوة ويبلغ أقصى درجاته فيصرخ ويستغيث ويتقلب من جنب الى جنب ضاغطا بطنه بيديه أو بوسادة أو ينحنى الى الامام أو يستلقي على جانبه ضاماً فخذيه الى بطنه . ويكون اذ ذاك بطنه منتفخا منطبلا تسمع فيه قراقر. واذ قويت النوبة يكثر الجشاء والغثيان والقيء أحيانا . وتكون الامعاء منقبضة والنبض طبيعياً ما لم تطل مدة النوبة ويشتد الالم فيصغر النبض ويسرع وأما الجلد فيعلوه عرق بارد . واذا أفلتت الغازات أو دفعت الامعاء فضلاتها دفعاً وافياً استراح العليل وهجمت جميع الاعراض المتقدمة

(أسباب المغص) سوء الهضم والتعرض للبرد ليلا وانسكاب الصفراء بكثرة الى الامعاء والانفعالات النفسانية كالغيظ والخوف وبل رجلي من لم يكن معتاداً على ذلك والاطعمة الغليظة العسرة الهضم كالحوم المقددة والاسماك والفواكه غير الناضجة والخضر غير المطبوخة جيداً والبقول اليابسة فكل هذه تولد

غازات في الامعاء تحدث منها تلك الاوجاع النفيلة

(علاج هذا المغص) يتمثل في تسكينه على المسكنات كتعاطي خمس نقط من اللاودانوم الى عشرة في قليل من الماء أو من ١٠ نقطة الى ٢٠ من روح هوفمان، أو الكلوروديين وهو يباع في محال العطارة من ٥ الى ١٠ نقط في قليل من الماء ، أو مسكن آخر في تقيع مادة عطرية كالشمر أو الانيسون أو البابونج الخ مع وقدات مسكنة ساخنة . وهذه الوقدات تعمل مع لصقة بزر الكتان يرش عليها نقط من اللاودانوم أو يحضر مثلي مركز من الخشخاش وتحضر به لزقة بزر الكتان أو تطبخ أوراق البنج أو الشوكران أو الخس وتحضر منها ضمادات . وتستعمل الحقن الملينة أيضاً . وبعد هذا يعطى الطبل مسهلا من زيت الخروع لأجل تنظيف الامعاء من المواد المهضمة التي فيه

ولأجل منع الاعراض من العودة تجتنب الاطعمة الغليظة العسرة الهضم ويلبس صوف على البطن وتدفأ الرجلان وتحفظان من البرد والرطوبة

هذا اذا كان المغص ناشئا عن سوء الهضم ولكن قد يكون المغص ناشئاً من روماتيزم عضلي لجدر البطن وفي هذه الحالة يكون متنقلا مستمراً . وقد يكون المغص عصبياً محضاً أو من انسداد معوي أو عرض معدي كقرحة أو سرطان وقد يكون من مرض الكبد أو الكلي . كل هذا يميزه الطبيب ان تكرر المغص فلا يجوز والحالة هذه أن تنسب جميع هذه العوارض لعلة واحدة وهي سوء الهضم بل يجب البحث عن علتها الحقيقية اذا تكررت لمعالجة الداء الذي يولدها

المغناطيس يوجد جسم يسمى حجر المغناطيس خاصيته جذب الحديد ومعادن أخرى كالكوبالت والكروم والنيكل . وهذا الجسم يوجد بكثرة في بلاد السويد والنورفيج

الفولاذ يكتسب قوة جذب الحديد كالمغناطيس وذلك اذا دلك بحجر المغناطيس أو عرض لتأثير تيار كهربائي

لاجل معرفة خواص المغناطيس الطبيعي يستعمل المغناطيس الصناعي لامكان اعطائه الاشكال المناسبة . والاشكال المستعملة في التجارب هي :

القضبان ويعطى لها احيانا شكل نعل الفرس والابرة وهي على شكل المعين . والمعين هو شكل هندسي رباعي اضلاعه متوازية وكل زاويتين متقابلتين فيه متساويتان ، منها زاويتان حادتان وزاويتان منفرجتان فالشكل المعين هو كشكل قطعة البقلاوة

(في القطبين المغناطيسيين) اذا أخذ قضيب من الحديد الممغنط شوهد ان قوة الجذب ليست واحدة في جميع نقطه بل هو يبلغ نهايته العظمى في الطرفين ويثبت ذلك بغمر قضيب ممغنط في برادة الحديد فيرى انها تنجذب بمقدار عظيم نحو طرفيه ويأخذ تراكمها في النقصان شيأ فشيأ من الطرفين الى الوسط ويكون فيه معدوما

فهذا الجزء المتوسط يسمى خط الحود واما الطرفان حيث تتساط فيهما قوة الجذب المغناطيسي فيسميان بالقطبين

متى عرض قطب المغناطيس على برادة الحديد ظهر انهما من طبيعة واحدة ولكن الواقع انهما من طبيعتين مختلفتين والدليل على ذلك انه اذا علقت ابرة ممغنطة من وسطها بخيط ثم قرب لاحد طرفيها على التوالي قضيب ممغنط فيرى ان احدهم يجذبه بقوة والآخر يطرده . فهذا يدل على انهما ليسا من طبيعة واحدة ثم انه لو قرب مرة أخرى هذان الطرفان من الطرف الآخر للابرة الممغنة يرى أن الذي جذب الطرف الاول ينفره والعكس بالعكس . وهذا دليل على أنه لا يوجد نوعان من الاقطاب

ولاجل معرفة طبيعة الاقطاب التي تتجاذب والاقطاب التي تتنافر يعين في قضيبين مختلفين القطبان اللذان من نوع واحد أي اللذان يطردان طرفا واحدا لابرة معلقة ثم يعلق أحد هذين القضيبين ويقرب طرفها المعينان من نوع واحد أحدهما من الآخر فيرى انهما متنافران والقطبان اللذان طبيعتهما مختلفتان يتجاذبان وربما تقدم يرى انه لو وضعت ابرة ممغنطة تتحرك في مستوى افقي فوق قضيب ممغنط فانها تأخذ وضعا موازيا له وتكون الاقطاب المختلفة الطبيعية من كل من الابرة والقضيب أحدهما امام الآخر وكذا اذا أخذت من ابرة متحركة في مستوى رأسي حول محور افقي وحرك

حاملها بالتوازى لقضيب ممغنط فتميل فى جهة او فى أخرى حسبما تكون قريبة من أحد القطبين او من الآخر

(تأثير الكرة الارضية على الابرة المغنطسة) شوهد ان الكرة الارضية تأثير على الابرة المغنطسة يشبه تأثير قضيب ممغنط عليها .أى انه اذا أخذت ابرة متحركة فى مستوى أفقى فيرى انها لاتكون فى حالة موازنة الافى وضع معين يقرب من اتجاه الخط الواصل من الشمال الى الجنوب. واذا غير وضع الابرة عادت اليه ثانية بعدان تحدث فيها عدة ذبذبات واذا كانت ابرة متحركة فى مستوى رأسى وقلت جهة الشمال برى الابميلها يزيد فى هذه الجهة واذا اقلبت جهة الجنوب يشاهد أن ميلها يقل شيأ فشيأ وتصير افقية بجوار خط الاستواء واذا اقلبت هذه الابرة فى نصف الكرة الجنوبي مالت جهة الجنوب وزاد ميلها فى هذه الجهة كلما قربت من القطب الجنوبي للارض فينتج من ذلك حينئذ أن تأثير الارض على أبرة ممغنطة يشبه تأثير قضيب ممغنط عليها ولذا شبهت الارض بمغناطيس عظيم قطباه قريبا من القطبين الارضيين وخط الاستواء المسمى خط الخمود ينطبق على خط الاستواء وبموجب هذا الفرض سمي القطب المغناطيسي الارضي الذى جهة الشمال بالقطب الشمالي والذى جهة الجنوب بالقطب الجنوبي

(ماهي المغناطيسية) حار العلماء فى ادراك كنه القوة المغناطيسية ثم فرضوا لامكان تعليل الظواهر التى تنتج منها انه يوجد فى الكون سيالان يدعى أحدهما جنوبيا والآخر يسمى سيالا شماليا . وقالوا ان هذين السيالين يكونان متحدين قبل تمغنط الجسم حول كل جزيء منه لكنهما ينفصلان أحدهما عن الآخر بتأثير المغناطيس حتى أن أحدهما يؤثر فى أحد النصفين والاخرى فى النصف الثاني

(فى قانون الجذب والتنافر المغناطيسيان) الجذب والتنافر المغناطيسيين قانونان مشابهان لقانوني الجذب والتنافر الكهربائيين وهما:

(أولا) الجذب او التنافر الذى ينتج من قطبى قضيبين ممغنطين احدهما على الآخر وهما على ابعاد مختلفة يكون مناسبا لعكس مربعات الابعاد التي توجد

بينهما

(ثانياً) عند مايكون القطبان على بعد واحد تكون شدة الجذب أو التنافر التى تنتج من تأثيرهما أحدهما على الآخر مناسبة لحاصل ضرب مقدارى المغناطيسية الموجودة فيهما

(المغناطيسية الارضية) قلنا انه اذا أخذ قضيب ممغنط معلق من وسطه فانه يأخذ بتأثير الارض عليه بعد جملة ذبذبات وضعاً يقرب من الخط الواصل من الشمال الى الجنوب فالمستوى الرأسي الذى يمر بنقطتى المغناطيس المعلق وهو فى هذه الحالة يسمى مستوى الزوال المغناطيسي ولاجل تعيين مستوى الزوال المغناطيسى تستعمل عادة ابرة ذات شكل معين (الشكل المبين وصفناه فيما مضى) محمولة من وسطها على سن رأسي ويعتبر ان الخط الواصل بين سنيها منطبقا على الخط الواصل بين قطبيها فاذا أخذت ابرة فى هذه الشروط أى متحركة حول مركزها فى مستوى أفقي يرى ان الوضع الذى تكون فيه فى حالة توازن لا يكون الخط الواصل من الشمال الى الجنوب بل يكون خطا صانعا مع الخط المذكور زاوية حادة تسمى بالانحراف المغناطيسي فى النقطة الحاصلة فيها التجربة ، ويقال للانحراف شرقي اذا كان القطب الجنوبي الابرة يثبت شرق الخط الواصل من الشمال الى الجنوب ويقال له غربي اذا كان القطب المذكور يثبت غربي ذلك الخط

فاذا فرضنا الآن ان ابرة ممغنطة متحركة فى مستوى رأسي حول محور أفقي مار من وسطها وكان المستوى الذى تتحرك فيه منطبقا على مستوى الزوال المغناطيسي فيرى من التجربة انه فى أغلب نقط سطح الارض تأخذ الابرة وضعاً مائلا بالنسبة للمستوى الافقى فالزاوية الحادة المكونة من النصف السفلي للابرة وهي فى ذلك الوضع ومن الخط الافقي الموجود فى مستوى الزوال المغناطيسي تسمي زاوية الميل

(فى بوصلتى الانحراف والميل) اذا أريد تعيين الانحراف والميل بطريقة مضبوطة فى النقط المختلفة من سطح الارض فيستعمل لذلك جهازان أحدهما يسمي بوصلة الانحراف والثاني يسمي بوصلة الميل

تتركب بوصلة الانحراف من دائرة

اقية مقسمة الى ٣٦٠ درجة وفي مركزها
صهم مرتكز عليه ابرة ممغطسة فاذا فرض
وضع هذه الآلة بحيث يكون القطر المار
بنقطة الصفر منطبقا على الخط الواصل
من الشمال الى الجنوب فعدد الدرج الذى
يكون من ذلك الصفر ومن الابرة الممغطسة
يكون دالا على زاوية الانحراف

اما بوصلة الميل فتتركب من ابرة
ممغطسة متحركة في مستوى رأسي
حول محور افقي ومن دائرة رأسية مقسمة
الى ٣٦٠ درجة ومركزها منطبقة بالضبط
على المحور الذى تدور حوله الابرة . واذا
فرض وكانت هذه الابرة منطبقة على
مستوى الزوال المغناطيسى فعدد
الدرجات التى تكون محصورة بين سنها
المائل والخط الافقي يكون دالا على زاوية
الميل

(في البوصلة العادية والبوصلة
البحرية) بمعرفة المقدار المتوسط
الانحراف المغناطيسي يمكن استعمال
الابرة الممغطسة لتعيين الجهات الاصلية
والجهاز المستعمل لذلك يسمى بالبوصلة
وهو يشبه ساعات الجيب ويتكون من
دائرة مقسمة الى درجات وفي مركزها سن
حامل لابرة ممغطسة تدور حوله ولاجل
تعيين اتجاه الشمال بواسطة هذه الآلة
يكفي وضعها في مستوى أفقي وه (ابتداء
من طرفها الازرق) درجات يقدر المقدار
المتوسط للانحراف . فالخط الواصل من
النقطة النهائية الى مركز الدائرة المدرجة
يكون هو الخط الواصل من الشمال الى الجنوب
وبوصلة الملاحين لا تختلف عن البوصلة
العادية الا بكونها اكبر منها ويستعين
بها الملاحون ليبينوا على الخرط التى يصنعونها
وضع الاشياء المرسومة بالنسبة للجهات
الاصلية

البوصلة البحرية تستعمل في البحر
لتوجيه السفن عند ما تكون بعيدة عن
الشواطئ ، وهذه البوصلة تكون دائما
مثبتة في الجزء الخلفي من كل سفينة امام
السكان (أى الدفة) لكي يوفق مديرها
اتجاه ابرتها باتجاه السفينة . ولاجل
تسهيل هذا التوفيق يوجد داخل الوعاء
الموجودة فيها الابرة خط ثابت موجود
في اتجاه محور السفينة . فاذا اريد توجيه
السفينة الى جهة ما فيجب على مديرها ان
يعين اولا النقطة التى هو فيها اذ ذاك

على الاتجاه الواجب اتباعه للوصول الى
النقطة المراد الوصول اليها أى الزاوية
المكونة من ذلك الاتجاه وخطوط العرض
وحينئذ اذا أضيف الى أو طرح من هذه
الزاوية المقدار المتوسط لزاوية انحراف
المحل حسبما يكون شرقيا أو غربيا توجد
الزاوية الواجب أن تكون مكونة من
اتجاه السفينة أى الخط الثابت المرسوم
في وعاء البوصلة واتجاه الابرة الممغطسة
وان لم تكن السفينة في الاتجاه الواجب
يعلم المدير ذلك من البوصلة ويردها حينئذ
الى الاتجاه المذكور بتحريك السكان
(الدفة)

(في طرق المغطسة) الينابيع المختلفة
للمغطسة هى : تأثير المغناطيس القوى ،
وتأثير الارض ، وتأثير التيارات
الكهربائية

وأما المغطسة بالمغناطيس القوى
فتعمل بثلاثة طرق : طريقة المس
البسيط ، وطريقة المس المنفصل ، وطريقة
المس المزدوج

الاولى لا تستعمل الا لمغطسة الابر
وذلك انها لا تولد الا ممغطساً ضعيفاً
وغايتها الرلاق أحد قطبى قضيب ممغطس
على الابرة المراد مغطستها من طرف الى
آخر ويكرر العمل مراراً بحيث يبتدأ دائما
من الطرف الذى ابتدأ منه أول مرة وفي
هذه الطريقة يتكون في الطرف المذكور
قطب من جنس القطب الذى حصل به
الدلك ، وفي الطرف الآخر قطب مضاد
لهذا القطب

والثانية هى طريقة المس المنفصل
تعمل بوضع قضيبين ممغطسين قويين
على مستوى أفقي بحيث يكون قطباهما
المختلفان أحدهما أمام الآخر ويثبت
بينهما قطعة من الخشب ثم يوضع القضيب
المراد مغطسته فوقهما ويؤخذ في اليدين
قضيبان ممغطسان ويوضع طرفاهما على
منتصف القضيب بحيث يكون القضيب
المتكيء من كل منهما على القضيب المذكور
عين القطب الملامس لقطعة الخشب من
جهته فيحرك حينئذ كل من القضيبين
الاولين في اتجاهين متضادين الى نهايتى
القضيب الموضوع فوق قطعة الخشب ، ثم
يردان الى مرضعهما الاول ويحركان مرة
ثانية وهلم جرا

والثالثة وهي طريقة المس المزدوج
تقتضي أن يوضع القضيب المراد مغطسته

على قضيبين ممغطسين كالحالة السابقة ثم يوضع عليهما قضيبان آخران كما تقدم انما ينبغي فصلهما بقطعة من الخشب وبدل امرار القطبين على القضيب على حالة انفراد يجب امرارهما معا من الوسط الى أحد الطرفين ثم منه الى الطرف الآخر وهلم جرا

وبعد نهاية العمل يقتضي أن يكون التمرير حصل في المرة الاخيرة من الطرف الذى لم يلمس ابتداء الى الوسط وقد ظهر من التجربة ان التمغطس بهذه الطريقة أقوى بكثير من التمغطس بالطريقتين السابقتين

(في المغطسة بتأثير الارض) بما ان تأثير الارض على الاجسام يشبه تأثير الاجسام الممغطسة عليها يرى أنه يكون من الممكن مغطسة الاجسام القابلة للتمغطس بتأثير الارض وفى الواقع فانه اذا وضع قضيب من الصلب في وضع مواز لابرة الميل عند ماتكون في مستوى لزوال المغناطيسي وطرق عليه بمطرقة أو حصل دلكه بجسم صلب فانه يتمغطس

وبهذه الصفة تتغطس شيئا فشيئا جميع الآلات المصنوعة من الصلب التى يحصل فيها دلك أو طرق متعدد كالمبارد وغيرها

(في حفظ المغناطيسية) ويجب استعمال طرق خاصة لحفظ المغناطيسية في الاجسام الممغطسة . فاذا فرض قضيب ممغطس متروكا ونفسه في وضع تماقد يتأتى إما من تأثير الارض عليه أو من تأثير قضبان ممغطسة موضوعة بجواره ان السيالين الموجودين في ذراته يتنقلان في اتجاه مضاد للذى انتقلا فيه عند فصلهما وبذلك يحصل اتحادهما ثانية شيئا فشيئا وتأخذ قوة مغطسة القضيب في التناقص

ولاجل منع حصول هذه التأثيرات توضع القضبان الممغطسة كل اثنين معاً في وعاء واحد بحيث يكونان متوازيين وأقطابهما المختلفة الطبيعية بعضها أمام البعض الآخر ثم يوضع بينهما قطعتان من الخشب لمنعهما من التلامس ويثبت على أطرافهما قطعتان من الحديد المطاوع فبتأثير القضيبين على هاتين القطعتين يتمغطسان ويؤثران فى أقطاب القضيبين المذكورين ويحفظان قوتهما المغناطيسية

ولاجل حفظ مغطسة المغناطيس الذى في شكل نعل الفرس يوضع على

قطبية قطعة من الحديد المطاوع . وقد ظهر من التجربة انه لحفظ مغناطيسية المغناطيس المذكور يكون من الحسن ألا يعلق في قطعة الحديد التى ثبتت على طرفه ثقل ما فيعلق عادة في الخطاف المثبت في قطعة الحديد اناء يوضع فيه كرات من الرصاص يضاف اليه كرة أو اثنتان في كل يوم وبذلك تزداد القوة المغناطيسية أى انه بهذه الطريقة يتوصل لجعل المغناطيس قادراً على حمل ثقل يزيد كثيراً عن الثقل الذى كان تمكنه حمله في بادىء الامر ويجب الاحتراس من اضافة عدد عظيم من كرات الرصاص في آن واحد لانه لو فصلت قطعة الحديد بتأثير ثقل عظيم فان قوة المغناطيس تضعف وتجب اعادة العمل السابق عليه ثانية . والعمل المذكور يعبر عنه بتغذية المغناطيس

(في المغطسة بالتيارات الكهربائية) شاهد العلامة ارغوانه اذا وضعت ابرة من الحديد المطاوع في وضع عمودى على اتجاه تيار فانها تتمغطس تمغطسا يدوم فيها مادام التيار ماراً وينمحي عند قطع التيار واذا استعملت ابرة من الصلب المسقي فانها تتمغطس ببطء الا ان مغطستها تدوم بعد انقطاع التيار فينتج من ذلك حينئذ انه سواء كان التمغطس ناتجا عن فصل سيالين موجودين في كل من جزيئات الاجسام القابلة للتمغطس أو جعل تيارات خاصة توجد بين هذه الجزيئات في اتجاه واحد فيجب قبول ان التيار الذى يوضع بجوار القسم القابل للتمغطس يحدث تأثيراً على السيالين الموجودين في الجزيئات أو على التيارات التى تمر حولها بحيث يحيله الى مغناطيس والصلب يختلف عن الحديد المطاوع في كونه يقاوم حصول اتحاد السيالين أو عود التيارات الى الاتجاهات التى كانت فيها

(طريقة مغطسة الصلب بالتيارات الكهربائية) قد بين العالم امبير طريقة لتضعيف التأثير الذى ينتج من تأثير التيار على قضيب من الصلب وهي أن يلف سلك من النحاس لفاً حلزونيا على أنبوبة من الزجاج يوضع داخلها القضيب المراد مغطسته ثم يمرر تيار كهربائي في ذلك السلك فيشاهد بعد برهة ان القضيب يكتسب تمغطسا قويا واتجاه ذلك التمغطس يتعلق باتجاه ذلك التيار

وبالاتجاه الذى يلف فيه السلك المعدني على الانبوبة الزجاجية وعلى كل حال فانه بتطبيق قاعدة امبير يمكن أن يعين بادىء بدء طرف القضيب الذى يتكون فيه قطب جنوبي

(في المغناطيس الكهربائي) مما تقدم يرى انه اذا وضع قضيب من الحديد المطاوع داخل ملف ملفوف حوله سلك من النحاس لفا حلزونيا ومغطي بالحرير فانه يصير مغناطيسيا مؤقتا مرالتيار في السلك الذى حوله ويعود الي الحالة الطبيعية متى انقطع ذلك التيار وهذا هو اساس المغناطيس الكهربائي

هذه ما يكون المراد عمل مغناطيس كهربائي معد لجذب قطعة من الحديد المطاوع وذى قوة عظيمة يستحسن أن يعطي لقطعة من الحديد المطاوع التى تنمغطس بالتيار شكل نعل فرس بوضع فرعاه في ملفين ملفوف عليهما لفا حلزونيا سلك واحد من النحاس مغطي بالحرير وبما أنه يجب أن يكون تأثير الملفين على فرعي نعل الفرس في اتجاه واحد وجب أن يكون السلك ملفوفا عليهما بحيث أنه اذا فرض نعل الفرس ممدودا والملفان موضوعان أحدهما فوق الآخر تكون لفات أحد الحلزونين على امتداد لفات الحلزون الثاني

فمتى مر تيار في سلك هذا المغناطيس يرى انه يمكنه جذب قطعة من الحديد المطاوع حاملة لثقل عظيم ومتى قطع التيار يشاهد انفصال هذه القطعة في الحال

(في الجرس الكهربائي) ان أصغر تطبيق للمغناطيس الكهربائي هو الجرس الكهربائي وهو يتركب من مغناطيس كهربائي معدل شكل نعل الفرس مثبت على لوحة من الخشب ويوجد امام فرعيه قطعة من الحديد المطاوع مثبتة من أحد طرفيها بواسطة صفيحة مرنة من الصلب في زر وطرفها الآخر حامل لقضيب ذى مطرقة معدة للطرق على ناقوس صغير وقطعة الحديد تكون وقت ثباتها بعيدة قليلا عن فرعي المغناطيس الكهربائي ومتكئة على قطعة معدنية متصلة ببريمة ضغط ءوالزر الحامل لقطعة الحديد المطاوع متصل بأحد طرفي تلك المغناطيس الكهربائي . اما الطرف الآخر لهذا السلك فتصل ببريمة الضغط المقابلة للبريمة

الاولي

فاذا أوصل قطبا عمود كهربائي ببريمتى الضغط مر التيار من قطعة الحديد المطاوع الي المطرقة ومنها الي سلك المغناطيس الكهربائي فيتمغطس عند ذلك حديد هذا المغناطيس ويجذب قطعة الحديد نحوه فتبعد حينئذ هذه القطعة عن قطعة الحديد المطاوع فينقطع التيار وبذلك يعود المغناطيس الكهربائي الي الحالة الطبيعية وترجع قطعة الحديد الي وضعها الاول لأنها مثبتة في صفيحة مرنة وعند ذلك يمر التيار ثانية ويجذب تلك الحديدة مرة أخرى وهكذا مادام التيار ماراً

فمن الواضح ان كل حركة من حركات هذه القطعة تولد طرقة من المطرقة علي الناقوس (أخذناه بتصرف من كتاب الطبيعة للعلامة اسماعيل باشا حسنين)

(الخواص الصحية والعلاجية للمغناطيس) كانت الامم القديمة تعرف خواص المغناطيس فنسبوا له تأثيرات علاجية كثيرة وعلقوا عليه وساوس كثيرة وأوهاما عديدة فاستعمله الناس قديما تمائم وطلاسم ولا يوجد أثر لاستعماله استعمالا معقولا في القرون الاولي من الميلاد المسيحي

فذكر جاينوس انه لو استعمل من الداخل كان مفرغا للماء ومسهلا

واعتبره ديسقوريدس عظيم النفع لاستفراغ السوداء

ويرى ابن سينا ان له سلطانا علي أمراض الطحال

كان المغناطيس يستعمل مسحوقا من الباطن ولكن سحقه يبطل خاصته المغناطيسية فلا يكون حينئذ الا كأكسيد حديدى

وكان أبقراط يأمر به من الباطن مع جواهر أخرى علاجا للقم

وذكر بلياس ان جميع أنواعه نافعة في أمراض الاعين ولا سيما التدمع

وانه اذا كلس وأحيل الى مسحوق أبرأ الحروق

وذكر ابن سينا ان درهما منه يضاد السم بالحديد الذى كان يظن انه سام

وقد اعتبر في القرون التالية لعصر ابن سينا ما وهو خطأ

وقال آخرون انه مضاد السم لاحم الجروح وان خواصه عظيمة للغاية

ومنهم من نسب له خواص مقوية ومفتحة للسدد فكانوا يعطونه لذلك مسحوقاً مجتمعاً مع العطريات والكبريت بمقدار خمس قمحات مرتين في اليوم في أحوال الذبول والنحول والاستسقاء

وقال العرب انه ينفع في النقرس ووجع المفاصل والنسا والحصا وغيرها

وقال العلامة (تروسو) الفرنسي من المحقق ان أملاح الحديد وأكاسيده حاصلة بأعلى درجة على الخواص التي نسبها ديسقوريدس وجالينوس وابن سينا للمغناطيس

وقال فلوجيل ان القدماء كانوا يستعملون المغناطيس كثيراً لشفاء بعض الامراض التي نعالجها الآن مع النجاح بالمستحضرات الحديدية فاننا نعلم الآن مايفعله الحديد في بعض الاستسقاءات وفي دور نقاهة الحميات المتقطعة المصاحبة لذهاب لون المنسوجات وضخامة الطحال وأما مارآه ديسقوريدس فيما يتعلق بالسوداء فقد شرعنا في فهم سببه وذلك اننا بالبحث مدة طويلة في المعالجات الحديدية اتضح لنا ان هذا المعدن اذا استعمل بأي شكل كان يلون البراز بلون أسود كلون الحبر

« ومع ذلك فالاستعمال الظاهر للمغناطيس كان هو المتسلط وحده لان من الاطباء مانسب له كما نسب للحديد خواص سامة قوية الفعل . وفي القرن الرابع جربه مرسليون فوضع في العنق حجارة المغناطيس لتسكين أوجاع الرأس

« ثم أمر اينوس فيما بعد المصابين بالنقرس والاوجاع الروماتيزمية وأوجاع البدن والرجلين بأن يمسكوا في أيديهم حجارة المغناطيس

« ولكن في عهد القرون الوسطى لم يستعمل هذا الدواء غير الدجالين والروحانيين وأمثالهم

« وحوالى القرن السابع عشر سنة (١٦٠٦) جربه بولير مع بعض الفلاسفة لشفاء أوجاع الاسنان وأوجاع العينين والاذنين

« وذكر أيضاً انه يسكن الاحتقان الهستيري بأن يوضع في عنق المرأة قطعة منه وبعد ذلك بقليل سنة (١٦١٦)

كتب في بعض المؤلفات الالمانية ان امرأة مصابة بالكمنة حصل لها تخفيف واضح بوضعها حجراً مغناطيسيا خلف القفا وأكياسا صغيرة مملوءة ببرادة الحديد على العينين

ثم في سنة (١٧٦٣) تكلم المؤلفون الحوادث العلمية على المغناطيس مع ذلك نشر هلمان سنة (١٧٠٠) رسالة بحث في الادوية المضادة للوجع السني وذكر من جملتها المغناطيس واشتهرت أيضا مشاهدات منعزلة في بعض التجارب الطبية سنة (١٧٢٦) ثم في سنة (١٧٦٣) كان الراهب لوتوبل مشتغلا بالطبيعة التجريبية بتعقل ونجاح فاخترع مغناطيسات صناعية واصطنع قضبانا وبطريات من الفولاذ الممغطس كان لها صيت عظيم مدة ١٢ سنة وأحدث بها شفاءات عجيبة عدت كأمور خارقة للعادة في معظم أوجاع الاسنان وأكد كلاريش طبيب ملك الانجليز بالتجربة النتائج التي نالها لوتوبل

« ووسع مجال تلك المداواة وبير ولدريج وغيرهما في أمراض عصبية ولكن مع نجاح مبهم على الاقل

« وبالجملة حصلت مناقشات طويلة من جميع الجهات في المغناطيس ثم اتفقوا جميعاً على أن وضع القضبان أو البطريات الممغطسة أو حجر المغناطيس نفسه يسكن أو يبرىء أحياناً وجع الاسنان ويمكن أن يقبل أيضاً الفعل الحميد الذي استخرجه من الخواص الطبيعية للمغناطيس الطبيب المشهور مورجاني وقبله فيربس وكركرنفيوس مع نجاح عظيم

« وهو أن تستخرج به الاجزاء الحديدية التي نفذت في سمك القرنية

« وأما الامور الخارجة عن طور العقل كالصوقات الممغطسة التي وصفها الكيماويون الذين وجدوا في القرون الوسطى على أجزاء مختلفة من الجسم اما لشفاء الجروح واما لجذب السهام والنصول التي بقيت في أعماق الجروح فيجب عدم قبولها

« ومن العقل أن يشك في شفاء النقرس والسرطانات والفتوق ونحو ذلك مما بالغ في الاهتمام به المتعصبون للمغناطيس وشهرزه العامة

« هذه على وجه التقريب حالة العالم في

تلك الازمنة الى أن نبغ هبل الفلكي الكبير بمدينة فينا فاخترع الدعائم المنغطسة أي الصفحات المغناطيسية المكونة من قطعتين أو جملة قطع توافق شكل الاعضاء التي توضع عليها

« وانتشر ذلك الاختراع بسرعة في السنة التي بعدها بواسطة (مسمير) في بلاد الالمان والراهب (لنوبل) في فرنسا فاستعملا هذا التداوي بالدعائم المغناطيسية بشيرة الهامية ربما كان الوثوق الديني بها أكثر من الخواص التي يحشي الطبيب العاقل من الاقرار عليها ، وتأثير الكيفية والحالة يبين على ذلك اعانة جلية وفي ذلك الزمن صارت شهرة الخاصة المغناطيسية المعدنية أعظم من شهرة المغناطيسية الحيوانية التي اشتهرت بعد ذلك ببضع سنين

واما الفرق بين (هبل) و (لنوبل) و (مسمير) هو ان الاولين كان عندهما معارف طبيعية حقيقية فانجذبا باضطراب العامة حتى وصلا الى أعلى الاستنتاجات الصحيحة التي حصلتها لهم المشاهدات وكانت معارف (مسمير) مخلوطة بتصورات طبيعية خارجة من العقل وخرافات فلكية مما كان متسلطا على العقل في القرن الخامس عشر فاستعمل سخريات معيبة عنده أي المغناطيسية الحيوانية ليفهم انها واسطة من وسائط العلاج ولم تسقط تلك الواسطة في الحول الا بسبب المبالغات الكاذبة التي يسيبها أريد بقاؤها كما قال بعض الاطباء ممن عرفناهم مثل (تروسو)

(دائرة المعارف) تقول اننا ننقل ما قاله فوجيل على علاته مترجماً بقلم الطبيب المصري المشهور الرشيدي في مادته الطبية ولكن ترجو القارىء أن لا يستهويه نسبته الى (مسمير) المبالغات الكاذبة

فان العلماء في عصر مسمير عدوا مشاهداته في المغناطيس الحيواني مبالغات كاذبة لانها كانت مشاهدات روحانية تنقض لهم نواميس الطبيعة التي اصطلحوا على وضعها واصر العلماء يعتبرون (مسمير) هذا مبالغا حتى جاء علم استحضار الارواح سنة (١٨٤٦) فأثبت أن مسمير كان على الحق وان ما قاله وعد عليه من المبالغات الكاذبة لا يعد شيئا مما أثبته كبار العلماء الطبيعيين اليوم من

مشاهدات على استحضار الارواح المرتبطة تمام الارتباط مع مباحث المغناطيس الحيواني كما سيمر بك . والذي علينا الآن أن نتابع نقل ترجمة فوجيل الى آخرها ونأتي على كل ما ورد في هذا الباب من آراء الموافقين والمخالفين ثم نكتب رأينا في ذلك في كلمة نوم مغناطيسي

قال فوجيل بعد ما مر : « ومع هذا فقد شهر جماعة من الاطباء رأي مسمير بعد أن توهموه بعض التنويع وأيدوا آراءهم بأمور واقعية لا يظن دائما وقوعها

« فذكروا شفاء أشخاص مصابين بالاعتقال والتشنجات والشلل والاوجاع الروماتيزمية ونحو ذلك باستعمال المغناطيس ولكن اذا ثبتت تلك المشاهدات تحقق أن منهم من كانت معارفه الطبية غير كاملة مع اتهام المرضى الذين كانوا تحت نظرهم

« وقد ألف لنوبل الذي كان في الغالب يعتقد في خاصة الصفحات المغنطسة رسالة سنة (١٧٧٧) في اعماله الطبيعية والعلاجية وقدمها للمجمع الملكي العلمي بباريس ورأى أهل المجمع أن يبادروا الى تحقيق هذا العلاج الممدوح جداً عند العامة تحقيقاً لا ريب فيه فكلفوا الطبيبين الدريه وتوريت الذين كانا من أهل الثقة والصدق العلمي وجودة النظر وجميع الصفات الحميدة بأن يعيدا تجربات لنوبل وان يفعلا بانفسهما تجربات عديدة ففعل هذان العالمان ما أمرا به وشرحا أعمالهما في رسالة تدل على شرف عقولهما الفلسفية وأمكنهم أن يؤكدوا تأكيداً غير مبهم شفاء الاوجاع العصبية والشقيقة والوخزات المؤلمة والاوجاع الروماتيزمية والآلام المعدية والشلل الاختناقي أي شلل اختناق الرحم . وكانت نتيجة هذه الرسالة هي ارجاع دعاوى المغناطيسيين الى اعتبارها الصحيح وتحرير الاحوال التي قد يكون هذا المغناطيس فيها واسطة الشفاء أو بالاقل يكون سلاحاً علاجياً لا ينبغي اهماله اذا لم تنجع المعالجات الاعتيادية

« ومن حينئذ تأكد عند كثير من افاضل الاطباء من جميع الجهات مثل مارسلان ولاهنك والبير وشوميل وريكبير وهاليه وغيرهم حقية أكثر

المشاهدات التي شهرها اندريه وتوريت »

« قال تروسو ونحن قد استعملنا أحيانا هذا المغناطيس وتيسر لنا أن نحقق أن هذا الجوهر العلاجي يؤثر على العضو الذي يلامسه تأثيراً لا يمكن أن ينسب لتخيلات المرضى فقط فقد شاهدنا أوجاعا عصبية تنوعت ونوبا من عسر التنفس العصبي وقفت سريعاً وغير ذلك

« ونحن بدون أن ندخل في ايضاحات غير ضرورية للعمل وغير مهمة نقتصر على أن نبين أولا كيفية وضع المغناطيس وثانيا النتائج الفزيولوجية لهذا الوضع ، ونحيل ذكر النتائج العلاجية للمغناطيس على ما سبق لنا ذكره وننهي هذا البحث بمستنتجات مختصرة

(كيفية وضع الدعائم الممغطسة)

يستعمل كما هو معلوم لاجل تكوين الدعائم جملة قطع من الفولاذ الممغطس تتوافق بالضبط على شكل الاعضاء وأطرافها مثقوبة بثقوب معدة لعرى بواسطتها تتعلق القطع بعضها ببعض أي أنها مؤلفة من قطع ممغطسة أو أقراص معوجة أو مستطيلة أو على شكل عتيق أو حزام او شريط أو غير ذلك تختلف في الشكل والعدد والاقطار .

وهنالك احتراس ينبغي مراعاته اذا وضعت وهو معارضة قطب لقطب بحيث يلتفت القطب الجنوبي للقطب الشمالي ولذا يجب الانتباه لتبين الاقطاب بأن يرقم بالنحت على الصفحات حرف ج وحرف ش ويحفظ الشكل بشريط حرير أو خيط ثم يغطى بلفافة أو رباط يحيط بالعضو . وبالجملة يكون وضع قطعة المغناطيس كما قال هاليه بحيث تؤثر قطعة في أخرى ماراً تأثيرها على الجزء المتألم ، وذلك هو ما يفعل في العادة اذا أريد وضع جملة قطع حول عضو وكان ذلك أيضا هو مقصود بعض الاطباء الذين يأمرون المريض بازدراد برادة الحديد ثم يضمون المغناطيس على جزء من البطن

« وكذا مقصود من عالج الكمنة (وهي ظلمة في البصر أو جرب وحمرة فيه أو هي حمرة في الاجفان) بوضع مغناطيس قوي على القفا وأكياس مملوءة ببرادة الحديد على الاعين فاذا لم يشغل الألم الا محلا واحداً تحتاج الدعامة لأن تتركب من قطعتين . فلأجل شفاء ألم

عصبي صدغي يوضع أحد الاقراص على الصدغ المتألم والآخر على الجهة المقابلة لها بل يكفي أحياناً اذا كان الالم قوياً محدوداً وضع قرص واحد . وكذا يكفي أن يوضع مجرد قضيب ممغطس على السن المتسوس يمكن أن يزول ألمه

أما اذا كان الالم شاغلا لجميع طول طرف كما في عرق النسا فانه يجب أن توضع ٣ أزواج أو ٤ من المغناطيس في ارتفاعات مختلفة فاذا أريد شفاء ضيق النفس المصاحب لخفقانات القلب يحاط الصدر بمنطقة مرتبة من أربع قطع على الاقل ومثل ذلك أيضاً اذا أريد مقاومة وجع شاغل لجميع الرأس أو لسمك طرف من الاطراف ومقدار الزمن الذي تحمل فيه الدعائم الممغطسة يختلف باختلاف شدة المرض الذي عولج بهذه الواسطة . ففي أحوال الاوجاع الروماتيزمية والآلام العصبية كثيراً ما يضطر لان يمسك المغناطيس موضوعا عدة أسابيع بل جملة أشهر . فاذا كان الداء متقطعاً لزم أن يكون التداوي كذلك

« قال تروسو : ولذا نجح معنا في تسكين نوب الارطوبنيه أي التنفس الانتصابي تسكيناً وقتياً اذا كان يأتي مرة في كل شهر وذلك بأن يحمل المريض في الليل قرصين ممغطسين حول عنقه فاذا اضطر لابقاء الدعائم أكثر من ٢٥ يوماً ملامسة للجلد كان من المناسب تنظيفها ثم مغطستها فبدون ذلك الاحتراس تفقد جميع خواصها ولكن من حيث أن التأكسد هو السبب المضعف للخاصة المغناطيسية لزيادة التحرس منه يغطي الوجه الباطن للدعائم بورقة من الفضة والبلاتين وليس يلزم دائما أن يستخدم مغناطيسان حتى ولو أريد انالة تيار مغناطيسي ينفذ من الاعضاء فلذلك توضع أكياس من برادة الحد في الجهة المقابلة للمغناطيس فتنال من ذلك نتائج ثمينة عظيمة وان كانت أقل تأثيراً من النتائج التي تحصل من الدعائم

(النتائج الفزيولوجية لوضع المغناطيس) وضع دعامة ممغطسة لا ينتج في العادة نتيجة محسوسة . قال تروسو وقد تيسر لنا تأكيد ذلك كثيراً ومع ذلك فقد يتفق عند ما تكون درجة حرارة قطع الجهاز مساوية لحرارة الجسم

أن يحصل في محل الملامسة حكة تولد أكلانا فحينئذ يصير أكثر حرارة وأشد احتقانا وينطلي بعرق بحيث يؤكد الفولاذ في بضعة أيام بل احيانا في خمس ساعات أومت ساعات

«ومن العظيم الاعتبار ماشاهده اندريه وتوريب واكده غيرهما وهو أن التأكد لايحصل اذا لم ينتج من ملامسة الدعامة نقص للالم ولا للاحساس المعتاد الذى ذكرناه

«فاذا بقيت القطع الممغطسة زمناً طويلا انتهى حالها بأن تسبب في الجلد اندفاعاً حوصلياً (اكزيما بسيطة) يظهر غالباً تحت الدعامة نفسها وأحيانا يبعد عن المحل الموضوعة عليه بمسافة ما. وبعض المرضى يشكو ايضاً من احساسات من نوع آخر فيرى شرر الاسماء او يحصل له طنين فى الآذان اذا كانت الدعامة موضوعة. وشاهد اندريه وتوريت اسهالات شديدة تعرضت مع وضع جملة مغاطيس على هيئة حزام

«وقال تروسو: ونحن أيضاً وضعنا يوماقرصاممغطساً في التغمير المعدى لامرأة وقرصاً آخر في المحل المقابل له من الظهر يقصد شفاء وجع تحس به المرأة فرضنا بتلك الواسطة غسراً قوياً في العضم فكانت نتيجة ذلك هوجا كابدته المرأة مدة حياتها .وتلك الظاهرات تسمح لنا بان نجزم بصحة ما قاله المؤلفون من الظاهرات العصبية التى تحصل احياناً من وضع الدعائم

«وقال ميريه: تختلف كثيراً النتائج المحسوسة لوضع المغناطيس وكانوا ينسبون ذلك لاسباب مختلفة فتارة تظهر حالا بعد السكون الفجائى للآلام وذهاب التقلصات وغير ذلك وتارة تتأخر عن ذلك فني الحالة الاولى قد يزول الداء ثم يظهر طوراً طوراً على حسب وضع المغناطيس او ازالته ،وقد لا يحصل ذلك وفي بعض الاحوال يغير الداء محله او يتنوع .واحياناً يقاوم المغناطيس الخفيف ثم ينقاد للقوى .واحيانا لا نشاهد ظاهرة محسوسة .واحياناً أخر لاتنقص العوارض وانما يظهر انها زادت من المغناطيس ولكن ذلك نادر .وقد تظهر ظاهرات جديدة واحساسات شاقة كالحركات والتقلص والنشي والوخز والاكلان وغيرها ويزول ذلك اذا ازيل وضع

المغناطيس»

(النتائج العلاجية لوضع المغناطيس)

لم يبق علينا الا كلمات من النتائج العلاجية لوضع المغناطيس بعد النتائج التى ذكرناها سابقا فقد نتج من التجريبات المفعولة بسلامة قلب ونية أن المغناطيس لاينجح في الحقيقة الافي الآفات والاوجاع العصبية والامراض الروماتيزمية، وان هذه الواسطة لاتستعمل عموماً الا اذا لم تنفع جميع الوسائط التى تنجح فى العادة ومع ذلك تنتج في بعض الاشخاص نتائج أنفع وأسرع من الوسائط الاخر، والتحليل المختص ببعض الامور الواقعية كاف لتصور الاحوال الخاصة التى لايمكن ان تستعمل فيها هذه الواسطة مع المنفعة

(أولا) في الامراض العصبية كالذبحة الصدرية أى اختناق الصدرى وضيق النفس العصبى والتقص الانتصابي المتقطع (أو رطوبنيه) والخفقان والهستريا أى اختناق الرحم

«فقد اتفق ان امرأة مصابة بخناق الصدر وكانت نوبه تتزايد متقاربة تقاربا هائلا مع تزايد الالم

«ومنذ ثمانية أيام كانت النوب كأنها مهددة بفقد حياة المريضة كل لحظة

«فبعد تجربة جملة وسائط العلاج المسكن وعدم حصول تخفيف منها حتى ولا من وضع ايدروكلورات على حراريق موضوعة على طول أعصاب الذراع وعلى قسم القلب أوصاها (لبربتون) باستعمال المغناطيس فوضع لها دعامة مركبة من قطعتين على الصدر ووضع قرصا على قسم القلب وقرصاً آخر من الخلف على القسم المقابل فحصل التخفيف حالا ولكن مضى على المريضة عشرون يوما بدون نجاح ومن ذلك الحين كان يحصل لها نزايدات قليلة الشدة فاتضح أن خناق الصدر لم يشف وانما تنوع بالمغناطيس نوعا أحسن مما يتحصل عليه بالوسائط الاخرى

«ومن الامور الهامة أن ننبه الى أن القرص المستند على القسم القلبى يتأكد سريعا وان الجلد يتقطع بتعاميل صغيرة كثيرة كما علمت

«وهناك أمر واحد شبيه بذلك ذكر في رسالة أندريه وتوليت

«وأوصي (لاهنك) بالمغناطيس في علاج خناق الصدر وشاهد ان هذا الفاعل العلاجي كثيراً مايسكن أو على

الاقل أن يشوع الاوجاع المنسبة عن هذا الداء الهائل . والنجاح الذى نالهُ أيضاً في الفواق التقاصي كان أيضاً واضحا

« واستعمل في هذا العصر الاخير (مرجولين) و (ويكبير) و (مرسلين) و (لاهنك) وغيرهم الدعائم المغنطسة مع النجاح في عسر التنفس الانتصابي العصبي

« قال تروسو : ويسر لنا الحصول على مثالين يدلان على أن المغناطيس لا يبرىء هذه الداآت وانما يقوي شدتها على الاقل . وذلك انه اتفق أن شاباعمره ٢٠ سنة كان مكدراً منذ ثمان سنين بخناق منقطع يأتي في الليل فقط ، ولا يوجد عند هذا الشاب آفة نشاهد في الرئة ولا في القلب . فبعد أن استعمل الحمامات ومضادات التشنج والمخدرات والحراريق والحصات والمسهلات والافصاد والعلق وغير ذلك بدون منفعة التجأنا لوضع دعامة مغنطسة فوضعت احدى قطبيها أمام الحنجرة والاخرى على القفا وكانتا لا تحفظان على الجلد الا مدة الليل فقر على الشخص أسبوعان لم يحصل له فيهما نوبة ثم ظهر الداء بشدة

« ولما أكسدت الاقراص مغنطستاها ثانية فحصل منها أيضاً تخفيف عظيم كالمرة الاولى ثم لم يحصل بعد ذلك من هذا التداوى نفع أصلا

« فالتجأنا لاوراق الداتورة وأمرنا المريض باستنشاق دخانها فنجحت هذه الوسيلة البسيطة نجاحاً تاماً بحيث أن المريض الذى كان لا يقدر على الاضجاع على الجانب منذ ستة أشهر لم تحصل له نوبة شديدة واحدة في جملة سنين

« واتفق لعالم ماهر من أصحابنا من أرباب الشرائع ومن الخادمين بباريز انه حصل له تخفيف أيضا بوضع دعامة مغنطسة مع ضيق نفس ومع ذلك رجع له مع دوام استعماله تلك الواسطة

« وهناك أمور واقعية ذكرها (أوزير) و (ديمان) و (هرسو) تدل على شدة فعل المغناطيس في الهستريا ولكن نظير ذلك ما يذكرونه من الشفاء الخارق العادة الذى يحصل للنساء المصابات بهذا الداء من المكث في الجبانات عند المقابر

« فهذا شيء يحوجنا للتشكك في القصص والاخبار المتعلقة بالنساء والهستريات

« وكذلك ماذكره كثيرون بوثوق من كثرة الشفا من الصداع مثل (لتوبل) و (مسمير) و (ديمان) و (هرسو) و (انديه) و (توريت) و (غيرهم) مع ان أكثر الامور الواقعية التي ذكروها لم يحقق جيداً فيها التشخيص الاختلافي بين هذا الداء الهائل والآفات الاخر التشخيصية بل لم يؤكد ذلك في الحالة التي تنوع فيها مدة استعمال المغناطيس لان تجارب (اسكيرول) لم يثبت منها ثبوتا كافيا بأى علاج كان قص كثرة نشبات الصرع وقللها أحياناً مدة أشهر

(ثانياً) في الاوجاع العصبية . أكثر استعمال الدعائم المغناطيسية مع النجاح غير المشكوك فيه هو في الاوجاع العصبية الحقيقية والتجارب التي فعلها في أيامنا هذه (مرجولين) و (لبريتون) و (البير) و(هرلوب) وغيرهم تؤكد تأكيداً قوياً مستنتجات رسالة انديه وتوريت فان هذين الاخيرين ذكرا من أمثالها الغريبة قصة مريض كان معه منذ سنين مرض عصبي في الزوج الخامس سبب له

أوجاعا شديدة مع تشنجات في عضلات الوجه فوضعت له الاقراص المغنطسة فتخدرت حالا حساسية الاعصاب وبدوام هذا العلاج انتهى الحال بحصول شفاء وقتى فقط فان النوب ظهرت ثانية وسكنت شدتها بالمغناطيس فني الحقيقة لا تكون هذه الواسطة العلاجية الا مسكنة

ومدحوا المغناطيس كثيراً لمضادة الوجع السني ولكن هذه الحالة من الاحوال التي يعسر أن يؤكد فيها هل كانت آلام الاسنان وقتية كما هو الغالب بحيث يعسر أن يجزم بكون الداء شفي بنفسه أو زال بتأثير التداوى

ومع ذلك فهناك أحوال كثيرة أكون فيها فروع لزوج الخامس المنوزعة في الاسنان مجلساً لوجع عصبي منقطع أو مستديم تطول مدته جملة أشهر

« وقد ذكر انديه وتوريت قصة شخص كان معه وجع في الاسنان من النوع المذكور ولم يحصل له تخفيف الا بوضع قضيب من حديد ممغنط على السن المتألم ويجب ادامة ذلك الوضع مدة من دقائق الى « بل أكثر الى ربع ساعة

« ووسائل (كلاريك) وغيره ممن يكتبون على المغناطيس بأمور واقعية تثبت خاصة مضادة الوجع العصبي في المغناطيس الطبيعي والقضبان الممغنطة والدعائم

« وأبرأ الطبيب ابرتون وجاعصبيا وحميا شاة جداً بوضع ٣ أقراص ممغنطة أحدهما على جبل الزهرة والآخران على الاريتين

« مع ان ذلك الوجع النير المصحوب بعلامة التهاب في الرحم قروم الافصاد الموضعية والعامة والحمامات المرخية والمستحضرات المخدرة وغير ذلك

و (ثالثا) في الاوجاع الروماتيزمية هذه الاوجاع معها كان محلها عولجت في بعض الاحوال مع النفعة بالمغناطيس والذين كتبوا في هذا البحث ذكروا أموراً واقعية ولكنها لاتخلو من شيء من الغلو وذلك انه يلزم أن لايقطع النظر من أمور كعدم تأكد مدة الوجع الروماتيزمي والتأثيرات الصحية الجديدة التي عرضت لها المرضى والاحوال الجوية التي قد تتنوع سير الآفة وذلك لاتقبل جميع المستنتجات التي استنتجها المؤلفون الذين سبق ذكرهم فانهم ذكروا انه يحصل منه دائما شفاء غير منازع فيه مع ان هذا الشفاء وثق يقينا كما هو في معظم أحوال الاوجاع الروماتيزمية

ومن أمثلة ذلك قصة رئيس من كبار الحربيين بفرنسا اشتهرت في أيامنا هذه حالته المحزنة حيث لم يحصل لاوجاعه الروماتيزمية تخفيف الا من وضع الدعائم الممغنطة (أخذناه من المادة الطبية بدمرف)

***

(المغناطيسية الحيوانية) هي قوة خاصة بالانسان شبيهة بالقوة المغناطيسية التي في حجر المغناطيس قيل انها تنتقل من شخص الى شخص ويحدث بسبب ذلك نوم يكون فيه تحت ارادة ممنطسه . وهذا هو المبرهن عنه بالنوم المغناطيسي وقد أشبعنا الكلام في هذه المادة في كلمة نوم فليرجع اليها من شاء

﴿ مغنسيوم ﴾ أنظر مانيزيوم

﴿ المغنوليسيا ﴾ وقد يسمى بالمغنوليا الازرق ومغنوليا المستنقعات وشجر الكستور أى الجندبادستر والبان النباتي مغنوليا غلوكا واسمه آت

من اسم عالم نباتي يدعى مغنول كان موجوداً في القرن السابع عشر

عرف لهذا النبات الآن نحو ١٨ نوعا والنوع المذكور هنا هو الاكثر وجوداً ببساتين أوربا وهو شجر صغير جميل المنظر مفرح يعلو من ١٥ الى ٢٠ قدماً أوراقه متعاقبة ذنيبية بيضية بالعرض كاملة خالية من الزغب خضر زاهية من الاعلى ومغبرة بالكلية من وجهها السفلي وأزهارها بيض وتتصاعد منها رائحة ذكية جداً لها شبه بزهر البرتقال وثمارها تبلغ من قيراط الى قيراط ونصف

وهذا النبات ينبت بالمحال الرطبة من جزائر كارولين ووجينى وقد حمل الى اوروبا في أواخر القرن الثامن عشر وهو الآن يكثر في البساتين ولكنه صار بالتربية شجيرة كثيرة التفرع تعلو من ٦ أقدام الى ١٠ والمستعمل قشره الذي هو من عطري يسمى أحيانا بكينا وودجينى فهو مقو مضاد للحمى ويقرب من قشر الصنبر وَمن القرفة بسبب أوصافه الحارة والمنبهة والمرقة يعطي في الولايات المتحدة الامريكية مع نجاح عظيم في الاوجاع الروماتيزمية المزمنة وفي الحميات المتقطعة والمترددة ومكثوا مدة طويلة يعتبرونه قشراً للانجستور الحقيقي قبل أن يعرف

من أنواع هذا الجنس ما يسمى بالمغنوليا الكبير الازهار وهو أجل أنواع هذا الجنس العظيمة الاعتبار بأمريكا الشمالية بسبب جمال أزهاره الكبير الزكية الرائحة وأوراقه اللامعة الثخينة الخضراء الجميلة من الاعلى والحديدية اللون من الاسفل ينبت بأمريكا من كارولين الي لويزيان وهو شجر يعلو من ٦٠ الي ٨٠ قدما وجذعه قائم اسطواني ينتهي بهرم جميل مخضر وفروعه احاطية وأوراقه متنابية ذوات ذنيب وطولها من ٨ قراريط الى ١٠ وعرضها ٣ بالتقريب وهي بيضية بالعرض كاملة منتهية بطرف دقيق جلدية القمة خضر لامعة من الاعلى وقطنية حديدية اللون من الاسفل ، والاذينات قطنية ولونها زعفراني حديدي وأزهارها انتهائية بيض تنتشر منها رائحة غاية في الذكاء

وقد دخل هذا الشجر الجميل في بساتين أوربا من زمن طويل وقد

تستعمل بزور هذا الشجر في المكسبك النجاح علاجا للشلل

ومن أنواعه مايسمي منتوليا ثومنتانا أى المنتهي بطرف حاد يوجد بأمريكا الشمالية ، أزهاره بيض كبيرة تقرب من أزهار منتوليا غلوكا وقد يضرب لونها الي الزرقة تنبع هنالك في النبيذ فتجعله ذا مرارة مظمئة فيستعمل منه كوب أو أكواب في الصباح كحافظ من الحميات المتقطعة والآفات الروماتيزمية

ومن أنواعه منتوليا يولان وهو نوع جبلي اصله من الصين ويبلغ طوله هناك من ٤٠ الي ٦٠ قدما أزهاره بيضاء كبيرة شديدة الرائحة يحفظه الصينيون من البرد في بيوت للحصول علي أزهاره في جميع الفصول ويربون أزوار أزهاره قبل نموها بالمال وتوضع ازهاره في الشاى لاجل تعطيره ويعطون منقوع ثماره في الآفات النزلية لاجل تلطيف السعال وتسهيل النفث ومصوغها مطس وبزوره المرة كالغلب بزور النباتات المنتولية تستعمل مضادة للحمي

﴿ المقدونس ﴾ هو نبات مشهور جذره معمر عودى أبيض بسيط وساقه قائمة اسطوانية ومحززة زغبية متفرعا قليلا وأوراقه جذريه ذنيبية ريشية منتهية بفرد وريقاته عادمة الذنيب تقرب الشكل القلبي محفوفة الزاوية مسننة عادمة الزغب والاوراق وساقه وريقاتها أطول ومقطعة وأوراق الجزء العلوى كاملة تقرب الخيطية والازهار بيض وعلي هيئة خيمات عارية كالطويات الصغيرة مركبة من أشعة عددها من ١٢ الى ١٥ تنثوى الي الاعلي والثمر بيضى أملس عادم الزغب منضغط قليلا ومحزز

هذا النوع كثير الوجود جداً في الحال المخضرة اليابسة وعلي طول الطرق في الغابات ويزهر في أواخر الصيف والمستعمل في الطب جذره وهو أبيض رائحته قوية وطعمه مر

وقد وجد فيه بالتحليل الكيماوى دهن أثيرى ودقيق وزلال وسكر متبلور وسكر سائل ورايتنج ومادة خلاصية وزيت شحمى وحمض خلي وحمض جاوى وحمض تفاحي وكثير من الجوهر الخشبي فالجزء الفعال فيه هو الدهن الاثيرى

ويقال انه قابض مقو مشهد للمعدة وأوصوا به لاجل أن يزيل من السن

طعمها الكريه . ويستعمل كالنبات كله والبزور علاجا للالتهاب النخامي وبحة الصوت والذبحة الحاطية وشلل الاسنان اذا مضغ

من أنواعه جنس سموه بمبنيلا مجنا أى الكبير ينبت بالنابات الرطبة من أوربا ويحمل أزهاراً بيضاء أو وردية في صنف ينبت بجبال الالب وجذره يكون مسوداً اذا كان رطباً ومحتوى علي عصارة زرقاء تلون بالكحول

وقد حلل بعضهم هذا الجذر المنبه المستعمل في الطب البيطرى فوجد تركيبه مشابهاً لتركيب النوع السابق وهو يدخل في الماء الدام وشراب الخطمية المركب وشراب الفونصود الكبير وغير ذلك

وقد شوهد عليه نوع قرمز يحصل منه لون أحمر جميل وهذان النوعان تحب المعز الجبلية أن تأكلها لابسبب رائحتهما فانهما يكادان يكونان بلا رائحة

النوع الاول منهما جذره أبيض والثاني جذره أسمر وكل منهما أبيض الزهر جذرهما معمر ومفتح ولاحم الجروح ومنتج للحمي ومنظف ومعرق يستعمل من ذلك الجذور غرام من مسحوقها و٨ غرامات من منقوعها

(جذور المقدونس) يسمى نبات الكرفس الجبلي أو الصخرى . هو أبيض مخروطي فيه تفرع وغلظه كغلظ الخنصر تعلوه ساق اسطوانية بسيطة من الاسفل ارتفاعها من قدم ونصف الى قدمين أوراقها مقطعة وورقاتها مشقة الى فصول حادة تشققا عميقا وأزهارها صغيرة بصفرة وثمارها بيضية فيها طول وخطوط مستطيلة تكاد لاتشاهد

هذا النبات سنوى أو ذو سنتين ينبت في الحال التي فيها عقم

رائحة هذا النبات قوية خاصة به ولا سيما اذا دق وبزوره شديد العطرية يستخرج منها دهن طيار يتجمد بسهولة والمستعمل منه جذوره وأوراقه وثماره

ولا يخفي استعمال أوراقه في الاطعمة كالكزبرة الخضراء حيث يكونان من توابلها وتدخل في السلطات وكثيراً ما تدخل في طب العامة لانهم يظنونها لاحة الجروح فيضعونها علي الاجزاء المرضوضة

ويحصل من خاصتها المخلة نتيجة

حميدة بخلاف ما اذا وضعت على الجروح فانها تؤذيها لكونها تلهب شفتي الجروح فتكون كجسم غريب يمنع الالتحام

وذكر بعض الاطباء انه يحلل قرص الناموس والنمل ويوضع أيضاً على الثديين لازالة الاحتقان اللبني كما يستعمل أيضاً في احتقانات غيرها من الغدد وتستعمل عصارته من ٤ أواق الى ٦ وقت شدة الحمى المتقطعة باعتبار انها مضادة للحمى

ويستعمل مطبوخ النبات نفسه في الجدري . وجذر المقدونس مدر للبول معرق وظنوه مفتتا لحصى المثانة ولكنه الآن قد هجر استعماله في جميع ذلك . وهو أحد الجذور الخمسة الشديدة التفتيح كما ان بزره أحد الابزار الاربعة الخفيفة الحرارة

أوصى بعض العلماء بالدهن الطيار للمقدونس في البليوراجيا ولا سيما الحادة والسيلان الكثير بمقدار من نقطتين الى ثلاث نقط في اليوم في كوب من ماء ويزاد المقدار تدريجاً وذكروا انه ينجح بالاكثر اذا استعصى الداء على الوسائط الاخرى المستعملة

ذكر أطباء العرب ان هذا النبات حار قطاع ولذا يحدث البول والطمث كثيراً ويحل النفخ ويذهبه

وفي ديسقوريدس انه يدر ويوافق نفخ المعدة والمغص . واذا شرب وافق أيضاً وجع الجنب والكلى والمثانة وقد يقع في اخلاط الادوية المدرة للبول وفي بعض المركبات

(مقداره في الاستعمال) يستعمل مطبوخه المصنوع منه بمقدار من ١٥ الى ٣٠ غراما بل الى ٦٠ غراما للتر من الماء

وماؤه المقطر يستعمل بمقدار من ٣٠ الى ١٠٠ غرام وعصارته المأخوذة بالعصر من ٣٠ الى ٦٠ غراما ويستعمل من الظاهر ماؤه المقطر غسلات بمقدار كاف في الامراض الحشرية أي التي تنمو فيها الحشرات كالقمل وغيره في جسم المرضى وتصنع ضمادات من أوراقه الرطبة

وهناك نبات ينسب لجنس آخر من هذه الفصيلة نفسها يسمى المقدونس المقدوني أو الكرفس المقدوني ينبت ببلاد اليونان ومقدونيا وبلاد المشرق بزوره صغيرة مستطيلة سنجابية زغبية جداً

منتهية بقرنين قصيرين وهي ملساء ويعلوها مهابل وعطرية اذا كانت رطبة وقد اعتبروها مدرة للبول والطمث وطاردة للريح وغير ذلك وتدخل في الترياق ولكن ترك استعمالها . وذكروا أن أوراق هذا النبات عطرية اذا وضعت في الملابس منعت تسلط السوس والديدان عليها

وبالجملة خواصه كخواص المقدونس المعروف هو ايضا مضاد خفيف للحمى وهو مثله مناسب في الاحتقانات الحشوية البطنية والاستسقاء واليرقان والسيلانات البيض وبعض الاحتباسات الدموية الناشئة من الضعف

﴿ مقدونس الابل ﴾ هو نبات يعرف منه ٨ أو ٩ انواع له ساق متفرعة تعلو من قدمين الى ثلاث اقدام وهي عادمة الزغب ملساء أوراقها ثلاثية التريش مقطعة تقطيعاً كثيراً وأزهارها بيضاء تظهر في يوليه وأغسطس

ولعل هذا النبات هو المسمى عند العرب أآطر يلال وهو اسم بربري أي بلغة بربر بلاد المغرب

قال ابن البيطار وهذا النبت يعرف بالديار المصرية برجل الغراب وبعضهم يعرفه بجزر الشيطان

وانما سمي برجل الغراب لان ورقه يشبه أرجل هذا الطير وتسميته بجزر الشيطان لمشابهة ورقه لورق الجزر

قال أطباء العرب الآآطريلال ينبت بالمواضع السبخة الحارة المزاج والمعتدلة بالاراضي المعمورة بالزرع ويشبه الشبث في ساقه وقدره الا أن زهره أبيض ويخلف حباً صغيراً مستطيلا دقيقا محمراً مشربا بغبرة وهو حاد المذاق يحس بالحرارة عند مضغه وذلك الحب أصغر من حب المقدونس وأكبر من بذر الخلة وفيه حرافة ومرارة يسيرة يظهران في اللسان عند مضغه واذا أخذ منه غصن طري ووضع على مستوى من الارض أشبه رجل الطير في اصابعه المقدمة والمؤخرة وهو من النبات الربيعي يدرك في شمس الجوزاء بأرضنا وهو شديد الحرارة مع يبس

وذكروا للبزر منافع جليلة في ازالة البهق والوضح اي البرص وأول شهرة منفعته في ذلك كان بالمغرب الاوسط كما قال ابن البيطار في جهات من أعمال بجاية وكان الناس يقصدون أهالي تلك

البلاد لمداواة هذا المرض وهم يخفون هذا الدواء عنهم ولا يعلمون به الا خلفا عن سلف الى أن أظهره الله على يد بعضهم فاشتهر ذكره وعرف عظيم نفعه فكان يستعمل مفردا أو مع جزء منه ربع جزء من العاقر قرحا ويلمق ذلك بالعسل أو يخلط غرام ونصف غرام منه مع غرام من ورق السذاب وغرام من سلخ الحية ويسحق الكل ويشرب منه على قدر العلة والقوة وتقادم المرض ومقداره من درهم الى ٣ دراهم بجملته مع عسل منزوع الرغوة ١٦ يوماً فيحصل البرء بعد تنقية البدن ويقدد شاربه في شمس حارة صيفية ويكشف المواضع البرصة لا غير فانه حينئذ يخرج منها ماء أصفر بعد ما يتنفط الجلد وهذه علامة البرء وبعده مكثه في الشمس ساعة أو ساعتين حتى يعرق فإن الطبيعة تدفع الداء باذن خالقها الى سطح البدن فينفط منها ولا يصيب شيئاً من المواضع السليمة أصلا فاذا انفقأت تلك النفاخات وسال منها ماء أبيض مائل الى الصفرة قليلا فليترك الشرب حينئذ الى تبديل تلك القروح بعد علاجها بالمراهم اللائحة والمبردة ان احتيج حتى يرجع الجلد للونه الطبيعي

وهذا الداء يسرع قبله في المواضع اللحمية ويبطيء في المواضع العصبية والقريبة للعظم

قال ابن البيطار وقد جربته غير مرة فحمدت اثره وهو سر عجيب في هذا المرض

وقد رأيت تأثيره مختلفاً في عامين يسرع فيه انفعاله من أول دفعة من شربه أو دفعتين وفي بعض أكثر من ذلك ولا يزال يشفي منه ويقعد في الشمس مرة وثانية وثالثة الى أن ينفعل بدنه ويتبين صلاحه بعد تقديم ما يجب تقديمه من استفراغ الخلط الموجب لهذا المرض في أيام الصيف أو في وقت تكون الشمس فيه حارة ودرهم منه يسكن المنص حالا كما قال الزهراوي مجربه

وقال ابن البيطار زعم الشريف أن الأ آطريلال هذا هو أحد أنواع النبات المسمى باليونانية دوقس وليس هو كذلك فاعلمه. انتهى من المادة الطبية

﴿ مقدونيا ﴾ هي قطر من أوربا واقع في شمال البلاد اليونانية مساحته

(٩٤٠٠٠) كيلو متر مربع كان فيه غابات عظيمة قطع العثمانيون اكثرها وفيه مراع ثمينة ويستخرج منه صوف وجلود . وفيه كروم وفواكه

ومنه الجهات السهلة سهول سرس ولاغوس في غاية الخصوبة وتنبت الحبوب والقطن .وقد بلغ مقدار ما يستخرج منها سنويا من القطن خمسة ملايين كيلو غرام وفيه نبغ كثير فان ثمن أرضها ينبته فيستعمل منه مرج عظيم

وينبت فيه شجر الافيون ايضا

اما الصنائع في هذا القطر قليلة فلا تصنع فيه غير السجاجيد والحلي الكاذبة والطرق فيه غير منتظمة

وهو مجال التنازع والقتال بين الشعوب البلقانية .فان فيه يونانا في جنوبه و بلغاراً في شماله ،وصربيين حول اسكوب واتراك افلاخيون على عصبة كوبرول ، وألبانيون في غربه، ويهود في سلانيك، ولذلك لا تنقطع المنازعات فيه بين البلغاريين واليونانيين لاجل نشر اللغة

وبلاده الشهيرة موناستير . وفي سلانيك ينتهي الخط الحديدي الواصل من فينا .عدد أهله (٢٩٧٣٠٠٠) نسمة

اشتهرت مقدونيا في زمن الاسكندر الاكبر ومدت نفوذها على جميع بلاد اليونان وممالك شاسعة من آسيا ثم صارت أيالة رومانية سنة(١٦٨)ثم فتحها العثمانيون في القرن الخامس عشر وللحادثات الحرب البلقانية سنة(١٩١٣) التي انضمت فيها بلغاريا وصربيا واليونان والجبل الاسود على الدولة العثمانية خرج هذا القطر من حكم هذه الدولة وانقسم بين بلغاريا واليونان وصربيا

ثم لما حدثت الحرب العامة سنة (١٩١٤) اضطربت مقدونيا فاحتل الحلفاء سالونيك وهي الآن من املاك اليونان وقد استقرت الاحوال الآن هناك ولكن مجال التنازع لا يزال واسعا

﴿ المقريزي ﴾ هو تقي الدين احمد ابن علي بن عبد القادر ولد سنة(٧٦٦) أصله من بعلبك وقطن مصر ونشأ بالقاهرة وكان مولعا بالتاريخ

من مؤلفاته فيه (المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار)وله (امتاع الاسماع)في سنة مجلدات الخ

توفي سنة (٨٤٥)

﴿مقم﴾ انتقع لونه تغير من فزع أو حزن

﴿مقنة﴾ بمقله فلانظر اليه

(المُقلة) شحمة العين التي تجمع السواد والبياض او الحدقة وحدها

﴿ابن مقلة﴾ هو ابو علي محمد بن الحسين بن مقلة الوزير المشهور

كان في اول امره يتولى بعض الولايات ببلاد الفرس ويجبي خراجها وتنقلت به المناصب الى ان ولي الوزارة للامام المقتدر بالله سنة (٣١٦) ثم قام عليه ونفاه الى بلاد الفرس سنة (٣١٨) بعد ان صادره

ثم لما ولي الامام القاهر استوزره فأرسل اليه في بلاد الفرس رسولا يجيء به ورتب له نائبا عنه فوصل ابن مقلة من فارس سنة (٣٢٠) وخلع عليه ولم يزل وزيره حتى اتهمه بمعاضدة علي بن بليق على الفتك به وبلغ ابن مقلة الخبر فاستتر سنة (٣٢٠)

ولما ولي الراضي سنة (٣٢٢) استوزره وكان المظفر بن ياقوت مستحوذاً على أمور الراضي وكان بينه وبين ابن مقلة الوزير وحشة فقرر ابن ياقوت المذكور للخدام الحجرية انه اذا جاء الوزير قبضوا عليه وان الخليفة لايخالفهم في ذلك وربما سره هذا الامر

فلما حصل الوزير في دهليز دار الخلافة وثب الخدام عليه ومعهم ابن ياقوت المذكور فقبضوا عليه وأرسلوا الى الراضي يعرفونه صورة الحال وقد دوا له دنوباً واسبابا تقتضي ذلك

فاستصوب الخليفة رأيهم فيما فعلوه وكان ذلك سنة (٣٢٤) واتفق رأيهم على تفويض الوزارة الى عبد الرحمن بن عيسى بن داود بن الجراح فقلده الراضي الوزارة وسلمه الوزير بن مقلة فضربه بالمقارع وجرى له من الاكاره بالتعليق والعقوبات شيء كثير وأخذ عليه صكا بألف الف دينار (أي مليون دينار) وأطلقه

فمكث الوزير ابن مقلة في داره بلا عمل

ثم ان ابا بكر محمد بن رائق استولى على الخلافة وخرج عليها فأنفذ اليه الراضي واستماله وفوض اليه تدبير المملكة وجعله أميراً للامراء ورد عليه تدبير اعمال

الخراج والضياع في جميع النواحي وأمر أن يخطب له على جميع المنابر فقوى أمره وعظم وتصرف على حسب اختياره واحتاط على أعمال ابن مقلة المذكور وضياعه وأملاكه وله أبي الحسين فحضر اليه ابن مقلة والى كاتبه وتذلل لهما في الافراج عن أمواله فلم يحصل منهما الا على المواعيد

فلما رأى ابن مقلة ذلك أخذ في السعي بابن رائق المذكور من كل جهة وكتب الى الراضي يشير عليه بما سكه والقبض عليه وضمن له انه متى فعل ذلك وقلده الوزارة استخرج له ثلاث مئة الف الف دينار (أي ثلاث مئة مليون) وكانت مكاتبته على يد علي بن هرون المنجم القديم فأطمعه الراضي بالاجابة الى ماسأل وترددت الرسائل بينهما في ذلك فلما استوثق ابن مقلة من الراضي اتفقا على أن ينحدر اليه سراً ويقيم عنده الى أن يتم التدبير فركب من داره وقد بقي من شهر رمضان ليلة واحدة واختار هذا الطالع لان القمر كما يقولون يكون تحت الشعاع وهو يصلح للامور المستورة فيما يزعم المنجمون فلما وصل الى دار الخليفة لم يمكنه من الوصول اليه واعتقله في حجرة ووجه الراضي من غده الى ابن رائق وأخبره بما جرى وانه احتال على ابن مقلة حتى حصله في أسره وترددت بينهما المراسلات في ذلك

فلما كان رابع عشر شوال سنة (٣٢٦) أظهر الراضي أمر ابن مقلة وأخرجه من الاعتقال وحضر حاجب ابن رائق وجماعة من القواد وتقابلا وكان ابن رائق قد التمس قطع يده اليمنى التي كتب بها تلك المطالعة

فلما انتهى كلامهما في المقابلة قطعت يده اليمنى ورد الى محبسه

ثم ندم الراضي على ذلك وأمر الاطباء بملازمته المداواة فلازموه حتى برىء

قال أبو الحسن ثابت بن سنان بن قرة الطبيب وكان يدخل عليه لمعالجته: كنت اذا دخلت عليه في تلك الحال يسألني عن أحوال والدي أبي الحسن فأعرفه استبراءه وسلامته فتطيب نفسه ثم يبوح على يده ويبكي ويقول خدمت بها الخلفاء وكتبت بها القرآن الكريم دفعتين تقطع كما تقطع أيدي اللصوص !

فأسليه وأقول له هذا انتهاء المكروه

وخاتمه القطوع . فينشد لي ويقول :

اذا مامات بعضك فابك بعضاً

فان البعض من بعض قريب

ثم عاد وأرسل الراضي من الحبس بعد قطع يده وأطمعه في المال وطلب الوزارة وقال ان قطع اليد لا يمنع الوزارة وكان يشد القلم على ساعده ويكتب به

ولما قدم بجكم التركي من بغداد وكان من المنتمين الى ابن رائق أمر بقطع لسانه أيضاً فقطع وأقام في الحبس مدة طويلة ثم لحقه ذرب ولم يكن له من يخدمه فكان يستقي الماء بنفسه من البئر فيجذب بيده اليسرى جذبة وبفمه أخرى

وله أشعار في شرح حاله وما انتهى أمره اليه ورثاء يده والشكوى من المناصحة وعدم تلقيها بالقبول فمن ذلك قوله :

ماسئمت الحياة لكن توا

ت بإيآتهم فبانت بجبني

بعت ديني لهم بدنياى حتى

حرموني دنياهم بعد ديني

ولقد حطت ما استطعت بجهدي

حفظ أرواحهم فما حفظوني

ليس بعد الجهد للمرء عيش

ياحياتي بانت بجبني فبيني

ومن المنسوب اليه أيضاً :

لست ذا زلة اذا عضني الده

ر ولا شاحباً اذا وأتاني

أنا نار في مرتقي نفس الحا

سد ماء جار مع الاخوان

وفي الوزير المذكور يقول بعضهم :

وقالوا العزل للوزراء حيض

لحاه الله من أمر بغيض

ولكن الوزير أبا علي

من اللائي يئسن من المحيض

ومن شعره أيضاً ماقاله التعالبي في يتيمة الدهر :

واذا رأيت فتى بأعلى رتبة

في شامخ من عزه المترفع

قالت لي النفس العروف بقدرها

ماكان أولاني بهذا الموضع

ولم يزل على هذه الحالة الى أن توفي في موضعه يوم الاحد عاشر شوال سنة (٣٢٨) ودفن في مكانه ثم نبش بعد زمان وحمل الى أهله . وكانت ولادته يوم الخميس بعد العصر لتسع بقين من شوال سنة (٢٧٢) ببغداد

قيل ان الوزير ابن مقلة المذكور أول من صور الخط العربي بهذه الطريقة وكان قبل ذلك يكتب بطريقة الخط الكوفي

وقيل بل الذي نقل الخط الى هذه الصورة هو أخوه

وقد تبع ابن البواب طريقته ونهج أسلوبه

ولابن مقلة ألفاظ منقولة مستعملة فمن ذلك قوله : « اذا أحببت تهالكت ، واذا أبغضت أهلكت ، واذا رضيت آثرت ، واذا غضبت أثرت »

ومن كلامه أيضاً : « يعجبني من يقول الشعر تأدبا لا تكسبا ويتعاطى الغناء تطربا لا تعلما » وله كل معنى مليح في النظم والنثر

وكان ابن الرومي الشاعر المشهور يمدحه فمن معانيه الغريبة فيه قوله :

أن يخدم القلم السيف الذي خضعت

له الرقاب ودانت خوفه الامم

فالموت والموت لا شيء يعادله

ما زال يتبع ما يجري به القلم

كذا قضى الله للاقلام مذ بريت

ان السيوف لها مذ أرهفت خدم

وكان أخوه عبد الله الحسن بن علي ابن مقلة كاتباً أديباً بارعاً والصحيح انه الذي نقل الخط العربي من الاسلوب الكوفي الى الاسلوب الحالي كما قدمنا وقد ولد يوم الاربعاء سابع شهر رمضان سنة (٢٦٨) وتوفي في شهر ربيع الآخر سنة (٣٣٨)

وأما ابن رائق المذكور هنا فان الحافظ بن عساكر ذكر في تاريخ الامام المقتفي بالله انه ولاه أمر دمشق وأخرج منها بدر بن عبد الله الاخشيدي ثم توجه الى مصر وتواقعا هو وصاحبها محمد بن طغج الاخشيدي فهزمه الاخشيدي فرجع الى دمشق وتوجه منها الى بغداد . وقتل بالموصل سنة (٣٣٠) وقيل ان بني حمدان قتلوه انتقاما بالموصل . قتله ناصر الدولة الحسن

﴿ المقل ﴾ هو صمغ وانبنج يأتي من الهند وبلاد العرب وكان معروفا عند القدماء باسم بادليوم ولم يعلم جيداً الشجر المنتج له

قال بعضهم انه ناتج من شجر يوجد في بأراس في الشمال الشرقي من بلاد الفرس

وذلك الشجر مسود في عظم الزيتون وأوراقه تشبه أوراق البلوط وثمره كثمر البرى ، والمقل يشاهد رشحه من قشره كما يشاهد من ثمره

وذكر بعض آخرون ان المقل عصارة شجر نخلي

وذكر آخرون ان المقل خلاصة من شجر نخل يسمى لانطالوس دومستيكا

وهذا الرأى مردود فانه يستحيل ان صمغاً راتينجياً على شكل حبوب وكتل يكون خلاصة ثمر مأكول

وبما انه يوجد أحياناً مع الصمغ العربي فيكون هناك وجه الظن بأنه ناتج من الاقاقيا

وظن أيضاً انه ناتج من جنس السذاب

وظن العالم (لامارك) ظناً قريباً للعقل انه من جنس اميرس

وذكر بعضهم انه شاهد بافريقا الشجر الذى يأتي منه المقل وأكد انه شوكي وانه يسمي عند الاهالى نيطوط ويعملون من شوكه مناقيش للاسنان ولم يزد على ذلك شيئا

وقال الاستاذ ميريه ان (بيروتيت) الذى مكث زمناً طويلاً في السنغال شاهد (نيطوط) الذى هو النبات المجهز للمقل عند أديسون وهو آيدولوسيا أفريقانا عند ريشار

وهو شجر من الفصيلة التربنتينية وينتج منه صمغ راتينجي وذلك يبطل جميع الافتراضات التى ذكرت في أصل هذا الجوهر

والنوع الثاني للمقل الموجود في المتجر هو النوع الآتي من الهند وهو يوجد في المر وبسبب ذلك سمى مر الهند انتهى

هذا النبات هو الذى نعول عليه الآن بعد اضطراب كلام القدماء فيه ونظن انه هو المجزوم به الآن

وقال بعض أطباء العرب: المقل عند الاطلاق يراد به صمغ أى صمغ راتينجي فان كان الي الحمرة والمرارة فالمقل الازرق أو الي الصفرة فمقل اليهود وكلا النوعين صمغ شجر كالكندر بأرض شحر وعمان يعظم جداً ، أو الي غبرة وسواد فهو الصقلي وكثيراً ما يجلب هذا من المغرب

(صفاته الطبيعية) يوجد بالمتجر

نوعان من المقل الاول يكون على شكل دموع أى حبوب مستديرة متراكمة بعضها على بعض في حجم البندق ونحوه ولونه احمر معتم نصف شفاف لزج السطح سهل الكسر ومكسره شمعى قشرى وليس له رائحة خاصة وان كان فيه بعض عطرية وطعمه مر ويتكسر في الفم أكثر من كونه يلين فيه، ويبقى فيه فضلة كبيرة لينة وهي الجزء الراتينجي والثانى يكون كتلا حمراء مسودة معتمة لامعة السطح كأنها مذابة ورائحتها وطعمها كالسابق وذلك هو الاكثر وجوداً في بيوت الادوية وكثيراً ما يوجد فيها أجسام غريبة ملتصقة بها . واذا حرق المقل انتشرت منه رائحة مقبولة وبسبب ذلك استعمل تبخيراً في آفات الرحم فى التقلصات ونحو ذلك

وفي ابن البيطار عن ديسقوريدس أن أجوده ما كان مراً صافى اللون كأنه الغراء المتخذ من جلود البقر وباطنه علك لزق سريع الانحلال لا يخالطه شيء من خشب ولا وسخ واذا بخر به كان طيب الرائحة شبيهاً بالاظفار أى أظفار الطيب

وقد يوجد منه ما هو أسود وسخ غليظ كبير الحجم ورائحته كرائحة الدراشيشعان يؤتي به من بلاد الهند من البلاد التى يقال لها بانراس شبيه بالراتينج وقريب من لون الباذنجان وهو ثان بعد الجيد في قوته

ونقل أيضاً عن جالينوس ان المقل نوعان أحدهما صقلي وهو أشد سواداً وألين من النوع الآخر وقوته ملينة وعمله بهذه القوة بليغ والآخر غربي أيبس من الاول وقوته أشد تجفيفا

ومن كان من هذا المقل حديثاً رطباً ويلين اذا عجن باليد فعمله مثل عمل المقل الصقلي

وكلما عتق وحدث في طعمه مرار شديد وصار حاراً حريفاً يابساً فقد خرج عن طبقة اعتدال الادوية الملينة للاورام الصلبة

وقال (درفول) من المتأخرين المقل نوعان الاول مقل أفريقا وهو كتل أو حبوب مستديرة مخضرة مكسرها وسخ شمعى والرائحة عطرية والطعم حريف وكثيراً ما يحتوى على قطع من الصمغ العربي

والثاني مقل الهند له شبه عظيم بالمر والذا يسمي بالمر الهندى

قال (بوشارداه) ومقل الهند أشد عطرية ومرارة ويباع باسم مر الهند وذكر (جيبور) المقل نوعا سماه بالمقم

ومن العرب من يميزه الي ثلاثة أنواع هندى وعربي ومقلي

(صفاته الكيماوية) هو مركب من ٥٩ر٠ من الراينج و٢ر٩ من الصمغ و٦ر٣٠ من باصورين و١ر٢ من دهن طيار وأجزاء معقودة ومنليه في الماء يعطي لونا كخضرة البحر أى أخضر مبيضا

أما الكحول فيلون منه بالحمرة وماؤه المقطر يحتوى على عطريته

(خواصه الدوائية) يقال ان المقل فيه جميع خواص المر أى كثير من المؤلفين تشابه هذين الجوهرين بحيث يصح ان يسمي المقل (امبرا امبرفكتا) أى المر الغير الكامل والآن لما استعمال الاوربيين له بعد أن كان مشهوراً بكونه مفتحاً للسدد طارداً للسعال مدراً للطمث مضاداً للتشنج قابضا

وعالج به هوفمان كثيراً من قروح الرئة وغيرها من الاحشاء

وكان مستعملاً أيضاً من الظاهر كدواء محلل وذلك هو العلاج الوحيد المستعمل أحيانا

ويدخل هذا الجوهر في (مثرود يطوس) وحبوب الحنظل والصوق الحشائش والدياخلون المصمغ والصوق الالمي وغير ذلك

وتوسع أطباء العرب في ذكر خواصه ونقلوا كلام القدماء فيه وزادوا عليه كثيراً من تجاربهم وكانوا يرون ان المقل العربي يفتت الحصي المتولد في الكليتين اذا شرب ويدر البول ويذهب الرياح الغليظة ويطردها

ونقلوا عن ديسقوريدس ان قوة مسخنة ملينة فاذا احتمل أو تبخر به فتح الرحم المنضم وجذب الجنين وكل رطوبة

واذا شرب منه من بهمال أونهشة شيء من الهوام نفع من ذلك كما ينفع من وجع الجنب والكزاز والرياح . وقد يقع في أخلاط

وعن الرازى انه ينفع من الطواعين وعن أبي حريج فيه حدة فينفع الجراحات اذا خاط بمرهما ويدمل الخنازير

واذا طلي بالخل علي السعفة أبرأها وعن حنين وغيره انه يحال الدم الجامد والاورام الداخلة شربا بمطبوخ ، والاورام الخارجة في الاعضاء ضمادا

واذا خلط بالادوية الحادة المسهلة قمع حدتها ونفع من سحج الامعاء والاضراب بها

وعن ابن سينا ينفع من وجع قصبة الرئة وأورامها ومن السعال المزمن وينقي الرحم وينفع من البواسير شربا وتدخينا

وقيل ينفع من جميع السموم . واذا ضمدت به الاورام البلغمية الصلبة حللها واذا وضع ذلك علي قيلة الماء نفعها في جميع الاسنان ، أو علي قيلة الدم في الصبيان خاصة أضمرها سواء كان معجونا برغوة الباقلا أو بلعاب الصائم حتى يصير كالمرهم

واذا سحق وخلط بخالة القمح وتكون النخالة ثلاثة أمثاله وطبخ بزيت العنب وحرك بشيء من السمن ثم وضع علي أورام النفانخ حللها بجرب

(المقدار للاستعمال) مقدار استعماله من الباطن من عشر قمحات الي ٤٨ قمحة . وبالجملة مقاديره واستعماله كالمر

(تنبيه) يطلق المقل عند العرب علي ثمر شجر الدوم بل علي الشجر نفسه المخرج الثمر فيقال لذلك الثمر مقل مكى لكونه يوجد بمكة

قال ابن واقد المقل المكي ثمر الدوم وهو ينضج بمكة ويؤكل خارجها مع القذة

أما بالاندلس فلا ينضج بل يكون كثير العفوصة قليل المائية خشناجدا عسراً قابضاً يمقل البطن و يقوى المعدة

وليف المقل اذا حرق وغسل به البدن منع الجرب والحكة وولد القمل

وقال داود يطلق المقل علي شجر كالنخل فثمره رطباً يسمي النهس ويابساً الدقل وليفه هو المعروف بالمسد وهذا المقل المكي يؤكل في المجاعات

﴿ المقوقس ﴾ طائر معلوق وهو أيضاً لقب جريج بن مينا القبطي كبير القبط علي عهد النبي صلي الله عليه وسلم كتب اليه رسول الله صلي الله عليه وسلم هذا الكتاب وهو :

« بسم الله الرحمن الرحيم من محمد ابن عبد الله ورسوله الى المقوقس عظيم القبط

سلام علي من اتبع الهدى .

(أما بعد) فاني ادعوك بدعاية الاسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فان توليت فعليك اثم القبط ، يا أهل الكتاب تعالوا الي كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضاً أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون »

فكتب اليه المقوقس :

« بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط

(أما بعد) فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت وما تدعو اليه وقد علمت أن نبيا بقي وكنت أظن أنه يخرج من الشام

وقد اكرمت رسولك وبعثت لك بجاريتين لهما مكان من القبط عظيم وبكسوة وأهديت لك بغلة لتركبها »

فتح عمرو بن العاص مصر في زمن هذا الزعيم واتفق معه علي الجزية فأغاظ ذلك قيصر الرومان وأرسل اليه يوبخه ويسفه رأيه وبعث الجيوش لمحاربة عمرو بن العاص فكان يساعد المسلمين علي أعدائهم بالمؤونة حتى لا يقهروا فيعود الرومانيون عليه وعلي قومه بأشد مما كانوا حتى تم أمر عمرو بن العاص فكان له يد لا تنكر في دخول العرب الي مصر

وانما فعل المقوقس ذلك لان الرومانيين كانوا يسومون القبط سوء العذاب ويضطهدونهم لاجل دينهم حتى قتلوا منهم مرة نحو ثمانمائة الف نسمة وهي مجزرة من أشنع مجاوز التاريخ كما فصلنا ذلك في كلمة (قبط) فليرجع اليها من شاء

ومن أراد استقصاء خبر المقوقس فليراجع تاريخ مصر في كلمتي (عمرو بن العاص) و (مصر)

﴿ مكث ﴾ بالمكان يمكث مكثا أقام به والاسم المُكث . و (تمكّث) تلبّث

﴿ مكر ﴾ به يمكر مكراً خدعه . و (ماكره) خادعه . و (المكّار) الكثير المكر

﴿ مكران ﴾ قال ياقوت الحموي في معجم البلدان . هي ناحية واسعة عريضة يغلب عليها المفاوز والضر والقحط . من اكبر مدنها (القيربون) ومدينتها (راسك) ووصفها غيره باشتمالها

علي مدن وقرى وعلي معدن (الفانيز) وهو نوع من الحلي ومنها يحمل الي جميع البلاد واجوده الماسكاني ، والماسكان احدى مدنها . وهذه الولاية غربها كرمان . وسجستان شمالها ، والبحر جنوبها

وجاء في القاموس الجغرافي التركي اما بلاد مكران فهي قسم من بلاد بلوخستان واقع علي ساحل خليج عمان يبلغ امتداده من الشرق الي الغرب ٧٨٠ كيلو متراً وهي بلاد جبلية بلحها مشهور ومقر واليها مدينة (كنج)

﴿ مكس ﴾ الرجل يمكس مكسا جبى مالا فهو (مكّاس) و (مكّس فلانا) ظلمه و (ماكسه في البيع) استحطه الثمن و (ماكسه) شاكسه و (المكس) ما يأخذه المكاس

﴿ مكس ﴾ قال ياقوت الحموي : هو موضع بأرمينية من ناحية البسفرخان قرب قاليقلا

﴿ مكسيكا ﴾ هي جمهورية بأمريكا الشمالية ، تحد شمالا بالولايات المتحدة ، وشرقا بالمحيط الاطلانطيقي (خليج مكسيكا وبحر انتيلا) ، وجنوبا وغربا بالمحيط الهادى

أرض مكسيكا عبارة عن هضبة واسعة متوسط ارتفاعها (١٥٠٠) متر تقطعها سلاسل من الجبال طويلة تتجه من الشمال الغربي الي الجنوب الشرقي . وتشتمل تلك الهضبة في وسطها علي صحار قاحلة رملية وعدة بحيرات مالحة تصب فيها بعض النهيرات وعلي بعض الاريضات التي تغشي شمالها . أما وسطها الذى تمتد فيه هضبة (اناهواك) وتعلوها من جهة جنوبها هضبة مكسيكا الى ارتفاع (٢٣٠٠) متر فهي هضبة كثيرة البراكين والجبال الثلجية . وتفصلها عن هضبة امريكا الوسطي سهول برزخ تيووانتيك

واما سواحل مكسيكا فضيقة منحطة كثيرة المستنقعات والبحيرات التي أشهرها بحيرة ترمينوس الكائنة جنوب خليج (كمبيش)

يمكن تقسيم ارض مكسيكا من حيث جوها الي ثلاثة اقسام (اولا) الاقاليم الباردة أو الهضبات العالية وهي صحية خصبة . ولكن فيها جفاف شديد يضر

بنو المزروعات

(ثانيا) الاقاليم المتدلة وتشمل منحدرات الجبال من ارتفاع ١٥٠٠ متر وهي أقاليم خصبه تنتج مثل الاقاليم السابقه مزروعات مختلفة كمزروعات أوربا

(ثالثا) الاقاليم الحارة وتشتمل على السواحل وسفوح الجبال الي ارتفاع ٦٠٠ متر وهي أقاليم موبوءة كثيرة الحميات وخصوصا الحمي الصفراء. والسهول الشرقية رطبة ولذلك درجة انباتها قوية واما السواحل الغربية فجافة يزرع فيها قصب السكر والبن والنيلاء والقرنة والفواكه بأنواعها

مساحة المكسيك (١٩٠٠٠٠٠) كيلو متر مربع وسكانها (١٣٤٤٥٤٦٣) وعدد السكان النسبي اكثر من ٦ في كل كيلو متر مربع

يتألف سكانها من اكثر من مليون من الجنس الابيض وهم من ذراري الاسبانيين الذين نزحوا الى تلك البلاد مستعمرين وحكموا في الازمان الغابرة وهو عنصره سائطة في تلك البلاد ومنه المتولون وفيها اكثر من أربعة ملايين من الهنود الامريكيين بعضهم وهم (الاستيك) الذين تهذبوا وتحضروا ومعظمهم من الزراعين والبعض الآخر لم يزل على حال الوحشيه والوثنيه وفيها اخلاط من الاجناس الاخرى. وفيها زنوج كانوا أرقاء وصاروا الآن أحراراً

يدين المكسيكيون بالمذهب الكاثوليكي المسيحي ويتكلم معظمهم باللغة الاسبانية ما عدا بعض الهنود فانهم لايزالون يتكلمون بلغتهم الاصلية

المعارف في المكسيك متأخرة جدا حتى أن اكثر أهلها لينغلب عليهم الجهل وتسود فيهم الخرافات ولكن فيهم فئة متمدنة مهذبة

حكومتها جمهورية تمثيلية مؤلفة من ٢٧ جمهورية يحكمها رئيس ولها مجلسان مجلس نواب تنتخب أعضاءه الامة، ومجلس شيوخ تنتخب اعضاءه الجمهوريات ولكل جمهورية في كل منهما عضوان

جيشها البري يبلغ عدده وقت السلم ٢٧٠٠٠ الف جندي وفي وقت الحرب يمكن ابلاغه الي نحو مليون جندي ولكن المدار في جمع هذه العدد على وجود

الاسلحة والذخائر الحربية والضباط المتخرجين من المدارس. وأما سفنها الحربية فقليلة جداً

مالية المكسيك مختلة وهي في عجز مستمر وأهل البلاد في غاية الفقر ويبلغ ايراد الحكومة نحو عشرة ملايين جنيه ونفقاتها تزيد عن ذلك. وتبلغ ديونها أكثر من ١٥ مليوناً من الجنيهات

تنقسم مكسيكا الى ٢٧ جمهورية صغيرة مستقلة في ادارتها الداخلية وعاصمتها مكسيكو عدد أهلها ٣٥٠٠٠٠ نسمة وهي قائمة على هضبة عالية تنشأها البراكين وهي في موضع جميل فيها معامل الصابون ومشهورة بصناعة الحلي والمسروج

من أشهر مدن المكسيك (بوبيلا عدد أهلها نحو ١٥٠٠٠٠ نفس وهي مدينة محصنة تكثر بها صناعة الاواني الخزفية

ثم بلي هاتين المدينتين مدينة (جوانا جواتو) مشهورة بمناجم الفضة التي تعتبر أغزر مناجم العالم

ويليها مدينة (سان لويز بوتوزي) كانت مشهورة بمناجمها تلك المناجم الفضية

ويأتي بعدها (جواد الاجارا) عدد أهلها نحو ١٢٠٠٠٠ نسمة وهي مشهورة بعمل الأواني الفخارية والسجاد

وبعدها (فيراكروز) يسكنها نحو (٣٥٠٠٠) نسمة وهي ميناء على خليج المكسيك لها علاقة كبيرة مع أوروبا بواسطة الهواء

ويليها (تامبيكو) وهي ميناء على الخليج المذكور. و(كمبيش) على الخليج المسمى باسمها ومنها يصدر كثير من خشب الصباغة. و(مريدا) وهي مع سابقتها في شبه جزيرة (يوقطان) و(اكابلوا) وهي ميناء جيدة الهواء على المحيط الهادي ومرمي السفن القاصية من بناما الي سان فرنسيسكو. و(شيواهيوا) و(مونتيري) و(فيكتوريا) و(دروانجو) و(زاكتيكاس) و(موريليا) و(جاكا) و(سان كريستوبال) وكلها عواصم لبعض الجمهوريات

(جغرافيتها الاقتصادية) أرض المكسيك وان كانت خصبة الا ان الزراعة فيها منحطة بسبب عدم الامن وقلة الطرق العامة والسكك الحديدية وقلة

المياه وكثرة المنازعات الاهلية . والصناعة فيها تكاد تكون معدومة

ولكن أخذت المكسيك بعد تكوين جمهوريتها تتقدم شيئاً فشيئاً يزرع فيها الآن القمح والذرة والسكاكاو وقصب السكر والتبغ والسحلب

ويكثر فيها الموز والصبر وخشب الآبنوس وخشب الصباغة وشجر التوت الذى يربي عليه دود القز

حيواناتها الاهلية من الثيران والاغنام كثيرة وخيولها التى استجلبت من القدم من اسبانيا جمة . ولكن تلك الحيوانات هائمة في أقاليمها الشمالية على الحالة الوحشية

جبالها غنية بالمعادن فمنها تستخرج الفضة بكثرة ويكثر فيها الذهب والنحاس والزئبق والفحم الحجرى والكبريت والحديد ولكن الاهمال جعل كل هذه الثروة لاتزال كامنة في باطن الارض

تجارتها الداخلية كاسدة لعدم الامن العام وعدم كفاية الطرق ووعورة الارض وعدم وجود أنهار قابلة للملاحة وقلة خطوطها الحديدية

وتجارتها الخارجية قليلة أيضاً

وعظم ما يصدر منها هو الذهب والفضة والجلود وخشب الصباغة و بعض الحاصلات الزراعية

ويرد اليها من الخارج جميع أنواع البضائع وأكثر معاملاتها التجارية مع انجلترة والولايات المتحدة ثم فرنسا والمانيا واسبانيا و كولومبيا

بلغ مقدار ما أنتجته من الفضة في سنة (١٨٩٧) ٩٢٣٧. كيلوغراماً وبلغ ما أنتجته من الذهب ١١٠٥٤ كيلو غراما

بلغت صادراتها في سنة (١٩٠١) ماقيمته ١١٧٢٢٦٣٢٨ دولاراً من الفضة و بلغت صادراتها لانجلترة ١٢٠٣٣٠٧٧ وفرنسا ٢٨٢٤٣٠٣ ولالمانيا ٥٠١٨٤٦٤ ولاسبانيا ١١٨٧٧١٤ فيكون مجموع ذلك ١٤٨٦٥٦٣٥٨ منهم ٩٧٩٢٤٤٩٨ قيمة المعادن و ٣٦١٤٩١١٠ ثمناً للمواد النباتية

بلغ عدد السفن التى دخلت موانيها في سنة (١٩٠٠) ١٥٤١ سفينة حمولتها ٢٢٤٥١٦٦ طن منها ٨٤١٩١٩ طن أتت من انجلترة

فرنسا تورد للمكسيك المنسوجات الصوفية والمنسوجات والاقمشة القطنية

والساعات

(تاريخ المكسيك) لا نعرف شيئا كثيراً عن الحوادث التاريخية التى توالت على المكسيك قبل الفتح الاسبانيولي في القرن الخامس عشر ، وليس لدينا من الاسانيد التاريخية الامايرويه أهل البلاد في أقاصيصهم وما سلم من المخطوطات من الحريق الذى أمر به أول اسقف للمكسيك فانه لكراهته لديانة المكسيكيين اراد حملهم على المسيحية بشيء من القهر فأمر باحراق جميع اساطيرهم فضاعت بضياعها جميع معالم تاريخهم

كل الذى يعلم الآن من تاريخ المكسيك و يكاد يكون محققاً أنه في أوائل القرن السابع الميلادى نزحت قبيلة التولتيكيين من شمال أمريكا الغربي ونزلت في جهة أناهوك من بلاد المكسيك فأسست هناك مملكة زاهرة نشأت فيها مدنية زاهية أشعت نورها على جميع بلاد المكسيك وصدتها الى ما يجاورها جواتمالا والهوندراس وبوكاتان

وقد ذهب العلماء اليوم ان التولتيكيين ورثوا جميع مدنيات البلاد الامريكية الوسطى فقاموا باعبائها وكانوا شعبا مدنت الاخلاق لا يضحى بالانسان كما كان يفعل المكسيكيون من اهالى البلاد وقالت ان ديانتهم كانت تنحصر في تأليه الحوادث الجوية والكواكب . فكان لهم ١٣ الها كبيراً وأكثر من ٢٠٠ الها صغير . فكان من بين آلهتهم المشهورين (تلالوك) اله المطر و(كيتزلكوالك) أو الثعبان ذو الريش اله الرياح والعقل . و(هويتزلوبوكتلي) اله الزوابع والشمس وكان هذا الاله في الوقت ذاته معتبراً الها للحرب عند الازتيكيين

ولقد كان التولتيكيين قريحة صناعية طبيعية في غاية القوة فنهضت لديهم الصناعة نهضة عظيمه فانتجت صناعة الظرف والصياغة وترصيع الجواهر نتائج فخمة . وكانوا يعرفون النسج والصبغ واحداث زينات غاية في الدقة بواسطة ريش الطيور ، وكانوا على علم تام بحفر الخشب لعمل أشياء منزلية منه تصلح للزينة وكانوا يصنعون الرايا من الاحجار اللامعة أو من المعادن ، ويستعملون الملاعق والسكاكين الخ وكانوا يستخرجون الاعطار ويتضمخون بها . وكانوا من جهة فن البناء بالمكان الرفيع

وقد عرفوا استعمال الاحجار والآخر والسمنت والخشب في آن واحد في مبانيهم وبلغوا من الآداب مدى بعيداً جداً فكانوا يراعون قواعدها بدقة وعناية ولا يعبدون الزوجات . وكانوا يحفظون حوادثهم التاريخية بواسطة رسوم هيروغليفية أو خيوط ذات ألوان متعددة يصنعونها بألوان مختلفة و يعقدونها عقداً متعددة ذات أشكال مختلفة . وكان لهم مخطوطات على أقمشة قطنية وعلى جلود وعلى ورق عود النبد المضموم بعضه الى بعض . وكانت المعارف الفلكية لديهم قد بلغت مبلغاً عظيماً فكانت سنتهم مقسمة الى ٣٦٥ يوماً كانوا يقسمونها الى ١٨ شهراً عدد أيام كل منها ٢٠ يوما وكانوا يضمونها في آخر السنة بخمسة أيام اذا كانت بسيطة و بستة أيام ان كانت كبيسة وكان شهرهم مقسما الي أربعة أسابيع عدة أيام الاسبوع خمسة . وكان القرن عندهم ٥٢ سنة

وكان فن الزراعة عند التولتيكيين معظما غاية التعظيم وكان اكثر زراعتهم القرة . وكان لهم اوان وتماثيل واشياء اخرى من الفضة والرصاص والنحاس .

وكان لهم صرفة بنحت الاحجار وعمل التماثيل ولكن لم تخل مصنوعاتهم في هذه الاشياء من صفات الامم البربرية

وكان نظامهم السياسي حكم الطوائف فكان لكل طائفة منهم قطعة من الارض يستغلونها و يعيشون فيها من غير عدوان على مجاوريهم . وكان الابن يرث الاب في عمله وبالجملة كان المكسيكيون طليعة الشعوب الامريكية الى المدنية . وكانت عاصمتهم مدينة (تولا) اوتولكان على بعد ١٥ فرسخا من شمال مدينة مكسيكو العاصمة الحالية

بقي حكم التولتيكيين أربعة قرون ثم اضمحل بسبب توالي الحروب مع القبائل المتوحشة النازلة في البلاد بتأثير الجاعات التي انتابت المكسيك . فاضطرت هذه الطائفة المتمدنة أن تهاجر من المكسيك وانقسمت الي فرقتين فرقة تبعت ساحل المحيط الاطلانتيقي وأخرى تبعت ساحل المحيط الهادي حتى نزلت أمريكا الوسطى ويوكاطان وأسست هنالك ممالك زاهرة المدنية مثل بالينك وأوكسمال وغيرهما وقد بقي من هذه الممالك خرائب غاية في الفخامة

بعد أن ترك التولتيكيون بلاد المكسيك قام مقامهم فيها بعد قرن من الزمان قبيلة الشيشميك وهم وان كانوا على شيء من المدنية الا أنهم لم يكونوا على مثل حال التولتيكيين وكانوا لا يزالون يعدون من المتبربرين (١١١٧) ونحن الآن نجهل تماما الحوادث التي أدت الي انقراض الشيشميك . فقد قيل انهم في القرن الثالث عشر هوجموا من الاستكيين وهؤلاء من القبائل الشمالية وهم وان كانوا على شيء من المدنية الا انهم كانوا لا يزالون يحفظون بعض صفات المتوحشين كأكل لحوم البشر في احتفالاتهم الدينية فأسسوا سنة (١٣٢٥) مدينة تينوكتيتلان التي سميت المكسيكو بعد ذلك بزمان فلما فتح الاسبانيون بلادهم كانوا يدهشون من اسراف هذه القبائل في تضحية البشر لآلهتهم . فقد كان لهم الحرب عندهم يسمي هوتزيلوبوكتلي فكانوا يضحون له سنويا من أسرى حروبهم من ٢٠٠٠٠ الي ٥٠٠٠٠ نسمة سنوياً . وفي سنة (١٤٨٦) في مناسبة الاحتفال بتأسيس معبد مكسيكو الكبير ذبحوا له ٧٠٠٠٠ انسان من أسراهم

وكانت صورة قتلهم أن يؤتي بالرجل ويلقي على مذبح الهيم فيأتي الكاهن ويشق بطنه ويستخرج قلبه وهو لا يزال يخفق فيهديه الاله وهو بين يديه ثم يقطع لحم المذبوح ويفرقه على الناس ليأكلوه

هذه كانت حالة المكسيك لما جاءها (فرناندكورتز) الاسباني فاتحاً لها بست مئة وخمسين رجلا فقط . فقد توصل بالحيلة والقسوة الى امتلاكها وكان ذلك من سنة (١٥١٩ الي ١٥٢١)

لما استولت اسبانيا على تلك البلاد جعلت همها استخراج معادنها ونقل الثروة منها الي بلادها وجعلت الحكم للرجال الذين كانت ترسلهم فاستغوا بأهالي البلاد وعزلوا جميع العاملين منهم واستبدوا بالامر الي سنة (١٨١٠) حيث ثار القس (هيدالجو) وساعده في حركته بعض الضباط من موالدي المكسيك فجمعوا ٤٠٠٠٠ من أهل البلاد فاضطرت اسبانيا لمقابلتهم بالقوة فحدثت حروب هائلة فيها أكثر رؤساء الثائرين فلما جاءت سنة (١٨٢١) انضم القائد الاسباني ايتوربيد الى الثائرين وأعلن استقلال مكسيكا فلم توافق اسبانيا على هذا الاستقلال الا في

وذلك سنة (١٨٨٢)

وفي سنة (١٨٨٤) انتخب الجمهورية الجنرال بورفيريو دياز ولا تزال أحوال هذه المملكة مضطربة لا تستقر على حال

مكة من أشهر مدن العالم كله وهي عاصمة بلاد العرب وفيها البيت العتيق الذي يحج اليه المسلمون من مشارق الارض ومغاربها . وبما أنهما بهذه المنزلة فقد وجب علينا أن نطيل في وصفها وبيان احوالها ولا نجد مصدراً جديراً بالاعتماد عليه في ذلك غير ما كتبه الفاضل محمد لبيب بك البتنوني في رحلته الحجازية فانه قد شهد هذه المدينة في الحج وكتب عنها من عيان ، فرأينا أن ننقل هنا ما كتبه بحروفه لجلالة فائدته قال :

« مكة وتسمى بكة وأم القرى ، مدينة ترتفع عن سطح البحر بنحو ٣٣٠ متراً وهي على عرض ٣١ درجة و ٢٨ دقيقة وفي طول ٤٠ درجة و ٩ دقائق وتصعد عمارتها الى عهد ابراهيم وابنه اسماعيل عليهما السلام ، وكان يعيش بنوه في الخيام والمضارب حتى عاد قصي بن كلاب من الشام في القرن الثاني من

الهجرة فبنى فيها المساكن والبيوت حول الكعبة ومن ثم أخذت تزيد في عمرانها الى الآن

ثم قال . « وهذه المدينة تمتد من الغرب الى الشرق على مسافة نحو ثلاثة كيلومترات طولا وما يقرب من نصف ذلك عرضا في واد مائل من الشمال الى الجنوب منحصر بين سلسلتي جبال تكادان تتصلان ببعضهما من جهة الشرق والغرب والجنوب اعني على أبواب مكة الثلاثة ولذا لا تشاهد أبنيتها لقادم عليها الا وهو على أبوابها والسلسلة الشمالية منها تتركب من جبل الفلج (الفلق) غربا ثم جبل قيقعان ثم جبل المندى ثم جبل لعلع ثم جبل كداء (بفتح أوله ومد آخره) وهو في أعلى مكة ومن جهته دخل رسول الله البلد حين الفتح أما الجنوبية فانها تتركب من جبل أبي حديدة غربا يذاوه جبلا كُدَى (بضم أوله واللف لينا في آخره) وكُدَيّ (بالتصغير) بانحراف الى الجنوب ثم جبل أبي قبيس الى شرقيهما ثم جبل خندمة وكل سفوح هذه الجبال من الحرم تراها عامرة بالبيوت والمساكن التي تتدرج عليها الى قلب الوادي ويبلغ عددها نحو سبعة آلاف منها الكبير والصغير يحتشد فيها زمن الحج ٢٠٠٠٠٠ نفس على الاقل . واذا كان الحج بالجمعة كان الناس أضعاف ذلك ومساكنها على شبه مساكن جدة ويكثر فيها ما يسمونه بالادوار المسروقة ولا حوش لها في الغالب الا ما كان لعظمائها وكبرائها وأعظم مساكنها بالقرارة وأحسن موقع في مكة شعب جياد لارتفاعه وسعة طرقه ومساكنه وفيه بيوت كثيرة جميلة حل الطراز التركي يسكنها موظفو الولاية من الاتراك وفيه دار عظيمة للشريف عبد المطلب ودار ان عظيمتان للسيد محمد السقاف الذي له أملاك واسعة في مكة والمدينة ومع ذلك فليس بمكة على قدم عهدها بالحضارة وعظم مكانتها في نفوس الناس من زمان بعيد جداً شيء يذكر من جهة العمارة القديمة مما هو موجود بكثرة بمصر والشام اللهم الا بيت الشريف ناصر باشا الذي هو في غاية المنظر وجمال الصناعة العربية بمكان عظيم ويصح ان يكون احسن بيت في مكة

« وضمن هذه المساكن بعض الدور

القديمة فترى دار ابن عباس في المسعى على يمين السالك الى المروة وفي الشرق الشمالي للحرم آثار دار أبي سفيان المشهورة في الجاهلية والاسلام . وهي مهدمة لا عناية للقوم بها . ولو لاحظوا أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل لها يوم الفتح شأناً كبيراً حيث جعلها حرماً محترماً كل من دخلها من المشركين كان آمناً لكان المجلس البلدي بمكة أعارها شيئاً من عنايته

« والحرم الشريف بين هذه البيوت مائل الى الجهة الجنوبية مما يلي جبل أبي قبيس . وفي هذه الجهة دار الطيزوان يتداولها شرة شعب بني هاشم ويسمونه شعب علي ثم شعب المولد ثم شعب بني عامر . وفي هذه الجهة كانت مساكن بني عبد المطلب في الجاهلية وفيها الآن كثير من الاشراف أما بقية قريش وكانوا في الجهة الاخرى من الحرم خصوصاً جهة الشمال دمن دونهم فهي أهالي مكة

« ويتوسط مكة طريق يقطعها من الغرب الى الشرق وهو أكبر شوارعها ويختلف اسمه باختلاف الجهات التي يمر عليها . فاذا ابتدأ قربا من جرول يسمى حارة الباب ، ثم الشبيكة حتى اذا وصل الى الحرم من جهة الشمال سمي الشامية فاذا انعطف الى الجنوب على يمين الحرم يسمى السوق الصغير ثم جياد وفيه البوستة والتلغراف والنكية المصرية ودار الحكومة العثمانية ويسمونها بالحميدية والى جوارها ادارة الصحة وقشلاق الطوبجية والمطبعة الاميرية ، فاذا وصل الى الصفا سمي المسعى ثم القشيشية ثم سوق الليل ثم المنزة ومنها الى باب مكة الشرقي أو باب المعلى . أما الشوارع التي في شمال الحرم فهي الشامية وفيها سوق المدينة والقرارة والنفا والسليمانية والجودرية والبراضية . وليس بمكة على كبرها ميادين عمومية الا صحن المسجد الحرام الذي يسمه يؤدي وظيفة الميادين الكبرى . وهذه الطرق تختلف سعتها من مترين الى خمسة عشر متراً ونراها في زمن الحج غاية في الوساخة والقذارة مما يوجب على المجلس البلدي في مكة أن يعتني بنظافتها خصوصاً في مدة الموسم مع عدم اهماله أمر النور ليلا خدمة للدين والانسانية وفي مدة الموسم يرى أهل البلاد لا سيما الاعراب يضعون

دائما سنادين من القطن في فتحتي مناخرهم بعد أن يغمروهما بدهن المر ويسمونها الصمايم ويربطونهما بخيط يعلقونه في رقبتهم حتى اذا آنسوا عدم وجود قذارة رفعوهما وأرسلوهما على صدورهم ، وهم لو علموا ان هذه السدادة ضررها أكبر من نفعها لا يطلوا استعمالها لان وظيفة الخياشيم انما هي لتنقية الهواء من الادران فتسوقه الى الرئتين نقياً . ولو دخل الهواء الفاسد الى الرئتين من طريق الفم فانه يدخل اليهما بما فيه من المادة الغريبة فيصل معها بالدم وهنالك يكون تأثيره الضار والعياذ بالله . أما الطبقة الراقية وخصوصاً من الاعراب فانهم يضعون طرف عمائمهم (كوفيتهم) على فمهم وأنفهم و يثبتونها في عمائمهم أو عقالهم اتقاء البرد أو الروائح الكريهة

ويقصد مكة زمن الحج أنواع العالم الاسلامي من جميع الاطراف المسكونة فترى بها الازياء المتباينة والسحن المختلفة حتى ليجدر بها أن تسمى بالمعرض الاسلامي ولقد رأيت فيها رجلا يابانيا من كبار قواد اليابان قد أسلم وقدم اليها لتأدية فريضة الحج

وقد اعتاد الشوام والمغاربة سكنى الجهة الشمالية من مكة زمن الموسم ، والافغان والسليمانية (أهالي قندهار) في الجهة الشمالية الشرقية ، والهنود والجاوة في الجهة الشمالية الغربية ، والترك والتركستان والصاغستان في المسفلة ، والعجم في شعب علي ، وما سوى ذلك في وسط المدينة . وأهالي مكة يبلغ عددهم ١٥٠ الف شخص منهم خمسون الفا من الاهالي والباقون من الاغراب كما تراه في الجدول الآتي

الف	
٥٠	أهالي
٢٥	أعراب وغالبهم حجازيون ويمنيون وحضارم من سكان حضرموت
٢٠	بخاريون
١٢	هنود
١٥	جاوة
١٠	سليمانية وأفغان
٥	شوام
٥	مغاربة
٨	أجناس مختلفة
١٥٠	المجموع

واغلب هؤلاء الاعراب يشتغلون بالامور المالية وخصوصا التجارية لذلك نبه أمرهم وأصبحت مالية البلاد في ايديهم وانا نذكر لك بعض البيوت القديمة التي توطنت منهم في مكة من زمن بعيد وفيها كثير ممن اشتهر بالوجاهة والثروة

(ثم ذكر المؤلف اسماء بيوت كثيرة من الهنود والجاويين والبخاريين والحضارم والشوام والترك والمصريين ممن سكنوا مكة وأثروا بها ثم قال):

ومن اختلاط هذه الاجناس بعضهم ببعض بالمصاهرة او المعاشرة صار سواد أهل مكة خليطا في خلقهم ،خليطا في خلقهم .فتراهم قد جمعوا الي طبائعهم وداعة الاناضولي وعظمة التركي واستكانة الجاوى وكبرياء الفارسي ولين المصرى وصلابة الشركسى وسكون الصينى وحدة المغربي و بساطة الهندى ومكر اليمنى وحركة السورى وكسل الزنجي ولون الحبشي .بل تراهم جمعوا بين رفه الحضارة وقشف البداوة فبينما الرجل منهم قد آنسك برقة حديثه معك وضعته بين يديك ، اذا هو قد استوحش منك وأغلظ في كلامه حتي كأن طبيعة البداوة تغلبت فيه علي طبيعة الحضارة فلم يطق ما تكلفه في حضرتك

وقد وصل هذا الخلط الي ازيائهم التى تراها مجموعة مختلطة من أزياء البلاد الاسلامية :عمامة هندية وقفطان مصرى وجبة شامية ومنطقة تركية فيها خنجر تراه علي الخصوص في حزام الاشراف مفضضا او مذهبا بشكل جميل جداً وكثيراً ما يكون مرصعاً بالاحجار الكريمة . ومع هذا فقد ترى الرجل الصانع الفقير يلبس القميص علي ياقته الظرافة المشغولة بالحرير وعلي رجل سراويله شيء يشبه الركامة وهو حافي الرجل(مثلا). غير أنك لا تلاحظ ذلك في طبقة الاشراف التي ترفعت عن هذا الخليط فلم يدخل في مادتهم غريب ولا يتغلب عليهم خلق جديد ، بل خلقهم هو بعينه العربي البحت الذى ورثوه عن اجدادهم والفوه بما فطروا عليه من كريم العنصر وذكاء المحتد . وعلي العموم فأخلاق أهل مكة غاية في الكمال وخصوصا فى الطبقة العالية منهم رضى الله عنهم ولا يؤخذ علي مجموعهم خسة بعض السوقة فيهم

والذى يؤسف له أن هذا الخلط

وصل الي لغتهم فتراهم يتكلمون في الغالب بلغة يكثر فيها الحشو من كلمات عربية مشوهة أو فارسية أو تركية أو غيرها وهم ينونون المضاف فيقولون في هذا حق فلان مثلا (هذا حقٌ فلان) مع ابدال القاف جيما مصرية ومنهم من يمد الحرف المنون فيقول (هذا حقون فلان) أو يؤنث لفظه فيقول (حقة فلان) ولا يحذفون النون من الفعل في صيغة الامر للجميع فيقولون(هيا صلون المغرب واركبون) بدل صلوا واركبوا . ويستعملون الترخيم في غير المنادى فيقولون (قم لعنا) أى قم لعندنا : ويقولون في الابل البِل بكسر الباء وفي الجبل البَل بفتحها . ويقولون كَمِّنا أى كلنا (خلصنا) ويقولون (وصايتى) في وامصيبتى.و(اللمن) في اليمن وما يكثر سماعه منهم قولهم . (دَحين) في هذا الحين . و(ازهم فلان) . في ادع فلانا . ويعبرون عن الرجل بلفظ (زلمه) ويجمعون الرجل علي أوادم . ويقولون (زكّنه) أى أضربه . و(قل كذا) أى أعمل كذا . ويقولون ابيض للاستحسان . و(سنّع) في صنع أو اتقن .و (انجعمص) يعنى اجلس . و (فصخ حداك) أى اخلع نعالك . ويقولون (مشلح) للعباءه . و (شاية) للقفطان . و (امرح) اجر و (الودّن) للفدان من الارض . و (الصمادة) للكوفية . و (ركّن عليه) أى أكد عليه و (زل) بمعنى مر . و (اندر) بمعنى اخرج . و (الا) بمعنى نعم . و (اغد) في رح . ويستعملون قولهم (أشكل) لأفعل التفضيل من الحسن فيقولون هذا الشيء أشكل من هذا ، يعنى أحسن منه . ويستعملونها احياناً للكثرة فيقولون (هذا أشكل من هذا) يعنى أكثر. ويسمون الاولاد بالبزورة فيقولون (بزورة فلان أو بزران فلان) أى أولاده ويستعملون لفظ (هرّج) في معنى كلم فيقولون (ما هرجته) أى ما كلمته ويستعملون لفظ (صاقن) التركية للاحتراس ،التنبيه . و (قربوز) البطيخ ويستعملون غير ذلك كثيراً من الكلمات التركية والفارسية مثل (روشن) للشباك ويقولون عن حياض مجرى عين زبيدة (بازان) وهو اسم لرجل أعجمى قام بعمارة هذه الحياض وان كان تبادر للذهن لاول وهلة انه لفظ فرنسي

ظننته انه من وضع بعض المهندسين الاتراك الذين كانوا يعملون في اصلاح هذه العين . كما استعملوا بعد ذلك من هذه اللغة الفاظا كثيرة في المدينة المنورة بعد وصول السكة الحديدية اليها فيقولون البيليت تذكرة السكة الحديدية و (استاسيون) للمحطة و شماندفير للسكة الحديدية والفاجون للعربة و البرسونيل للمستخدمين وهكذا من الالفاظ التي لم يسمح الوقت لاستقصائها وهذا كله مع كثرة اغلاطهم النحوية وعدم مراعاة القواعد الصحيحة التي لا يهتمون بها في تخويم ألسنتهم أو أقلامهم والي بينا كنت محزونا لتأخر اللغة العربية في مشرق انوارها ومظهر اعجازها اذ هنرت علي ترجمة فرنساوية لكتاب عمرو ابن العاص الذي أرسله الي عمر بن الخطاب لما استولي علي مصر يصفها له فيه ويشرح له السياسة التي سيتخذها فيها وقد نشر هذه الترجمة الكاتب الفرنساوي الشهير المسيو أوكتاف أوزان في جريدة الفيجارو الفرنساوية الشهيرة ونقلته عنها يرمته جريدة البروجريه الفرنساوية المصرية مع التعليقات التي علقها عليه المسيو أوزان والتي وصف فيها هذا الكتاب بأنه من اكثر آيات البلاغة في كل لغات العالم ، وقال عنه أنه من الفرائد في ايجازه واعجازه واقترح وجوب تدريسه في جميع مدارس المسكونة حتى يتعلموا منه مع قوة الوصف ومتانة التعبير صحة الحكم علي الاشياء وكيفية تنظيم الممالك وسياسة الاستعمار . وانا اذا أسفت اشديد الاسف علي ضياع هذه اللغة من الوسط الذي لا تزال فيه هذه العترة الشريفة القرشية التي نزل بلغتها القرآن وصار معجزة الاسلام بفصاحته و بلاغته وكتب بها ابن العاص هذا الكتاب وهو في بداوته وعلي نشأته الاولى ، هذا الكتاب الذي بهته من أدراجه مدنية العصر العشرين من دفاتر الغابرين وأعطته ما يليق به من النجلة والاحترام فقد يجب علينا أن نفتخر بأن كتاب ابن العاص بقي في مصر ملازماً لذلك الوصف الطبيعي الذي وصفها به عمرو من ثلاثة عشر قرناً ولا يزال قائماً بها الي الآن بل والي آخر الزمان . وقد أتيت بلاغته في المصريين الذين هم والحمد لله الآن في مقدمة الناطقين بالضاد حتي الكلام بمصر في أيامنا هذه وقد

انتقلت اليهم فصاحة الخطباء ومتانة الكتاب وبلاغة الشعراء في عصر الحضارة الاسلامية ، وعسي أن يكون هذا خير فأل او فأل خير لبنيها يكون لهم من ورائه ان شاء الله شأن كبير ومقام خطير

وغالب أهل مكة يتكلمون بالتركية ومن المطوفين من يتكلم بلغات مختلفة كالهندية والاوردية والجاوية والفارسية والصينية . أما أهل البادية فلغتهم عربية صرفة لا تكاد تفهمها اذا سمعناهم يتكلمون بها والكل قوم منهم لغة مخصوصة تختلف في لفظها باختلاف القبائل فمنهم من يقلب القاف زايا فيقول زورية في قورية . وعتيبة تقلب الكاف سينا فيقولون سواسب في كواكب و صليب في كليب وصبد في كبد . أما بنو شيبان فينطقون بالكاف جيما فارسية معطشة فيقولون جواجب وجليب وهم كذلك يقلبون القاف جيما فارسية فيقولون في قربة جربة وهكذا والعرب لا ينقطون بالقاف بل يلفظونها جيما مصرية . ومنهم من يقلب المسبم ياء كقولهم بكة في مكة ومنهم من يقلب التاء قاء فيقولون (قم) في تم . ومنهم من يغير الحركات في الكلمة كقول الحجازيين (الحَج) وقول نجد الحِج وهكذا . وعلي كل حال فلا يزال في عرب اليوم أثر ما كان في لغاتهم القديمة من الكشكشة والكسكسة والعنعنة والحمحمة والجمجمة والاستنطاء والطمطمانية والوتم مما هو مشروح بكتاب مميزات العرب لحقني بك ناصف المصري (أنظر كلمة عرب من هذا القاموس)

وأهل مكة كلهم مسلمون ولا يدخلها غير مسلم من السنة السادسة للهجرة التي نزلت فيها الآية الشريفة يا أيها الذين آمنوا ان المشركين نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وكان علي ينادي في الموسم الذي أعقب نزول الآية الشريفة بقوله:

(ألا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك) وكان المراد بذلك منع المشركين من الحج وعدم دخولهم البلد التي بها تمام مناسكهم لانهم مع ما كانوا عليه من سوء الضمير وخبث الطوية كانوا يلقون بذور الشقاق والفتن بين قبائل العرب

لمسلمين ويوغرون صدورهم بقصد التفرقة التي يكون من ورائها الطعن فلما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب في أطراف الجزيرة بعد عشرة أيام من بيعة أبي بكر وذلك بتأثير المشركين منهم حتى بلغ من أمر هؤلاء ان ادعى النبوة منهم طليحة في الشمال ولهيعة في اليمن ومسيلمة الكذاب مع سجاح في اليمامة شرق بلاد العرب وقام غيرهم في الدعوة لنفسه في وسط البلاد هنالك استنفر ابو بكر المسلمين الى قتال أهل الردة . وبعث اليهم بأحد عشر لواء وأمرهم أن يحاربوهم وان لا يقبلوا منهم غير الاسلام فساروا وأبلوا في قتالهم بلاء حسنا وخصوصا جيش خالد بن الوليد الذي كان له الفضل الاكبر في رجوع الناس الي الاسلام

وبعد وفاة ابي بكر سار عمر علي طريقته في تطهير بلاد العرب ممن كان علي غير دين الاسلام لأنهم أهل البلاد الذين بهم عزها ولهم يكون خيرها أو شرها وبهم تكون سعادتها أو شقاوتها وسار علي سنته من أتي بعده من الخلفاء الي اليوم . لذلك ترى الآن أهل الحرمين أنفسهم يبالغون في مراقبة الاجانب الذين يفدون الى بلادهم فلا يتعدى ينبع وجدة وصنعاء جنوبا ومحطة العلاء شمالا أحد من الاجانب بالمرة وان فعل فانما هو مورط بنفسه الى حتفه من أهل البلاد ولذلك فان الاجانب من عمال السكة الحديدية الحجازية ماكانوا يغادرون المحطة لجهة الجنوب ولو لضرورة

أما أفراد الفرنجة الذين قصدوا مكة والمدينة في أزمنة مختلفة وكتبوا عنهما ماكتبوا علي حسب نزعاتهم سياسية أو دينية أو عمرانية أو جغرافية انما كانوا يتزيون بزي المسلمين بعد أن يعرفوا اللغة العربية ويدعون أنهم علي الدين الاسلامي ونخص بالذكر منهم بوركارت السويسري وبرتون الانجليزي وهور جرنج الهولاندي وكور تلمون الفرنساوي وأولهم هو أسبقهم الى التوريط بنفسه في بلاد العرب وبوركات سويسري الجنس لوزاني المولد وفد الي مصر ودخل الازهر بعد ان ادعي الاسلامية وسمي نفسه ابراهيم المهدي وتعلم فيها العربية ثم سافر الى بلاد العرب وأقام بها نحو سبع سنين وكتب

عنها كتابه الذي هو احسن ماكتبه الفرنجة فيها خصوصا وصفه بلاد العرب وقبائلها ومات في مصر علي زيه الاسلامي ودفن في قرافة باب الفتوح بجوار قبة الشيخ يونس ولا يزال قبره موجوداً بها ومكتوبا علي شاهد تربيته هذه العبارة

(هو الباقي)

(هذا قبر المرحوم الي رحمة الله)
(تعالي الشيخ حاج ابراهيم المهدي)
(ابن عبد الله بوركهر اللوزاني تاريخ)
(ولادته ١٠ محرم سنة (١١٩٩) وتاريخ)
(وفاته الى رحمة الله بمصر المحروسة في)
(٢٦ ذي الحجة سنة ١٢٣٢)

ومن عوائد اشراف مكة ان كبراءهم يرسلون أولادهم وهم في نعومة أظفارهم الي البادية وخصوصا الي قبيلة عدوان التي توجد في شرق الطائف وهي قريبة من سعد التي رضع فيها رسول الله صلي الله عليه وسلم فينشأون فيها علي البداوة التامة مع الامية الصرفة حتى اذا ترعرعوا عادوا الي مكة وقد تعلموا بعض لغات القبائل وحفظوا من أشعارهم واخذوا من عقائدهم وطبائعهم واحسن ما تراه فيهم الفروسية والحرية في القول والفعل وهذه العادة قديمة جداً في القوم . ومما يذكر عن الرشيد انه رأى ولده المعتصم وهو صبي يتأفف من الذهاب الي الكتاب فمنعه منه وأرسل به الي البادية فمازال بها حتى عاد منها عارفا بلغتها عالما بأخبارها حافظا لكثير من اشعارها . وقد ولي الخلافة وهو علي اميته

ومن عادة شريف مكة ان يجلس للحكم في دار الامارة كل يوم من الساعة الخامسة نهاراً الي قبيل العصر فتعرض عليه المسائل الهامة وهنالك يستعد الي التوجه الى الحرم في ركبة بسيطة فيصلي العصر وكثيراً ما يجلس بالحرم حتي يصلي المغرب ثم يعود الي قصره فيتناول العشاء مع من يريد من بنيه وخاصته وضيوفه

ومن عادته انه يجلس صباح يوم الجمعة في ادارة الامارة للمقابلات فيفد عليه الوالي وكبار الموظفين ثم اعيان مكة ووجوهها وبعد السلام علينا يذهبون الي السلام علي الوالي ومن عادته ان يصلي الجمعه في الحرم حتي اذا كان في الطائف منزل منها في موكبه فيصلها فيه وبعد العصر يعود الي مصيفه

ومن عادة أهل مكة التأنق في

المأكل والمشرب واللباس وتكثر في لباسهم الالوان الزاهية الباهية وخصوصا الاحمر والازرق والوردى . وترى في مساكنهم كثيراً من أدوات الزخرف والزينة والرياش الثمينة وخصوصا البسط العجمية النادرة المثال

ومن عاداتهم تقديم الشاى في اى وقت تحية للقادم عليهم واقامت المآدب في حفلة يسمونها قليلة (لعلها آتية من القيلولة) ويتفاخرون بكثرة صنوف الطعام المتغايرة في شكلها وطعمها وليس لاطعمتهم نظام مخصوص فمنها الهندى والعربي والشامي والمصرى والتركي ويقعد المدعوون في هذه الولائم على سماط يمد في الارض وتخدم عليهم الالوان بعد آخر . وبعد فراغهم من الطعام يجلسون للسمر او سماع بعض الاغاني وآلات الطرب كالعود او القانوب او الرباب ثم ينصرفون وغالبا تتكون هذه الخلافة في ضواحي مكة كالزاهر والشهداء وهنالك يبكرون اليها ويقضون يومهم في سرور وحبور والعاب رياضية كالمسابقة بالجرى أو لعب الكرة او النرد او الشطرنج مثلا ولاهل كل حارة من حارات مكة عادة مع اميرها ذلك أن يجتمعوا ويدعوا الشريف الى وليمة يقيمونها له كل سنة في احد متنزهاتها خارج مكة فاذا قبل منهم ذلك عين يوم الوليمة وفيه يذهب مع خاصته الذين يدعوهم للتوجه معه في موكب فخيم تجرى امامه خيالة الاعراب والبيشة

والناس يهتفون له بقولهم — دائما (يعيش) حتى اذا وصل مكان الدعوة جلس مع من اراد وفي وقت الغداء تمد الموائد على النظام الافرنجي والعربي ويجلس الشريف ويدعو خاصته للاكل معه . وبعد الطعام تلعب الاعراب بالعاب الفروسية تارة بالخناجر واخرى بالسيوف الى آخر النهار . وبعد فترة من الليل يعود الشريف في موكبه الى مكة

ومن عوائد اهل مكة انهم يأكلون مرتين في اليوم ، واحدة في نحو الساعة التاسعة صباحا والاخرى بعد صلاة العصر وهم يميلون الى الابهة والفخمة كثيراً ويقلد صغيرهم كبيرهم في التظاهر بالكرم والشجاعة خصوصا في شهر رمضان وقد كانوا يفطرون في الحرم بعد صلاة المغرب فيمدون فيه الموائد عنا وهناك لاسيما في زمن الحر ولكن الشريف

عون الرفيق أبطل هذه العادة (وخيراً فعل) لان فضلات الاكل كانت توسخ المسجد فتكثر فيه الحشرات والقطاط وغيرها . ومن عوائد كثير منهم أنهم يشرطون وجنات صبيانهم ثلاث شرط في كل جهة ونساؤهم يدخن بالنارجيله والزار يفشو فيهن كثيراً وبعضهن يخرجن الى الاسواق بملاءة واسعة سوداء في الغالب وبرقع كثيف فيه ثقبان صغيران فيما يقابل العينين وفي أرجلهن أخفاف ضخمة لونها أصفر غالبا

«وأفراحهم ومآتمهم غاية في البساطة ومن عوائدهم في زواجهم أنهم يدعون الاهل والمحبين نساء ورجالا فأتي الرجال ويجلسون في الاماكن المعدة لهم خارج البيت ووقت العشاء يمد لهم سماط مستطيل يجلسون عليه جميعا مرة واحدة فيأكلون ثم ينصرفون . أما النساء فيدخلن البيت فيجدن على باب قاعة الجلوس قصعة كبيرة مملوءة بمعجون الحناء فتحنى المرأة يداً من يديها ثم تدخل الى المكان وبعد السلام تجلس على هذا الحال مع باقي النسوة ولا يزلن يتجاذبن أطراف الحديث الى منتصف الليل وهناك يزففن العروس الى بعلها ثم يعدن الى بيوتهن بعد أن يضعن في عنقها عقوداً كثيرة من زهر الفل أو من ثمر التفاح وهو في قدر البندق

«أما مآتمهم فعند موت الميت تصرخ امرأة من أقرب النساء اليه صرخة واحدة او صرختين اعلانا بالمصيبة فتتوافد عليها النساء فيجدن قصعة الحناء بجوار قاعة الجلوس فتحنى كل واحدة منهن يداً من يديها ثم يدخلن القاعة وبعد أن يعزين صاحبة الفقيد بكلمات قليلة يجلسن ويأخذن في الحديث في شؤون مختلفة ثم ينصرفن أما الميت فيأخذه بعض أقاربه ويدفنونه بغير احتفال كبير وبعد دفنه يتوارد الرجال على أهله فيعزونهم وينصرفون لوقتهم . ومن عوائدهم أنهم يحتفلون احتفالا كبيراً بختم أولادهم القرآن الكريم ويسيرون بهم بموكب عظيم في طرق مكة ويحتفلون في منتصف شهر صفر بمولد السيدة ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم عند مدفنها بالزاهر على مسافة نحو سبعة كيلو مترات من مكة على طريق المدينة فينصبون خيامهم في تلك الصحراء ويتفاخرون بكثرة

الطعام والشراب ويحتفلون بمولد النبي صلى الله عليه وسلم في ربيع الاول ويعبرون عن المولد بالحول فيقولون حول ميمونة وحول النبي في شهر رجب يحتفلون بزيارتهم المدينة المنورة

«ومن عاداتهم الاصطياف في الطائف وترتفع عن سطح البحر بمسافة ١٥٥٠ متراً ،والهدى فوق جبال كرا وترتفع عن سطح البحر بمسافة ١٧٦٠ متراً وفيه جنات كثيرة تجرى من تحتها الانهار ، فيها ما يشتهون من انار وأزهار وأشهر مصيف في الطائف يسمى شبرا وهو لاشراف ذوى هون أنشأه الشريف عبد الله باشا وسماه باسم شبرا مصر ثم حدائق المثناة وهي القوى غالب وهي أحسن حدائق الطائف ومشهورة بخوخها وعنبها وماؤها أعذب مياه تلك الجهة . والطائف طريقان طريق القافلة و يبعد من مكة بنحو ٦٦ ساعة وطريق البنال على جبل كرا وهو على نحو نصف هذه المسافة . ومدينة الطائف مشهورة بطيب هوائها وليس أحسن منها الا جبل الهدى الذى يبعد عنها بنحو ثلاث ساعات الى مكة وأهله مشهورون بجمال خلقتهم ونعومة بشرتهم ويتسبون ذلك الى شربهم من نهر هناك يسمونه المسل يبالغون في حلاوة طعمه .وفي الطائف قبر السيدين الطاهر والطيب ولدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقبر سيدنا عبد الله بن العباس ويقصده اليمانيون لزيارته قبل الموسم وله على الخصوص عندهم احترام كبير وكان بها زمن الجاهلية معبد اللات والعزى وكانت تدين بهما ثقيف وغيرها من القبائل المجاورة للطائف ،وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب اليهم في أول نبوته وطلب منهم نصرته فأبوا عليه ذلك

«ويتخلف عن الحج كثير من أهل مكة ويقيمون فيها للمحافظة على دورهم من اللصوص الذين يكثرون في هذه الآونة فيقطعون ليلهم سهراً بين اطلاق بنادقهم من كل الجهات اعلانا بأنهم يقظون لكل من قصدهم بسوء

ويوجد بمكة وخارجها مزارات كثيرة منها مولد النبي صلى الله عليه وسلم ومولد علي ومولد فاطمة ودار الخيزران

«وأما مولد النبي صلى الله عليه وسلم فهو في شعب بنى عامر أو شعب المولد وهو

مكان قد ارتفع الطريق عنه بنحو متر ونصف وينزل اليه بواسطة درجات من الحجر توصل الى باب يفتح الى الشمال يدخل منه الى فناء يبلغ طوله نحو اثنى عشر متراً وعرضه ستة أمتار وفي جداره الأيمن (الغربي) باب يدخل منه الى قبة في وسطها (يميل الى الخلف الغربي) مقصورة من الخشب داخلها وخارجها قد تحمر جوفها لتعيين مولد السيد الرسول عليه الصلاة والسلام وهذه القبة والفناء الذى خارجها لايزيد مسطحها عن ثمانين متراً مربعاً . وهما يكونان الدار التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان السيد الرسول وهب هذه الدار لعقيل بن أبي طالب فباعها ولده لمحمد بن يوسف الثقفي (أخي الحجاج) فلما بنى داره المشهورة بدار ابن يوسف وكانت بجوارها أدخلها فيها حتى اشترتها الخيزران أم الرشيد وفصلتها وبنتها على ماكانت عليه وجعلتها مسجداً وهي باقية كذلك الى يومنا هذا

«يقرب من مولد النبي صلى الله عليه وسلم مولد سيدنا علي رضى الله عنه وهو شكل سابقه الا انه أصغر منه

«وأما مولد السيدة فاطمة ففي درب الحجر وهو دار خديجة بنت خويلد زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيها ولدت جميع أولادها منه . وقبل بعثته صلى الله عليه وسلم كان يعمل في تجارتها الى الشام ثم اختارته لنفسها لما كان عليه صلى الله عليه وسلم من كمال الصفات وصفات الكمال فتزوجها في سنة ٢٨ أعنى قبل بعثته بخمس عشرة سنة ومات خديجة رضى الله عنها قبل الهجرة بأربع سنين وهي في الرابعة والستين من عمرها

«وهذه الدار قد ارتفع عنها الطريق أيضاً فينزل اليها بجملة درجات توصل الى طرقة على يسارها شبه مصطبة مرتفعة عن الارض بنحو ثلاثين سنتيمتراً مسطحها نحو عشرة أمتار طولا في أربعة عرضا وفيها كتاب يقرأ فيه الصبيان القرآن الكريم وعلى يمينها باب صغير يصعد اليه بدرجتين يدخل منه الى طرقة ضيقة عرضها نحو مترين وفيها ثلاثة أبواب الذى على اليسار غرفة صغيرة يبلغ مسطحها ثلاثة أمتار طولا في أقل منها عرضاً وهذا المكان كان معداً لعبادته صلى الله عليه وسلم وقد كان ينزل الوحي

عليه . وعلي يمين الداخل اليه مكان منخفض عن الارض يقولون انه كان محل وضوئه عليه الصلاة والسلام . والباب الذى في قبالة الداخل الي الطرقة يفتح علي مكان واسع يبلغ طوله نحو ستة أمتار في عرض أربعة وهو المكان الذى كان يسكنه صلي الله عليه وسلم مع زوجته خديجة رضي الله عنها . أما الباب الذى علي اليمين فهو لغرفة مستطيلة عرضها نحو أربعة أمتار في طول نحو سبعة أمتار ونصف وفي وسطها مقصورة صغيرة أقيمت علي المكان الذى ولدت فيه السيدة فاطمة رضي الله عنها وفي جدار هذه الغرفة الشرقي رف موضوع عليه قطعة من رحي قديمة يقولون أنها من رحي السيدة فاطمة التى كانت تستعملها في حياتها . وعلي طول هذا المسكن والطرقة الخارجة والمصطبة من جهة الشمال فضاء يرتفع بنحو متر ونصف يبلغ طوله نحو ستة عشر متراً وعرضه نحو سبعة أمتار وأظن انه المكان الذى كانت السيدة خديجة تخزن فيه تجارتها

« وهذه الدار كانت مقراً له صلي الله عليه وسلم ومحل اقامته في مكة ومبعثه الي الخلق كافة اذا أنعمت بها نظرك وأمعنت بها فكرك لا تراها الا البساطة بنفسها . دار تحتوى علي أربع غرف ثلاث داخليه منها واحدة لبناته والثانية له ولزوجه، والثالثة له ولربه والرابعة بمعزل عنها له ولعموم الناس يالله ماهذا الترتيب الجميل وما هذا النظام البديع ؟ بل ماهذه الآداب الكبرى والكمالات الحيوية العظمي التى صيغت في شكل هذه البساطة المتناهية ؟ تأمل قليلا ترى ان هذا النظام هو بذاته ماقضت به المدنية العصرية لولا انه يعمل فيها بشكل تعددت صفاته ، وكثرت حاجياته . هذه هى دار الرسول الذى أرسل للناس كافة نعم هذا هو منزل هذا النبى الامي وذلك هو نظامه في بيته . ذلك النظام الذى وان كان مجرداً عن مظاهر العظمة والفخامة فقد اكتسي بحلي الجلال والكمال . اللهم اني آمنت بك وبرسولك هذا الذى لم يتخذ دينك وسيلة الي عيش الاغنياء وحياة العظماء بل كان حسبه من عيشه ماكان يقوم بحياته التى انما كانت كلها خيراً وبركة ويمناً وسعادة للناس أجمعين

« ولما هاجر صلي الله عليه وسلم

الي المدينة استولى علي هذه الدار عقيل بن أبي طالب ثم اشتراها منه معاوية ابن أبي سفيان فجعلها مسجداً وعمرت في زمن الناصر العباسى وقد وضع في حائط الطرقة الخارجية علي يسار الداخل لوح من الرخام مكتوب عليه بالحروف البارزة «بسم الله الرحمن الرحيم أمر بعمارة مربد مولد الزهراء البتول فاطمة سيدة نساء العالمين بنت الرسول محمد المصطفي المختار صلي الله عليه وعلي آله وسلم سيدنا ومولانا الامام المفترض الطاعة علي الخلق أجمعين الناصر لدين الله امير المؤمنين أعز الله أنصاره وضاعف اقتداره وجعل منافعه ومشتغلاته وأجره عائداً علي مصالحه ثم علي مصالح هذا المقام الشريف المقدس الطاهر النبوى . علي مايرى الناظر المتولي له في ذلك من الحظ الوافر والمصلحة لهذا المربد والمولد المقدس المذكور بعد ذلك ابتغاء وجه الله تعالي وطلبا لثواب الدار الآخرة تقبل لله ذلك منه وجزاه أجر المحسنين . وذلك علي يد الفقير الي رحمة الله تعالى علي بن أبي البركات الدوراني الانبارى في سنة (٦٠٤) ومن غير ذلك أو بدله عليه لعنة الله ولعنة اللاعنين الى يوم الدين آمين . وصلي الله علي سيدنا محمد خاتم النبيين وعلي آله الطاهرين »

ثم عمرها بعد ذلك الاشرف شعبان ملك مصر ثم الملك المظفر صاحب اليمن ثم السلطان سليمان سنة (٩٣٥)

«أما دار الارقم المخزومي المشهورة بدار الخيزران فهي في زقاق علي يسار الصاعد الي الصفا وهي الدار التى كان يختبيء فيها رسول الله صلي الله عليه وسلم في صدر بعثته هو ومن آمن معه وكانوا يصلون بها سراً حتى اسلم عمر رضى الله عنه فقويت به عصبيتهم وجهروا بالاسلام والصلاة . وباب هذه الدار يفتح الي الشرق ويدخل منه الى فسحة سماوية طولها نحو ثمانية أمتار في عرض أربعة وعلي يسارها ايوان مسقوف علي عرض نحو ثمانية أمتار في عرض نحو نصف ذلك مفروشة بالحصير وفي زاويتها الشرقية الجنوبية حجران من الصوان موضوعان فوق بعضهما مكتوب في أعلاهما بالحرف البارز «بسم الله الرحمن الرحيم في بيوت أذن الله أن ترتفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال. هذا مختار رسول

الله ودار الطبرزان وفيها مبتدأ الاسلام أمر بتجديده الفقير الي مولاه أمين الملك مصلح ابتغاء ثواب الله ورسوله ولا يضيع أجر المحسنين » ومكتوب في الثاني « بسم الله الرحمن الرحيم هذا مختبأ رسول الله صلي الله عليه وسلم المعروف بدار الطبرزان أمر بعمله وانشائه العبد الفقير لرحمة الله جمال الدين شرف الاسلام أبو جعفر محمد بن علي بن أبي منصور الاصفهاني وزير الشام والموصل الطالب الوصول الي الله تعالي الراجي لرحمته أمثل الله في الطاعة بقاه وأزله في الدارين مناه في سنة خمس وخمسين وخمسمائة »

« ومن الاماكن المقدسة غار حِرَاء وهو الغار الذى كان يتعبد فيه النبى صلي الله عليه وسلم ومساحته تقرب من ثلاثة أمتار في مترين، ويوجد في قمة جبل النور الذى علي يسار السالك الي عرفة وفيه نزل الوحي عليه صلي الله عليه وسلم لاول مرة ثم جبل ثور وهو الي الجنوب من جهة المسفلة وعلي ساعتين منها وفيه الغار الذى اختفي فيه رسول الله مع صاحبه أبي بكر حين قصد الهجرة الي المدينة ومساحته نحو مترين مربعين . ثم المَعْلَى وهى مقبرة مكة وتوجد خارج بابها الشرقي وفيها ضريح السيدة خديجة زوج النبى صلي الله عليه وسلم وهو داخل قبة تجددت سنة (١٢٩٨) وفي القبة مقصورة من خشب الجوز أقيمت علي قبرها الشريف . والي جانبها مقصورة صغيرة مدفون فيها ستة عشر شخصا من الاشراف . وخارج هذه القبة الي الغرب قبر السيدة الكبيرة حرم ساكن الجنان محمد علي باشا وكانت قد أتت الي الحج سنة ١٢٦٦ فماتت ودفنت بهذا المكان وقبالة قبة السيدة خديجة الى الجنوب قبة السيدة آمنة بنت وهب والدة الرسول عليه الصلاة والسلام وبجوارها مقصورة دفن فيها الشريف محمد بن عون . وفي شمالها قبة أبي طالب عم النبى صلي الله عليه وسلم وبجوارها قبة جده عبد المطلب وكانا هما تجددتا في سنة ١٣٢٥ . وفي هذه القرافة قبر سيدنا عبد الله بن الزبير رضي الله عنه وكانت له قبة هدمها الشريف عون الرفيق فيما هدم ولم تشيد بعد وفيها قبر أبي جعفر المنصور أمير المؤمنين وكان قد حضر الي مكة حاجا في سنة (١٥٨) فمات ودفن بالمعلي ولا يعرف مكانه .

وفيها غير ذلك كثير من قبور الصحابة والتابعين والصالحين رضوان الله عليهم

« ومن المزارات بمكة أيضا مسجد الجن ومسجد الراية ومسجد الاجابة ومسجد البيعة ومسجد أبي بكر ومسجد عمر ثم جبل أبي قبيس وفيه مسجد بلال ومسجد انشقاق القمر وزاوية السنوسى الذى له في الحجاز شأن كبير ومقام خطير ومعظم الاعراب علي شيعته

« وفي مكة مكان التلتراف والبوستة بناه المرحوم عثمان باشا نورى عند بنائه لدار الحكومة (الحميدية) وغيرها منذ كان والياً عليها لاول مرة سنة ١٨٨٢ ميلادية

« وفي شوارع مكة كثير من القهاوى البلدية التى ترى في دوائرها دكاكا وكراسي من الخشب مقاعد مصنوعة من شبكة من الليف أو الخوص المجدول وأحسنها في جهة جياد فيجلس عليها الحجاج وخصوصاً فيما كان منها خارج البلد مدة الصيف، ويشربون بها الشاى (ويسمونه الشاهي) والقهوة والترجيلة التى يجهزونها بالتبلك الحبي عادة لكثرة استعماله هناك . ولقد رأيت بعض العنود يمر علي هذه القهاوى وهو ينادى قائلا « كابوس كابوس » (مكبساني) فاذا استدعاه أحد ممن فيها فرشه علي دكة وأخذ يكبسه بمهارة فائقة نحو نصف ساعة علي الاقل في نظير قرش أو قرشين ويقرب من هذه القهاوى عادة سوامر يقوم فيها بعض أناس في الغالب من اليمانيين يتغنون بأغنية جميلة تطرب منها النفوس وكلها في مدح النبى صلي الله عليه وسلم . وفي بعض الاحيان ترى هؤلاء المتغنين متنقلين في طرق مكة

« وفي مكة ثلاث تكايا وأكبرها وأفخرها وأنظمها وأكثرها مورداً التكية المصرية وهي بناء فخم شيده المرحوم محمد علي باشا جد العائلة الكريمة الخديوية في مكان دار السعادة التى كانت محل حكومة بنى زيدان من الاشراف كما كانت دار الهناء محل حكومة بنى بركات وكانت توجد مكان دار الشريف أبي نمي تجاه باب الوداع وفي هذه التكية مخازن وطاحونة ومخبز ومطبخ ومكان نظيف منظم لحضرة مديرها وأمكنة لمستخدميها ويطبخ بها يومياً الشوربة للفقراء والمعوزين الذين يفدون الى بابها

صباحا لاخذها مع ما هو مرتب لهم من الطبخ الذى تقوم به حياتهم ويبلغ عددهم يوميا نحو خمسمائة شخص أو يزيدون

وفي مكة قلعتان تحكمان على المدينة ويسكن بهما عساكر الدولة وهما قلعة جياد التى بناها الشريف مسعود سنة ١١٩٦ هجرية في الجهة الجنوبية وقلعة الهندى التى بناها الشريف غالب سنة ١٢٢١ في الجهة الشمالية وفيها حمامان على مثال الحمامات الرومية بمصر، واحد بالعمرة بناه محمد باشا وزير السلطان سليمان سنة ٩٨٠ . والثاني بالقشاشية ويسمونه حمام النبي وبها مطبعة الولاية وتسمى باسمها . ويصدر فيها جريدة بالتركية والعربية اسمها (حجاز) وهي شبيهة بالرسمية وكل ما فيها تعريبا يتعلق بأخبار الحكومة واعلاناتها

« وليس في مكة كتبخانات تذكر اللهم الا كتبخانة بسيطة في باب أم هاني، تسمى كتبخانة شرواني زادة محمد رشيد باشا والي الحجاز سابقا وأخرى في باب الدوبية قرب باب السلام تسمى بالكتبخانة السليمانية أسسها السلطان عبد المجيد وكونها من شتات كتب الحرم وغيرها مما أرسله اليها من الآستانة. ولكل كتبخانة من هاتين فهرست بخط اليد وغير يقوم بشؤونها . والكتب التى يقوم بها نحوية وفقهية وأدبية وتاريخية وغالبها باللغة العربية وفيها شيء بالفارسية والاوردية والهندية والتركية والجاوية (لغة الملايو) وقد كان بمكة كتب كثيرة مهمة وكانت موضوعة في دور البيت في دائر حائط الحرم، سرق بعضها والسيول التى أغرقت المسجد وخصوصا في سنة ٤١٧ صعدت الى هذه الخزائن وأتلفت منها شيئا كثيراً وكان في ذلك أكبر مصيبة على العلم والعلماء لانهم فقدوا بها مالا يصلحه زمان ولا يعوضه انسان

« وفيها مدرستان المدرسة الصولية بناها المرحوم الشيخ رحمة الله الهندى الشهير (صاحب كتاب اظهار الحق) ويدرس فيها القرآن الشريف وعلم التجويد وشيء من اللغة العربية والاعمال الحسابية والهندسية و يشرف عليها من تبرعات أهل الهند وهو أمر لا ثبات له ولا تدوم معه حياة مدرسة ناقة مثلها ثم المدرسة التى يقوم بها حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ يوسف محمد الخياط وهو

من علماء مكة الاماثل و يدرس فيها ما يدرس في الاولى بتوسعة ، وعناية مولانا الامير بها كبيرة ولذلك فالامل في نجاحها عظيم . وقد قرأت بعدد ٣ جمادى الآخرة سنة ١٣٢٨ من جريدة المفيد الغراء نقلا عن جريدة صباح أن الحكومة العثمانية افتتحت مدرسة بمكة المكرمة بحضور الوالي والشريف وجمهور من الوجهاء والاعيان فسمي أن يكون فيها الطير المرجو لام القرى بل لأم المواسم الاسلامية

« ولو كان مولانا الامير يقضي بأن يتخرج المطوفون من مدرسة مخصوصة يدرسون بها ما هو خاص بوظيفتهم لكان في ذلك أكبر خدمة دينية لان جل الموجود منهم الآن يجهل مأموريته الكبرى . وليت بعضهم يقف عندهذا الحد بل باقي في ذهن الحاج ما ليس من الدين في شيء كمسألة الكتفاني والزلباني مثلاوهما حجران في طريق جدة الى مكة يزعمون ان واحداً منهما كان كتفانياً والآخر كان زلبانيا وكانا ينشان الحجاج فمسخهما الله حجرين . ومسألة الناقة والحجام والحجامة بجوار عمر ذلك ان هناك صخرة تشبه ناقة باركة والي جوارها حجران يزعمون ان الذي كان بهذا المكان بناقته فأتي رجل حجام مع امرأته وأمسكا بالناقة التى لم تنهض برسول الله صلى الله عليه وسلم فمسخها الله معهما على هذه الصورة . ومسألة سارق الصندوق وهو صخرة الى جهة جبل النور تقرب من صورة رجل يحمل صندوقا يزعمون انه كان سارقا فمسخه الله عليها. وأمثال هذا كثيرة مما تجب العناية بازالته خدمة للدين المتين . والأدهى من ذلك أنهم يحرفون ألفاظ القرآن الكريم عمداً أثناء الطواف بتفخيمهم مالا يجوز تفخيمه أو ترقيقهم مالا يصح ترقيقه . بل منهم من يقلب الحرف بآخر لتقريبه الى نطق السامع ان كان تركيا أو هنديا أو فارسياً فيقولون مثلا « وكنا عذاب النار » في قوله تعالى « وقنا عذاب النار » و« مهمد رسول الله » في محمد رسول الله . و « يا أرهم الراهمين » في أرحم الرحمين و « الهوم » في الهم ونحو ذلك مما لا يجوز شرعا ولا اجتماعاً

« ويدرس في الحرم الشريف بعض العلوم العربية والتفسير على الطريقة القديمة العقيمة ويقدر عدد الطلبة بيضع

مئات جلهم من الجاوة الذين يفرون الي هذه البلاد من المظالم التي تساقط علي رؤوسهم من حكومة بلادهم فتراهم يشتغلون وقت الدرس في الدراسة ووقت القضاء منها يعملون فيه عملا يقوم بحياتهم

« ويبلغ عدد المدرسين العاملين نحو الثلاثين وعنايتهم بالتعليم قليلة جداً وذلك لقلة موارد الارتزاق ولان مرتباتهم التي تصرف لهم من طرف الدولة لا تقوم بأودهم لانها تختلف من مائة الي خمسمائة قرش عثماني سنويا

الي أن قال : « وتجارة هذا البلد كلها أو جلها في يد الاعراب خصوصاً المنود وغالبها من صنف المطريات والسبح والسجاجيد والاقمشة الحريرية الهندية والشامية والصناعة غير مهمة وهي لا تخرج عن صياغة بعض قطع ذهبية أو فضية وخصوصا في عمل الدبل التي يدعون متعلقها البواسير شفاهم الله . والحدادة عندهم بسيطة جدا ولكنها دقيقة في عمل الاسلحة وفيها من المصانع فاخورة لعمل الدواوين والقلل وكل ذلك في يد الاجانب أيضاً . أما الاهالي فاغلبهم بعيش من مهنة التطويف أو التظاهر بالشعار الديني ولا تروج تجارتهم الا زمن الحج ومايأتيهم فيه من رزق يعيشون منه عامهم . فغير أن كثيراً منهم يبرحون مكة بعد الموسم الي الجهات التي بها أناس ممن سبقت معرفتهم بهم في الحج فيدينون عليهم ببعض الهدايا ثم يعودون وقد أخذوا أضعاف ثمنها منهم

« والنقود التي تستعمل في مكة هي النقود التركية والمصرية فضية أو ذهبية والروبية والقروش الهندية والريال الشينكو وأبو طيرة والريال البُرُم الجاوى وهو علي أشكال مختلفة والجنيه الانجليزى والفرنساوى والرومي وليس لهذه النقود قيمة ثابتة هناك بل تراهم يستعملونها علي الدوام في مصالحهم فيأخذونها منك بأقل من قيمتها او يعطونها لك بأكثر مما تساوى . وهذا عيب كبير من عيوب المعاملات والعمل أرباب الامر والنهي يجتهدون في ازالته قريباً والريال ابو طيرة هو اكثر النقود استعمالا عند الاعراب وقيمته عندهم كالريال الشينكو والمصرى ومما يناسب ذكره هنا اني أعطيت مرة قطعة من النقود ممسوحة قليلا الى طفل صغير اعرابي فردها الى قائلا هذه زلطة

وهي كلمة بدوية صرفة كان لها وقع عظيم علي سمعي والاعراب لا يعرفون قيمة هذه النقود واذا وجد معهم شيء منها يتوجهون به الى التاجر ويقولون سوّ بهذه من الصنف الفلاني علي أمانتك ولا تهمهم جودة الصنف بل تهمهم الكثرة منه

« وأسواق مكة كثيرة ومنها سوق الشامية في شمال الحرم وهي أشبه شيء بالاسواق التركية ولها سقف من الخشب علي مثال الخان الخليلي بمصر لولا ان شوارعها أضيق وهذه السوق تضيق بالمارين خصوصا عند مرور الجمال بها وفيها يبيعون الصبح والاقمشة الهندية والتركية وغيرها وفيها كثير من الفصوص الفيروز والياقوت والعقيق الذى يبيعه علي الخصوص حجاج اليمن في شوارع المدينة بأثمان رخيصة

ثم السوق الصغير وهو تجاه باب ابراهيم وأغلب مافيه للنساء كالخبز واللحوم والبقول الجافة والخضراء التي يؤتي بها من الاودية المحيطة بمكة كوادى فاطمة شمالا ووادى اليمون شرقا ووادى العبيدية (العبادية) والحسينية جنوبا وكثير من هذه الخضر يأتي مع الفاكهة من جهة الطائف وجبال كرا . وفي هذه السوق دكاكين كثيرة يبيعون فيها الاسماك المقلية التي يؤتي بها من جدة وهي في الغالب مضرة جداً بالصحة لتعفنها من الحرارة وطول زمن النقل وفي شرق المسجد سوق ثالث هي سوق كبيرة مختلطة فيها جميع احتياجات الحاج وفي كل هذه الاسواق ترى مدة الموسم حركة لا تنقطع يأتي من ورائها ربح عظيم لاهل البلد ومدار حركة الاشغال الشاقة في مكة علي العبيد فمنهم الحمالون والحطابون والخارون والسقاؤن والخدامون . ولقد كان لرقيق سوق كبيرة اخذ أمرها ينمحي شيئاً فشيئاً حتى كاد لا يكون له أثر بالمرة وكانوا يسمون المكان الذى يبيعون فيه بالدكة لانه كان في حوشه دكة يجلسون عليها ما يراد بيعه منه

« وبهذه المناسبة أقول ان مايصرفه الحجاج بمكة ليس بالشيء الذى يستهان به الا اذا فرضنا ان متوسط عددهم يبلغ سنويا مائتي الف نفس وان متوسط مايصرفه سنوياً الواحد منهم مدة اقامته خمس جنيهات فيكون مايصرفه الحجاج

في مكة على أقل تقدير مليوناً من الجنيهات في نحو شهر من الزمان في أجرة مسكن وبعض المآكل وأجرة مطوف وزمزمي وبعض هدايا يشتريها لذويه وأهليه . ومع هذا كله فان بعض أهالي مكة لا ينظرون الى الحاج (بقطع النظر عن كونه ضيف الله وفي بلده الحرام) بالعين التي يجب أن ينظروه بها وعلى الاقل من الجهة الاقتصادية التي هي مصدر حياتهم لانهم مع احتقارهم له يسيئون معاملته ويرون في ماله كلاً مباحاً لهم ، ويتقولون في ذلك الاحاديث التي لاتخرج معناها عن قولهم « الحاج رزق لاهل الحرمين ورزق الحاج على الله » ولعل هذه المعاملة السيئة كانت في ذلك الزمن السيء زمن الاستبداد الذي كان المطوفون فيه يوقفون أغنياء الحجاج في سوق المزايدة حتى يرسو أمرهم على أيهم يتولى شؤونهم كما حصل لبعض سراة المصريين في سنة ١٣٢٦ ولا حول ولا قوة الا بالله

« وجو مكة كثير الحرارة قليل الامطار ومع ذلك فقد تحصل فيه سيول كثيرة من الامطار التي تنزل بكثرة في الجبال العالية المحيطة بالطائف . وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه عمل في شمال مكة قناطر لحجز مياه هذه السيول عن هذه المدينة وانصرافها من الجهة الشرقية نحو المسفلة الى خزان كبير في الجهة الجنوبية يسمونه بركة الماجن وهناك تستعمل للاعمال الزراعية ولا تزال لهذه السيول أضرار جسيمة بمكة ومبانيها

« وأهواء مكة تختلف في هبوبها جملة مرات في الساعة الواحدة ولهذا يقول المكيون « ان الله خلق صبعين هواء جعل منها في مكة تسعة وستين وفي العالم كله هواء واحداً » ذلك لان الهواء يدور في جو المدينة بين جبالها المحدقة بها كما تدور الدوامة على سطح الماء ، فبينما تراه يدخل الى المساكن من المنافذ الغربية اذا به انقطع عنها ودخل من الشرقية أو الشمالية أو الجنوبية وهكذا . ولذلك تجد مساكنهم كثيرة النوافذ وغالبا الى الجهات الاربع حتى لاتحرم من الهواء من أي جهة كان ، والهواء البحري منعدم وهو الغربي أحسنها وأطفها لانه يأتي من جهة البحر ، ثم

هواء الشام ويسمونه الشمال والشمال ، أما الجنوبي والشرقي فهما حاران

« ويفسد هواء مكة في أيام الحر لكثرة الساكنين فيها وعدم العناية بنظافتها ، وتكثر فيها زمن الشتاء أمراض الصدر ويشتد فيها التدرن الرئوي ، وفي زمن الصيف تكثر الاحتقانات الدماغية وضربات الشمس وأمراض العين والكبد والجهاز الهضمي والدوسنطاريا خصوصا بين الاطفال ويسببها عندهم أكل السمك العفن والفواكه الغير ناضجة وفي زمن الحر تكثر فيهم الحميات لاسيما عند فساد مياه الشرب ويكثر فيهم مرض الجدري ويموت بسببه سنويا اكثر من اثنين في الالف . ومما يجدر بنا ذكره أن الكوليرة لم تظهر في مكة الا سنة (١٢٤٦) هجرية أي في نحو سنة (١٨٢٥) ميلادية ووفدت اليها مع حجاج الهند ولا تزال تفد اليها معهم ولو كانت الحكومة تعتني بشدة الحجر على حجاج الهنود والجاوة في جزيرة قران قبل دخولهم الى جدة بزمن لأمكنها الحيلولة بين حجاج بيت الله الحرام وهذا الداء الوبيل والاوبئة الكبيرة التي حصلت بمكة في زمن الحجاج وفتكت بالحجاج فتكا ذريعا كانت في سنة ١٨٩٠ ميلادية وسنة ١٨٩٢ وسنة ١٨٩٣ وسنة ١٨٩٥ وسنة ١٩٠٢ . وفي مكة مستشفى معروف الآن باسم شفخانة الخاصكية وهو من خيرات خاصكي سلطان زوجة السلطان سليمان القانوني وفيها اجزخانات اثنان في طريق المسعى وواحدة في مصلحة الصحة بجياد والرابعة أشبه شيء بدكان عطارة بسيطة فيها من الادوية ما فسد غالبه وأصبح ضرره اكبر من نفعه . وعلى كل حال فالعناية بالمسائل الصحية بمكة قليلة جداً لان تفهم بالطب القديم الذي مداره على الكي والفصد والحمية الشديدة وبعض أصناف العطارة الشرقية كالمر والصبر اكبر من تفهم بالطب الحديث

« وقد كان الجناب العالي الخديوي حفظه الله (برنس الخديوي الاسبق عباس باشا الثاني) فكر في ايجاد مستشفى بمكة ورتب له طبيبا واجزاجيا فلم يتيسر لهما القيام بمأموريتهما واكتفي الحال مؤقتا بالخدمة التي تقوم بها مأمورية الاوقاف الصحية زمن الحجاج ومقرها فيها بكون

في النكبة المصرية والحق يقال ان لها أثراً يذكر فيشكر ومصاريف هذه المأمورية تبلغ سنويا فوق السبعمائة جنيه مصرى ومع هذا فانا لانفي الخدم التي تقوم بها مأمورية المحمل المصرى الصحية لعامة الحجاج لافرق بين مصرى وغيره

« وأهل مكة يشربون من ماء الآبار التي فيها مثل زمزم أو التي ضواحيها كآبار والسقلاني والجعرانة وغيرها أو من الصهاريج التي تملأ من المطر أو ماء الينابيع او من عين زبيدة التي يجرى ماؤها الى المدينة في قنوات تحت الارض لها خزانات في شوارعها يملأ منها السقاؤن قربهم .وهذه العين لها أهمية عظيمة جداً وهي من أجل الآثار التي تنسب الى السيدة زبيدة زوج هرون الرشيد رضي الله عنها وكان السبب في انشائها أن هذه السيدة البارة رأت في حجها ما كان ينال أهل مكة وحجاج بيت الله الحرام من العناء الشديد والاهوال الكثيرة لقلة الماء في تلك الانحاء، فأمرت رحمها الله باجراء الماء الى ام القرى من عين حنين التي توجد فيها وراء عرفة الى جهة الشمال الشرقي على مسافة نحو خمسة وثلاثين كيلو متراً من مكة وهذه العين تخرج من جبال طاد وتسير في وادى حنين الذى حصلت فيه (سنة ٨ الهجرة بعد فتح مكة) تلك الواقعة المشهورة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين من هوازن وثقيف وثبت فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثباتا عظيما كما أبلى المسلمون فيها بلاء حسنا وقتل فيها دريد بن الصمة وهو من اكبر رجال أهل الجاهلية المشهورين قتله رجل من المسلمين يقال ربيعة بن رفيع السلمي

«وقد اهتمت السيدة زبيدة بهذا العمل الجليل اهتماما كبيراً وأرسلت اليه المال من جميع الاطراف فبنوا لهذا الماء مجرى عظيما وأوصلوا به مجرى آخر من وادى النعمان من الماء الذى ينزل اليه من جبال كرا السقى تبعد عن عرفات شرقا الى الجنوب بنحو اثنى عشر كيلو متراً وصيروا اليه سبع قنوات أخرى من الجهات التي تسقط اليها السيول حتى تساعد ماء المجرى الاصلي الذى عندما وصل الى جنوب منى تقرله في الصحراء

خزان كبير يصب فيه يسمى بئر زبيدة ومنه سيرت قناة الى مكة ومن هذا المجرى امتد فرعان واحد الى عرفات والآخر الى مسجد نمرة يسير الماء فيهما زمن الحج

« وفي نهاية القرن السابع الهجرى لم يجرى هذه العين وتهدمت قناتها وانقطع ماؤها عن المدينة ونزل الناس من جراء ذلك جهد عظيم وذكر الفاكهي في تاريخ مكة ان الامير جوبان نائب السلطنة بالعراق عن السلطان أبي سعيد بن خربندة (اسمه خدا بنده ملك التتار) أراد ان يعمل عملا نافعا في أم القرى فطلب اليه ان يعمر عين زبيدة فأرسل رجلا من خاصته اسمه يازان لتعميرها فتمها في سنة ٧٢٦ وفيها جرت مياه العين الى سقايته التي بناها في المسعى وسماها باسمه ويظهر ان هذا الاسم يتغلب على باقي السقايات التي بمكة حتى صار يطلق على كل واحدة منها اسم يازان الى الآن

« وما زالت هذه العين حياة لاهل البلد الحرام وحجاج بيت الله المعظم حتى أهمل شأنها وتهدم بنيانها وانقطعت مياهها مرة أخرى فيما بين سنتى ٩٣٠ و ٩٧٠ ونال الناس من ذلك أهوال ماكانت تخطر على البال حتى بلغ ثمن رق الماء (قربة صغيرة تسع ٣ لترات تقريبا) بعرفة في غضون هذه المدة ليرة ذهبية .

وسبب اهمال هذه العين في المدة المذكورة ان ملوك مصرهم الذين كانوا يعتنون بها ويقومون بعمارتها في النوائب فلما تغيرت الاحوال ودخلت مصر مع أرض الحجاز سنة ٩٢٣ ضمن أملاك الدولة العثمانية التي كانت تشغل كل وقتها كثرة حروبها الخارجية أهملت الدولة ترتيبها الداخلية حكومتها خصوصا ماكان بعيداً عنها ولكن أهل الحرمين الشريفين قاموا في سنة (٩٦٩) والتمسوا من السلطان سليمان اصلاح هذه العين وهناك رجته كريمته صاحبة السمو المولكاي مهرماه سلطان أن يشرفها باجراء هذا العمل المبرور من مالها الخاص وعينت مديراً للقيام بهذه المهمة وسلمته الاموال اللازمة لها فسافر من وقته الى مكة وشكل مجلسا من أهل الرأى فيها وأمر بحفر القناة وتنظيف فروعها وبناء ماتهدم من مجراها . ولما وصل الاصلاح الى بئر زبيدة بمنى أراد رحمه

الله ان ينير بحراها الي مكة فاضطر الي النزول علي هذا الجبل الصخري علي مسافة نحو ٢٥ مترا من سطح الارض في مسافة طولها اكثر من كيلو متر ثم سيرها في حضن الجبل القبلي حتى أوصلها الى مكة سنة ٩٧٩

« وينقسم هذا المجرى من السياضية شرقي باب المعلي الي أربع شعب تتخلل المدينة من جهة الي أخرى ويبلغ عرض هذه القناة نحو متر وربع في ارتفاع نحو متر ونصف وتقرب من سطح الارض وتبعد عنه علي حسب ارتفاعها وانخفاضها ولها خزانات تملأ منها السقاؤن

« وفضل ماء زبيدة يسير الى المسفلة حتى يصب جنوب مكة في بركة الماجن وهناك يستعمل في سقي بعض البساتين والمزروعات التي لبعض الاشراف

« وكثيراً ماتحدث السيول بهذه القناة فتصلحها أمراء مكة بالاموال التي ترد اليها من الدولة أو من أصحاب الهمم والخيرات من المسلمين وآخر ماحصل لها من ذلك علي أثر السيول التي وقعت في سنتي ١٣٢٧ و ١٣٢٨ فهدمت نقطا كثيرة منها وطم مجراها بما تخلف اليه من الرمال والاحجار فقام حضرة صاحب الدولة الشريف حسين باشا امير مكة وجمع الناس واصلح ماأهتل منه وكان الجناب الخديوي اكبر فضل في ذلك لانه بمجرد مابلغ سامعه خبر هذه الفاجعة التي أصيبت بها أم القرى ارسل بألفي جنيه مصري لهذا العمل الجليل ووعد بغيره كلما اقتضت الحال لمساعدته

« وهنا يجدر بنا ان نلاحظ علي بلدية مكة ان الفتحات التي في أعلي هذه العين من جهاتها المكشوفة في مكة وفي اعلاها يستعملها الناس في غسيل ملابسهم وخلافها مما لاينطبق علي القوانين الصحية ولا تسمح به الشريعة الغراء الاسلامية وهل يسمحون لي ان أقول لهم ان ذلك ولا شك العلة الوحيدة لكثير من الامراض التي تتفشي في مدينتهم وعليه فيجب أن تكون العناية بأمر هذه الفتحات كبيرة وان يضرب علي ايدي من يعبث بها أو مدها في وجوههم بالمرة وهل فاتهم قول صاحب الشريعة السمحاء (النظافة من الايمان)

« وياحبذا لو يأمر دولة مولانا الشريف بوضع طلبات علي نوعات

مجرى عين زبيدة في مكة وفي وعرفة وعلي بئر زمزم وتكون هذه الطلبات كبيرة بحيث تكفي لحاجة الحجاج من جهة ومن أخرى تجعل مامعها بعيداً عن التلوث بأنواع البكتريا التي تكثر منها الحيات في الحجاج وتودي في الغالب بحياة الكثير منهم

« وعندي نصيحة لقدين من عادتهم العناية بأمر ماء الشرب ذلك انهم اذا أرادوا الحج أخذوا معهم مايكفيهم من المياه المعدنية أثناء الطريق أمامدة وجودهم في مكة والمدينة فحبهم علي الماء المخصص لشربهم ، ولو أضافوا علي كل لتر منه عشر نقط من محلول مركب من واحد في الالف من برمنجانات البوتاسا لكان أحفظ لصحتهم وهناك طريقة أخرى لتنقية الماء تنقية تامة وهي أن يؤخذ أقراص مجوزة تسمي أقراص (فيار وجورج) ذات ثلاثة ألوان الاول أزرق والثاني أحمر والثالث أبيض ، فيذاب أولا قرص أزرق ثم آخر أحمر في لتر من الماء المراد تنقيته وهناك يتم اتحادهما بهذا الماء فتموت جميع الجراثيم التي فيه في مسافة عشر دقائق ثم يوضع فيه القرص الابيض فيتحد البود الذي به ويعمل معه تركيبا عديم الطعم وبهذه الطريقة يكون الماء صالحا للشرب . واذا لم يكن لاهذا ولا ذاك فعليهم بقليل سفري يتصون به الماء ولو في الصحراء

« هذا وأرجو قبل قفل باب الكلام علي مكة أن يسمح لي حضرة القارىء بكلمة أسوقها اليه . ذلك اني زرت القدس الشريف فرأيت به لكل نوع من النصارى واليهود علي اختلاف أجناسهم ومذاهبهم من الادرة والتكايا ومنازل الضيافة شيئا كثيرا جدا تمهدت فيها سبل الراحة والحياة للناس أجمعين فالفقير يجد فيها مكانا مجانا لمدة أسبوع علي الاقل ، يرى نفسه في آكلا شاربا نائما ساكنا مخدوما مشكورا من غير مايتكلف لذلك قرشا واحدا ، والغني يجد فيها راحته في نظير أجر يدفعه يوميا لايزيد عن الاجر الذي يدفعه في لوكاندة بسيطة . ومن الاغنياء من يتخذها مسكنا فقط ويشارك اكله بنفسه . وهذه الاماكن التي قامت بها شركات البر والاحسان والممالك المختلفة علي اختلاف جنسياتها ومذاهبها كثيرة جدا .

وأكثرها اليهود ثم الروس ثم الارومان ثم الالمان ثم للانجليز والفرنساويين والالمان وقد أقام الالمان هناك أخيراً دارا الضيافة والصحة على جبل الزيتون صرفوا عليها أكثر من سبعين الف جنيه وهي دار رحيبة فسيحة شامخة البنيان وطيدة الاركان وضع في مدخل سلمها تمثال امبراطور وامبراطورة الالمان . وافتتحت هذه الدار رسميا بحضور ولي عهد المملكة الالمانية البرنس ايتل في شهر ابريل سنة ١٩١٠ وعدا هذه الدور والاديرة والملاجي ترى هناك لكل جنس من النصارى واليهود المستشفيات العظيمة المشيدة والمدارس الفاخرة بحيث تكاد ترى بجوار كل بيت من بيوت المدينة مدرسة هذه للالمان وتلك للانجليز وغيرها الروس وخلافها الفرنساويين وسواها اليهود ، بل تجد لكل فرقة من هذه الامم مدارس مخصوصة للبنات وللبنين على أحسن طراز جديد وتعلم فيها على أحسن برنجرام كافل لحياة المتعلمين الهم ان هذه هي الحياة الصحيحة وهذا هو الوجود بكامل معانيه وهل لاخواننا المسلمين في جميع أقطار المسكونة أن يقوموا بعمل مثل هذا بمكة ينتفع به الفقراء من حجاج المسلمين ولهم من مساعدة الحكومة مايوصلهم الى هذه الغاية الجليلة التي تكون من وراءهم راحة حجاج بيت الله الكريم . الخ

(تاريخ مكة) يصعد تاريخ مكة الى سيدنا ابراهيم الخليل صلوات الله عليه ففي سنة ١٨٩٢ قبل المسيح أمره الله بالهجرة بولده اسماعيل وأمه هاجر (كما ورد في التوراة) فذهب بهما الى هذا الوادي الذي لم يسكنه أحد لعدم توفر الماء فيه فهم الا أولئك العماليق الذين كانوا يسكنون غالباً في الوادي الواقع شماله و يقال له الحجون . وهم قوم نزحوا الى هذا المكان من جهة البحرين وكان ملكهم فيها يمتد الى شبه جزيرة سينا والبابليون يسمونهم (ماليق) فأضاف اليهم العبرانيون لفظه هم (يعني أمة) فصارت (هم ماليق) فحرفها العرب الى عماليق والمصريون يسمونهم الهكسوس أي الرعاة

« فلما عثرت هاجر على بئر زمزم التي أصبحت حياة جديدة لهذا الوادي نزلوا اليها وسألوها الاقامة معها على أن يكون الامر لها ولولدها فقبلت ذلك

وكانت قد ابتنت لها بيتا تأوي اليه مع اسماعيل وكان ابراهيم يتردد لزيارتها من فلسطين فأمره الله تعالى بتطهير هذا البيت وجعله مصلى للناس . قال تعالى : « واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود » ثم أمرهما أن يرفعا قواعد هذا البيت وهناك هدمه ابراهيم ورفع مع اسماعيل على قواعده الكعبة المكرمة . قال تعالى : « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم » ثم أمره الله بأن يؤذن في الناس بالحج قال تعالى: « وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق » ومن ثم ابتدأت شهرة ذلك البيت المعظم فذاع في القبائل المجاورة ومنه أتي لفظ مكة أو مكا وهي كلمة بابلية سمته بها العماليق ومعناها (البيت)

« ورجع ابراهيم الى قومه وبقي اسماعيل في خدمة البيت حتى مات فتولى خدمته من بعده بنوه الى أن داخلهم الضعف فتغلب العماليق عليهم وصار أمر البيت اليهم . ومازالت السلطة في يدهم حتى وفدت جرهم على مكة من طريق اليمن بعد قطع سدمأرب في نحو منتصف القرن السادس قبل الميلاد عليهم مضاض ابن الحرث فزاحموهم وغلبوهم على أمرهم وصارت لهم الكلمة والسلطان في مكة بل وفي الحجاز بأكمله . فلما كبر سلطانهم وعظمت شوكتهم عتوا في الارض فساداً فوقع فيهم وباء نال منهم فضعف أمرهم وتغلب عليهم بنو اسماعيل واستردوا أمر البيت منهم وطردوهم من مكة فساروا الى أرض جهينة (شمالي ينبع) وفي ذلك يقول شيخهم عمرو بن الحارث

وكنا ولاة البيت من بعد نابت
نطوف بذاك البيت والامر ظاهر
كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
انيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها فأبادنا
صروف الليالي والجدود العوائر

« وما كادت تنحسر السلطة في بني

اسماعيل حتى أتت خزاعة وتغلبت عليهم ووليت أمر البيت من سدانة (خدمة البيت) وسقاية (سقيا الحجاج) زمناً طويلا بما كان لها من العصبة رغما عما كان في بني اسماعيل من الرقي الادبي والسمو النفساني لانه كان كثيراً ما ينبغ فيهم رجال يبرهنون بحسن معرفتهم وكمال فضلهم على ذكاء أصلهم وكريم محتدهم مثل كعب بن لؤى الذى اشتهر ببلاغته وفصاحته وهو أول من جمع الناس في يوم العروبة (يوم الجمعة) وكان يخطبهم فيه بما يرشدهم الى طريق الفضائل ويبعدهم عن ارتكاب الرذائل وقد اشتهر أثره بين العرب وعظم قدره حتى كانوا يؤرخون بعام موته الى عام الفيل وهو زمن لا يقل عن أربعمائة سنة

« وما زال أمر البيت في يد خزاعة حتى رجع قصي بن كلاب من الشام وكان ذهب اليها مع أمه صغيراً وهو من أحفاد كعب والبطن الرابع والعشرون من اسماعيل فجمع قبائل قريش بما كان فيه من حسن السياسة والذكاء وقوة العارضة بعد أن كانت تفرقت وأخذت الشحناء تدب فيما بينهم وسعى بأصالة رأيه حتى اشترى من خزاعة حجابة البيت (الاستئثار بمفاتيح الكعبة) ثم أجلاهم بما وجد له من العصبية الى بطن مر (وادى فاطمة) ومن ثم كبر شأنه ونبه أمره وعظم سلطانه واجتمعت له السقاية والحجابة والرفادة واللواء (راية الحرب) ولم تجتمع في رجل قبله . وقصي أول من أطعم الحاج وسقاه لانه ضيف الله وجاره ولذلك سارت الركبان بسيرته وتحدث الناس بنباهته ، وكان له رأى سديد وفكر رشيد . وهو الذى بنى دار الندوة قرب البيت وجعل بابها اليه ليجتمع فيها مع قومه للبحث في شؤونهم والاقرار على ما يتم من أمرهم فأصبح به ملك قريش عظيما وشأنهم جسيما حتى كان لهم بعد ذلك خراج على القبائل والعشائر يؤدونه اليهم ويتقربون به منهم . وكان لقصي ولدان عبد الدار وعبد مناف وقد شرف الاخير على صغره وزاد فضله على أخيه الاكبر فأوصى أبوه لعبد الدار بما كان في يده من السقاية والحجابة والرفادة واللواء والندوة حتى يتكافأ مع عبد مناف في شرفه الذى وصل اليه بعقله وفضله

« ولما مات قصي استولى عبد الدار

على ما أوصى له أبوه وانتقل ذلك الى بنيه من بعده حتى ظهر بنو عبد مناف عليهم ونازعوهم ما في أيديهم ، وكادت تدور رحى حرب بينهم . وانتهى الامر بتحكيم بعض القبائل فقسموا بينهم شرف هذه الامتيازات فكان لبنى عبد مناف السقاية والرفادة ، ولبنى عبد الدار الحجابة واللواء اللذان مازالا ينتقلان فيهم الى فتح مكة . وكانت مفاتيح الكعبة مع عثمان بن طلحة فأخذها منه رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولما دخل البيت أراد أن يحجزها عنه فنزل قوله تعالى : « ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها » فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه قائلا : « هاكم خذوها خالدة تالدة » وبعد موت طلحة سلمها رسول الله الى أخيه شيبة فبقيت في بنيه الى الآن

« ووصلت قريش في الجاهلية الى مجد كبير وشرف عظيم انتهى شرفها الى عشرة أبطن منها كانوا يقتسمون امتيازاتهم القومية من دينية وسياسية واجتماعية وتشريعية . وكانت هذه الامتيازات يتوارثها الابناء من الآباء وانتهى أمرها قبل الاسلام الى من سنذكرهم وكان العباس بن عبد المطلب (من هاشم) يسقي الحجيج واستمر ذلك في الاسلام وكان أبو سفيان بن حرب (من بنى أمية) عنده العقاب وهي راية حربهم لا يخرجها الا اذا حمى وطيسها فيسلمها الى من يجمعون عليه لرأى حملها . وكان للحرث بن عامر (من بنى نوفل) الرفادة وهي ما كانوا يخرجونه من أموالهم لاعانة المنقطع من الحاج . وكان لعثمان ابن طلحة (من بنى عبد الدار) السدانة والحجابة واللواء والندوة . وكان ليزيد ابن زمعة بن الاسود من بنى أسد المشورة في الامور الهامة . وكان لابي بكر الصديق (من تميم) الديات والمغارم ويقال لها الاشناق وكانوا يمضون على على حكمه فيها . وكان خالد بن الوليد (من بنى مخزوم) على خيل قريش وكانت له القبة وهي ما كانوا يجمعون فيه سلاحهم وذخيرة حربهم . وكان لعمر ابن الخطاب (من بنى عدى) السفارة فيما كان يقع بينهم وبين غيرهم من العرب فيمضي عنهم ما يراه من مصلحتهم . وكان لصفوان بن أمية (من جمح)

الايسار وهي الازلام (وهي أقداح ثلاثة كانت العرب بالكعبة مكتوب على الاول أمرني ربي وعلى الثاني نهاني ربي والثالث ليس عليه شيء .وكانت العرب اذا أرادت أن تمضي في أي أمر من أمورهم ذهبوا الى الكعبة واستقسموا بالازلام فيخرج لهم صاحبها فيمضون على ماقسم لهم منها وكان الحرث بن قيس (من بني سهم) الحكومة والاموال التي يقدمونها لاصنامهم

«أما بنو هاشم فقد علا أمرهم وعظم شأنهم خصوصا في مدة عبد المطلب بن هاشم جد النبي صلى الله عليه وسلم الذي كبر سلطانه بعد وقعة الفيل وذاعت شهرته وهابته القبائل وقصدته العرب من جميع جهات الجزيرة : ولما ظهرت نبوة سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب وتجلى الاسلام بمظهره المنيع وتقدم بتقدمه السريع كل لبني عبد مناف فضلهم، وتم بهذا الشرف صعودهم

(حكم الاشراف بمكة) من أكبر الحوادث التاريخية هجرته صلى الله عليه وسلم الى المدينة وفتحه لها بعد ثمان سنين من الهجرة حتى صارت مكة تابعة له وخلفائه من بعده

«وكانت حكومة الاسلام في مدته عليه الصلاة والسلام ديموقراطية « شورية » على حسب الشريعة الغراء وكذلك في عهد خلفائه الراشدين حتى انقضت الخلافة الى مظاهر الملك فشابها شيء من الاستبداد

وكانت حكومة الحرمين تقيم في جميع أدوار حياتها مركز الخلافة الاسلامية وأول من تولى امارة مكة من عهد النبي صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد رضي الله عنه ولاه عليها رسول الله بعد الفتح عند خروجه لوقعة حنين في الثلث الاول من سنة ٨ الهجرة وانتقلت الخلافة بعد الخلفاء الراشدين الى الامويين في سنة ٤٠ وفي أيامها استولى عبد الله بن الزبير على مكة بضع سنين حتى استردها منه الحجاج بن يوسف الثقفي الى الامويين سنة ٧٣ وفي سنة ١٣٢ انقلبت الخلافة الى العباسيين ومازالت في أيديهم الى سنة ٦٥٦ وتولى أمر مكة في هذه المدة نحو مائة أمير من أشراف غير أشراف وفي هذه السنة انتقل حكمها الى الفاطميين وفيها دخلها جوهر القائد

ثم دخلها مولاه المعز لدين الله العبيدي ومن ثم كانت البلاد الاسلامية من بغداد الى حلب الى البصرة يخطب فيها الخليفة العباسي ومن حلب الى الحرمين وسائر بلاد العرب يخطب فيها العبيديين والسبب في ذلك أن جعفر بن محمد بن الحسن الثائر بن موسى الثاني بن عبد الله ابن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي أمير المؤمنين كرم الله وجهه تغلب على مكة في السنة المذكورة وخاف من العباسيين فدعا المعز لدين الله العبيدي صاحب مصر فكتب له المعز بولاية مكة وبه ابتدأت حكومة الاشراف عليها

« واستمرت في بنيه من بعده الى سنة ٤٥٥ حيث وليها حفيد أخيه هاشم وهو محمد بن جعفر بن عبد الله بن هاشم وتولى أمرها بنوه الى سنة ٥٩٧ ويقال لهم الهواشم وكان حكمهم جوراً وظلما حتى أن آخرهم الشريف مكثر بن عيسى ضرب ضريبة على حجاج بيت الله الحرام مقدارها سبعة دنانير كان ينقاضاها في عيذاب أو في جدة على كل شخص يغد الى مكة من طريق مصر فاستغاث الناس بصلاح الدين الايوبي فاتفق مع مكثر على الغائها ورتب له بدلها في كل سنة ثمانية آلاف أردب قمحا ومن هذا الوقت ابتدأ الخطباء في مكة يدعون لصلاح الدين عقب دعائهم للخليفة العباسي ولامير مكة

« واستولى على مكة بعد مكثر الشريف قتادة سنة ٥٩٧ وهو الحلقة السابعة من أحفاد الشريف عبدالله أخي الشريف جعفر بن محمد بن الحسن الثائر وكان قتادة من أهل النخوة والشجاعة والهمة العالية واتسع ملكه من اليمن الى المدينة الا أن اهل اليمن تغلبوا على مكة في مدة ولده حسن لسوء سلوكه ومازالت في أيديهم الى سنة ٦٣٠ وبعدها تغلب الشريف راجح بن قتادة عليها وصارت الامارة بعده كالكرة يتلقفها القوي من بنيه أو بني اخوته . وكانت حكومتها تتبع ملوك مصر تارة وملوك اليمن أخرى لاشتغال ملوك مصر عنها بالحروب الصليبية خصوصا بعد موت الملك الكامل الذي كان يدعى له في خطبة الحرمين هكذا : «صاحب مكة وعبيدها ، واليمن وزبيدها ومصر وصعيدها ، والشام وصناديدها ،

والجزيرة وواليها ، سلطان القبلتين ورب العلامتين ، وخادم الحرمين الشريفين المحترمين ، الملك الكامل خليل أمير المؤمنين » وأول من استقل من ملوك اليمن لذلك العهد نور الدين بن عمر بن علي بن رسول ، وكان عاملا عليها للملك الكامل صاحب مصر ولقب نفسه الملك المنصور، وما زالت حكومة مكة في هذا الاربك والاختباط حتى آل أمرها الى الشريف أبي نمي بن حسن بن علي بن قتادة سنة ٦٦٧ فخاطب لبيبرس ملك مصر فأقره عليها وحج من سنته وما زال أبو نمي حتى وقعت له مع العسكر المصري حروب ألجأته الى التنازل عن الامارة سنة ٧٠١ الى ولديه حيضة ورميثة فغلبهما عليها أخوهما أبو الغيث بن أبي نمي وفي مدته حج السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٢ واستمر بها حتى غلبه على الامارة أخوه حيضة سنة ٧١٤ وقتله ودعا اخوته الى ولاية عنده وقدمه اليهم مصارفة وعلى رأس كل واحد منهم عبد شاهراً سيفه وما زال حتى تغلب عليه رومية سنة ٧١٨ فهرب ومات في هربه وفي سنة ٧١٩ حضر الى مكة جيش مصري وقبض على رميثة وأتى به الى الملك مصر الملك الناصر بعد أن ولى مكانه الشريف عطيفة بن أبي نمي . وفي سنة ٧٢٢ أطلق الملك الناصر رميثة وأشركه مع أخيه في ولاية مكة وذهب عطيفة الى مصر ومات بها سنة ٧٤٣ وانفرد رميثة بالامارة حتى جعلها الملك الكامل شعبان ملك مصر لولده الشريف عجلان ابن رميثة سنة ٧٤٦ وعزله عنها السلطان حسن بن محمد الناصر سنة ٧٦٠ الا انه رجع اليها بأمر من الملك المنصور محمد وما زال بها حتى مات سنة ٧٦٦ وتولى بعده الشريف احمد بن عجلان وفي مدته صدر أمر الملك المنصور بلنو الملكس الذى كان يؤخذ على الاشياء التي كانت تدخل الى مكة وعوض أميرها عنه مائة وستين الف درهم والف اردب قمح وأمر فنقش ذلك على باب الصفا واستمرت الامارة في بنيه حتى صدر أمر سلطان مصر أن يكون الشريف حسن بن عجلان نائبا عنه في ولاية الحجاز وابنه الشريف بركات أميراً على مكة . وكان بركات عالما فاضلا محدثا وقد استدعاه الملك برسباى الى مصر فوفد اليها معظما مكرما وأخذ عنه كثيراً

من علمائها ثم رجع الى مكة ومات بها سنة ٨٥٩ وتولى مكانه الشريف محمد بن بركات وكان رضي الله عنه على أحسن ما يكون من العدالة والانصاف وحسن السيرة والرفق بالناس . وقد سافر الى مصر سنة ٨٧٧ مدة السلطان قايتباى فاستقبل بما يليق به من صنوف الاعظام والاجلال ثم رجع اليها معززاً مكرما وفي مدته حج السلطان قايتباى سنة ٨٨٤ وشيد فيها لصق الحرم من الجهة الشرقية مدرسته التي تنافس عليها ذو غالب ولا تزال في أيديهم الى اليوم

« وما زال محمد بن بركات على أمارة مكة وولاية الحجاز حتى مات سنة ٩٠٣ وتولى بعده ابنه الشريف بركات وما زالت الامارة تنتقل من يد الى يد اخوته حتى استقل بها في سنة ٩١٠ وفي سنة ٩١٨ أرسل اليه السلطان الغورى يدعوه الى مصر فاعتذر وأرسل بالنيابة عنه ابنه الشريف أبا نمي وعمره ثمان سنين فأكرمه السلطان كل الاكرام وردده الى أبيه معززاً وأشركه معه في أمر مكة والاقطار الحجازية

« ولما استولى السلطان سليم على مصر سنة ٩٢٢ أقرهما على مكة وساق الشريف أبو نمي بمصر فأكرم مثواه وأرسل معه أمراً بقتل حسين أغا الكردى الذى كان على جدة من قبل الغورى فلما وصل الى جدة قبض على الاغا وأغرقه وولى غيره مكانه ومن هذا الوقت صارت بلاد الحجاز واليمن تابعة للدولة العثمانية

وكان الشريف أبو نمي من خيرة الاشراف عقلا وحلما وعلما وفضلا وادارة ودراية ، واليه ينتهي نسب أشراف بني حسن (الذين يحكمون الآن) وبنو زيد وبنى بركات (الذين كان لهم الحكم قبل محمد بن عون) وبنى نمية (وهم متفرقون في بلاد العرب) وفي سنة ٩٩٢ مات أبو نمي وتولى بعده الشريف حسن وكان عالما فاضلا كاملا أديباً صار في ادارة بلاده على سنة الاشراف الحسنيين الذين منهم محمد بن عون جد العائلة الحاكمة الآن

وهو الذى بنى دار السعادة بمكة سنة ٩٦٧ فكانت محل أمارته وأمارة خلفائه زمنا طويلا ومما جاء في وصفها وتاريخ بنائها قول بعضهم

ان بينا بناه خير مليك
أسس الملك كفه وأشاده
فتق في وضعه وحسن بناه
كل قصر لاهل العلي والسيادة
جاء تاريخ وصفه في نصيف
أنا بيت الملوك دار السعادة

« وما زال الشريف حسن قائماً بأمر ولاية الحجاز حتى مات سنة ١٠١٠ وأخذت الشرافة تنتقل في بنيه وبني اخوته حتى تولاها الشريف زيد بن محسن بن الحسين بن الحسن بن أبي نمي سنة ١٠٤٣ وكان ذا همة عالية وشجاعة تامة وادارة حسنة وما زال قائماً بولايتها خير قيام حتى مات سنة ١٠٧٧ وتولى بعده ولده الشريف سعد ولكنه خرج من مكة مقهوراً وخرج عبد أعنها احدى وعشرين سنة تولي أمرها فيها الشريف بركات بن محمد بن ابراهيم بن أبي نمي ومات سنة ١٠٩٤ وأعقبه عليها ولده الشريف سعيد بن بركات فغلبه عليها الشريف سعيد بن سعد بن زيد ثم عزل عنها وأعقبه الشريف عبد الله بن هاشم ثم احمد بن غالب الذي مات سنة ١١١٣ فرجع الي الامارة الشريف سعد بن زيد وأخذ يتناوب الولاية هو وولده الشريف سعيد جملة مرات ومات الشريف سعد بعيداً عن مكة بالعابدية سنة ١١١٦ وبقيت الولاية في يد ابنه الشريف سعيد حتى مات سنة ١١٢٩ وكان جليل القدر عظيم الفضل بعيد الآمال شجاعا مهيبا وأخذت الامارة بعده يتداولها بنوه وبنو اخوته حتى غلبهم عليها الشريف بجبي بن بركات ثم ابنه الشريف بركات بن بجبي فيما بين سنتي ١١٢٤ و١١٣٦ ثم رجعت الي بني سعيد وما زالت فيهم حتى تولاها حفيده الشريف سرور بن مساعد بن سعيد بن سعد بن زيد في سنة ١١٨٦ وهو مشهور بعلو الهمة وجلائل الصفات والشجاعة الفائقة . حارب عرب الشروق وقبائل حرب وانتصر عليهم جملة مرات وانقادت اليه جميع بلاد الحجاز وامتد سلطانه علي جهات كثيرة من بلاد العرب وما زال في الامارة حتى مات سنة ١٢٠٢ وتولي بعده الشريف عبد المعين بن مساعد الى أن تنازل عنها بعد أيام قليلة الي أخيه الشريف غالب وفي مدته استفحل أمر الوهابية ووقعت بينه وبينهم حروب كثيرة

كادت الغلبة تكون فيها لهم لولا أن الدولة العثمانية كلفت محمد علي باشا والي مصر بكبح جماحهم فأرسل اليهم جيوشاً مصرية علي رأسها ولده طوسون ثم ولده ابراهيم الذي فرق جموعهم واستولي علي بلادهم بعد أن أخذ رئيسهم عبد الله بن سعود أسيراً وأرسله الى والده بمصر وفي سنة ١٢٢٨ جاء محمد علي الى بلاد الحجاز فاستقبله الشريف غالب من جدة وسار في خدمته الي مكة وكان كل منهما علي خوف من صاحبه وانتهى الامر بأن قبض محمد علي علي الشريف وبنيه وأرسلهم الي مصر من طريق القصير فوصل القاهرة في ١٧ محرم سنة ١٢٢٩ وقوبل فيها بالاحترام اللائق وبقي فيها الي ١٩ شعبان حيث سافر مع أولاده حسب الارادة السلطانية الى سلانيك وأقام بها الي أن توفاه الله سنة ١٢٤١ وفيها عادت أولاده لي مكة بمقتضى أمر سلطاني

« وكانت مدة امارة الشريف غالب علي مكة ٣٧ سنة قضاها كلها في حروب الوهابية وكان رحمه الله عالي الهمة كبير الشهامة ، كثير الدهاء . ولما نفي الي مصر ولي محمد علي مكانه الشريف يحيي بن سرور في أواخر ذي القعدة سنة ١٢٢٨ ومن هذا الحين صارت بلاد الحجاز تابعة لمصر

وكان علي أهالي العرب الشريف شنبر بن جهة محمد علي فنمت بينهما الضغائن فقتل يحيي شنبراً أمام باب الصفا وهرب الى بدر. وتولي علي مكة الشريف عبد المطلب بن غالب بأمر من أحمد باشا يكن ولكن محمد علي باشا أصدر أمره بتعيين الشريف محمد بن عون وكان اذ ذاك نزيلا عليه بمصر وكان سبق له أن تولي امارة تربة وعسير من قبله فسار الشريف عبد المطلب الي الطائف وجمع جموعا من العرب وحارب بها احمد باشا ولكنه انهزم وطلب الامان من الشريف محمد بن عون فأمنه هو والشريف يحيي وأرسلهما الي مصر بناء علي أمر محمد علي ومعهما عبد الله بن فهد وآخرون ولما وصلوا اليها أكرمهم محمد علي كل الاكرام وبعد سنة أعادهم الي مكة الا الشريف يحيي فانه استبقاه ومات بمصر سنة ١٢٥٤ وبعد ذلك وقع نفور بين أحمد باشا يكن والشريف محمد فاستحضرهما محمد علي ثم

أعاد أحمد باشا الي مكة وحجز الشريف محمد بن عون بمصر وبقي فيها حتى خرجت ولاية الحجاز من قبضة محمد علي سنة ١٢٥٦ زمن السلطان عبد المجيد وصدرت الاوامر السلطانية بتولية ابن عون امارة مكة ، وكان رحمه الله عاقلا ذا دهاء وهيبة وذكاء ميمون الطالع عالما يحب العلم والعلماء ومكث زمنا طويلا وهو يدبر أمر الحجاز بحسن درايته وادارته وفي سنة ١٢٦٣ سار الي نجد لاخماد فتنة فيصل ابن تركي أمير الرياض وتم أمرهما بالسلح بعد أن قرر علي فيصل خراجا قدرته عشرة آلاف ريال كل سنة واستمر في ولاية مكة الى أن توفي في ١٣ شعبان سنة ١٢٧٤ وتعين بعده ولده الشريف عبد الله باشا كامل وهو أول شريف منح رتبة الوزارة ولقب باشا وكان تربي في الآستانة وتعلم فيها العلوم الشرعية والتفسير والحديث وفنون الادب فوصل جدة بعد أن انجلي عنها مراكب الانجليز سنة ١٢٧٥ وهناك قابله المندوبون البريطانيون وطلبوا منه أن يساعدهم في وصولهم الى مكة فاعتذر عن احتمال هذه المسئولية ثم قال لهم وماذا تريدون من بلد لازرع فيه ولا نبات ولا ماء وربما نالكم منه مرض يذهب بحياتكم لعدم اعتيادكم علي مثل هوائه في حين انكم في غنى عنه فاقتنعوا بجوابه وعادوا الي بلادهم وصار هو الي مكة وفي سنة ١٢٧٧ ذهب الى المدينة لاستقبال صعيد باشا والي مصر ورجع معه الي القاهرة ثم عاد الي مكة بعد أن صادف من الاجلال وكمال الاعظام مايليق بمقامه واستمر في الامارة الي أن توفي في ١٤ جمادى الآخرة سنة ١٢٩٤ وتعين أخوه الشريف حسين باشا مكانه فقدم اليها من الآستانة وكان علي جانب عظيم من التقوى والصلاح والزهد والورع ووداعة الاخلاق واستمر حكمه لي سنة ١٢٩٠ حيث قتل أثناء دخوله جدة وكان ذهب اليها في موكب حافل فتقدم اليه رجل أفغاني كأنه يريد تقبيل يده وطعنه في خاصرته فتوفي بعد يومين مأسوفا عليه من عموم أهل الحجاز ونقل الي مكة رضي الله عنه وأهلها يلقبونه بالشهيد وتولي بعده الشريف عبد المطلب للمرة الثالثة ولكنه عزل عنها سنة ١٢٩٩ لكثرة الشقاق الذي كان بينه وبين الاشراف وتعين

عون الرفيق محمد بن عون فأخذ في تمكين قدمه في مركز الشرافة وهم نفوذه علي العرب والمأمورين من الاتراك حتى كانت الولاة كأنهم من المأمورين عنده الا في زمن ولاية عثمان نوري باشا الاولي فانه ضرب علي يديه ولكنه نقل من ولاية الحجاز بسعي عون الرفيق ومؤازرته في الآستانة ومن وقتها خلاله الجو فكان يعلي ويحرم ويسعد ويشقي ويمنع وينعم وقد كان ينزع الي مذهب الوهابية اوما يقرب منه فهدم كثيراً من قباب المزارات وخمها وصا في الملاة ومن ذلك قبة سيدنا عبد الله بن الزبير بل وصل به الحال الي أن أمر بهدم قبتي السيدة آمنة والسيدة خديجة الأنه ماعلم أن استرجع أمره وكذلك امر فأزيلت تلك الرحبي التي كانت في مولد السيدة فاطمة (دار خديجة) رضي الله عنهما وكانوا يزعمون أنها هي التي كانت تطحن عليها في حياتها وأمر أيضا بتوسيع باب غار حراء في جبل نور وهو الذي خيم علي باية العنكبوت بعد ما أوى اليه رسول الله صلي الله عليه وسلم مع رفيقه أبي بكر عند هجرتهما من مكة الي المدينة وكان بابه لايسع الا نفراً واحداً يدخل منه زاحفا علي بطنه وكان الناس يزعمون ان لايدخله الا السعيد وأما الشقي فلا فأراد بتوسيع هذا الباب ازالة هذا الوهم الفاسد الا انه لم يكن له علي كل حال ان يغير شكل أثر طبيعي مثل هذا من أجل الآثار ومن الاشياء التي كان الانسان يقدر فيها تلك المعجزة التي خدمت الطبيعة فيها أشرف مخلوق حتى حيل بينه وبين أعدائه . وقد كان يميل رحمه الله الي الرفه بكل أنواعه فكان عنده علي الدوام المطربون بالآلات والفرايحية (الطبالون) والضاربون بالنوبة وجملة ما يقال في معاملته الناس انه كان نهابا وهابا واستقدم اوتوموبيلا من اوربا كان يركبه في طريق الطائف ولكنه مات بموته وأنشأ بستانا جميلا شمال جرول (بمكة) وهو المكان الذي يختم عنده المحمل المصري وجلب اليه أشجاراً كثيرة من مصر والهند والشام وغيرها وساق اليه الماء من عين زبيدة ويقال انه كان في مدته جنة من الجنات لم يسبق له نظير في مكة. اما الآن وقد انصرفت عنه

المياه فقد جفت أشجاره وذبلت أزهاره وأصبح كقطعة من غابة في الصحراء تتعقق فيها الغربان وتزعق فيها العقبان ، سبحان منير الاحوال بيده الملك وهو على كل شيء قدير

«ومات الشريف عون بالطائف يوم الاثنين ١٦ جمادى الاولى سنة ١٣٢٣ واختلف الناس في أسباب موته؟ وكانت الشرافة بعده لاخيه الشريف عبد الاله باشا الذى كان يقيم في الآستانة، ولكن صدرت الادارة السلطانية يسمي رائب باشا والي الحجاز بتوجيه الامارة الي الشريف علي باشا بن عبد الله بن محمد بن عون الذى كان قائما الشريف في مكة ، وما زال على غاية الوئام والاتحاد مع رائب باشا حتى حصلت حركة الآستانة وقام الدستور مقام الاستبداد وعزل رائب باشا لجوره وظالمه وخرج مقهوراً الى الآستانة ومنها منفيا الى رودس بعد أن صودر في جميع أمواله . أما الشريف علي باشا فانه ظل بالطائف متظاهراً بمشايعة الحكومة الدستورية الجديدة وفي يوم الخميس ١٨ شوال سنة ١٣٢٧ حدثت فتنة بين بعض أهالي مكة والعساكر العثمانية قتل فيها من الطرفين نحو عشرين رجلا، وقيل أنها كانت بايعاز الشريف علي باشا . وفي اليوم الثاني شاع في مكة عزل الشريف علي وتعيين الشريف عبد الاله باشا الذى كان مقيما بالآستانة ، ثم جاء الخبر بوفاته وتولية الشريف حسين باشا بن علي بن محمد بن عون وكان مقيما في الآستانة منذ سبع وعشرين سنة . فلما حضر الى مكة قام الشريف علي منها بعائلته قاصداً الآستانة ولما وصل الى السويس نزل الي مصر ولا زال بها الى الآن أما الشريف حسين فانه قام بالامر حق قيام بهمة لاتعرف الملل، وضرب على أيدى قبائل العرب الذين كانوا يتحفزون الخروج على الدولة . فكان حفظه الله يرسل عسكره مع نجله هذا الي هذا في حين ما يرسل بنجل آخر مع فرقة أخرى الي غيرها وهكذا حتى هدأت البلاد وضرب الامن بجرانه في جميع أطراف الحجاز . ومما يذكر له بالثناء الجميل أنه امر بجعل أجرة الجمل من مكة الى المدينة الي ينبع أربعة وعشرون ريالا مجيديا بعد أن كان اكثر من سبعين ريالا في

مدة سلفه . »

الي هنا انتهي ما نقلناه من كتاب رحلة محمد بك البنانوني ونزيد عليه انه لما نشبت الحرب العامة ودخلت الدولة العثمانية فيها انتهز الشريف حسين هذه الفرصة وأعلن استقلال الحجاز ولقب بملك الحجاز واعترف له بذلك جميع دول الحلفاء

(الحرم المكي) نقلنا المعلومات السابقة عن مكة وحكم الاشراف فيها عن رحلة الفاضل محمد لبيب بك البنانوني وننقل منه أيضاً ماذكره عن الحرم المكي فهو أوثق مصادر العلم في هذا الباب لانه شاهده بنفسه ووصفه وصفا دقيقا قال :

« كان الحرم المكي في مدة رسول الله صلى الله عليه وسلم على حدود المطاف الآن وهي حدوده القديمة من عهد ابراهيم عليه السلام. فلما كثر سواد المسلمين زاد فيه عمر وعثمان شيئاً مما اشتريا من الدور التي كانت حوله وزاد فيه عبد الله بن الزبير عند بناء الكعبة وأقام ما كان تهدم منه. وكذلك زاد فيه الوليد بن عبد الملك وعمره عمارة تذكر فتشكر وهو أول من نقل اليه أساطين الرخام . واهتمام الوليد بالعمارات لا ينكر يعرفه من شاهد قبة الصخرة بالقدس الشريف ورأى ما بقي فيها من آثار الموزاييك الذهبية وغيرها من أعمال القيشاني التي تدهش العقل ويحار فيها الفكر ويوجد في المسجد الاموى بدمشق الى الآن شيء من أثر عمارته لم تصل اليه يد الحريق وبه أعمال موزاييك ذهبية بديعة جداً على حائطي الصحن الجنوبي والغربي

« ولما حج الخليفة محمد المهدى سنة (١٦٠) ورأى ان البيت ليس في وسط المسجد فاشترى كثيراً من البيوت خصوصاً في الجهة الشرقية القبلية وزادها في المسجد وأدخل اليه كثيراً من الازوار التي كانت فيه وكانت في ملكية الغير ثم أتي من بعده ابنه الهادى فأكمل ما نقص في مدة والده

« وكانت دار الندوة عامرة بالحرم تجاه الكعبة من الجهة الشمالية الغربية وكان ينزل بها الخلفاء والامراء في حجهم في صدر الاسلام ولكنها أهملت أمرها في منتصف القرن الثالث الهجرى فأخذ يتهدم بناؤها فكتب في ذلك الي الخليفة المعتضد العباسي فأمر بها فهدمت في سنة احدى وثمانين ومائتين وجعلت مسجداً

وفيها قبلة الى الكعبة ثم جعلوا له قبة عالية ثم غيروا شكلها فيما بعد الى شكل آخر واستمر يصلي فيها الامام الحنفي الى أن اتى الامير كلدى امير مكة في سنة ٩٠٧ فهدمها وبنى المقام مربعا ذا طبقتين الاولى للامام والمصلين والثانية للمؤذنين والمبلغين وهو على هذا الشكل الى الآن

« وفي سنة ٨٠٢ احترق الرواق الشرقي فأمر الملك الناصر فرج بن برقوق ملك مصر بتعمير ما خرب منه ورضع بدل الاعمدة الرخام التي احترقت اعمدة من الحجر الشبسي ومن ثم كانت تقوم عمارة الحرم ملوك مصر وحسبك العمارة التي قام بها السلطان قايتباى في سنة ٨٨٦

« وفي سنة ٩٧٩ مال الرواق الشرقي من الحرم ميلا محسوساً فأمر السلطان سليم الثاني بأن يرسل المهايون والمهندسون والصناع من جميع الاصقاع لعمارته فأنزلوا سقفه جميعه وأساطينه كلها وعمدوا محيطه وبنوه على التربيع الحالي وأقاموا اعمدة الرخام بين أساطين حجرية متناسبة الوضع وبنوا عليها قباباً بدل السقوف التي كانت تعاهدها يد الرطوبة المتخللة من الامطار مع ما كان يكثر فيها من الحيوانات التي اشتهرت بعداوتها للاخشاب كالارضة والسوس وغيرهما من الحشرات المضرة وفي اثناء هذه العمارة مات السلطان وكان الذي انتهى منها الجانب الشرقي والشمالي فقط أعني من باب العمرة . ولما تولى السلطان مراد خان أمر بتتميم العمارة على الوجه الذي كان قد أمر به والده فتمت على أحسن حال بالشكل الذي نراه الآن وليس لمن بعده من السلاطين بهذا الحرم الا عمارات ترميمية أو تكميلية .

« وفي هذه العمارة نزل العمال بأرضية الشارع الموصل الى المسفلة بحيث صار يصرف ما عساه يدخل الى الحرم من مياه السيول التي كثيراً ما كانت سبباً في قض أركانه وهدم بنيانه . وكانت الزيادات التي تتخلف من الدور التي دخلت في تربيع الحرم الشريف في كل عمارته يبقى بعضها دارس وبعضها اروقة يسكن فيها بعض طلبة العلم في المسجد وكان لها أوقاف جمة ولكن كثيراً ما تغيرت اوقافها واستبدلت بغيرها أو خرجت من يد واقف الى يد غيره أقوى منه ومن ذلك مدرسة قايتباى التي

لاتزال للآن على يسار الداخل من باب السلام فانها بعد ان كانت مدرسة تدرس فيها علوم الدين ولها أوقاف بمصر تصرف غلاتها عليها ضعفت أوقافها شيئاً فشيئاً فنقلوها من علم الى دار ضيافة كان ينزل اليها أمراء الحاج المصري ثم صار يسكنها بعض أشراف ذوي غالب وهي في أيديهم الى الآن ولا يزال المحملان المصري والشامي يوضعان في أيام وجودهما بمكة لصق حائطها الذي من داخل الحرم وبجوارهما من الخدم مايقوم بحراستهما وعلى يمين باب السلام مدرسة يقال لها المدرسة السليمانية بها كتبخانة تقدم الكلام عليها في مكة

« والحرم من داخله على شكل مربع (منتظم تقريبا) وفي وسطه بميل الى الزاوية الجنوبية الكعبة المكرمة وطول ضلع الحرم المقابل لحطيم وهو الذي فيه باب الزيادة مائة وأربعة وستون متراً وطول الذي يقابله وهو الذي فيه باب الصفا مائة وستة وستون مترا وضلعه الذي فيه باب السلام مائة متر وثمانية والذي يقابله وهو الذي فيه باب ابراهيم مائة وتسعة أمتار فيكون مسطحه من الداخل تسعة عشر الف وتسعمائة واثنين من الامتار المربعة وهو ما يزيد عن أربعة أفدنة وربع . أما من الخارج فتوسط طوله مائة واثنان وتسعون متراً وعرضه مائة واثنان وثلاثون مترا (وهذا حسب تحقيق المرحوم محمد صادق باشا أمير الحاج المصري) ويحيط بالحرم من داخله أربعة أروقة فيها ثلاث مائة واحد عشر عمودا يتخللها مائتان وأربع وار بعون اسطوانة من الحجر الشبسي الاحمر تقوم عليها قباب على محيط المسجد وعلى بعض هذه العمد كتابة محفورة فيها تدل على ماكان لبعض الملوك من العمارة بالمسجد أو من الاعمال التي فيها نفع للمسلمين كابطال المكوس ونحو ذلك ومن هذه الاعمدة عمود بقرب باب الحزورة لايزال منقوشا عليه عهد كتبه الاشرف شعبان

« وأبواب الحرم ثمانية في الجهة الشمالية : وهي باب القريبة ، وباب المدرسة وباب الحكمة ، وباب الزيادة وبجواره الى الغرب باب القطبي ، وباب الباسطية ، وباب الزمامية . ثم باب عمرو ابن العاص . ويليه من الجانب الغربي أولها باب العمرة ، وباب ابراهيم ، ثم

{ ٤٧ = دائرة = ٤ = ٩ }

باب الحزور . ويليه من الجهة الجنوبية سبعة أبواب : أولها باب أم هاني وباب العجلة ، (ويسمونه باب النكية) ، وباب الرحمة (أو المجاهدية) ، وباب أجياد (أو السنبلة) وباب الصفا ، وباب بني مخزوم ثم باب بازان ، ويلي ذلك من الجهة الشرقية أربعة أبواب : وهي باب بني هاشم (أو باب علي) وباب العباس (أو باب الجنائز) وباب النبي ، وباب السلام وهو الذي يدخل منه الي الحرم عند طواف القدوم ومجموع هذه الابواب اثنا وعشرون بابا ، ولكن منها ماله مدخل واحد ومنها ماله مدخلان أو ثلاثة أو خمسة فيكون مجموعها تسعة وثلاثون مدخلا

وفي رحبة ابراهيم تجد آلافا من فقراء حجاج الدكارنة الهنود والمغاربة وفيهم كثير من المقعدين الذين لايقدرون علي الحركة فيمضون هناك أيامهم عائشين من حسنة أرباب الخير ، وربما كان منهم بالمسجد ماتلجئهم الضرورة اليه مما لا يصح التوسع في شرحه !! وهذا أمر لا يليق بكرامة حرم الله ! فهل لحكومة الحجاز أن تفكر في أمر هؤلاء البؤساء وتقيم لهم دار ضيافة يأوون اليها ولو في مدة الموسم ! وعسى أن ديوان الاوقاف بمصر أو الآستانة يتدارك ماأهملته حكومة الحجاز فيكون له الثواب الجزيل

« وفي المسجد ست منارات : الاولي منارة باب العمرة وهي من أعمال الخليفة المنصور العباسي في عمارته المسجد سنة مائة وثلاثين ، ومنارة باب السلام . ومنارة باب علي ، ومنارة الحزورة وهي من أعمال المهدي العباسي في عمارته المسجد سنة مائة وثماني وستين ، ومنارة باب الزيادة وهي من أعمال المعتضد العباسي سنة مائتين وأربع وثمانين ، ومنارة السلطان قايتباي . وقد حصلت في جميعها ترميمات وزيادات في مدة العمارة التي قام بها السلطان سليم الثاني في المسجد ، وكلها باقية للآن يؤذن عليها في الاوقات الخمس . وشيخ المؤذنين أو الميقاتي يؤذن علي قبة زمزم ، وفيها مزولة مثبتة في حائطها الجنوبي ، من عمل رجل من مراكش أهداها الى الحرم ، وهي غاية في الضبط والاحكام وعليها ميقاتهم في النهار . فاذا دخل الوقت بدأ الرئيس بالاذان فيتبعه المؤذنون الذين علي

المنازعات بأصوات يحركها الهواء علي طبلة الاذن فتحدث لها اهتزازات في القلب يمتلىء منها خشية ورهبة وخشوعا وخضوعا

« وعلي حدود المطاف تلقاء كل ضلع من أضلاع البيت ، سقيفة قامت علي أعمدة من الرخام : فالشمالية منها مصلي الامام الحنفي ، والغربية للامام المالكي ، والجنوبية للامام الحنبلي ، أما الامام الشافعي فيصلي في مقام ابراهيم أو في المطاف مما يلي الكعبة مباشرة جاعلا بابها علي يساره ، والحنفي يبتدىء بالصلاة في جميع الاوقات ثم يتلوه المالكي ثم الشافعي ثم الحنبلي ، الا صلاة الصبح فيبدأ بها الشافعي ويتأخر بها عنهم الحنفي ومما يلاحظ في الحرم ان أهل كل جهة من العالم الاسلامي يجلسون عادة في الجهة التي يستقبلون فيها الكعبة في بلادهم . فالاعجام تجدهم عند باب السلام ، والشوام والاتراك بينه وبين باب الزيادة والمصريون وراء المقام المالكي ، واليمانيون والجاوة والهنود وراء المقام الحنبلي . ومن أغرب ما شاهدت ان بعض المصريين يستعمل هناك البوصلة التي عملت الصلاة بمصر ولوحظ فيها الاتجاه لجهة مخصوصة ، ولا يمكن أن تؤدى وظيفتها الا في البلاد التي علي اتجاه مصر من الكعبة ، أما اذا وضعت مثلا في طريق المدينة أو اليمن أو الطائف فانها لاتؤدى وظيفتها بالمرة ، فليفهم ذلك من يجهله

« وللحرم صحن كبير غير مسقوف تقطعه مماش محجورة ، وما بينها أرض زلط دون الفولة يسمونها الحصباء ، وأول من حصب أرضية الحرم عمر رضي الله عنه ، والكعبة في وسط صحن المسجد يميل الي الجنوب ويليها من الشرق مقام ابراهيم . وفي جنوبه الشرقي قبة زمزم التي بناها أبو جعفر المنصور في سنة مائة وخمسة وأربعين وفرش أرضها بالرخام ، وعمقها المأمون ، أما الشبكة التي علي فوهتها فقد أمر بعملها السلطان احمد العثماني وشرقي زمزم الى الشمال باب شيبة وهي باكية كبيرة قامت وسط الحرم في حدود المطاف ، علي عمودين من البناء المكسو بالرخام في المكان الذي كان به باب المسجد في مدته صلي الله عليه وسلم . وفي شمال المقام المنبر ، وهو من الرخام غاية في حسن الصناعة أهداه الي الحرم السلطان

سليمان القانوني ومكتوب على بابه بالخط الذهبي الجميل (انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم) وأول من وضع المنبر بالمسجد الشريف معاوية بن أبي سفيان حين قدومه الى مكة حاجا وكان الخلفاء قبله يخطبون على أرضية المسجد تحت جدار الكعبة أو في الحجر ثم أهدى اليه سنة مائة وسبعين منبر من خشب جميل من صناعة مصر لمناسبة حج الرشيد الذى خطب الناس عليه في حجه في السنة المذكورة وفي خلافة الواثق أمر فعمل له ثلاثة منابر واحد وضع فى الحرم والثاني في عرفة والثالث في منى وخطب في حجه عليها جميعها . وقد كان الخطباء اذا أرادوا الخطبة فى الحر وضعوا المنبر لصق جدار الكعبة بين الركن الاسود والركن اليماني فاذا أراد الخطيب أن يخطب استلم الحجر اولا ثم دعا وصعد المنبر . وبعد الخطبة كان ينقل المنبر الي مكانه بجوار زمزم . فلما اهدى السلطان سليمان اليه منبره الرخامي نقل مكانه واستمرت فيه الخطبة الى اليوم . وفي حوائط المسجد الحرام من الداخل ابواب بعضها منافذ لبعض المدارس على الحرم و بعضها مخازن في يد خدمة المسجد أو الزمامة وهؤلاء يستعملونها أحياناً لاستحمام كبراء الحجاج فيها بماء زمزم أو وضوئهم منها

« وبالجملة فشكل الحرم المكي على بساطته في بنائه فخم جداً ووضعه صحي وصحنه الكبير يؤدى بلا شك الى المدينة وظيفته الميادين الكبرى كما سبق لنا بيانه في الكلام على مكة

« وشيخ الحرم هو الوالى عادة والحرم الشريف نائب وقائمقام النائب ومدير يقوم بشؤونه وعدد خدمة الحرم الشريف ٧٠٠ نفس منهم ١٢٢ خطباء وأئمة للمذاهب الاربعة و١٠٧ مدرسون و٤٥ مؤذنون و ١٠ منشدون و ١٢ فراشون و٨ وقادون و ٢٠ كناسون و ٣٠ بوابون و ١١ جبادون (ملاؤون) من بئر زمزم و ١٠٨ غسالون لقناديل الحرم وهناك وظائف أخرى أخصها وظائف الاغوات وعددهم ٥١ وهم يقومون بخدمات مختلفة في الحرم . وأول من رتب الاغوات في الحرم المكي الخدمة فيه هو الخليفة ابو جعفر المنصور ، أما الذين يقومون بخدمة الكعبة المكرمة

فهم صدنتها من بنى شيبة . والخدمة في الحرم وراثية غالبا ماعدا شيخه ومديره فانهما يعينان من طرف السلطنة، ووظيفة الاول تكاد تكون سياسية اكثر منها أدارية والخدمة فى الحرمين الشريفين محترمة جداً وتشرف بالنسبة اليها الخلفاء والسلاطين من زمن بعيد الي الآن . ويوجد ضمن رتب الدولة العثمانية رتبة مخصوصة اسمها «خادم الحرمين » انتهي ما نقلناه من رحلة حضرة الفاضل محمد لبيب بك البتانوني (انظر كعبة)

﴿مكي القيسي المصري﴾ — هو أبو محمد مكي بن أبي طالب حموش بن محمد ابن مختار القيسي المصري

كان من أهل التبحر في علوم القرآن والعربية حسن الفهم واخلاق جيد الدين والنقل كثير التأليف في علم القرآن محسنا لذلك مجوداً القراآت السبع عالما بمعانيها

ولد بالقيروان في شعبان سنة (٣٥٥) وقيل (٣٥٤) قال أبو عمر المقرى الداني انه نشأ بالقيروان وترعرع وسافر الي مصر وهو ابن ثلاث عشرة سنة فاختلف بها الي المؤدبين والعارفين بعلوم الحساب ثم رجع الي القيروان وكان اكبابه لاستظهار القرآن بعد فراغه من الحساب وغيره من الآداب وذلك في سنة(٣٣٤) ثم عاد الي مصر ثانية بعد امتكاله القراآت بالقيروان وحج في سنة (٣٧٧) ثم ابتدأ القراآت على أبي الطيب عبد المنعم بن عبيد الله بن غلبون الحلبي المقرى .نزل مصر في سنة(٣٧٨) فقرأ عليه بقية السنة وبعض سنة تسع ورجع الى القيروان وقد بقي عليه بعض القراآت ثم عاد الي مصر مرة ثالثة في سنة اثنتين وثمانين فاستكمل ما بقي له ثم عاد الي القيروان في سنة (٣٨٣) وقام بها يقرأ الي سنة (٣٨٧) ثم خرج الي مكة وأقام بها الى آخر سنة (٣٩٠) وحج أربع حجج متوالية ثم رجع من مكة سنة (٣٩١) فوصل الي مصر ثم رحل منها الي القيروان في سنة(٣٩٢) ثم ارتحل الي الاندلس وقدمها في رجب سنة ثلاث وتسعين وثلاث مئة فجلس للاقراء بجامع قرطبة وانتفع به خلق كثير وجودوا عليه القرآن وعظم اسمه في البلدة وجل فيها قدره ونزل عنده دخيلة قرطبة في في مسجد النخيلة الذى بالرواقين عند باب

العطارين فأقرأ به ثم نقله المظفر عبد الملك بن أبي عامر الي جامع الزاهرة وأقرأ فيه حتى انصرمت دولة آل عامر فنقله محمد بن هشام المهدى الي المسجد الخارج بقرطبة وأقرأ فيه مدة الفتنة كلها الى أن قلده الحسن بن جهور الصلاة والخطبة بالمسجد الجامع بعد وفاة يونس ابن عبد الله وكان ضعيفا عنها علي أدبه وفهمه وأقام في الخطابة الي أن مات رحمه الله تعالي. كان خيراً فاضلا متواضعا متدينا مشهوراً باجابة الدعاء وله في ذلك أخبار فمن ذلك ما حكاه أبو عبد الله الطرفي المقرى قال كان عندنا بقرطبة رجل فيه بعض الحدة وكان له علي الشيخ أبي محمد تسلط وكان يدنو منه اذا خطب ويغمزه ويحمي عليه سقطاته ، وكان الشيخ كثيراً ما يتلثم ويتوقف فحضر ذلك الرجل في بعض الجمع وجعل يحد النظر الي الشيخ ويغمزه فلما خرج منا ونزل في الموضع الذى كان يقرأ فيه قال لنا أمنوا علي دعائى ، ثم رفع يديه وقال : اللهم اكفنيه ، اللهم اكفنيه. فأمنا . قال فأقعد ذلك الرجل وما دخل الجامع بعد ذلك اليوم

للمكي المقرى تصانيف كثيرة نافعة فنها الهداية الي بلوغ النهاية في معاني القرآن الكريم وتفسير وأنواع علومه وهو سبعون جزءاً . ومنتخب الحجة لابي علي الفارسي ثلاثون جزءاً. وكتاب التبصرة في القراآت في خمسة أجزاء وهو من أشهر تآليفه . والموجز في القراآت جزآن وكتاب المأثور عن مالك في أحكام القرآن وتفسيره عشرة أجزاء . وكتاب الرعاية لتوجيد القرآن أربعة أجزاء . وكتاب اختصار أحكام القرآن أربعة أجزاء . وكتاب الكشف عن وجوه القراآت وعللها عشرون جزءاً . والايضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ثلاثة أجزاء . والايجاز في ناسخ القرآن ومنسوخه جزء . والزاعي في اسم الدالة علي مستعملات الاعراب أربعة أجزاء والتنبيه علي أصول قراءة نافع وذكر الاختلاف عنه جزآن. والانتصاف فيما رده علي أبي بكر الادفوى وزعم أنه غلط فيه . والامالة ثلاثة اجزاء. والوصلة الي أصحاب الانطاكي في تصحيح المد لورش ثلاثة أجزاء. والابانة عن معاني القراءة جزء . وكتاب الوقف علي كلا وبلي القرآن جزآن .

وكتاب الاختلاف في عدد الاعشار جزء وكتاب الادغام الكبير في الخارج جزء وكتاب بيان الصغائر والكبائر جزء وكتاب الاختلاف في القبيح من هو جزء. وكتاب دخول حروف الجر بعضها مكان بعض جزء. وكتاب تنزيه الملائكة عن الذنوب وفضلهم علي بني آدم جزء . وكتاب الياءات المشددة في القرآن والكلام جزء. وكتاب اختلاف العلماء في النفس والروح جزء. وكتاب ايجاب الجزاء علي قاتل الصيد في الحرم خطأ علي مذهب الامام مالك والحجة في ذلك جزء وكتاب مشكل غريب القرآن ثلاثة أجزاء . وكتاب بيان العمل في الحج أول الاحرام الي زيارة قبر رسول الله صلي الله عليه وسلم جزء . وكتاب فرض الحج علي من استطاع اليه سبيلا جزء وكتاب التذكرة لاختلاف القراء جزء وكتاب تسمية الاحزاب وكتاب منتخب كتاب الاخوان لابن وكيع جزآن . وكتاب الحروف المدغمة جزءان. وكتاب شرح التمام والوقف أربعة أجزاء . وكتاب مشكل المعاني والتفسير خمسة عشر جزءاً وكتاب هجاء المصاحف جزآن . وكتاب الرياض مجموع خمسة أجزاء . وكتاب المنتقي في الاخبار أربعة أجزاء . وله في القراءات واختلاف القراء وعلوم القرآن تصانيف كثيرة ولولا خوف التطويل لاستوعبت ذكرها وتوفي في يوم السبت عند صلاة الفجر ودفن يوم الاحد ضحوة لليلتين خلتا من المحرم سنة سبع وثلاثين وأربعمائة بقرطبة ودفن بالربض وصلي عليه ولده أبو طالب محمد رحمه الله تعالي . وحوش بفتح الحاء المهملة وتشديد الميم المضمومة وسكون الواو وبعدها شين معجمة . وقد تقدم الكلام علي القيسي والقيروان وقرطبة فأغنى عن الاعادة وأبو الطيب عبد المنعم بن غلبون المقرى المصرى المذكور في هذه الترجمة ذكره الثعالبي في كتاب اليتيمة فقال وكان علي دينه وفضله وعلمه بالقرآن ومعانيه وامرابه متقننا في سائر علوم الادب . أنشدت قصيدة منها قوله :

عليك بأقلال الزيارة انها
اذا كثرت كانت الي الهجر مسلكا
ألم تر أن الغيث يسأم دائما
ويطلب بالايدى اذا هو أمسكا

وقال غير الثعالبي ولد أبو الطيب

المذكور في رجب سنة تسع وثلاثمائة وتوفي بمصر يوم الجمعة لسبع خلون من جمادى الاولى سنة تسع وثلاثمائة رحمه الله تعالى (وفيات الاعيان)

﴿ أبو الحزم مكي الضرير المقرى ﴾

هو أبو الحزم مكي بن ريان بن شبة بن صالح الماكسيني المولد الموصلي الدار المقرى النحوى الضرير الملقب صائن الدين

قال القاضي بن خلكان رحمه الله: كان والده يصنع الانطاع بماكسين ومات فقيراً لم يخلف شيئاً وترك ولده أبا الحزم المذكور وأمه وبنتا فلم تقدر أمه على القيام بمصالحه بسبب الفقر وتضجرت منه ففارقها وخرج من بلده وقصد الموصل واشتغل بها بعلم القرآن والادب ثم رحل الي بغداد واجتمع بأئمة الادب وقرأ على أبي محمد بن الخشاب وابن الصفار وابن الانبارى وأبي محمد سعيد بن الدهان وقد تقدم ذكرهم ثم عاد الي الموصل وتصدر بها للافادة وأخذ الناس عنه وانتشر ذكره في البلاد وبعد صيته وانتفع به خلق كثير. وذكره أبو البركات بن المستوفي في تاريخ إربل فقال هو جامع فنون الادب وحجة كلام العرب المجمع على دينه وعقله، المتفق على علمه وفضله، رحل الي بغداد ولقي بها مشايخ النحو واللغة والحديث وكان واسع الرواية قد نصب نفسه للانتفاع عليه بالقرآن العزيز وجميع ضروب الادب ثم قال: وأنشدني من شعره وكان قد اشتغل عليه بالموصل أعني ابن المستوفي المذكور:

سئمت من الحياة فلم أردها
تسالمني وتشجيني بريقي
عدوى لا يقصر في اذاى
ويفعل مثل ذلك بي صديقي
وقد أضحت لي الحدباء دارا
وأهل مودتي بلوى العقيق

والحدباء كنية الموصل ومن شعره أيضاً

اذا احتاج النوال الى شفيع
فلا تقبله تضح قرير عين
اذا عيف النوال لفرد من
فأولي أن يعاف لمنتين

وله أيضاً:

على الباب عبد يسأل الاذن طالبا
له أدبا لا ان نعمك تحجب
فان كان اذن فهو كالخير داخل
عليك والا فهو كالشر يذهب

وهذا مأخوذ من قول بعضهم:

على الباب عبد من عبيدك واقف
بنعماك مغمور بشكرك معترف
أيدخل كالاقبال لا زلت مقبلا
مدى الدهر أم مثل الحوادث ينصرف

ثم قال المستوفي وكان قد أضر وهو ابن ثمان أو تسع سنين وكان أبداً يتعصب لابي العلاء المعرى ويطرب اذا قرىء عليه شعره للجامع بينهما من العمى والادب فسلك مسلكه في النظم. انتهى كلام ابن المستوفي »

ثم قال القاضي ابن خلكان: « قلت وحكي له بعض من أخذ عنه انه لما كان ببلده كان جيرانهم ومعارفهم يسمونه مكيك تصغير مكي فلما ارتحل واشتغل وحصل اشتاقت نفسه الى وطنه فعاد اليه فتسامع به من بقي ممن كان يعرفه فزاروه وفرحوا به لكونه فاضلا من أهل بلدهم وبات الليلة فلما كان السحر خرج الي الحمام فسمع امرأة في غرفتها تقول لاخرى: ماتدرين من جاء؟ فقالت لا. قالت مكيك بن فلانة. فقال والله لا أقمت في بلد أدعي فيها مكيك وسافر من غير ريث بعد أن كان قد نوى الاقامة بها مدة. وعاد الي الموصل ثم خرج الي الشام في أواخر عمره لزيارة بيت المقدس فانتهي اليه وقضى منه وطره ورجع الي الموصل من حلب. وكان دخوله الي الموصل في شهر رمضان. وتوفي ليلة السبت السادس من شوال سنة (٦٠٣) بالموصل وخلف له ولداً صغيراً، ودفن بصحراء باب الميدان في مقبرة المعافي بن عمران جوار أبي بكر القرطبي وابن الدهان النحوى رحمهم الله تعالى ويقال انه مات مسموماً من جهة صاحب الموصل نور الدين أرسلان شاه المقدم ذكره في حرف الهمزة لسبب اقتضي ذلك والله أعلم »

﴿ ابن مكي القرشي الدمشقي ﴾ هو محمد بن محمد مكي بن محمد بن الحسن بن عبد الله القرشي الدمشقي العدل الاديب بهاء الدين بن الدجاجية. كان يجيد النظم روى عنه الدمياطي من شعره:

ما راح عندكم النسيم ولا غدا
الا ليأخذ عند عبدكم يدا
أحباب قلبي ذلك القلق الذى
قد كان يأخذني عليكم ماهدا
كدرتم بعد الصفا وغدرتم
بعد الوفا وبخلتم بعد الجدى

وجعلتم الريان منزل حبكم
ولكم محب مات فيه من الصدا

وقال أيضاً :

من أين لقدك ذا الهيفُ
قد حار الواصف ما يصفُ
الرمح الاسمر بحسده
والغصن الاخضر والالف
فتبارك من أنشاك لقد
في الخلق تفاضلت النطف
يا أحسن بل يا أظرف من
زينت بذؤابته الكتف
وقاك الله تعالي العيـ
ـن وعن اعظامك تنصرف
كل الاقمار ببلدتنا
بضياء جبينك قد خسفوا
فاحكم فلأنت أميرهم
فيهم فببابك قد وقفوا
رافت أخلاقك للغربا
ء فكيف بمن بك قد ألفوا
قسما بهواك وما أخلي
قسم العشاق اذا حلفوا
وبمن خاضوا غمرات منى
وحصي الجمرات بها حذفوا

لا حلت عن الميثاق ولو
أودى حشاشتي التلف
يلحاني قوم ما فهموا
ما شاني فيك وما عرفوا

وقال أيضاً :

الي سلم الجرعاء أهدى سلامه
فماذا علي من قد لحاه ولامه
تجلد حتى لم يدع معظم الجوى
لرائيه الا جلده وعظامه

وقال أيضاً :

غرته غرته لما سرى
ظن بأن الصبح قد أسفرا
أقبل يسعي خفراً خائفاً
علي ذمام الوعد أن يخفرا
بحق ياقوم لمن قده الـ
ـخطار أن لا يذهب الاخطرا
ضممته اذ نام سماره
كما يضم البطل الاسمرا
بتنا وما في ليلنا من كرى
كأنما النوم غدا منكرا

وقال أيضاً دوبيت :

وما عذر فتى مامد للهويدا
والدوح قد اكتسى ثيابا جدلد

مالت طربا أغصانه راقصة
لما صدح الطير عليها وشدا

توفي سنة (٦٥٧)

﴿ ملأه ﴾ يملأه مَلأ شحنه وأفعمه فهو (مملوء) و (مَلِيء يملأ امتلأ) . و (ملُؤ يملُؤ مَلاءة) صار مَلِيئاً و (المَلِيء) الغني المقتدر . و (مالأه عليه) ساعده . و (هو مَلِيء بكذا) أي مضطلع به . و (تمالأ القوم عليه) اجتمعوا عليه . و (المُلاءة) الريطة ذات لفقين جمعها مُلاء . و (المِلء) اسم ما يؤخذه الاناء اذا امتلأ . و (المَلأ) الاشراف جمعه أملاء . و (المَلأ الاعلي) سكان حظائر القدس من الملائكة وأرواح الصالحين . و (المَلآن) الممتلىء . و (المِلأة) هيئة الامتلاء

﴿ الملآنة ﴾ نبات يشبه العدس ويتميز عنه بقرونه البيضية المنتفخة التي تحتوي علي بذرة أو بذرتين مستديرتين وهو يألف الارض الرملية الجيرية . يجلب هذا النبات في أوائل الصيف رطباً مشحونا بثماره فتؤكل بزوره خضراء ومتى جفت هذه البزور كانت الحبوب المسماة بالحمص

﴿ ملَح ﴾ يملُح مَلحا . وملُح يملُح مُلوحة صار مِلحا . وملُح يملُح مَلاحة) حسن منظره فهو مليح

(وفلان يتملَّح) اي يتكلف الملاحة و (المُلْحة) الكلمة المليحة . و (الملاّح) النوتي و (المَلاّحة) منبت الملح

﴿ الملح ﴾ الملح الذي تتبل به أطعمتنا جسم مركب من عنصرين يسمى أحدهما الكلور والآخر الصوديوم حتى ان الكيماويين يسمونه كلورور الصوديوم وهو كثير الوجود علي سطح الارض فيوجد في بعض الصخور القديمة ويعرف بالملح الجبلي وقد يكون علي هيئة كتل عظيمة في أغوار تحت الارض

ويوجد في اسبانيا جبل من الملح علي حالة النقاء التام حتى انه ليشبه الكتل العظيمة من الزجاج فيقطعه العمال منه كما يقطعون الاحجار من المحاجر

ومياه البحر تحتوي علي مقدار منه يختلف باختلاف الجهات فبعضها يحتوي كل لتر من مائه علي ٢١ غراماً منه كالمحيطين الاطلانتيقي والهادي وبعضها يحتوي كل لتر من مائه علي ١٦ غراماً منه كالبحر الاسود . وتقل هذه النسبة في بعض

البحار فلا يحتوى القنطار الواحد من ماء البحر الاحمر الاهلي نحو ٦ غرامات

أما البحر الابيض المتوسط فيحتوى القنطار منه على اكثر من ٣١ غراما فهو يعتبر اكثر البحار ملحاً

(كيفية استخراجه)

الملح لا يستخرج على صورة واحدة في البلاد المختلفة ففي بلاد النمسا مثلا يحفرون الارض الى أغوار عميقة حتى يصلوا الى معادنه فيها حيث يكون على هيئة طبقة سميكة جداً فيحفرون فيها ما يشبه الغرف ويملأونها بالماء فيذوب فيه جزء عظيم من الملح فيستخرجون ذلك الماء الى سطح الارض ويضعونه فى مراجل على النار فيتطاير الماء ويبقى الملح على هيئة حبوب بلورية

ويستخرجونه فى فرنسا بطريقة أسهل من هذه وهي انهم يعمدون الى الارض التى تحتوى على الملح في باطنها فيحفرون فيها آبارا حتى تصل الى الطبقات الملحية ثم يملأون تلك الآبار بالماء فيذوب الملح في ذلك الماء فيستخرج ويغلى في مراجل (قزانات) حتى يتبخر الماء ويبقى الملح

ولكن في البلاد الباردة التى لا يسمح الجو فيها بتبخر الماء على الدرجة المعتادة وليس لاهلها من الوسائل ما يمكنهم من اغلاء الماء الملح لتبخير الماء بالحرارة يعمدون الى تثليج الماء الملح ويساعدهم على ذلك كثرة الثلج عندهم وشدة البرد في بلادهم فيتثلج الماء النقى ويترك الملح في قاع الاحواض فيجنونه ويستعملونه

أما في بلادنا فيستخرج الملح بأيسر الطرق وأسهل الوسائل وذلك انه توجد بجوار البحر الملح في الاسكندرية ورشيد ودمياط احواض منسمة قليلة العمق تسمى بالملاحات فتملأ تلك الاحواض بمياه البحر في الصيف وتترك قليلا حتى يرسب ما يكون فيها من الاقذار ثم تنقل منها الى أحواض مجاورة لها وتترك فيها فيعد مروره مدة كافية يتطاير الماء من تلك الاحواض بتأثير حرارة الجو العادية ويبقى الملح راسبا في قاعها فيؤخذ ويكوم أكواما بجانبها ليتصفى مما يكون عالقا فيه من الماء فيؤخذ ويرسل الى الجهات ليستعمله الناس

(أنواع الملح)

الملح أنواع عديدة بسبب ما يكون عالقا مع عنصر به من الاملاح الاخرى أو المعادن فالملح الجبلي مثلا يكون أصفر اللون بسبب وجود أكاسيد معدنية فيه ولا يصح استعماله على تلك الصورة لانه يكون ضاراً فيجب تصفيته عدة مرات

وهناك أملاح أخرى يشوب طعمها شوائب من المرارة ويكون السبب فيها وجود املاح أخرى مع ملح الطعام وقد شوهد أن اجود الاملاح وانقاها هو ملح دمياط ورشيد

(خواصه وفوائده)

الملح معتبر من التوابل التى تعطى الاغذية طعما مشهياً للشهية فانها بدونه تكون تافهة لايستطاع تعاطيها حتى مياه الناس لذلك يصلح الطعام

ومن فوائده الصحية أنه يدر اللعاب فاذا وضعت قطعة منه في فك بأرت منها الغدد اللعابية فسال اللعاب وملأ الفم وذلك فائدة عظيمة في تسهيل الهضم

ذلك أن الاغذية التى نتناولها فيها نشا كثير يدخل في تركيب الخبز والبقول والبطاطس والفواكه وهذا النشا لا يهضم الا في الفم بواسطة اللعاب لان في اللعاب خميرة خاصة تؤثر عليه فتحيله الى سكر قابل للانهضام . اما لو نزل النشاء بحالته الى المعدة فلا ينهضم أصلا وينزل مع الفضلات كما هو فيحرم الجسم من فوائده

وبما أن الملح يثير الغدد اللعابية ويسيل مقدارا عظيما من اللعاب فيكون له فائدة عظيمة في تسهيل هضم الاغذية النشائية فضلا عن أن هذا اللعاب ضرورى أيضا لسجن بقية أصناف الاغذية في الفم

ولكننا مع اعترافنا بهذه الفائدة ننصح بعدم الاسراف في تعاطيه فانه تميل على المعدة مفسد لتركيب الدم حتى ذهب بعض كبار العلماء الى وجوب عدم تعاطيه أصلا محتجين بان الاملاح الموجودة في الخضر والاغذية الاخرى تكفي لما يحتاجه الجسد من الاملاح الضرورية لتركيبه

ولكنا اذا لم نستطع أن نسير على هذا المذهب فلا أقل من الاعتدال في تعاطيه

﴿ملَخ﴾ الشيء يملَخه جذبه و(امتلخ سيفه) انتضاه مسرعا .

و(امتلخ الضرس) اقتلعه

﴿الملوخية﴾ من الخضر المستعملة في بلادنا بكثرة تزرع ببذر بذورها في الحياض بعد حرثها جيداً وتسميدها تسميداً وافراً وهي تزرع في أي وقت بين فبراير واكتوبر

هذا النبات كثير المحصول في الاراضي الصفراء ويحتاج لعناية في الزرع والتسميد الكثير على الاخص والماء الغزير ويتوقف عدد مرات جنيها وجودة نوعها على هذه الاحوال

تجنى الملوخية لاول مرة بعد زرعها بخمسة وثلاثين أو اربعين يوما وقد تجنى سبع مرات بين المرة والاخرى نحو خمسة وعشرين يوما ومع هذا فقد تنحط جودة المحصول بعد الجنية الثالثة لقلة أوراقها وخشونتها وصغر حجمها وتنضج بذورها بعد شهرين

كثيراً ماتنمو الملوخية في مزروعات الاقطان كحشائش معطلة لنمو الزرع

وجاء في المادة الطبية للعلامة الرشيدي ما يأتي :

«واستنبت عندنا (الضمير مذكر لانه يعود على قوله الملوخية نبات) ببلاد المشرق وبلاد المغاربة لاجل الاكل فيؤكل مطبوخا عادة بالمصلوقات الدسمة والسلطات ولكن كثرة لعابيتها تصيرها عسرة الهضم

«وذكر بعض المتأخرين ان خواصها الطبية كخواص الخطمي وان مطبوخها يكون بالاكثر صدريا وان درهمين من بزورها تقذف أي تسهل الاخلاط اسهالا قويا . ويظهر أن هذا البعض أخذ هذا من كتب القدماء . فقد قال اطباء العرب قديما ان خواصها الدوائية كخواص الخبازى وان قيل انها تسخن قليلا وتنحدر سريعا لرطوبتها ولزوجتها فهي متوسطة الانهضام وانها تعطش الطفها وتهيج الحرارة وانه لاينبغي المبادرة باستعمال الماء عليها وان بزرها يسهل الاخلاط الغليظة واللزجة ويفتح السدد» انتهى

ثم قال العلامة الرشيدي:

«ولم يعط اليونان لهذا النبات اسم قرقوروس الذي معناه مسهل الا لكونه يرخي ويقلل انضمام الالياف العضلية المعوية فيتسبب عن ذلك الانحدار والافهو لايحتوي على جوهر

مسهل وانما يحصل منه الاسهال بفعله الميخانيكي . واوراقه الجافة قوية التأثير في فتح الخراجات ضماداً بالماء . ولننبهك على انه ذكر في المفردات الطبية العربية ان البستاني من الخبازى هو الملوخية فجعلوها صنفا من الخبازى مع ان الامر ليس كذلك بل ليست من فصيلتها الزيزفونية التي هي وان قربت للفصيلة الخبازية الا انها تختلف عنها باختلافات كثيرة مذكورة في علم النبات . ونظير ذلك ماقالوه أيضاً ان الخطمي نوع من الخبازى والحال ان كلا منهما الآن جنس مخصوص وان كانت فصيلتهما واحدة وعذرهم في ذلك عدم تقدم علم النبات في الازمنة السالفة فهم مقلدون لمن سبقهم من اطباء اليونان »

وجاء في كتاب الدكتور كلوت بك وهو الطبيب الفرنسي الذي استحضره محمد علي باشا والي مصر لانشاء المدرسة الطبية. وقد الف كتابه هذا بعد درس أحوال مصر ونباتاتها قال كما ورد في ترجمة كتابه المسماة بكنوز الصحة :

« من الاغذية الغروية الخبازى المعروفة بالخبيزة والبامية والملوخية لان كلا منها يحتوي على كثير من المادة الغروية وهي جيدة للتغذية طبيعة الا انها لاتناسب بعض الاشخاص لانهم يحصل لهم تعب من أكلها وأحياناً يحصل لهم قيء . ومن كانت طبعته كذلك ينبغي أن لايتناول منها شيئاً الا بعد خلطها بجواهر أخرى أقل غروية منها . وهذه الغروية توجد في الاسفاناخ والرجلة والخس والسلق ولكنها أقل مقداراً مما في الخبازى والبامية والملوخية»

نقول في هذه المناسبة ان العامة يخطئون في زعمهم ان الملوخية قليلة التغذية اذا أرادوا انها كذلك في ذاتها ، ويصيبون اذا قصدوا انها كذلك على الاسلوب الذي يعملونها به . ذلك انهم يحتونها حتى تكاد تكون عجينا ثم يشبعونها بالماء فتصير أشبه بمرق الخضر (او شوربة الخضر) ثم يتعاطونها لا بالملاعق بل بغمس اللقمة فيها ، وماذا عسى ان يعلق باللقمة منها غير قطع لا تجدي في التغذية ؟ ولكنهم ان قللوا ماءها واكثروا من أكل مادتها كانت من احسن الخضر تغذية

﴿ ملد ﴾ امرأة امْلُود وأُمْلودة اي

ناعمة . و (الشاب الأمْلد) اى الناعم

﴿ ملُس ﴾ الشيء يملُس ملسا وملاسة ضد خشن . و (ملّسه) جعله أملس و (تملّس وانملس) افلت

﴿ ملَص ﴾ الشيء يملُص ملصا سقط متزلجا . و (تملّص) تفلت وتخلص و (انماص) انفلت

﴿ ملصية ﴾ بلد غربي الفرات كثير الفواكه شديد البرد وهي في مستوى من الارض تحيط بها جبال

﴿ الملطاط ﴾ قال ياقوت الحموى في معجم البلدان هو الطريق على ساحل البحر وكان يقال لظاهر الكوفة الملطاط وما ولي الفرات منه الملطاط

﴿ ملَطية ﴾ قال ياقوت الحموى في معجم البلدان هي مدينة من بناء الاسكندر وجامعها من بناء الصحابة وهي من بلاد الروم مشهورة تناخم الشام

وقال ابن حوقل عند الكلام على العواصم وهي الثغور التي كانت تفصل بين المسلمين والروم وكانت تشحن بالمقاتلة تارة من هؤلاء وطوراً من أولئك على حسب دخولها في حوزتهم وكانت مدينة ملطية من أكبر الثغور وأكثرها سلاحا ورجالا دون جبل الكلام الى مابلي الجزيرة وبحف بها جبال كثيرة فيها الجوز والكروم والفوز وسائر الثمار الشتوية والصيفية مباحة لاهالك لها وهي من أقوى بلاد الروم في هذا الوقت يسكنها الارمن وفتحت في سنة (٣١٩)

وقال صاحب المرآة وأما مدينة ملطية فهي بقرب الفرات ومصب نهر قره صو أهلها نحو ١١٠٠٠ نفس منهم ٨٠٠٠ مسلمون والباقي أرمن وكانت قديما مشهورة ولكنها انحطت من عظمتها كثيراً والظاهر أن موقعها الآن غير موقعها القديم والى الجنوب منها سميساط على الفرات والى الغرب من هذه مرعش

﴿ ملكه ﴾ يملكه مِلكا ومَلكا ومُلكا استولى عليه . و(ملك العجين) عجنه وأنعم عجنه و(ملّكه الشيء) جعله له ملكا ومنه (أملكه) و(أملك فلانا المرأة) زوجه اياها . و (تملّك) ملك . و(المِلاك) الاقتدار . و (مِلاك الامر) قوامه الذى يملك به و (المُلك) اسم لما يملك . و(ماله مِلك) أى شيء يملكه . و(اعطاه من مَلكه ومُلكه ومِلكه)أى مما يقدر عليه . و(المالك

والمَلِك) صاحب الملك ومتلها المَليك و (أقر بالمَلكة والمُلوكة) اى بالملك. و (المَلكة) صفة النفس راسخة فيها . و (الملكوت) العز والسلطان والملك العظيم. و (الملكة) عز الملك وسلطانه. و (المملوك) العبد

﴿ عبد الملك بن مروان ﴾ أحد خلفاء بني أمية هو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الاموى

بويع له بعد أبيه في خلافة الزبير وصار ملكه على مصر والشام وملك ابن الزبير على باقي البلاد مدة سبع سنين ثم غلب عبد الملك على العراق وبقية البلاد وقتل ابن الزبير واستوثق الامر له

كان عبد الملك عابداً ناسكا بالمدينة شهد يوم الدار (اليوم الذى قتل فيه عثمان) مع أبيه وهو ابن عشر سنين

قال ابن سعد واستعمل معاوية على المدينة وهو ابن ست عشرة سنة وسمع عثمان وأبا هريرة وأبا سعيد وأم سلمة وابن عمر ومعاوية. وهو أول من سمي عبد الملك في الاسلام

قال أبو الزناد فقهاء المدينة سعيد بن المسيب وعبد الملك بن مروان وعروة بن الزبير وقبيصة بن أبي ذؤيب

وعن ابن عمر قال ولد الناس أبناء وولد مروان آباء

وقال يحيى بن سعد أول من صلى في المسجد مابين الظهر والعصر عبد الملك ابن مروان

وقال ابن عائشة أفضى الامر الى عبد الملك والمصحف في حجره فأطبقه وقال هذا فراق بيني وبينك . نقول لعل هذا مكذوب عليه أو لعله قال ذلك يريد به ان مهام الخلافة ستقطعه عن تلاوته وتحرمه منه . ولكنا على أى حال نأخذ مثل هذه الاقوال بتحفظ فان أكاذيب المؤرخين في تلك الازمان كانت من الشيوع بحيث لايمكن أن نصدر حكما صحيحا على رجل الا بعد تمحيص جميع الاقوال فيه

كان عبد الملك ربعة أبيض ليس بالبادن ولا النحيف مقرون الحاجبين كبير العينين شرف الانف كثير الشعر مفتوح الفم مشبك الاسنان بالذهب وكان يلقب برشح الحجر لبخله ولد يوم تولي عثمان بن عفان الخلافة وكانت

مدة ملكه احدى وعشرين سنة ولما مات صلي عليه ابنه الوليد . وفي أيامه حولت الدواوين الي العربية وكانت لغتها الرومية والفارسية . ونقشت الدنانير والدراهم بالعربية ايضا سنة(٧٦)وكانت علي الدنانير قبل ذلك كتابة بالرومية وعلي الدراهم كتابة بالفارسية

يقال انه كتب الي الحجاج مرة بلغني عنك اسراف في القتل وتبذير في المال وهاتان خلتان لا أحتمل عليهما أحداً وقد حكمت عليك في العمد بالقوَد وفي الخطأ بالدية وفي الاموال ان تردها الى مواضعها وكتب في آخرها

وان ترمني غفلة قرشية
فيار بما قد غص بالماء شاربه
وان ترمني غضبة اموية
فهذا وهذا كل ذا أنا صاحبه
سأملي لذي الذنب العظيم كأنني
اخو غفلة عنه وقد جب غاربه
فان كف لم اعجل عليه وان ابي
وثبت عليه وثبة لا أراقبه

ولما قتل عمرو بن سعيد بن العاص خطب الناس فقال بعد حمد الله والثناء عليه :

«أما بعد فلست بالخليفة المستضعف ولا الخليفة المداهن ، ولا الخليفة المأفون الا وان من كان قبلي من الخلفاء كانوا يأكلون ويطعمون من هذه الاموال ، الا واني لا أداهن هذه الامة الا بالسيف حتى تستقيم لي قناتكم ، تكلفونا أعمال المهاجرين الاولين ولا تعملون من أعمالهم فلم تزدادوا الا اجتراحا ولن تزدادوا الا عقوبة ، وهذا حكم السيف بيننا وبينكم هذا عمرو بن سعيد قرابته قرابته وموضعه موضعه قال برأسه هكذا فقلنا بالسيف هكذا . ألا وانا نحتمل معكم كل شيء الا وثوبا علي منبر أو نصب راية . الا وان الجامعة التي جعلتها في عنق عمرو بن سعيد عندي. والله لا يفعل أحد فعله الا جعلتها في عنقه ، ثم لا تخرج نفسه الا صعدا

وزاد بعض الرواة انه قال بعد ذلك « والله لا يأمرني احد بتقوى الله بعد مقامي هذا الا ضربت عنقه » ثم نزل فركب ناقته وأخذ بزمامها وقال :

فصحّت ولا شلت وضرت عدوها
يمين أراقت مهجة ابن سعيد

وعبد الملك هذا أول من نهي عن الكلام بحضرة الخلفاء وأن يعترضوا عليهم

فيما يفعلون

تقول عبد الملك بن مروان يعتبر أكبر خلفاء بني امية وقد أدرك الامر من أوله وحدثت في أيامه احداث عظيمة تعد حاسمة في تاريخ الخلافة وقد صارت مقدمات لما جاء بعدها من التقاليد الاجتماعية فلا يصح ان نوجز في ترجمته ولا ان نستخلصها من اقوال المؤرخين بل الأمثل ان نترك الكلام فيها لمؤرخ قريب من ذلك الزمن ، بعيد عن عهد التنطع في القرون المتأخرة ، وهو العلامة ابي محمد عبد الله مسلم بن قتيبة المتوفي في سنة (٢٧٠) فقد أفاض في هذه الحوادث الكبيرة في كتابه الامامة والسياسة قال :

«ان عبد الملك بن مروان بايع لنفسه بالشام ووعد الناس خيراً ودعاهم الى احياء الكتاب والسنة واقامة العدل والحق . وكان معروفا بالصدق مشهوراً بالفضل والعلم ، ولا يختلف في دينه ولا ينازع في ورعه ، فقبلوا ذلك منه ولم يختلف عليه من قريش احد ولا من اهل الشام فلما تمت بيعته خالفه عمرو بن سعيد الأشدق فوعده عبد الملك ان يستخلفه بعده فبايعه علي ذلك وشرط عليه أن لا يقطع شيئا دونه ولا ينفذ أمراً الا بمحضره فأعطاه ذلك ثم أن عبد الملك بعث حبيش بن دجلة لي المدينة في سبعة آلاف رجل فدخل المدينة وجلس علي المنبر الشريف فدعا بخبز ولحم فأكل علي المنبر ثم أتي بماء فتوضأ علي المنبر . قال أبو معشر فحدثني رجل من أهل المدينة يقال له أبو سلمة قال شهدت حبيش بن دجلة يومئذ وقد أرسل الى جابر بن عبد الله الانصاري فدعاه ، فقال تبايع لعبد الملك أمير المؤمنين بالخلافة عليك بذلك عهد الله وميثاقه وأعظم ما أخذ الله علي أحد من خلقه بالوفاء فان خالفت فأهرق الله دمك علي الضلالة ؟ فقال له جابر بن عبد الله انك اطوق علي ذلك مني ولكني أبايعك علي ما بايعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يوم الحديبية علي السمع والطاعة. قال ثم ارسل الي عبد الله بن عمر فقال له تبايع لعبد الله عبد الملك امير المؤمنين علي السمع والطاعة؟ فقال ابن عمر اذا اجتمع الناس عليه بايعت له ان شاء الله ثم خرج ابن دجلة من يومه ذلك نحو الربذة وقام في أثره رجلان احدهما

على اثر الآخر مع كل واحد منهما جيش وكل واحد منهما يصعد للمنبر ويخطب ثم خرجوا جميعاً الى الربذة وذلك في رمضان سنة خمس وستين فاجتمعوا بها واميرهم ابن دجلة وكتب ابن الزبير الى عباس بن سهل الساعدي بالمدينة ان سر الي حبيش بن دجلة واصحابه في ناس فسار حتى لقيهم بالربذة في شهر رمضان وبعث الحارث ابن عبد الله بن ابي ربيعة من البصرة مدداً الي ابن الزبير حنيف ابن السجف في تسعمائة رجل فساروا حتى انتهوا الي الربذة فبات اهل البصرة يقرأون القرآن ويصلون ليلتهم حتى اصبحوا وبات الآخرون في المعازف والخمور فلما اصبحوا قال لهم حبيش بن دجلة اهريقوا مادكم حتى تشربوا من صويقكم المعتد فأهرقوا الماء وعمدوا الي القتال فقتل حبيش ومن معه من اهل الشام وتحصن من أهل الشام خمسمائة رجل على عمود الربذة وهو الجبل الذى بها قال وكان يوسف بن الحجاج مع ابن دجلة قال واحاط بهم عباس بن سهل فقالوا انزلوا على حكمي فضرب اعناقهم

(خلبة ابن الزبير على العراقين وبيعتهم) قال وذكروا ان ابن عباس ابن سهيل لما فرغ من قتال أهل الشام رجع الى المدينة فجدد البيعة لابن الزبير فساروا اليها ولم يتثبطوا وقدم أهل البصرة على الزبير بمكة فكانوا معه وكان عبد الله بن الزبير استعمل الحارث بن عبد الله بن ربيعة على البصرة فلما قدمها قيل له ان الناس يقطعون المراهم حتى يجعلونها كأنها أصفار. فقال لهم هل بسبعة فقالا. فأتوه بسبعة فقال. فقال هذه بعشرة فزنوا كيف شئتم. قال وأتوه بالمكيال الذى يكيلون به فقال هذا قريب صالح ثم قيل له ان اهل البصرة لا يصلحهم الا القتل فقال: لأن تفسد البصرة احب الي من ان يفسد الحرث والنسل. قال فبعث ابن الزبير حمزة بن عبد الله بن الزبير الي البصرة عاملا فاستحقره اهل البصرة فبعث مصعب بن الزبير فقدم عليهم فقال: أهل البصرة لايقدم عليكم أحد الا تقبلوه وانا القى لكم نفسي انا القصاب. ثم سار الي المختار فقتله

(بيعة أهل الكوفة لابن الزبير وخروج ابن زياد عنها) قال وذكروا عن بعض المشيخة من أهل العلم بذلك

قالوا كان ابن زياد أول من ضم اليه الكوفة والبصرة وكان أبو زياد كذلك قبله فلم يزل عبيد الله يتتبع الخوارج ويقتلهم ويأخذ على ذلك الناس بالظن ويقتلهم بالشبهة واستعمد الي عامتهم وكان بعضهم له على ما يحب: قال فلما اختلف أمر الناس ومات يزيد واشتد سلطان ابن الزبير وغاظ شأنه وعظم أمره وخلع أهل البصرة طاعة بني أمية وبايعوا ابن الزبير خرج عبيد الله بن زياد الى المسجد فقام خطيباً فحمد الله واثنى عليه وقال: أيها الناس ان الذى كنا نقاتل على طاعته قد مات وأختلف أمر الناس وتشتت كلمتهم وانشقت عصاهم فان أمرتموني عليكم حييت فيكم وقاتلت عدوكم وحكمت فيكم وانصفت مظلومكم وأخذت على يد ظالمكم حتى يجتمع الناس على خليفة

فقام يزيد بن الحارث بن رويم الشكرى وقال الحمد لله الذى أراحنا من بني أمية وأخرى من ابن سمية لا والله ولا كرامة فأمر به عبيدالله فلبب ثم انطلق به الي السجن فقامت بكر بن وائل فحالت بينه وبين ذلك ثم خرج الثانية عبدالله ابن زياد الي المنبر فخطب الناس فحصبه الناس ورموه بالحجارة وسبوه. وقام قوم فدنوا منه فنزل فاجتمع الناس في المسجد فقالوا نؤمر رجلا حتى نجتمع الناس على خليفة فاجتمع رأيهم على أن يؤمروا عمرو ابن سعد بن أبي وقاص وكان الذين قاموا بأمره هذا الحي الذى من كندة فبينما هم على ذلك اذا أقبل النساء يبكين ويندبن الحسين وأقبلت عمدان حتى ملأوا المسجد فأطافوا بالمنبر متقلدين بالسيوف وأجمع رأى أهل البصرة والكوفة على عامر بن مسعود بن أمية بن خلف فأمروه عليهم حتى يجتمع الناس وكتبوا الي عبدالله بن الزبير يبايعونه بالخلافة فأقر عبد الله بن الزبير عاملا عليهم نحواً من سنة واستعمل العمال في الامصار فبلغ أهل البصرة ما صنع أهل الكوفة فاجتمعوا وأخرجوا الرايات فلم يبق أحد الا خرج وذلك لسوء آثار عبيد الله بن زياد فيهم يطلبون قتله. ثم قام ابن أبي ذؤيب فقال: يا هؤلاء من ينصر الله ينصر الكعبة من يغار على ابن سمية، سارعوا أيها الناس الي مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض واجتنبوا هذه الدعوة وأقبلوا

قوّد هذه البيعة فانها بيعة هدى فانه من
قد علمتم عبدالله بن الزبير حواري رسول
الله صلي الله عليه وسلم وابن عمته وابن
أسماء بنت أبي بكر الصديق أما والله لو
ان أبا بكر علم أنه بقي علي الارض من
هو خير منه وأولي بهذه البيعة مامد يده
ولا نازعته اليها نفسه وأما والله لقد علمتم
ما أحد علي وجه الارض خير ولا أحق
بها الا هذا الشيخ عبد الله بن عمر المتبرى
من الدنيا المعتزل عن الناس الكاره لهذا
الامر . ثم خرجت الخوارج من سكون
عبيد الله بن زياد واجتمعوا علي حدة
والقبائل كل قبيلة في المسجد معتزلة علي
حدة وعبيد الله بن زياد في القصر وقد
أخذوا بأبوابه وقد تمنع أن يدخل القصر
أحد وقد أخذت العرب بأفواه السكك
والدروب وكان عبيدالله أول من جفا
العرب وأخذ منهم المحاربة اثنى عشر الفا
ليعتزبهم فوالله مازادوه الا ذلا فلما رأى
ذلك عبيد الله بن زياد لم يدر كيف يصنع
وخاف تميما وبكر بن وائل وأن يستجير
بهم ولم يأمن غدرهم فأرسل الى الحارث
ابن قيس الجهني من الازد فدخل عليه
الحارث قال يا حارث قد اكرمتم زياداً
وحفظتم منه ما كنتم أهله وقد استجرت
بكم فانشدكم الله في . قال الحارث أخاف
أن لا تقدر علي الخروج الينا لما نرى من
سوء رأى العامة فيك مع سوء آثارك في
الازد . قال فتهيأ عبدالله فالبس ابس امرأة
في خمرتها وعقيصتها فأردفه الحارث خلفه
فخرج به علي الناس فقالوا ياحارث ماهذا
قال تنحوا رحمكم الله هذه امرأة من أهلي
كانت زائرة لاهل ابن زياد أتيت اذهب
بها . فقال عبيدالله للحارث أين نحن ؟ قال
في بني سليم فقال سلمنا الله . قال ثم سار
قليلا ثم قال أين نحن ؟ قال في بني ناجية
من الازد قال نجونا ان شاء الله. قال فأتي
به مسعود بن عمرو وهو يومئذ سيد الازد
فقال يا أبا قيس قد جئتك بعبيد الله
مستجيراً قال ولم جئتني بالعبد؟ قال أنشدك
فقد اخترتك علي غيرك . فلما رآهم عبيدالله
يتراضون ويتناشدون قال قد بلغني الجهد
والجوع. قال مسعود ياغلام ائت البقال
فأتنا من خبزه وتمره. قال فجاء به الغلام
فوضع. قال فأكل . وانما أراد ابن مسعود
أن يتحرم . بطعامه . ثم قال ادخل فدخل
ومنارات الناس يومئذ قاصية. قال فكأن
عبيد الله خاف فقال يا غلام اصعد الي

السطح بحزمة من قصب فأشعل أعلاه
ناراً فعل ذلك في جوف الليل فاقبلت
الازد علي الخيل وعلي أرجلها ثم شحنوا
السكك وملأوها فقالوا مالسيدنا ، قال
شيء حدث في الدار قال فعرف عبيد الله
عزته ورفعته وما هو عليه ، قال هذا والله
العز والشرف . فاقام عنده أياما وعنده
امرأتان امرأة من الازد وامرأة من عبد
قيس فكانت العبدية تقول اخرجوا العبد
وكانت الازدية تقول استجار بك علي
بغضه ايك وجفوته لك . وتحدث الناس
انه لجأ الي مسعود ابن عمر فجمعت
القبائل في المسجد والخوارج وهم في أربعة
آلاف . فقال ابن مسعود ما اطمئن الا
خارجا الي البصرة معتذرا اليهم من أمر
عبيد الله ثم قال وكيف آمن عليه وهو في
منزلي ولكني ابلغه مأمنه ثم اعتذر اليهم
قال وكان مسعود قد أجار عنده ابن زياد
أربعين ليلة . قال فأقبل مسعود يوما علي
برذون له وحوله عدة من الازد عليهم
السيوف وقد عصب رأسه بسير أحمر قال
الهيثم قلت لابن عباس لم عصب رأسه
بسير احمر ؟ قال قد سألت عن ذلك قبلك
فقال شيخ من الازد كان ضخم الهامة
وكانت له ضفيرتان فعصب ذلك بالسير
قال ابن عباس فذكرت ذلك لمروان
هرم وكان معنا بواسط فقال : حدثك من
لا يعرف ، هذا شيء كانت العرب تصنعه
اذا أراد الرجل الاعتذار من الذنب عصب
السير ليعلموا انه معتذر قال فأقبل مسعود
حتى انتهى الي باب المسجد ومعه أصحابه
رجالة بين يديه وخلفه . وكان كبيراً فلم
يستطع النزول والقبائل في المسجد بأجمعها
فدخل المسجد بدابته فبصرت به الخوارج
فظنوا انه عبيد الله فأقبلوا نحوه متقلدين
السيوف وجال الناس جولة فضربوه
بأسيافهم حتى مات . فقتله نفر من بني
حنيفة من الخوارج وجال الناس ونهضوا
من مجالسهم وبلغ ذلك الازد فأقبلوا علي
كل صعب وذلول واقبل عباد بن
الحصين لينظر الى عبيد الله فاذا هو
بمسعود فقال : مسعود ورب الكعبة انا
لله وانا اليه راجعون ، ايا قيس قد وفيت
ماكان اغنى اهل مصرك بما صنعت من
ذلك فجنهم بنفسك . ثم التقي عليه كلمة
ثم اقبلت الازد فكان بينهما وبين مصر
ماوقع ذكره في غير هذا الكتاب حتى
اصطلحوا وتراضوا علي بيعة ابن الزبير

قال الهيثم قال ابن عباس حدثني هوكل البشكري قال : انا مع عبيد الله بن زياد في ليلة مظلمة فاذا نحن بنار من بعد فقال عبيد الله ياهوكل كيف الطريق قال اجعل النار على حاجبك فقال بل على حاجبك قال هوكل : فوالله انا للسير بالسيارة اذ قال عبيد الله قد كرهت البعير فابغوالي ذا حافر قال فاذا نحن باعرابي من كلب معه حمار اقرضخم فقلت بعيمه بكم فقال بأربعمائة درهم لا انقصكم درهما فأشار الينا عبيد الله ان خذوه قال فجعلنا ننقده الدراهم قال لست أدري من هذه ولكن بيني وبينكم هذا المولي يعني عبيد الله بن زياد وكان عبيد الله احمر أقمر شبيها بالموالي قال فأخذه منه : فقال عبيد الله ارحلوا لي عليه. فرحلنا له عليه فلما قدم ليركب قال الاعرابي وانا أقسم بالله ان لكم شأنا وما اظن صاحبكم الا والي العراق فاستعفاه عبيد الله بالمعا فضربه بها فوقع ثم شدوه وثاقا قال وجعلوا يتجنبون المياه . قال هوكل ثم ان عبيد الله بينا هو علي راحلته اذا هجمت عينه . فقلت له أراك نائما فقال ماكنت بنائم . فقلت له ما أعلمني بما كنت تحدث به نفسك ؟ قال وبأي شيء كنت أحدث به نفسي ؟ قال قلت لبيتي لم ابن البيضاء ولم استعمل الدهاقين ولبيتني لم أتخذ المخارية . قال ماخطر لي هذا على بال . أما قولك لبيتني لم ابن البيضاء فما كان علي منها ثم بناها اليزيد من ماله . وأما استعمال الدهاقين فقد استعملهم أبي ومن كان قبله . وأما المخارية فوالله ماتخذتهم الا وقاية لأني كنت أقتل بهم أهل المعصية فلو أمرت عشائرهم بهم لم يقتلوهم ولشق ذلك عليهم فجعلت ذلك بيني وبينهم من لا إل بينه وبينهم ولكني كنت احدث نفسي اني ندمت على تركي أربعة آلاف في السجن من الخوارج فوددت اني كنت اضرمت البيضاء عليهم حتى آتي على آخرهم ووددت اني جمعت آلي وموالي وناينت أهل المصر على سواء حتى يموت الاعجل ووددت اني قدمت الشام ولم يبلغ أهلها بعد

(قتل المختار عمرو بن سعد) قال وذكروا أن المختار ابن أبي عبيد كتب الى عبد الله بن الزبير من الكوفة وقال لرسوله : اذا جئت مكة فدفعت كتابي الى عبد الله بن الزبير فأت المهدى بعد

ابن علي وهو ابن الحنفية فاقرأ عليه مني السلام وقل له يقول لك أخوك ابو اسحاق اني احبك واحب أهل بيتك قال فأتاه الرسول فقال له ذلك . فقال له كذبت وكذب ابو اسحاق معك كيف يحبني ويحب أهل بيتي وهو يجالس عمرو بن سعد ابن ابي وقاص علي وساده وقد قتل الحسين بن علي اخي ؟ قال فلما قدم عليه رسوله اخبره بما قال محمد ابن الحنفية، فقال المختار لابن عمر صاحب حرسه استأجر لي نوائح يبكين الحسين ، قال عمرو لابنه حفص يابني قل له ماشأن النوائح يبكين الحسين ؟ قال فأتاه فقال له ذلك فقال له هل لك أن تبكي عليه ؟ فقال اصلحك الله انهون عن ذلك ، قال نعم ، ثم دعا أبا عمرة فقال اذهب الي عمرو بن سعد فأتني برأسه ، قال فأتاه فقال قم الي ابي حفص فقام اليه وهو ملتحف، فجلاه بالسيف ثم جاء برأسه الى المختار وحفص جالس عنده على الكرسي فقال هل تعرف هذا الرأس قال نعم رحمة الله عليه ، قال أتحب أن الحقك به ؟ قال وما خير الحياة بعده قال فضرب رأسه فقتله قال ثم أرسل عبد الله بن الزبير يزيد بن زياد على العراق فكان بالكوفة حتى مات يزيد واحرقت الكعبة ورجم الحسين هاربا الي الشام . قال ثم أرسل عبد الله ابن مطيع الى الكوفة ثم بعث المختار ابي عبيد على الكوفة وعزل عبد الله بن مطيع وسيره الي المدينة وصار عبيد الله بن زياد بعد ذلك الي المختار . وجهه عبد الملك بن مروان اميراً علي العراق وندب معه جيشاً عظيما من أهل الشام فأقبل الى الكوفة يريد المختار فالتقوا بجازر فاقتتلوا فقتل المختار عبيد الله بن زياد ومن معه وكان معه الحصين بن نمير وذو الكلاع وغلبة من كان معه ممن شهد وقعة الحرة من رؤسهم

(قتل مصعب بن الزبير المختار بن ابي عبيد الله) قال وذكروا أن ابا عمرو قال لما قتل عبيد الله بن زياد ومن معه ارتفي أهل البصرة عبد الله بن الحارث ان توفل فأمروه علي انفسهم ثم اتي عبد الله بن الزبير وام عبد الله بن الحارث عند بيت ابي سفيان وكانت امه تتبزه وهو صغير يبيت فلقب ببه ثم بعث عبد الله بن الزبير الحارث بن عبيد الله بن ابي ربيعة عاملا علي البصرة ثم بعث

{ ٥٠ = دائرة = ٤ = ١ }

حمزة بن الزبير بعده ثم بعث مصعب بن الزبير أخاه وضم اليه العراقين جميعاً الكوفة والبصرة فلما ضم اليه الكوفة وعزل المختار عبد الله بن الزبير بالكوفة ودعا الي آل الرسول وأراد أن يعقد البيعة لمحمد بن الحنفية ويخلع عبد الله بن الزبير فكتب عبد الله الي أخيه مصعب أن سر الي المختار بمن معك ثم لا تبلغه وثيقه ولا تمهله حتى يموت الأعجل منكما. فأتاه مصعب بمن معه فقاتله ثلاثة أيام حتى هزمه وقتله وبعث مصعب برأس المختار الي أخيه . وقتل مصعب أصحاب المختار . قتل منهم ثمانية آلاف صبراً ثم قدم حاجاً في سنة احدى وسبعين فقدم عبد الله بن الزبير معه رؤساء أهل العراق وأشرافهم . فقال يا أمير المؤمنين قد جئتك برؤساء أهل العراق واشرافهم كل مطاع في قومه وهم الذين سارعوا الي بيعتك وقاموا بأحياء دعوتك ، ونابذوا أهل معصيتك وسعوا في قطع عدوك فأعطهم من هذا المال . فقال له عبد الله بن الزبير : جئني بعبيد أهل العراق وتأمرني أن اعطيهم مال الله لا أفعل ، وأيم الله لوددت أني أصرفهم كما تصرف الدنانير بالدراهم عشرة من هؤلاء برجل من أهل الشام . قال فقال رجل منهم عاتناك وعاتقت أهل الشام . ثم انصرفوا عنه وقد يئسوا منه فاجتمعوا وأجمعوا علي خلعه فكتبوا الي عبد الملك ابن مروان أن أقبل الينا

(خلع ابن الزبير) قال وذكروا أن أبا معشر قال لما اجتمع القوم علي خلع ابن الزبير وكتبوا الي عبد الملك ابن مروان أن سر الينا فلما أراد عبد الملك أن يسير اليهم وخرج من دمشق فأغلق عمرو بن سعيد باب دمشق فقيل لعبد الملك مالصنع أتذهب الى أهل العراق وتدع دمشق ، أهل الشام أشد عليك من أهل العراق . فأقام مكانه فحاصر أهل دمشق أشهرا حتى صالح عمرو بن سعيد علي أنه الخليفة بعده ففتح دمشق ثم أرسل عبد الملك الي عمرو وكان بيت المال بيد عمرو ان أخرج الحرس أرزاقهم قال عمرو ان كان لك حرس فانا لنا حرساً قال عبد الملك أخرج لحرسك أرزاقهم أيضاً

(قتل عبد الملك عمرو بن سعيد)

قال وذكروا أن أبا معشر قال :—

أصطلح عبد الملك وعمرو بن سعيد قال انه الخليفة بعده أرسل عبد الملك الي عمرو بن سعيد نصف الليل اثنى أبا أمية قال فخرج ليأتيه فقالت له امرأته لا تذهب اليه فاني أتخوفه عليك واني لأجد ريح دم مسفوح . فما زالت به حتى ضربها بقائم سيفه فشجها ، فتركته وأخرج معه أربعة آلاف رجل من أهل دولته لا يقدر علي مثلهم متسلحين فأحدقوا بخضراء دمشق وفيها عبد الملك بن مروان . فقالوا لعمرو اذا دخلت علي عبد الملك يا أبا أمية ورأيت منه شيء فأسمعنا صوتك فقال لهم ان خفي عليكم صوتي ولم تسمعوه فالزمان بيني وبينكم ميعاد ان زالت الشمس ولم أخرج اليكم فاعلموا اني مقتول أو مغلوب فضعوا أسيافكم ورماحكم حيث شئتم ولا تغمدوا سيفا حتى تأخذوا بثاري من عدوي . قال فدخل وجعلوا يصيحون يا أبا أمية أسمعنا صوتك وكان معه غلام اسحم شجاع فقال له اذهب الى الناس فقل لهم ليس عليه بأس ليسمع عبد الملك ان وراءه ناس. فقال له عبد الملك أتمكر يا أبا أمية عند الموت ؟ خذوه . فأخذوه فقيل له ان أمير المؤمنين قد أقسم ليجعلن في عنقك جامعة منه ثم نشروه الى الارض نشرة فكسرت ثنيته . قال فجعل عبد الملك ينظر اليه، فقال عمرو لا عليك يا أمير المؤمنين عظم انكسر فقال عبد الملك لاخيه عبد العزيز أقتله حتى أرجم اليك . قال فما أراد عبد العزيز أن يضرب عنقه ، قال له عمرو تمسك بالرحم ياعبد العزيز أنت تقتلني من بينهم ؟ فتركه فجاء عبد الملك فرآه جالسا فقال له لم لا تقتله لعنه الله ولعن أما ولدته ! قال فانه قال تمسك بالرحم فتركته . قال فأمر رجلا عنده يقال له ابن الزويدع فضرب عنقه ثم أدرجه في بساط ثم أدخله تحت السرير. قال فدخل عليه قبيصة بن ذؤيب الخزاعي وكان أحد الفقهاء وكان وضيع عبد الملك بن مروان وصاحب خاتمه ومشورته، فقال له عبد الملك كيف رأيك في عمرو بن سعيد وأبعد قبيصة رجل عمرو تحت السرير فقال اضرب عنقه ياأمير المؤمنين. فقال له عبد الملك جزاك الله خيراً فما علمنك الا ناصحا أميناموافقا قال له فما ترى في هؤلاء الذين أحدقوا بنا وأحاطوا بقصرنا قال قبيصة : اطرح

رأسه اليهم يا أمير المؤمنين ثم اطرح عليهم الدنانير والدراهم يتشاغلون بها قال فأمر عبد الملك برأس عمرو أن تطرح اليهم من أعلى القصر فطرحت اليهم وطرحت الدنانير ونثرت الدراهم ثم هتف عليهم الهاتف ينادي : ان أمير المؤمنين قد قتل صاحبكم بما كان من القضاء السابق والامر النافذ ولكم علي أمير المؤمنين عهد الله وميثاقه أن يحمل راجلكم ويكسو عاريكم ويغني فقيركم ويبلغكم الى أكمل مايكون من العطاء والرزق ويبلغكم الى الثلاثين في الديوان فاعترضوا على ديوانكم واقبلوا أمره واسكنوا الى عهده يسلم لكم دينكم ودنياكم . قال فصاحوا نعم نعم سمعا وطاعة لامير المؤمنين . قال فلما تمت البيعة لعبد الملك بن مروان بالشام أراد أن يخرج الى مصعب فجمل يستفز اهل الشام فيبعثون عليه ، فقال له الحجاج بن يوسف وكان يومئذ في حرس ابن بن مروان : يا أمير المؤمنين سلطني عليهم ، فأعطاه ذلك فقال له عبد الملك اذهب قد سلطتك عليهم قال فكان لا يمر على بيت رجل من أهل الشام تخلف الا أحرق عليه بيته فلما رأى ذلك أهل الشام خرجوا . قال فأصابهم من ذلك غلاء في الاسعار وشدة من الحال وصعوبة من الزمان قال وكانوا يصنعون لعبد الملك بن مروان الارز . فسار بأهل الشام الى العراق ومعه الحجاج بن يوسف

(مسير عبد الملك الى العراق)

قال وذكروا ان عبد الملك سار بأهل الشام ومعه الحجاج بن يوسف الى العراق خرج مصعب بن الزبير بأهل البصرة والكوفة فالتقيا بين الشام والعراق وكان عبد الملك ومصعب قبل ذلك متصافين وصديقين متحابين لا يعلم بين اثنين من الناس ما بينهما من الاخاء والصداقة . فبعث اليه عبد الملك ان ادن مني أكلمك قال فدنا كل واحد من صاحبه وتنحى الناس عنهما فسلم عبد الملك عليه وقال له يامصعب قد علمت ما أجرى الله بيني وبينك منذ ثلاثين سنة وما اعتقدته من إخائي وصحبتي والله أنا خير لك من عبد الله وأنفع منه لدينك ودنياك فاتق بذلك مني وانصرف الى وجوه هؤلاء القوم وخذ لي بيعتهذين المصرين والامر أمرك لا تعصني ولا تخالف وان شئت اتخذتك صاحبا لا نجفي وزيرا لا نعصى

فقال له مصعب : أما ما ذكرت في من تحقق بك ومودتي واخائي فذلك كما ذكرته ، ولكنه بعد قتلك عمرو بن سعيد لا يطمأن اليك وهو أقرب رحما مني اليك وأولى بما عندك فقتلته غدرا ، ووالله لو قتلته في ضرب ومحاربة لما سلك عارها ولما صلت من أنه . وأما ما ذكرت من أنك خير لي من أخي فدع عنك أبا بكر واياك واياه لا تتعرض له وأتركه ما تركك واربح عاجل عافيته ، وارج الله في السلامة من عاقبته . فقال له عبد الملك : لا نحو فني به فوالله اني لا علم منه مثل ما تعلم أن فيه لثلاث خصال لا يسود بها ابدا : عجب قد ملأه ، واستغناء برأيه ، وبخل التزمه فلا يسود بها أبدا

(قتل مصعب بن الزبير) قال وذكروا أن عبد الملك لما أيس من مصعب كتب الى أناس من رؤساء أهل العراق يدعوهم الى نفسه ويجعل لهم أموالا عامة وشروطا وعهودا ومواثيق وعقودا وكتب الى ابراهيم بن الاشتر يجعل له وحده مثل جميع ماجعل لاصحابه على أن يخلعوا عبد الله بن الزبير اذا التقوا فقال ابراهيم بن الاشتر لمصعب أن عبد الملك قد كتب الى هذا الكتاب وكتب لاصحابي كلهم فلان وفلان بذلك فادع بهم في هذه الساعة فاضرب أعناقهم وأضرب عنقي معهم . فقال : مصعب ما كنت لأفعل ذلك حتى يستبين لي ذلك من أمرهم . قال ابراهيم فأخرى . قال وما هي ؟ قال أحبسهم في السجن حتى يتبين ذلك فأبى ، فقال له ابراهيم بن الاشتر عليك السلام ورحمة الله وبركاته ولا تراني والله بعد في مجلسك أبدا . وقد كان قال له قبل ذلك أدع أهل الكوفة بدعوة لا يخلعونها أبدا وهي ما رحله الله ، فقال مصعب لا والله لا أفعل ، لا أكون قتلتهم بالأمس وأستعمر يوم اليوم قال فما هو الا أن التقوا فخولوا برؤسهم ومالوا الى عبد الملك ابن مروان . قال فبقي مصعب في شرذمة قليلة ، قال فجاءه عبيد الله بن ظبيان فقال أين الناس أيها الامير ؟ قال هذرتم يا أهل العراق . قال فرفع عبيد الله سيفه ليضربه فبدره مصعب بالسيف على البيضة فشب فيها فجعل يقلب السيف ولا ينزع من البيضة قال فجاء غلام لعبيد الله بن ظبيان فضرب مصعب بالسيف فقتله ثم جاء عبيد الله برأسه الى عبد الملك يدعي أنه

قتله .فطرح رأسه وقال:

نطيع ملوك الارض ماقسطوا لنا
وليس علينا قتلهم بمحرم

قال فوقع عبدالملك ساجداً فتحامل عبيد الله على ركابه ليضرب عبد الملك بالسيف :فرفع عبد الملك رأسه وقال والله يا عبيد الله لولا منتك لألحقتك سريعا به .قال فبايعه الناس ودخل الكوفة فبايعه أهلها

(ذكر حرب ابن الزبير وقتله)

قال وذكروا انه لما تمت البيعة لعبدالملك ابن مروان من أهل العراق وأتاه الحجاج ابن يوسف فقال ياأمير المؤمنين اني رأيت في المنام كاني أسلخ عبد الله بن الزبير فقال له عبد الملك أنت له فاخرج اليه . فخرج اليه الحجاج في الف وخمسمائة رجل من رجال أهل الشام حتى نزل الطائف وجعل عبد الملك يرسل اليه الجيوش رسلا حتى توافى الناس عنده قدر ايظن أنه يقدر على قتال عبدالله بن الزبير وكان ذلك في ذى القعدة سنة اثنتين وسبعة فسار الحجاج من الطائف حتى نزل منى فحج بالناس وعبد الله بن الزبير محصور بمكة ثم نصب الحجاج المنجنيق على أبي قبيس ونواحي مكة كلها فرمي أهل مكة بالحجارة .فلما كانت الليلة التى قتل في صبيحتها جمع عبد الله بن الزبير القرشيين فقال لهم ماترون فقال رجل منهم من بنى مخزوم والله لقد قاتلتنا معك حتى ما نجد مقاتلا والله لئن صبرنا معك ما نزيد على أن نموت معك وانما هو احدى خصلتين أما ان تأذن لنا فنأخذ الامان لانفسنا ولك واما أن تأذن لنا فنخرج فقال عبد الله قد كنت عاهدت الله أن لا يبايعنى أحد فأقيله بيعته الا ابن صفوان قال ابن صفوان والله انا لنقاتل معك ما وفيت لنا بما قلت ولكن تأخرى في الحفيظة أن أدعك عند مثل هذه حتى أموت معك. فقال رجل آخر اكتب الي عبد الملك فقال له عبد الله وكنت أكتب اليه من عبد الله أبي بكر أمير المؤمنين فو الله لا يقبل هذا منى أبداً أو اكتب اليه لعبد الملك أمير المؤمنين من عبد الله ابن الزبير فو الله لان نقع الخضراء على الغبراء أحب الي من ذلك قال عروة أخوه ؟ يا أمير المؤمنين قد جعل الله لك أسوة فقال عبد الله من هو أسوتي قال الحسن بن علي ابن أبي طالب خلع نفسه وبايع معاوية

فرفع عبد الله رجله وضرب عروة حتى القاه ثم قال ياعروة قلبي اذاً مثل قلبك والله لو قبلت ماتقولون ماعشت الا قليلا وقد اخذت الدنية وماضربة بسيف الا مثل ضربة بسوط لااقبل شيئاً مماتقولون. قال فلما أصبح دخل على بعض نسائه فقال اصنعي لي طعاما فصنعت له كبداً وسناما قال فأخذ منها لقمة فلاكها ساعة فلم يسغها فرماها وقال اسقوني لبناً فاني بلبن فشرب ثم قال صبوا علي غسلا قال فاغتسل ثم تحنط وتطيب ثم تقلد سيفه وخرج وهو يقول :

ولا ألين لغير الحق اسأله
حتى يلين لضرس الماضغ الحجر

ثم دخل على امه اسماء بنت ابي بكر الصديق وهي عمياء من الكبر قد بلغت من السن مائة سنة فقال : لها ياأماه ما ترين قد خذلنى الناس وخذلنى أهل بيتى فقالت : يابنى لايلعبن بك صبيان بنى امية عش كريما ومت كريماً : فخرج وأسند ظهره الى الكعبة ومعه نفر يسير فجعل يقاتل بهم أهل الشام فيهزمهم وهو يقول. ويل امه فتح لوكان له رجال . قال فجعل الحجاج يناديه قد كان لك رجال ولكنك ضيعتهم . قال فجاء حجر من حجارة المنجنيق وهو يمشي فأصاب قفاه فسقط فما درى أهل الشام انه هو حتى سمعوا جارية تبكي وتقول . وأمير المؤمنين فاحتزوا رأسه فجاؤا الي الحجاج وقتل معه عبد الله بن صفوان بن أمية وعمارة بن عمرو ابن حزم ثم بعث برؤسهم الي عبد الملك وقتل لسبع عشرة ليلة مضين من جمادى الاولي سنة سنة ثلاث وسبعين قال أبو معشر ثم أقام الحجاج بالمدينة عاملا عليها وعلى مكة والطائف ثلاث سنين يسير بسيرته فيما يقولون . قال فلما مات بشر بن مروان وكان على الكوفة والبصرة كتب اليه عبد الملك ان سر على العراقين واحتل لقتالهم فانه قد بلغنى عنهم ماأكره ، واستعمل عبد الملك على المدينة يحيي بن حكيم ابن أبي العاص

(ولاية الحجاج على العراقين) قال وذكروا أن عبد الملك لما كتب الى الحجاج يأمره بالمسير الي العراقين ويحتال لقتالهم توجه ومعه الفا رجل من مقاتلة أهل الشام وحماتهم وأربعة آلاف من اخلاط الناس وتقدم بألفي رجل وتحرى دخول البصرة في يوم الجمعة في حين اوان

الصلاة فلما دنا من البصرة أمرهم أن يتفرقوا على ابواب المسجد على كل باب مائة رجل بأسيافهم تحت ارديتهم . وعهد اليهم ان اذا سمعتم الجلبة في داخل المسجد والوقيعة فيهم فلا يخرجن خارج من باب المسجد حتى يسبقه رأسه الى الارض وكان المسجد له ثمانية عشر بابا يدخل منها اليه . فافترق القوم عن الحجاج فبدروا الى الابواب فجلسوا عندها مرتدين ينتظرون الصلاة ودخل الحجاج وبين يديه مائة رجل وخلفه مائة كل رجل منهم مرتد بردائه وسيفه قد أفضى به الى داخل ازاره فقال لهم اني اذا دخلت فسأكلم القوم في خطبتي وسيحصبونني فاذا قد رأيتموني قد وضعت عمامتي على ركبتي فضعوا اسيافكم واستعينوا بالله واصبروا ان الله مع الصابرين . فلما دخل المسجد وقد حانت الصلاة صعد المنبر فحمد الله ثم قال : ايها الناس ان أمير المؤمنين عبد الملك امير" استخلفه الله عز وجل في بلاده وارتضاه اماماً على عباده وقد ولاني مصركم وقسمة فيئكم وامرني بانصاف مظلومكم وامضاء الحكم على ظالمكم وصرف الثواب الى المحسن البريء . والعقاب الى العاصي المسيء ، وأنا متبع فيكم أمره ومنفذ عليكم عهده ، وأرجو بذلك من الله عز وجل المجازاة ومن خليفته المكافأة ، وأخبركم انه قلدني بسيفين حين توليته اياي عليكم سيف رحمة وسيف عذاب ونقمة ، فأما سيف الرحمة فسقط مني في الطريق وأما سيف النقمة فهو هذا . فحصبه الناس فلما أكثروا عليه خلع عمامته فوضعها على ركبته فجعلت السيوف تبرى الرقاب فلما سمع الخارجون الكائنون على الابواب وقيعة الداخلين ورأوا تسارع الناس الى الخروج تلقوهم بالسيوف فأردعوا الناس الى جوف المسجد ولم يتركوا خارجا يخرج فقتل منهم بضعا وسبعين الفا (؟) حتى سالت الدماء الى باب المسجد والى السكك . قال ابو معشر : لما قدم الحجاج البصرة صعد المنبر وهو معتجر بعمامته متقلد سيفه وقوسه قال فنعس على المنبر وكان قد أحيى الليل ثم تكلم بكلام فحصبوه فرفع رأسه . ثم قال اني أرى رؤوسا قد اينعت وحان قطافها . فهابوه وكفوا ثم كلمهم فحصبوه وأكثروا فأمر بهم جنداً من أهل الشام وكانوا قد أحاطوا

به من حوله ومن حول أبواب المسجد قال فلما فرغ منهم وأحكم شأنه فيهم فبعث عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث الى سجستان عاملا ومعه جيش . فكتب اليه الحجاج ان يقاتل حصن كذا وكذا فكتب الى الحجاج : اني لا أرى ذلك صوابا ان الشاهد يرى مالا يرى الغائب . فكتب اليه الحجاج : انا الشاهد وانت الغائب فانظر ما كتبت به اليك فامض له والسلام

(خروج بن الاشعث على الحجاج)

قال وذكروا ان عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث لما خرج على الحجاج جمع أصحابه وفيهم عبد الرحمن بن ربيعة بن الحارث بن نوفل وبنوه عون بن عبد الله وعمرو بن موسى ابن معمر بن عثمان ابن عمرة وفيهم محمد بن سعيد بن أبي وقاص فقال لهم ما ترون قالوا نحن معك فاخلع عدو الله وعدو رسوله فان خلعه من أفضل أعمال البر فخلعه وأظهر خلعه فلما أظهر ذلك قدم عليهم سعيد بن جبير فقالوا له انا قد حبسنا أنفسنا عليك فما الرأى قال الرأى ان تكفوا عما تريدون فان الخلع فيه الفتنة والفتنة فيها سفك الدماء واستباحة الحرم وذهاب الدين والدنيا فقالوا انه الحجاج وقد فعل ما فعل فذكروا أشياء ولم يزالوا به حتى صار معهم وهو كاره ، قال وانتهى الخبر الى الحجاج فقيل له ان عبد الرحمن قد خلعك ومن معه فقال ان معه سعيد بن جبير وأنا أعلم ان سعيداً لا يخرج وان أرادوا ذلك سيكفهم عنه . فقيل له انه رام ذلك ثم لم يزالوا به حتى فتنوه وصار معهم . فبعث الحجاج الغضبان الشيباني ليأتيه بخبر عبد الرحمن ابن الاشعث من كرمان وتقدم اليه أن لا يكتمه من امره شيئا فتوجه الغضبان الى عبد الرحمن . قال له عبد الرحمن ماوراءك ياغضبان قال : شر طويل تغد الحجاج قبل أن يتعشاك . ثم انصرف من عنده فنزل رملة كرمان وهي ارض شديدة الحر فضرب بها قبة وجلس فيها فبينا هو كذلك اذ ورد اعرابي من بكر ابن وائل على قعود فوقف عليه وقال : السلام عليك . فقال له الغضبان . السلام كثير وهي كلمة مقولة ، قال الاعرابي من أين أقبلت قال : من الارض الذلول . قال وأين تريد قال أمشي في مناكبها وآكل من رزق الله الذي اخرج لعباده

منها ،قال الاعرابي فمن عرض اليوم؟ قال النضبان المنقول .قال فمن سبق ؟ قال حزب الله الفائزون . قال الاعرابي ومن حزب الله ؟قال هم الغالبون . فعجب الاعرابي من منطقه وحضور جوابه ، ثم قال أتعرض ؟قال النضبان انما تعرض الغانية . قال افتنشد ؟قال انما تنشد الضالة قال افتسجع ؟قال انما تسجع الحمامة ·قال أفتنطق ؟قال انما ينطق كتاب الله . قال أفتقول ؟قال انما يقول الامير ، قال الاعرابي بالله ماوأيت مثلك قط . قال النضبان بلي ولكنك نسيت . قال الاعرابي فكيف اقول ؟ قال اخذلك القول في العاقول وانت قائم تبول . قال الاعرابي أتأذن لي ان ادخل عليك قال النضبان ورائك اوسع لك .قال الاعرابي قد احرقني الشمس .قال النضبان لان يقيء عليك الفيء اذا غربت . قال الاعرابي ان الرمضاء قد احرقت قدمي قال النضبان بل عليها يبردان . قال الاعرابي ان الوهج شديد. قال النضبان مالي عليه سلطان .قال الاعرابي اني والله ما اريد طعامك ولاشرابك.قال النضبان لا تعرض بهما فوالله لا تذوقهما . قال الاعرابي وما عليك لو ذقتهما ؟ قال النضبان آكل وتشبع فان فضل شيء من الاكرياء والنظمان فالكلب أحق به منك .قال الاعرابي سبحان الله . قال النضبان نعم من قبل أن يطلع رأسك وأضراسك الي الدنيا . قال الاعرابي ما عندك الا ما أرى؟ قال النضبان بل عندي هراوتان أضرب بهما رأسك حتى تنتثر دماغك . قال الاعرابي انا لله وانا اليه راجعون. قال النضبان أظلمك أحد ؟ قال الاعرابي ما أرى ؟ ثم قال يا آل حارث ابن كعب . قال النضبان بئس الشيخ ذكرت .قال الاعرابي ولم ذاك ؟ قال النضبان لان ابليس يسمي حارثا . قال الاعرابي اني لاحسبك مجنونا . قال النضبان اللهم اجعلني من خيار الجن . قال الاعرابي اني لاظنك مخمورا يا . قال النضبان اللهم اجعلني ممن يتحرى الخير. قال الاعرابي اني لاراك منكراً · قال النضبان اني لمعروف فيما أوتى . فولي عنه وهو يقول: انك لبذخ أحمق وما أنطق الله لسانك الا بما أنت لاق وهما قليل تلتف ساقك بالساق . فلما قدم النضبان علي الحجاج قال له أنت شاعر

قال لست بشاعر ولكني حائر . قال أفراق أنت؟قال بل وصاف.قال كيف وجدت أرض كرمان ؟ قال النضبان : أرض ماؤها وشل ، ونبلها جبل،وتمرها دقل ، ولصها يطل ، وان كثر الجيش بها جاعوا ، وان قل بها ضاعوا.قال صدقت . أعلمت من كان الاعرابي؟قال لا . قال ملك خاصمك فلم تفقه عنه لبذخك .اذهبوا به الى السجن فانه صاحب المقالة : تنمد الحجاج قبل أن ينمشاك.وأنت يافضبان قد أتركك خصمك علي لطق لسانك فما الذي به دهاك ؟ قال النضبان جعلني الله فداك يا أمير المؤمنين اما انها لا تنفع من قيلت له ولا تضر من قيلت فيه . فقال الحجاج : أجل ولكن أتراك تنجو مني بها والله لاقطعن يديك ورجليك ولاضربن بلسانك عينيك. قال النضبان: أصلح الله الامير قد آذاني الحديد وأورهن ساقي القيود فما يخاف من عدلك البريء ولا يقطع من رجائك المسيء ، قال الحجاج انك لسمين . قال النضبان القيد والزمانة ومن يك ضيف الامير يسمن . قال إيا حاملوك علي الادهم. قال النضبان مثل الامير أصلحه الله يحمل علي الادهم والاشقر . قال الحجاج : انه لحديد . قال النضبان لأن يكون حديداً خير من أن يكون بليداً · قال الحجاج اذهبوا به الي السجن . قال النضبان : «فلا يستطيعون توصية ولا الي أهلهم يرجعون » فاستمر في السجن الي أن بنى الحجاج خضراء واسط فقال لجلسائه كيف ترون هذه القبة قالوا ماوأينا مثلها قط . قال الحجاج: أما ان لها عيباً فما هو ؟ قالوا ما نرى بها عيباً ، قال صاحت الى من يخبرني به فبعث فأقبل النضبان وهو يرسف في قيوده فلما مثل بين يديه قال له ياغضبان كيف قبتي هذه ؟ قال أصلح الله الامير نعمت القبة حسنة مستوية . قال أخبرني بعيبها . قال بنيتها في غير بلدك لا يمكنها ولدك ومع ذلك فانه لا يبقى بناؤها ولا يدوم عمرانها وما لا يبقى ولا يدوم فكأنه لم يكن . قال الحجاج صدق ردوه الي السجن . فقال النضبان أصلح الله الامير قد أكلني الحديد وأورهن ساقي القيود وما أطيق المشي . قال احملوه فلما حمل علي الايدي قال : « سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين » قال انزلوه قال « رب أنزلني منزلا مباركا

وانت خير المنزلين » قال الحجاج جروه قال النضبان وهو يجر « بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم » قال الحجاج اضربوا به الارض فقال : « منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى » فضحك الحجاج حتى استلقى على قفاه . ثم قال ويحكم قد غلبني والله هذا الخبيث اطلقوه الى صفحى عنه قال النضبان «فاصفح عنهم وقل سلام» فنجا من شره باذن الله وكانت براءته فيما انطلق على لسانه

(حرب الحجاج مع ابن الاشعث وقتله) قال وذكروا ان الحجاج لما قدم العراق أميراً زوج ابنه محمداً ميسونة بنت محمد بن الاشعث بن قيس الكندي رغبة في شرفها مع ماكانت عليه من جمالها وفضلها في جميع حالاتها وأراد من ذلك استمالة جميع أهلها وقومها الى مصافاته ليكونوا له يداً على من ناوأه . وكان لها أخ يقال له عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث الكندي له أبهة في نفسه وكان جميلا بهيا منطيقا مع ماكان له من التقدم والشرف فازدهاه ذلك وملأه كبراً وفخراً وتطاولا فالزمه بنفسه وألحقه بأفضل أصحابه وخاصته وأهل سره وأجرى عليه العطايا الواسعة صلة لصهره وحباً لانضمام الضيعة اليه والى جميع أهله فأقام عبد الرحمن كذلك حيناً مع الحجاج لا يزيده الحجاج الا اكراما ولا يظهر له الا قبولا وفي نفس الحجاج من عجبه ما فيها لنشحه زاهياً بنفسه حتى انه كان ليقول اذا رآه مقبلا : أما والله يا عبد الرحمن انك لتقبل على بوجه فاجر وتدبر عني بقفا غادر وأيم الله لتبتلين حقيقة أمرك على ذلك فكث بهذا القول منه دهراً حتى اذا طال صبر الحجاج على ما يتطلع من عبد الرحمن أراد أن يبتلي حقيقة ما يتفرس فيه من الغدر والفجور وأن يبدي منه مايكتم من غائلته فكتب اليه عهده على سجستان . فلما بلغ ذلك أهل بيت عبد الرحمن فزعوا من ذلك فزعا شديداً فأتوا الحجاج فقالوا له أصلح الله الامير أنا أعلم به منك فانك به غير عالم ولقد أدبته بكل أدب فأبى أن ينتهي عن عجبه بنفسه ونحن نتخوف أن يفتق فتقا أو أن يحدث حدثا يصيبنا فيه منك مايسوءنا فقال الحجاج القول كما قلتم والرأي كالذي رأيتم ولقد استملته على بصيرة

فان يستقم فلنفسه نظر وان يعترج صبيه عن بصائر الحق بعد ان شاء الله . فلما توجه عبد الرحمن الى عمله توجه وهو مغبر بظلمان طاعة الحجاج وسار بذلك مسيره أجمع حتى نزل مدينة سجستان ثم مر على خلعائه عاما كاملا فلما اجمع عبد الرحمن على اظهار خلعان الحجاج كتب الى ايوب بن القرية التميمي وهو مع الحجاج في عسكره خاص المنزلة منه وكان مغوها كاتبا يسأله أن يصدر اليه رسالة الى الحجاج يخلع فيها طاعة الحجاج فكتب له ابن القرية رسالة فيها . «بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الرحمن بن محمد ابن الاشعث الى الحجاج بن يوسف سلام على أهل طاعة الله وأولياله الذين يحكمون بعدله ، ويوفون بعهده ، ويجاهدون في سبيله ، ويتوزرون ذكره ولا يسفكون دماً حراماً ولا يعطلون الرب احكاما ، ولا يدرسون له أعلاما ، ولا ينكبون النهج ولا يجرمون السبء ، ولا يسارعون في الغي ، ولا يدلون الفجرة ولا يتراضون الجورة ، بل يتمكثون عند الاشباه ويتراجعون عند الاضاءة ، أما بعد فاني احمد الله حمداً بالغاً في رضاه منتهياً الى الحق في الامور الحقيقة لله علينا ، وبعد فان الله أنهضني لمصاولتك ومشى لمناضلتك حين تحيرت أمورك وتهتكت ستورك ، وأصبحت هربان حيران مهينا لا توافق وقاولا ترافق رفقا ، ولا تلازم صدقا ، أؤمل من الله الذي ألهمني ذلك أن يصيرك في حبالك وأن يجيء بك في القرن ، ويسحبك الذقن ، وينصف منك من لم تنصفه من نفسك ويكون هلاكك بيدي من انهمته وعاديته . فلعمري لقد طال ماتطاولت وتمكنت وأخطيت وخلت أن لن تبور ، وأنت في فلك الملك تدور ، وأظن مصداق ماأقول ستخبره عن قريب فسر لأمرك ولاق عصابة خلعك من حبالها خلعها تعالها وتدرعت حلالها تدرعها مطالها لا يحذرون منك جهداً ولا يرهبون منك وعيدا يتأملون خزاينك ويتجرعون امارتك عطاشا الى دمك يستطعمون الله لحمك . وايم الله لينافقك منهم الابطال الذين يتهمهم فيما يحاولونك به على طاعة الله شروا أنفسهم تقربا الى الله فاقعص عن ذلك يا ابن أم الحجاج فستحمل عليك ان شاء الله ولا حول ولا قوة الا بالله والسلام على أهل طاعة الله » . فلما قدم

الكتاب على الحجاج خرج مواثلا قد أخذ بطرف ردائه وألقى الطرف الآخر يجره من خلفه حتى صعد المنبر ونودى الصلاة جامعة فاجتمع الناس ثم قال :

نقاتلكم ولم نشتم عدواً
وشر عداوة المرء السباب

امرؤ وعظ نفسه بنفسه ، امرؤ تعاهد غفلة نفسه وتفقدها جهده ، امرؤ وعظ بغيره فاتعظ ، قد تبين لكم ماتأتون وما تبغون . العجب العجيب وما هو أعجب من العير الأبتر اني وجهته ومن معه من المنافقين سبعمائة وزن سبعة سواء فانطلقوا في نحور العدو ثم أقبلوا على راياتهم لقتال أهل الاسلام من أجل عير أبتر . ومن كيده ماهو أعجب العجب على حين اننا قد أمنا الخوارج واطفأنا الفتن وتتابعت اليهم فكان من شكركم ياأهل العراق ليد الله فيكم ونعمته عليكم واحسانه اليكم جرأتكم على الله وانتهاككم حرمته واغتراركم بنعمة الله ألم يأتكم شبيب مهزوماً ذليلا فلا توجهت اليه منكم خمسة وعشرون أمير جيش ليس منهم من أمير جيش الا وهو في جنده بمنزلة العروس التي يزف بها الى خدرها فيقتل أميرهم وهم وقوف ينظرون اليه لا يرون له حرمة في صحبة ولا ذماماً في طاعة فقبحت تلك الوجوه فما هذا الذى يتخوف منكم ياأهل العراق أما هذا الذى يتقي والله لقد أكرمنا الله بهوانكم واهانكم بكرامتنا في مواطن شتى تعرفونها وتعرفون أشياء حرمكم الله اتخاذها وما الله بظلام للعبيد ، ثم خذلانكم لهذه المعلوجاء المقصصة انحرافا أو لهذه المعلوجاء واخلاطها من أهل العراق ، لقد هممت أن اترك بكل سكك منها جيفا منتفخين شائلة أرجلهم تنهشهم الطير من كل جانب ياأهل الشام احدوا قلوبكم واحدوا سيوفكم ثم قال :

قد جد أشياعكم فجدوا
والقوس فيها وتر عرد
مثل ذراع البكر أو أشد

هيهات ترك الخداع من أجرى من المائة ، ومن لم يذد عن حوضه بهدم ، وأرى الحزام قد بلغ الطبيين ، والتقت حلقتا البطان ، ليس سلامان كعهدان ، أنا ابن العرفة وابن الشيخ الأغر ، كذبتم ورب الكعبة ما الرأى كما رأيتم ولا الحديث كما حدثتم فافطنوا لعيوبكم واياكم

أن أكون أنا وأنتم كما قال القائل :

انك ان كلفتني مالم أطق
ساءك ماسرك مني من خلق

والمخبر بالعلم ليس كالراجم بالظنون ، فالتندم قبل التقدم ، وأخو المرء نصيحته ثم قال :

لذى العلم قبل اليوم ماتقرع العصا
وما علم الانسان الا ليعلما

ثم قال : احمدوا ربكم ثم صلوا على نبيكم صلى الله عليه وسلم . ثم نزل وقال : اكتب يانافع وكان نافع مولاه كاتبا يكتب بين يديه : بسم الله الرحمن الرحيم من الحجاج بن يوسف الى عبد الرحمن ابن الاشعث سلام على أهل النزوع من التزييغ وأسباب الرداء لا الى معادن السيء والتقحم في الغي ، فاني احمد الله الذى خلاك في حيرتك اذ بهتك في السير ، ووهلك للضرورة ، حتى أقحمك أموراً أخرجك بها عن طاعته ، وجانبت ولايته ، وعسكرت بها في الكفر ، وذهلت بها عن الشكر ، فلا تشكر في السراء ، ولا تصبر في الضراء ، أقبلت مستنا بحريم الحرة تستوقد الفتنة لتصلي بحرها وجلبت لغيرك ضرها وقلت وثاق الاحتجاج ، الا بل لامك الهبل وعزة ربك لتكبن لنحرك ، ولتقلبن لظهرك ، ولتخبطن فريصتك ، ولتدحضن حجتك ، ولتذمن مقامك ، ولتشغلن سهامك ، كأني بك تصير الى غير مقبول منك الا السيف هوجا هوجا عند كشوف الحرب عن ساقها ومبارزة أبطالها والسلام على من أناب الى الله وسمع وأجاب ، ثم قال : من هاهنا من فتية بنى الاشعث ابن قيس ؟ قيل سعيد بن جبير قال فأتي به قال انطلق بهذا الكتاب الى هذه الطاغية الذى قد فتن فأردعه ما انتهك عدو الله الى مافي ذلك من سفك الدماء واباحة الحريم وانفاق الاموال فاني لولا معرفتي بأنك قد حويت علما وأصبت فقها اخاف ان يكون عليك لالك لعهدت لك به عهداً تقفل به ولكن انطلق مرتك هذه قبل الكتاب اليه واحمله على البريد . فخرج سعيد به متوجها حتى انتهى اليه . فلما قرأ عبد الرحمن الكتاب تبينت رعشته جزعا منه وهيبة له وسمع بذلك من كان يبايعه وهو كالذى هوى ، وضم سعيد بن جبير فلم يظهره للناس وكتم الكتاب وجعل يستخلي بابن جبير في

الليل فيسير معه ويسأله عبد الرحمن الدخول معه فيما رآى هو من خلع الحجاج فأبى سعيد ذلك عليه فمكث بذلك شهرا كرينا فأسمعه سعيد بن جبير بطلبته وسارع معه في رقبته وخلعا طاعة الحجاج ثم ان عبد الرحمن تجهز من سجستان مقبلا يقود من يقوده من أهل هواه وأهل رأيه وخرج اليه الحجاج بمن معه يومئذ من أهل الطاعة من أهل العراق حتى لقيه بدير من ادبار الاهواز يسمى بنيسابور فناصبه القتال سنة اشهر كرينة لا له ولا عليه حتى اذا كان في جوف ليلة من الليالي خلا الحجاج بعنبسة بن سعيد بن العاص ويزيد بن أبي مسلم مولاه وحاجبه على ما وراء بابه واما يحيى فوكله باقيام خلف ظهره اذا هو نعس او غفل نخسه بمنخسة ثم قال اذكر الله ياحجاج فيذكر ما بدا له ان يذكر . واما زياد فكان ذا رأى ومشورة وادب وفقه ونصيحة. واما عنبسة فكان بعيد الهمة طويل اللسان يديه الجواب فصل الخطاب موفق الرأى. فتشاورهم لما حل به وبعبد الرحمن القتال لايظفر واحد منهما بصاحبه ومع عبد الرحمن سعيد بن جبير والشعبي فكان هذا نقيه أهل الكوفة وهذا فقيه أهل البصرة في أن يبيته فكره ذلك واليه وأشار عنبسة أن يبيته فقال الحجاج أصبت أصاب الله بك الخير وما الامر الا النصيحة والرأى شعوب فخطىء منها ومنها مصيب . غدا الاثنين فصوموا وتصوم واستعينوا الله بالطهيرة وبينهم الليلة للقبلة ليلة الثلاثاء فسوف أترجل ويترجل أهل مودتي ونصيحتي من ولدي وغيرهم . فعمل بأصبح صائما وبيتهم ليلة الثلاثاء وهو يقول : اللهم ان كان الحق لهم فلا تمتنا على الضلالة وان كان الحق لنا فانصرنا عليهم. فحمل عليهم والنيران توقد فأصاب منهم وأصيب منه . انهزم ابن الاشعث في سواد الليل وأصاب الحجاج عسكره وأسر سعيد بن جبير وأفلت عامر أبن سعيد الشعبي مع ابن الاشعث فلما أتي الحجاج بسعيد بن جبير قال له : ويحك ياسعيد أما استحييت ومدك الشيطان في طغيانك الا استحييت من المراقب لي ولك والحافظ علي وعليك قال . أصلح الله الامير وأمتع به مهما بلية وقعت وعذاب نزل والقول كما قال

الامير وكما نسبه له وأضافه اليه الا أني أثيب رجلا قد ازهى وطغى ولبسته الفتنة وركب الشيطان كتفيه ونفث في صدره وأملى على لسانه فخفته وأتقيته بالذى قلت فان تعاقب فبذنب وان تعف فسجية منك . فقال له الحجاج فأنا قد عفونا عنك وسنردك اليه مرة أخرى ثم كتب كتابا ووجه مع سعيد بن جبير الى عبد الرحمن . فلما كان سعيد ببعض الطريق خرق الكتاب وقدم على عبد الرحمن فأخبره فغر عبد الرحمن وخرج موائلا الى اهل البصرة وقد قدمت عليه كتبهم يستبطئونه ويستعجلونه حتى قدم عليهم وبلغ الحجاج فسبقه الى البصرة فدخل الحجاج المسجد مكبا قومه فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وحرض الناس على قتال بن الاشعث وحضهم على طاعة عبد الملك وتكلم رجل من اهل البصرة يقال له سلمة المنقرى من بنى تميم وكان رجلا منطيقا وله هوى في الخوارج وكان الحجاج به خبيرا فلما رآه عرف أنه يريد الكلام فقال له اذن ياسلمة فقدنا . فقال له قال فقال : قد رضينا بالله ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبامير المؤمنين خليفة وبالحجاج بن يوسف واليا والله لو كنا زمنا و بقي زمن مارضينا أن نكون تبعا لهذا الحادث . أصلح الله الامير وأعز أمره أقرب قرابة وأوجب حقا ونحن ألزم لطاعة الامير أكرمه الله من أن نسارع له في معصية أو نبطىء عنه في طاعة . فأجابه الحجاج فقال ياسلمة هذا قول حسن لاأدخله صدرى ولاأردنه في تحرك حتى نبتلي حقيقته ان شاء الله . وكان قوله هذا على المنبر وقد عسكر بأجناده في الزاوية والزاوية في طريق من ناحية البصرة في طرف بنى تميم . ثم أنه خرج من المسجد وحشد الناس من كان في الطاعة يومئذ من أهل العراق وقد كان انهزم لابن الاشعث غير مائرة وقتل له ابن الاشعث خلقا لاتحصي كثرة قبل هذه المرة حتى يئس من نفسه وقال أترون العجوز ابنة الرجل الصالح كذبتني يعني أسماء بنت أبي بكر الصديق لئن صدقت أسماء لأقتلن اليوم . وكان لما فرغ من قتال عبد الله بن الزبير بعث الى أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق أن تأتيه فأبت أن تأتيه . فقال والله لئن لم تأتني لأبعثن اليها من يجر بقرن رأسها

ويسحبها حتى تصل الي". فقيل لها ذلك فقالت والله لا أسير اليه حتى يبعث الي من يجر بقرون رأسي . فأقبل الحجاج حتى وقف عليها فقال لها كيف رأيت ما فعل الله تعالي بابنك عدو الله الشاق لعصا المسلمين المعتى لعباده والمشتت لكلمة امة نبيه ؟ فقالت : رأيته اختار قتالك فاختار الله ماعنده اذ كان اكرامه خيراً من اكرامك . ولكن يا حجاج بلغني انك تنتقصني بنطاقي هذين أو تدري مانطاقي ؟ أما النطاق هذا فشددت به سفرة رسول الله صلي الله عليه وسلم يوم غزوة بدر وأما النطاق الآخر فأرتقت به خطام بعيره ، فقال لي رسول الله صلي الله عليه وسلم اما ان لك به نطاقين في الجنة . فانتقص علي بعد هذا اودع . ولكن لاأخالك يا حجاج أبشر فاني سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول منافق ثقيف يملأ الله به زاوية من زوايا جهنم يبيد الخلق ويقذف الكعبة بأحجارها ألا لعنة الله عليه . فأفحم الحجاج ولم يجد جوابا . قال وسار ابن الاشعث بعد ما هزم الحجاج الي الكوفة حتى نزل دير الجماجم فقتل الحجاج فيه خلق كثير وكتب الي عبد الملك بن مروان ان امددني بالرجال فأمده بمحمد بن مروان في أناس من بني أمية كثير وجعل الحجاج اميرا عليهم فسار الحجاج الى ابن الاشعث فاقتتلوا اياما بدير الجماجم حتى كثر القتل في الفريقين جميعا . ثم ان ابن الاشعث لما حشد والحجاج بالبصرة عسكر علي مسير ثلاثة ايام من البصرة علي نهر يقال له نهر ابن عمر فكتب ابن الاشعث يسأله ان يتنحي عنهم لما كرهوا ولايته حتي يستعمل عليهم امير المؤمنين غيره من هو احب اليهم منه . فلما انتهي اليه رسوله قال الحجاج ادخلوه فلما دخل سلم عليه بالامارة . قال من انت ؟ قال رجل من خزاعة . قال من اهل البصرة انت ام من اهل الكوفة ؟ قال لا بل من اهل سجستان قال هل تأخذ لامير المؤمنين ديوانا ؟ قال لا ، قال أفمن وزراء ابن الاشعث انت علينا في هذه الفتنة يا اخا خزاعة ؟ قال والله ماهويتها ولقد جلبني اليك مكرها . قال فكيف تسليمك علي صاحبك اذا انصرفت اليه؟ قال بالامرة. قال فهل ترى في ذلك انك صادق ؟ قال

الله أعلم بأي الامرين هو في نفسك علي الصواب أم علي الخطأ ؟ قال الله أعلم أي الامرين في نفسي . قال أما انك يا أخا خزاعة قال رددت الامر اليه وهو تعالى أعلم انطلق الي صاحبك بكتابك كما جئت به وأعلمه بالذي كان من ردنا عليك فانه جوابه عندنا ونحن مناجزوه القتال ومحاكموه الى الله من يوم الاربعاء ان شاء الله . فليعد وليستعد لذلك فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون . وذلك يوم الاحد . فلما انصرف رسوله اليه ناوله الكتاب فلما رآه بخاتمه (أي مثل ماأقفله) كف فلم يسأله امام من حضر حتى ارتفع الناس ثم دعاه فأخبره الخبر . قال ماوراء ظهرك الا هذا ؟ قال له في دون ماجئتك به مايكفيك فقد رأيت أمراً صعباً ليس وراءه الا المناجزة . ثم ان الحجاج هتف هتفة ان اجتمعوا للعطية ففرق العطية في ثلاثة مواضع وكان قواده يومئذ ثلاثة : سفيان بن الابتر الكلبي علي ميمنته وسعد بن عمر والجرشي علي القلب وعبد الرحمن بن عبد الله العكي علي ميسرته فأعطي الناس علي هذا . أقام في عسكره متربصا ومنتظرا ليوم الاربعاء . فلما رأى ابن الاشعث انه لايتقدم لقتاله وانه متربص ليوم الاربعاء بعث رجلا من معسكره حتى دنا من معسكر الحجاج فنزل قريباً منه علي مقدار حضر الفرس رجاء أن يتحرش له أحد من معسكر الحجاج فينشب القتال قبل يوم الاربعاء فراراً منه وتطيراً به فلما رأى الحجاج ذلك علم ما أراده والذي توقع فتقدم الي أمراء أجناده وقواده والي أهل عسكره عامة ألا يكلم أحد منهم أحداً من عسكر ابن الاشعث ولا يعرضه نفسه وان أمكنته الفرصة منه الي يوم الاربعاء . فلما كان صبيحة يوم الاربعاء وهو يوم يتطير به أهل العراق فلا يتناكحون ولا يسافرون فيه ولا يدخلون من سفر ولا يبايعون فيه بشيء ولا بالبغل الاغر الاشقر فدعا الحجاج ببغلة مشقرة محجلة فركبها خلافاً لرأيهم واستشعاراً بطيرتهم وتوكلا علي الله ونادى مناديه في عسكره أن انهضوا الي قتال ابن الاشعث وأمر خاصته فركبوا معه وقدم رجالته وأخر لخلفه مقاتليه حتى اذا كانوا من عسكر ابن الاشعث علي منال السهم وقف

قصف اصحابه وعبأهم للقتال وفعل مثل ذلك ابن الاشعث وترجل الحجاج وخاصته ووضع له منبراً من حديد فجلس عليه وترامى الناس حتى اذا كان القتال بالشب خرج رجل من اصحاب ابن الاشعث وهو ينادي ألا مبارز فقام اليه عنبسة بن سعيد القرشي وهو يمشي مشية كان قد لامه الحجاج عليها وكرهها له فلما رآه الحجاج وهو يمشي تلك المشية قال الحجاج ظلمتك ياعنبسة لو كنت تاركها يوما من دهرك لتركتها يومك هذا. ولما دنا من الرجل قال له عنبسة فمن انت ياشيخي ؟ فقال رجل من تميم ثم من بني دارم فحمل عليه عنبسة فبدره بالضربة فقتله ، ثم انصرف الى مجلسه فجلس وقد تبين الناس حسن طعنه ثم زحف الفريقان بعضهم الى بعض واشتد قتالهم وانتحى سفيان على مركزه لم يرم والجرشي على مركزه لم يرم وكانت ميلتهم على الميسرة فنحوا عبد الرحمن العكي فلما رأى الحجاج قد انكسرت ناحيته وزال عنها بعث اليها ابن عمه الحكم بن ايوب في خيل فقال انطلق الى عدو الله فاضرب وجهه بالسيف حتى ترده الي مقامه ففعل وبعث الي سفيان بن الابرد يأمره بقتال القوم ومحاربتهم فحمل عليهم سفيان وهم مشغولون باليسرة قد طمعوا فيها وكان باذن الله الفتح والغلبة من ناحية سفيان وقد بعث اليه الجرشي يستأذنه القتال فنعه الحجاج وقال له لا الا أن ترى أمراً مقبلا وتمكنا من فرصة فاجتمع الامر وثاب العكي وانهزم ابن الاشعث واستحقت هزيمته فدعا الحجاج بدابته فركبها وركب من كان مترجلا معه بعد سجود ودعاء وشكر كان منه على ماصنع الله به ومن كان معه وحمدوا الله تعالى كثيراً وكبروه تكبيراً عالياً ثم انتهوا الي ربوة فأوما اليها ثم استقبل ناحيتهم والسيوف تأخذهم وحسر بيضته عن رأسه فجعل يقرع رأسه بخيزران في يده وهو يتمثل بهذه الابيات وهي من قول عبيد بن الابرص أو من قول البشكري :

كيف ترجون مقاطي بعد ما
جلل الرأس بياض وصلع

ساء ماظنوا وقد اور يتهم
عند غايات المدى كيف اقع

رب من انضجت غيظا قلبه
قد تمنى لي موتا لم يطع

ويراني كالشجى في حلقه
عسراً مخرجه مايننزع

مزبد يهدر مالم يرني
فاذا اسمعته صوتي اقمع

ويجيبني اذا لاقيته
واذا يخلو له لحمي رتع

ورث البغضاء عن والده
حافظا منه الذي كان استمع

ولسان صيرفي صارم
كذباب السيف مامس قطع

قال فلما فرغ الحجاج من هذه الابيات كبر ثم حمد الله بما هو أهله الذي كان من صنعه فينا هو كذلك اذا اتاه من يخبره ان ابن الاشعث قد انخذل من اصحابه في نفر يسير متوجهاً الى ناحية خراسان فدعا الحجاج ابن عم له كان يثق به بالنصيحة والهوى فقطع معه ليلا وارسله في طلب ابن الاشعث الي مواضع شتى وعهد اليهم ان لايدركوا احداً الا اتوا به او برأسه او يموت فوقف طويلا في مكانه ذلك المرتفع ينظر الى عسكر ابن الاشعث واصحابه ينتهبونه ثم رجع الى عسكره فنزل ودخل فسطاطه فدخل واذن لاصحابه فدخلوا عليه فقام كل واحد منهم يهنئه بالفتح وجعل ابن جبلة يأتيه بالاسرى فكلما اتي بأسير امر به فضربت عنقه فكان ذلك فعله يومه ذلك الي الليل فلما اصبح وتراجع اليه اكثر خيله امر مناديه ينادي بالقفل فقفل وقفلت معه اجناده وجميع اصحابه الى مدينة واسط فكان فيها وهو الذي بناها وضرب ابن الاشعث ظهراً لبطن ليلا ونهاراً حتى لحق بخراسان ورجا في لحوقه بها النجاة من الحجاج والحذر لنفسه ولم يشعر بالخيل التي في طلبه حتى غشيته فلم تزل تطلبه من موضع الى موضع حتى اضطرته بقصر منيف فحصره ابن عم الحجاج فيه واحاطت به الخيل من كل جانب حتى ضيق عليه ودعا بالنار ليحرقه في القصر فلما رأى ابن الاشعث انه لامحيص له ولا ملجأ وخاف النار فرمى بنفسه من بعض علالي القصر وطمع ان يسلم ولا يشعر به فيدخل في غمار الناس فيخفي امره ويكتم خبره فسقط وانكسرت ساقه وانخذل ظهره ووقع مغشيا عليه فثار به اصحاب

الحجاج فأخذوه وقد أفلت بعض الافلة ولا يقدر على النهوض فأتوا به الى بن عم الحجاج فلما رآه بتلك الحال أيقن انه لايقدر على أن يبلغ الحجاج حتى يموت فأمر به فضربت رقبته وانطلق برأسه الى الحجاج فلما قدم عليه أحدث لله شكرا وحمداً فيما كان من تمام الصنع وما هيأ له من التأييد والظفر وأقام كذلك لايمر عليه يوم الا وهو يؤتى فيه بأسرى فلما رأى كثرتهم ازداد حنقا وغيظا لما رعنهم في اتباع ابن الاشعث ومخالفتهم عن الحجاج فيأمر بقتلهم حردا على الخوارج ورجاء أن يستأصلهم فلا يخرج عليه خارج بعدها فلما رأى كثرة من يؤتى به من الاسرى تحرى فجعل اذا أتي بأسير يقول له : أمؤمن انت ام كافر ؟ ليعرف بذلك الخوارج من غيرهم فمن باء على نفسه بالكفر والنفاق عفا عنه ، ومن قال أنا مؤمن ضرب عنقه ، واسر عامر بن سعيد الشعبي فيمن اسر وكان مع ابن الاشعث في جميع حروبه وكان خاص المنزلة منه ليس لاحد منه مثلها الذي كان عليه من حاله الا سعيد بن جبير ، وانفلت سعيد بن جبير فلحق بمكة واتي بالشعبي الى الحجاج في صورة غضبه وهو يقتل الاسرى الاول فالاول الا من باء على نفسه بالكفر والنفاق . فلما سار عامر بن سعيد الشعبي الى الدخول عليه لقيه رجل من صحابة الحجاج يقال له يزيد ابن أبي مسلم وكان مولاه وحاجبه فقال : ياشعبي لعلي بالعلم الذي يوجد لديك وليس بيوم شفاعة اذا دخلت على الامير تبوء له بالكفر والنفاق عسى أن تنجو . فلما دخل على الحجاج سادله واضعاً رأسه لم يشعر ؟ فلما رفع رأسه رآه قال له وأنت أيضاً ياشعبي فيمن اعان علينا وألب ؟ قال أصلح الله الامير اني أمرت باشياء أقولها لك أرضيك بها وأسخط الرب ولست افعل ولكني أقول اصلح الله الامير واصدقك القول فان كان شيء يقع بين يديك فولني الصدق ان شاء الله . احزن بنا المنزل وأجدب واكتحلنا السهر واستحلسنا الخوف وضاق بنا البلد العريض فوقعنا في حرب لم يكن فيه بررة اتقياء ، ولا فجرة أقوياء . فقال له الحجاج كذلك ؟ قال نعم أصلح الله الامير وأمتع به . قال فنظر الحجاج الى أهل الشام فقال صدق والله ياأهل

الشام ماكانوا بررة أتقياء فيتورعوا عن قتالنا ولا فجرة اقوياء فيقووا علينا . ثم قال انطلق ياشعبي فقد عفونا عنك فأنت أحق بالعفو ممن يأتينا وقد تلطخ بالدماء ثم يقول كان وكان . قال وكان قد حضر بالباب رجلان أحدهما من بكر بن وائل والآخر من تميم وكانا سمعا ماقيل للشعبي بالباب أن يقوله فلما أدخلا قال الحجاج لبكري أمنافق انت ؟ قال نعم اصلح الله الامير لكن أخو بني تميم لايبوء على نفسه بالنفاق . قال التميمي : أنا على دمي لخدع اصلح الله الامير منافق مشرك ، فتبسم الحجاج وأمر بتخلية سبيلهما ، قال الشعبي فوالله ماأتى الملك الأمر الا نحسو من شهر بن حتى رفعت اليه فريضة اشكلت عليه وهي : أم وجد وأخت فقال من هاهنا نسأله عنها ، قال فدل علي ، فأرسل الي فقال ياشعبي ماعندك في هذه الفريضة أم واخت وجد ؟ فقلت . اصلح الله الامير قد قيل فيها خمسة من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، قال : من قال ، قلت قال فيها علي بن ابي طالب وامير المؤمنين عثمان بن عفان وعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت ، قال هات ماقال فيها علي . فأخبرته . قال فماقال فيها ابن مسعود ؟ فأخبرته . قال فماقال فيها ابن عباس فوالله لقد كان متثبتاً ؟ فأخبرته قال فما قال فيها أمير المؤمنين عثمان ؟ فأخبرته . قال فما قال زيد بن ثابت قلت أخذها من تسمة أسهم فأعطي الام ثلاثة أسهم واعطي الجد أربعة اسهم واعطي الاخت سهمين . قال فلما سمع ماكان من قول كل واحد منهم وعرف رأيهم فيها قال ياغلام قل للقاضي يقضيها على ماقال أمير المؤمنين عثمان

قال الشعبي ودخلت عليه الترك وقد شدوا أوساطهم بعمائهم وانتزعت السيوف من أعناقهم وأخذوا الطوامير بأيمانهم ودخل عليه رجل من قبل أمير المؤمنين عبد الملك فقال له الحجاج كيف تركت أمير المؤمنين وأهله وولده وحشمه فأنبأه عنهم وعنه بصلاح . فقال ماكان وراءك من غيث ؟ قال نعم أصلح الله الأمير اصابتني سحابة في موضع كذا فواد سائل وواد نارع ، فأرض مدبرة وارض مقبلة حتى صدعت عن الكمأة أماكنها فما أبينك الا في مثل مجرى الضب . فقال الحاجب ائذن للناس فدخل عليه رجل

أتاه من قبل نجد ، فقال له ما كان وراءك من غيث ؟ فقال كثير الاعصار وأغبر البلاد وأكل ما أشرف من الحشيشة فاستيقنا انه عام سنة ، فقال بئس المخبر انت قال اخبرتك بالذى كان ، فقال للحاجب ائذن للناس فدخل عليه رجل أتاه من قبل اليمامة فقال هل كان وراءك من غيث ؟ قال نعم وسمعت الرواد يدعون الي ريادها وسمعت رائداً يقول هلموا أطعمكم محلة تطغو فيها الثيران وتشتكي فيها النساء وتنافس فيها المعز ، فقال له ويحك انما تحدث أهل الشام فأفهمهم فقال أصلح الله الامير أما تطغو الثيران فيستكثر فيها الزبد واللبن والثمر فلا توقد نار واما أن يشتكي النساء فانه من جذبها علي ابريق لبنها فتظل تمخض لبنها فتبيت ولها أنين من عضديها ، وأما تنافس المعز فانها ترأم من نوار النبات وألوان الثمر ما يشبع بطونها ولا يشبع عيونها فتبيت وقد امتلأت أكراشها من الكظة شرة تنزل به الدرة

ثم قال للحاجب ائذن للناس فدخل عليه رجل من الموالي كان أشجع الناس في زمانه يقال له عمرو بن الصلت فقال له الحجاج هل كان وراءك من غيث قال نعم اصلح الله الامير أصابتني سحابة بموضع كذا وكذا فلم أزل أطلب أثرها حتى دخلت علي الامير فقال الحجاج أما والله لئن كنت في المطر أقصرهم خطبة انك بالسيف لاطولهم خطوة

ولما انهزم ابن الاشعث قام بعده عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة فقاتل الحجاج ثلاثة ايام ثم انهزم فوقع بأرض فارس ثم صار الي السند فمات هناك وتحصن ناس من اصحاب ابن الاشعث في قلعة بأرض فارس منهم عبد الرحمن بن الحارث بن نوفل والفضل بن عياش وعمرو ابن موسى التميمي ومحمد ابن سعد بن أبي وقاص وعبيد الله ومحمد واسحاق وعون ابن عبد الله بن الحارث في ناس من قريش ولحق سعيد بن جبير بمكة فأشعر به الحجاج فغفل عنه ولم يهيجه فبعث الحجاج يزيد بن المهلب فحاصرهم بفارس قال ابو معشر حدثني عون قال كتب الينا يزيد ابن المهلب ان اخبروني بآية بيني وبينكم حتى اخرجكم . قال فكتب اليه عبد الله بن الحارث كنت يوماً كذا وكذا في دارنا قال فأخرجته

وبنيه فسكناه عمان وأسر من بقي وأسروا اثنى عشر رجلا من وجوه الناس عامتهم من قريش منهم عمرو بن موسى التميمي ومحمد بن سعد بن أبي وقاص فبعث بهم الي الحجاج فحبسهم عنده وكتب الي عبد الملك يخبره بأمرهم وجعل يذكر في كتابه ان سعيداً قد أنكر الخروج مع هؤلاء القوم فكتب اليه عبد الملك يأمره بضرب أعناقهم ويقول في كتابه لم أبعثك مشفعاً وانما بعثتك منفذاً مناجزاً لأهل الخلاف والمعصية . فأبرزهم الحجاج فقال لعمرو بن موسى يا عاتق قريش وكان شابا جميلا ما لك أنت والخروج انما أنت عاتق صاحب ثياب ولعب . فقال عمرو أيها الرجل امض لما تريد فانما نزلت بعهد الله وميثاقه فأن شئت فارسل يدى وقد برئت مني الذمة . فقال له الحجاج كلا حتى أقدمك الي النار . فضربت رقبته ثم جيء بمحمد بن سعد ، فقال له يا ظل الشيطان وكان رجلا طويلا ألست بصاحب كل موطن ، انت صاحب الحرة وصاحب يوم الزاوية وصاحب الجماجم ، فقال له انما نزلت بعهد الله وميثاقه ارسل يدى وقد برئت مني الذمة قال لا حتى أقدمك الي النار . ثم قال لرجل من أهل الشام اضرب لى مفرق رأسه فضرب فمال نصفه هاهنا ونصفه هاهنا ثم قتل الباقين

(ذكر قتل سعيد بن جبير) قال وذكروا أن مسلمة بن عبد الملك كان والياً علي أهل مكة فبينما هو يخطب علي المنبر اذ أقبل خالد بن عبد الله القسرى من الشام والياً عليها فدخل المسجد فلما قضي مسلمة خطبته صعد خالد المنبر فلما ارتقي في الدرجة الثالثة تحت مسلمة أخرج طوماراً مختوماً ففضه ثم قرأه علي الناس فيه : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين الى أهل مكة ، أما بعد فاني وليت عليكم خالد ابن عبد الله القسرى فاسمعوا له وأطيعوا ولا يجعلن امرؤ علي نفسه سبيلا فانما هو القتل لاغير وقد برئت الذمة من رجل آوى سعيد بن جبير والسلام . ثم التفت اليهم خالد وقال : والذى نحلف به ونحج اليه لا أجده في دار أحد الا قتلته وهدمت داره ودار كل من جاوره واستبحت حرمته وقد أجلت لكم فيه ثلاثة أيام . ثم نزل ودعا مسلمة برواحله

ولحق بالشام . فأتي رجل الي خالد فقال له ان سعيد بن جبير بواد من أودية مكة مختفيا بمكان كذا فأرسل خالد في طلبه فأتاه الرسول فلما نظر اليه الرسول قال انما أمرت باخذك وأتيت لأذهب بك اليه واعوذ بالله من ذلك فالحق بأي بلد شئت وانا معك قال له سعيد بن جبير . أتراك ها هنا أهل وولد ؟ قال نعم قال انهم يؤخذون وينالهم من المكروه مثل الذى كان ينالنا . قال الرسول فاني أكلمهم الى الله فقال سعيد لا يكون هذا . فأتي به الى خالد فشده وثاقا وبعث به الي الحجاج فقال له رجل من أهل الشام . ان الحجاج قد انذر به واشعر قلبك فما عرض له فلو جلسته فيما بينك وبين الله لكان ازكي من كل عمل يتقرب به الي الله . فقال خالد وقد كان ظهره الى الكعبة قد استند اليها . والله لو علمت ان عبدالملك لايرضي عني الا بنقض هذا البيت حجراً حجراً لنقضته في مرضاته

فلما قدم سعيد علي الحجاج قال له ما اسمك ؟ قال سعيد . قال ابن من ؟ قال ابن جبير ؟ قال بل انت شقي ابن كسير . قال سعيد ابي أعلم باسمي واسم ابي . قال الحجاج شقيت وشقيت امك . قال سعيد الغيب يعلمه غيرك . قال الحجاج لاوردنك حياض الموت . قال سعيد أصابت اذاً امي اسمي . فقال الحجاج لأبدلنك بالدنيا ناراً تلظي . قال سعيد ولو أني أعلم أن ذلك بيدك لاتخذتك الها . قال الحجاج فما قولك في محمد ، قال سعيد نبي الرحمة ورسول رب العالمين الي الناس كافة بالموعظة الحسنة . قال الحجاج فما قولك في الخلفاء ؟ قال سعيد لست عليهم بوكيل كل امرىء بما كسب رهين . قال الحجاج اشتهيهم أم أمدحهم . قال سعيد لا أقول مالا أعلم انما استحفظت أمر نفسي . قال الحجاج أيهم أعجب اليك اقال : حالاتهم يفضل بعضهم علي بعض . قال الحجاج صف لي قولك في علي أفي الجنة هو أم في النار ؟ قال سعيد لو دخلت الجنة فرأيت أهلها علمت ولو رأيت من في النار علمت فما سؤالك عن غيب قد حفظ بالحجاب ؟ قال الحجاج فأي رجل أنا يوم القيامة ؟ فقال سعيد أنا أهون علي الله من أن يظلمني علي الغيب . قال الحجاج أيت أن تصدقني ؟ قال سعيد بل لم ارد ان اكذبك . قال

الحجاج فدع عنك هذا كله أخبرني مالك لم تضحك قط ؟ قال : لم أر شيئا يضحكني وكيف يضحك مخلوق من طين والطين تأكله النار ومنقلبه الى الجزاء واليوم يصبح ويمسي في الابتلاء ؟ قال الحجاج فأنا أضحك . فقال سعيد كذلك خلقنا الله أطوارا . قال الحجاج هل رأيت شيئا من اللهو ؟ قال لا أعلمه . فدعا الحجاج بالعود والنساى قال فلما ضرب بالعود ونفخ في الناى بكي سعيد . قال الحجاج ما يبكيك ؟ قال : يا حجاج ذكرتني أمراً عظيما والله لا شبعت ولا رويت ولا اكتميت ولا زلت حزينا لما رأيت . قال الحجاج وما كنت رأيت هذا اللهو ، فقال سعيد : بل هذا والله الحرق ، أما هذه النفخة فذكرتني يوم النفخ في الصور ، وأما هذا المصران فمن نفس صنعتم منك الي الحساب . وأما هذا العود فنبت بحق وقطع لغير حق . فقال الحجاج أنا قاتلك . قال سعيد قد فرغ من نسبب موتي . قال الحجاج أنا أحب الي الله منك . قال سعيد لا يقدم أحد علي ربه حتى يعرف منزلته منه والله بالغيب أعلم . قال الحجاج كيف لا أقدم علي ربي في مقامي هذا وأنا مع امام الجماعة وأنت مع امام الفرقة والفتنة ؟ قال سعيد ما أنا بخارج عن الجماعة ولا أنا براض عن الفتنة ولكن قضاء الرب نافذ لا مرد له . قال الحجاج كيف ترى مآلنا مع لامير المؤمنين ؟ قال سعيد لم أر . فدعا الحجاج بالذهب والفضة والكسوة والجوهر فوضع بين يديه . قال سعيد : هذا حسن ان قمت بشرطه . قال الحجاج وما شرطه قال : أن تشتري بما تجمع الأمن من الفزع الاكبر يوم القيامة والا فان كل مرضعة تذهل عما أرضعت ويضع كل ذي حمل حمله ولا ينفعه الا ماطاب منه ، قال الحجاج فنرى جمعنا طيباً ؟ قال برأيك جمعته وأنت أعلم بطيبه . قال الحجاج أتحب أن لك منه شيئاً ؟ قال لا أحب ما لا يحب الله . قال الحجاج ويلك . قال سعيد الويل لمن زحزح عن الجنة فأدخل النار . قال الحجاج اذهبوا به فاقتلوه . قال اني أشهدك يا حجاج أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله استحفظكهن يا حجاج حتى ألقاك

فلما أدبر ضحك . قال الحجاج ما

يضحك ياسعيد؟ قال عجبت من جرأتك على الله وحلمه عليك . قال الحجاج انما أقتل من شق عصا الجماعة ومال الى الفرقة التي نهى الله عنها، أضربوا عنقه قال سعيد حتى أصلي ركعتين فاستقبل القبلة وهو يقول : وجهت وجهي الذي فطر السموات والارض حنيفاً مسلما وما أنا من المشركين ،قال الحجاج :أصرفوه عن القبلة الي قبلة النصارى الذين تفرقوا واختلفوا بينهم فانه من حزبهم ،فصرف عن القبلة فقال سعيد :فأينما تولوا فثم وجه الله الكافي بالسرائر .فقال الحجاج لم توكل بالسرائر وانما وكلنا بالظواهر قال سعيد : اللهم لاتترك له ظلمي وأطلبه بدمي وأجملني آخر قتيل يقتل من أمة محمد . فضربت عنقه . ثم قال الحجاج هاتوا من بقي من الخوارج فقرب منهم جماعة وأمر بضرب أعناقهم وقال ما أخاف الادعاء من هو في ذمة الجماعة من المظلومين فأما أمثال هؤلاء فانهم عالمون حين خرجوا عن جمهور المسلمين وفائد سبيل المتوسمين . وقال قائل ان الحجاج لم يفرغ من قتله حتى خولط في عقله وجعل يصيح : قيودنا قيودنا يعني القيود التي كانت في رجل سعيد بن جبير . ويقال مكث كان الحجاج يسأل عن القيود أو يصيبها وهذا يمكن القبول فيه لاهل الاهواء في الفتح والاغلاق »

انتهى ما نقلناه من كتاب ابن قتيبة من تاريخ عبد الملك بن مروان وانما عمدنا الى نقله بحروفه ليرى القارىء صورة الحوادث على ما كانت عليه في ذلك العصر فيتبين تركيب حكوماته وأساليب أعماله .وانما عمدنا الى النقل عن ابن قتيبة لانه أقرب الي نقل الحوادث عمن خانه من المؤرخين فيكون تصويره لها أقرب الى الحقيقة

﴿عبد الملك بن صالح﴾ هو ابن علي ابن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب أبو عبد الرحمن أمير

تولي المدينة والصوائف لهرون الرشيد ثم ولي الشام والجزيرة للامين . أخذ الحديث عن أبيه ومالك بن أنس وكان أفصح الناس وأخطبهم ولم يكن في عصره مثله في فصاحته وصيانته وجلالته

قيل ليحيي بن خالد البرمكي وقد ولي الرشيد عبد الملك المدينة كيف ولاه

المدينة من بين عماله ؟ قال أحب أن يباهي به قريشا ويعلمهم انه في بني العباس مثله

ودخل على الرشيد يوما وقد توفي له ولد وجاءه ولد : فقال يا أمير المؤمنين سرك الله فيما ساءك ، ولا ساءك فيما سرك وجعل هذه بهذه لجزاء الشاكر ونوابا الصابر

قيل له ان أخاك عبد الله يزعم انك حقود فقال:

اذا ما أمرؤ لم يحقد الوتر لم يجد
لديه لدى النعماء حمداً ولا شكراً

ووجه الى الرشيد فاكهة في أطباق الخيزران وكتب اليه أسعد الله أمير المؤمنين واسعد به أني دخلت الي بستان لي افتديته كرمك ، وغمرته لي نعمتك قد أينعت أشجاره ، وآتت ثماره فوجهت الي أمير المؤمنين منه شيأ على الثقة والامكان ، في أطباق القضبان ، ليصل الي من بركة دعائه ، مثل ما وصل الي من كثرة عطائه

فقال رجل يا أمير المؤمنين لم أسمع بأطباق القضبان . فقال الرشيد يا أبله انه كنى عن الخيزران اذ كان اسلامنا

ولما ودعه الرشيد وقد وجهه الى الشام فقال له الرشيد ألك حاجة ؟ قال نعم يا أمير المؤمنين بيني وبينك بيت يزيد بن الدمينة حيث يقول :

فكوني على الواشين لدى شعوبة
كما أنا الواشي أقد شعوب

ثم أن الرشيد جعل ابنه القاسم في حجر عبد الملك بن صالح فقال عبد الملك بعض الرشيد على أن يوليه العهد بعد أخويه الامين والمأمون :

يا أيها الملك الذي
لو كان نجما كان سعداً
القاسم اعقد بيعة
وأرقد له في الملك وغدا
الله فرد واحد
فاجعل ولاة العهد فرداً

فجعله الرشيد ثالثهما . ثم وشى به بعد ذلك وتتابعت الاخبار عنه بفساد نيته للرشيد ، فدخل عليه في بعض الايام وقد امتلأ قلب الرشيد غيظا فقال له أكراً بالنعمة وغدراً بالامام ؟ فقال عبد الملك قد بؤت اذن باعباء الندم ، واستحلال النقم ، وما ذاك يا أمير المؤمنين الا بغي حاسد ناقس فيك وفي

تقديم الولاية ومودة القرابة . يا أمير المؤمنين انك خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمته ،وأمينه على عترته ، لك عليها فرض الطاعة واداء النصيحة ولها عليك العدل في حكمها ،والتثبت في احداثها

فقال الرشيد هذا غلامة كاتبك يخبر بفساد نيتك وسيرتك ، ثم أمر باحضار وقال له الرشيد تكلم غير خائف ولا هائب .فقال أقول انه لازم لي العذر بك ياأمير المؤمنين والخلاف عليك فقال عبد الملك وكيف لايكذب علي من خلفي من يبهتني في وجهي!

فقال الرشيد هذا ولدك عبد الرحمن يقول بقول كاتبك ويخبر عن سوء ضميرك ، وفساد نيتك ، وانت لو أردت أن تحتج بحجة لم تجد أعدل من هذين ؟ فقال يا أمير المؤمنين عبد الرحمن بين مأمور أو عاق .فان كان مأموراً فمعذور ، وان كان عاقا فهو عدو خير الله بعداوته وحذر منها فقال جل ثناؤه في محكم كتابه: (ان من أولادكم وأزواجكم عدوا لكم فاحذروهم)

فنهض الرشيد فقال أما امرك فقد وضح ولكن لا أعجل حتى أعلم ما الذي يرضي الله فيك فانه الحكم بيني وبينك

فقال عبد الملك رضيت بالله حكما وبأمير المؤمنين حاكما فاني أعلم أنه يؤثر كتاب الله على هواه،وأمر الله على رضاه

ثم أنه دخل عليه في مجلس آخر وسلم فلم يرد عليه الرشيد فلم يزل يعتذر ويحتج لنفسه بالبراءة حتى أقبل عليه بوجهه وقال ما هذا الامر الا كما قلت يا أبا عبدالرحمن وانك لمحسود وأمير المؤمنين يعلم أنك على سريرة صالحة غير مدخولة ولاخبيثة ثم عاد عبد الملك لشربة ماء .فقال له الرشيد ما شرابك يا أبا عبد الرحمن ؟ فقال سحيق الطبرزذ بماء الرمان

فقال الرشيد بخ بخ عضوان لطيفان يذهبان الظماء ،وبالرمان المذاق

فقال عبد الملك صفتك لها يا أمير المؤمنين أشد من فعلهما . ثم أن الرشيد تفكر له بعد ذلك فحبسه عند الفضل بن الربيع ولم يزل محبوساً حتى توفي الرشيد فأطلقه الامين وعقد له باشام وجعل للأمير عهد الله وميثاقه لئن قتل وهو

حي لايسعني المأمون طاعة فات ودفن بدار الامارة بالرقة

فلما قتل الامين وخرج المأمون يريد الروم أرسل الي ابن عبد الملك حول أبيك من داري فنبشت عظامه وحولت

ومن شعر عبد الملك بن صالح ما كتبه الي الرشيد وقد تغير عليه :

اخلاي لي شجو وليس أكم شجو
وكل امرئ من شجو صاحبه خلو
من أي نواحي الارض أبغي رضاكم
وأنتم أناس ما لمرضاتكم نحو
فلا حسن تأتي به تتبعونه
ولا ان أسأنا كان عندكم عفو

فلما وقف عليها الرشيد قال والله ان كان قالها فقد أحسن ، وان كان رواها فقد أحسن،وكتب اليه من السجن رحمه الله :

قل لامير المؤمنين الذي
يشكره الصادر والوارد
ياواحد الاملاك في فضله
مالك مثل في الورى واحد
ان كان لي ذنب ولا ذنب لي
حقا كما قد زعم الحاسد

فلايضق عفوك عني فقد
فاز به المسلم والجاحد

ومن شعره وهو في السجن :

لئن صادني سجني لفقد أحبتي
واني فيهم لا أمر ولا أحلي
لقد سرني عزي بتركك لقائهم
وما اشتكي من حجابي ومن ذلي

ولما أخرجه الامين من السجن دفع اليه كاتبه وابنه فقتل ابنه وهشم وجه كاتبه بعمود

توفي سنة (١٧٦)

﴿مالك بن دينار﴾ هو أبو يحيى مالك ابن دينار البصري وهو من موالي بني سامة لؤي القرشي

كان عالما زاهداً كبير الورع لايأكل الا من كسب يده،فكان يكتب المصاحف بالاجرة روى انه قال : قرأت في التوراة ان من يعمل بيده طوبى لحياه وعماله . وكان يوماً في مجلس وقد قص فيه قاص فبكي القوم ثم ماكان بأوشك من أن أتوا برؤوس فجعلوا يأكلون منها فقال لمالك كل فقال انما يأكل الرؤوس من بكي وأنا لم أبك فلم يأكل منها

لمالك المذكور مناقب عديدة وآثار

مشهورة فمن ذلك ماحكاه أبو القاسم خلف ابن بشكوال الاندلسي في كتابه الذي سماه كتاب المستفيثين بالله تعالى فانه قال بينما مالك بن دينار يوما جالس اذ جاءه رجل فقال يا أبا يحيي ادع الله لامرأة حبلي منذ أربع سنين قد أصبحت في كرب شديد . فنضب مالك وأطبق المصحف ثم قال ما يرى هؤلاء القوم الا اننا أنبياء . ثم قرأ ثم دعا فقال اللهم هذه المرأة ان كان في بطنها جارية فأبدلها بها غلاما فانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب . ثم رفع مالك يده ورفع الناس أيديهم . وجاء رسول الى الرجل وقال أدرك امرأتك فذهب الرجل فما حط مالك يده حتى طلع الرجل من باب المسجد وعلي رقبته غلام جعد قطط ابن أربع سنين وقد استوت أسنانه وأقطع سراره

كان مالك بن دينار من كبار السادات توفي سنة (١٣١) بالبصرة

﴿ مالك بن أنس ﴾

هو الامام أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمر بن الحارث بن غيمان وقيل غيمان بن جنبل وقيل خثيل بن عمرو ابن ذي أصبح واسمه الحارث الاصبحي المدني

هو امام دار الهجرة وأحد الائمة الاعلام أخذ القراءة عرضاً من نافع بن أبي نعيم وسمع الزهري ونافعاً مولي ابن عمر رضي الله عنهما وسمع عنه الاوزاعي ويحيي بن سعيد وأخذ العلم عن ربيعة الرأي وأفتى ومه عند السلطان

قال مالك قل رجل كنت أتعلم منه مامات حتى يجيئني ويستفتيني

وقال ابن وهب سمعت منادي ينادي بالمدينة ألا لا يفتي الناس الا مالك بن أنس وابن أبي ذؤيب

وكان مالك اذا أراد أن يحدث توضأ وجلس علي صدر فراشه وسرح لحيته وتمكن في جلوسه بوقار وهيبة ثم حدث . فقيل له في ذلك فقال أحب أن أعظم حديث رسول الله صلي الله عليه وسلم ولا أحدث به الا متمكنا علي طهارة وكان يكره أن يحدث علي الطريق أو قائما أو مستعجلا ويقول أحب أن أتفهم ما أحدث به عن رسول الله صلي الله عليه وسلم . وكان لا يركب في المدينة مع ضعفه وكبر سنه ويقول لا أركب في

مدينة فيها جثة رسول الله صلي الله عليه وسلم مدفونة

وقال الشافعي قال لي محمد بن الحسن أيهما أعلم صاحبنا أم صاحبكم يعني أبا حنيفة ومالكا رضي الله عنهما ؟ قال قلت علي الانصاف ؟ قال نعم . قلت ناشدتك الله من أعلم بالقرآن صاحبنا أم صاحبكم ؟ قال اللهم صاحبكم ؟ قال قلت ناشدتك الله من أعلم بأقاويل أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم المتقدمين صاحبنا أم صاحبكم ؟ قال اللهم صاحبكم . قال الشافعي فلم يبق الا القياس والقياس لا يكون الا علي هذه الاشياء فعلي أي شيء تقيس ؟

وقال الواقدي كان مالك يأتي المسجد ويشهد الصلوات والجمعة والجنائز ويعود المرضي ويقضي الحقوق ويجالس في المسجد ويجتمع اليه أصحابه ثم ترك الجلوس في المسجد فكان يصلي وينصرف الي مجلسه . وترك حضور الجنائز فكان يأتي أهلها فيعزيهم . ثم ترك ذلك كله فلم يكن يشهد تلك الصلوات في المسجد ولا الجمعة ولا يأتي أحداً يعزيه ولا يقفي له حقا واحتمل الناس له ذلك حتى مات عليه وكان ربما قيل له في ذلك فيقول ليس كل الناس يقدر أن يتكلم بعذره

وسعي به الي جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس رضي الله عنهما وهو عم أبو جعفر المنصور وقالوا له انه لا يري أيمان بيعتكم عنده بشيء . فغضب ابو جعفر ودعا به وجرده وضربه بالسياط ومدت يده حتى انخلعت كتفه وارتكب معه أمراً عظيما فلم يزل بعد ذلك الضرب في علو ورفعة وكأنما كانت تلك السياط حلياً حلي به

وذكر ابن الجوزي في شذور العقود في سنة (١٤٧) وفيها ضرب مالك بن أنس سبعين سوطا لاجل فتوى لم توافق غرض السلطان والله أعلم

ولد مالك سنة (٩٥) الهجرة وحمل به ثلاث سنين وتوفي في شهر ربيع الاول سنة تسع وسبعين ومائة رضي الله عنه فعاش أربعا وثمانين سنة وقال الواقدي مات وله تسعون سنة

وقال ابن الفرات في تاريخه المرتب علي السنين توفي مالك بن أنس الاصبحي لعشر مضين من شهر ربيع الاول سنة

تسع وتسعين ومائة وقيل انه توفي سنة ثمان وثمانين ومائة وقيل ان مولده سنة تسعين الهجرة

وقال السمعاني في كتاب الانساب في ترجمة الاصبحي انه ولد في سنة ثلاث أو أربع وتسعين والله اعلم

(وحكي) الحافظ أبو عبد الله الحميدي في كتاب جذوة المقتبس قال حدث القعنبي قال دخلت على مالك ابن أنس في مرضه الذي مات فيه فسلمت عليه ثم جلست فرأيته يبكي فقلت يا أبا عبد الله ما الذي يبكيك فقال لي يا ابن قعنب ومالي لا أبكي ومن أحق بالبكاء مني والله لوددت اني ضربت بكل مسألة أفتيت فيها برأيي بسوط سوط وقد كانت لي السعة فيما قد سبقت اليه ولياني لم أفت بالرأي . أو كما قال

وكانت وفاته بالمدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ودفن بالبقيع وكان شديد البياض الى الشقرة طويلا عظيم الهامة أصلع يلبس الثياب العدنية الجياد ويكره حلق الشارب ويعيبه ويراه من المثلة ولا ينهى شبيه ورثاه أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج بقوله:

صلى جدثا ضم البقيع لمالك
من المزن مرعاد السحائب مبراق
أمام موطاه الذي طبقت به
أقاليم في الدنيا فساح وآفاق
أقام به شرع النبي محمد
له حذر من أن يضام واشفاق
له سند عال صحيح وهيبة
فلا كل منه حين يرويه اطراق
وأصحاب صدق كلهم علم فضل
بهم أنهم ان أنت ساءلت حذاق
ولو لم يكن الا ابن ادريس وحده
كفاه ألا ان السعادة أورثاق

والاصبحي بفتح الهمزة وسكون الصاد المهملة وفتح الباء الموحدة وبعدها حاء مهملة هذه النسبة الى ذي أصبح واسمه الحرث بن عوف بن مالك بن زيد بن شداد بن زرعة وهو من يعرب بن قحطان وهي قبيلة كبيرة باليمن واليها تنسب السياط الاصبحية

وقال هشام بن الكلبي في جمهرة النسب ذو أصبح هو الحرث بن مالك ابن زيد بن غوث بن سعد بن عوف ابن عدي بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم

ابن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن ايمن بن هميسع بن حمير بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان واسمه يقطن بن عابر ابن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام

مالك بن طوق هو التغلبي صاحب الرحبة أحد الاشراف والفرسان الاجواد في عهد بني العباس

تولى مرة دمشق للمتوكل وكان ينادي على باب داره بالخضراء وكانت دار الامارة بعد المغرب : الافطار يرحمكم الله. قال والابواب تكون اذذاك مفتحة يدخلها الناس

وهو الذي بنى الرحبة التي على الفرات واليه تنسب . وسبب ذلك أن هرون الرشيد ركب في حراقة مع ندمائه في الفرات ومعهم مالك بن طوق فلما قرب من الدواليب قال يا أمير المؤمنين لو خرجت الى الشط لتجوز هذه الدواليب . قال أحسبك تخاف هذه . قال الله يكفي أمير المؤمنين كل محذور . قال الرشيد قد تطيرت بقولك ثم صعد الى الشط فلما بلغت الحراقة الى الدواليب دارت دورة ثم انقلبت بما فيها فتعجب الرشيد من ذلك وسجد شكراً لله تعالى وتصدق باموال كثيرة وقال لمالك وجبت لك علينا حاجة فسل ما تحب . قال يعطيني أمير المؤمنين هنا أرضا ابنيها فتنسب الي . قال قد فعلنا وساعدنا بالاموال والرجال فلما عمرها واستوثق أموره فيها وتحول الناس اليها أفاق اليه الخليفة يطلب منه مالا فتعلل ودافع وماطل وتحصن وجمع الجيوش وطالت الوقائع بينه وبين عسكر الرشيد الى أن ظفر به قائد جيش الرشيد وحمله مكبلا فمكث في السجن عشرة أيام ثم أمر باحضاره في جمع من الوزراء وأرباب الدولة فقبل الارض ولم ينطق . فتعجب الرشيد من صمته وغلظه ذلك وأمر بضرب عنقه وبسط النطع وجرد السيف وقدم مالك . فقال الوزير يا مالك تكلم فان أمير المؤمنين يسمع كلامك . فرفع رأسه وقال يا أمير المؤمنين أخرست من الكلام دهشة وقد ادهشت من السلام والتحية . فاما اذ أذن أمير المؤمنين فاني اقول السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته الحمد لله الذي خلق الانسان

من صلاة من طين يا أمير المؤمنين جبر الله بك صدع الدين ولم بك شعث الامة وأخمد بك شهاب الباطل وأوضح بك سبل الحق ان الذنوب تخرس الالسنة الفصيحة وتصدع الافئدة وأيم الله لقد عظمت الجريمة وانقطعت الحجة ولم يبق الا عفوك أو انتقامك . ثم أنشأ يقول بعد ما التفت يمينا وشمالا:

أرى الموت بين النطع والسيف كامنا
يلاحظني من حيث ما أتلفت
وأكبر ظني أنك اليوم قاتلي
وأي امرىء مما قضي الله يفلت
يعز علي الاوس بن تغلب موقف
يعز علي السيف فيه وأسكت
وأي امرىء يدلى بعذر وحجة
وسيف المنايا بين عينيه يصلت
ومالي من خوف أموت وانني
لأعلم أن الموت شيء مؤقت
ولكن خوفي صبية قد تركتهم
وأكبادهم من حسرة تتفت
كأني أراهم حين أنعى اليهم
وقد خمشوا تلك الوجوه وصوتوا
فان عشت عاشوا آمنين بغبطة
أذود الردى عنهم وان مت موتوا

فكم قائل لا يبعد الله داره
وآخر جذلان يسر ويشمت

قال فبكى هرون الرشيد وقال لقد سكت على همة، وتكلمت عن علم وحكمة، وقد عفوت لك عن الصبوة، ووهبتك الصبوة ، فارجع الى ولدك ولا تعاود

فقال سمعا وطاعة . وانصرف

توفي سنة(٢٥٩)ه

﴿مالك بن نويرة﴾ بن حمزة بن شداد أبو المغوار اليربوعي أخو متمم

كان يلقب بالمحنول لكثرة شعره أسلم في مدة النبي صلى الله عليه وسلم قيل ثم ارتد مع من ارتد بعد وفاته فقتل في حروب أهل الردة التي قام بها أبو بكر الصديق أمير المؤمنين

قال أبو الفرج الاصفهاني في كتاب الاغاني : كان أبو بكر رضي الله عنه لما جهز خالد بن الوليد لقتال أهل الردة قد أوصاهم أنهم اذا سمعوا الاذان في الحي واقامة الصلاة نزلوا عليهم فان أجابوا الى أداء الزكاة والا الغارة. فجاءت السرية حتى مالك وكان في السرية أبو قتادة الانصاري وكان ممن شهد أنهم أذنوا وأقاموا وصلوا فقبض عليهم وكانت

ليلة باردة فأمر خالد مناديا ينادي أدفئوا اسراكم ، وكان لغة كنانة اذا قالوا ادفئوا الرجل يعنون اقتلوه، فقتل ضرار بن الازور مالكا . وسمع خالد الداعية فخرج وقد فرغوا منهم فقال اذا أراد الله أمرا أصابه. فقال أبو قتادة هذا عملك . فزبره خالد. فغضب ومضى حتى أتى ابا بكر ، فغضب عليه ابو بكر حتى كلمه فيه عمر فلم يرض الا ان يرجع الى خالد ويقيم معه فرجع اليه ولم يزل معه حتى قدم خالد المدينة . وكان خالد قد تزوج بزوجة مالك . فقال عمر ان في سيف خالد رهقا وحق عليه أن يقيده . وأكثر عليه في ذلك وكان ابو بكر لا يقيد عماله . فقال يا عمر ان خالدا تأول فأخطأ فارفع لسانك عنه . ثم كتب الى خالد أن يقدم عليه فقدم وأخبره بخبره فقبل عذره فمنعه بالتزويج. وقيل ان خالدا كان يهوى امرأة مالك في الجاهلية ، وكان خالد يعتذر في قتله فيقول انه قال لي وهو يراجعني ما اخال صاحبكم الا قد كان يقول كذا وكذا. فقال خالد أو ما تعده صاحبك انتم فقدمه فضرب عنقه . ومما يؤيد خالدا ان مالكا صار مرتدا ان متمما أخاه لما أنشد عمر مراثيه في مالك قال عمر والله لوددت اني احسن الشعر فأرثي أخي زيدا بمثل ماريثت أخاك . فقال متمم لو ان أخي مات على مامات عليه أخوك مارثيته. فقال عمر رضي الله عنه ما عزاني احد عن أخي بأحسن مما عزاني به متمم . وقال الرياشي صلى متمم بن نويرة مع أبي بكر رضي الله عنه الصبح ثم أنشد:

نعم القتيل اذا الرياح تناوحت
فوق العضاه قتلت يا ابن الازور
الابيات ، ثم بكى حتى سالت عيناه العوراء ثم انخرط على سية قوسه منشيا عليه ، وقيل لمتمم مابلغ من وجدك على أخيك ؟ فقال أصبت باحدى عيني فما قطرت منها قطرة عشرين سنة فلما قتل أخي استهلت فما ترقأ

ويقال في المثل : (فتى ولا كمالك ومرثي ولا كالسعدان) يعنون به مالكا هذا .

وقيل لمتمم صف لنا مالكا، فقال: كان يركب الجمل النفال في الليلة القرة يرمي لاهله بين المزادتين ، عليه الشملة الغلوت يقود الفرس الحرون ثم يصبح ضاحكا

ومن شعر متمم في أخيه مالك:

نعم القتيل اذا الرياح تناوحت
فوق العضاة قتلت يا ابن الازور
أدعوته باللهِ ثم غدرته
بل لو دعاك بذمة لم يغدر
لا يلبس الفحشاء تحت ثيابه
صعب مقادته عفيف المئزر
فلنعم حشو الدرع كنت وحامرا
ولنعم مأوى الطارق المتنور

وقال يرثيه من ابيات :

وكنا كندمان جذيمة حقبة
من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
وعشنا بخير في الحياة وقبلنا
اصاب المنايا رهط كسرى وتبعا
فلما تفرقنا كأني ومالكاً
لطول اجتماع لم نبت ليلة معا
فان تكن الايام فرقن بيننا
فقد بان محمودا اخي يوم ودعا
أقول وقد طار السنا في ربابه
وجون يسح الماء حتى تريعا
سقى الله أرضاً حلها قبر مالك
ذهاب الغوادي المدجنات فأمرعا
تحيته مني وان كان نائيا
وأسقي ثرايا فوقه الارض بلقعا

وقال أيضاً رحمه تعالى :

وقالوا أتبكي كل قبر رأيته
لقبر ثوى بين اللوى والدكادك
لقد لامني عند القبور على البكا
رفيقي لتذراف الدموع السوافك
فقلت لهم ان الشجا يبعث الشجا
دعوني فهذا كله قبر مالك

وقال عمر رضي الله عنه لمتمم أكان مالك يحبك مثل محبتك اياه ؟ فقال أين انا من مالك ، والله يا أمير المؤمنين لقد أسرني حي من العرب فشدوني وثاقا وألقوني بفنائهم فبلغه خبري فأقبل على علي راحلته حتى انتهى الي القوم وهم جلوس في ناديهم فلما نظر الي أعرض عني وقصد الي القوم فعرفت ما أراد فوقف عليهم فسلم وحادثهم وضاحكهم فوالله ما زال حتى ملأهم سرورا واحضروا غداءهم فدأبوه النزول يتغدى معهم فقعل ثم نظر اليهم وقال لقبيح بنا أن نأكل ورجل مالي بين أيدينا لا يأكل معنا وأمسك عن الطعام فقام القوم وصبوا الماء على يدي حتى لان وحلوني ثم جاؤا بي وأجلسوني معهم على الغداء . فلما اكلنا قال لهم ما ترون نحرم هذا بنا

وأكل معنا وانه لقبيح بكم أن تردوه الي القيد . خلوا سبيلي وأطلقوني بغير فداء

ابن مالك النحوي

هو محمد بن عبدالله بن مالك الامام العلامة الاوحد جمال الدين الطائي الجياني الشافعي النحوي نزيل دمشق

ولد سنة (٦٠٠) وسمع بدمشق وتصدر بحلب لاقراء العربية وصرف همته الي اتقان لسان العرب حتى بلغ فيه الغاية وأربى على المتقدمين . وكان اماما في القراءات وعللها وصنف فيها قصيدة في قدر الشاطبية . وأما اللغة فكان اليه المنتهى فيها . وكان اماما في العداية فكان اذا صلى فيها يشيعه قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان مؤلف وفيات الاعيان الي بيته تعظيما له . وأما النحو والتصريف فكان فيهما بحراً لا ساحل له . وأما اطلاعه على أشعار العرب التي يستشهد بها فكان فيه غاية وكان أكثر ما يستشهد بالقرآن فان لم يكن فيه شاهد عدل الى الحديث ، فان لم يكن فيه شيء عدل الي أشعار العرب. هذا ما كان عليه من الدين والعبادة وكثرة النوافل وحسن السمت وكمال النقل. وأقام بدمشق مدة يصنف ويشتغل بالجامع وبالتربة العادلية ويخرج به جماعة وكان نظم الشعر عليه سهلا وصنف كتابا لتسهيل الفوائد سماه سعد الدين بن عربي بأبيات وهي :

ان الامام جمال الدين جمله
رب العلى ولنشر العلم أهله
أملى كتابا له يسمى الفوائد لم
يزل مفيداً لمن يحلو تأمله

ومن تصانيفه سبك المنظوم ، وفك المختوم ، وكتاب الكافية الشافية ثلاثة آلاف بيت وشرحها ، والخلاصة ومختصر الشافية ، واكمال الاعلام بمثلث الكلام ، وفعل وأفعل ، والمقدمة الاسدية سماها باسم ولده الاسد ، وعدة اللافظ وعمدة الحافظ ، والنظم الاوجز فيما لا يهمز ، والاعتضاد في الظاء والضاد ، واعراب مشكل البخاري . توفي سنة (٦٧٢)

ورثاه شرف الدين بقوله :

باثنات الاسماء والافعال
بموت ابن مالك المفضال
وانحراف الحروف من بعد ضبط
منه في الانفصال والاتصال

مصدراً كان للعلوم بإذن الـ
الله من غير شبهة أو محال
عدم النعت والتعطف والتو
كيد مستبدلا من الابدال
ألم إعتراه أسكن منه
حركات كانت بغير اعتلال
يالها سكنة لهمز قضاء
أورثت طول مدة الانفعال
رفعوه في نعشه فانتصبنا
نصب تمييز كيف سير الجبال
صرفوه ياعظم ما فعلوه
وهو عدل معرف بالجمال
أدغموه في الترب من غير مثل
سالما من تغير الانتقال
وقفوا عند قبره ساعة الدفـ
ـن وقوفا ضرورة الامثال
ومددنا الأكف نطلب قصراً
مسكنا للنزيل من ذي الجلال
آخر الآي من سباحظنا منه
حظه جاء أول الانفال
يالسان الاعراب ياجامع الاعـ
ـراب يامفهما لكل مقال
يافريد الزمان في النظم والنثـ
ـر وفي نقل مسندات العوالي
كم علوم بثثتها في أناس
علموا مابثثت عند الزوال

﴿ملك النحاة﴾ هو أبو نزار الحسن ابن أبي الحسن صافي بن عبد الله بن نزار ابن أبي الحسن النحوي المعروف بملك النحاة

قال العماد الكاتب في الخريدة : كان من الفضلاء المبرزين ، وحكي ماجرى بينهما من المكاتبات بدمشق ، وبرع في النحو حتى صار أنحى أهل طبقته وكان فهما فصيحاً ذكيا الا انه كان عنده عجب بنفسه وتيه لقب نفسه ملك النحاة وكان يسخط على من يخاطبه بغير ذلك

خرج من بغداد وسكن واسط مدة وأخذ عنه جماعة من أهلها أدبا كثيراً واتفقوا على فضله ومعرفته

وذكر أبو البركات بن المستوفي في تاريخ اربل فقال ورد اربل وتوجه الى بغداد وسمع بها الحديث وقرأ مذهب الامام الشافعي رضي الله عنه وأصول الدين على أبي عبد الله القيرواني والخلاف على أسعد المهيني وأصول الفقه على أبي الفتح بن برهان صاحب الوجيز والوسيط

في أصول الفقه . وقرأ النحو على الفصيحي وكان الفصيحي قد قرأ على عبد القاهر الجرجاني صاحب الجمل الصغرى . ثم سافر الى خراسان وكرمان وغزنة ثم رحل الى الشأم واستوطن دمشق وتوفي بها سنة (٥٦٨) وقد ناهز الثمانين ودفن بمقابر باب الصغير . أما مولده فكان في سنة (٤٨٩) بالجانب الغربي من بغداد بشارع دار الدقيق وله مصنفات كثيرة في الفقه والاصول والنحو وله ديوان شعر ومدح النبي صلى الله عليه وسلم بقصيدة ومن شعره :

سلوت بحمد الله منها فأصبحت
دواعي الهوى من نحوها لا أجيبها
على انني لا شامت ان أصابها
بلاء ولا راض يواش بعيبها

وله أشياء حسنة وكان مجموع فضائل

﴿مَلّ﴾ فلان يَمَل أصابه الملال و (مل الشيء يَمَله) سئمه . و (أمَلّ الكتاب وأملاه عليه) أي قاله له فكتب و (المَلال) السآمة والضجر . و (المِلّة) الشريعة والدين والطريقة . و (المَلال) ذو الملل . و (تَمَلمل الرجل) تقلب على فراشه مرضا أو غما . و (ململه) جعله يتململ

﴿المليمتر﴾ هو جزء من الف من المتر وجزء من مئة من الديسمتر وجزء من عشرة من السنتمتر

﴿ملي﴾ يقال (أملى له في الغي) أطال له ، و (تَمَلّى فلان عمره) استمتع منه . و (تَملاه) عاش معه متمتعاً به . و (المَلا) الصحراء والمتسع من الارض جمعه أملاء ، و (المَلَوان) الليل والنهار و (المَلوة) البرهة من الدهر

قوله تعالى عن لسان بعض خلقه «واهجرني مليا» أي دهراً طويلا

و (الإملاء) الامهال والتأخير في المدة . و (الأمالي) جمع أُمْلِيّة وهو مايمليه المعلم على تلاميذه من العلوم

﴿المليم﴾ جزء من عشرة من القرش المصري

﴿المليون﴾ كلمة أعجمية معناها الف الف

﴿ابن مَمّاتي﴾ هو القاضي الاسعد أبو المكارم أسعد بن الخطير أبي سعيد مهذب بن مينا بن زكريا بن أبي قدامة ابن أبي مليح مماتي المصري الكاتب الشاعر

كان ناظراً للدواوين في الديار المصرية معروفاً بالفضائل . له مصنفات جمة وقد نظم سيرة السلطان صلاح الدين ونظم كتاب كليلة ودمنة وله ديوان شعر جيد منه :

تعاتبني وتنهى عن أمور
سبيل الناس ان ينهوك عنها
أتقدر أن تكون كمثل عيني
وحقك ما على أضر منها

وله قصيدة طويلة :

لنيرانه في الليل أي تحرق
على الضيف اد أبطا وأي تلهب
وماشر من يمشو الى ضوء ناره
اذا هو لم ينزل بآل المهلب

وله في كتمان السر :

واكتم السر حتى عن اعادته
الى المسر به من غير نسيان
وذاك ان لساني ليس يملكه
معي بسر الذي قد كان ناجاني

قال العماد الاصفهاني في كتاب الخريدة لقيته بالقاهرة يتولى ديوان جيش الملك الناصر وكان هو وجماعته نصارى فأسلموا في ابتداء الملك الصلاحي

ثم حدث ان الاسعد المذكور خاف على نفسه من الوزير صفي الدين بن شكر فهرب من مصر مستخفيا وقصد مدينة حلب لائذاً بجانب السلطان الملك الظاهر وأقام بها حتى توفي سنة (٦٠٦) وعمره اثنتان وستون سنة .

قيل سمى القاضي الاسعد المذكور مماني لانه وقع في مصر غلاء عظيم وكان كثير الصدق والاطعام وخصوصا لصغار المسلمين فكانوا اذا رأوه ناداه كل واحد منهم ماني فاشتهر به

رثاه أبو طاهر بن مكنسة المغربي الشاعر بقوله :

طويت مساء المكرما
ت وكورت شمس المديح
من ذا أؤمل أو أرجي
بعد موت أبي المليح

وكان لابي طاهر المذكور مدائح جليلة في ابن مماتي المذكور

﴿دولة المماليك﴾ انظر كلمة (مصر)

﴿داء الملوك﴾ انظر (نقرس)

﴿مَن﴾ اسم شرط جازم يجزم فعلين نحو (مَن يجدّ يجدْ) وتكون اسم استفهام نحو (من فعل هذا ؟) . واسم موصول نحو (جاء كل من في البيت)

﴿من﴾ حرف جر ومن معانيه ابتداء الغاية نحو (جاء من البيت). ومن معانيه التبعيض نحو (منهم من كلمنا) ﴿منّحه﴾ الشيء يمنّحه اياه أعطاه اياه .و(استمنحه) طلب عطيته واسترفده و(المِنحة) العطية .و(المُنيح) عند العرب سهم بلا نصيب في المقامرة

﴿ابن منده﴾ هو أبو عبدالله محمد كان من كبار الحفاظ توفي سنة (٣١٠)

﴿ابن مندة﴾ هو أبو زكريا يحيى ابن عبد الوهاب بن الامام ابي عبد الله ابن اسحق بن محمد بن يحيى بن مندة ابن الوليد بن مندة بن بطة بن استندار ابن جوار بخت بن فيرزان

كان من الحفاظ المشهورين وأحد أصحاب الحديث المبرزين حفيد المتقدم فهو محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد . وكان جليل القدر وافر الفضل واسع الرواية ثقة حافظا مكثراً صدوقا كثير التصانيف بعيداً عن التكلف . خرج التاريخ لنفسه ولجماعة من الشيوخ والاصبهانيين وسمع أبا بكر محمد بن عبد الله بن زيد الضبي وأبا طاهر محمد بن احمد بن محمد بن عبد الرحيم السكاتب وأبا منصور محمد بن عبد الله بن فضلويه الاصبهاني وأباه أبا عمرو وعمه أبا الحسن عبد الله وأبا القاسم عبد الرحمن وأبا العباس أحمد بن محمد ابن احمد ابن النعمان القضاعي وأبا عبد الله محمد بن علي بن الحسين الجوزداني وأبا طاهر احمد بن محمود الثقفي

ورحل الى نيسابور وسمع أبا بكر محمد بن عبد الرحمن بن محمد النهاوندي وبالبصرة أبو القاسم ابراهيم بن محمد بن أحمد الشاهد وعبد الله بن الحسن السعداني وجماعة كثيرة سواهم

صنف تاريخ أصبهان وغيره من المجموع ودخل بغداد حاجا وحدث بها وأملى بجامع المنصور وكتب عنه الشيوخ منهم أبو الفضل محمد بن ناصر وعبد القادر بن صالح الجيلي وأبو محمد عبد الله بن احمد بن احمد بن احمد بن الخشاب النحوي في خلق كثير اشهر من ان نثبته

وروى عنه أبو البركات عبد الوهاب ابن المبارك الانماطي الحافظ وأبو الحسن علي بن ابي تراب الزنكوي الخياط البغدادي وأبو طاهر يحيى بن عبد الغفار ابن الصباح بن هبة الله بن العلاء الحافظ

وجماعة كثيرة

ذكره الحافظ ابن السمعاني قد ككتاب الذيل وقال كتب لي الاجازة بجميع مسموعاته

ثم قال سألت هند ابا بكر محمد بن أبي نصر بن محمد الكفتواني الحافظ فقال بيت ابن منده بدىء بيحيي وختم بيحيي يريد في معرفة الحديث والعلم والفضل

وذكره الحافظ عبد الغافر بن اسماعيل ابن عبد الغافر الفارسي في مساق تاريخه بنيسابور فقال ابو زكريا يحيي بن عبد الوهاب بن منده رجل فاضل من بيت العلم والحديث المشهور في الدنيا ، سافر وأدرك المشايخ وسمع منهم وصنف على الصحيحين . وكان يروى باسناده المتصل الى بعض العلماء انه قال (كثرة الضحك امارة الحمق ، والعجلة من ضعف العقل ، وضعف العقل من قلة الرأى ، وقلة الرأى من سوء الادب ، وسوء الادب تورث المهانة ، والجنون طرف من الجنون والحسد طرف لادواء له والنمائم تورث الضغائن

وكان يروى بالاسناد المتصل الى الاصمعي أنه قال دخلت في البادية الى مسجد فقام الامام يصلي فقرأ (انا أرسلنا نوحا الى قومه) وارتج عليه فجعل يكررها ويقول (انا أرسلنا نوحا الى قومه) فقال اعرابي من ورائه وهو قائم يصلي : ياهذا ان لم يذهب نوح فأرسل غيره

وكان يحيي المذكور كثيراً ما ينشد :

هجرت لمبتاع الضلالة بالهدى
والمشترى دنياه بالدين أعجب
وأعجب من هذين من باع دينه
بدنيا سواه فهو من ذين أخيب

ولد بأصبهان في شوال سنة (٤٣٤) وتوفي بها يوم عيد النحر سنة (٥١٢) ولم ينبغ في بيت ابن منده بعد مثله

وقال ابن نقطة في كتابه اكمال الاكمال توفي في ١٦ ذى الحجة من سنة (٥١١) وذكر أن مولد أبيه عبد الوهاب سنة (٣٨٦) وتوفي سنة (٤٧٥)

﴿ منذ ومذ ﴾ حرفا جر بمعنى من ان كان الزمان ماضيا ، وبمعنى في ، ان كان الزمان حاضراً ، وبمعنى من والي ، ان كان معدوداً نحو (ما رأيته مذ يوم الجمعة او مذ يومنا او مذ ثلاثة أيام)

﴿ المنصورة ﴾ مدينة مصرية هي قاعدة مديرية الدقهلية وهي مدينة جميلة

جيدة الهواء واقعة على الشاطىء الايمن لفرع دمياط تعتبر من مدن مصر التجارية في القطن والحبوب وبها معاصر الزيوت كثيرة ومعامل لحلج القطن وتصنع فيها أيضا أقمشة قطنية وكتانية . وقد يبلغ الآن عدد سكانها نحو (٦٠٠٠٠) نسمة

بناها الملك الكامل ناصر الدين الايوبي في سنة (٦١٦) هجرية عند مادخل الفرنج دمياط . وحصلت بقربها سنة (٦٤٨) هجرية أى (١٢٥٠) ميلادية وقعة دموية بين الصليبيين تحت قيادة الملك لويز التاسع ملك فرنسا الملقب سان لويز أى القديس لويز و بين المصريين تحت قيادة الملك طوران شاه بن الملك الصالح نجم الدين أيوب . فدارت الدائرة على المهاجمين وأسر الملك لويز ووضع هو وأركان حربه بدار بها يقال لها دار ابن لقمان لم تزل آثارها باقية الى الآن . ثم حدث صلح وافتدى الملك الفرنسيين نفسه بمال عظيم .

(انظر دقهلية)

﴿ المنصورة ﴾ قال ياقوت الحموى في معجم البلدان في مواضع متعددة من كتابه :

منها المنصورة بأرض السند وهي قصبتها مدينة كبيرة كثيرة الخيرات ذات جامع كبير سواريه ساج وبها خليج من نهر مهران أصل اسمها هناباذ . قيل لها المنصورة لان عمير بن حفص المهلبي بناها في أيام المنصور من بنى العباس وخليجها يحيط بها فهي منه في شبه الجزيرة . وهي شديدة الحر بينها والديبل ست مراحل ، وبينها والملتان اثنتى عشرة مرحلة من المنصورة الى أول حد البرسة

ومنها المنصورة كانت بالبطيحة

ومنها المنصورة وهي مدينة خوارزم كانت في شرقى جيحون

ومنها المنصورة كانت بقرب القيروان من نواحي افريقية

ومنها المنصورة بلدة أنشأها الملك الكامل بن الملك العادل (هي التي بمصر)

ومنها المنصورة بين بين الجند وبقيل الحمراء أنشأها طغتكين الايوبي

وقال ابن حوقل عند الكلام على السند :

« والمنصورة وهي مدينة مقدارها

في الطول والعرض نحو ميل في مثله يحيط بها خليج من نهر مهروان وأهلها مسلمون وملكها من قريش وهي مدينة حارة بها نخيل وليس بها من الفواكه غير الليمون الا انه شديدة الحموضة وفاكهة تشبه الخوخ تسمى الانبج وأسعارهم رخيصة وفيها خصب » انتهى

المعروف باسم المنصورة الآن قريتان في الجزائر احدهما في ولاية وهران تبعد عن مدينة السان بنحو ٣ كيلو مترات وهي مبنية على أطلال المدينة التي كانت تسمى بهذا الاسم ولم يبق فيها الا أثر السور ومنارة متهدمة

والمنصورة الثانية بولاية قسطنطينية وهي صغيرة لا يبلغ عدد سكانها ثلاثة آلاف نسمة

﴿ منّعه ﴾ الامرَ يمنّعه حرمه اياه . و (منُع الحصن يمنُع مَنَاعة) اشتد و (مانعه) نازعه ومنعه منه . و (تمنع عنه وامتنع) كف عنه . و (المَنَعة) العز و (المَنوع) الشديد المنع . و (المنيع) العزيز القوى

﴿ منّ ﴾ عليه يَمُنّ مناً أنعم عليه و (من عليّ فلان بما صنع مِنة) هـ

له ما فعله . و (امتنّ عليه) قرّعه بمنه . و (امكن) كل ما يمن الله به

﴿ المَنّ ﴾ هو عصارة متجمدة سكرية ذات طبيعة خاصة تسيل من شجر السان المعصفور وقيل ان لفظ مَنّ عبراني معناه المغذى الالهي . وكان المن يسمى أيضا ندى السماء وعسل الهواء والعسل السمايى لانه يشاهد نقطا على أوراق بعض الاشجار فكانوا يظنون في الماضي انه ناتج من ندى يتجمد على هذه النباتات وكان العرب يقولون بذلك أيضا وهو خطأ عظيم

ويظهر انه لا فرق بين المن والشيرخشك الذى كان معروفا عند العرب وهو لفظ فارسى معناه حلاوة يابسة . وكأن العرب يدعون انه طل يقع على الاشجار وخصوصا شجر الخلاف في أواخر الربيع

وظن بعضهم انه مادة حيوانية ناشئة من بعض الحشرات حيث شوهد سقوط تلك الحشرات على أوراق النباتات ولا سيما في الصيوف الحارة بحيث تحصل منها عليها طبقة حلوانية عذبة الطعم عسلية ، ولكن هذه الطبقة تختلف

عن المن الذى يكون اولا سائلا ثم يتجمد الى حبوب متميزة بعضها عن بعض

المن الطبيعى كما تقرر الآن هو عصارة خاصة لاشجار من جنس الدردار وهي محرية في قنوات تخرج منها بانتفاخها بذاتها او من شقوق تعمل في قشورها أو بفوهات تحدث فيها بفعل بعض الحشرات فهو ليس بندى سماوى ولا بمادة حيوانية وانما هو عصارة نباتية للنبات المذكور

وقد ثبت ذلك بالتجربة فان العالم (بليا) غطى ذلك الشجر بأغطية حتى لا يصل اليه الندى فرأى أن المن يكون عليه كما يكون في العادة

شوهد أن الدردار لا يفرز المن الا مدة تختلف بين ٣٠ و٤٠ سنة ولا يبتدىء خروجه الا اذا بلغ عمر النبات ١٠ سنين ويزيد مقداره كلما تقدم النبات في السن وقد ذكر العالم بروس أن هذا الافراز النباتي يكثر في اسبانيا الى درجه يمكن معها أن يكون من الصنوف التجارية ولكنه مهمل فيها

المن أصناف وهي المن القدمي والمن العام والمن الدمم . فالاول يخرج على هيئة حبوب مستديرة صلبة خفيفة لونها أبيض وطعمها سكرى ويكاد لا يكون منشيا

والمن العام كثير الوجود ويكون على شكل قطع مكونة من حبوب منضامة بواسطة عصارة لينة مسمرة تلوث الاصابع ويكون لونه مصفراً وطعمه أقل سكرية تفها حمضيا اذا كان جديداً

والمن الدمم يكون على شكل كتل رخوة دبقة تعلق باليد لونها أسمر وطعمها اكثر كراهية تختلط بها أجزاء غريبة

يجنى المن باحاطة الشجر بطبقة من أوراقه وتعمل شقوق في القشرة فتسيل منها عصارة تتجمد فجزء عظيم منها يسيل من ساق الشجر والباقي من فروعه ويحصل هذا الجنى مرة في كل يومين من وسط يونيه الى آخر يوليه ويسيل من وسط النهار الى المساء وخصوصا اذا كان الجو صحوا على شكل سائل صافي يجمد شيئا فشيئا ولا يجمد الا في الصباح اذا تجمد من رطوبة الليل . فاذا كان الزمن غير صحو كضباب أو مطر فقد المن . والذى يبقي على الشجر يجنى مع الانتباه ويقوم منه ما يسمى بالمن القدمي : والذى ينزل على الارض ينفصل الى جزئين

أنظفها هو المن العام والجزء الاكثر لينا واختلاطا بالاجسام الغريبة هو المن الدمي وذكروا ان المن الدمي يجنى في يوليو واغسطس والمن المشترك في سبتمبر واكتوبر والمن الدمي في الخريف . وقد يجنى المن العام من أسطحة الاوراق بذاته ويسمى بمن السوق وكل ما يسيل بواسطة الشق يسمى بالمن القهرى . ويجمعون المن الدمي بعضه على بعض فيكون قطعا مستطيلة منشورية بيضاء خفيفة ويسمى حينئذ مَن أصابع . وكثيراً ما توجد في باطنها تجاويف يوجد فيها أحيانا نوع من الشراب وذلك يدل على ان المن جديد

واذا أريد أن يجنى نقيا وعلى هيئة قطع أجمل فيوضع انابيب من سوق القمح مثلا في الشقوق فيسيل في جوفها . وهذا النوع اكثر سكرية بل يؤكل كما تؤكل الحلوى وهو لنقائه تصنع منه المعوقات والمربيات والمعجنيات والاقراص ويكون أقل اسهالا بل لا يسهل اصلا وانما يكون صدريا ملطفا مسهلا للنفث في النزلات والتهاب الطرق التنفسية وسعد الرئة

وانهم صناع ايطاليا يعمل المن بالصناعة وانهم الصيدلانيون بأنهم يضيفون اليه مساحيق مسهلة كمسحوق السنا الملكي والجلاپا والسقمونيا ليزيدوا في خواصه المسهلة مع ان ذلك خطر لانه يكون شديد الاسهال

(تركيبه الكيماوى) قال العالم بينار أنه مركب من قاعدة خاصة تسمى مانيت تختلف مقاديرها فيه باختلاف أنواعه ، ومن سكر قابل التبلور ومن مادة غير قابلة التبلور منشيه الطعم يظهر أن فيها خاصة الاسهال

ووجد غيره أن فيه جسما سكريا قابلا التبلور فاذا خرج من قنوات الشجر كان على هيئة عصارة سكرية يتكون منها المن يدخلها في التخمر الخلي

ووجد غيره في المن مادة خلاصية نسب اليها خاصة ارخائه وقال انها هي سبب خاصته الملينة وانكر أنه يحتوى على سكر حقيقي

وقد صنع العالم لوكنسويس جدولا أبان فيه المقادير الموجودة من المواد المختلفة في أنواع المن الثلاثة وهو:

	من دمي	من علم	من دمم
ماء	١١ر٦	١٣ر٠	١١ر١
مادة غير قابلة للذوبان	٠ر٤	٠ر٩	٣ر٢
سكر	٩ر١	١٠ر٣	١٥ر٠
مانيت	٤٢ر٦	٣٧ر٦	٣ر٠
جوهر لعابي ورابنج وحمض آلي ومادة أزوتية	٤٠ر٠	٤٠ر٨	٤٢ر١
رماد	١ر٣	١ر٩	١ر٩

هذا المن يذوب كله في الكحول الحار ولكنه يرسب منه بالتبريد كتلة متبلورة شديدة البياض خفيفة اصفنجية . ويتكون منه مع الحمض النترى الحوامض التي تتكون من الحمض والصمغ وذلك لا يحصل في العسل الذى ذكر بعضهم أن بينه وبين المن مشابهة عظيمة

(استعمال المن في الطب) كان المن معروفا في فن العلاج منذ عهد طويل ولكن يظهر ان جالينوس لم يكن يعرفه . ذكره ديسقوريدس باسم اليوميلي وقال انه مسهل يسهل الصفراء والاخلاط الفجة . وأول من استعمله الايطاليون كغذاء في أماكن كثيرة من ايطاليا ولا غرابة في ذلك فانه اذا كان جديدا لا يكون مسهلا ويكون كالسكر ولكنه مع طول مكثه تحدث فيه تفاعلات كيماوية يكتسب منها خاصة المسهلين وكلما كان أقدم كانت نتائجه أوضح ويسهل يقينا اذا صار زنخا وكانت رائحته مقيئة

أقل أنواع المن اسهالا المن الدمي بل ربما لا يسهل أصلا وانما يستعمل صدريا ملطفا مسهلا للنفث في النزلات والتهاب الطرق التنفسية وتلك الرئة ونحو ذلك

والمن العام ملين ملطف واذا دخل في الجرعات المسهلة كان تعديله للمسهلات أكثر من زيادته في فعلها والمن الدمم هو الاكثر تليينا ولا يدخل غالبا الا في المسهلات السود كالسنا وفي الحقن . والمن كثيراً ما يتهضم وان

أعطي باسم دواء فلا يسهل الا اذا زال منه وصف التغذية

ينقسم فعل المن علي الجسم الحي الي قسمين . فعل موضعي وفعل عام ، فالاول يحصل في الطرق الهضمية بعد ازدراد الجواهر بيسير فكثيراً ما يشعر متناوله بثقل في الجسم المعدى وأحيانا بقولنجات خفيفة ورياح ثم تحصل بعد بضع ساعات استفراغات تخلية تنشأ كثرتها من الجلة التي تكون عليها القناة الغذائية وقت استعمال الدواء فيظهر انه مر من المعدة الي الامعاء بصفاته الطبيعية وفجاجته فلم يتغير الي كيموس في المعدة فيكون في الامعاء كجسم منتب لها فتشتد حركاتها الانقباضية وتدفع بذلك المواد الثفلية الموجودة في باطنها ومع ذلك فلا يحصل منه حرارة بطنية ولا عطش ولا ثوران في الدم ولا في النبض ولا غير ذلك مما يسببه المسهل الحقيقي ولا ينتج ظاهرات تفيد تهيج حالة المراكز العصبية كما تفعل ذلك المسهلات القوية

أما الفعل الثاني أي النتائج العامة فهو تأثير مرخ يمتد علي الجموع كله فترتخي المنسوجات الحية وتضعف حركاتها ولذا كان مناسبا في الدور الاول من الحميات ليلطف العطش والاحتراق الحمي ويعين علي سيلان البول ويسكن اضطراب الدم وغير ذلك ويناسب أيضاً في الآفات الالتهابية البطنية كالقولنجات الالتهابية والالتهابات المعوية والدوسنطاريات وجميع الاحوال التي يظن فيها وجود تهيج أو التهاب مبهم الصفات . وكثيراً ما يستعمل مع النجاح لتخليص القناة الهضمية من المواد المخاطية المتراكمة فيها . وكذا للاصفرار والانزلات والسعال التشنجي وآفات القناة البولية المصاحبة لحرارة في المثانة والكليتين ويعطى كثيراً في الآفات الاندفاعية كالجدري للتجمع حيث يلازمه التهيج المدوى غالبا اذ لا يسمح حينئذ باستعمال المسهلات القوية وكذا يعطي بكثرة في الآفات العصبية المصاحبة للتهيج في القنوات الغذائية . والغالب أن يكون هو المسهل للاطفال والارقاء المزاج . وينبغي الاحتراس من استعماله في التلبكات المعدية والآفات التي يحتاج فيها التقايء لانه قد ينقذف بالقيء فلا يؤثر الا اذا كانت المواد المراد

استفراغها خارجة عن المعدة

(المقدار وكيفية الاستعمال) يستعمل هذا الجوهر ذائبا في الماء أو اللبن أو في مغلة أو في مغلي مناسب من ٤٨ غراماً الي ٦٤ في ١٢٥ غراما من سائل من السوائل المذكورة اذا اريد منه الاسهال ويظهر أن الحرارة تظهر رائحته المنتنة فاذا حل علي البارد في أي حامل كان قل الاحساس بتلك الرائحة ولا بأس باذابته علي النار لكن بدون اغلاء لانهم قالوا انه يفقد خاصته المسهلة اذا أغلي . وهذا رأى مخالف لتجارب بعض العلماء اذ شاهدوا حفظه في الماء المغلي مدة ايام بدون ان تفقد عنه تلك الخاصية مع أن المن ليس فيه شيء طيار واذا ترك محلوله المائي ونفسه في حرارة ١٥ درجة فانه يعطي مقداراً من الحمض الخلي فاذا زيد في السائل شيء من خميرة القماع وعرض الهواء الخارجي من ذلك سائل كحولي

والماء المائن الوبائي يصنع بأخذ ٨ غرامات من المن و٦ من السنا المكي وجزء واحد من الطرطرات الحمضي البوتاسا و ١٨ من الماء ويستعمل من أوقيتين الي أربعة او في الجرعة المستحلبة المن وتصنع بأخذ أوقيتين من المن الدمعي و ٤ من كل من الفوز الحلو وماء زهر البرتقال وأوقية من شراب زهر الخوخ و ٤ من منقوع عرق السوس ويستعمل ذلك في ثلاث مرات ومعجون المن يصنع بأخذ ١٦ غراما من كل من المن والسكر والماء المقطر الشهار وجزء من ايرسا فلورنس و ٨ من دهن الفوز الحلو ويستعمل ذلك بالملاعق الصغيرة كل يوم ٣ ملاعق أو ٤

وشراب المن يصنع بأخذ ٤٨ غراما من المن وجزء من كل من الشهار والزنجبيل و١٧٦ من السكر و ١٩٢ من الماء والمقدار لاجل الاستعمال من نصف أوقية الي أوقية

وأقراص المن تصنع بمزج ٢٠ غراما منه مع ١٤٠ غراما من مسحوق السكر وتعمل أقراصا بواسطة جسم لدابي من صمغ الكتيرا بماء زهر البرتقان وتنفع تلك الاقراص في الالتهابات الشعبية المصاحبة لصعوبة النفث (المادة الطبية)

المانيت هو قاعدة خاصة توجد في المن الدمعي حيث يكون الجزء الاكبر المكون له ويكفي لاستخراجه

أن يسخن المن على حمام مارية مع الكحول الذى في درجة ٣٣ من مقياس كرتيير ثم يرشح المحلول المغلي ويترك ونفسه فيتبلور المانيت بالتبريد ولكن يبقى في خلاله معظم مياه الام الكحولية فيسيل منها مقدار يسير اذا اميل الاناء الذى فعل فيه التبلور ثم تؤخذ الكتلة وتعصر ليفصل منها الكحول ثم تجفف في محل دفيء وتحول بعد جفافها الى مسحوق . فاذا أريد الحصول على المانيت مبلورا وذلك غير نافع للاستعمال الطبي لزم أن يحل من جديد في الكحول ثم يبلور غير انه يمسك معه بذلك مقدارا من الكحول لانه كالاسفنج لايمكنه ازالته منه الا بالعصر . ويمكن أيضاً أن يتحصل من مياه الام على مقدار من المانيت أقل جودة فلاجل تنقيته يعصر ثم يبلور من جديد . وكثيرا مايضطر لتبييض البلورات الاخيرة بالفحم . وهذا الجوهر أبيض خفيف مسامي قابل للتبلور الى ابر نصف شفافة عادمة الرائحة وطعمه رطب سكرى ولا يتغير من الهواء ويعطى بالاحراق رائحة السكر المحرق ويذوب بسهولة في الماء بجميع درجات الحرارة . وتلك خاصة أسس عليها استخراجه وعدم تأثير العنصر المخمر عليه أى أنه لايكابد تخمرا كحوليا وبذلك يتميز عن أصناف السكر القريبة منه أما على حسب تجربيات (بالاس) فهو كالسكر قابل لأن يتخمر تخمراً كحوليا وانما يكون هذا في درجة ٢٠ فوق الصفر وبذلك يقرب له . وهذا المانيت مركب من ٦ من الكربون و٤ من الاوكسيجين و٥ من الايدروجين . ووجد فيه (سوسور) قليلا من الازوت ومنه ماعدا ذلك جزآن من الماء يفقدان منه اذا اتحد بأوكسيد الرصاص . وكما يوجد هذا الجوهر بمقادير مختلفة في أنواع مختلفة من المتجر يظهر أنه يتكون من ذاته في السوائل المعرضة للتخمر الخلي وذلك يحمل على ظن أن المن نفسه يمكن أن يكون نتيجة عصارة بعض أنواع الدردار ولذلك وجده (وكلين وفوركروا) في عصارات البصل والقاوون المتخمر . ووجده (براكونوت) في عصارة السلجم والوجيير) في عصارة الجزر التى حصلت فيها تلك الحالة . ووجده (جلبير) في العسل المتخمر وكذا في عصارة القصب المتخمر وعلى مقتضى

تحليل (مسكرليك) لا يوجد في زمن طورسيناء الذى هو كسكرلعابي ينتج من نوع شجر نمركسي جاليكا

ويوجد في القرفة البيضاء جوهر شبيه بالمانيت ولكنه أقل سكرية منه ويعطي بالحرق أبخرة بلسمية وذكروا أيضاً قواعد أخر من هذا النوع في أوراق الكرفس البستاني وجذره وأوراق وقشور شجر الزيتون وكذا في المادة البيضاء التي ترسب على أوراق النبات الاوروبي المسمى بالافرنجية فوزين من نوع من الحشرات يسمى (افيس ايفونيمسى) وذلك يؤدى الى ظن وجوده في أنواع من أخر من الحشرات المختلفة العسلية التى ترسب منها على الاوراق

وقد ذكرنا أن هذا المانيت ليس الذى تنسب له خاصة الاسهال التى في المن ورائحته وطعمه الكريهان وخاصة جذبه للرطوبة وانما ذلك منسوب لجوهر مخاطي مغث غير قابل للتبلور ولذا كان المن أقل فاعلية وكراهية في الطعم كلما كان أنقى أعنى محتويا على مقدار من المانيت اكثر ويفقد كثيراً من فعله اذا أغلى زمنا ما محلوله المائي . وأعطى الدكتور (رسال) هذا المانيت بمقدار ٦ دراهم لطفلين وبمقدار أوقية ونصف للبالغين فلم يحصل منه اسهال محسوس مع أن العالم (لجرنج) جعل هذا المانيت هو القاعدة الفعالة للمن ، ولكنه لم يذكر تجاربه في ذلك ، ولم يثبت ذلك بتجارب غيره

وقال العالم (سوبير) ان المانيت هو الجزء المسهل من المن ويستعمل بمقدار ١٦ الى ٣٢ غراما في مقدار من الماء من ٦٤ الى ١٢٥ غراما

ويوجد في قاموس المفردات البسيطة والمركبة انه يسهل بلطف

وقال (سوبير) أيضا أنه دواء مقبول مناسب للنساء والاطفال فيسقى محلوله الحار لانه يتبلور بالتبريد ويعمل منه مرهم مكون من ٤ دراهم منه وأوقية من القيروطي أى المرهم البسيط ويستعمل ذلك مروخا على البطن فيحصل منه بدون قولنج اسهال خفيف ومهما كان فالاطباء متوافقون على أن المن يقصد منه التأثير الصدرى وان هذا التأثير يكون أوضح كلما كان هذا الجوهر أنقى وان الظاهر ان هذا الفعل ينسب للمانيت

لاغير . فبالنظر لذلك اذا استعمل المانيت لزم تجزئته اما اقراصا مجوفا مع وزنه سكراً واما محلولا في الجرع المصدرية وأما قائما مقام المن فى مربي طرنشين اذا لم يرد من هذا الدواء الفعل المسهل الذى يطلب من المن ولاتوجد فيه الرائحة ولا الطعم الكريهان اللذان في المن . ويظهر أنه الي الآن قليل الاستعمال في الطب وانما يقال ان النشاشبين ينشون به كبريتاب الكنين لرخص ثمنه (المادة الطبية)

﴿المُنَّة﴾ القوة جمعها مُنَن . و (المَنُون) الدهر و (رَيْب المنون) حوادث الدهر و(المنون) أيضا الموت . و(الممنون) المقطوع من مَنَّ أي قطعه

﴿المنوفية﴾ هي اقليم مصرى واقعة بين فرعي النيل في جنوب اقليم الغربية الي القناطر الخيرية مساحة أراضيها الزراعية تبلغ (٣٦٧٨٠٣) فدانا ويبلغ عدد سكانها نحو مليون نسمة . قاعدتها شبين الكوم يزيد عدد أهلها عن ٣٠ الف نسمة وهي مدينة علي بحر شبين ومن الاسواق المهمة لتجارة القطن والحبوب . تبعد عن القاهرة ١١٤ كيلو متراً وتنقسم الى خمسة مراكز وهي :

(١) تلا ويتبعه ٦٦ ناحية و ١٠٨ عزب وغيرها وقاعدته تلا

(٢) شبين الكوم ويتبعه ٦٧ ناحية و٥٠ عزبة ومقره شبين الكوم

(٣) منوف ويتبعه ٦٧ ناحية و٥٧ عزبة وغيرها ومقره منوف

(٤) أشمون ويتبعه ٦٦ ناحية و١١٧ عزبة وغيرها ومقره أشمون

(٥) قويسنا ويتبعه ٦٦ ناحية و١١١ عزبة وغيرها ومقره قويسنا

﴿مَنَاه﴾ به يمنوه مَنْوا ابتلاه وخبره فهو ممنوء به أى مبلي به

و (مناة) موضع بالحجاز وصنم لبني هزيل وخزاعة بين مكة والمدينة .

﴿المِنِي﴾ هو المادة التي تنفرز من الخصيتين ويكون بها التلقيح والحمل وقد كتب حضرة الدكتور الفضال حسين افندى الهراوى بحثا تحت هذا العنوان وأهداه لدائرة معارف القرن العشرين تنشره بحاضرته شاكرين له خدمته أكثر الله من أمثاله للمجتهدين

﴿مقدمة﴾

لم تتجه الانظار الى ان أسباب العقم قد يكون من الرجل الا في الازمان الاخيرة ولا يخفي نتيجة تأثير هذا علي نمو عدد سكان البلدان . والاحصاءات القليلة التي عملت من هذا تدل علي ان نسبة الزواج العقيم الذى منشأه من الرجل يقدر بنحو عشرة الي خمسة وعشرين في المئة وربما كانت النسبة الحقيقية أكبر من ذلك

وأول من استلفت الانظار الي أهمية هذه المسألة هو الدكتور (مانيوس

انكان) في محاضرته بجولستون سنة ١٨٨٣ ثم في سنة ١٨٨٦ كتب مايأتي :

ان الخبرة والبحث تزيد الاعتقاد الراسخ في نفسي ان الرجل نصيبا عظيما وان الطريقة المثلي أن لا نطيل علي المرأة عذابا مؤلما خطراً لمداواة العقم ما لم نتأكد من سلامة الرجل من وجهق السائل المنوى والجماع ، ولكن الي الآن نرى ان البعض ينبذ هذه الطريقة المثلي وكثيراً ما يحدث ان الذنب ينسب الي المرأة فتعالج طويلا علي غير جدوى فيضطر الطبيب الي الافكار في الرجل مالم تكن حالة الرجل ظاهرة لاتحتمل الشك في مسئوليته

(السائل المنوى)

لاهمية السائل المنوى في مسألتي النسل والعقم نكتب عنه كلمة اجمالية :

المني الطبيعي السليم من الامراض اذا خرج من المجرى البولي كان سائلا مركبا من افراز الخصيتين والقناة الناقلة للمني والحويصلات المنوية والبروستاتة وغدد كوبر وافراز غشاطي من غشاء المجرى البولي وهو سائل ثخين ويكون اما قلويا أومتعادلا لاقلوى ولا حامض . وشكله

كشكل مطبوخ النشا ورائحته خاصة به تنتج عن وصفها وعلى رأى (لاندو) ان المنى الطبيعي يحتوى على ٧٢ في المئة من ماء وزلال المصل وزلالات قلوية ونيوكلين وليستين وكولسترين وشحم فسفوري وقلويات وسلفات وكربونات وكلور يدرات

واذا برد المنى بعد خروجه يتحول الى شكل هلامى. واذا لم يحرك في أنبوبة اختبار ينفصل الى طبقتين متساويتين فى المقدار، السفلى منهما كثيفة سميكة وتحتوى على خليات، والمرتفعة رقيقة ليست بالكثيفة ولا الشفافة وتحتوياتها قليل من الخليات

ومن الصعب تقدير مقدار ما يخرجه الرجل في المرة الواحدة ويدلنا على ذلك الاختلاف العظيم وهو اختلاف الحالات الفردية واختلاف المقادير المتفرزة باختلاف الاحوال وتعدد الوقاع والانهماك التناسلي والمدة بين الوقامين وعلم جرا

وأقرب الآراء صحة ان المقدار يختلف ما بين درهم ودرهمين فاذا تعدد الوقاع وكثر الانهماك قلت هذه المقادير كثيرا الى نقط يسيرة أو انعدم الافراز مطلقا

وأهم عناصر المنى الحيوانات المنوية والواحد منها عبارة عن خلية صغيرة تتحرك بواسطة أهداب دقيقة وطول الواحد منها جزء من ٢٠ من الملليمتر

والحيوان منها له رأس ورقبة وجسم وذنب وذخيرة فالرأس ذو شكل بيضي وله غطاء، وعلى رأسه جزء محدد يشبه الرمح أو السكين ويستعمله الحيوان في قطع جزء من البويضة في حالة التلقيح والرأس هي نواة الخلية وبقية الخلية نفسها

وكما يرى القارىء في شكله بالبحث الميكروسكوبي ان الحيوانات المنوية كثيرة جداً وكلها تجرى وتتحرك بواسطة ذيلها اذ تسير بسرعة نصف ملليمتر في الثانية وهي أسرع ما تكون عند خروج المنى مباشرة فيموج الرأس مدفوعا بحركة الذيل التموجية ورأى الاستاذ (الترمان) ان المنى الصحيح اذا امتحن بعدسة العين الميكروسكوبية نمرة ٣ والنظارة نمرة ٧ يرى الناظر منه حيوان على أقل تقدير ولكن فى العادة أكثر من ذلك بكثير

وخلاف الحيوانات فان المنى يحتوى على خليات منوية أخرى مختلفة الاشكال والانواع من مجرى البول ونوعين من البلورات الاول عديم اللون ذو أربعة جوانب ترى فى أكثر الاحيان فى المنى الطبيعي والحيوانات لا تزال حية، والنوع الثاني متوازى الاضلاع يعرف ببلورات (بوتشر وشربنر) ويرى بعد مضي زمن كثير على خروج المنى في مدة بين ثلاثة أيام وأربعة الى يومين واذا كان المنى عديم الحيوانات المنوية أو قليلها تكونت هذه البلورات في مدة قرب ومن رأى (شربنر) انها أجسام فسفاتية مع مركبات عضوية تتبلور كقاعدة والمعروف أن هذه الحيوانات لا تتكون قبل البلوغ ويستمر خروجها بعده بمدة كبيرة. وقد وجدها الدكتور (كرلنج) عدة مرات في خصيات رجال أربوا على السبعين وفى رجل بعد السابعة والثمانين والاستاذ (كاسبر) والدكتور (ايل) وجداها بعد السادسة والتسعين والذى يغلب على الظن أن هذه الحيوانات مع وجودها في منى هؤلاء الشيوخ تعتبر قليلة الجدوى غير قادرة على التلقيح وهذا ما عرض به (باجوت ديوبلاى) وقال ان الاخير غلط في قوله أن الرجال قادرون على التلقيح في أى سنة من سنى حياتهم ولو أنه يوافق على وجود الحيوانات بكثرة ولكنها تختلف تماما عن الموجودة منها في الشبان اذ ان طول الواحد منها يوازى نصف طول السليم وهي أرفع وقليلة الحركة جداً اذ جل سيرها ان تهتز وهى مكانها ولا تسبح سبحا مستمراً مثل السليم منها في الشبان والذى يجعل (باجوت) يصمم على رأيه انه وجد أمثال هذه الحيوانات الضعاف في صغار الشبان المتزوجين زوجات خاليات من الامراض ولم يعقبوا ومن نتيجة الانهماك الكثير والتكرار قد ينقطع زمنا وجود الحيوانات وقد امتحن (لنجوا) مادة أحد الطلبة وكان جامع ثلاث أو أربع مرات يوميا مدة عشرة أيام متوالية فلم يجد أثراً للحيوانات المنوية ثم ظهرت ثانية بعد ثلاثة أسابيع حيث انقطع الطالب عن كل عمل تناسلي

يوجد بعض التغير من الوجهة الفسيولوجية ومن وجهى العدد والحجم في الحيوانات ومباحث الاستاذ كاسبر في كتابه

الطب الشرعي على رجل قوى البنية في الستين من عمره تظهر ذلك بجلاء ووضوح

ففي أحدى المرات بعد ثلاثة أيام مضت على جماعه وجد عدداً كبيراً من الحيوانات الصغيرة وفي اليوم الرابع وجدها قليلة جداً وبعد يومين لم يجد شيئاً وكان السائل المنوى أشبه بالماء وبعد فترة خمسة أيام وجدها ثانية بكمية كبيرة وبعد مضي ستة أيام وجدها بكمية أقل ولكنها اكبر من تظيراتها المتقدمة

يرى بعض العلماء الحيوانات المنوية لاتتحرك الا اذا وصلت الي الحويصلات المنوية . ويرى (فون برنجر) أن حركتها ناتجة عن الافرازالبروستاتي . ويرى بعض الثقات خلاف ذلك

وتختلف المدة التى تعيشها الحيوانات خارج الجسم اختلافا عظيما باختلاف الاحوال

روى الاستاذ (الفرمان) ان المنى المحفوظ من الضوء والبرد تعيش حيواناته مدة ٤٨ ساعة والدكتور (كوبر) وجدها بعد ٨٤ ساعة في منى حافظ في زجاجة عادية غير محكمة في يوم شهر ابريل ويستمر تحرك الحيوانات تحت نظارة الميكروسكوب عدة ساعات وتستمر حركة الاهتزاز مدة ٧٣ ساعة ويجب بحث السائل في اقرب فرصة بعد خروجه مع الاحتراس التام في تقدير الحيوانات فالبرد له تأثير شديد على الحيوانات فانها تسكن اذا وصلت على زجاجه ميكروسكوب باردة وتتحرك ثانية اذ سخنت تلك الزجاجة وفي بعض الاحيان يكون المسائل لزجا غليظا فلا يمكن الحيوانات الحركة فيه بسرعة وتمنع حركة الحيوانات اذا أضفنا اليها حمضا او قلويا شديداً اوماء غزيراً . وبعض الاغشية التى يلبسها الرجال تحرزاً من الحمل يكون في مطاطها مواد مؤثرة على حياة الحيوانات كما شاهدنا ذلك غير مرة ومن النادر ان نجد الحيوانات المنوية في البول . واني قد وجدتها مرة في بول شخص فيه قليل من المخاط ربما كان السبب في حمايتها او ربما كانت الكشافة النوعية لهذا البول موافقة لها وبالتأكيد لايمكن اكتشاف الحيوانات في البول بالعين المجردة ولكن اذا وجدت كمية من السائل المنوى فمن السهل أى ترى على شكل هلامي يرسب

في الزجاج بعد زمن يسير

ومن المباحث الجميلة التى قررها الاستاذ (الفرمان) ان الحيوانات المنوية التى تموت بعد خروجها من العضو التناسلي يرى انها منبسطة والتى تموت قبل خروجها تظهر ملتفة على نفسها وهذه نقطة هامة يجب أن نذكرها عند اختبار كل سائل منوى فانها طريقة لايشك أحد في صدقها وصحتها

ويرى أيضاً الاستاذ ان هذا الالتواء يكون في الحيوانات التى تموت من تأثير شيء ضار لها كالبول الحمضى وافرازات المهبل وقد يتأتي من تأثير الماء الفاتر

وكما هو قانون الطبيعة ان لكل شيء شواذ فكذلك في الحيوانات فانها ذوات الرأسين وذوات الذيلين أو ضخام الرأس أو طوال الذنب أو قصارها

واذا جف المنى على زجاجة ميكروسكوبية انضمت الحيوانات بعضها الى بعض على شكل غير منتظم فيتعسر معرفتها بغير التدقيق التام

واذا مات الحيوانات على مثل هذه الزجاجة حفظت شكلها بعد موتها عدة أعوام فلدى الدكتور كوبر زجاجة ميكروسكوبية محفوظة منذ سنة ١٨٩١ حافظة شكلها الي الآن ولم يضف اليها أى شيء كما رى ومع ذلك فحيواناتها واضحة تمام الوضوح

والجزء الباقي من السائل المنوى يركب من افرازات مختلفة وهو قليل الاهمية وأشهرها المذى المعروف وهو افراز غدد كوبر

﴿الفصل الثاني﴾

التغيرات في الكمية والمحتويات

يطرأ على السائل المنوى عدة تغيرات اما ناشئة عن وظائف الاعضاء أو تأثير منوى

كثرة الكمية — أسلفنا الكلام عليها وقال الاستاذ الفرمان انه وجدها تربو على ٣٥ غراما في أحد المرضى العصبى المزاج وليس في أعضائه التناسلية مرض مطلقا والمظنون ان أمثال هذا قليل ولكن الذى يستأنف الانظار ان الكمية الزائدة في الجزء السائل لا في الحيوانات المنوية ومنشأ ذلك الغدد التى أسلفنا الكلام عليها

قلة الكمية - ربما كانت الكمية

قليلة جداً وأسبابها يتعذر تحديدها تحديداً تاما . وقلة الكمية أمر طبيعي في سن الشيخوخة وفي أحوال الضعف العام ومن الجائز أن تكون القلة ناشئة من عدم افراز احدى الغدد أو بعضها وعلى ذلك يجب بحث كل غدة على حدة

(انعدام المنى) هذا أعم تعبير يطرأ على السائل المنوي وهو اما ناشيء من عدم الافراز مطلقا أو خروج الافراز على غير الطريق الطبيعي . والعدام المنى اما ناشيء عن تكوين الشخص نفسه أو طارىء جديد حدث له بعد ولادته وهو أيضاً اما دائم أو مؤقت

فما كان منه ناشئا عن نقص في التكوين يكون منشأه زوغانا عن الحالة الطبيعية لاعضاء التناسل . وانعدام المنى بدون وجود نقص طبيعي ضرب من النوادر وقد وقعت حالتان تحت أنظار الاستاذ (الفرمان) والحالة الآتية هي للدكتور كوبر قال : استشارني شاب في العشرين من عمره لم يحدث له انزال منى مطلقا سواء في الحلم أو اليقظة ولم يأت امرأة قط ولكنه كان كثير الانهماك في جلد عميرة ولم يظفر مرة في حياته بالانزال وكان شديد الميل التناسلي وأحلامه في هذا القبيل كانت كثيرة مصحوبة بانتصاب شديد . وكان يشعر في بعض الاحيان بحاسة الانزال ولكنه اذا استيقظ لايجد شيئاً ولم يصبه أي مرض ولا التهاب الغدة التكفية وبالفحص لم نجد فيه الا غاية الصحة وكل شيء على غاية ما يرام وكان من السهل ادخال عدة قساطر الى مثانته وبوله طبيعي من كل الوجوه

أما انعدام المنى النسبي فهو الناشيء أحياناً متفرقة فبعض الاوقات يحدث الانزال وأخرى لايكون . ولهذا النوع عدة أشكال فتارة يكون هذا الانعدام في حالة الجماع أو اليقظة ولا يوجد السائل على أي شكل كان مع انه يكون في حالة النوم بغزارة تامة ومحتوياته تكون طبيعية وقال :

استشارني شاب في الثامنة والعشرين من عمره شديد الميل التناسلي وذو صحة تامة الا في تتميم وظيفة الجماع بالانزال مهما طال به الزمن ولم يفز بالانزال في حالة الصحو سواء بالاجتماع بالنساء أو بجلد عميرة مادام في حالة الصحو ولكنه

مع ذلك كثير الاحلام التناسلية المصحوبة بالانزال واذا استيقظ قبل تمام الانزال انقطع الباقي منه وليس لديه أي ضعف في الانتصاب واذا طال به الزمن في الجماع ضعف الانتشار وهبطت الحرارة الاولي وانكمش القضيب من غير انزال وأعطاني هذا الشاب نموذجا من السائل الذي ينزل منه في الاحتلام فوجدته طبيعياً من كل الوجوه . وبفحصه لم أجد في أعضائه التناسلية أقل تشويه غير قليل من الانساع في مجرى البول الخلفي وهذا لايفسر بالطبع هذه الظواهر كلها وكان المريض عصبي المزاج أمعصابة بالهستريا

وفي حالة أخرى لشاب له من العمر احدى وعشرين سنة كانت حالته أغرب لانه يحدث له الانزال في حالة جلد عميرة ولكنه يتعذر في حالة الجماع الطبيعي وتعسير هذا من الصعوبة بمكان

والانعدام الكلي ليس من الانواع النادرة وهو اما دائم أو مؤقت وأسبابه اما ميكانيكية أو تابعة لتأثير في النفس

فالتهاب البروستاتة والتهاب القناة الناقلة السائل المنوي أو التحام يحدث بعد التهاب شديد فيسد قناة الخروج كل بسبب انعدام المنى

وربما كان أكبر سبب لانعدام المنى هو السيلان اذ هو المسبب لاكثر هذه الالتهابات . ومن نتيجة الالتهابات المتقدمة أن تنسد المسالك بالمرة فيجتمع مطلقا أو يحصل تضايق في مجرى البول فيتحول السائل الي المثانة . ودرن المثانة والقناة البولية وما يصيبها من الجروح والقطوع كل ذلك يؤثر على مجرى المنى

وعملية استخراج حصيات المثانة من العجان بين السبيلين كانت في الماضي مصدراً كبيراً للعقم عند الرجال . أما الآن فقد استبدلت بما هو أصلح منها ، ولكن بعض الثقات يضاد هذا الرأي باحصاءات جة كانت فيها الزوجة مصدر العقم

أما عملية استئصال البروستاتة فقد لاحظ (فنويك) ان تأثيرها على وظيفة التناسل لايمكن الطبيب أن يؤكد بقائه ولكن في العادة أن تكون هذه العملية في سن الشيخوخة حيث لامطمع للمريض ببقاء خصوبته ، والنتيجة تتعلق بما يطرأ على قنوات الافراز من جراء ضخامة

البروستاتة ومقدار ما يتعرض به الجراح لها أثناء العملية

وهذا النوع من الاندمام دائم ولكن من الجائز أن يكون مؤقتاً بعد علاج . أما النوع المؤقت فناشيء من اضطراب في المجموع العصبي منشأه الخوف أو الهيبة أو التهيج الشديد وفي هذا النوع ربما يتأثر الانتصاب أيضا

وهنا نذكر سبباً هاماً وهو مايسمونه العزلة وهو عدم تتميم الجماع والاكتفاء بالانزال خارج المهبل تحرزاً من الحمل . ووقع تحت مشاهدتي عدة أفراد من هذا القبيل . وقد يذهب التطرف في بعض الرجال الى حد بعيد وهو أن يضم أحدهم خاتماً من المطاط حول القضيب ومن تأثير الضغط الشديد يدخل المنى الى المثانة بدلا من خروجه المعتاد وقد أصبحت ذلك عادة فيهم حتى بعد نزع هذا الخاتم المطاطي كما روى ذلك الدكتور (هنسد) في ثلاث حالات . والتقرح العميق الموضعي في رأس القضيب من أسباب الاندمام كما هو حال القرحة الزهرية وقد يكون هذا أيضاً في بعض الامراض العصبية وحصيات البروستاتة

أيضاً من أسباب الاندمام المشهورة

(الاندمام الكاذب)

يكون هذا اذا جرى المنى في القناة البولية وامتنع عن الخروج منها من تأثير عدة مؤثرات منها تضيق القناة من أثر التحام السيلان أو فتحة غير طبيعية في القناة اما على ظهر القضيب أو تحته أو ناسور بولي في العجان أو المستقيم . وهذه الاسباب تغير مجرى المنى عند سيره الطبيعي فلا يدخل الرحم ولا يحصل اللقاح من جراء ذلك

وعلى ذكر تضيق القناة البولية نقول : انه ليس من الضروري أن تكون هذه الاماكن ضيقة جداً لانه في حالة ارتخاء القضيب تكون المضايق أكثر اتساعاً من حالة الانتصاب وفضلا عن ذلك فالتضايق الناتج من أثر التحام جرح تمتم نزول المنى على الحالة الطبيعية . وانا لنذكر على سبيل المثال ان أحد مرضانا شاب في الثالثة والعشرين من عمره أصيب بعدوى السيلان وتركه وأزمن معه ذلك وتنج عدة خراريج في العجان وقد شاهد ان المنى يقل نزوله بالتدريج واستشارني عند انقطاع الانزال عند الجماع

منذ شهرين وفي بعض الاحيان كان ينساب منه الافراز على غير الحالة الطبيعية وكان مجرى البول ضيقا وملتهبا وبه عدة مضايق وكل هذا شفي بالعلاج . وعدم الخلط من دواعي الاندمام اذا كانت القلفة ضيقة

وأخيراً نقول ان الانتصاب الشديد من دواعي الاندمام وعلاج ذلك قليل من البرود

الفصل الثالث

« التغيرات الداخلية في »

(السائل المنوي)

قلنا ان شكل السائل المنوي يشبه مطبوخ النشا ويترك أثراً على الملابس ذا لون سنجابي فينصلب بعد جفافه ويطرأ بعض الاعراض على هذا السائل فيتغير كالآتي

أما أن يكون ذا لزوجة اكثر من المعتاد وذلك بافراز سوائل اكثر غلظا عن العادة تفرزها الحويصلات المنوية أو قلة افراز البروستاتة وقد يكون ذلك في الاصحاء عند الامتناع التناسلي عدة أيام وقد يكون السائل كالماء سيولة واكثر ما يكون ذلك في حالة انعدام الحيوانات المنوية

ومن التغيرات أيضا وجود دم أو صديد في السائل فاذا اختلط السائل بالدم تغير لونه تغيراً مناسباً لكمية الدم أو التأثيرات الكيماوية المؤثرة فيه والمنبع الذي خرج منه . واكثر الاسباب احداثا لنزول الدم هو التهاب مجرى البول الخلفي خصوصاً في الحالات التي تصيب الحويصلات المنوية واذا افرط الانسان في الاعمال النسائية حدث احتقان في البروستاتة ومجرى البول الخلفي وتسبب عن ذلك نزول الدم وعليه فكثيراً ما يكون هذا النوع شكوى المتزوجين حديثاً أو أصحاب جلد عصبية ومن الاسباب الاخرى التهاب البروستاتة الناشيء عن ضخامتها عند الشيوخ وسل البروستاتة والحويصلات المنوية

ويتغير لون السائل ولون البقع التي يتلون بها السائل على حسب مصدره وقد أرى الاستاذ (الترمان) أن الدم الناتج من التهاب خلفي في القناة البولية يكون غير مستوى الاختلاط بالسائل المنوي ويرى على شكل عدة نقط متفرقة بعضها عن بعض ولون السائل نفسه يكون كلون صدأ

الحديد أما الناتج من الحويصلات فانه يكون مختلطا بالسائل ومتمزجا به امتزاجا متساويا واذا كان في السائل صديد فان لونه يتحول الى أصفر على حسب كمية الصديد الموجودة به واذا لطخت بهذا ثياب وجدت البقع صفراء فاقعة وتضرب الى الخضرة

واكثر الاسباب شيوعا في وجود صديد بالمنى هو السيلان واذا وجد مع ذلك دم فان بقع المنى على القماش تكون غير مستوية الوضع بمعنى أنه يكون هناك كثير من البقع المتموية في بقعة واحدة من المنى وان كان من الحويصلات فشأنه تقدم . واذا اختلط الصديد بالدم في المنى تغير لونه باختلاف الكمية والمحتويات ولا يجوز الخطأ في هذا اللون وفي المنى المصبوغ بالصفراء من تأثير مرض اليرقان والميكروسكوب خير حكم في هذا السبيل فاذا احتوى السائل المنوى على صديد اودم وكان البول خاليا منهما حكمنا ان منشأ الصديد هي اعضاء التناسل لا الجهاز البولي

ومما افتت الاستاذ (الفرمان) الانظار اليه هو صبغة المنى بلون نيلي بعد الاكثار من الاعمال التناسلية خصوصا في أصحاب المزاج العصبي واللون الاحمر فيه لا يفرق عن لون الدم الا بالميكروسكوب وغير اللون الاحمر فقد صادف اللون الاخضر أما الازرق فلم يصادفه

قال الدكتور (كوبر) ونحن لم يقع تحت مشاهداتنا شيء من ذلك

﴿ الفصل الرابع ﴾

« التغيرات الميكروسكوبية »

ناشئة عن الامراض الطارئة على الحيوانات من موت أو قلة او انعدام كلي

ومما لا شك فيه ان لكل غدة من الغدد التناسلية افرازاً واكل افراز تأثيراً على حياة الحيوانات ومايه فاذا فقد أو مرض أحد هذه الافرازات ماتت الحيوانات

فاذا وجدنا ان الحيوانات خرجت مينة من الجسم كان ذلك ولا شك ناتجا عن مرض في البروستاتة أو الحويصلات المنوية أو القناة بينها و بين الخصية نفسها أو بمجرى البول

وانعدام الحيوانات بالمرة ناشيء عن

انسداد القناة المنوية نفسها ويرى (سرتلون) أن هذا الانسداد قد لا يكون كلياً بل أن أى التهاب يصيب القنوات يورث الانعدام وقد أجرى عدة تجارب على كلاب وحقن فيها مواد محدثة للالتهاب فنشأ عنها انعدام الحيوانات أما (نيسر) فيرى أن السيلان هو العلامة الكبرى التي تولد ذلك

والحيوانات قد تكون قليلة أوضعيفة أو منعدمة في حالات التهاب القناة البولية الخلفية اذا وجدت مع البروستاتة أو الحويصلات المنوية أيضاً

واذا حدث التهاب في القناة من جهة الخصية فليس من الواجب أن يكون هناك أى تناسب بين شدة الالتهاب وانعدام الحيوانات وليس من الضروري أيضاً أن يحدث العقم اذا لم تلتهب القناتان

وعلى ذلك قد يحدث انسداد في مجرى المنى بدون أعراض كلينيكية ثم اننا نشك اذا كان الرجل عقيما أن يكون السبب في ذلك التهاب سيلاني في مؤخرة المجرى البولي مالم يظهر ما يخالف ذلك وفي بعض الاحيان قد ينحبس انزال المنى ويكون هناك أول عهد المريض باستشارة الاطباء ولكن في حالة انعدام الحيوانات فقط فان المريض يقذف النقطة ولا يعرف أى تغير فيها وقوته الحيوية في نضرتها لم تتأثر ولا يشك في نفسه انها هي سبب العقم ولا ذنب للمرأة فيه ومن الظلم أن تتهمها في كل الحالات دون بحث الزوج أيضا ولا يجوز أن نقول ان بعض الازواج العاقر منشأة عدم اتفاق الزوجين حيويا واذا كان هناك ورم في أى جزء من أجزاء الجهاز التناسلي وجب فحص المنى ميكروسكوبيا ولكن بالنظر المجرد نجد انه هناك فرقا عظيما فان السائل يكون كالماء والراسب الذى يحدث بعد عدة ساعات هو قليل جداً وربما لا يمكن رؤيته بخلاف الطبيعي فان الراسب يكون نصف السائل وفي بعض الاحيان يحتوى المنى على كرات صغيرة من الخاط وفي بعض الاحيان يكون المنى العقيم له تفاعل مع حمض الازوتيك يضرب لونه الى الصفرة بخلاف الاصفر الفاقع مع الطبيعي

وتحت الميكروسكوب نجد ان هذا الراسب عبارة عن بعض خلايا تحولت

الي التحول الشحمي وبعض كرات دم بيضاء و بلورات يوتشر

وتوجد هناك أسباب أخرى غير السيلان داعية لانحباس الحيوانات وهذه هي أى حاجز يمنع نزولها فازهرى مثلا لا يؤثر في الخصيتين والقناة فينشأ منه ذلك

وفي بعض الاحيان لا يمكن ايجاد أى عرض مرضي في الخصيتين ومن المعلوم أيضا أنه ليس من الضروري حدوث ذلك ولكن هذا المرض لا يمنع المعلوق ولكنه يقتل الجنين

وأما الامراض الاخرى التي ينشأ عنها ذلك فهي التهاب الغدد النكفية وحمي الملاريا والنزلة الوافدة (الانفلوينزا) والجدري والتيفوئيد وطرق تأثيرها هو حدوث التهاب في الخصيتين يحدث بعده ضمورها والكيسة في هذه الحالات اصابة خصية واحدة

والاصابات التي تحدث في الخصية مثل الضرب أو العمليات الجراحية أو غيرها ربما مست الخصية أو القناة بسوء كقطعها أو قطع الاوعية الموصلة اليها

وضغط القبلة المائية المزمنة والقيلة الدموية والاورام التي في الكيس تحدث ضمورا في الخصيتين وانسدادا في الحيوانات

وامراض أوردة الخصيتين (قريكوسيل) قد تؤثر في الخصيتين ولكن من المشاهد ان واحدة منهما فقط تكون مريضة بهذا الداء والاخرى سليمة ولذلك يجب البحث في هذه المسألة قبل الشروع في العمليات الجراحية اللازمة لهذا المرض

واذا نظرنا نظرة عامة لجميع الاسباب التي أوضحتها نجد ان حوادث الالتهاب السيلاني وأمثاله هي أكثر شيوعاً واكثر عرضة في التأثير علي القناتين المنويتين ولو أن كثيراً من الحالات تؤثر علي واحدة فقط كان فوهتي القناتين قريبتين احداهما من الاخرى حتى أن الكثير من الاحيان لا يمكن الحكم علي سلامة واحدة في حالة مرض الاخرى ومن الغرائب ان تكون العدوى الواصلة الي الخصيتين بواسطة الدم كحالات التهاب الغدد النكفية مثلا كثيراً ما تصيب واحدة فقط وفي مثل ذلك لا يحدث عقم

وعلي كل ما تقدم فتحص السائل المنوى هو خير واسطة لمعرفة الحقيقة واليك البيان :

استشاري رجل عمره ٣٥ سنة وليس به مايشكو منه من الوظيفة التناسلية ولكنه لم يرتب بعد مضي ١٤ سنة علي زواجه وليس لديه ما يستحق الذكر غير أنه حدث له جرح في الصفن من الجهة اليمنى فأطلت منه الخصية اما الجهة اليسرى فما زالت في أحسن حالات الصحة ومنذ أحدى عشرة سنة أصيب بالتهاب الغدة النكفية وحلل منه هذه الاونة فوجد طبيعياً وبه حيوانات وبعد مضي هذه المدة وقعت الشبهة علي الزوجة والي هو لعرض حالته علي فوجدت به فتق في الجهة اليمنى وخصية هذه الجهة صغيرة جداً أما الجهة الاخرى فكانت الخصية اكبر من أختها ولكنها أقل من الطبيعي وما عدا ذلك فقد كان طبيعياً و بعد مضي أسبوع مضى عليه بغير جماعه امتحنت منيه فوجدته خالياً من الحيوانات وليس به غير كرات دم بيضاء ومن هذه الحالة نجد أنه قد تكون الخصية السليمة صغيرة قليلا لكنها عقيمة وقد قرر هذا الجراح (شرشمان) في التقرير الثالث عشر من كتاب مستشفي جون هوبكن قد أصيبت خصية بضربة شدت بعدها الى حجم نواة البلح ولكنها مع ذلك كانت طبيعته في محتوياتها

والتعرض لاشعة رنتجن صيت عقيما في بعض المرضي والاطباء المتوطين بالعمل

ومن الاشياء المنكورة الحدوث أن السمن وضخامة البدن تحدث ضعفاً في القوى التناسلية في كلاء النوعين وقد تتحول الخصية لاستحالة شحمية ومن احصائيات كيس أن الزواج العقيم يكون بنسبة واحدة في العشرة اذا كانت الزوجة سمينة جداً وبنسبة واحد الي خمسة اذا كان الزوجان سمينين

أما الادمان علي الخمر فهو من مسببات العقم ومن المعلوم أن السكيرين اكثر ما يكونون سهانا

وقد كتب مايلوس دنكان عن عقم المرأة في محاضراته قصة فتاة مدمنة ظلت عدة أعوام بلا حمل ولم يكن في جسمها ما يدعو الي هذه العاهة وعولجت

بالامتناع عن الخمر مدة عام لحملت ومن المشاهد ان الادمان من مسببات الالتهاب المبيضين في الانثى

نقول اننا نشرنا هذا الرأى عن النساء برغم ان بحثنا في الرجل لاحتمال علاقة بين الاثنين وهذا مايعززه رأى فوربل من تقليل الخمر الغسل وضرب الامثال بعدة مناطق من الروسيا فأكثرها ادمانا على الخمر أقلها مكانا

أما العقاقير الداخية المتعم فهي :

الافيون والزرنيخ والرصاص واليودور والبروموز اذا أخذت بمقادير كبيرة

(الفصل الخامس)

(العلاج)

تعالج الاسباب باختلاف أنواعها اما كثرة المني وقلته فلا أهمية له مادامت الحيوانات حية فاذا ماتت يبحث عن كل الاعضاء التناسلية ومعرفة انها أصل الداء

أنجاس الحيوانات يكون :

(١) اما أن تكون موجودة في الجسم ولكنها لا تخرج ويعالج أى سبب داع الى الفعل الانتكاسى . وكثيراً ما رأينا ان مجرى البول الخلفي يكون أكثر حساسية فتتكمش جميع العضلات عند ادخال المجس وتشفيت بالكهرباء (التيار المتقطع) وادخال المجسات واستعمال المهبطات

الانعدام العكسي:

مثل التحام جروح داخل المجرى البولي فتسد مدخل المني فيكون الامل ضعيفا في الشفاء وتتغير النتيجة بتغير العلاج وسير المرض في مثل أحوال السل الموضعي أو ضخامة البروستاتة

أما الاحوال النفسية من خوف أو جزع أو رهبة فيزول بزوال السبب ما دام المجرى خالياً من أمراض أخرى كالسيلان الآخر

أما الانعدام الكاذب فيعالج بتوسيع الضيق العارض ومداواة الالتهابات وحالات افتتاح مجرى البول في غير الموضع الطبيعي تزال بالعملية الجراحية واذا وجدت الحيوانات مينة فتعالج الامراض المسببة وهذه تكون في الخصية والبروستاتة والحويصلات ولا تنسى كثرة زوجة الفراز الذين مضى عليهم زمن كبير بدون جماع وتكون الحيوانات أقل قوة

ووجود دم أو صديد شرحنا علاجه

وحالات الافراط تعالج بالاقلال

موت الحيوانات وضعفها وقلة الحيوانات وانعدامها

دائما تكون موجودة في المني الدموى والصديدى وكذلك أسبابها وعلاجها واذا لم يكتشف لها سبب يلتفت الى الصحة العامة

وفي حالة قلتها وضعفها يجب البحث اذا كان السبب فسيولوجي أو مرضي مؤقت أو دائم

نعم انه يختلف عدد الحيوانات باختلاف الاشخاص ولذلك يجب ملاحظة تاريخ المريض اذ ربما كان سبب الانعدام ناشيء عن الافراط فقط كالشبان المتزوجين حديثا أو جماعة المفرطين الذين لا ينفكون ليلة عن هذا العمل

ويرى بعض الباحثين ان أطفال شهر العسل أقل قوة من الاطفال الذين بعده لان الرجل في هذا الشهر يكون منهوك القوى وحيواناته أقل قوة من غيرها

أما التشويهات الخلقية فلا يكون من ورائها العقم

أما السيلان فيعالج بالعلاج الخاص به لئلا يهدد قوهات الحويصلات المنوية

ومرهم الزئبق نافع في التهاب البربخ

أما في التهابات البربخ والخصية المزمن فاستعمال الاربطة المطاطية على طريقة (بير) مفيد جدا بوضع المطاط على عنق الكيس ١٢ ساعة ولا يجوز اليأس في حالات التهاب البربخ السيلاني فان العلامة (جوادرد) عالج عقما منشأه التهاب سيلاني بعد مضي سنتين ولا يعزب على الاذهان ان ازالة الاورام شيء ووجود الحيوانات المنوية شيء آخر فهبوط الاورام ليس معناه وجود الحيوانات

وأما الضغط الناشيء عن قيلة مائية أو دموية أو فتق فيستدعي عمل عملية

والاحتفاظ واجب من أشعة رونتجين ولكن الآلات الحديثة والحواجز قد تمنع حدوث ذلك ومع ذلك فالانعدام وقتي وقد تعود وحدها بعد ثلاثة شهور

والسمن وضخامة الجسم تعالج بعلاجها الخاص بها وكذلك ادمان الخمر تعالج بالامتناع

(الدكتور حسين المراوى)

﴿ مِنَى ﴾ هو موضع بقرب مكة يقصده الحجاج للنحر ورمي الجمار . فان المؤدين لفريضة الحج بعد أن يقفوا بعرفات يقصدون منى ويكون مع كل منهم تسعة وأربعون حصاة من الوديان القريبة من عرفة فاذا نزلوا منى باتوا ليلتهم فيها حتى اذا أصبحوا كان يوم العيد الاكبر ويكون المحمل المصري نازلا شمال المصطبة التي فيها مخيم الشريف الى جوار مسجد الخيف وهو مسجد كبير ذو فضاء واسع مربع محيط به سور متسع والى حائطه الغربي رواق على طوله ، قام سقفه على أعمدة من البناء ، وباب هذا المسجد الى الشمال وفي وسط صحنه تجاه الباب قبة كبيرة أقيمت على مكان يصلي الناس فيه وهو المكان الذي صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبجوار هذه القبة مأذنة صغيرة بناها السلطان قايتباي سنة (٨٨٤) وفي جانب هذا المسجد داراً كان ينزل اليها أمير الحج المصري فاندثرت ولكن المسجد باق على حاله

عند وصول الحجاج الى منى يقصدون من فورهم جمرة العقبة فيرمونها ويذبحون ويحلقون أو يقصرون ثم يلبسون ملابسهم وعندها يحل لهم كل شيء ما عدا النساء والطيب

وتذبح القرابين شرقي منى وتلقى في حفر هناك لهذا الغرض وكلما امتلأت حفرة بتلك الجثث ردمت وحفر غيرها وهكذا ويكون لها بعد الحج رائحة كريهة جداً

تقيم الحجاج بمنى الى عصر اليوم الثالث عشر من ذي الحجة ثم ينزلون الى مكة لاداء الركن الباقي من أركان الحج وهو طواف الافاضة والسعي لمن لم يكونوا سعوا بعد طواف القدوم . ومن الناس من ينزل الى مكة أول يوم بعد رمي جمرة العقبة لاستكمال جميع مناسك الحج ثم يرجعون من يومهم الى منى فيقيمون فيها مع اخوانهم ثاني وثالث أيام التشريق ويرجمون في كل يوم منها الجمرات الثلاث وفي عصر اليوم الثالث ينزلون الى مكة

يوجد في منى غير مسجد الخيف غار قريب في الجبل الجنوبي يسمى غار المرسلات كان يتعبد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلت عليه فيه سورة

المرسلات ويقصده الناس للزيارة والتبرك به . وفي الجبل الشمالي منها منارة يقولون ان ابراهيم عليه السلام سكن فيها مع هاجر ويبلغ طولها أربعة أمتار وعرضها مترين ونصف متر وعلى يمين الداخل فيها كهف تقر في جوف الجبل وفي خارجها مصلى يقولون عنه انه مذبح اسماعيل وبجوارها صخرة كبيرة في جوف الجبل فيها شق كبير يزعمون ان ذلك السكين التي اراد ان يذبح بها ابراهيم ولده انفلتت من يده مرحمة بالذبيح فغاصت في هذا الصخر فشقته . وبقرب هذه المنارة يقيم حجاج الهنود ولهم فيها اعتقاد عظيم . قال محمد بك لبيب البتانوني الذي تنقل عنه هذه التفصيلات: «نرى الهنود هناك وقد فرشوا على الحصباء وخارج خيامهم وداخلها شعرات نيئة من لحم الاضحية وبعد جفافها في الشمس يحتفظون عليها ويأخذونها معهم الى بلادهم هدية مباركة مقدسة لمن كان عزيزاً عليهم . وأظن ان هذه عادة قديمة للعرب كانوا يقومون بها في أيام منى ومنها سميت بأيام التشريق اى التقديد وهي الثلاثة الايام التي تعقب يوم النحر . وقدمر بك في باب القربان مثل ذلك في عوائد الرومان ولعلهم أخذوها من اليونان وهؤلاء أخذوها ضمن العوائد الكثيرة التي أخذوها من الهنود أنفسهم فيكون اصلها منهم ومرجعها اليهم »

وبمناسبة ذكر الرجم في منى ننقل عنا عن الفاضل محمد بك لبيب البتانوني ماذكره في رحلته الحجازية عن اصل الرجم عند الامم قال حضرته :

﴿ الرجم ﴾

«الرجم في اصطلاح الحجيج رمي غرض مخصوص في منى بسبع حصيات في حجم الفولة ، وهذا الغرض يسمى جمرة والجمرات ثلاث : جمرة العقبة ، والجمرة الوسطى ، والجمرة الصغرى (ويسميها العامة ابليس الكبير والوسطاني والصغير) ولكل جمرة مكان مخصوص (موصوف في وسط الطريق الى عرفة) ، ورميها واجب باتفاق المذاهب . فيرى الحجاج في أول أيامه بمنى (يوم الاضحية جمرة العقبة وحدها ، ثم يرمي ثلاثتها في كل يوم من اليومين التاليين ، فيكون جملة مايرميه سبع حصيات في سبع (٤٩ حصاة) ومكان الجمرات تراه على الدوام غاصا

بالرامين فلا تصل اليه الا بمشقة عظيمة وكثيراً ماتشاهد بين هؤلاء الرماة أناساً يُجْمَرون بتَشَنُّج شديد ، ومنهم من يغلو في ذلك فيرمي هذا الغرض برصاصة طبنجته كأنما يرمي عدواً لدّ ، والكل يتخيل أنه يرمي ذلك الشيطان الرجيم الذي لاتخفى عداوته لبني الانسان ، فكأنهم بهذا الرمي يشهرون عليه حرباً عواناً لما سبق من اغوائه لهم، ويقطعون كل صلة بينهم وبينه

والعرب كانوا يرجمون هذه الجمرات الثلاث في حجهم قبل الاسلام ، لانهم كانوا يعتقدون ان الله تعالى أوحى الى ابراهيم وهو في تلك الجهة بذبح ولده اسماعيل ، فأخذه وسار ليصدع بأمر ربه فوسوس له الشيطان بأن لا يفعل ، فأخذ حصيات ورماه بها وكان ذلك في المكان الذي به الجمرة الاولى ، فتركه وسار الى هاجر وأخذ يذبح لها عمل ابراهيم ، فأخذت حجارة ورمته بها ، وكان ذلك في مكان الجمرة الثانية ، فذهب الى اسماعيل يشنع له عمل أبيه ، فأخذ قبضة من الحصى ورماه بها ، وكان ذلك في مكان الجمرة الثالثة . ثم كانت ترجم العرب هذه الامكنة مشخصين ذلك الشيطان ، وتابعهم عليه الاسلام ولا غرابة في ذلك لان الناموس الطبيعي يقضي بأن يكون كل معنى من المعاني مصدره المادة ، وعليه فهذا الرمي المادي يوصل بلا شك لمعنى دقيق جليل في ذاته: هو تربية ملكة جديدة في شخص الرامي وهي مخالفة شيطان النفس والابتعاد عن مسالك الشرور

والرجم أمر قديم في الامم : قال الله تعالى في سورة الشعراء في اجابة قوم نوح على نصائحه لهم « لئن لم تنته يانوح لتكونن من المرجومين » وقال تعالى في سورة هود في جواب أهل مدين على نصيحة نبيهم شعيب لهم « قالوا ياشعيب ماندقه كثيراً مما تقول وانا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز»

وكان الرجم في بني اسرائيل ، وقد ورد في الآية ٢٤ و ٢٥ من الاصحاح السابع لسفر يشوع ما نصه : « فأخذ يشوع عخان بن زارح والفضة والرداء ولسان الذهب و بنيه وبناته وبقره وحميره وغنمه وخيمته وكل ماله وجميع اسرائيل

معه، وصعدوا بهم الى وادي عخور، فقال يشوع كيف كدرتنا يكدرك الرب في هذا اليوم ،فرجمه جميع اسرائيل بالحجارة وأحرقوهم بالنار ورموهم بالحجارة»

والنصارى يرجمون مكان شجرة التين التي لعنها المسيح حينما اراد أن يأكل منها ولم يجد فيها ثمراً ، أنظر آية ١٩ من الاصحاح الحادي والعشرين من انجيل متى ، ومكان هذه الشجرة على طريق الذاهب من بيت المقدس الى نهر الاردن في الوادي الذي ينزل على يسار جبل الزيتون

والعرب كانوا يرجمون في الجاهلية من سخطوا عليه حيا وميتا ،فكانوا يرجمون الزاني المحصن حيا لشناعة عمله ، تابعتهم عليه الشريعة الغراء ، كما كانوا يرجمون قبور من يتقمون عليهم وهم يرجمون من القرن الاول قبل الهجرة الى الآن قبر أبي رغال في المغمس بين مكة والطائف لانه كان يقود جيش أبرهة الى مكة ،فمات في هذا المكان قبل وصوله اليها ، قال جرير يهجو الفرزدق :

اذا مات الفرزدق فارجموه

كما ترمون قبر أبي رغال

والمسلمون يرمون قبر ابي لهب خارج مكة لانه عدو نبيهم صلى الله عليه وسلم ويرمون قبر ابي جهينة في طريق العمرة لانه كان من حكام مكة الظالمين ويرمون قبر يزيد بن معاوية لسوء سيرته وشناعة فعلته مع آل البيت رضوان الله عليهم ، ويرجمون قبر مسلم بن عقبة في ثنية المشلل بين مكة والمدينة، لانه فتك باهل المدينة ولم يراع حرمة رسول الله في صحابته وجيرته . وقد ذكر المسعودي في مروج الذهب عند ذكر اليمن وملوكها انه يوجد في طريق العراق الى مكة نحو النظامية وموضع يعرف بقبر العبادي ترجمه المارة »

﴿ منبوق ﴾ هو شجيرة متسلقة غليظة الجذر اصلها من افريقا وكانت تستعمل غذاء لدى الزنوج . فان جذرها لحمي دوني لونه سنجابي او احمر او اخضر من الظاهر وباطنه ابيض يمكن ان يبلغ وزنه ٣٠ رطلا وهو مملوء بمصارة بيضاء لبنية شديدة الحرافة. اما ساقها فقائمة تعلو من ٦ الى ٨ اقدام اسطوانية عقدية

جزؤها العلوى مزين باوراق متعاقبة طويلة الذنيب مشققة تشققا عميقا الى ٣ فصوص او ٥ او ٧ بيضية سهمية متموجة الحافات لونها أخضر قاتم في وجهها العلوى ومبيضة مغبرة في الوجه السفلي وأزهارها عنقودية في آباط الاوراق العليا ويتركب العنقود من أزهار مذكرة وأزهار مؤنثة

هذه الاشجار تنبت بالاقاليم الحارة من امريكا واستنبتت هناك في أقاليم أخرى

أما جذرها فتتركب مادته من النشاء مع عصارة بيضاء حريفة تشبه العصارة الموجودة في أغلب النباتات الفربيونية ومع ذلك فيسهل أخلاؤه من قاعدته الحريفة السامة اما بفعل الحرارة واما بالفعل المتكرر فيصير ذلك الجذر غذاء سليما كثير الاستعمال. فلاجل ذلك يكفي أن يبشر وهو رطب ويحول الي عجينة غليظة تغسل بالماء جملة مرارات مع الانتباه لتجديد الماء في كل مرة فاذا غسلت جيداً تجفف على هيئة أقراص غير منتظمة تسمي حينئذ خبز كساف

فاذا أريد اكلها عمل منها فطائر مفرطحة تخبز في النار وتلك الفطائر جيدة التغذية مقبولة الطعم وهي الغذاء الرئيسي لقسم كبير من القبائل الساكنة بأمريكا الجنوبية ، وماء غسل عجينة المنيوق يرسب في قعر اوانيها مسحوق ابيض وهو دقيق غذائي نقي جداً وهو الذى يجفف ويباع باسم تبيوكا وبالحقيقة خبز كساف مصنوع من هذا الدقيق بل يمكن تحويله قبل خبزه الي دقيق بأن يجفف في تنور مع التحريك فيحصل ذلك الدقيق المسمى ايضا عندهم كواك بضم الكاف الاولى. ودقيق المنيوق عذب لزج أى لعابي تفه محبب مغذ أبيض مصفر وأوقيتان منه تكفي لاكلة كاملة لانه ينتفخ كثيراً اذا طبخ ورطل واحد منه يغذى رجلا مدة ٢٤ ساعة مهما كانت شهيته وقد يسمي ذلك الدقيق موساش وهي لفظة من اللغة الاندلسية معناها طفل كأنه يقال عنه طفل المنيوق ويسمي في كيان سيبيا بكسر السين والباء الاولي ويستعمل لتنشية الخرق ونحوها ويصنع منه باورو باشوربات المرضي

وقد يشتبه بدقيق ارفروت ولكن هذا أخف منه فان العلبة التى تسع ١٦ اوقية من الاروفروت لاتسع من الموساش الا

١٤ ولكن المخصوص باسم تبيوكا دقيق المنيوق مجفف على صفائح حارة وذلك يعطيه منظراً متحبباً

وأما عصارة الجذر فهي حريفة قوية السمية تثقل الطيور وذوات الأربع بل والانسان بمقدار يسير وذلك بأن تسبب قيأ وتشنجات وعرقا بارداً ثم ينتفخ الجلد ثم يحصل الموت والحيوانات التى تموت بذلك لايوجد في امعائها ولا في معدتها أثر التهاب وانما تأثيرها كتأثير الحمض ادروسيانيك مع أنه لايوجد في تركيبها أثر منه على حسب ماذكر سوبيران الذى شبه رائحتها برائحة اللوز المر والقاعدة القتالة لتلك العصارة شديدة التطاير والتصاعد لان تلك العصارة اذا عرضت للهواء ٣٦ ساعة كانت غير سامة كما اكد ذلك باجون بتجريبات اكيدة وكذلك اذا عرضت للغليان وتمر تلك القاعدة بالتقطير فمن الثابت أن تلك العصارة يتحصل منها سائل قوى الشدة بحيث ان نصف ملعقة قهوة منها تقتل كلبا في أقل من ٥ دقائق واتفق ان عبداً سم آخر فحكم عليه بالموت وامر بازدراد ٣٥ نقطة منها فمات في أقل من ٦ دقائق في هاتين الحالتين لم يوجد أثر لهذا السم في المعدة ولا في الامعاء وريكور الذى نال هذه القاعدة الفعالة لهذا النبات شاهد ان وضع نقط منها على لسان كلب كاف لموته في أقل من ١٠ دقائق ولا يشاهد الا امتلاء القلب بالدم وزعم بعضهم ان استعمال السكر بمقدار كبير وماء البحر والمغرة أى التراب الاحمر المعروف وحمض انجول والنبات المسمى ستيزوس كاجان هي مضادات التسمم بلبن المنيوق . واثبت ريكور منفعتها في ذلك وعصارة تنديروبا القلبية الشكل اذا أعطيت حالا اضعفت نتائج هذا الجوهر . وثبت ان القلويات المخلوطة به بمقدار خمس وزنه تمنع فعله القتال ويقال ان الوحشيين يستعملون هذه العادة لتسميم سنان رماحهم. ويقال أيضاً أن الماء الذى طبخ فيه المنيوق الاعتيادى مسمم ويستعمل في بعض اماكن من البريزيل لصيد الطيور بأن يوضع في اماكن خالية من الرطوبة فتأتي تلك الحيوانات وتشرب منه فحالا ترتبك وتنحل قواها ويمكن مسكها باليد ويدخل المنيوق في عمل مشروب متخمر يسمي هناك أويكو بضم الهمزة وكسر

الواو بدلا من النبيذ والقناع في الاقاليم الاخر. وهناك صنف هندب من المنيوق يسمي قنبوق وتنشأ عندوبته من طول مدة استنباته فصار ليست سامة ويؤكل بدون أن يبشر مطبوخا بالماء . ومن أنواع بطروفا ما يسمي بالسان النباتي بطروفا ايلستيكا أي المرن وقد يسمي سينوفيا ايلستيكا وهو المنتج لصمغ المرن وهناك أنواع أخر من هذا الجنس تنتج ذلك كما قال دوقندول. ومن أنواعه بطروفا غلندلوز أي الندى وقد يسمي قروطون ويلوزوم أي الخلي . ذكر بركال ان المصارة الجديدة لهذه الشجيرة توضع في بلاد العرب علي الدمامل مع أنها تأكل الحديد وتوضع عاليجه أي براعيمه علي الاورام لاجل تليينها وتسكين آلامها ومن أنواعه بطروفا غلوكوس أي الاخضر يستعمل في بلاد الهند دهنه المستخرج من بزوره مروخا في علاج الوجع الروماتزمي المزمن والشلل ومن أنواعه بطروفا جوسيبفوليا أي القطني يستعمل بأمريكا الجنوبية مطبوخ أوراقه علاجا للقولنج والتلبكات الصفراوية ونحو ذلك كسهل وذلك هو السبب في تسميته حشيشة وجع البطن وينبت علي جذعه درنات تكون مسهلة أيضاً ومعطسة ويظهر ان بزوره حلوة لان الطيور تأكله حسبما ذكر برون وذكر لبات الذي أقام مدة بجزائر انتيلة ان ثماره تؤكل دائما وذلك موجود في ميدسنيير أيضاً ولذلك يشتبهان ببعضهما. ومن أنواعه بطروفا ملتفيدا أي المتضاعف الشق وهذا النوع عظيم الاعتبار بأوراقه الاصبعية الخيطية وأزهاره الحمر وينبت في البرزيل والهند وغير ذلك واستعمل في اسبانيا ثماره كسهل وذلك هو السبب في تسميته جوز الاسهال وميدسنيير اسبانيا والميدسنيير الصغير ويستخرج منه دهن مسهل قوي ولم يجد سو بيران فرقا في التركيب الكيماوي بين هذه البزور وبزور الميدسنيير الاعتيادي وعلي رأي دوقندول يمكن أكل لوز هذا الثمر اذا طرح جنينه كما في الميدسنيير ومن أنواعه بطروفا اوبيفيرا أي المسعف وهذا النبات ينبت بالبرزيل وجذره أبيض لحمي تجهز منه خلاصة رانينجية تستعمل في هذه البلاد بمقدار من نصف درهم الي درهم كسهل وخصوصا في الاستسقاء كما ذكر ذلك مرتيوس (المادة الطبية)

﴿ المُهْجة ﴾ الدم وقيل دم القلب و (مُهجة كل شيء) خالصه جمعه مُهَج ومُهَجات

﴿ مَهَّد ﴾ لنفسه يمهد تمهيدا كسب . و (مَهَّد الفراش) بسطه . و (مَهَّد له الفراش) أيضاً بسطه . و (مهد له الامر) سهل له . و (المِهاد) الفراش جمعه أمهدة ومُهُد . و (المَهْد) الارض. ومرقد الصبي جمعه مُهود

﴿ المهدي والمهدية ﴾ أنظر مادة هدى

﴿ مَهَر ﴾ المرأة يمهرها جعل لها مَهْراً . والمَهْر الصداق. و (مَهَر الرجل في الشيء) مهارة حذق فهو ماهر ، و (أمهر المرأة) سمي لها مهراً و (المُهْر) ولد الفرس جمعه مهار . و (الابل المَهْرية) منسوبة الي مَهْرة وهو حي من قضاعة من عرب اليمن

﴿ مهر المرأة ﴾ هو صداقها أي المال الذي يقدمه الرجل لمن يريد التزوج بها. وله أحكام في الشريعة الاسلامية وقد رأينا ان أحسن من كتب فيها العلامة الفيلسوف ابن رشد في كتابه (بداية المجتهد ونهاية المقتصد) فانه قد ألم بالمسألة من جميع أطرافها وأتى علي جميع الاختلافات فيها فنرى أن ننقل هذا الفصل عنه لما فيه من العلم والفائدة ، قال رحمه الله :

والنظر في الصداق في ستة مواضع الاول في حكمه وأركانه . الموضع الثاني في تقرر جميعه الزوجة ، الموضع الثالث في تشطيره . الموضع الرابع في التفويض وحكمه. الموضع الخامس في الاصدقة الفاسدة وحكمها . الموضع السادس في اختلاف الزوجين في الصداق

﴿ الموضع الاول ﴾

وهذا الموضع فيه أربع مسائل، الاولى في حكمه ، الثانية في قدره، الثالثة في جنسه ووصفه ، الرابعة في تأجيله

المسئلة الاولي

أما حكمه فانهم اتفقوا علي انه شرط من شروط الصحة وانه لا يجوز التواطؤ علي تركه لقوله تعالى «وآتوا النساء صدقاتهن نحلة » وقوله تعالى «فانكحوهن باذن أهلهن وآتوهن أجورهن »

المسئلة الثانية

وأما قدره فانهم اتفقوا علي انه ليس لاكثره حد واختلفوا في أقله فقال

الشافعي واحمد واسحق وأبو ثور وفقهاء المدينة من التابعين ليس لاقله حد وكل ماجاز أن يكون ثمنا وقيمة لشيء جاز أن يكون صداقا . وبه قال ابن وهب من أصحاب مالك وقالت طائفة بوجوب تحديد أقله وهؤلاء اختلفوا فالمشهور في ذلك مذهبان : أحدهما مذهب مالك وأصحابه، والثاني مذهب أبي حنيفة وأصحابه. فأما مالك فقال أقله ربع دينار من الذهب أو ثلاثة دراهم كيلا من فضة أو ما ساوى الدراهم الثلاثة أعني دراهم الكيل فقط في المشهور ، وقيل أو ما يساوي أحدهما. وقال أبو حنيفة عشرة دراهم أقله ، وقيل خمسة دراهم، وقيل أربعون درهما وسبب اختلافهم في التقدير سببان أحدهما تردده بين أن يكون عوضاً من الاعواض يتسير فيه التراضي بالقليل كان أو بالكثير كالحال في البيوعات و بين أن يكون عبادة فيكون موقتا وذلك انه من جهة انه يملك به على المرأة منافعها على الدوام يشبه العوض ، ومن جهة انه لايجوز التراضي على اسقاطه يشبه العبادة. والسبب الثاني معارضة هذا القياس لمقتضى التحديد لمفهوم الاثر الذى لايقتضي التحديد. أما القياس الذى يقتضي التحديد فهو كما قلنا انه عبادة والعبادات مؤقتة . وأما الاثر الذى يقتضي مفهومه عدم التحديد فحديث سهل بن سعد الساعدى المتفق على صحته وفيه ان رسول الله صلي الله عليه وسلم جاءته امرأة فقالت يارسول الله اني قد وهبت نفسي لك، فقامت قياما طويلا. فقام رجل فقال يارسول الله زوجنيها ان لم يكن لك بها حاجة. فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم هل معك من شيء تصدقها اياه . فقال ماعندى الا ازارى فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم ان اعطيتها اياه جلست لا ازار لك فالتمس شيئا . فقال لا اجد شيئا . فقال عليه الصلاة والسلام التمس ولو خاتما من حديد . فالتمس فلم يجد شيئا فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم هل معك شيء من القرآن ؟ قال نعم سورة كذا وسورة كذا السور سماها . فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم قد انكحتكها بما معك من القرآن . قالوا فقوله عليه الصلاة والسلام التمس ولو خاتما من حديد دليل على انه لاقدر لاقله لانه لو كان له قدر لبينه اذ لايجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة وهذا استدلال بين كاترى مع ان القياس

الذى اعتمده القائلون بالتحديد ليس تسلم مقدماته . وذلك انه انبنى على مقدمتين احداهما ان الصداق عبادة والثانية ان العبادة موقتة ، وهي كليهما نزاع الخصم وذلك انه قد يلفي في الشرع من العبادات ما ليست موقتة بل الواجب فيها هو أقل ما ينطبق عليه الاسم وايضا فانه ليس فيه شبه العبادات خالصا وانما صار المرجحون لهذا القياس على مفهوم الاثر لاحتمال ان يكون ذلك الاثر خاصا بذلك الرجل لقوله فيه قد انكحتكها بما معك من القرآن ، وهذا خلاف للاصول وان كان قد جاء في بعض رواياته انه قال قم فعلمها لما ذكر انه معه من القرآن فقام فعلمها فجاء نكاحا بالجارة لكن لما التمسوا اصلا يقيسون عليه قدر الصداق لم يجدوا شيئا اقرب شبها به من نصاب القطع على بعدما بينهما . وذلك ان القياس الذى استعملوه في ذلك هو انهم قالوا عضو مستباح بمال فوجب ان يكون مقدراً اصله القطع . وضعف هذا القياس هو من قبل ان الاستباحة فيهما هي مقولة باشتراك الاسم وذلك ان القطع غير الوطء وايضا فان القطع استباحة على جهة العقوبة والاذى ونقص خلقة ، وهذا استباحة على جهة اللذة والمودة ، ومن شأن قياس الشبه على ضعفه ان يكون الذى به تشابه الفرع والاصل شيئا واحداً لا باللفظ بل بالمعنى ، وان يكون الحكم انما وجد للاصل من جهة الشبه ، وهذا كله معدوم في هذا القياس ، ومع هذا فانه من الشبه الذى لم ينبه عليه اللفظ وهذا النوع من القياس مردود عند المحققين لكن ليستعملوا هذا القياس في اثبات التحديد المقابل لمفهوم الحديث اذ هو في غاية الضعف وانما استعملوه في تعيين قدر التحديد

وأما القياس الذى استعملوه في معارضة مفهوم الحديث فهو اقوى من هذا يشهد لعدم التحديد ماخرجه الترمذى ان امرأة تزوجت على نعلين ، فقال لها رسول الله صلي الله عليه وسلم ارضيت من نفسك ومالك بنعلين ، فقالت نعم فجوز نكاحها وقال هو حديث حسن صحيح . ولما اتفق القائلون بالتحديد على قياسه على نصاب السرقة اختلفوا في ذلك بحسب اختلافهم في نصاب السرقة فقال مالك هو ربع دينار أو ثلاثة دراهم لانه

النصاب في السرقة عنده ،وقال ابوحنيفة هو عشرة دراهم لانه النصاب في السرقة عنده . وقال ابن شبرمة هو خمسة دراهم لانه النصاب عنده ايضا في السرقة وقد احتجت الحنفية لكون الصداق محدودا بهذا القدر بحديث بروونه عن جابر عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال لا مهر الا بعشرة دراهم . ولو كان هذا ثابتا لكان رافعا لموضع الخلاف لانه كان يجب لموضع هذا الحديث أن يحمل حديث سهل بن سعد على الخصوص ، ولكن حديث جابر هذا ضعيف عند أهل الحديث فانه بروبه قالوا مبشر بن عبيد عن الحجاج ابن ارطاة عن عطاء عن جابر ومبشر والحجاج ضعيفان وعطاء أيضاً لم يلق جابراً ولذلك لا يمكن أن يقال ان هذا الحديث معارض لحديث سهل بن سعد

« المسئلة الثانية »

أما جنسه فكل ما جاز أن يثبت ثمنا وأن يكون عوضا وأختلفوا من ذلك في مكانين في النكاح بالاجارة وفي جعل عتق امته صداقها : أما النكاح على الاجارة ففي المذهب فيه ثلاثة أقوال قول بالاجازه وقول بالمنع وقول بالكراهة والمشهور من مالك الكراهة ولذلك رأى فسخه قبل الدخول وأجازه من أصحابه اصبغ وسحنون وهو قول الشافعي ومنعه ابن القاسم وأبو حنيفة الا في العبد فان أبا حنيفة أجازه وسبب اختلافهم سببان احدهما هل شرع من قبلنا لازم لنا حتى يدل الدليل على ارتفاعه ام الامر بالعكس؟ فمن قال هو لازم أجازه لقوله تعالى « اني أريد أن انكحك احدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج » الآية ومن قال ليس بلازم قال لا يجوز النكاح بالاجارة . والسبب الثاني هل يجوز ان يقاس النكاح في ذلك على الاجارة وذلك ان الاجارة هي مستثناة من بيوع الغرر المجهول ولذلك خالف فيها الاصم وابن علية وذلك ان اصل التعامل انما هو على عين معروفة ثابتة في عين معروفة ثابتة والاجارة هي عين ثابتة في مقابلتها حركات وافعال غير ثابتة ولا مقدرة بنفسها ، ولذلك اختلف الفقهاء متى تجب الاجرة على المستأجر . وأما كون العتق صداقا فانه منعه فقهاء الامصار ما عدا داود واحمد . وسبب اختلافهم معارضة الاثر الوارد في ذلك للاصول اعني

مانبت من انه عليه الصلاة والسلام أعتق صفية وجعل عتقها صداقها مع احتمال أن يكون هذا خاصا به عليه الصلاة والسلام لكثرة اختصاصه في هذا الباب ووجه مفارقته للاصول أن العتق ازالة ملك والازالة لا تتضمن استباحة الشيء بوجه آخر لانها اذا أعتقت ملكت نفسها فكيف يلزمها النكاح ؟ ولذلك قال الشافعي انها ان كرهت زواجه غرمت له قيمتها لانه رأى انها قد أتلفت عليه قيمتها اذ كان انما أتلفها بشرط الاستمتاع بها . وهذا كله لا يعارض به فعله عليه الصلاة والسلام ولو كان غير جائز لغيره لبينه عليه الصلاة والسلام . والاصل ان أفعاله لازمة لنا الا ما قام الدليل على خصوصيته. وأما صفة الصداق فانهم اتفقوا على انعقاد النكاح على العرض المعين الموصوف أعني المنضبط جنسه وقدره بالوصف واختلفوا في العرض الغير موصوف ولا معين مثل أن يقول أنكحتكها على عبد او خادم من غير أن يصف ذلك وصفا يضبط قيمته. فقال مالك وابو حنيفة يجوز وقال الشافعي لايجوز واذا وقع النكاح على هذا الوصف عند مالك كان لها الوسط مما سمي . وقال أبو حنيفة يجبر على القيمة وسبب اختلافهم هل يجري السكاح في ذلك مجرى البيع من القصد في النشاح أو ليس يبلغ ذلك المبلغ بل القصد منه أكثر من ذلك، المكارمة فمن قال يجري في النشاح قال كما لا يجوز البيع على شيء غير موصوف ، كذلك لا يجوز النكاح . ومن قال ليس يجري مجراه اذ المقصود منه انما هو المكارمة ، قال يجوز . وأما التأجيل فان قوما لم يجيزوه أصلا وقوم أجازوه واستحبوا أن يقدم شيئا منه اذا أراد الدخول ، وهو مذهب مالك والذين أجازوا التأجيل منهم من لم يجزه الا لزمن محدود وقدر هذا البعد وهو مذهب مالك . ومنهم من أجازه لموت أوفراق وهو مذهب الاوزاعي وسبب اختلافهم هل يشبه النكاح البيع في التأجيل أو لا يشبهه ؟ فمن قال يشبهه لم يجز التأجيل لموت أو فراق . ومن قال لا يشبهه أجاز ذلك . ومن منع التأجيل فلكونه عبادة

« الموضع الثاني في النظر في التقرر »

واتفق العلماء على أن الصداق يجب كله بالدخول أو الموت . أما وجوبه كله بالدخول فلقوله تعالى : « وان أردتم

استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئا » الآية . واما وجوبه بالموت فلا أعلم الآن فيه دليلا مسموعا الا انعقاد الاجماع على ذلك . واختلفوا هل من شرط وجوبه مع الدخول المسيس ام ليس ذلك من شرطه بل يجب بالخلوة والخلوة ؟ وهو الذى يعنون بارخاء الستور. فقال مالك والشافعي وداود لايجب بارخاء الستور الا نصف المهر ما لم يكن المسيس . وقال ابو حنيفة يجب المهر بالخلوة نفسها الا ان يكون محرما او مريضا او صائما في رمضان او كانت المرأة حائضا . وقال ابن ابي ليلى يجب المهر كله بالدخول ولم يشترط في ذلك شيئا. وسبب اختلافهم في ذلك معارضة حكم الصحابة في ذلك لظاهر الكتاب . وذلك انه نص تبارك وتعالى في الدخول بها المنكوحة انه ليس يجوز أن يؤخذ من صداقها شيء في قوله تعالى «وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض» ، ونص في المطلقة قبل المسيس ان لها نصف الصداق فقال تعالى « وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم »

وهذا نص كما ترى في حكم كل واحدة من هاتين الحالتين أعني قبل المسيس وبعد المسيس ولا وسط بينهما فوجد بهذا ايجابا ظاهراً ان الصداق لا يجب الا بالمسيس والمسيس ههنا الظاهر من امره انه الجماع وقد يحتمل ان يحمل على اصله في اللغة وهو المس ولعل هذا هو الذى تأولت الصحابة، ولذلك قال مالك في المنسين المؤجل انه قد وجب لها الصداق عليه اذا وقع الطلاق لطول مقامه معها فجعل له دون الجماع تأثيراً في ايجاب الصداق . واما الاحكام الواردة في ذلك عن الصحابة فهو ان من اغلق بابا او ارخى ستراً فقد وجب عليه الصداق لم يختلف عليهم في ذلك فيما حكوا واختلفوا من هذا الباب في فرع وهو اذا اختلفا في المسيس ، أعني القائلين باشتراط المسيس وذلك مثل ان تدعي هي المسيس و ينكره ، فالمشهور من مالك ان القول قولها . وقيل ان كان دخول بناء صدقت وان كان دخول زيارة لم تصدق. وقيل ان كانت بكراً نظر اليها النساء . فيتحصل فيها في المذاهب ثلاثة اقوال . وقال الشافعي واهل الظاهر

القول قولها . وذلك لانه مدعي عليه ومالك ليس يعتبر في وجوب اليمين المدعي عليه من جهة ماهو مدعي عليه بل من جهة ماهو أقوى شبهة في الاكثر ولذلك يجعل القول في مواضع كثيرة قول المدعي اذا كان أقوى شبهة . وهذا اختلاف يرجع الى هل ايجاب اليمين على المدعي عليه معلل أو غير معلل ؟ وكذلك القول في وجوب البينة على المدعي وسيأتي هذا في مكانه

(الموضع الثالث في التشطير)

واتفقوا اتفاقا مجملا انه اذا طلق قبل الدخول وقد فرض صداقا انه يرجع عليها بنصف الصداق لقوله تعالى « فنصف ما فرضتم » الآية والنظر في التشطير في أصول ثلاثة في محله من الانكحة وفي موجبه من أنواع الطلاق . أعني الواقع قبل الدخول وفي حكم ما يعرض له من التغيرات قبل الطلاق . أما محله من النكاح عند مالك فهو النكاح الصحيح أعني أن يكون يقع الطلاق الذى قبل الدخول في النكاح الصحيح وأما النكاح الفاسد فان لم تكن الفرقة فيه فسخا وطلق قبل الفسخ ففي ذلك قولان . وأما موجب التشطير فهو الطلاق الذى يكون باختيار من الزوج لا باختيار منها مثل الطلاق الذى يكون من قبل قيامها بعيب يوجد فيه واختلفوا من هذا الباب في الذى يكون سببه قيامها عليه بالصداق أو النفقة مع عسره ولا فرق بينه وبين القيام بالعيب . واما الفسوخ التي ليست طلاقا فلا خلاف انها ليست توجب التشطير اذا كان فيها الفسخ من قبل العقد أو من قبل الصداق وبالجملة من قبل عدم موجبات الصحة وليس لها في ذلك اختيار اصلا . واما الفسوخ الطارئة على العقد الصحيح مثل الردة والرضاع فان لم يكن لاحدهما فيه اختيار أو كان لها دونه لم يوجب التشطير وان كان له فيه اختيار مثل الردة أوجب التشطير والذى يقتضيه مذهب أهل الظاهر أن كل طلاق قبل البناء فواجب أن يكون فيه التنصيف سواء كان من سببها أو سببه . وان ما كان فسخا ولم يكن طلاقا فلا تنصيف فيه . وسبب الخلاف على هذه السنة معقولة المعنى أم ليست بمعقولة فمن قال انها معقولة المعنى وانه انما وجب لها نصف الصداق عوض ما كان لها

لمكان الجبر على رد سلعتها وأخذ الثمن كالحال في المشترى اما فارق النكاح في هذا المعنى البيع جعل لها هذا عوضاً من ذلك الحق . فاذا كان الطلاق من سببها لم يكن لها شيء لانها أسقطت ماكان لها من جبره على دفع الثمن وقبض السلعة ومن قال انها سنة غير معقولة واتبع ظاهر اللفظ قال يلزم التشطير في كل طلاق كان من سببه أو سببها . فأما حكم مايعرض الصداق من التغييرات قبل الطلاق فان ذلك لايخلو ان يكون من قبلها او من الله . فاكان من قبل الله فلا يخلو من اربعة أوجه : اما ان يكون تلفا للكل واما أن يكون تلفاً واما أن يكون زيادة واما ان يكون زيادة ونقصانا معاً . وما كان من قبلها فلا يخلو ان يكون تصرفها فيه بتفويت مثل البيع والعتق والهبة، او يكون تصرفها فيه في منافعها الخاصة فيما تتجهز به الى زوجها . فعند مالك انهما في التلف وفي الزيادة وفي النقصان شريكان وعند الشافعي أنه يرجع في النقصان وتتلف عليها بالنصف ولا يرجع بنصف الزيادة وسبب اختلافهم هل تملك المرأة الصداق قبل الدخول او الموت ملكا مستقراً أولا تملكه فمن قال انها لاتملكه ملكا مستقراً حما فيه شريكان مالم تتحد فتدخله في منافعها . ومن قال تملكه ملكا مستقراً والتشطير حق واجب تعين عليها عند الطلاق و بعد استقرار الملك أوجب الرجوع عليها بجميع ماذهب عندها . ولم يختلفوا أنها اذا صرفته في منافعها ضامنة النصف واختلفوا اذا اشترت به مايصلحها فجهازها مما جرت به العادة هل يرجع عليها بنصف مااشترته أم بنصف الصداق الذى هو الثمن فقال مالك يرجع عليها بنصف مااشترته، وقال أبو حنيفة والشافعي يرجع عليها بنصف الثمن الذى هو الصداق . واختلفوا من هذا الباب في فرع مشهور متعلق بالسماع وهو هل للاب أن يعفو عن نصف الصداق في ابنته البكر أعني اذا طلقت قبل الدخول والسيد في أمته ؟ فقال مالك ذلك له . وقال أبو حنيفة والشافعي ليس ذلك له . وسبب اختلافهم هو الاحتمال الذى في قوله تعالى (الا ان يعفو أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح) وذلك في لفظ يعفو فانها تقال في كلام العرب مرة بمعنى يسقط ومرة بمعنى يهب . وفي قوله الذى

بيده عقدة النكاح على من يعود هذا الضمير هل على الولي أو على الزوج فمن قال الزوج جعل يعفو بمعنى يهب ومن قال على الولى جعل يعفو بمعنى يسقط . وشذقوم فقالوا لكل ولى أن يعفو عن نصف الصداق الواجب للمرأة ويشبه ان يكون هذان الاحتمالان الذان في الآية على السواء . لكن من جعله الزوج فلم يوجب حكما زائداً في الآية أى شرعا زائداً لان جواز ذلك معلوم من ضرورة الشرع . ومن جعله الولي اما الاب واما غيره فقد زاد شرعا . فلذلك يجب عليه أن يأتي بدليل يبين به أن الآية أظهر في الولي منها في الزوج وذلك شيء يسير والجمهور على ان المرأة الصغيرة والمحجورة ليس لهما أن تهب من صداقها النصف الواجب لهما . وشذقوم فقالوا يجوز أن تهب مصيراً لعموم قوله تعالى « الا أن يعفون » واختلفوا من هذا الباب في المرأة اذا وهبت صداقها لزوجها ثم طلقت قبل الدخول ، فقال مالك ليس يرجع عليها بشيء ، وقال الشافعي يرجع عليها بنصف الصداق ، وسبب الخلاف على النصف الواجب للزوج بالطلاق هو في عين الصداق أو في ذمة المرأة . فمن قال في عين الصداق قال لايرجع عليها بشيء لأنه قد قبض الصداق كله . ومن قال هو في ذمة المرأة قال يرجع وان وهبته له كما لو وهبته غير ذلك من مالها ، وفرق أبو حنيفة في هذه المسئلة بين القبض ولا قبض . فقال ان قبضت فله النصف وان لم تقبض حتى وهبت فليس له شيء كأنه رأى أن الحق في العين مالم تقبض فاذا قبضت صار في الذمة

(الموضع الرابع في التفويض)

واجمعوا على أن نكاح التفويض جائز وهو أن يعقد النكاح دون صداق قوله تعالى « لاجناح عليكم ان طلقتم النساء مالم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة » واختلفوا من ذلك في موضعين احدهما اذ طلبت الزوجة فرض الصداق واختلفا في القدر . الموضع الثاني اذا مات الزوج ولم يفرض على لها صداق أم لا ؟

(فأما المسئلة الاولى)

وهي اذا قامت المرأة تطلب ان يفرض لها مهراً ، فذلك طائفة يفرض لها مهر مثلها وليس الزوج في ذلك خيار فان طلق بعد الحكم فمن هؤلاء من قال لها

نصف الصداق ، ومنهم من قال ليس لها شيء لان أصل الفرض لم يكن في عقد النكاح وهو قول ابي حنيفة واصحابه وقال مالك واصحابه الزوج بين خيارات ثلاثة اما أن يطلق ولا يفرض ، واما أن يفرض ما تطالبه المرأة به ، واما أن يفرض صداق المثل ويلزمها ، وسبب اختلافهم اعني بين من يوجب مهر المثل من غير خيار للزوج اذا طلق بعد طلبها الفرض ومن لا يوجب اختلافهم في مفهوم قوله تعالى « لاجناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة » هل هذا محمول على العموم في سقوط الصداق سواء كان سبب الطلاق اختلافهم في فرض الصداق أو لم يكن الطلاق سببه اختلاف في ذلك وايضاً فهل يفهم من رفع الجناح عن ذلك سقوط المهر في كل حال أو لا يفهم ذلك فيه احتمال وان كان الأظهر سقوطه في كل حال لقوله تعالى « ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره » ولا خلاف أعلمه في انه اذا طلق ابتداء انه ليس عليه شيء وقد كان يجب على من أوجب لها المتعة مع شطر الصداق اذا طلق قبل الدخول في نكاح غير التفويض وأوجب لها مهر المثل في نكاح التفويض أن يوجب لها مع المتعة فيه شطر مهر المثل لان الآية لم تتعرض بمفهومها لاسقاط الصداق في نكاح التفويض وانما تعرضت لاباحة الطلاق قبل الفرض فان كان يوجب نكاح التفويض مهر المثل اذا طلب فواجب أن ينشطر اذا وقع الطلاق كما ينشطر في المسمى ولهذا قال مالك انه ليس يلزم فيه مهر المثل مع خيار الزوج

(واما المسئلة الثانية)

وهي اذا مات الزوج قبل تسمية الصداق وقبل الدخول بها فان مالكا وأصحابه والاوزاعي قالوا ليس لها صداق ولها المتعة والميراث . وقال أبو حنيفة لها صداق المثل والميراث ، وبه قال أحمد وداود ، وعن الشافعي القولان جميعا الا ان المنصوص عند أصحابه هو مثل قول مالك وسبب اختلافهم معارضة القياس الاثر ، أما الاثر فهو ماروى عن ابن مسعود انه سئل عن هذه المسئلة فقال أقول فيها برأيي فان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمني ، أرى لها صداق امرأة من نسائها لا وكس ولا شطط وعليها العدة ولها الميراث . فقام معقل بن يسار الاشجعي فقال أشهد لقضيت فيها بقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في بروع بنت واشق . خرجه ابو داود والنسائي والترمذي وصححه . واما القياس المعارض لهذا فهو ان الصداق عوض فلما لم يقبض المعوض لم يجب العوض قياسا على البيع وقال المزني عن الشافعي في هذه المسئلة ان ثبت حديث بروع فلا حجة في قول احد مع السنة والذي قاله هو الصواب والله اعلم

(الموضع الخامس)

(في الأصدقة الفاسدة)

والصداق يفسد اما لعينه واما لصفة فيه من جهل او غرر . فالذي يفسد لعينه مثل الخمر والخنزير وما لا يجوز ان يتملك . والذي يفسد من قبل الغرر والجهل فالاصل فيه تشبيهه بالبيوع وفي ذلك خمس مسائل مشهورة

(المسئلة الاولى)

اذا كان الصداق خمراً او خنزيراً او ثمرة لم يبد صلاحها او بعيراً شارداً . فقال ابو حنيفة العقد صحيح اذا وقع وفيه مهر المثل . وعن مالك في ذلك روايتان احداهما فساد العقد وامضاؤه قبل الدخول وبعده ، وهو قول ابو عبيدة . والثانية انه ان دخل ثبت ولها صداق المثل وسبب اختلافهم هل حكم النكاح في ذلك حكم البيع ام ليس كذلك؟ فمن قال حكمه حكم البيع قال يفسد النكاح بفساد الصداق كما يفسد البيع بفساد الثمن ومن قال ليس من شرط صحة عقد النكاح صحة الصداق بدليل ان ذكر الصداق ليس شرطا في صحة العقد قال يمضي النكاح ويصح بصداق المثل والفرق بين الدخول وعدمه ضعيف والذي تقتضيه اصول مالك ان يفرق بين الصداق المحرم العين وبين المحرم لصفة فيه قياسا على البيع ولست اذكر الآن فيه نصا

(المسئلة الثانية)

واختلفوا اذا اقترن بالمهر بيع مثل ان تدفع اليه عبداً ويدفع الف درهم عن الصداق وعن ثمن العبد ولا يسمي الثمن من الصداق . فمنعه مالك وابن القاسم وبه قال ابو ثور وأجازه أشهب . وهو قول ابي حنيفة . وفرق عبد الله فقال ان كان الباقي بعد البيع درهم دينار فصاعداً بأمر

لاشك فيه جاز . واختلف فيه قول الشافعي فرة قال ذلك جائز ومرة قال فيه مهر المثل . وسبب اختلافهم هل النكاح في ذلك شبيه بالبيع ام ليس بشبيه فمن شبهه في ذلك بالبيع منعه ومن جوز في النكاح من المجهل مالايجوز في البيع قال يجوز

(المسئلة الثانية)

واختلف العلماء فيمن نكح امرأة واشترط عليه في صداقها حباء يحابي به الاب ، على ثلاثة أقوال : فقال ابوحنيفة واصحابه الشرط لازم والصداق صحيح وقال الشافعي المهر فاسد ولها صداق المثل . وقال مالك اذا كان الشرط عند النكاح فهو لابنته ، وان كان بعد النكاح فهو له . وسبب اختلافهم تشبيه النكاح في ذلك بالبيع فمن شبهه في ذلك بالبيع منعه ومن شبهه بالوكيل يبيع السلعة ويشترط لنفسه حباء قال لايجوز النكاح كما لايجوز البيع . ومن جعل النكاح في ذلك مخالفاً للبيع قال يجوز ولما تفريق مالك فلأنه انهنه اذا كان الشرط في عقد النكاح ان يكون ذلك الذي اشترطه لنفسه نقصاً من صداق مثلها ولم يتهمه اذا كان بعد انعقاد النكاح والاتفاق على الصداق . وقول مالك هو قول عمر بن عبد العزيز والثوري وابي عبيد . وخرج النسائي وابو داود وعبد الرزاق عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما امرأة نكحت على حباء قبل عصمة النكاح فهو لها ، وما كان بعد عصمة النكاح فهو لمن اعطيه واحق ماأكرم الرجل عليه ابنته واخته ، وحديث عمرو بن شعيب مختلف فيه من قبل انه صحفه ولكنه نص في قول مالك وقال ابو عمر بن عبد البر اذا رده النفاة وجب العمل به

(المسئلة الرابعة)

واختلفوا في الصداق يستحق او يوجد به عيب فقال الجمهور النكاح ثابت واختلفوا هل ترجع بالقيمة او بالمثل او بمهر المثل . واختلف في ذلك قول الشافعي : فقال مرة بالقيمة وقال مرة بمهر المثل . وكذلك اختلف المذهب في ذلك فقيل ترجع بالقيمة وقيل ترجع بالمثل قال ابو الحسن اللخمي ولو قيل ترجع بالأقل من القيمة او صداق المثل لكان ذلك وجها . وشذ محنون فقال النكاح

فاسد ومبنى الخلاف هل يشبه النكاح في ذلك البيع أولا يشبهه فمن شبهه قال ينفسخ ومن لا يشبهه قال لا ينفسخ

(المسئلة الخامسة)

واختلفوا في الرجل ينكح المرأة على أن الصداق ألف ان لم يكن له زوجة وان كانت له زوجة فالصداق ألفان . فقال الجمهور بجوازه واختلفوا في الواجب في ذلك . فقال قوم الشرط جائز ولها من الصداق بحسب مااشترط . وقالت طائفة لها مهر المثل وهو قول الشافعي وبه قال أبو ثور الا انه قال ان طلقها قبل الدخول لم يكن لها الا المتعة . وقال أبو حنيفة ان كانت له امرأة فلها ألف درهم وان لم تكن له امرأة فلها مثلها مالم يكن اكثر من الألفين أو أقل من الالف . ويتخرج في هذا قول ان النكاح مفسوخ لمكان الغرر . ولست أذكر الآن نصاً فيها في المذهب . فهذه مشهور مسائلهم في هذا الباب وفروعه كثيرة . واختلفوا فيما يعتبر به مهر المثل اذا قضى به في هذه المواضع وما أشبهها فقال مالك يعتبر في جمالها ونصابها وحالها . وقال الشافعي يعتبر بنساء عصبتها فقط . وقال أبو حنيفة يعتبر في ذلك نساء قرابتها من العصبة وغيرهم ومبنى الخلاف هل المالية في المنصب فقط أو في المنصب والمال والجمال لقوله عليه الصلاة والسلام تنكح المرأة لدينها وجمالها وحسبها الحديث

﴿ الموضع السادس ﴾

(في اختلاف الزوجين في الصداق)

واختلافهم لايخلو أن يكون في القبض أو في القدر أو في الجنس أو في الوقت أعني وقت الوجوب . فأما اذا اختلفا في القدر فقالت المرأة مثلا بمائتين وقال الزوج بمائة فان الفقهاء اختلفوا في ذلك اختلافا كثيرا فقال مالك انه ان كان الاختلاف قبل الدخول وأتى الزوج بما يشبه والمرأة بما يشبه أنهما يتحالفان ويتفاسخان وان حلف أحدهما ونكل الآخر كان القول قول الحالف وان نكلا جميعاً كان بمنزلة مااذا حلفا جميعاً ومن أتى بما يشبه منهما كان القول قوله وان كان الاختلاف بعد الدخول فالقول قول الزوج وقالت طائفة القول قول الزوج مع يمينه . وبه قال أبو ثور وابي ليلى وابن شبرمة وجماعة . وقالت طائفة القول قول الزوجة الى مهر مثلها وقول

الزوجة فيما زاد على مهر مثلها . وقالت طائفة اذا اختلفا تحالفا . ورجع الى مهر المثل ولم ير الفسخ كمالك وهو مذهب الشافعي والثوري وجماعة . وقد قيل انها ترد الى صداق المثل دون يمين ما لم يكن صداق المثل أكثر مما ادعت وأقل مما ادعي هو، واختلافهم مبني على اختلافهم في مفهوم قوله عليه الصلاة والسلام البينة على من ادعي واليمين على من أنكر . هل ذلك معلل أو غير معلل ؟ فمن قال معلل قال يحلف أبداً أقواهما شبهة فان استويا تحالفا وتفاسخا ، ومن قال غير معلل قال يحلف الزوج لانها تقر له بالنكاح وجنس الصداق وتدعي عليه قدراً زائداً فهو مدعي عليه ، وقيل أيضا يتحالفان أبداً لان كل واحد منهما مدعى عليه وذلك عند من لم يراع الاشباه . والخلاف في ذلك في المذهب . ومن قال القول قولها الى مهر المثل والقول قوله فيما زاد على مهر المثل رأى أنهما لا يستويان أبداً في الدعوى بل يكون أحدهما ولا بد أقوى شبهة . وذلك انه لا يخلو دعواها من أن يكون فيما يعادل صداق مثلها فما دونه فيكون القول قولها أو يكون فيما فوق ذلك فيكون القول قوله . وسبب اختلاف مالك والشافعي في التفاسخ بعد التحالف والرجوع الى صداق المثل هو . هل يشبه النكاح بالبيع في ذلك أم ليس يشبه ؟ فمن قال يشبه به قال بالتفاسخ . ومن لا يشبهه لان الصداق ليس من صحة العقد قال بصداق المثل بعد التحالف وكذلك من زعم من أصحاب مالك أنه لا يجوز لها بعد التحالف أن يتراضيا على شيء ولا أن يرجع أحدهما الى قول الآخر ويرضى به فهو في غاية الضعف . ومن ذهب الى هذا فانما يشبه بالنكاح وهو تشبيه ضعيف مع أن وجود هذا الحكم للمان مختلف فيه : وأما اذا اختلفا في القبض فقالت الزوجة لم أقبض وقال الزوج قد قبضت . فقال الجمهور القول قول المرأة الشافعي والثوري وأحمد وابو ثور . وقال مالك القول قولها قبل الدخول والقول قوله بعد الدخول وقال بعض أصحابه انما قال ذلك مالك لان العرف بالمدينة كان عندهم أن لا يمكن الزوج حتى يدفع الصداق . فان كان بلد ليس فيه هذا العرف كان القول قولها أبداً والقول بأن القول قولها أبداً أحسن لانها

مدعي عليها ، ولكن مالك راعي قوة الشبهة حتى اذا دخل بها الزوج واختلف اصحاب مالك اذا طال الدخول هل يكون القول قوله بيمين او بغير يمين احسن ، واما اذا اختلفا في جنس الصداق فقال هو مثلا تزوجتك على هذا العبد وقالت هي تزوجتك على هذا الثوب . فالمشهور في المذهب أنهما يتحالفان ويتفاسخان ان كان الاختلاف قبل البناء وان كان بعد البناء ثبت وكان لها صداق المثل مالم يكن اكثر مما ادعت او أقل مما اعترف به . وقال ابن القصار يتحالفان قبل الدخول والقول قول الزوج بعد الدخول . وقال اصبغ القول قول الزوج ان كان يشبه سواء كان أشبه قولها او لم يشبه فان لم يشبه قول الزوج فان كان قولها مشبه كان القول قولها وان لم يكن قولها مشبها تحالفا وكان لها صداق المثل ، وهو الشافعي في هذه المسئلة مثل قوله عند اختلافهم في القدر أعني يتحالفان ويتراجعان الى مهر المثل وسبب قول الفقهاء بالتفاسخ في البيع ستعرف أصله في كتاب البيوع ان شاء الله . واما اختلافهم في الوقت فانه يتصور في الكالىء والذي يجيء من أصل قول مالك في المشهور عنه ان القول في الاصل قول الغارم قياسا على البيع وفيه خلاف ويتصور أيضا متى يجب هل قبل الدخول أو بعده فمن شبه النكاح بالبيع قال لا يجب الا بعد الدخول قياسا على البيع اذ لا يجب الثمن على المشتري الا بعد قبض السلعة . ومن رأى ان الصداق عبادة يشترط في الحلية قال يجب قبل الدخول ولذلك استحب مالك أن يقدم الزوج قبل الدخول شيء من الصداق

﴿الركن الثالث﴾

(في معرفة محل العقد)

وكل امرأة فانها تحلل في الشرع بوجهين اما بنكاح او بملك يمين . والموانع الشرعية بالجملة تنقسم أولا الى قسمين موانع مؤبدة وموانع غير مؤبدة والموانع المؤبدة تنقسم الى متفق عليها ومختلف فيها ، فالمتفق عليها ثلاث نسب وصهر ورضاع والمختلف فيها الزنا واللعان . والغير مؤبدة تنقسم الى تسعة احدهما مانع العدد ، والثاني مانع الجمع والثالث مانع الرق ، والرابع مانع الكفر ، والخامس مانع الاحرام ، والسادس مانع

المرض ، والسابع مانع العدة على اختلاف في عدم تأييده، والثامن مانع التطليق ثلاثا للمطلق ، والتاسع مانع الزوجية فالموانع الشرعية بالجملة أربعة عشر مانعا »

﴿ المَهرجان ﴾ معناها بالفارسية محبة الروح وهي عيد عندهم

﴿ مهكه ﴾ يمهكه مَهْكا سحقه فبالغ في سحقه

﴿ مهل ﴾ في عمله يمهل مَهْلا عمل برفق وسكينة . و (مهّله وأمهله) أنظره وأخره . و (تمهّل في عمله) اتأد . و (المَهْل) التؤدة . و (المُهْل) اسم يجمع معدنيات الجواهر كالفضة ونحوها . و (المُهْل) القطر والسم والقيح ودردى الزيت . و (المَهَل) التؤدة ومثلها المسهلة

﴿ مهما ﴾ اسم شرط جازم يجزم فعلين ، أولهما فعل الشرط والثاني جوابه وجزاؤه نحو (مهما تخف الحقد يظهر)

﴿ مهنه ﴾ يَمْهَنه مهنا خدمة . و (مهَن يمهُن مَهْنا) عمل في صنعته . و (مَهُن يَمْهُن مهانة) كان مهينا. و(ماهنه) مارسه. و (امتهنه فامتُهِن هو) أي استعمله للمَهنة فاستعمل لذلك

و (امتهنه) ابتذله واحتقره .

و (الماهن) المملوك والخادم جمعه مُهَانة ومَهَنة و (المِهْنة والمِهْنة) الحذق في العمل . و (المَهين) الحقير

﴿ المَهمة ﴾ المفازة جمعها مَهامه

﴿ المَهاة ﴾ البقرة الوحشية وهي أشبه بالمعز الاهلية تشبه بها المرأة في سمنها وجمالها وحسن عينيها

﴿ مهيار ﴾ هو أبو الحسين مهيار ابن مرزويه الكاتب الفارسي الديلمي الشاعر المشهور كان مجوسياً فأسلم على يد الشريف الرضي وهو شيخه وعليه تخرج في نظم الشعر . وكان شاعراً جزل القول مقدما على أهل وقته

من شعره قوله :

وقد قاله يرثي أبا الحسين أحمد بن عبد الله وكان من معادن الفتوة الغريبة ومظان الكرم العجيبه ، واتفق بينه وبينه مودة قبل موته بسنين قلائل وقد توفي أواسط شوال سنة (٤١٣)

نعم هذه يا دهر أم المصائب
فلا تُوعدني بعدها بالنوائب
هتكت بها ستر التجامل بيننا
ولم تلتفت فينا لبقيا المراقب

وما زلت ترمي صفحتي بين قاصد
ومنحرف حتى رميت بصائب
فرأيك في قودي فقد ذل مسحلي
وشأنك في غمزي فقد لان جانبي
سددت طريق الفضل من كل وجهة
وملت على العلياء من كل جانب
فلا سَنَنٌ الا محجة تائه
ولا أمل الا مطية خائب
أبعد ابن عبد الله أحظى براجم
من العيش أو آسى على إثر ذاهب
وأرسل طرفي رائداً في خميلة
من الناس أبغي نجعة لمطالبي
واقدح زنداً واريا من هوى أخ
واكشف عن ود خبيئة صاحب
وأدفع في صدر الليالي بمثله
فترجع عني داميات المناكب
ابي ذاك قلب عنه غير مغالط
برجم وحلم بعده غير عازب
وان خروق المجد ليست لراقع
سواه وصدع الجود ليس لشاعب
طوى الموت منه بردة في دروجها
بقية أيام الكرام الاطايب
محبرة سدى وألحم وشيها
صناع بحوك المكرمات الرغائب

كسا الله عطف الدهر حينا جمالها
فلما طغى قيضت لها يدُ سالب
لئن درست فيها الحظوظ فانها
لتبقى طويلا عرفها في المساحب
وجوهرة في الناس كانت يتيمة
وهل من أخ للبدر بين الكواكب
أألآن لما اشتد متني بوده
ورُدت ملاء من نداه حقائبي
فجعت به غضّ الهوى حاضر الجدى
جديد قميص الود سهل المجاذب
سددت فم الناعي بكفي تطيراً
ولويت وجهي عنه لي مغاضب
وقلت تبين ماتقول لعلها
تكون كتلك الطائرات الكواذب
فكم غاب من أخباره ثم أقشعت
سحابته عن صالح الحال ثائب
فلما بدا لي الشر في كر قوله
ربطت نوازي أضلعي بالرواجب
وملت الى ظل من الصبر قالص
قصير وظن بالتجمل كاذب
ونفس شعاع قد أخلّ وقارها
بعادته في النازلات الصعائب
أسائل عنه المجد وهو معطل
سؤال الأجب عن سنام وغارب

واستروح الاخبار وهي تسوءني
علائق منها في ذيول الجنائب
فيفصح لي من كان عنه مجمجما
ويصدقني من كان فيه مواربي
فقيد بميسان استوت في انتقاده
مشارق آفاق العلى بالمغارب
تنافث عن جمر الغضا نادباته
كأن فؤادي في حلوق النوادب
بكت ادمعا بيضا ودمت جباهها
فنحسبها تبكي دما بالحواجب
هوت هضبة المجد التليد وعطلت
رسوم الندى وانقض نجم الكواكب
وردت ركاب المخمسين بظلمتها
تكد الدلاء في ركايا نواضب
فلم يذرع السفار بعدك نفنفا
عريضا على أيدي المطي اللواغب
برغمي أن هب النيام وانني
دعوتك وجه الصبح غير مجاوبي
وان لا ترى مستعرضا حاج رفقة
ولا سائلا من ابن مقدم راكب
سرى الموت من أوطانه في مآلفي
ونقب من اخلاقه عن حبائبي
عجبت لهذي الارض كيف تلمنا
وتصدعنا والارض ام العجائب

نطارد عن أرواحنا برماحنا
ونطرب في ايامنا للحرائب
وتسحرنا الدنيا بشيمة طاعم
هي السقم المردي ونهلة شارب
أحدث نفسي خاليا بخلودها
فأين ابي الادنى وابن اقاربي
وما كنت الا واحداً من عشيرة
ولا باقيا في الناس الا ابن ذاهب
فهل انا اجبى من مقاول حمير
وامنع ظهراً من مشيد مأرب
وهل أخذت عهد السموءل لي يد
من الموت أو عندي حنية حاجب
ولا علم لي من أي شقي مصرعي
وفي ايما ارض يخط لجانبي
اذا كان سهم الموت لا بد واقعا
فياليتني المرمي من قبل صاحبي
وياليت مقبوراً بكوفان شاهد
جواي وان كانت شهادة غائب
وليت طريف الود بيني وبينه
وان طاب يوم لم يكن من مكاسبي
سلام على الارواح بعدك انها
وان عشت ليست اربة من مآربي
اذا دنس الحزن السلو غسلته
فعاد جديداً بالدموع السواكب

وان احدثت عندي بعد الدهر نعمة
ذكرتك فيها فاعتدت من مصائبي
سقتك بمعتاد الدعاء مرشة
اقاريق لم تخدج بلمعة خالب
يلوث خطاف البرق في جنباتها
بهام الهضاب السود حمر العصائب
اذا عممت جلحاء ارض بوبلها
غدت روضة وفراء ذات ذوائب
وان كان بحراً في ضريحك غانياً
بجماته عن قاطرات السحائب

وقال يرثي الشريف الرضي ذا الحسبين ابا الحسن محمد بن الحسين الموسوي وتوفي في السادس من المحرم سنة ٤٠٦ وكان رثاه بقصيدة ميمية فشقت على جماعة ممن كان يحسده في حياته كيف يرثي بمثلها بعد وفاته وتكلموا في ذلك فقال يلوح بذكرهم :

أقريش لا لفم اراك ولا يد
فتواكلي عاض الندى وخلا الندى
خلاك ذو الحسبين انقاضاً متى
تجذب على حبل المذلة تنقد
فاذا تشادقت الخصوم فلجلجي
وان تصادمت الكماة فعردي

يا ناشد الحسنات طوف فاليا
عنها وعاد كأنه لم ينشد
اهبط الى مصر فسل حمراءها
من صاح بالبطحاء يا نار أخمدي
بكر النعي فقال اردى خيرها
ان كان يصدق فالرضى هو الردى
عادت اراكة هاشم من بعده
خوراً لفأس الحاطب المتوقد
فجعت بمعجز آية مشهودة
ولرب آيات لها لم تشهد
كانت اذا هي في الامامة نوزعت
ثم ادعت بك حقها لم تجحد
رضي الموافق والمخالف رغبة
بك واقتدى الغاوي برأي المرشد
ما أحرزت قصباتها وتراهنت
الا ظهرت بفضلة من سؤدد
تبعتك عاقدة عليك أمورها
وعرى تميمك بعد لما تعقد
ورآك طفلا شيبها وكهولها
فتزحزحوا لك عن مكان السيد
أنفقت عمرك ضائعا في حفظها
وعققت عيشك في صلاح المفسد
كالنار للسارى الهداية والقرى
من ضوئها ودخانها للموقد

من راكب يسم الهموم فؤاده
وتناط منه بقارح متمود
يطوى المياه على الظما وكأنه
منها يضل وانه لمهتدى
صلب الحصاة يثور غير مودع
عن أهله ويسير غير مزود
قرّب قربت من التلاع فأنها
لم المناسك مثلها لم يقصد
دأبا به حتى تروح بيثرب
فتنيخه تقصاً بباب المسجد
واحث التراب على شحوبك حاسراً
وانزل فمز عمداً بمحمد
وقل انطوى حتى كأنك لم تلد
منه الهدى وكأنه لم يولد
بكت السماء له وودت انها
فقدت غزالتها ولما يفقد
وبكاك يومك اذ جرت أخباره
برحا وصمى بالعبوس الانكد
صبغت وقارك فيه ابيض فجره
بالعبون من الصباح الاسود
وان غمرت من الزمان بلين
من هجم منك او مضضت بأدرد
فالسيف يأخذ حكمه من مغمد
وطلي ويأخذ منه من المبرد
لو كان يعقل لم تنلك له يد
لكن اصابك منه بجنون اليد
يامنكلا أم الفضائل مورثا
يتما بنات القاطنات الشرد
خلفتهن بما رضينك ناظما
مابين كل مرجز ومقصد
اشكو انفراد الواحد السارى بلا
انس وان أحرزت سبق الاوحد
واذا حفظتك باكيا وموبنا
عابوا عليك تهجمي والمذهب
كانوا الصديق وردتهم لي حسدا
صلى الاله على مكثر حسدى
يفتر فيك الشامتون وانه
يوم هم رهن عليه الى غد
لاغيرتك جنائب تحت البلى
وكساك طيب البيت طيب الملحد
وقربت لا تبعد وان علالة
النفس زوراً قولتى لا تبعد

﴿ مَهْيَم ﴾ كلمة استفهام بلغة أهل اليمن أى ماحالك أى ماورادك وهو اسم فعل معناه اخبرني

﴿ ماه ﴾ الفط يَمُوه مَوها صاح

﴿ المُوبَذان ﴾ كاهن الفرس وحاكم المجوس

﴿ موت ﴾ مات يموت ومَمات موتا ضد حيي و (موته) جعله يموت ومثله (أماته) . و (تَماوت) ادعى الموت و (اسْتات الرجل) طلب الموت . وذهب في طلب الشيء كل مذهب . و (الموات) مالا روح فيه والارض الخالية . و(المُوتان) موت يقع في الماشية . و (المَوتان) الموت وخلاف الحيوان. يقال (فلان يبيع المَوتان) أى الامتعة التى لا روح فيها . و (المَيْتة) الحيوان الذى يموت حتف أنفه. و(المِيتة) الحال والهيئة. يقال (مات مِيتة الصالحين) و (المَيْت) الميّت . و (الميات) الموت

﴿ الموت ﴾ هو نهاية كل حي في هذا الوجود مظاهره خمود الشعور وتلاشي الادراك ودخول الجسد الحيواني في حالة تحلل واستحالته الى الاصول التى تكون منها . لايخلو حي مهما سفل في درجة الحيوانية من الشعور بثقل الموت وشناعته فتراه يهرب منه جهده ، ويدافعه بكل ما أوتيه من الوسائل ولكنه يضطر للخضوع له في النهاية لازعوا له تحناط به من كل مكان فتعجزه عن المقاومة فيستسلم له مكرهاً ويموت كما شاء له القدر

لم يطرح مسألة الموت والحياة على بساط البحث من أنواع الحيوان غير الانسان لاتساع دائرة فكره وعجز تلك الكائنات عن متابعة النظر والتأمل في الامور المعقولة. فمنى بهذه المسألة من زمان بعيد أى الزمان الذى أقام فيه الدين ، ولكنه حل هذه المسئلة على ضروب شتى على حسب مدركاته في كل جيل وذهب في ذلك كل مذهب حتى جاءت الاديان الكبرى البرهمية والبوذية واليهودية والمسيحية والاسلامية فجعلت هذه المسئلة من امهات مسائلها واسست عليها كثيرا من حقوقها وليس هنا موضع لتفصيل مرامي كل منها وانما نقول انها كلها أجمعت (في شكلها الحاضر) على ان الموت ليس بشيء غير انتقال الروح من غلافها الطيني الى عالم وراء هذا العالم كانت فيه قبل دخولها في الجسد ، وانها هنالك تثاب أو تعاقب على حسب أعمالها في هذا العالم الذى دفعت اليه لتبتلي فيه

قلنا كل هذه الاديان (في شكلها الحاضر) بهذا القيد لان البوذية في شكلها الاول على بعض الاقوال كانت لا تقول بالحياة بعد الموت بل كانت تعد الموت هو الخلاص للانسان

من شقاء هذا العالم لا لما يكون وراءه من الحياة الابدية في عالم أرقي من هذا العالم بل لانه باب الفناء الابدي الذي لا شعور بعده

والديانة اليهودية في عهدها الاول لم تعن بخلود الروح ولم تذكره بحرف ، وما نشأ فيها ذلك الا بعد دخولها في دور جديد في الاجيال التالية

وكانت الفلسفة العقلية تشايع هذه الاديان وتوافقها على اعتبار الموت حالة انتقاليه من عالم الي عالم ، فكان فيثاغورس وافلاطون وارسطو من أقطاب هذه الفلسفة . ولكن نشأ بجانبهم مفكرون آخرون كانوا يذهبون غير هذا المذهب ويعتبرون الموت نهاية الحياة منكرين كل وجود وراء هذا الوجود المحسوس فكان الصراع شديداً بين هذين المذهبين حتى جاءت الفلسفة الحسية في أوروبا منذ القرن السادس عشر فنصرت ملحدة الفلسفة اليونانية وأخذت في مناقضة الديانات ومكافحتها وكاد يتم لها الغلب في النصف الاول من القرن التاسع عشر لولا ان الخالق الذي خلق الموت والحياة وقدر لكل منهما دائرة من الوجود لم يُرد أن يضل الناس ضلالا نهائيا ففتح للمستبصرين بابا الي عالم الروح ظهرت بمظهر التنويم المغناطيسي والمباحث الروحية التجريبية المسماة بالاسبرتزم فكانت سداً منيعاً دون غلبة المذهب المادي فوقف حيث وصل اليه ، ثم اضطر للنكوص على عقبه أمام المشاهدات المحسوسة التي كانت تتالي تتالي الغيث الدافق بواسطة علماء من أولي العزم أمثال الاساتذة الاعلين وليم كروكس الكيماوي وروسل ولاس الفزيولوجي واولفرلودج الطبيعي وباركس الجيولوجي وفارلي الكهربائي وغيرهم من الانجليز ، والدكتوران اوليفييه وجيبييه والاستاذان شارل ريشيه وكاميل فلامريون وغيرهم من الفرنسيين ، والعلماء الكبار زولنر وفيشنر وويبر والتريسي وغيرهم من الالمان ، والجهابذة مايس وهار وهزلوب وادمون واليوت وسواهم من الامريكان وغيرهم ممن لا يحصون كثرة فأثبتوا ان الموت ليس هو الا حالة انتقال من حياة أرضية ضيقة مشوبة بالاكدار ، الى حياة علوية راقية حافلة بأنواع الجمال ، وكتبوا في ذلك كتبا ومباحث نقلنا بعضها هنا في كلمة

روح وسننشر غيرها في كلمة نوم مغناطيسي ونشرنا مقدارا كبيرا منها في مجلة الحياة وسنوالي نشر هذه المباحث كلما سنحت الفرصة لانها اكبر معول يستخدمه حماة الحياة لهدم تعاليم الالحاد واخراس الملحدين الذين قنعوا من الجهاد العلمي بان يكونوا رسل الفناء ، ونُذُر التلاشي والثبور ، وما دروا أن مذهبهم هذا لو صح لكان أحسن ما يفعله الغيور المحب لخيره وخير ذويه أن يلقي بنفسه من حالق تخلصا من هذه الحياة المشوبة بالاكدار ، او يقذف نفسه بين احضان البهيمة منغمسا في حمأة الشهوات والملاذ البدنية حتى ينتهي وجوده على ما لا يتفق ومصلحته ومصلحة العائشين معه في صعيد واحد . ولكن الله جلت قدرته لم يترك لهؤلاء النذر المشؤمين مجالا يجولون فيه بعد ظهور هذا النور العلوي فقبعوا حيث هم يتحينون الفرص لنفث سمومهم في الاذهان ، وهيهات «جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا» سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ، اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد»

(الخوف من الموت) يتخذ القائلون بخلود الروح اعتماداً على الادلة العقلية الخوف من الموت وحب الخلود من الادلة على بقاء الروح بعد الموت قائلين ان الخالق جلت قدرته لم يكن ليوجد هذا الحب للخلود عبثاً ، فلو لم يكن الخلود مقدرا للروح لما شعرت به ، ولو شعرت به لما مالت اليه ، فميلها اليه هذا الميل الشديد وذعرها من الفناء الذعر العظيم من الادلة القاطعة على أنه مقدر لها لا محالة والا فان هذا الشعور منها يكون جزافا والجزاف لا يصح أن يوجد في صنع الله ولا في صنع النواميس الحكيمة التي تقود هذا الوجود

هذه بعض حجج الفلاسفة العقليين ولكن الفلاسفة الماديين كانوا يردون عليهم بأن الخلود هوى من اهواء النفس لا يرتكز على حقيقة وان الذعر من الموت لا يكون الا في الادوار التي لا يحسن الموت فيها من عمر الانسان ولكنه متى بلغ العمر غايته وجد الانسان في نفسه نزوعا الي الراحة الابدية فضعف حبه للحياة وتمنى الموت كما يتمنى المتعب النوم وفقد الاحساس الي حين . ولكن

أعناق كبار المفكرين وأقطاب العلماء الذين بلغوا الشيخوخة ينقض هذا الزعم فقد أجمعوا على أنهم يخافون الموت ويحبون الخلود ولا يرغبون في تلك الحالة التي يذهب فيها الشعور ويتلاشى معها الادراك

من هذه الاعترافات ما كتبه الفيلسوف الفرنسي الكبير شارل بنوفييه قبل موته بأيام وقد بلغ من العمر ٨٨ سنة قال :

«اني لا اجهل حالتي اليوم وأعلم اني ميت بعد اسبوع أو اسبوعين وفي نفسي أشياء احب أن أقولها تمس موضوع فلسفتنا . ولا يحق لانسان وهو في مثل سني ان يفكر في شيء لان الايام بل الساعات التي بقيت له أصبحت معدودة فيجب علينا الاذعان لما هو واقع .

« اني اموت ولكن ليس بدون أسف ، وآسف خصوصا لاني لا أعرف ما ستؤول اليه اصولي . سأزول قبل أن أقول كلمتي الاخيرة ، وكل انسان يموت قبل أن يكمل عمله وهذا منتهى درجات الشقاء في هذه الحياة

«عند ما يكون الانسان شيخا كبيراً وقد اعتاد الحياة يصعب عليه كثيراً أن يموت ، وأرى ان الشبان اكثر خضوعا للموت من الشيوخ . فانه عند ما يجوز الانسان الثمانين يصبح جبانا و يكره ان يموت ومتى تحقق دنو أجله تحزن نفسه وتتململ . وقد درست هذه المسئلة من كل وجوهها وراجعت في ذهني مراراً على بدنوا أجلي ومع ذلك لم اتمكن من أن اقنع نفسي بأني ميت عما قليل . ليس الذي يهلع في من الموت هو الفيلسوف لان الفيلسوف يصح ان يهاب الموت ، بل الرجل القديم هو الذي يهابه . فهذا الرجل لا شجاعة فيه ليذعن ، مع انه يجب أن يذعن لما مناص له منه » انتهى

قال الاستاذ متشنيكوف خليفة العلامة استور البكتريولوجي المشهور والبحاث في الهرم وأصحابه : «عرف امرأة عمرها مئة سنة وسنتان وكانت تخاف كثيراً من الموت حتى اضطر أقاربها أن يكتموا عنها موت أي كان من معارفها واما مدام ره بينو فلم تكن تتأثر من ذكر الموت القريب وهي بين ١٠٤ و١٠٥ سنين من عمرها وكانت تظهر غالبا ميلا اليه لانها كانت تحس أنها لا تنفع منها في هذا العالم »

تقول لعل عدم اكتراث مدام رو بينو بالموت كان ناشئاً من عقيدتها بالخلود ولم يذكر الاستاذ متشنيكوف اذا كانت متدينة أم ملحدة

الخلاصة ان الخوف من الموت عام لان الموت اذا فهم بمعنى الفناء قبيح منكر وكل قبيح منكر مكروه ببداهة العقل . واذا وجد من الشيوخ من يملون الحياة ويتمنون الموت فما ذلك الا لشدة ما يقاسونه في هذا العالم من آلام الهرم . كما قال أبو الطيب المتنبي

واذا الشيخ قال أف فما مل
حياة وانما الضعف مللا
آلة العيش صحة وشباب
فاذا وليا عن المرء ولى

وقد جاءت المباحث النفسية اليوم مثبتة بالتجارب وجود الروح وخلودها وقيام الارواح بأجسادها اللطيفة في عالم وراء هذا العالم بعد أن تتجرد من هذا الغلاف الطيني الثقيل

وقد وقفنا على رسالة كتبها العلامة الفيلسوف ابن مسكويه في علاج الخوف من الموت نذكرها هنا بنصها لفائدتها ، قال رحمه الله تعالى :

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

والحمد لله رب العالمين حمد الشاكرين وصلواته على محمد وآله الطاهرين

« لما كان أعظم ما يلحق الانسان من الخوف هو الخوف من الموت وكان هذا الخوف عاما وهو مع عمومه أشد وأبلغ من جميع المخاوف وجب أن أقول : ان الخوف من الموت ليس يعرض الالمن لا يدري ما الموت على الحقيقة أولا يعلم الى أين تصير نفسه أو لانه يظن اذا انحل و بطل تركيبه فقد انحل ذاته وبطلت نفسه بطلان عدم ودثور وان العالم سيبقى بعده كان هو موجوداً أو ليس هو موجوداً كما يظنه من جهل بقاء النفس وكيفية معادها ، أو لانه يظن ان الموت ألما عظيما غير ألم الامراض التي يعانقدمته وأدت اليه وكانت سبب حلوله ، او لانه يعتقد أن عقوبة تحل به بعد الموت ، أو لانه متحير لا يدري الى أي شيء يقدم بعد الموت ، او لانه يأسف على ما يخلفه من المال والقنيات وهذه كلها ظنون باطلة لا حقيقة لها

« أما من جهل الموت ولم يدر ما هو فأنا أبين له ان الموت ليس بشيء أكثر

من ترك النفس استعمال آلاتها وهي الاعضاء التي مجموعها يسمي بدنا كما يترك الصانع مثلا استعمال آلاته. فان النفس جوهر غير جسماني وليست عرضا وانها غير فاسدة وهذا البيان يحتاج الي علوم تتقدمه وذلك مبين مشروح في موضعه. فاذا فارق الجوهر البدن بقي البقاء الذي يخصه وبقي من كمل الطبيعة وسعد السعادة التامة، ولا سبيل الي فنائه وعدمه. فان الجوهر لا يفنى من حيث هو جوهر ولا تبطل ذاته، وانما تبطل الاعراض والخواص والنسب والاضافات التي بينه وبين الاجسام باضدادها. فأما الجوهر فلا ضده وكل شيء يفسد فانما يفسد من ضده. وأنت ان تأملت الجوهر الجسماني الذي هو أخص من ذلك الجوهر الكريم واستقرأت حاله وجدته غير فان ولا يتلاشي من حيث هو جوهر وانما يستحيل بعضه الى بعض فيبطل خواص شيء شيء منه وأعراضه. فأما الجوهر نفسه فهو باق ولا سبيل الى عدمه وبطلانه. أما الجوهر الروحاني الذي لا يقبل استحالة ولا تغييراً في ذاته وانما يقبل كمالاته وتمام صورته فكيف يتوهم فيه العدم والتلاشي؟

« أما من يخاف الموت لانه لا يعلم الي اين تصير نفسه، أو لانه يظن بدنه اذا انحل وبطل تركيبه فقد انحل ذاته وبطلت نفسه وجهل بقاء النفس وكيفية السعادة فليس يخاف الموت علي الحقيقة وانما يجهل ما ينبغي ان يعلمه فالجهل اذن هو المخوف اذ هو سبب الخوف. وهذا الجهل هو الذي حمل الحكماء علي طلب العلم والتعب فيه وتركوا لاجله لذات الجسم وراحات البدن واختاروا عليه النصب والسهر ورأوا أن الراحة الحقيقية التي يستراح بها من الجهل هي الراحة بالحقيقة وأن التعب الحقيقي هو تعب الجهل لانه مرض مزمن للنفس والبرء منه خلاص لها وراحة سرمدية ولذة أبدية. فلما تيقن الحكماء ذلك واستبصروا به وعجموا علي حقيقته ووصلوا الي الروح والراحة، هانت عليهم أمور الدنيا كلها واستحقروا جميع ما يستعظمه الجمهور من المال والثروة الخسيسة والمطالب التي تؤدي اليها. اذ كانت قليلة الثبات والبقاء سريعة الزوال والفناء، كثيرة الهموم اذا وجدت، عظيمة

الغموم اذا فقدت، فاقتصروا فيها علي المقدار الضروري في الحياة وتسلوا من فضول العيش التي فيها ما ذكرت من العيوب وما لم اذكره ولانها مع ذلك بلا نهاية. وذلك ان الانسان اذا بلغ منها غاية تداعت الي غاية أخرى من غير وقوف علي حد ولا انتهاء الي أمد. وهذا هو الموت لا محالة منه والحرص عليه هو الحرص علي الزائل والشغل به هو الشغل بالباطل. ولذلك جزم الحكماء بأن الموت موتان موت ارادي وموت طبيعي وكذلك الحياة حياتان حياة ارادية وحياة طبيعية وعنوا بالموت الارادي اماتة الشهوات وترك التعرض لها، وعنوا بالحياة الارادية ما يسعي لها الانسان في الحياة الدنيا من المآكل والمشارب والشهوات، وبالحياة الطبيعية بقاء النفس السرمدي في البسيطة الابدية بما تستفيده من العلوم وتبرأ به من الجهل، ولذلك وصى افلاطون الحكيم طالب الحكمة بأن قال له: مُت بالارادة تحي بالطبيعة

« علي أن من خاف الموت الطبيعي من الانسان فقد خاف ما ينبغي ان يرجوه وذلك أن هذا الموت هو وحده الانسان لانه حي ناطق مائت فالموت تمامه وكماله وبه يصير الي افقه الاعلي. ومن علم أن كل شيء مركب من جنسه وفصله، وان جنس الانسان هو الحي وفصوله هو الناطق والمائت، علم انه مستحيل الى جنسه وفصوله لان كل مركب لا محالة يستحيل الي الشيء الذي منه تركب فمن أجهل ممن يخاف تمام ذاته، ومن أسوأ حالا ممن يظن أن فناءه بحياته ونقصانه بتمامه؟ وذلك ان الناقص اذا خاف أن يتم فقد حل من نفسه علي غاية الجهل. فاذن يجب علي العاقل أن يستوحش من النقصان ويأنس بالتمام ويطلب كل ما يتممه ويكمله ويشرفه ويعلي منزلته ويجعل رباطه من الوجه الذي يأمن به الوقوع في الاسر لا من الوجه الذي يشد وثاقه ويزيده تركيباً وتعقيداً ويثق بأن الجوهر الشريف الالهي اذا تخلص من الجوهر الكثيف الجسماني خلاص نقاء وصفولا خلاص مزاج وكدر فقد سعد وعاد الى ملكوته وقرب من باريه وفاز بجوار رب العالمين وخالطه بين الارواح الطيبة من أشكاله وأشباهه ونجا من اضداده وأغياره. من هاهنا

تعلم أن من فرقت نفسه به تهوي مشتاقة اليه مشفقة عليه خائفة من فراقه فهي في غاية الشقاء والالم من ذاتها وجوهرها سالكة الي ابعد جهاتها من مستقرها طالبة قرارها ولا قرار لها

« أما من يظن ان الموت ألما عظيما غير ألم الامراض التي ربما تقدمته وادت اليه فقد ظن ظنا كاذبا لان الالم انما يكون للحي والحي هو القابل اثر النفس وأما الجسم الذى ليس فيه اثر النفس فانه لا يألم ولا يحس فاذن الموت الذى هو مفارقة النفس البدن لا يألم له لان البدن انما كان يألم ويحس بالنفس وحصول اثرها فيه فاذا صار جسما لا اثر فيه للنفس فلا حس له ولا ألم فقد تبين أن الموت حال البدن غير محسوس ولا مؤلم فانه كان يحس ويألم به

« وأما من خاف الموت لاجل العقاب فليس يخاف الموت بل يخاف العقاب والعقاب انما يكون على شيء باق منه بعد الموت فهو لا محالة يعترف بذنوب وافعال سيئة يستحق عليها العقاب وهو مع ذلك معترف بحاكم عدل يعاقب على السيئات لا على الحسنات فهو اذن خائف من ذنوبه لا من الموت ومن خاف عقوبته على ذنب وجب عليه ان يحترز ذلك الذنب ويجتنبه والافعال الرديئة التي تسمي ذنوبا انما تصدر عن هيئات رديئة والافعال الرديئة هي الرذائل التي أحصيناها وذكرنا أضدادها من الفضائل فاذن الخائف من الموت على هذه الوجوه وهذه الجملة هو جاهل ما ينبغي أن يخاف منه وخائف مما لا أثر له ولا خوف منه وعلاج الجهل العلم ومن علم فقد تنق ومن تنق فقد عرف سبيل السعادة فهو يسلكها ومن سلك طريقا مستقيما الى غرض أفضى اليه لا محالة وهذه الثقة التي تكون بالعلم هي اليقين وهي حال المستيقن في دينه المستكمل بحكمته

« وأما من زعم أنه ليس يخاف الموت وانما يحزن على ما يخلفه من أهل وولد ومال ويأسف على ما يفوته من ملاذ الدنيا وشهواتها فينبغي أن يبين له أن الحزن لاجل ألم ومكروه على ما لا يجدى عليه الحزن طائلا وان الانسان من جملة الامور الكائنة وكل كائن فاسد لا محالة فمن أحب ان لا يفسد فقد أحب ان لا يكون ومن احب ان لا يكون فقد أحب

فساد ذاته وكأنه يجب أن يفسد وأن لا يفسد ويجب أن يكون وألا يكون وهذا محال

« وأيضا لو جاز أن يبقي الانسان لبقي من كان قبلنا ولو بقي الناس على ما هم عليه من التناسل ولم يموتوا لما وسعتهم الارض وأنت تتبين ذلك مما أقول : ترى لو أن رجلا واحداً ممن كان منذ أربعمائة سنة هو موجود الآن وليكن من مشاهير الناس حتى يمكن أن يحصي أولاده الموجودين كأمير المؤمنين علي رضي الله تعالي عنه . ثم ولده أولاد وأولاد اولاد وبقي كذلك يتناسلون ولا يموت منهم احد كم مقدار من يجتمع منهم في وقتنا هذا ؟ فانك تجد اكثر من عشرة آلاف الف رجل وذلك ان بقيتهم الآن مع ما أصابهم من الموت والقتل اكثر من مائة الف رجل . واحسب كل من في ذلك العصر كذلك فانهم اذا تضاعفوا هذا التضاعف لم تضبطهم كثرة . ثم امسح بسيط الارض فانه محدود معروف المساحة لتعلم ان الارض لا تسعهم قياما متراصين فكيف قعوداً أو متفرقين ولا يبقي موضع لعمارة تفضل عنهم ولا مكان لزراعة ولا مسير لاحد وذلك في مدة يسيرة من الزمان فكيف اذا امتد الزمان ؟

« فهذه حال من يتمنى الحياة الابدية ويكره الموت ويظن ان ذلك ممكن من الجهل . فاذن الحكمة البالغة والعدل المبسوط بالتدبير الالهي هو الصواب الذى لا معدل عنه وهو غاية الجود الذى ليس وراءه غاية . فالخائف من الموت هو الخائف من عدل الله وحكمته بل هو الخائف من جوده وعطائه فالموت اذن ليس برديء وانما الرديء هو الخوف منه فالخائف منه هو الجاهل به وبذاته وحقيقة الموت هي مفارقة النفس البدن . وهو ليس فساداً للنفس وانما هو فساد التركيب

« فأما جوهر النفس الذى هو ذات الانسان ولبه وخلاصته فهو باق وليس بجسم فيلزم فيه ما يلزم في الاجسام بل لا يلزم شيء من أعراض الاجسام أى لا يتزاحم في المكان لانه لا يحتاج الي مكان ولا يحرص على البقاء الزماني لاستغنائه عن الزمان وانما استفاد هذا الجوهر بالخواص والاجسام كالا . فاذا كمل بها ثم تخلص منها صار الي عالمه الشريف القريب الى بارئه ومنشئه من

وجل . والرجل الذى يتصدق عن أخيه الميت و يقتضي عنه الدين يعمد بذلك الميت وذلك ان النفس ان كانت واحدة كما زعم جماعة فالمتصدق نفسه وتلك الاخرى وسائرها شيء واحد وان كانت غير واحدة فلا يفصل المتصدق ذلك الفصل الا بمشاكلة تلك النفس وعلى هذا أيضا شبه بشيء واحد والسلام

« تمت الرسالة والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده وآله وصحبه وسلم »

﴿ الصلاة على الميت ﴾ هي فرض كفاية وعن أصبغ من أصحاب مالك انها سنة والصلاة على الميت في المسجد جائزة اتفاقا وهي غير مكروهة فيه عند الشافعي واحمد ، وقال أبو حنيفة ومالك بكراهتها

ومن شرط الصلاة على الميت الطهارة وقال محمد بن جرير الطبري تجوز بغير طهارة

وأجمع الائمة على ان الاستغفار والدعاء والصدقة والحج عن الميت تنفع الميت وقراءة القرآن عند القبر مستحبة وكرهها أبو حنيفة . والمشهور من مذهب الشافعي ان لا يصل الى الميت من ثواب القراءة

ونرى ان ننقل هنا كل ما كتبه الفيلسوف الكبير ابن رشد في كتابه بداية المجتهد ونهاية المقتصد في احكام الميت فقد جمع كل مايجب ان يعلم في هذا الباب بعبارات غاية في البيان قال رحمه الله :

﴿ كتاب احكام الميت ﴾

والكلام في هذا الكتاب وهي حقوق الاموات على الاحياء ينقسم الى ست جمل . الجملة الاولى فيما يستحب ان يفعل به عند الاحتضار و بعده . والثانية في غسله . والثالثة في تكفينه . والرابعة في حمله واتباعه . والخامسة في الصلاة عليه . والسادسة في دفنه

﴿الباب الاول﴾

ويستحب ان يلقن الميت عند الموت شهادة ان لا اله الا الله لقوله عليه الصلاة والسلام لقنوا موتاكم شهادة أن لا اله الا الله ، وقوله من كان آخر قوله لا اله الا الله دخل الجنة . واختلفوا في استحباب توجيهه الى القبلة فرأى ذلك قوم ولم يره آخرون . روى عن مالك انه قال في التوجيه ماهو من الامر القديم

وروى عن سعيد بن المسيب انه أنكر ذلك . ولم يرو ذلك عن أحد من الصحابة ولا من التابعين أعني الامر بالتوجيه. فاذا قضى الميت غمض عينه ويستحب تعجيل دفنه لورود الآثار بذلك الا الغريق فانه يستحب في المذهب تأخير دفنه مخافة أن يكون الماء قد غمره فلم تتبين حياته . قال القاضي واذا قيل هذا في الغريق فهو أولى في كثير من المرضى مثل الذين يصيبهم انطباق الصرع وغير ذلك مما هو معروف عند الاطباء حتى لقد قال الاطباء ان المسكوتين لا ينبغي أن يدفنوا الا بعد ثلاث

﴿الباب الثاني في غسل الميت﴾

ويتعلق بهذا الباب فصول أربعة منها في حكم الغسل ومنها فيمن يجب غسله من الموتى ومن يجوز أن يغسل وما حكم الغاسل ومنها في صفة الغسل

(الفصل الاول)

فأما حكم الغسل فانه قيل فيه انه فرض على الكفاية وقيل سنة على الكفاية والقولان كلاهما في المذهب والسبب في ذلك انه نقل بالعمل لا بالقول والعمل ليس له صيغة تفهم الوجوب او لا تفهمه

وقد احتج عبد الوهاب لوجوبه بقوله عليه الصلاة والسلام في ابنته اغسلنها ثلاثا أو خمساً و بقوله في المحرم اغسلوه فمن رأى ان هذا القول خرج مخرج تعليم لصفة الغسل لا مخرج الامر به لم يقل بوجوبه ومن رأى انه يتضمن الامر والصفة قال بوجوبه

﴿الفصل الثاني﴾

وأما الاموات الذين يجب غسلهم فانهم اتفقوا من ذلك على غسل الميت المسلم الذى لم يقتل في معترك حرب الكفار واختلفوا في غسل الشهيد وفي الصلاة عليه وفي غسل المشرك. فأما الشهيد أعني الذى قتله في المعترك المشركون فان الجمهور على ترك غسله لما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بقتلى أحد فدفنوا بثيابهم ولم يصل عليهم . وكان الحسن وسعيد بن المسيب يقولان يغسل كل مسلم فان كل ميت يجنب ولعلهم كانوا يرون ان ما فعل بقتلى أحد كان لموضع الضرورة أعني المشقة في غسلهم وقال بقولهم من فقهاء الامصار عبيد الله ابن الحسن العنبري. وسئل أبو عمر فيما حكي ابن المنذر عن غسل الشهيد فقال قد غسل

عمر وكفن وحنط وصلي عليه وكان شهيداً يرحمه الله . واختلف الذين اتفقوا على أن الشهيد في حرب المشركين لا يغسل في الشهداء من قتل القصاص أو غير أهل الشرك فقال الاوزاعي واحمد وجماعة حكمهم حكم من قتله أهل وقال مالك والشافعي يغسل . وسبب اختلافهم هو هل الموجب لرفع حكم الغسل هي الشهادة مطلقا أو الشهادة على ايدى الكفار فمن رأى ان سبب ذلك هي الشهادة مطلقا قال لا يغسل كل من نص عليه النبي عليه الصلاة والسلام انه شهيد ممن قتل. ومن رأى ان سبب ذلك هي الشهادة من الكفار قصر ذلك عليهم

وأما غسل المسلم الكافر فكان مالك يقول لا يغسل المسلم والد الكافر ولا يقبره الا ان يخاف ضياعه فيواريه. وقال الشافعي لا بأس ان يغسل المسلم قرابته من المشركين ودفنهم . وبه قال ابو ثور وأبو حنيفة واصحابه. قال ابو بكر بن المنذر ليس في غسل الميت المشرك سنة تتبع. وقد روى ان النبي عليه الصلاة والسلام امر بغسل عمه لما مات . وسبب الخلاف هل الغسل من باب العبادة أو من باب النظافة فان كانت عبادة لم يجز غسل الكافر وان كانت نظافة جاز غسله

﴿ الفصل الثالث ﴾

واما من يجوز أن يغسل الميت فانهم اتفقوا على ان الرجال يغسلون الرجال والنساء يغسلن النساء واختلفوا في المرأة تموت مع الرجال أو الرجل يموت مع النساء ما لم يكونا زوجين على ثلاثة اقوال فقال قوم يغسل كل واحد منهما صاحبه من فوق الثيات وقال قوم ييمم كل منهما صاحبه وبه قال الشافعي وابو حنيفة وجمهور العلماء . وقال قوم لا يغسل واحد منهما صاحبه ولا ييممه وبه قال الليث بن سعد بل يدفن من غير غسل. وسبب اختلافهم هو الترجيح بين تغليب النهي على الامر أو الامر على النهي وذلك ان الغسل مأمور به ، ونظر الرجل الى بدن المرأة والمرأة الى بدن الرجل منهي عنه فمن غلب النهي تغليبا مطلقا اعني لم يقس الميت على الحي في كون طهارة التراب له بدلا من طهارة الماء عند تعذرها قال لا يغسل الواحد منهما صاحبه ولا ييممه ومن غلب الامر على النهي قال يغسل كل واحد منهما صاحبه أعني غلب

الامر على النهي تغليباً مطلقاً ومن ذهب الى التيمم فلأنه رأى أنه لا يلحق الامر والنهي في ذلك تعارض وذلك ان النظر الى مواضع التيمم يجوز لكلا الصنفين ولذلك رأى مالك ان ييمم الرجل المرأة في يديها ووجهها فقط لكون ذلك منها ليسا بعورة وان تيمم المرأة الرجل الى المرفقين لانه ليس من الرجل عورة الا من السرة الى الركبة على مذهبه فكان الضرورة التي نقلت الميت من الغسل الى التيمم عند من قال به هي تعارض الامر والنهي فكانه شبه هذه الضرورة بالضرورة التي يجوز معها النهي التيمم وهو تشبيه فيه بعد ولكن عليه الجمهور .

وأما مالك فاختلف قوله في هذه المسئلة فمرة قال ييمم كل واحد منهما صاحبه قولا مطلقا ومرة فرق في ذلك بين ذوى المحارم وغيرهم ومرة فرق في ذوى المحارم بين الرجال والنساء فيتحصل عنه ان له في ذوى المحارم ثلاثة أقوال اشهرها انه يغسل كل واحد منهما صاحبه على الثياب والثاني انه لا يغسل أحدهما صاحبه لكن ييممه مثل قول الجمهور في غير ذوى المحارم والثالث الفرق بين الرجال والنساء اعني تغسل المرأة الرجل ولا يغسل الرجل المرأة فسبب المنع ان كل واحد منهما لا يحل له أن ينظر الى موضع الغسل من صاحبه كالأجانب سواء وسبب الاباحة أنه موضع ضرورة وهم أعذر في ذلك من الاجنبي وسبب الفرق ان نظر الرجال الى النساء أغلظ من نظر النساء الى الرجال بدليل ان النساء حجبن عن نظر الرجال اليهن ولم يحجب الرجال عن النساء وأجمعوا من هذا الباب على جواز غسل المرأة زوجها واختلفوا في جواز غسله اياها فالجمهور على جواز ذلك وقال أبو حنيفة لا يجوز غسل الرجل زوجته وسبب اختلافهم هو تشبيه الموت بالطلاق فمن شبهه بالطلاق قال لا يحل أن ينظر اليها بعد الموت ، ومن لم يشبهه بالطلاق وهم الجمهور قال ان ما يحل له من النظر اليها قبل الموت يحل له بعد الموت ، وانما دعا أبا حنيفة أن يشبه الموت بالطلاق لانه رأى انه اذا مات احدى الاختين حل له نكاح الأخرى كالحال فيها اذا طلقت . وهذا فيه بعد فان علة منع الجمع مرتفعة بين الحي والميت ولذلك حلت الا أن يقال ان علة منع الجمع غير معقولة

وان منع الجمع بين الاختين عبادة محضة غير معقولة المعنى فيقوى حينئذ مذهب ابي حنيفة وكذلك اجمعوا على ان المطلقة المبتوتة لا تغسل زوجها واختلفوا في الرجعية فروى عن مالك انها تغسله وبه قال أبو حنيفة وأصحابه

وقال ابن القاسم لا تغسله وان كان الطلاق رجعيا وهو قياس قول مالك لانه ليس يجوز عنده ان يراها وبه قال الشافعي وسبب أختلافهم هو هل يحل الزوج أن ينظر الى الرجعية اولا ينظر اليها وأما حكم الفاعل فانهم اختلفوا فيما يجب عليه فقال قوم من غسل ميتاً وجب عليه الغسل وقال قوم لا غسل عليه وسبب اختلافهم معارضة حديث ابي هريرة لحديث اسماء وذلك أن ابا هريرة روى عن النبي عليه الصلاة والسلام انه قال من غسل ميتاً فليغتسل ومن حمله فليتوضأ خرجه ابوداود وأما حديث اسماء فانها لما غسلت ابا بكر رضي الله عنه خرجت فسألت من حضرها من المهاجرين والانصار وقالت اني صائمة وأن هذا يوم شديد البرد فهل علي من غسل؟ قالوا لا. وحديث اسماء في هذا صحيح وأما حديث ابي هريرة فهو عند أكثر اهل العلم فيما حكي ابو عمر وغير صحيح لكن حديث اسماء ليس فيه في الحقيقة معارضة له فان من انكر الشيء يحتمل أن يكون ذلك لانه لم تبلغه السنة في ذلك الشيء وسؤال أسماء والله أعلم يدل على اختلاف في ذلك في الصدر الاول ولهذا كله قال الشافعي رضي الله عنه على عادته في الاحتياط والالتفات الى الاثر لا غسل على من غسل الميت ان يتوضأ حديث ابي هريرة

﴿ الفصل الرابع في صفة الغسل ﴾

وفي هذا الفصل مسائل احداها هل ينزع عن الميت قميصه اذا غسل ام يغسل في قميصه؟ اختلفوا في ذلك فقال مالك اذا غسل الميت تنزع ثيابه وتستر عورته وبه قال ابو حنيفة وقال الشافعي يغسل في قميصه. وسبب اختلافهم تردد غسله عليه الصلاة والسلام في قميصه بين أن يكون خاصا به وبين أن يكون سنة فمن رأى انه خاص به وانه لا يحرم من النظر الى الميت الا ما يحرم منه وهو حي قال يغسل هربان الا عورته فقط التي يحرم النظر اليها في حال الحياة ومن رأى أن ذلك سنة يستند الى باب الاجماع أوالى

الامر الالهي لانه روى في الحديث انهم سمعوا صوتا يقول لهم لا تنزعوا القميص وقد التي عليهم النوم قال الافضل ان يغسل الميت في قميصه

(المسئلة الثانية)

قال ابو حنيفة لا يوضأ الميت وقال الشافعي يوضأ، قال مالك اذا وضي فحسن. وسبب الخلاف في ذلك معارضة القياس للاثر وذلك أن القياس يقتضي الا وضوء على الميت لان الوضوء طهارة مفروضة لموضع العبادة واذا سقطت العبادة عن الميت سقط شرطها الذي هو الوضوء ولولا أن الغسل ورد في الآثار لما وجب غسله. وظاهر حديث ام عطية الثابت ان الوضوء شرط في غسل الميت لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه في غسل ابنته ابدأ بميامنها ومواضع الوضوء منها وهذه الزيادة ثابتة خرجها البخاري ومسلم وكذلك ليس يجب أن تعارض بالروايات التي فيها الغسل مطلقا لان المقيد يقضي على المطلق اذ فيه زيادة على ما يراه كثير من الناس ويشبه ايضا ان يكون من اسباب الخلاف في ذلك معارضة المطلق المقيد وذلك انه وردت آثار كثيرة فيها الامر بالغسل مطلقا من غير ذكر وضوء فيها فهؤلاء رجحوا الاطلاق على التقييد لمعارضة القياس له في هذا الموضع والشافعي جرى على الاصل من حمل المطلق على المقيد

(المسئلة الثالثة)

اختلفوا في التوقيت في الغسل فمنهم من اوجبه ومنهم من استحسنه واستحبه والذين اوجبوا التوقيت منهم من اوجب الوتر اى وتر كان وبه قال ابن سيرين ومنهم من اوجب الثلاثة فقط وهو ابو حنيفة ومنهم من حد أقل الوتر في ذلك لا ينقص عن الثلاثة ولم يحد الاكثر وهو الشافعي. ومنهم من حد الاكثر في ذلك فقال لا يتجاوز به السبعة وهو احد ابن حنبل. وممن قال باستحباب الوتر ولم يحد فيه حدا مالك بن أنس واصحابه وسبب الخلاف بين من شرط التوقيت ومن لم يشترطه بل استحبه معارضة القياس للاثر وذلك ان ظاهر حديث ام عطية يقتضي التوقيت لان فيه أغسلنها ثلاثا او خمسا او اكثر من ذلك ان رأيتن وفي بعض رواياته او سبعا واما قياس الميت على الحي في الطهارة فيقتضي ان لا توقيت فيها كما ليس في طهارة الحي توقيت فمن رجح

الامر على الندب قال بالتوقيت ومن رأى الجمع بين الاثر والنظر حمل التوقيت على الاستحباب واما الذين اختلفوا في التوقيت فسبب اختلافهم اختلاف الفاظ الروايات في ذلك عن ام عطية . اما الشافعي فانه رأى ان لاينقص من ثلاثة لانه أقل وترتعلق به في حديث ام عطية ورأى أن مافوق ذلك مباح لقوله عليه الصلاة والسلام او اكثر من ذلك ان رأيتن . واما احمد فأخذ بأكثر وترتعلق به في بعض روايات الحديث وهو قوله عليه الصلاة والسلام او سبعا . واما ابو حنيفة فصار في تعميره الوتر على الثلاث لما روى عن محمد بن سيرين كان يأخذ الغسل عن أم عطية ثلاثا يغسل بالسدر مرتين والثالثة بالماء والكافور وايضا فان الوتر الشرعي عنده انما ينطبق على الثلاث فقط . وكان مالك يستحب ان يغسل في الاولى بالماء القراح وفي الثانية بالسدر والماء وفي الثالثة بالماء والكافور واختلفوا اذا خرج من بطنه حدث هل يعاد غسله ام لا فقيل لايعاد وبه قال مالك وقيل يعاد والذين رأوا انه يعاد اختلفوا في العدد الذي تجب به الاعادة ان تكرر خروج الحدث فقيل يعاد الغسل عليه واحدة وبه قال الشافعي وقيل يعاد ثلاثا وقيل يعاد سبعا واجمعوا على انه لايزاد على السبع شيء واختلفوا في تقليم اظفار الميت والاخذ من شعره فقال قوم تقلم أظفاره ويؤخذ من شعره وقال قوم لاتقلم أظفاره ولا يؤخذ من شعره وليس فيه اثر

واما سبب الخلاف في ذلك الخلاف الواقع في ذلك المصدر الاول ويشبه أن يكون سبب الخلاف في ذلك قياس الميت على الحي فمن قاسه اوجب تقليم الاظفار وحلق العانة لانها من سنة الحي باتفاق وكذلك اختلفوا في مصير بطنه قبل ان يغسل فمنهم من رأى ذلك ومنهم من لم يره فمن رآه رأى ان فيه ضربا من الاستنقاء من الحدث عند ابتداء الطهارة وهو مطلوب من الميت كما هو من الحي ومن لم ير ذلك رأى انه من باب تكليف مالم يشرع وان الحي في ذلك بخلاف الميت

﴿الباب الثالث في الاكفان﴾

والاصل في هذا الباب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كفن في ثلاثة اثواب بيض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة . وخرج ابوداود عن ليلى بنت قانف الثقفية قالت كنت فيمن غسل ام كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أول من اعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقو ثم الدرع ثم الخمار ثم الملحفة ثم ادرجت بعد في الثوب الآخر قالت ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس عند الباب معه اكفانها يناولناها ثوبا ثوبا ، فمن العلماء من أخذ بظاهر هذين الاثرين فقال يكفن الرجل في ثلاثة أثواب والمرأة في خمسة أثواب . وبه قال الشافعي وأحمد وجماعة وقال أبو حنيفة أقل ما تكفن فيه المرأة ثلاثة أثواب والسنة خمسة أثواب وأقل مايكفن فيه الرجل ثوبان والسنة فيه ثلاثة أثواب . ورأى مالك انه لاحد في ذلك وانه يجزىء ثوب واحد فيهما الا انه يستوجب الوتر . وسبب اختلافهم في التوقيت اختلافهم في مفهوم هذين الاثرين فمن فهم منهما الاباحة لم يقل بتوقيت الا أنه استحب الوتر لاتفاقهما في الوتر ولم يفرق في ذلك بين المرأة والرجل وكأنه فهم منها الاباحة الا في التوقيت فأنه فهم منه شرعيا لمناسبته للشرع ومن فهم من العدد انه شرع لا اباحة قال بالتوقيت إما على جهة الوجوب واما على جهة الاستحباب وكأنه واسع ان شاء الله ليس فيه شرع محدود والله تكلف شرع فيما ليس فيه شرع وقد كفن مصعب بن عمير يوم أحد بنمرة فكانوا اذا غطوا بها رأسه خرجت رجلاه واذا غطوا بها رجليه خرج رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غطوا بها رأسه واجعلوا على رجليه من الاذخر واتفقوا على أن الميت يغطى رأسه ويطيب الا المحرم اذا مات في احرامه فانهم اختلفوا فيه . فقال مالك وأبو حنيفة المحرم بمنزلة غير المحرم . وقال الشافعي لا يغطى رأس المحرم اذا مات ولا يمس طيبا . وسبب اختلافهم معارضة العموم للخصوص فأما الخصوص فهو حديث ابن عباس قال أتي النبي صلى الله عليه وسلم برجل وقصته راحلته فمات وهو محرم فقال كفنوه في ثوبين واغسلوه بماء وسدر ولا تخمروا رأسه ولا تقربوه طيبا فانه يبعث يوم القيامة يلبي . وأما العموم فهو ماورد من الامر بالغسل مطلقا فمن خص من الاموات المحرم بهذا الحديث كتخصيص الشهداء بقتلى أحد جعل الحكم منه عليه الصلاة والسلام على الواحد حكما على الجميع وقال لايغطى رأس المحرم ولا يمس طيبا

ومن ذهب مذهب الجم لا مذهب الاستثناء والتخصيص قال حديث الاعرابي خاص به لا يعدى الي غيره

﴿ الباب الرابع ﴾

(في صفة المشي مع الجنازة)

واختلفوا في صفة المشي مع الجنازة فذهب اهل المدينة الي ان من سنتها المشي امامها . وقال الكوفيون ابو حنيفة واصحابه وسائرهم ان المشي خلفها افضل وسبب اختلافهم اختلاف الآثار التي روى كل واحد من الفريقين عن سلفه وعمل به . فروى مالك عن النبي عليه الصلاة والسلام مرسلا المشي امام الجنازة وعن ابي بكر وعمر وبه قال الشافعي . واخذ اهل الكوفة بما رووا عن علي بن ابي طالب من طريق عبد الرحمن بن ابزى قال كنت امشي مع علي في جنازة وهو آخذ بيدي وهو يمشي خلفها وابو بكر وعمر يمشيان امامها فقلت له في ذلك فقال ان فضل الماشي خلفها علي الماشي امامها كفضل صلاة المكتوبة علي صلاة النافلة وانهما ليعلمان ذلك ولكنهما سهلان يسهلان علي الناس . وروى عنه رضي الله عنه انه قال قدمها بين يديك واجعلها نصب عينيك فانما هي موعظة وتذكرة وعبرة ، وبما روى ايضاً عن ابن مسعود انه كان يقول مأتنا رسول الله صلي الله عليه وسلم عن السير مع الجنازة فقال الجنازة متبوعة وليست بتابعة وليس معها من يقدمها . وحديث المغيرة بن شعبة عن النبي صلي الله عليه وسلم قال الراكب يمشي أمام الجنازة والمشي خلفها وامامها وعن يمينها ويسارها قريباً منها وحديث ابي هريرة ايضاً في هذا المعنى قال امشوا خلف الجنازة ، وهذه الاحاديث صار اليها الكوفيون وهي احاديث يصححونها ويضعفها غيرهم

واكثر العلماء علي ان القيام الي الجنازة منسوخ بما روى مالك من حديث علي ابن ابي طالب ان رسول الله صلي الله عليه وسلم كان يقوم في الجنائز ثم جلس . وذهب قوم الي وجوب القيام تمسكوا في ذلك بما روى من امره صلي الله عليه وسلم بالقيام لها كحديث عامر بن ربيعة قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا رأيتم الجنائز فقوموا اليها حتي تخلفكم او توضع ، واختلف الذين رأوا ان القيام منسوخ في القيام علي القبر في وقت الدفن

فبعضهم رأى انه لم يدخل تحت النهي وبعضهم رأى انه داخل تحت النهي علي ظاهر اللفظ ومن أخرجه من ذلك احتج بفعل علي في ذلك وذلك انه روى النسخ وقام علي قبر ابن المكفف فقيل له ألا تجلس يا أمير المؤمنين فقال قليل لاخينا قيامنا علي قبره

﴿ الباب الخامس ﴾

(في الصلاة علي الجنازة)

وهذه الجملة يتعلق بها بعد معرفة وجوبها فصول أحدها في صفة صلاة الجنازة والثاني علي من يصلي ومن أولي بالصلاة والثالث في وقت هذه الصلاة والرابع في موضع هذه الصلاة والخامس في شروط هذه الصلاة

الفصل الاول

فأما صفة الصلاة فانها يتعلق بها مسائل :

(المسئلة الاولي)

اختلفوا في عدد التكبير في الصدر الاول اختلافاً كثيراً من ثلاث الى سبع أعني الصحابة رضي الله عنهم ولكن فقهاء الامصار علي ان التكبير في الجنازة اربع الا ابن ابي ليلي وجابر بن زيد فانهما كانا يقولان انها خمس وسبب الاختلاف اختلاف الآثار في ذلك وذلك انه روى من حديث أبي هريرة ان رسول الله صلي الله عليه وسلم نعي النجاشي في اليوم الذي مات فيه وخرج بهم الى المصلي فصف بهم وكبر أربع تكبيرات وهو حديث متفق علي صحته وذلك أخذ به جمهور فقهاء الامصار . وجاء في هذا المعنى أيضا من انه عليه الصلاة والسلام صلي علي قبر مسكينة فكبر عليها أربعا . وروى مسلم أيضا عن عبد الرحمن بن أبي ليلي قال كان ابن زيد بن أرقم يكبر علي الجنائز أربعاً وانه كبر علي جنازة خمساً فسألناه فقال كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يكبرها وروى عن أبيه خيثمة عن أبيه قال كان النبي صلي الله عليه وسلم يكبر علي الجنائز أربعاً وخمساً وستاً وسبعاً وثمانيا حتي مات النجاشي فصف الناس وراءه وكبر أربعا ثم ثبت صلي الله عليه وسلم علي أربع حتي توفاه الله وهذا نص حجة لائحة الجمهور

وأجمع العلماء علي رفع اليدين في أول التكبير علي الجنازة واختلفوا في سائر التكبير فقال قوم يرفع وقال قوم لا يرفع

وروى الترمذى عن أبي هريرة أن رسول الله صلي الله عليه وسلم كبر في جنازة فرفع يديه في أول التكبير ووضع يده اليمنى علي اليسرى فمن ذهب الي ظاهر هذا الاثر وكان مذهبه في الصلاة انه لايرفع الا في أول التكبير قال الرفع في اول التكبير ومن قال يرفع في كل تكبير شبه التكبير الثاني بالاول لانه كله يفعل في حال القيام والاستواء

(المسئلة الثانية)

اختلف الناس في القراءة في صلاة الجنازة فقال مالك وابو حنيفة ليس فيها قراءة انما هو الدعاء . وقال مالك قراءة فاتحة الكتاب فيها ليس بمعمول به في بلدنا بحال . قال وانما يحمد الله ويثنى عليه بعد التكبيرة الاولي ثم يكبر الثانية فيصلي علي النبي صلي الله عليه وسلم ثم يكبر الثالثة فيشفع الميت ثم يكبر الرابعة ويسلم وقال الشافعي يقرأ بعد التكبيرة الاولي فاتحة الكتاب ثم يفعل في سائر التكبيرات مثل ذلك ، وبه قال احمد وداود . وسبب اختلافهم معارضة العمل للاثر وهل يتناول ايضا اسم الصلاة صلاة الجنائز ام لا . اما العمل فهو الذى حكاه مالك عن بلده . وأما الاثر فما رواه البخارى عن طلحة بن عبدالله بن عوف قال صليت خلف ابن عباس علي جنازة فقرأ بفاتحة الكتاب فقال لتعلموا انها السنة فمن ذهب الى ترجيح هذا الاثر علي العمل وكان اسم الصلاة يتناول عنده صلاة الجنازة وقد قال صلي الله عليه وسلم لا صلاة الا بفاتحة الكتاب رأى قراءة فاتحة الكتاب فيها . ويمكن أن يحتج لمذهب مالك بظواهر الآثار التي نقل فيها دعاؤه عليه الصلاة والسلام علي الجنائز ولم ينقل فيها انه قرأ وعلي هذا فتكون تلك الآثار كأنها معارضة لحديث ابن عباس ومخصصة لقوله لاصلاة الا بفاتحة الكتاب . وذكر الطحاوى عن ابن شهاب عن أبي امامة ابن سهل بن حنيف قال وكان من كبراء الصحابة وعلمائهم وابناء الذين شهدوا بدراً ان رجلا من اصحاب النبي عليه الصلاة والسلام أخبره ان السنة في الصلاة علي الجنائز ان يكبر الامام ثم يقرأ فاتحة الكتاب سراً في نفسه ثم يخلص الدعاء في التكبيرات الثلاث . قال ابن شهاب فذكرت الذى أخبر به أبوامامة من ذلك

لمحمد بن سويد الفهرى فقال وأنا سمعت الضحاك بن قيس يحدث عن حبيب بن مسلمة في الصلاة علي الجنائز بمثل ماحدثك به ابو امامة

(المسئلة الثالثة)

واختلفوا في التسليم من الجنازة هل هو واحد أو اثنان فالجمهور علي انه واحد وقالت طائفة وأبو حنيفة يسلم تسليمتين واختاره المزني من أصحاب الشافعي وهو احد قول الشافعي . وسبب اختلافهم في التسليم من الصلاة وقياس صلاة الجنائز علي الصلاة المفروضة فمن كانت عنده التسليمة واحدة في الصلاة المكتوبة وقاس صلاة الجنازة عليها قال بواحدة ومن كانت عنده تسليمتين في الصلاة المفروضة قال هنا بتسليمتين ان كانت عنده تلك سنة فهذه سنة وان كانت فرضاً فهذه فرض وكذلك اختلف المذهب هل يجهر فيها أو لايجهر بالسلام

﴿المسئلة الرابعة﴾

واختلفوا أين يقوم الامام من الجنازة فقال جملة من العلماء يقوم في وسطها ذكرا كان أو أنثى وقال قوم آخرون يقوم من الانثي وسطها ومن الذكر عند رأسه . ومنهم من قال يقوم من الذكر والانثى عند صدرهما ، وهو قول ابن القاسم وقول أبي حنيفة . وليس عند مالك والشافعي في ذلك حد وقال قوم يقوم منهما أين شاء والسبب في اختلافهم اختلاف الآثار في هذا الباب وذلك انه خرج البخارى وسلم من حديث سمرة بن جندب قال صليت خلف رسول الله صلي الله عليه وسلم علي أم كعب ماتت وهي نفساء فقام رسول الله صلي الله عليه وسلم الصلاة علي وسطها . وخرج أبو داود من حديث همام بن غالب قال صليت مع انس بن مالك علي جنازة رجل فقام حيال رأسه ثم جاؤا بجنازة امرأة فقالوا يا ابا حمزة صل عليها فقام حيال وسط السرير فقال العلاء بن زياد هكذا رأيت رسول الله صلي الله عليه وسلم يصلي علي الجنائز كبر أربعاً وقام علي جنازة امرأة مقامك منها ومن الرجل مقامك منه . قال نعم فاختلف الناس في المفهوم من هذه الافعال فمنهم من رأى ان قيامه في هذه المواضع المختلفة يدل علي الاباحة وعلي عدم التحديد . ومنهم من رأى ان قيامه

على احد هذه الاوضاع انه شرع وانه يدل على التحديد وهؤلاء انقسموا قسمين فمنهم من اخذ بحديث سمرة بن جندب الاتفاق على صحته فقال المرأة في ذلك والرجل سواء لان الاصل ان حكمها واحد الا ان يثبت في ذلك فارق شرعي ومنهم من صحح حديث ابن غالب وقال فيه زيادة على حديث سمرة بن جندب فيجب المصير اليها وليس بينهما تعارض اصلا واما مذهب ابن القاسم وابي حنيفة فلا أعلم له من جهة السمع في ذلك مسند الا ماروى عن ابن مسعود من ذلك

﴿ المسئلة الخامسة ﴾

واختلفوا في ترتيب جنائز الرجال والنساء اذا اجتمعوا عند الصلاة فقال الاكثر يجعل الرجال مما يلي الامام والنساء مما يلي القبلة. وقال قوم بخلاف هذا أي النساء مما يلي الامام والرجال مما يلي القبلة وفيه قول ثالث وهو يصلي على كل على حدة ، الرجال مفردون والنساء مفردات وسبب الخلاف ما يغلب على الظن باعتبار احوال الشرع من انه يجب أن يكون في ذلك شرع محدود مع انه لم يرد في ذلك شرع يجب الوقوف عنده وذلك رأى كثير من الناس انه ليس في أمثال هذه المواضع شرع أصلا وانه لو كان فيها شرع لبين الناس وانما ذهب الاكثر لما قلناه من تقديم الرجال على النساء لما رواه مالك في الموطأ من ان عثمان بن عفان وعبدالله ابن عمر وأبا هريرة كانوا يصلون على الجنائز بالمدينة الرجال والنساء معاً فيجعلون الرجال مما يلي الامام ويجعلون النساء مما يلي القبلة وذكر عبد الرازق عن ابن جريج عن نافع عن ابن عمر انه صلى كذلك على جنازة فيها ابن عباس وابو هريرة وابو سعيد الخدري وابو قتادة والامام يومئذ سعيد بن العاص فسألهم عن ذلك أو أمر من سألهم فقالوا هي السنة وهذا يدخل في المسند عندهم ويشبه أن يكون من قال بتقديم الرجال شبههم امام الامام بحالهم خلف الامام في الصلاة وقوله عليه الصلاة والسلام أخروهن حيث اخرهن الله . واما من قال بتقديم النساء على الرجال فيشبه أن يكون اعتقد أن الاول هو المقدم ولم يجعل التقديم بالقرب من الامام واما من فرق فاحتياطاً من أن لا يجوز ممنوعاً لانه لم ترد سنة بجواز الجمع فيحتمل ان يكون على اصل الاباحة ويحتمل ان يكون

ممنوعا بالشرع واذا وجد الاحتمال وجب التوقف اذا وجد اليه سبيلا

(المسئلة السادسة)

واختلفوا في الذي يفوته بعض التكبير على الجنازة في مواضع منها هل يدخل بتكبير أم لا ومنها هل يقضي ما فاته أم لا وان قضى فهل يدعو بين التكبير أم لا فروى أشهب عن مالك انه يكبر أول دخوله وهو أحد قولي الشافعي وقال ابو حنيفة ينتظر حتى يكبر الامام وحينئذ يكبر وهي رواية ابن القاسم عن مالك ، والقياس التكبير ، قياساً على من دخل في المفروضة واتفق مالك وأبو حنيفة والشافعي على انه يقضي ماقاته من التكبير الا أن أبا حنيفة يرى أن يدعو بين التكبير المقتضي ومالك والشافعي يريان أن يقضيه نسقا وانما اتفقوا على القضاء لعموم قوله عليه الصلاة والسلام ما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا فمن رأى ان هذا العموم يتناول التكبير والدعاء قال يقضي التكبير وما فاته من الدعاء ومن أخرج الدعاء من ذلك اذ كان غير مؤقت قال يقضي التكبير فقط اذ كان هو المؤقت فكان تخصيص الدعاء من ذلك العموم هو من باب تخصيص العام بالقياس فأبو حنيفة أخذ بالعموم وهؤلاء بالخصوص

(المسئلة السابعة)

واختلفوا في الصلاة على القبر لمن فاتته الصلاة على الجنازة . فقال مالك لا يصلي على القبر ، وقال ابو حنيفة لا يصلي على القبر الا الولي فقط اذا فاتته الصلاة على الجنازة وكان الذي صلي عليها غير وليها . وقال الشافعي واحمد وداود وجماعة يصلي على القبر من فاتته الصلاة على الجنازة واتفق القائلون باجازة الصلاة على القبر ان من شرط ذلك حدوث الدفن وهؤلاء اختلفوا في هذه المدة واكثرها شهر . وسبب اختلافهم معارضة العمل للاثر . أما مخالفة العمل فان ابن القاسم قال قلت لمالك فالحديث الذي جاء عن النبي صلي الله عليه وسلم انه صلي على قبر امرأة ، قال قد جاء هذا الحديث وليس عليه العمل والصلاة على القبر ثابتة باتفاق من اصحاب الحديث . قال احمد بن حنبل رويت الصلاة على القبر عن النبي عليه الصلاة والسلام من طرق ستة كلها حسان وزاد بعض المحدثين ثلاثة طرق فذلك تسع . وأما البخاري

ومسلم فرويا ذلك من طريق أبي هريرة واما مالك فخرج مرسلا من أبي امامة ابن سهل . وقد روى ابن وهب عن مالك مثل قول الشافعي . واما ابو حنيفة فانه جرى في ذلك على عادته فيما احسب اعني من رد اخبار الآحاد التي تعم بها البلوى اذا لم تنتشر ولا انتشر العمل بها وذلك ان عدم الانتشار اذا كان خيراً كان الانتشار قرينة توهن الخبر وتخرجه من غلبة الظن بصدقه الى الشك فيه أو الى غلبة الظن بكذبه او نسخه قال القاضي. وقد تكلمنا فيما سلف من كتابنا هذا في وجه الاستدلال بالعمل وفي هذا النوع من الاستدلال الذي يسميه الحنفية عموم البلوى وقلنا انها من جنس واحد

﴿ الفصل الثاني ﴾

(فيمن يصلي عليه ومن أولي بالصلاة)

وأجمع أكثر أهل العلم على اجازة الصلاة على كل من قال لا اله الا الله وفي ذلك أثر انه قال عليه الصلاة والسلام صلوا على من قال لا اله الا الله وسواء كان من اهل الكبائر او من اهل البدع الا ان مالكا كره لاهل الفضل الصلاة على أهل البدع ولم ير أن يصلي الامام على من قتل حداً . واختلفوا فيمن قتل نفسه فرأى قوم انه لا يصلي عليه واجاز آخرون الصلاة عليه ومن العلماء من لم يجز الصلاة على اهل الكبائر ولا على اهل البغي والبدع ، والسبب في اختلافهم في الصلاة اما في أهل البدع فلاختلافهم في تكفيرهم ببدعهم فمن كفرهم بالتأويل البعيد لم يجز الصلاة عليهم ومن لم يكفرهم اذا كان الكفر عنده انما هو تكذيب الرسول لا تأويل قوله عليه الصلاة والسلام قال الصلاة عليهم جائزة وانما الجمع المسلمون على ترك الصلاة على المنافقين مع تلفظهم بالشهادة لقوله تعالى (ولا تصل على احد منهم مات ابداً ولا تقم على قبره) الآية واما اختلافهم في اهل الكبائر فليس يمكن ان يكون له سبب الا من جهة اختلافهم في القول بالتكفير بالذنوب لكن ليس هذا مذهب اهل السنة ولذلك ليس ينبغي ان يمنع الفقهاء الصلاة على اهل الكبائر واما كراهية مالك الصلاة على اهل البدع فذلك لمكان الزجر والعقوبة لهم وانما لم ير مالك صلاة الامام على من قتل حداً لان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يصل

على ماعز ولم ينه عن الصلاة عليه خرجه ابو داود. واما اختلفوا في الصلاة على من قتل نفسه لحديث جابر بن سمرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي ان يصلي على رجل قتل نفسه ، فمن صحح هذا الاثر قال لا يصلي على قاتل نفسه ومن لم يصححه رأى ان حكمه حكم المسلمين وان كان من أهل النار كما ورد به الاثر لكن ليس هو من المخلدين لكونه من أهل الايمان وقد قال عليه الصلاة والسلام حكاية عن ربه أخرجوا من النار من في قلبه مثقال حبة من الايمان. واختلفوا أيضا في الصلاة على الشهداء المقتولين في المعركة فقال مالك والشافعي لا يصلي على الشهيد المقتول في المعركة ولا يغسل وقال أبو حنيفة يصلي عليه ولا يغسل . وسبب اختلافهم اختلاف الآثار الواردة في ذلك . وذلك أنه خرج ابو داود من طريق جابر انه صلى الله عليه وسلم أمر بشهداء أحد فدفنوا بثيابهم ولم يصل عليهم ولم يغسلوا. وروى من طريق ابن عباس مسنداً انه عليه الصلاة والسلام صلى على قتلى أحد وعلى حمزة ولم يغسل ولم ييمم. وروى أيضا وذلك مرسلا من حديث ابي مالك النفاري وكذلك روى أيضا أن اعرابيا جاء مسهم فوقع في حافته فمات فصلى النبي صلى الله عليه وسلم عليه وقال ان هذا عبدك خرج مجاهداً في سبيلك فقتل شهيداً وانا شهيد عليه . وكلا الفريقين يرجح الاحاديث التي أخذ بها وكانت الشافعية تمثل بحديث ابن عباس هذا وتقول برواية ابن ابي الزناد وكان قد اختل آخر عمره وقد كان شعبة يطعن فيه . وأما المراسيل فليست عندهم بحجة . واختلفوا متى يصل على الطفل ، فقال مالك لا يصلي على الطفل حتى يستهل صارخا وبه قال الشافعي وقال ابو حنيفة يصلي عليه اذا نفخ فيه الروح وذلك اذا كان له في بطن امه أربعة أشهر فأكثر وبه قال ابن ابي ليلى وسبب اختلافهم في ذلك معارضة المطلق للمقيد وذلك انه روى الترمذي عن جابر ابن عبد الله عن النبي عليه الصلاة والسلام انه قال الطفل لا يصلي عليه ولا يرث ولا يورث حتى يستهل صارخا . وروى عن النبي عليه الصلاة والسلام من حديث المغيرة بن شعبة انه قال الطفل يصلي عليه فمن ذهب مذهب حديث جابر قال ذلك علم وهذا مفسر فالواجب أن يحمل ذلك

العموم على هذا التفسير فيكون معنى حديث المغيرة أن الطفل يصلي عليه اذا استهل صارخا ومن ذهب. ذهب حديث المغيرة قال معلوم أن المنتبر في الصلاة هو حكم الاسلام والحياة والطفل اذا تحرك فهو حي وحكمه حكم المسلمين وكل مسلم حي اذا مات صلي عليه فرجحوا هذا العموم على ذلك الخصوص لموضع موافقة القياس له ومن الناس من شذ وقال لا يصلي على الاطفال أصلا. وروى ابو داود ان النبي عليه الصلاة والسلام لم يصل على ابنه ابراهيم وهو ابن ثمانية أشهر وروى فيه أنه صلى عليه وهو ابن سبعين ليلة واختلفوا في الصلاة على الاطفال المسبيين فذهب مالك في رواية البصريين عنه ان الطفل من أولاد الحربيين لا يصلي عليه حتى يعقل الاسلام سواء سبي مع أبويه او لم يسب معهما وان حكمه حكم ابويه الا أن يسلم الاب فهو تابع له دون الام ووافقه الشافعي على هذه الا أنه ان اسلم احد ابويه فهو عنده تابع لمن أسلم منهما لا للاب وحده على ماذهب اليه مالك وقال ابو حنيفة يصلي على الاطفال المسبيين وحكمهم حكم من سباهم وقال الاوزاعي اذا ملكهم المسلمون صلي عليهم يعني اذا بيعوا في السبي قال وبهذا جرى العمل في الثغر وبه الفتيا فيه واجمعوا على أنه اذا كانوا مع آبائهم ولم يملكهم مسلم ولا اسلم احد ابويهم ان حكمهم حكم آبائهم. والسبب في اختلافهم في أطفال المشركين هل هم من أهل الجنة أو من أهل النار وذلك انه جاء في بعض الآثار أنهم من آبائهم أي أن حكمهم حكم آبائهم ودليل قوله عليه الصلاة والسلام كل مولود يولد على الفطرة ان حكمهم حكم المؤمنين

وأما من اولى بالتقديم الصلاة على الجنازة فقيل الولي وقيل الوالي فمن قال الوالي شبهه بصلاة الجمعة من حيث هي صلاة جماعة ومن قال الولي شبهها بسائر الحقوق التي الولي بها احق مثل مواراته ودفنه وأكثر أهل العلم على ان الوالي بها أحق قال ابو بكر بن المنذر وقدم الحسين بن علي سعيد بن العاصي وهو والي المدينة ليصلي على الحسن بن علي وقال لولا أنها سنة ما تقدمت قال ابو بكر وبه أقول. واكثر العلماء على انه لا يصلي الاولي الحاضر وقال بعضهم يصلي على

الغائب لحديث النجاشي والجمهور على ان ذلك خاص بالنجاشي وحده واختلفوا هل يصلي على بعض الجسد والجمهور على انه يصلي على أكثره لتناول اسم الميت له ومن قال انه يصلي على أقله قال لان حرمة البعض كحرمة الكل لاسيما ان كان ذلك البعض محل الحياة وكان ممن يجيز الصلاة على الغائب

﴿ الفصل الثالث ﴾

(في وقت الصلاة على الجنازة)

واختلفوا في الوقت الذي تجوز فيه الصلاة على الجنازة فقال قوم لا يصلي عليها في الاوقات الثلاثة التي ورد النهي عن الصلاة فيها وهي وقت الغروب والطلوع وزوال الشمس على ظاهر حديث عقبة بن عامر ثلاث ساعات كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهانا أن نصلي فيها وأن نقبر موتانا الحديث. وقال قوم لا يصلي في الغروب والطلوع فقط ويصلي بعد العصر ما لم تصفر الشمس وبعد الصبح ما لم يكن الاسفار وقال قوم لا يصلي على الجنازة في الاوقات الخمسة التي ورد النهي عن الصلاة فيها وبه قال عطاء والنخعي وغيرهم وهو قياس قول أبي حنيفة. وقال الشافعي يصلي على الجنازة في كل وقت لأن النهي عنده انما هو خارج على النوافل لا على السنن على ماتقدم

﴿ الفصل الرابع ﴾

(في مواضع الصلاة)

واختلفوا في الصلاة على الجنازة في المسجد فأجازها أكثر العلماء وكرهها بعضهم منهم أبو حنيفة وبعض أصحاب مالك. وقد روى كراهية ذلك عن مالك وتحقيقه اذا كانت الجنازة خارج المسجد والناس في المسجد. وسبب الخلاف في ذلك حديث عائشة وحديث أبي هريرة أن حديث عائشة فما رواه مالك من انها أمرت أن يمر عليها بسعد بن أبي وقاص في المسجد حين مات لتدعو له فأنكر الناس عليها ذلك فقالت عائشة ما أسرع مانسي الناس ماصلي رسول الله صلى الله عليه وسلم على سهل بن بيضاء الا في المسجد. وأما حديث أبي هريرة فهو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى على جنازة في المسجد فلاشيء له. وحديث عائشة ثابت وحديث أبي هريرة غير ثابت أو غير متفق على ثبوته لكن انكار

الصحابة على عائشة يدل على اشتهار العمل بخلاف ذلك عندهم ويشهد لذلك بروزه صلى الله عليه وسلم للمصلي لصلاته على النجاشي وقد زعم بعضهم أن سبب المنع في ذلك هو أن ميت بني آدم ميتة وفيه ضعف لان حكم الميتة شرعي ولا يثبت لابن آدم حكم الميتة الا بدليل وكره بعضهم الصلاة على الجنائز في المقابر للنهي الوارد عن الصلاة فيها وأجازها الاكثر لعموم قوله عليه الصلاة والسلام جعلت لي الارض مسجداً وطهوراً

﴿ الباب الخامس ﴾

(في شروط الصلاة على الجنازة)

واتفق الاكثر على أن من شروطها القبلة واختلفوا في جواز التيمم لها اذا خيف فواتها فقال قوم يتيمم ويصلي لها اذا خاف الفوات وبه قال ابو حنيفة وسفيان والاوزاعي وجماعة وقال مالك والشافعي وأحمد لا يصلي عليها بتيمم وسبب اختلافهم قياسها في ذلك على الصلاة المفروضة فمن شبهها بها أجاز التيمم أعني من شبه ذهاب الوقت بفوات الصلاة على الجنازة ومن لم يشبهها بها لم يجز التيمم لانها عنده من فروض الكفاية أو من سنن الكفاية على اختلافهم في ذلك وشذ قوم فقالوا يجوز أن يصلي على الجنازة بغير طهارة وهو قول الشعبي وهؤلاء ظنوا ان اسم الصلاة لا يتناول صلاة الجنازة وانما يتناولها اسم الدعاء اذا كان ليس فيها ركوع ولا سجود

﴿ الباب السادس ﴾

(في الدفن)

وأجمعوا على وجوب الدفن والاصل فيه قوله تعالى (ألم نجعل الارض كفاتا أحياء وأمواتا) وقوله (فبعث الله غرابا يبحث في الارض) وكره مالك والشافعي تجصيص القبور وأجاز ذلك أبو حنيفة وكذلك كره قوم القعود عليها وقوم أجازوا ذلك وتأولوا النهي عن ذلك انه القعود عليها لحاجة الانسان والآثار الواردة في النهي عن ذلك منها حديث جابر بن عبد الله قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تجصيص القبور والكتابة عليها والجلوس عليها والبناء عليها ومنها حديث عمرو بن حزم قال رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبر فقال انزل عن القبر لا تؤذي صاحب القبر ولا يؤذيك. واحتج من أجاز القعود على القبر بما روى عن

زيد بن ثابت انه قال انما نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجلوس على القبور لحدث غائط او بول . قالوا ويؤيد ذلك ماروى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس على قبر يبول اليه او يتغوط فكأنما جلس على جمرة نار .والى هذا ذهب مالك وأبو حنيفة والشافعي اه

﴿ المورفين ﴾ هو جوهر ازوتي قلوي يستخلص من محلول الخلاصة المائية للافيون .او يقال هو قاعدة تستخرج من بعض النباتات الخشخاشية تكون خاصة على خواص الافيون القوية الفعل فتوجد في لافيون وفي خلاصة الخشخاش متحدة بحمض الميكونيك . اكتشف سنة (١٦٨٨) ولكنه لم يشرح شرحا وافيا الا في سنة(١٨٠٤) في رسالة قدمها العالم (سيجن) لمجمع العلماء الفرنسي . ثم أحسن درسه العالم (سرتونير) وهو أول من اكد قلويته الخاصة

وقد بحث عنه في خلاصة الخشخاش الاوربي فلم يوجد . ووجده العالم (وكلين) وسواه في حقاق الخشخاس الاسود والابيض حتى استخرجوا من الاوقية منها عشرة قمحات منه

وعلم من تحليل الكيماوي الانجليزي (انيل) ان الافيون الشرقي يحتوي على المورفين على نحو ١ على ١٤ من وزنه ويحتوي الافيون البلدي أي الاوروبي على ١٠ على ٢١ ويكون فيه متحداً بحمض الميكونيك

(صفاته الطبيعية) اذا كان المورفين نقيا كان ابراً منشورية شفافة ذوات سطحات أربعة مقطوعة بانحراف أو غير ذلك ولا رائحة له ولا طعم بسبب عدم قابليته الذوبان. ولكنه اذا اذيب كان محلوله شديد المرارة وهو لا يتغير من الهواء ولكنه يتدرب منه الحمض الكربوني

(صفاته الكيماوية) هو على رأي بلتيير دوماس مركب من ٧٢٫٠٢ من الكربون و٥٫٠٣ من الازوت و٧٫٠١ من الادروجين و١٤٫١٤ من الاوكسيجين وكل ١٠٠ منه تحتوي على ٦ وثلث من الماء وهو لا يكاد يذوب في الماء البارد ولا في الايثير وأما الماء المغلي فيذيب من وزنه ١ من ٩٢ ويتبلور منه بالتبريد وهو

يذوب في ٤٠ غراما من الكؤول البارد الخالي من الماء وفي ٣٠ غراما من الكؤول المثلي الخالي أيضا من الماء ويذوب في الزيوت الشحمية والطيارة ومحلوله الكؤولي يحمر شراب البنفسج ويحمر الكركم ويذوب المورفين أيضا في القلويات الكاوية وأوضح صفاته هو انه يذوب في الحمض النتري ويحمره بحمرة كحمرة الدم لكن ليس هذا وصفا خاصا به لان مثله في ذلك البرومين والاستركنين لكن على حسب تجربيات سيرولاس يكون الحمض يوديك هو الجوهر الكشاف له لانه يتحلل تركيبه به وبأملاحه فيأخذ أكسيجينه ويجعل اليود خالصا يتضح وجوده بواسطة جليدية النشا وبتصاعد رائحة يودية شديدة مع لون الحمض بالحمرة المسمرة والصبغة الكؤولية للمفص ترسب المرفين من جميع محلولاته ولو في الماء وان كان ذوبانه فيه يسيراً . واذا خلط المرفين بملح حديدي كثير الاوكسيجينية ككبريتات الحديد فان المخلوط يكتسب لونا جميلا أزرق يزول اذا أضيف له مقدار مفرط من حمض، ويظهر اذا حصل التشبع وينتج من هذا التفاعل كما قال بالتير كبريتات المرفين ومرفيت الحديد ويتحد هذا الجوهر بالحوامض فتتكون منه أملاح وتحت أملاح وأغلبها قابل التبلور وكلها صعبة ويتحلل تركيبها بالقلويات المعدنية وبموجب ذلك لا تجمع معها

(تحضير المورفين) يلزم قبل تحضيره أن يختار أفيونها ولا بأس أن يؤخذ أفيون أزمير أو القسطنطينية وأحسن من ذلك الافيون النقي الخالي من الغش اذا وجد ومن اللازم تجربته تجربة كيماوية ليتحقق المقدار الذي فيه من المورفين فاذا حصل من محلول الافيون راسب أبيض كثير بروح النوشادر رجي جودة النتائج وهناك طرق كثيرة لتحضيره وطريقة الدستور هي المختارة وهي في الحقيقة طريقة سرطرنير فيؤخذ من الافيون المظام ١٠٠٠ غرام ومن روح النوشادر السائل مقدار كاف فينزح من الافيون بالماء البارد جميع أجزائه القابلة للذوبان فيه ويغسل مثل هذا العلاج أربع مرات مع كونه يستعمل في كل مرة عشرة غرامات من الماء يجزء من الافيون فبذلك كاف اذا انتبه لنقع الافيون مدة ساعات وهرسه باليدين ثم ترشح السوائل ويبخر لترجع لربع حجمها

حينئذ يضاف لها من روح النوشادر مقدار يصير به السائل قلويا محسوساً ثم يترك مدة دقائق مع كونه محفوظا دائما فيه مقدار مفرط يسيراً من روح النوشادر فبالتبريد يرسب المورفين الذي لم يزل ملوثا وغير نقي على هيئة بلورات محببة تغسل بالماء البارد ويحول هذا المورفين الملون الي مسحوق وينقع في الكؤول الذي في ٢٤ درجة من مقياس سكرتيير أي ٦٠ من مقياس جيلوساك وبعد ١٢ ساعة من النقع يصفي منه السائل الكؤولي ثم يذاب في الكؤول المثلي الذي في ٢٣ درجة من مقياس كرتيير أي ٨٥ من مقياس جيلوساك فالمرفين الباقي يكون قد زال سابقا جزء عظيم من لونه بالكؤول البارد فيضاف المحلول قليل من الفحم الحيواني ويرشح فالمرفين يتبلور بالتبريد الي ابر عديمة اللون وبيان ذلك انه اذا عولج الافيون بالماء البارد اذاب ذلك الماء املاح المرفين والقودئين وجزءاً من التركونين وأما القواعد الأخر فلا تقبل الاذابة ولا توجد فيه مع أن بعضا منها ينجذب معه بمساعدة القواعد القابلة للاذابة فاذا عولج السائل بروح النوشادر فان ذلك الروح يرسب المورفين مع التركونين ويتكون منه مع الحمض ميكونيك وكبريتيك أملاح قابلة للاذابة ويترك في مياه الام القودئين في حالة ملح مزدوج قاعدته روح النوشادر والقودئين ثم الطبيئين والنرسئين والميكونين كالمواد الخلاصية واللونة والصمغية ثم أن المورفين اذا رسب يجذب معه اللونة والتركونين الذي يصحبه بمقدار يختلف عظمه في كل علاج ويكون على شكل راسب محبب لان الراسب يحصل على الحار فيوضع مقدار مفرط من النوشادر وليؤكد رسوب جميع المورفين ثم يغلى لأجل طرد هذا المقدار المفرط من روح النوشادر الذي يذيب جزءاً يسيراً من المورفين يبقى في مياه الام اذا لم يطرد المقدار المفرط من القلوي وغاية العلاج الاول الكؤولي فصل المورفين عن المادة الملونة ويستعمل الكؤول الذي في ٢٤ درجة من الكثافة لاجل أن لا يذوب الا ادني مقدار من المورفين حسب الامكان وغاية العلاج بالكؤول القوي هو فصل المورفين عن المواد الغير القابلة للاذابة في هذا الحامل وقد يصحبه في سير العملية والمورفين المنسال بذلك

يحتوى دائما على التركونين وأحسن الوسائط لاخلائه منه هو أن يعالج بالماء الذى يذيب التركونين وقليلا جداً من المورفين والأحسن أن يكون ملح مرفيق ويرسب بمقدار مفرط من البوطاس الكاوى فهذا يرسب أولا القاعدتين ولكن المقدار المفرط يذيب المورفين ويترك التركونين غير مذاب فاذا فصل هذا بالترشيح ثم اشبع السائل بحمض يذيب البوطاس والمورفين ثم صب عليه روح النوشادر فان المورفين يرسب حينئذ خالياً من التركونين فاذا اجتفى الراسب بعد غسله ثم جفف نيل بذلك المورفين نقياً . وقد تنوعت طرق تحضير المورفين تنوعا عظيما فروبكيت أبدل روح النوشادر بالمغنيسيا وارضى بعضهم بتقسيم النوشادر اللازم لترسيب المورفين الى مقدارين فنتيجة الاول فصل المادة النشوية التى لا تحتوى أحتواء محسوسا على المورفين وبعضهم عرض مذاب الافيون الى تخمير كؤلي وبعضهم عالج الافيون بالماء الحمض بالحمض اندروكاوريك وتقى السوائل بالفحم الحيواني ويمكن اناقة المورفين بدون استعمال الكؤول وبعضهم صير المورفين كبريتاتيا وازال لون الملح القابل للذبان بالفحم الحيواني وبعضهم أخذ الصبغة الكؤولية المصنوعة من خلاصة الافيون مقداراً من روح النوشادر ثم تركها ساكنة فبعد زمن ماتوجد جدران الاناء وعمقه منطاة ببلورات غليظة من المورفين

(التأثير والاستعمال) المورفين يؤثر على البنية الحيوانية تأثيراً مخدراً واضحا جدا اذ هو القاعدة القوية الفعالة للافيون وفيها منافعه بدون حصول اخطار منها كما قال ماجندى وما يقال في تلك القاعدة يقال مثله في املاحها التى تتكون منها ومن الحوامض وقلة ذوبانها في الماء لم تستعمل الا في تلك الاحوال الانفرادية فلا يستعمل وحده غالباً وانما المستعمل املاحها

وعلى رأى بالي هذا المورفين هو منشأ خواصها وليس أقل خاصية منها فيمكن انه يعطى مثلها في نفس الاحوال وبنفس المقادير اعنى في الاحوال التى يعطي فيها الافيون وفي الاختصار يظهر أن المورفين واملاحه ممتعة بخواص واحدة وبدرجة واحدة تقريباً فنقتصر هنا على ذكر الامتحضار والصفات لتلك الاملاح

(أملاح المورفين) هذه الاملاح يحصل فيها التفاعلات التى تحصل في المورفين بالحمض نتريك والحمض يوديك وأملاح الحديد الكثيرة الاوكسيجينية ومعظمها قابل التبلور وطعمها مر ويرسب فيها راسب بالكربونات القلوية ويذوب هذا الراسب بالمقدار المفرط من القلويات الكاوية ويرسب فيها راسب بالغفص والراسب يذوب ثانيا بالحوامض ويرسب فيها من يودور البوطاسيوم اليودورى راسب اصفر والراسب يتحول الى صفائح جميلة ارجوانية والمستعمل من تلك الاملاح في الطب هو ادور كلورات وكبريتات وخلات وسترات أى ليمونات المورفين

(الاول خلات المورفين) هو ملح متعادل ينتج من تأثير الحمض الخلي على المورفين

(صفاته الطبيعية) هو أبيض عديم الرائحة وطعمه شديد المرار وقابل جداً للتشرب الرطوبة وعسر التبلور ومع ذلك يمكن اناقته كتلا مبلورة مكونة من أبر بهيئة أشعة متباعدة عن بعضها

(صفاته الكيماوية) هو شديد الذوبان في الماء واذا سخن بقوة تحلل تركيبه وانتشرت منه رائحة مخصوصة كريهة جداً واذا عولج بالحمض الكبريتي المدود حصل منه بخار الحمض الخلي والجملة هو يحتوى على الخواص الاخر للمورفين

(تحضيره) يؤخذ من المورفين ١٠٠ غرام ومن الحمض الخلي مقدار كاف فيسحق المورفين سحقا ناعما ويضاف في مقدار كثير من الماء الحار ثم يصب عليه المقدار المراد اذابته فيه من الحمض الخلي ثم يبخر الكل على حراره هادئة الى الجفاف ثم تسحق الكتلة الباقية برمتج من زجاج أى يد هاون زجاجية مسخنة قليلا ويحفظ المسحوق في تنينة جيدة الجفاف وجيدة السد

(الاستعمال) أول من جرب استعمال هذا الملح ماجندى وذكر أنه أحسن من كبريتات المورفين الذى هو أحسن من مرياته أى كادروكاور أنه مع أن هذا مشكوك فيه الآن وبالجملة خواصه كخواص المورفين ولكنه يؤثر بقوة أسرع منه بسبب قابليته للذوبان وهو الآن كثير الاستعمال في الاحوال

التى تستعمل فيها الافيون ومركباته

(النترى كبريتات المورفين)هو ملح ناتج من فعل الحمض الكبريتى المضيف على المورفين

(صفاته الطبيعية)هو يتبلور الى ابر متضمة بعضها على هيئة شوش حريرية ولا يتغير من الماء وهو عديم الرائحة وطعمه شديد المرار

(صفاته الكيماوية)هو مركب من ١٠٠ غرام من المورفين و٤٦و١٢ من الحمض الكبريتى وذلك ماء التبلور وهو قابل الذوبان فى مقدار وزنه مرتين من الماء المقطر المغلى ويسهل تحليل تركيبه بفعل النار ويكتسب بذلك لونا احمر بنفسجيا ويصح أن يتحد بمقدار جديد من الحمض ليتكون من ذلك بيكبريتات وكل ١٠٠ من الكبريتات تحتوى على ٢٠ غراما من القاعدة ويمثل ذلك تقريبا من ماء التبلور فلا يكون المورفين فيه الا بمقدار ٢على ٥تقريبا

(الاجسام التى لاتتوافق معه)أغلب الاكاسيد المعدنية

(تحضيره) يؤخذ من المورفين ١٠٠ غرام ومن الحمض الكبريتى مقدار كاف فيسحق المورفين سحقا ناعما ثم يداف فى مقدار يسير من الماء الحار ثم يضاف له من الحمض الكبريتى الممدود مثله ٣ مرات او٤من الماء المقدار اللازم لاذابة المورفين ويبخر السائل على حرارة لطيفة حتى يكتسب قوام الشراب الصافى ثم يوضع فى محل رطب مدة٢٤ ساعةأو ٣٦ فكبريتات المورفين يتبلور الى الابر الحريرية البيض المتشعة والغالب انها تنضم الى نجوم او الى كتل حلمية فتترك لتنقط وتجفف بين ورقتين من أوراق الكرونة فى درجة حرارة من ٢٤ الى ٣٦

(الاستعمال)يستعمل فيه الكبريتات وفضله بالتيسير على الطلات لسهولة تبلوره وانالته نقيا ولذلك كثر الآن استعماله فى بلاد الانكليز والامريكان وفضله على بقية املاح المورفين جيرار الذى هو من جملة المجربين لمستحضرات تلك القاعدة

(الثالث ليبونات المورفين) الانجليز يون والامريكيون يستعملون هذا الملح كثيراً ويسمونه بالقطرات السود ويركبونه من حمض نباتى غير نقى(حمض ليبونى أوخسلى) وأفيون وقاعدة عطرية

وعسل أو سكر ويظن أن فيه الخواص الوحيدة المسكنة للافيون وسائل ليبونات المورفين الطبيب برنير مكون من ٤ أوقيات من الافيون الخام و٢ من الحمض الليموني المبلور محلولة فى لتر من الماء المغلى ثم يرشح بعد ٢٤ ساعة من تقعه ويقال ان فيه نفس منافع الافيون أعنى المودنوم بسرعة تأثيره أى فى ١٠ دقائق ومع ذلك عده بعض الاطباء أقل فاعلية من الافيون فى الدوسنطاريا وذلك المستحضر يحتوى على التركوتين ومقدار مفرط من الحمض وليس فى الحقيقة ملحا حقيقيا وأراد ماجندى ابداله بليسونات تقية مركبة من ١٦ قمحة من المورفين و٨ قمحات من الحمض الليموني المتبلور وأوقية من الماء المقطر الذى يذوبان قليلا ييسير من الدودة ويكون ذلك أكثر تسكينا بمقدار من ٦ نقط الى٢٤ نقطة تسمى ذلك بالنقط الوردية

(الرابع ادرو كلورات المورفين) هو ملح أكثر ذوبانا فى الماء من كبريتات المورفين ويذوب أيضاً فى الكؤول ويتبلور الى ابر مشعة شديدة المرار وكما يذوب جيداً فى الماء يذوب فى الكؤول ولكن استعماله فى الطب قليل وان كان شبيها بالكبريتات كما هو قريب المثل ومع ذلك خواصه كخواص الخلاصة الكثيرة الاستعمال الآن ومقاديره منه

(وأما ميكونات المورفين) فظن سوطرنير الذى يعتبر التركوتين تحت ميكونات المورفين أن هذا الملح قابل التبلور وقليل الذوبان فى الماء ولكن أثبت بالتجريبات رو بكيت الذى هو أول من حقق وجود قاعدتين مبلورتين متميزتين عن بعضهما فى الافيون وهما التركوتين والمورفين خلاف ذلك أى ان هذا الملح كثير الذوبان فى الماء وغير قابل التبلور وهو يتلون بمحلول بيروكسيد الحديد بالحمرة الشديدة واليه ينسب عموما خواص الافيون والجملة انه الى الآن غير مستعمل فى الطب

(النتائج الصحية للمورفين وأملاحه) قد كان المورفين معروفا قديما بأنه عديم الفعل واذا كان فى حالة مائية كان مهيجاً ولكن كان فى ذلك الزمن غير نقى أى مخلوطا بكثير من التركوتين وأما الآن فقد علم انه هو القاعدة المسكنة والمخدرة

التي في الافيون ومع ذلك لا تنسب له وحده الخواص الفعالة التي في تلك الخلاصة كما كان يظن سابقا وعورض ذلك بمناقضات كثيرة ويكفي لنقض ذلك مايشاهد من أن المرفين الذي هو كما سبق ١ على ١٤ تقريبا من الافيون يكون أقوى فاعلية بمرتين أو ٣ من الخلاصة المائية للافيون حتى ان أورفيلا ساوى بين فعل الاملاح الذاتية المرفين وفعل هذه الخلاصة . وأما بالي فجعل نسبة فعل المرفين للافيون الخام كنسبة أربعة لواحد . ومهما كان ينبغي أن تنسب خواص هذا الافيون لملح المرفين الذي هو قاعدة ديرزن المادة المخدرة التي يحتوي عليها الافيون وتتصاعد منه اذا قطر مع الماء وبموجب ذلك يكون فعل الافيون ناتجا من اجتماع فعل هذين معا وأول من جرب بفرنسا أملاح المرفين ماجندي فوجد فيها جميع منافع الافيون بدون أخطار أصلا وشاهد متابعوه أنها اذا أعطيت بمقدار يسير لم تنتج طلاء عجينيا على اللسان ولا قطعا للمواد المندفعة ولا عرقا ولا صداعا ولا امساكا مستعصياً وكثيراً ماتتحملها المرضى جيداً

مع ان الافيون يؤذيهم بل اعتبر بعضهم خلات المورفين أحسن من الافيون للمسلولين اذا كان قطعه قليل الاهتمام أي لا يخاف منه لان العادة أن يبدل العرق بالاسهال . وأما سندراس فاستنتج من مشاهداته ان المرفين لا يرجح على الافيون وفيه دائما الاخطار التي فيه ولا نقول شيئاً في الخاصة التي نسبها بلنان لخلات المرفين من كونه معدلا لليود وأسس ذلك على مشاهدة امرأة مصابة بغدة استيروسية ثديية واحتقان في الرحم ووجدت ضرراً من استعمال اليود وحده باستعمال مرهم مكون من أوقية من الشحم الحلو و ٦ قمحات من أول يودور الزئبق و ٨ قمحات من خلات المرفين وربما أيد ذلك أمر واقعي للطبيب جردنير وهو ان آفة تشنجية شديدة الثقل في المعدة والامعاء نشأت من استعمال غير قانوني لليود وشفيت من تأثير خلات المرفين وهناك مشاهدات تفيد أن هذا الجوهر مضاد للتسمم بجوز القيء بحيث ان قمحتين من هذا الملح وضعتا على محل نفاطة فأزالتا عوارض تيتنوسية نتجت من ذلك الجوز ولكن لا نعول

على النتائج العامة التي شاهدها بالي من المرفين وأملاحه حيث أعطاهما بدون تمييز بينهما لأكثر من ألف مريض وذكر أن هذه النتائج غير منازع فيها ومجردة من العوارض التي قد تنشأ من المقادير الزائدة عن العادة وعن التنوعات التي قد تتولد من الاستعدادات وطبيعة الامراض وتلك النتائج هي التأثرات الدوائية الحقيقية للمرفين فعلى رأي هذا الطبيب لاينتج المرفين أصلا جفافا في الفم ولا طلاء على اللسان ولا حرافة في الحلق ولا عطشا ولا تكدراً في الهضم ولو هيج المعدة كما يحصل كثيراً ويعلن بهذا التهيج جشاء وغثيان وأوجاع في القسم المعدي ثم قيء من مواد خضراء كرانية دائما وذلك يحوج لنقص مقدار الدواء أو قطع استعماله بالكلية. وفعله المقيء أوضح من فعل الافيون فقد يكفي لذلك قمحة في الابتداء وقمحتان يعطيان بعض أيام وهو يسبب الامساك أولا وكثيراً مايعرض بعد ذلك فيضان اسهالي وقتي وكثيراً ماتشاهد قولنجات كثيرة المدة وقد يعرض لكن على سبيل الندرة عسر بول بل احتباسه لكن بدون تغير فيه

ولا يحصل ذلك للنساء اصلا وذلك يحمل على ظن أن سبب ذلك في البروستتا لافي عنق المثانة وأما الاعضاء الصدرية فلا تتأثر من المرفين بل كونه مسكنا لمجموعه الشرياني أولى من كونه منبهاً له وقد يبطيء النبض ولايتحرض منه بواسير وليس مدراً للطمث ولا ينبه نزيفاً ولا عرقا ولا يزيد في الحرارة الموضعية أو العامة ولا يحدث تكدراً في التنفس ولا يسكن السعال تسكينا كافيا وربما نفع الربو العصبي ولا يشاهد من تأثيره تلون ولا حرارة في الوجه وان كانت الأعين أكثر لمعانا ولا اعراض اختناق وانما يعرض بعد بضعة أيام أكلان عام أو جزئي في الجلد يصحبه اندفاع ازرار صغيرة مخروطية قليلة البروز تارة حمراء وتارة عديمة اللون وتلك الظاهرة أي الأكلان مستدامة وتشاهد أحيانا مع الافيون ولا تشاهد أصلا مع التركوتين ونتائج المرفين وأملاحه على المخ هي العظيمة الاعتبار فمقدار من ثمن الى ربع من القمحة قد يحرص النوم ولا سيما في الفصول الممطرة ويندر أن يكون هذا النوم هادئا ولكن أغلب الاطباء لم يوافقوا بالي على ذلك

فاذا زيد المقدار نبه المخ وساعد على السكنة وعلى الازمة المخية فليس المرفين في الحقيقة مسببا لان النعاس الذى يسببه كثيرا ماتصحبه ظاهرات تنبه كصدر ودوار وأحلام مفزعة ورؤية مشرر وظلمة في العينين ودوى في الاذنين وانزعاج فجائي مع حس لغط في الرأس وتعرض تلك النتائج سريعا وتتقطع بنفسها فاذا زيد في المقدار أكثر مما سبق ظهرت أيضا ظاهرات غريبة وهي نعاس يتخللي أو صبات وعدم انتظام في المشى واهتزازات واضطرابات كاضطرابات الكهربائية واختلاط في الحواس ونحو ذلك ومع هذا لايحصل هذيان حقيقي ولا تغير في القوى العقلية وسوى ذلك خدر وضعف مصلي بدون عاهة في الحساسية وارتعاش وكثيراً مايظلم الابصار وتنقبض الحدقة بحسب مقدار الدواء وتلك صفة مخصوصة بهذا السم النباتي ولا تفقد الا نادرا ويحصل عكس ذلك في الحيوانات على حسب تجريبات أورفيلا وماجندى ودبوى فاذا أعطي الدواء حقنة لتنتج بحسب الظاهر اتساع الحدقة وهذه الظاهرات المذكورة التي هي أثر الفعل الفسيولوجي المرفين المستعمل في حالة المرض اما أن تكون موضعية أى حصلت بالمباشرة كالنعاس والقيء ونحو ذلك واما أن تكون ناشئة من السنبايا أى الاشتراك أوالامتصاص كاحتباس البول والأكلان والاعراض المخية وحقق أورفيلا من تجريباته أن المرفين النقي اذا أدخل وهو صلب في معدة الانسان أثر بقوة كتأثير خلات المرفين ورأى أنه يتحول الى ملح يذوب باتحاده مع الحوامض الموجودة في تجويف المعدة وعلم من الظاهرات أنه مشابه تقريبا للافيون في أفعاله فيسبب تغيرات في المخ وفي النخاعين ونتائج الخلات والكبريتات لاتختلف في كل ذلك من نتائج الافيون ويشتد تأثيرها على المخ اذا كان فيه تهيج أو التهاب أو كان مجلسا لنيبس جزئي أو انصباب دموى أو نحو ذلك كما تختلف أيضا تلك النتائج اذا كان في عضو مهم من الجسم آفة مرضية كما شوهد في امرأة مصابة بآفة في الرحم انه كان يحصل لها من استعمال قمحتين الى ٤٠ أمحة في اليوم من هذه الخلات اشتداد في الاعراض الرحية مع قلس كريه ثم نعاس مع أحلام رديئة وتظن أنها

سقطت من السماء الارض وتصير في حالة سكر مع دوار وقيء ولا تستشعر بالآلام التي كانت مع دائها القديم لانها مستورة بتكدر المخ ولا ننس أن فعل الافيون على الجزء الحي يكون بقوتين متضادتين احداهما منبهة والاخرى مسبتة وهنا كذلك فمن تأثير المنبهة تحصل نتائج التنبيه كامتلاء النبض وتلون الوجه والحركات التشنجية والقيء والعرق والاندفاع الجلدى ومن تأثير القوة المسبتة يحصل النوم والهبوط والخدر وعدم الاستشعار بالألم وبالجملة فالمرفين يحصل منه على حسب المقدار المستعمل جميع النتائج التي يمكن أن تحصل من عصارة الخشخاش أعنى نتائج مسكنة فقط نتائج مسكنة مخلوطة بنتائج منبهة بحسب الظاهر ونتائج منبهة فقط بدون حصول شيء من النتائج الاخر وسيأتي لنا ان التركوتين يؤثر في المراكز العصبية تأثيراً مخصوصا به فلا يكون الحاصل في تلك الاعضاء بمجرد تنبيه فقط فالمرفين ليس محتويا على القوة المسكنة الافيونية فقط فلا نجد فيه دائما صناعة الشفاء فاعلا توقف به حركة منخرمة أو تقطع به جذبا مؤلما أو نحو ذلك وانما المرفين كالافيون يغير الحالة الاعتيادية للمراكز العصبية وذلك التغيير بسبب ارتخاء نافعاً في المنسوجات المريضة فيبطيء الحركات وجذبات الحبيلات العصبية المولمة للألم ولكن قد يحصل مع ذلك ثقل في الرأس ودوران وأحلام وخدر واهتزازات تشنجية وقيء ونحو ذلك وتلك عوارض لا تنفك عن نقص الالم وانما هي مستنتجات مرتبطة ببعضها لا يمكن انفرادها عن الفعل العضوى الواحد فاذا وضع مثلا خلات المرفين على جزء متمر من البشرة نرى ان تأثيره ينقسم الى زمنين ففي الزمن الاول يحصل من التأثير الموضعي الوخز والالم الشديد وحس الاحتراق الذى يحرض الصياح والبكاء من أرقاء المزاج وفي الزمن الثاني يتأثر الجهاز العصبي من امتصاص الجوهر ويبتدىء تقريباً بعد الوضع بربع ساعة أو نصف ساعة فتنتج جميع الظاهرات التي يحرضها هذا الملح اذا استعمل من الباطن ولكن نتائج الوضع من الظاهر ليست دائمة الحصول فقد لا يمتص الجوهر أصلا أو لا يمتص بامتواء ولو فعل جميع ما يساعد

على الامتصاص ولم تعرض من ذلك ظاهرة قط يظن منها دخول الجوهر في دورة الدم بل قد يشاهد تخالف في المريض الواحد ففي يوم تظهر ظاهرات تدل على امتصاصه وفي اليوم التالي لا يظهر شيء وفي الثالث تظهر بعض ظاهرات

فيتضح من ذلك أن هذا الخلات قد ينفذ في دورة الدم فيؤثر في المراكز العصبية وقد لا يمتص الا بعضه وكثيراً مالا يمتص أصلا بل يبقى على الجلد المتعرى وربما نتج من ذلك أن الوضع من الظاهر على الادمة المتعرية غيرا كيدمع انه هو الكثير الاستعمال الآن وقد اشتهرت امثلة قليلة من ذلك فمن ذلك أمرأة عصبية استعملته مع النجاح ثم قطعت استعماله ثم عادت اليه لا على التدريج بعد انقطاع فأخذت نصف قحة فحصل لها في الليل كله اضطراب لا سكون نظنت عدم كفاية المقدار فاستعملت في الصباح ثلاثة أرباع قحة في مرة واحدة فبعد نصف ساعة حصلت العوارض المخية والعصبية مع نسب وعرق بارد وغثيان وقلس وانتفاخ في الوجه وسقوط في حالة عصبية ومكثت كذلك في هبوط زائد مدة ٣ أيام ولم تستعمل ذلك الا منقوعا مضاداً فنشنج محضا بعد ابتداء الاعراض بست ساعات وشوهد حصول مثل تلك الاعراض مع وضع نصف قحة فقط من الخلات في جرح كي . وأما ماجندى فلم يشاهد أن هذا الملح أنتج شيئا من هذه العوارض بل شك في الفعل الخطر للمرفين حيث قال أن ذلك لا يحصل الا بشرطين عظم المقدار جداً وعدم وجود القيء مع أن هذا ربما كان ضرراً فهو يعتبر هذا الملح أقل فاعلية مما يظن عموما . ولكن تجويبات بلي تفيد غير ذلك كما مر وأنه قد يحصل منه تأثير محزن وتقوى ذلك بمشاهدات حتى أن شفليير الاقرباذيني تجاسر وعرض نفسه لتأثير هذا الخلات ليشاهد نتائجه فاستعمله ٤ أيام متتابعة مبتدئا بربع قحة حتى وصل الى قحة وحصلت له الاعراض المتبعة مثل الصداع والعطش المحرق والفولنج والجذب في المعدة واتساع الحدقة وقوة النبض وتعب التنفس مع أوجاع في الصدر والبطن وطول السلسة ونوم شاق منقطع مفزع وتكسر في الاطراف وازرار محمرة بهيئة طفحات وفقد القوى العقلية

وتكسر في البول ولما وصل الى قحة اشتدت تلك الاعراض وصار النوم عميقا وبالجملة اذا استعملت أملاح المرفين بمقادير كبيرة أنتجت في الانسان العوارض التي يحدثها الافيون وسنأتي فنسبب أولا نقصاني الفعل المضرى ثم يقف مقدار كبير من الدم في المراكز العصبية فتتكدر القوى العقلية ويحصل هذيان واضطراب في التأثير العصبي يعرض انقباضات في العضلات نجانية وتشنجات وتيبسات في الاطراف ونوباتيتنوسية وكذلك انخزام في انقباضات القلب والحجاب والعضلات التنفسية وذلك يعرض القيء ونحوه ثم من تراكم الدم في المخ يحصل فيه مايسمي بالاحتقان الدموي فيعرض انتفاخ الوجه وانتفاخه بطء النبض وعدم انتظامه وفقد الحس والحركة ثم حالة سكتية ثم الموت . وأكد بعضهم أن هذه الاملاح لا يحصل منها في الحيوانات الا النوعان الاولان من النتائج ولا يتكون فيها الاحتقان الدموي المخي الذي يحدثه الافيون في الانسان ولعل ذلك لهيئة تشريحية في المخ تفيد اختلافا في نتائج الافيون اذا قوبل فيها الانسان بالحيوانات . وفي كتاب السموم لاورفيلا أن تأثير المرفين ومركباته أقل شدة على الحيوانات من تأثيرها على الانسان وأنزل جداً من فعل الافيون فالكلاب القوية تتحمل منها مقادير كبيرة بدون أن تموت وأما الكلاب الصغار سناً وقداً فتقتلها في بعض ساعات ٤٠ أو ٦٠ قحة مع أن ١٢ قحة من الخلاصة المائية للافيون تسبب للكلاب تسمما قويا وربما الموت والتأثر بها يكون واحدا تقريبا سواء أدخلت في الطرق الهضمية أو في الاوردة أو في المنسوج الخلوي أو وضعت على الاعصاب أو النخاع الشوكي أو المخ واذا حلت في الكوز بل كان فعلها أشد على الانسان ولعدم اعتياد الكلاب الكوز يحصل لها من هذا السائل وحده نتائج مهلكة واذا فتحت الجثة لا يوجد في التسمم الحاد تغير في القناة الهضمية ولا في أعضاء أخر أما في التسمم البطيء الحاصل من ازدياد كميات خلات المرفين كل يوم فانه يوجد التهاب في القناة الهضمية المعدية خصوصاً في مئة قرايط من ابتدائها وفي المستقيم وتوجد جميع الاعضاء لينة ضامرة وعلاج هذا النوع

من الامم مثل علاج التسمم بالافيون وهو أن يدنم الجوهر بالقهوة ثم تستعمل المشروبات الحمضة والمنقوع القوى للبن القهوة ثم المحولات والحقن المسهلة وسيما القصد اذا كان هناك احتقان مخي وهو آخر علاج يفعل واعتبر البير الايبا كاكوانا ومطبوخ القهوة قوي الفعل جداً وأما جعل بعضهم الحمض الخلي علاجاً ذاتيا لهذا التسمم فان المشاهدات تؤيد أن ذلك في الابتداء يزيد في العوارض

(الاستعمال العلاجي) يستعمل المرفين وأملاحه في الاحوال التي يستعمل فيها الافيون حتى في الاحوال التي لا يتحمل فيها هذا الجوهر واختصاصها بأمراض مخصوصة أقل من اختصاصها بالامراض كالآلام فهي الحقيقة اكثر استعمالاتها الحساسية العصبية والسهر والآفات المؤلمة من جميع الانواع فهي في ذلك انفع منه وتنال منها نتائج جيدة وأمثلة ذلك عند الاطباء كثيرة وسيما تجربيات بالي وما جندي وجيرار وغيرهم وأكثر استعمال المرفين واحسن منه لملاحه وضعاً على الادمة في الوجه الروماتزمي المزمن والاوجاع العصبية المختلفة الانواع كالآلام القطنية والنسائية حيث نال بالي من استعمالها في ذلك نتائج جليلة فجائية وباغ بعضهم بالكبة الى ٦ قمحات من الباطن في وجع عصبي قاس منقطع قوى الشدة فزال بذلك حالا . واستعمل جيرار وضم اخلات والكبريتات من الظاهر على الجلد ووجد فاعليها قويا بمقدار نصف قمحة الى قمحتين بل ٣ قمحات تزدرد من الباطن لتدخل في الطرق الاولي وشفي كثيراً بهذه الادوية من الباطن أوجاع عصبية وجيهة وأوجاع معدية مزمنة ونجح استعمال اخلات في آلام استيروس الرحم وفي الاوجاع التي تعلن في النساء بمجيء الحيض وشوهد أن مقداراً منه من قمحتين الى ٦ قامت في النفع مقام ٣٠ بل ٤٠ قمحة من الافيون في مصابة بسرطان رحمي مصحوب بأوجاع شديدة وأن صداعا مصحوبا بسهر شفي بمقدار من ثمن قمحة الي قمحة . وعلي رأي بكور انه اذا أعطى منه ربع قمحة كل ساعة في ملعقتين من ماء سكري في ابتداء الشقيقة فانه يقطع نوبها وحقق ذلك جملة من الاطباء واتفق أن مريضا كان

يحصل له عسر ازدراد مصحوب بتشنجات وفراق وفقد معرفة متى اراد أن يأكل ومكث على هذه الحالة خمسة عشر يوما فافاد ذلك لوضعين من نصف قمحة من كبريتات المرفين تحت الحنجرة على الادمة المتعرية وقد ذكرنا ان قمحتين وضعتا على غلطة فأبرأتا تيتنوسا نتج من استعمال جوز القيء وشوهد كثيراً شفاء تيتنوسات ناشئة من اسباب اخر كالفزع والاعمال الجراحية وشفي هذيان مهول قوى الشدة باستعمال ٨ قمحات قسمت اربع كيات وبالجملة ثبت بالتجربيات نفع اخلات في آفات عصبية مختلفة وفي التهابات مزمنة في الجهاز التنفسي والهضمي وثبت فعله المسكن في الآفات المزمنة في القلب وفي الاستعداد السرطاني ووجدوه أحسن من المستحضرات الافيونية الاخر في الآفات النزلية الصدر. وشفيت ايضا اوجاع بلوراوية بوضع نصف قمحة منه الي قمحتين على الادمة المارية من بشرتها . ونفع ايضا في اورميا الاورطي الصدرية المصحوبة بآلام وسهر فسكنت تلك الاعراض باستعماله ودمجه بعضهم في الازرقة الرحية وسيما المصحوبة بأوجاع في الرحم أي بعد استعمال القصد في الاول

(المركبات الافرباذيقية المرفين واملاحه) ينبغي ان يكون مقدار المرفين واملاحه في الابتداء من ثمن او ربع قمحة ونادراً نصف قمحة ويكرر حسب الحاجة مرتين او اكثر في اليوم والاعتياد لا يزيل من التأثير الا شيئا يسيرا كما شاهد ذلك ماجندي وبالي ولذا لا يزاد المقدار الا بعد كثير من الايام حتى يبلغ قمحة او قمحتين في اليوم مع الانتباه لنتائجه. وحبوب المرفين تتكون في العادة من سنتغرام واحد أو ٢ من المرفين او خلاته او ادروكارواته او كبريتاته ويقسم هذا المقدار في كية كافية من مادة لعابية ومسحوق عديم الفعل ومن حيث ان المرفين اقل ذوبانا من املاحه يكون تأثيره اقل شدة منها وكبريتات المرفين تسهل انالته نقيا فهو المختار في العادة ومع ذلك فقد يكون من النافع تغيير نتائج الاملاح بعضها ببعض اذا اعتادها المريض

وشراب للرفين يصنع بأخذ ٥٠٠ غرام من شراب السكر و ٢٠ سنتغرام من خلات المرفين فيصنع ذلك بمقتضى

الصناعة شرابا يمكن أن يقوم مع المنفعة مقام شراب الخشخاش والمقدار منه ملعقة قهوة في كل ٣ ساعات فاذا أبدل خلات المرفين بكبريتاته نيل شراب كبريتات المرفين الذى يستعمل كما ذكر . والجرعة المضادة الوجع المعدى (صندراس) تصنع بأخذ ٤ غراما من الماء و٥ غرامات من السكر و١٠ سنتغرام من كلورادرات المرفين ويستعمل من ذلك ملعقة قهوة متى استشعر بالوجع وبجدد استعمال تلك الملعقة كثيراً أو قليلا على حسب شدة الوجع وتقله عند الاحتياج الى أن تفرغ الجرعة مع ان الغالب سكون الوجع وخلاص المريض من الداء بعد استعمال بعض ملاعق وبين كل ملعقة واختها ١٠ دقائق . ومرهم المرفين يصنع بأخذ ديسيغرام واحد من كلورادرات المرفين و٦ غرامات من الشحم الخلو البلسمي بزجان ويدلك به الجزء المتألم وهذه الواسطة مستعملة في معظم الاوجاع العصبية عند صندراس واستظهر انها اما مساعد قوى المرفين او قائمة مقامه في الوضع على البشرة المتمرية ولما حصل من استعمال هذا المرهم نجاح عظيم بوضعه على اجزاء الوجه المتألمة بالاوجاع العصبية التي مجلسها في الزوج الخامس وكذا على مسير العصب النسوى في اوجاعه العصبية وعلى القسم القلبي في الاوجاع العصبية التي تحصل في القلب وعلى مسير الاعصاب التي بين الاضلاع اذا كانت تلك الاعصاب مجلداً لها وعلى القسم القدمي أو الاربي أو المعدى اذا لزم الوضع على تلك الاقسام

(الخلاصة الطبية)

﴿ المورو ﴾ هو نوع من السمك يستخرج من كبده الزيت المعروف بزيت السمك وهذا الزيت لشيوعه نرى ان نتقل هنا عنه ماذكرته المادة الطبية فقد جمت خواصه فأومت بما يهم معرفته والاطالة في هذا الموضوع خير من الايجاز :

قد يقال له أيضاً دهن كبد مورو بضم الميم والراء وهو دهن يستخرج من كبد حيوان بحرى يقال له بالافرنجية مورو وبالسان الطبيعى غادوس مورو وقد يقال مرلوسيوس بكسر الميم وكما يستخرج من كبد مورو يستخرج أيضا من كبد انواع أخرى من جنس غادوس مثل كبد السمك المسمى بالافرنجية ريه

بفتح الراء وبالسان الطبيعى رايابستاكا وجنس غادوس يحتوى على انواع كثيرة يقل الاهتمام بها في الطب وانما المهم منها فيه هذا الحيوان المسمى مورو والنوع المسمى مرلان اى البورى المهم في المأكل وتعيش تلك الحيوانات في أوقيانوس متجمعة مع بعضها فتكون في البحر بهيئة قطائع وهي جزء مهم من صيد السمك لحمها ابيض مورق وصليبة غالبا واللذيذة في المأكل والنوع الذى نحن بصدد دهنه سمك يطول جثة اقدام ويسكن بالاكثر البحر الشمالي وسيما صخور الارض الجديدة التى هى جزيرة بأمريكا الشمالية حيث يصاد بكثرة ويكون للارلنديين غذاء اعتياديا كما يكون لغيرهم من الاغذية العظيمة النفع واذا كان طريا صمي ايضاً بالافرنجية قابليو ويسمي بذلك عند المولنديين وهو جيد للاكل واذا جفف وملح كان في الغالب قشريا غير الهضم غالبا ولكنه نافع واذا قلل ملحه ولطف بالزيد الطرى ونحوه كان قاعدة لمآكل فاخرة يستل عنها . وجلده دسم الذيذ الطعم وكبده جيدة المأكل وكانوا سابقا يستعملون مسحوق اسنانه والحجارة التى في رأسه بمقدار من ١٠ قمحات الى ٣٠ كدواء ماص نافع للصرع والاسهال وصلاموريه كدواء محلل ومجفف اذا وضعت من الظاهر وكلين لطيف اذا اعطيت حقنة ولكن النافع منه الآن بالنظر للعلاجي دهن كباره وهو المهم لنا وكما يسمي دهن كبد السمك وهو غير الدهن الاعتيادى للسمك الذى يفتش بمغيره من الادهان

(تحضير هذا الدهن وصفاته)

تستخرج اكباد تلك الاسماك بعد صيدها وتلقى في دنان معرضة للشمس فتسيل منها دهن صاف قليل الرائحة يستل عنه في المتجر ولكن خاصته الدوائية قليلة بل معدومة ثم يحصل في تلك الاكباد بعض تعفن وينفصل منها مقدار جديد من دهن أصفر شفاف طعمه سمكي واذا ازدرد حدث عنه احساس غص في عمق الحلق فهذا نوع ثان معروف أيضاً في المتجر وهو في الطب اقوى فاعلية من الاول ويتم استخراج الدهن بالماء هذه الاكباد المتعفنة في طنجير من مخلوط المعادن وينفصل منها بالغلي ودهن ذلك اصفر فيه بعض شفافية ورائحته

صمكية كريهة شياطية وطعمه حريف قوى وهذا هو الذى يلزم استعماله في الطب دون غيره من الصنفين الآخرين ولكن بعد اجتنائه منعزلا عن الحبوب التى تتكون من المواد الازوتية يلقى على خرقة أو منخل من الصوف فاذا سال معظمه يضغط على ما في منخل الصوف بملوق ثم يترك بعد ٢٤ ساعة والدهن المنال بذلك حيث لم يبق فيه ماء يترك ونفسه بعض ايام لترسب منه مادة بيضاء متجمدة فاذا انقطع الراسب يرشح ويحفظ للاستعمال واكباد السمك المسمى ريه يخرج منها اكثر من ربع وزنها زيتا مرشحا واذا فعل الطبخ من أول الامر في الاكباد كان المجهز منها اصفر ذهبيا ورائحته كرائحة دهن القيطاس أى البالين أو السردين الطرى وبالجملة فالزيت الموجود بالمتجر ثخين اسمر وثقله الخاص ٩٢٨ ر٠ واذا سخن الى ١٥٠ درجة لم يتحلل تركيبه واذا نزلت حرارته الى ١٥ تحت الصفر لم يرسب منه راسب كما قال بردير

(صفاته الكيماوية) هو مركب من ١٣٠ ر٠ من راتينج رخو اسمر يذوب في الاثير و ١٥٦ ر٠ من راتينج صلب اسود و ٩٣٦ ر٠ من الهلام و ٠ ر ٩٥ من الحمض اونتيك أى الدهنى و ٠٠ر٨ من الحمض مرجريك أى اللؤلؤى و ٠ ر ١٨ من جليسرين و ٠ ر ٢٥ من مادة ملونة ويحتوى ماعدا ذلك على يود لكن بمقدار يسير فقد استخرج من لتر من دهن مورو ١٥ سنتغراما من يودور البوطاسيوم ومن دهن ريه ١٨ سنتغراما. انتهى من بوشرده وقال تروسو توهم الطبيب (كاب) سابقا وجود اليود في هذا الدهن فترجى مبنير الاقرباذينى بمدينة اورم أن يحقق ذلك فحصلت التجربة بالكيفية الآتية وذلك انه اخذ رطلا من دهن اكباد هذه الحيوانات الذى هو اصفر مسمر محمر وصوبنه بمحلول الصودا الكاوى المفرط المقدار ثم كرين الصابون المنال وغسل الفضلة غسلا قلويا ثم اضيف للمحلول الحمض الكبريتى لكن لم يصل به الى الشبع التام ثم بلور كبريتات الصودا وبخرت مياه الام الى الجفاف ووضعت الفضلة في قنينة صغيرة مع يسير من الماء واضيف لها الحمض الكبريتى المركز مع يسير من بيروكسيد المنقنيز فحينئذ اخذت ورقة

منشاة وثبتت في السدادة فتلونت بزرقة جميلة وعولج جزء آخر من الفضلة بالنشا والحمض النترى فحصل منه أيضا يودور النشا الازرق ونتج من عمل آخر ان الدهن القاتم اللون يحتوى على يود ازيد بقليل من الدهن الزاهي اللون . وتبحث عن قريب في الدهن المسمى دهن برجان بكسر الباء المأخوذ من انواع مختلفة من جنس غادوس فعلم ان دهن مورو هو الاحسن والاكثر فنتج مما ذكر ان لهذا الدهن ٣ اصناف الدهن الابيض الذى ينفصل بنفسه من الاكباد المتراكمة في الدنان والدهن الاسمر الذى ينفصل فيما بعد والدهن الاسود الذى يسبح على سطح الماء الذى غليت فيه الاكباد الذى تجهز منها قبل ذلك الدهن الابيض والدهن الاسمر . انتهى وقال ميره في الذيل ذكر هوس ان الاجود هو الاسود وان الابيض عديم الفعل وان الاسمر فيه بعض خواص ولكن لا تبلغ خواص الاسود انتهى . وفي تروسو ان الاصناف الثلاثة حللت تحليلا كيماويا ونتج من تلك التحاليل ان دهن الاكباد بقطع النظر عن اجسامه الدسمة ومواده الصفراء التى يتكون منها اعظم جزء منه ومن اليود الذى انكشف فيه من زمن طويل يحتوى على كلور وبروم وفصفور ومن وجود هذه الاجسام الثلاثة التى لها خواص قوية يتضح لنا التأثير الخاص لهذه الادهان في بعض الامراض وكان ذلك التأثير منسوبا قديما لليود ولكن لا ينبغي ان ينسب له وحده وانما الفعل الجليل المخصوص بهذه الادهان في لين السلسلة ينسب للفصفور كما هو قريب للعقل وثبت من التحاليل الجديدة القواعد الفعالة وهى اليود والفصفور وغير ذلك تكون في الدهن الاسود بمقدار اكبر مما في النوعين الآخرين وان هذا الاسود يحتوى خلاف هذا على مقدار يسير من الحديد وبالجملة أستحق دهن مورو ان يعد الآن من الجواهر الدوائية التى تذكر في المادة الطبية

(التأثير الصحي) علم من ٧١ مشاهدة استخرج رستير نتائجها انه شوهد غثيان في ٣ اجوال وقيء في ٣ ايضا وحصل في حالة واحدة فقد شهية وحس احتراق وشوهد نقص الشهية في المصابين بلين السلسلة وشوهد في ١٧ زيادة استفراغ

معوى وفي مزيادة افراز بولى مع رسوب
فيه وشوهد ايضا فيضان طمثى وفي ١٢
تعريق وأحيانا ظهرت رائحة الدهن
في العروق وفي ٧ حرارة في الجسم يسبقها
احيانا اكلان محرق في الجلد واحيانا اخر
اندفاع نكث صغيرة حمر مع اكلان وبالجملة
فالتأثير الصحي قليل

(التأثير العلاجي) تأثير هذا الدواء
في داء السلسلة واضح بحيث يستحق ان
يأخذ له محلا جليلا في صناعة العلاج
فقد اتفق ان طفلا عمره سنتان لانت
سلسلته فاستعمل في الصباح وفي المساء
نصف ملعقة من الدهن وتم شفاؤه حينما
استكمل ٥٠٠ غراما وطفل آخر كذلك شفي
بعد استكمال ٣٠٠ غرام وتكررت امثلة
من ذلك في الصغار وكان مقدار ما يستعملون
من نصف ملعقة الى ملعقة من هذا
الدهن وليس ظهور فاعلية الدواء من
تغيير التدبير الغذائي او دخول الفصل
الجيد او ابتداء دور النمو والغالب ظهور
الجودة بعد اسبوع او اسبوعين من
استعماله فالاسنان تنظف وتنصلب بعد
اسودادها وتحركها وتبتدىء الاطفال
في استمساك الساقين بل يمشون اذ
كانوا في سن المشي وتحسن حالة عضلهم
وتصير ايدانهم اكثر ارتخاء وسيا في
القسم الكبدي ويزول منهم الجوع الكلبي
او فقد الشهية الذي كان مع حموضة المعدة
ويعود الشكل الطبيعي للاضلاع التي كانت
ملتوية . واشتهرت مشاهدات كثيرة
في بلاد النمسا من هذا القبيل حتى في
البالغين . وأعاد تروسو تلك
التجربيات فأكد انه يؤثر تأثيرا سريعا
نافعا في الاطفال المصابين بذلك وقال
نجاحا بسرعة كانت غير مؤملة . قال
وشاهدنا احيانا بعد اربعة ايام او خمسة
من العلاج قطع الارجاع الحادة التي تكون
مع الاطفال في جميع اطرافهم وكثيراً ما
اكتسبت العظام التي كانت سهلة الانثناء
من اللين صلابة عظيمة بعد خمسة عشر
يوما واتفق ان امرأة مصابة بلين العظام
في اعلى درجة ولا يمكنها ان تحرك طرفا
من اطرافها ان هيكلها رجع لصلابته
ومتانته بعد شهرين من العلاج وصارت
ممتعة بصحة جيدة قال وقبل ان تعتاد
على ممارسة امراض الاطفال وتشخيصها
كان يشتبه علينا كما كان يشتبه على غيرنا
داء السلسلة بالخنازير مع ان داء الخنازير

كثيراً ما ينضح بآفات درنية وأما لين
السلسلة فلا تظهر فيه درنات أو أقله ان
مصاحبته لذلك نادرة على أن هذه
التوفات العارضية توجد في معظم
الاطفال الذين يموتون بمرض مزمن . وكان
يشتبه علينا أيضا مرضان متميزان عن
بعضهما أحدهما الاستحالة الدرنية في العقد
المارياقية والاستسقاء الصباتوي أي
الاشتراكي لداء السلسلة فمن المهم أن
يعرف ان أغلب الاطفال المصابين
بالراشيتس يعظم فيهم الكبد ويحصل في
بريتونيهم انصباب مصل يكون في الغالب
كثيراً وذلك الانصباب يمتص مواده
بأسهل وجه . مع شفاء داء السلسلة ويظن
الاطباء الغير المجربين انهم أبرأوا بدهن
مورو هذا الداء المهول الذي يندر شفاؤه
أي الاستسقاء البريتوني . ويقول أيضاً ان
الراشيتس داء يبتدىء غالبا في خلال
السنة الثانية من الحياة وأما الاستحالة
الدرنية المارياقية فهي آفة نادرة في
الاطفال الرضع بحيث نكاد لا نشاهد
بالمارستانات مدة سنين فلا يفتح فيها
الا جثة طفل أو طفلين مانا بداء المارياقا
اي استحالتها الدرنية ونحن ما أردنا
بذلك المنازعة في منفعة هذا الدهن في
علاج الخنازير الحقق فانا نعلم انه شفي به
عقد محققة جداً درنية اي باستعمال مقادير
كبيرة منه اي من ٢ الي ٣٠ غراما في
اليوم ولما نجح على يد كثير شفاء الخنازير
المعتدية بهذا الدواء تجاسروا على تجربته
في داء اقل جداً من الاستعداد
الخنازيري وهو السل الرئوي فكان يرير
من اشد الناس حماية لذلك التداوي
وعرض لديوان الداء مؤلفا نسب فيه
له أحوالا كثيرة من الشفاء . قال تروسو
وقد أعدنا كثيرا تجربياته فوجدناه في
معظم الاحوال عديم النفع كثير من
المداواة التجربية والمعقولة التي تستعمل
كل يوم في هذا السل . وأما نفعه في
الرومانزم المزمن فلم يتوافقوا عليه مع
أن مشاهدات سنك تفيد نفعه في ذلك
نفعا جليلا لكن تلك المشاهدات التي
ذكر أن موضوعها داء رومانزمي ربما
كان موضوعها أمراضا في النخاع والعمود
الفقري لا أوجاعا رومانزمية حقيقية . على
ان أحوالا من البربليجيا المؤلمة (أي شلل
ما هو أسفل الحجاب الحاجز) مني مكثت
مدة سنين وأحوالا من عرق النسا المفرد

أو المزدوج الثانوي كما هو قريب المثل من مرض في طرف النخاع الفقري انقادت مرة بما لتأثير هذا الدهن بعد ان كان غيره من الادوية عديم النفع وذكرت مشاهدات تثبت فاعليته في الامراض المزمنة او الخنازير في المجموع العظمي لكن في كثير من الاحوال قد تزيد الاوجاع الروماتزمية من الكيات الاولي وبالجملة حصلت منازعات بين الاطباء في هذا الدهن فأنكر كثير من أطباء الباجيق والنمسا خواصه الدوائية وقالوا ان منه في الخواص الدهن المسمي في المتجر بدهن السمك المستخرج من الاسماك القشرية الكبيرة واستحسن هذا الرأى بريطونو وأمر لمرضاه بدهن القيطس او دهن السمك بدون فرق بينهما . ويقال انه نال من ذلك نجاحا واستعاض دبواس عن دهن مورو بدهن الخشخاش المأكول واستعمل دهن الترنتل في ١٤ من الراشيتس وفي ١٠ من أمراض خنازيرية مختلفة ولكن نتائجه لم تكن انفع من نتائج دهن مورو وأمر بوقان في احوال من الآفات الخنازيرية كالتيبسات العقدية والقروح الخنازيرية وانتفاخ العظام مع تسوس أو بدونه باستعمال شحم الخنزير وأعطاه المرضي على الخواء بمقدار ٨ غرامات وبعد الازدراد حالا يأكل المريض في أى شوربة كانت الجزء الشحمي الذى سال من الشحم بفعل الحرارة وبعد ساعة يستعمل طاس قهوة مع شقق من الخبز مدهونة بالزبد فاذا كان الداء خفيفا كفي ٤ اسابيع او ٦ لاتمام الشفاء واذا كانت الاعراض ثقيلة أدمن استعمال ذلك ٣ أشهر ». الى أن قال بعد ذكر امكان مساعدة فعل الزيت بأكل اللحم وهو رأى قد ظهر بطلانه . وجرب بوير في كثير من الامراض أدهانا مختلفة الانواع كزيت الزيتون وزيت الخشاش وزيت الكتان وزيت السمك وتلك الزيوت لم تستعمل الا من الظاهر دلكا على جميع سطح الجسم بواسطة اسفنجة رقيقة فتسخن تسخينا لطيفا وتفعل الدلكات عادة في المساء ثم يلف المريض في رداء من الصوف ويترك كذلك مدة ساعتين وأول ظاهرة تشاهد حينئذ عرق كثير ينتشر على سطح الجسم وكثيراً مايصحب ذلك في الاطفال اندفاع شبيه

في النظر بالحمرة . والنتيجة الثانية العظيمة الاعتبار هي سكون المجموع العصبي الذى لايلبث قليلا حتى يظهر بنوم هادىء عميق . والنتيجة الثالثة هي ازدياد جميع الافرازات وسهولة النفث أى التنخم وكثرة البول وفاعلية جيدة في وظائف الكبد . وآخر النتائج هو ما يشاهد مرارا في الاطفال وهو ان البراز الذى كان أخضر حفي الرائحة يصير أصفر في منظره الاعتيادى . فان يصح ان تؤول نتيجة جيدة في الدلكات الزيتية في جميع الآفات والاوجاع العصبية والتشنجات والروماتزمات ونحو ذلك حيث يتكون من الظاهرات المذكورة دلالات رديئة على الحالة المرضية وماعدا ذلك يصح أن يعتبر الدهن دواء ذا تأثيا حقيقيا للامراض التي طبيعتها خنازيرية وتلك الدعوى مبنية على تجريبات عديدة فعلها الطبيب المذكور في أشكال مختلفة من الآفات الدرنية ويظهر منها أن الدلكات الدهنية تؤثر في الاحوال التي من هذا النوع بأن تصير الهضم الاثنى عشرى أقوى فاعلية ويزيد في مقدار الكيلوس ويجعل البنية في أحوال مخالفة للاحوال التي تبين على ظهور الخنازير وينبغي ان يعلم ان استعمال هذا الدهن سواء من الباطن او الظاهر لايخلو من أخطار فاذا دخل في المعدة خيف من القرف وهضم الهضم واستحاله للكايلوث الطرق والملابس ومع ذلك قد يكون تحمل القذارة بالاستعمال من الظاهر أسهل مما ينتج من الازدراد ولقد كانت تجريبات بريركلها بالدلكات ويمكن في الاحوال التي كانت منشأ المرض فيها الارتفاع اجزئيا الى الباطن او غيبوبة مرض خنازيرى أن الدلكات تعيد الآفة الجلد بعد أن يجرب غيرها من الوسائط بدون منفعة ونال بريركر نتيجة واضحة في حالتين من الاندفاع القوباوى في البالغين الذين كانوا عرضوا المعالجات أخر وكذا في حالتين من السل الدرني المؤكد مع حمي دقيقة في احداهما فساعدته المقادير على شفائهما بذلك في زمن يسير ومع ذلك اعترف بانه يلزم في هذا الداء المهول اعادة التجريبات وكان في الاحوال التي من هذا القبيل لم يقتصر على استعمال الزيت من طريق الدلك بل أمر ايضا باستعماله حقنا مع

امتشاق الابخرة الزيتية المحلقة بأجزاء الهواء المحيط بالجسم. قال نروسو وهذا غير معلوم لنا اذ لايخفى ثبات هذه الاجسام أى الزيوت وامتداد النجاح مع هذا الطبيب للاستسقاء الحاد في الاطفال المحتضرين فاستعمل اولا العلاج الاعتيادى المعقول لهذا الداء منفردا مع الزيت ثم استعمل هذا الجوهر الاخير وحده من ابتداء العلاج الى انقطاع العوارض انقطاعا تاما . انتهى . فتلخص مما ذكرنا أن هذا الدهن قوى التنبيه يستعمل علاجا لين السلسلة والاورام البيض وتسوس العظام الحاصل من آفة خنازيرية وجميع الآفات الخنازيرية والدرن والروماتزم المفصلي وبقية الاوجاع الروماتزمية والنقرسية والامساك المستعصي وحبس البول ولكن شهرته الكبيرة في لين السلسلة والعظام فبتقويته يقهر اللين . ومدحوه ايضا لازالة نكت القرنية واستعملوه حقنا علاجا للديدان المعوية

(المقدار وكيفية الاستعمال) هذا الدهن يمزج عادة بشراب او بمربي للاطفال الذين عمرهم سنة او سنتان والمقدار من غرام الى ١٠ ولم يجاوز نروسي هذا المقدار ولكن يزاد للمتقدمين في السن وقد تكرهه الاطفال في اليومين او الثلاثة الاول ثم يستطعمونه بل يتطلبونه وهناك من يرفض تعاطيه . واما القيئان والقيء والاسهال التي قد تسببها المقادير الاول فتزول بنفسها. ولكن هناك عارض متعب وهو الاندفاع الاجزتياوى او الحوصلي الذى يحصل منه للاطفال أكلان شديد ويدوم ذلك مدة استعمال الدواء والمقدار منه للاستعمال من الباطن خالصا من نصف ملعقة قهوة الى ملعقتي فم او ٣ تكرر مرتين في اليوم ويستعمل بعد كل مرة قليل من منقوع القهوة او كاس من منقوع عطرى ثم تعتاد المرضى على طعمه بعد كراهتهم له . ويستعمل ايضا من الظاهر خالصا دلكات تكرر مرتين او ٣ في اليوم على محل الآفة ويوضع منه نقط بين الاجفان في امراض العين . انتهى بوشردة. وقال مجره يعطى من الباطن في اليوم بمقدار من ٣ ملاعق الى ٤ من ملاعق الفم البالغين ومثل ذلك العدد من ملاعق القهوة للاطفال ويمزج لهم شراب او لبوق أبيض بحيث تأخذه الاطفال مع اللذة . اما البالغين فمن حيث

انه قد يسبب قلسا كريها ينبغي مضمضة الفم بعد ازدراده ومضغ بعض خبز أو تعاطى بعض اجسام عطرية أو روحية بمقدار يسير . وقال انه كثيراً مايجمع للاطفال مع تحت كربونات البوطاس وقليل من دهن طيار . انتهى ثم انهم ادخلوه في مركبات وجعلوه أساسا لها وخصوصا في الاستعمال من الداخل لاجل اخفاء طعمه فصابون دهن كبد مورو يصنع بأخذ ٦٠٠ غرام من دهن مورو و ٨٠ غراما من الصود الكاوى و ٢٠ غراما من الماء يذاب الصود في الماء ثم يمزج حسب الصناعة المحلول مع الدهن ويصح أن يستعمل ذلك الصابون بكيفية استعمال الصوفات ويخدم التغيير على الجروح لانه غير قلوى وكل ٨ غرامات منه تحتوى على ٥ غرامات ونصف من الزيت . وصوبنة يودور البوطاسيوم مع صابون دهن مورو تصنع بأخذ ٤ غرامات من يودور البوطاسيوم و ٤ غرامات من الماء العام و ٣٠ غراما من صابون دهن مورو تمزج حسب الصناعة بحيث ينال من ذلك مخلوط متجانس الطبيعة جيداً . وبلسم دهن مورو يصنع بأخذ ٦٠ غراما من كل من صابون دهن مورو ومن الكحول الذى في ٩٠ من القياس المئيني لجيلوساك يذاب الصابون في الكحول على درجة حمام مارية ثم يصب المحلول في قناني بلسم أو بودلوك تسد بعد ذلك مع الانتباه فانسان وثلاثون غراما من هذا البلسم تحتوى على ١١ غراما من دهن كبد مورو وحبوب صابون دهن كبد مورو يصنع بأخذ ١٠ غرامات من صابون كبد مور ويحبب الصابون في مسحوق صمغ الكثيراء ثم يقسم حسب الصناعة ٢٠ حبة متساوية تستر بحتها بتغطيتها بطبقتين متواليتين من عسل وصمغ فلاجل ذلك يذاب على الحرارة ٦٠ جزأ في الوزن من عسل أبيض صاب في ٦ اجزاء من الماء ويستخدم المحلول المنال لاجل تندية سطح الحبوب ثم تترك هذه الحبوب لتسقط على مسحوق صمغ الكثيرا فاذا انفلت بالمناسب في هذا المسحوق تترك ونفسها حتى تجف ثم تعالج مرة ثانية بالكيفية التي ذكرناها بالماء المعسل ومسحوق الصمغ وهاتان الطبقتان تكفيان لمنع الرائحة والطعم الخاصين بالصابون بحيث لاتدركهما

حاسة الشم ولا حاسة الذوق في المريض وكل حبة من تلك الحبوب يوجد فيها ٤٠ سنتغراما من الصابون وتحتوى على ٢٧٥ مليغرام من الدهن وجرعة دهن مورو تصنع بأخذ ٩٠ غراما من الدهن و ١٥ غراما من الصمغ العربي و ٦٠ من كل من الماء ومن شراب الافيون تمزج حسب الصناعة. واستعمل رايبر هذه الجرعة ٤ ايام بثلاث كميات علاجا للالتهابات الرئوية المزمنة والمعدية المزمنة وشراب دهن مورو يصنع بأخذ ١٢ جزء من السكر وجزء من كل من اللوز المر ومسحوق الصمغ و٢ من الدهن و ٦ من الماء النقي يجروش اللوز مع الصمغ ويقصر السكر ثم يضاف له شيئا فشيئا الدهن مخلوطا قبل ذلك بالماء ويصول ذلك زمنا طويلا ثم يضاف له شيئا فشيئا باقي الماء اللازم دخوله في الشراب ثم يصفي السائل المستحلب ثم يذاب السكر على حرارة لاتجاوز ٤٠ مئينية لاجل التحرس من تجمد الجزء الزلالي الذي في اللوز . ومرهم دهن مورو يصنع بأخذ ٢ جزء من خلاصة الهباب ومثلها من دهن مورو وجزء من المرهم اليموني و ٤٨ من نخاع العجول تمزج حسب الصناعة . واستعمله قارون في بعض الارماد المزمنة . ومرهم آخر يصنع بأخذ ١٥ جزء من الدهن و٨ من تحت خلات الرصاص الذائب و ٢ من مح البيض يمزج ذلك ويستعمل في التغيير على الجروح الخنازيرية التابعية وفي التهاب وتقرح العقد الينفاوية

﴿ الموز ﴾ جاء في كتاب الزراعة المصرية التي أصدرته الحكومة

يطلق اسم الموز والطلح في كثير من البلاد على نوع واحد من الفاكهة بلا تمييز الا اذا دققنا في القول فان الطلح يطلق على النبات الكبير ذي الثمر الاطول والاصلب والاقل عطراً عادة ولبه نشوى اما الموز فانه متى نضج يكون اكثر سكرا وأقل نشاء وأطيب رائحة

ويزرع في مصر كل من الموز والطلح فأما الموز فمنه نوعان احدهما الموز الحقيقي والموز الصيني

وهناك انواع اخرى منه مثل النوع المسمي انست والنوع المسمي رؤساسيا الا أن هذين النوعين يزرعان بقصد الزينة لحسن أوراقها والموز من بين

النباتات الحشيشية الغزيرة الكثيرة الانتشار في الاقاليم الحارة والتي تليها التي تستدعي عادة التفاتا خصوصيا لانه من الامثال العجيبة التي تدل على فخار المزروعات في الاقاليم الحارة ومع ذلك فهذا الشجر الشبيه بالنخل ليس خاصا بالاقاليم الحارة بل هو ايضاً في كثير من الممالك الاقل حرارة في كل من نصف الكرة فانه يزرع في أنحاء منطقة عظيمة ممتدة بين درجات العرض ٣٧ او ٣٨ شمالا و ٣٥ جنوبا ولو ان زراعته ليست متواصلة

وليس لهذه الفاكهة في افريقا اهمية تضاهي أهميتها في آسيا وامريكا الا في غينيا وجزائر كناريا وجزائر مادير وجزائر مدغشقر حيث يزرع كثير من الموز الوطني

ولا يوجد الموز على الشواطيء الشرقية الا قليلا في الحبشة والنوبة ومصر ويوجد أيضا في الجزء الشمالي من افريقا حيث ادخل زراعته العرب الا انهم لم يعتنوا اعتناء عظيما أبداً بهذه الزراعة. اما في أوربا فان زراعته خاصة بالجنوب وعلى الاخص في جنوب اسبانيا وصقلية

وقد ذكر مسيودى كاندولى ان موطن هذا النبات هو جنوب آسيا ولكن زراعته الآن تكاد تكون عامة في المناطق الحارة التي تليها لأنه من أسهل الفواكه زرعا واكثرها فائدة اذا نجحت زراعته الا ان الريح الشمالية الشديدة قد تهلك محصول العام في ليلة واحدة اذا لم تحصن الاشجار من تأثير الرياح خصوصاً اذا كانت مزروعة بقرب شاطيء البحر

وقد ذكر كل من الموز والطلح عند اليونان والرومان الا انه من المدهش ان المصريين واليهود لم يعرفوهما فان هناك جملة اسماء باللغة الهندية القديمة لفواكه يطلق العرب عليها اسم موز الذي هو اسم جنس مفرده موزة

(اوصافه النباتية) الموز مع انه في الواقع نجم الا انه في الظاهر يشبه الاشجار واعظم وجه الشبه بينه وبين النجم هو ان ساقه الشبيهة بسيقان الشجر يتكون اسفلها من جملة اوراق يغلف بعضها بعضا وهي لينة اسفنجية خالية من التركيب الخشبي وارتفاعها من متر ونصف الى تسعة امتار بحسب الانواع المختلفة

وتنشأ السيقان الجديدة من البراعيم على جذر النبات أو في القسم الداخل في الارض وهذه السيقان المعروفة في العادة بالفسائل هي التي ينشأ منها التوليد أي تكوّن نباتات جديدة وقد تكون الاوراق مديمة العنق نادرة جداً الا انها في الغالب يكون لها ساق سفلي قوي سميك وعصب بارز

وتنبثق الازهار من سنابل كبيرة طرفية من مركز تاج الاوراق وهي مرتبة على السنابل على شكل عنقود شبه حلقية والازهار موضوعة بحيث تنتهي ببراعيم ورقية بيضاوية تحمل على محاورها الازهار التي لم تفتح

وطول الثمرة يختلف بين ٥ سنتيمترات و ٣٠ سنتيمتراً كما تختلف أيضاً في المذاق وفي مقدار المادة السكرية وغير ذلك ولونها من الخارج أصفر غالباً خالية من الحبوب عادة

ويزرع الموز والطلح وفي مصر كثيراً منذ قرون عديدة خصوصاً في شمال الدلتا حوالي الاسكندرية ودمياط ورشيد انما يزرع على مقربة من شاطيء البحر أكثر من الجهات البعيدة عنه الا انه لم تبذل همة لتحسين نوعه

وكلا النوعين نبات عالي الساق ولا تنجح زراعتهما قرب شاطيء البحر الا اذا أحيطا بسياج أو حائط عالي ليقيهما من الريح الشمالي الشديد المتوالي وقد ترك زرعهما في الازمنة الاخيرة

ومنذ سنين قليلة أدخلت زراعة الموز القصير المسمى بالموز الصيني أو الموز الكافانديشي أو الموز المسمى سنيسيس الذي يبلغ ارتفاعه الى مترين ونصف ويعطي محصولا وافراً فينجح نجاحا عظيما خصوصاً قرب الاسكندرية عند القباري والرمل وغيرها والاراضي التي على الترعة المحمودية . ويجود زرعه كثيراً في شمال الدلتا ويعطي فاكهة جيدة جداً ولها خاصية المكث طويلا ونظراً لقصر قامته فهو أقل تعرضاً للتلف بالريح الا انه لسوء الحظ قد أصبح أخيراً فريسة الدودة المسماة (نيماتود) أو الدودة الخيطية التي تسري في الجذر فتهلك مسائح واسعة من الموز

وأهم أنواع الموز الذي يزرع في مصر الانواع الآتية :

١ — البلدي أو الموز الحقيقي

٢ — أصبع الست

٣ — الهندي أو الصيني

٤ — الامريكي

ويسمى أيضاً موز آدم أو تين آدم

والبلدي مرتفع وكثيراً ما يصل الى ارتفاع عظيم فقد يكون نحو ٤ أمتار ونصف ويزرع على الخصوص بعيداً عن البحر وهو أكثر الانواع انتشاراً في حدائق القاهرة وثمره قصير نوعا غليظ خال من حب وطوله من ١٠ الى ١٥ سنتيمتراً وهو من الخارج أخضر مصفر واللب يشتمل على مقدار عظيم من المواد السكرية طيب الرائحة جداً لذيذ الطعم يطلب كثيراً ويثمر من أوائل الخريف لغاية الربيع

أما أصبع الست فهو ذو فاكهة صغيرة رفيعة خالية من الحبوب منحنية نوعا طولها نحو سبعة أو ثمانية سنتيمترات ولونها من الخارج أصفر ذهبي جميل وهو أقل من سابقه من كل وجه والطلب عليه قليل ويكون في تمام ايناعه في الخريف

والنوع الهندي هو نوع عظيم جداً ويستحق زيادة العناية ونظراً لموافقة مصر له فسيصبح قريبا هو الموز المصري الوحيد ولو في شمال الدلتا فقط ويصل ارتفاع شجره الى مترين أو الى مترين ونصف وساقه غليظة قصيرة ويعطي محصولا وافراً وتعيش فاكهته زمناً طويلا بلا تلف وهو أحسن الانواع للتصدير وهو أصفر طوله من اثنى عشر الى خمسة عشر سنتيمتراً غليظ الجلد منحن قليلا ولبه خال من الحبوب جيد الطعم زكي الرائحة وهو أروج الانواع في التجارة ويطلب كثيراً وهو موجود في جميع أوقات السنة ولكنه يكون أحسن ما يكون في أواخر الصيف وفي فصل الربيع من حيث الاغراض العامة فانه أحسن الانواع المزروعة

والنوع الامريكي شجره عال كبير الفاكهة جداً وكثيراً ما يصل طولها الى ٣٥ سنتيمتراً الا ان العادة أن يكون بنصف ذلك الحجم والثمر مستدير الزاوية وذو لون أصفر جميل ولبه صلب الا انه خال من السكر بالكلية ضعيف الطعم والرائحة مشتمل على بعض حبوب جنينية الا انه وافر المحصول كبير العراجين

ونباته جميل المنظر جداً حتى انه كثيراً ما يزرع في الحدائق لهذا الغرض

وغير رخيص الثمن قليل الطلب لانه لا يصلح للأكل الا مطبوخا

وزراعة الموز في مصر رابحة جداً الا انها في الوقت الحاضر قاصرة على الجنائن تقريباً ولا يزرع منه في مصر ما يكفي لاسواقها بل نرد مقادير عظيمة من جزائر مادورة وكناريا

(الارض) — ينمو الموز في جميع أنواع الاراضي تقريبا ما عدا الارض المكونة من الرمل وحده وأوفق أرض له هي الدفئة المستوفية الصرف ويحسن ان تكون رطبة عميقة مسامية صفراء خصبة مشتملة على كثير من النبل فاذا كانت الارض كما ذكر وكان الجو جيداً أمكن محصول الموز يكون عظيما

(التوليد) — ان ساق الموز الذي تحت الارض ينبت جملة فروع جانبية أو فسائل اذا تركت ونفسها فانها تنتج جملة سيقان وهي التي يتكاثر بها النبات فتفصل هذه عن الجذع الاصلي بسكين أو مقطع أو فأس حاد وذلك بأن يزال التراب أولا باحتراس لكشف محل اتصال الصنو بالجذع

وأوفق طول الفسائل التي تزرع متر أو متر ونصف تقريبا على حسب الانواع الا أن عادة المزارعين هنا ان يستعملوا جذوعا أكبر والغالب أن تكون الفسائل ضعيفة سهلة الكسر جداً وان الكبيرة منها لا تنبت بسهولة ويجب أن تكون سميكة قوية وهذه أفضل مما لو كانت رفيعة طويلة ويلزم أن تنتخب من أصل سليم قوي جيد الفاكهة مبكر المحصول

(النقل) — تحضر الارض جيداً ثم تحفر حفر فيها صفوف متباعدة بقدر ٣ أمتار أو ٤ وتكون صفوفها متباعدة مثل ذلك والابعاد تتعلق بالانواع المتزرعة وتحفر الحفر على طول قناة تستعمل للري بحيث يكون عمقها ٤٠ سنتيمتراً وتتعهم أسافلها جيداً ويوضع فيها سماد بلدي معفن جيداً

ويفضل أن تكون الفسائل غارية في الارض بقدر ٣٠ سنتيمتراً على ان تكون قريبة من سطح الارض ثم يدك التراب حولها بالاقدام لمنع تخلل كثير من الهواء الذي يجفف الجذور حينما تخرج الساق

أما من حيث زمن الزرع فكل

وقت في السنة يوافقه الا ان الاحسن أن يكون من ١٥ فبراير الى آخر مارس (الخدمة بعد الزرع) — متى زهت هذه الفسائل فانها تنمو نمواً حسنا وتعطي محصولا في أواخر العام الثاني وربما تعطي في العام الاول الا أنه عادة يكون قليلا غير جيد

وقبل أن يتكون الساق المزهر تظهر الفسائل فوق الارض وهذا أمر يحتاج للعناية التامة فيجب أن تقطع الفسائل الا واحداً في أول امر النبات وبهذه الطريقة تتجه قوة الانبات كلها الى انمار الساق الاول وتظهر مراجين قوية جبلة وبعد ذلك متى بلغ الساق الموجود في الارض أشده يمكن ابقاء ثلاثة أو أربعة جذوع على حسب قوة ذلك الساق الا أنه لا يجوز بحال من الاحوال ابقاء عدد اكبر من ذلك متى أريد الحصول على مراجين ذات محصول جيد

وتحتاج الارض الى تنكيك خصوصا حول سيقان النبات مع تسميدها سنويا بسماد بلدي معفن جيداً حينما تكون الفاكهة على الشجر وذلك لاجل حفظ قوة النبات ودوام انتاجه ومتى ظهرت علامات الضعف على أحد الجذوع كالمحصل غالبا بعد بضع سنوات فيلزم ان يقطع و يزرع مكانه فسائل جديدة

قد قلنا ان هذا النبات يعطي محصولا جيداً في الارض الرطبة وعليه فلا بد من تكرار الري فيجب سقي الشجر بعد زرعه مباشرة ثم بعد أزمنة قصيرة الى أن تثبت جذور النبات جيداً وبعد ذلك يقل الاحتياج الماء و يستحسن اطالة المدة بين السقية والاخرى عند ما يثمر النبات خصوصا عند قرب استواء الثمر لان الرطوبة الكثيرة في هذا الوقت مضرة فاذا رشحت الارض بالرطوبة فيجب الصرف حتما لاجل الحصول على ثمر جيد كبير الحجم سليم

(المحصول) — يتعلق الزمن الذي يمضي بين زرع الفسائل والاثمار بالاحوال الجوية والموضع والنوع المتزرع وغير ذلك فبالنظر لحالة مصر الجوية والانواع التي تزرع فيها تثمر النباتات عادة في السنة الثانية وبما أن بعض الاشجار تتأخر في النمو و بعضها يتقدم فالموز يوجد في جميع فصول السنة

ومراجين الجذوع الثانية عادة أدق

من هراجين الجذوع الاولى ولذا لا ترسخ زراعة هذ الشجر جيداً قبل السنة الثالثة أو الرابعة فيجب أن لا يثمر الجذع الواحد أكثر من مرة واحده ومتى أعطى الجذع فاكهته يجب قطعه ويجب ان تجنى الثمرة بقطعها مع جزء من الفرع الحامل لها حتى يمكن تعليقها نحو ثمانية أيام أو عشرة قبل استوائها وذلك عند اصفرارها قليلا لانها اذا تركت حتى تستوى على الشجرة فانها تفقد كثيراً من حسن طعمها وتتعفن غالبا واذا قطعت قرب استوائها تعلق باعتناء في مكان مظلم واذا قطعت قبل ذلك يجب حفظها في وسط طبقات من التبن وأحيانا يوضع فوقها ثقل الى أن تستوى وتصير ناعمة وتكتسب الطعم السكرى والرائحة الطيبة ويتم نضج الفاكهة في مدة بين ٧٥ و٨٥ يوما

ويجب أن يعتنى كثيرا بنقل الفاكهة باحتراس ولطف منذ جنيها الى حين بيعها والا قلت قيمتها كثيراً

ومن الصعب تقدير محصول الفدان لان ذلك يتعلق باحوال كثيرة وتحمل المرجون الواحد يختلف كثيراً على حسب النوع المزروع والسماد المستعمل والموسم وغير ذلك فيكون بين ٢٥ و٧٥ رطلا والمتوسط من ٣٥ الى ٤٠ رطلا ويختلف الثمن على حسب الموسم والنوع والموضع وغير ذلك

(استعمالاته)-الموز من بين المحاصيل الخضرية في العالم وربما كان أعجبها من حيث بهاء المنظر والنفع فهو ذو قوة نباتية عظيمة ومفيد للانسان من وجوه شتى وهو أحد الاغذية الاساسية في الاقطار الحارة وقد يقوم مقام النشا في المناطق الاكثر اعتدالا وتستعمل جميع أجزاء النبات تقريبا وأهمها الفاكهة وجميع أجزاء النبات تكثر فيها الخيوط التي لم تستعمل للآن بانتظام

والفاكهة مغذية جداً وسهلة الهضم للغاية وتؤكل خضراء غالبا وقد تجفف وتحفظ في غالب في بعض الجهات وخصوصا في أمريكا الجنوبية او يفصل منها الدقيق ويصنع منه البسكويت

والدقيق معتبر ذا قيمة عظيمة لانه مفيد وسهل الهضم ويوافق الاطفال والمرضى

وتصلح الاوراق والسيقان لصناعة الورق والاوراق الجافة تستعمل كثيراً

في حزم البضائع الصغيرة الحجم خصوصا الفواكه واذا شرح الساق فانه يستخرج منه خيوط خشنة . انتهى .

(خواص الموز الغذائية واستعمالاته الطبية) نهاية ماقول في هذه الثمار انها غذاء سليم مقبول ولكنها سريعة الرياح قليلا والهضم ، مضعفة للهضم ويصلحها العسل أو السكر ومتى انهضمت حصل منها غذاء كثير وهي تسمن لانه لايبقى منها فضلة لجذب الاعضاء لها بالطبع ثم هو لايؤكل في العادة الا ناضجا ويصح أن يطبخ قبل نضجه كالقلقاس واللحم والسمك ولحم الترسة . ويصح ايضاً شيه ويستعمل حينئذ مثبلا بالسكر وعصارة الليمون . وتعمل منه خبائص ومقلوات ويجفف في الدنانير أو في الشمس لاجل حفظه والسودان يصنعون منه عجينة مع السكر والعطريات ويتغذون منها في الاسفار وتصنع منه مربيات وغير ذلك وذكر أطباء العرب انه ينفع من السعال وأوجاع الصدر وخشونة القصبة فاذا طبخ في السمن أو دهن الموز وحسي أصلح الصدر

وأما موز العقلاء المسمى بالافرنجية بما معناه تين الموز وتين المنود فاقتصره ديفوس صنفا من الاول ونسبته العقلاء مبنية على ماقيل أن الاشخاص المعدول أصحاب السيرة الحميدة من فلاسفة المنود المتقشفين يقضون حياتهم في مشاهدته ويتغذون من ثمره وهو ينبت في الاماكن التي ينبت فيها النوع السابق وهو شبيه به في قوامه وقامته وانما يتميز عنه بأوراقه التي زاويتها أحد وخصوصا بثماره التي هي أصغر أي اقصر ولكنها اكثر عدداً وأقوى سكرية وألذ وأقبل وشحمها اكثر لينا وذوبانا في الفم وهو شبيه باتين وهذا هو سبب تسمية الافرنج له بتين الموز لانه سهل الذوبان في الفم ويصح ان يستخرج منه سكر قابل التبلور ويعمل منه سائل . كحولي يحفظ قليلا ويعطى بالتقطير كحولا . واذا تخمر حصل منه خمض كما يحصل ذلك في جميع الثمار السكرية وتلك المنافع توجد أيضاً في النوع السابق . قال ميره وتين الموز له أصناف عديدة وقد اعتبروه عظيم النفع للصدور وفي آفات الطرق البولية وعلاجا للحميات الحادة وغير ذلك انتهى . وبالجملة منافعه الطبية وغير الطبية كالسابق فالسائل الذي يؤخذ من أي

واحد منها بحمض بسهولة فلذا يلزم أن لايحضر منه الا مقدار يسير اذا أريد فاذا هرس الموز النضيج من أى نوع كان ونخل من منخل ليستخرج منه الجزء اللبني تكونت من ذلك عجينة يصح أن يحضر منها خبز جيد التغذية ومعظمها مكون من النشا ويمكن حفظها جافة زمنا طويلا فاذا أذيبت في الماء أو في مرقة تكون من ذلك غذاء جيد (انظر المادة الطبية)

﴿ موسي ﴾ هو الرسول المشهور صاحب الدين الموسوى وقد رأينا في الكلام عليه أن نأتي أولا على تاريخه ونشأته ووظيفته من المصادر العربية ثم نتبعه بما قيل عنه في المصادر العلمية العصرية مع بيان قيمة الوظيفة التي أداها العالم على الاسلوب النقدى التاريخي فنقول : جاء عنه في المصادر العربية :

أرسل الله تعالي موسى بن عمران ابن قاهات بن لاوى بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليه السلام رسولا بشريعة بني اسرائيل وكان من امره انه لما ولدته امه كان قد امر فرعون مصر واسمه الوليد بقتل الاطفال فخافت عليه أمه وألقي الله تعالى في قلبها أن تلقيه في النيل فجعلته في تابوت وألقته فالتقطته آسية امرأة فرعون وربته فكبر فبينما هو يمشي في بعض الايام اذ وجد اسرائيلياً وقبطياً يختصمان فوكز القبطي فقتله ثم اشتهر ذلك وخاف موسى من فرعون فهرب وقصد نحو مدين واتصل بشعيب فزوجه ابنته واسمها صفورة وأقام يرعي غنم شعيب عشر سنين ثم سار موسي باهله في زمن الشتاء وأخطأ الطريق وكانت امرأته حاملا فأخذها الطلق في ليلة شاتية فأخرج زنده ليقدح فلم تظهر له نار واعيا مما يقدح فرفعت له نار فقال لأهله امكثوا اني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون . فلما دنا منها رأى نوراً ممتداً من السماء الي شجرة عظيمة من العوسج وقيل من العناب فتحير وخاف ورجع فنودى منها ولما سمع الصوت استأنس، عاد فلما أتاها نودى من جانب الطور الايمن من الشجرة أن يا موسي اني أنا الله رب العالمين. ولما رأى تلك الهيبة علم انه ربه فخفق قلبه وكل لسانه وضعفت بنيته ثم شد الله تعالي قلبه ولما عاد عقله نودى أن اخلع

نعليك انك بالواد المقدس وجعل الله عصاه ويده آيتين ثم أقبل موسى الي أهله فسار بهم نحو مصر حتى أتاها ليلا واجتمع به هرون وسأله من أنت فقال أنا موسي فاعتنقا وتعارفا ثم قال موسى يا هرون ان الله أرسلنا الي فرعون فانطلق معي اليه فقال هرون سمعا وطاعة، فانطلقا اليه واراه موسي عصاه ثعبانا فاغراً فاه حتى خاف منه فرعون فأدخله في ثيابه. ثم أدخل يده في جيبه وأخرجها وهي بيضاء لها نور تكل منه الابصار. فلم يستطع فرعون النظر اليها ثم ردها الي جيبه وأخرجها فاذا هي علي لونها الاول ثم أحضر لها فرعون السحرة وعملوا الحبات وألقي موسي عصاه فتلقفت ذلك وآمن به السحرة فقتلهم فرعون عن آخرهم ثم أراهم الآيات من الطمس والضفادع وصيرورة الماء دما فلم يؤمن فرعون ولا أصحابه وآخر الحال ان فرعون أطلق لبني اسرائيل أن يسيروا مع موسى فسار موسي ببني اسرائيل ثم ندم فرعون وسار بعسكره حتى لحقهم عند بحر القلزم فضرب موسي بعصاه البحر فانشق ودخل فيه هو وبنو اسرائيل وتبعهم فرعون وجنوده وغرقوا عن آخرهم . ومن جملة المعجزات التي أعطاها الله عز وجل موسي قضيته مع قارون

قالوا : كان قارون بن عم موسى وكان الله تعالي قد رزق قارون المذكور مالا عظيما يضرب به المثل علي طول الدهر قيل ان مفاتيح خزائنه كانت تحمل علي أربعين بغلا و بني داراً عظيمة صفحها بالذهب وجعل أبوابها ذهباً وقد قيل عن ماله شيء يخرج عن الحصر فتكبر قارون بسبب كثرة ماله علي موسي واتفق مع بني اسرائيل علي قذفه والخروج عن طاعته وأحضر امرأة بغيا من البغايا وجعل لها جعلا وأمرها بقذف موسي بنفسها واتفق معها علي ذلك . ثم أتى موسي فقال ان قومك يا موسى قد اجتمعوا فخرج اليهم موسي عليه السلام وقال من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ومن زني رجمناه . فقال له قارون وان كنت أنت قال موسي نعم وان كنت أنا . قال فان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة . قال موسي فادعوها فان قالت فهو كما قالت فلما جاءت قال لها موسي أقسمت عليك بالذى أنزل التوراة الا صدقت أنا فعلت بك مايقول هؤلاء قالت لا كذبوا ولكن

جعلوا لي جعلا على أن أقذفك . فأوحي الله تعالى الى موسي مر الارض بما شئت تطعك . فقال يا أرض خذيهم فجعل قارون يقول ياموسي ارحمني وموسي يقول يا أرض خذيهم فابتلعتهم الارض ثم خسف بهم وبدار قارون . ولما اهلك الله تعالي فرعون وجنوده قصد موسي المسير ببني اسرائيل الي مدينة الجبارين وهي أريحا فقالت بنو اسرائيل ياموسي أن فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها ياموسي اذهب أنت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون . فغضب موسي ودعا عليهم فقال رب اني لا أملك الا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين . فقال الله تعالي فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الارض . فبقوا في التيه وأنزل الله عليهم المن والسلوى

ثم أوحي الله تعالي الى موسي اني متوف هرون فأت به الى جبل كذا وكذا فانطلقا نحوه فاذا هما بسرير فنام عليه وأخذ هرون الموت ورفع الى السماء ورجع موسي الى بني اسرائيل فقالوا له أنت قتلت هرون لحبنا اياه . قال موسي ويحكم أفتروني اقتل اخي؟ فلما أكثروا عليه سأل الله فأنزل السرير وعليه هرون وقال لهم اني مت ولم يقتلني موسى . ثم توفي موسي واختلف في صورة وفاته قيل كان هو ويوشع يتمشيان فظهرت عمامة سوداء فخافها يوشع واعتنق موسى فانسل موسي من قماشه وبقي يوشع معتنق الثياب وعدم موسى وأتي يوشع بالقماش الي بني اسرائيل فقالوا أنت قتلت موسي ووكلوا به فسأل يوشع الله تعالي أن يبين براءته فرأى كل رجل كان موكلا عليه في منامه أن يوشع لم يقتل موسي فانا رفعناه الينا فتركوه . وقيل بل تنبأ يوشع وأوحي الله تعالي اليه وبقي موسى يسأله فلم يخبره فعظم ذلك علي موسي وسأل الله الموت فمات . وقيل غير ذلك وكانت وفاة موسي في التيه في سابع اذار لمضي الف وستمائة وست وعشرين سنة من الطوفان في أيام منوجهر الملك وكان موت موسي بعد هرون أخيه باحد عشر شهراً وكان هرون اكبر من موسي بثلاث سنين وكان مولد موسي لمضي أربعمائة وخمس وعشرين سنة من مولد ابراهيم وكان بين وفاة ابراهيم ومولد موسي مئتان وخمسون سنة وولد موسي لمضي الف وخمسمائة وست سنين من الطوفان وكان عمره لما خرج

ببني اسرائيل من مصر ثمانين سنة وأقام في التيه أربعين سنة فيكون عمر موسي مائة وعشرين سنة وأما بنو اسرائيل فكانوا قبل أن يخرجهم موسي من تحت حكم فراعنة مصر رعية لهم وكانوا علي بقايا من دينهم الذي شرعه يعقوب ويوسف عليهما السلام . وكان أول قدومهم الى مصر لمضي تسع وثلاثين سنة من عمر يوسف فأقاموا في مصر بقية عمر يوسف وهو أحدى وسبعون سنة لان عمر يوسف كان مائة وعشر سنين فاذا نقصنا منهما تسعا وثلاثين سنة بقي احدى وسبعون سنة وأقاموا أيضا مدة ما كان بين وفاة يوسف ومولد موسي وهو أربع وستون سنة وأقاموا ايضا ثمانين سنة من عمر موسي حتى خرج بهم فيكون جملة مقام بني اسرائيل بمصر حتى أخرجهم موسي مائتين وخمس عشرة سنة

(موسي في نظر الفلسفة التاريخية)

ذكرنا فيما تقدم ما تقوله الكتب الاسلامية واكثره يوافق ما ورد عنه في القرآن الكريم وما ذكرته عنه الكتب الاسرائيلية ولكن لنقدة التاريخ مجالا لا يجوز اغفاله في مثل هذا البحث فان المسئلة من امهات المسائل التاريخية لتعلقها بحياة رجل عظيم كان مؤسسا لدين عظيم وموجداً لشعب كبير له أثر يذكر في الحركة الانسانية العامة

يقول نقدة التاريخ أن موسي عليه السلام ولد في سنة (١٥٧١) قبل الميلاد وتوفي علي جبل ينبو من بلاد العرب سنة (١٤٥١) فيكون قد عمر مئة وعشرين سنة

قالت دائرة معارف (لاروس)

واتفق قدماء المسيحيين وقدماء الوثنيين علي مدح مؤسس الديانة الموسوية ولو أنهم لم يعلموا من أعماله شيئاً كبيراً . فانه من الثابت انه وان كان قد أسس مدنية ودينا فاننا لا نملك الكتاب الحقيقي لشريعته . ولقد نسبت اليه التوراة أو الخمسة الكتب الاولي من الكتاب المقدس ولكن هذه التوراة حاملة لآثار لا نزاع فيها من الحواشي والتنقيحات ومن علامات أخرى تدل علي أنها الفت بعد الزمان الذي مات فيه موسي بعهد طويل . فقد ذكرت فيه أسماء مدن لم توجد الا بعد موسى . ويجد القارىء أن موسي قد ذكر وفاة نفسه فيه . ويلاحظ تالي التوراة

ان مؤلفه الذى لم يذكر اسمه ينوه عن موسي كما ينوه عن رجل مات منذ قرون كثيرة . وقد لوحظ أيضا ان التوراة لم تُذكر فى المزامير ولا فى الكتب المعزوة الي سليمان ولا فى كتب جريمي واسحق ولا فى القوانين الكنيسية الاخرى . وزيادة علي ما تقدم فان الخمسة الاسفار التى تؤلف التوراة وهي سفر التكوين وسفر الخروج وسفر الاعداد والتثنية وسفر التثنية اسماؤها يونانية وتاريخها هو تاريخ الترجمة السبعينية

« وقد جمع فولتير في قاموسه الفلسفي اعتراضات القرن الثامن عشر علي وجود موسي . وكان قد أنكر وجوده قبل ذلك (هوبه) المشهور مطران افرانش وأتي فولتير أيضا علي الشكوك التى تحوم حول صحة الكتب المنسوبة اليه

« فقد تساءل فولتير قائلا بأى لغة أمكن موسي أن يكتب ما كتبه في تلك الصحراء الموحشة ؟ لايمكن أن يكون قد كتب بغير اللغة المصرية . لان الكتاب المعزو اليه ينص علي ان موسى وشعبه كله قد ولدوا بمصر . ويرجح انه لم يكن يتكلم بغير تلك اللغة . وقد كان المصريون ذلك العهد لم يعرفوا ورق البردى فكانت كتابتهم بالهيروغليفية علي الرخام والخشب وقد قيل ان الالواح الموسوية كتبت علي الاحجار . واذا صح ذلك وجب أن يكون قد نقش الكاتبون التوراة أسفاره الخمسة علي الاحجار المصقولة وهو أمر يقتضي زمانا طويلا ومجهوداً عربيا فهل يعقل أن يوجد رجال من المهارة بحيث ينقشون خمسة أسفار التوراة علي الرخام والخشب في فلاة لم يكن فيها مع الشعب الاسرائيلي حفارون ولا خياطون وتكلف فيها خالق الكون أن يحفظ ثيابهم وأحذيتهم من البلاء من طريق الاعجاز المستمر ؟

ثم قالت دائرة معارف لاروس بعد ايراد هذه الشبهات:

« ان هذه الشبهات وغيرها استخرجت من نصوص الكتاب المقدس فان المعلومات التوراتية المصرية عن الشرق والتاريخ القديم الامم التى سكنت الشواطىء السورية البحر الابيض المتوسط قد وقعت شبهات ليست باقل قيمة من الشبهات المتقدمة والواقع انه عرف الآن بما يكاد يصل لحد الاجماع في العالم العلمي

بأن التوراة قد حررها اصدارس بمدرجوعه من أسر بابل بمساعدة مستندات قد ضاعت الآن وأساطير عربية كان لها أثير مستمر في طباع الشرق

« والاساليب التى تخيلت لبيان حال موسي هي أشد جرأة ومجازفة من شبهات النقد والعلم . فقد حاول (هوبه) المتقدم ذكره أن يخلط بين موسي وباخوس (البطل اليوناني) وقد اخترع الأب (جيرين دروشيه) نظرية أشد غرابة ايضا . وقد هجر كلا هذين الفرضين الآن . والآن اذا كان وجه موسي العظيم لايزال محاطا بظلام حالك فان العمل الذى ينسب اليه والشرع المعزو له معجبين متحمسين . فقد قال جان جاك روسو في كتابه العقد الاجتماعي « القانون الموسوى الباقي للآن يدل علي عظم الرجل الذى املاه . واذا كانت الفلسفة المتكبرة وروح التعصب الاعمي لاتعتبر موسي الا كاذبا سعيد الطالع فان السياسة الحقة تعجب بالنظامات التى سنها بتلك الروح العظيمة القوية وهي لاتزال موجودة في تلك النظامات الخالدة »

(نظرة علي ماسبق) لانزاع في أن موسى كان رجلا من رجال التاريخ العظماء لقيامه بأمرين خطيرين لاينسبان المتصدرين لهما هفواً أو بمجهود ما ، وهما تخليص أمته من سلطة الفراعنة الجبارين وتحليتها بدين وشريعة . وهذان الامران عينهما يسوغان لنا أن نعترف له بالنبوة التى ادعاها لنفسه وقد كان في استطاعته أن يدعي الاعتزاء الي الله تعالى في تلك العصور المظلمة التى كان الناس فيها يميلون الي تأليه عظمائهم ونسبة صفات الربوبية لهم . فاكتفاء موسى بأداء النبوة وتأسيسه الدين توحيدى خالص من شوائب الوثنية ولا سيما في ذلك العصر المشحون بالاساطير والاوهام ونجاحه في ذلك وعدم حيده عن مذهبه ذلك طول حياته واجماع المصادر التاريخية علي أنه كان هينا لينا وادعا لم تتزه انبهة السلطان . ولم تستخفه جلالة الملك كما استخفت أكثر القادة الذين سبقوه فحملتهم علي ادعاء الربوبية كالاسكندر وغيره كل هذا يدل علي أنه كان صادقا في دعواه ، مخلصا فيما دعي اليه من اقامة حكم الله . وقد جاء القرآن الكريم مقرراً علي هذه العقيدة فكان الدليل علي نبوته معززاً

بالدليل النقلي ايضا فنظاهر العقل والنقل في الشهادة، ليس بمدهذا في قوية مركزه

مرس

نعم أن موسي تلمذ الكهنة المصريين القدماء وأخذ عنهم العلوم اللاهوتية والفلسفة العقلية ، واصول الشريعة المصرية ، فلم يكن لما دعي الي تخليص قومه بجهل معنى النظام الاجتماعي ، وسري الروح القومي لشعبه ، وأركان التشريع الحافظ لقوام الجماعات ، ولكن كل هذا لايصح أن يضعف من أدلة نبوته بل هو يقربها من العقل فان انفاق حجب الكتابات البشرية ، واطلال الروح علي عوالم الغيب من عارف بمعنى الحجب والكتابات أقرب حصولا وأسهل منالا منها لجاهل بمعناها وليس نجاح موسي في دعوته يرجع لمعرفته بالنظامات والشرائع واسرار اللاهوت المصري بل يرجع الى صموروحه وكفاءتها للتأثير علي الغير وقيادته الي مايهواه أحب ذلك أم كره ، وهذا السمو لاينفق لروح كاذبة خادعة مرائية تكذب علي الله والناس تجعل الدين آلة للاذلال والاستعباد

ولو كان مجرد علم الشرائع ، والوقوف علي اسرار المعارف يؤهل الانسان لبلوغ امثال هذه الدرجات العليا بين الامم لساد كل عالم علي قومه وقادهم الي حيث يريد ، والواقع أن السيادة والقيادة حفظنا لافراد معدودين هم الذين ادعوا انهم انبياء ودلت الحوادث علي صدق دعاويهم بطهارة سيرهم ، واستقامة امورهم وتجردهم من حب الدنيا ومضيهم علي وتيرة واحدة من الورع من يوم وجودهم الي يوم وفاتهم . ولو اتفق قادعي النبوة من ليس من أهلها وساد قومه بمزاعمه حينا من الاحيان افتضح امره بعد ذلك واسقطه قومه شر اسقاط ولفظه الوجود كما تلفظ الحنانة الضارة ، وباد كانبيذ الترهات امام الحق الصراح

فالذي يجعل النبي نبيا ليس مايكون قد حصله من العلم بالشرائع ، أو بالاصول الدينية ، ولكن الذي يجعله جديراً بهذا اللقب روحه العالية ، وقواه الادبية التي لاتكون لغير الصادقين أولي العزم من افراد يرسلهم الله الي هذا النوع كلما أراد أن يحدث في الناس حوادث ذات شأن عظيم

ويمكن أن يقال أن مهمة موسى التي قام بها لاتكفي في الدلالة علي نبوته فقد

كان بنو اسرائيل في أسر الفراعنة ينتسمون لمة الخلاص ويرجون أن يرسل الله من يقودهم بيد من حديد الي مايخلصهم من هذا الشر العظيم ، وكانوا شعبا لهم عصبية ووحدة قومية ، ومراس اجتماعية فنبوغ رجل فيهم كان منتظراً ، فما أنس موسي من نفسه القدرة علي قيادتهم انتحل لنفسه هذه الوظيفة فتبعه قومه مقودين بدوافع قهرية ذاتية فلم يجاهدهم كما جاهد محمد صلي الله عليه وسلم قومه ، ولم يجد منهم من النفور والاضطهاد ماوجده خاتم الانبياء بل هب معه قومه مجيبين دعوته فسار بهم الي حيث أراد ، ثم أوهمهم انه نبي ، ان الله يكلمه وجهاً لوجه الي آخر مافي هذا الباب

نقول ليست هذه الشبهة وان كان ظاهرها قوياً مما يثبت علي النقد الفلسفي أيضاً فان موسى وان كان قد وجد قومه متضامنين متضامنين يرجون أن ينبغ فيهم من ينقذهم من محن الفراعنة الا ان هذا الرجاء فيهم كان من قبيل الاماني بدليل مكثهم قرونا طويلة في مصر يرزحون تحت كلاكل الظلم والاضطهاد فلماذا لم ينفق لهم ذلك الخلاص الا علي يد موسي ، ولماذا يدعي لهم انه نبي لم يدع لهم انه قائد ، وكيف يتفق له النجاح مع اتيانه الكذب ، والتحافه بالرياء والخديعة ، وكيف يظل حافظا لهذا الثوب الداري طول حياته ولم يفتضح أمره ؟

ثم لانس ان وجود الامة علي حالة نظام اجتماعي قد يكون سبباً كبيراً في رفضها دعوة الداعة الى قيادتها لما يكون في مجموعها من أصحاب المطامع الى مثل هذه الخطط السامية فيفسدون علي صاحب الدعوة قلوب الامة . فقيادة مثل هذا الشعب وحفظ مركزه بين ظهرانيه عشرات من السنين مسموع الصوت نافذ الكلمة ليس من الهنات الاجتماعية

أما تأييس موسى عليه السلام لدين توحيدي في وسط تلك الوثنية الشائعة في العالم كله وذهابه في ذلك مذهب الانبياء الذين سبقوه فأدل دليل علي انه واحد منهم فانه ليس من السهل القائم علي التوحيد والدعوة اليه في مثل تلك الازمان البعيدة . فلو لم يكن متلقياً ذلك التوحيد من طريق الوحي لما استطاع أن يصر عليه بل لدعا الناس الي نفسه وكان روح العصر يساعده علي ذلك . ولكنه علي

العكس من ذلك أصر على دعوة الناس الى الله الواحد بحرداً نفسه من الالوهية والشركة لله ، مقراً بالعبودية البحتة لمولاه. وهذا من ضبط النفس ، وأدب القلب بالمكان الذى لا يليق لغير الانبياء

يقولون ان التوراة كتاب أثار عليه النقد العلمي الشكوك والريب من كل قبيل ، وفيه من الآراء العلمية ، والنظامات الاجتماعية مالا يتفق مع العلم ولا ينطبق على العدالة المعروفة بين الناس ، فقد جاء فيه عن خلق السموات والارض مالا سبيل للتعويل عليه ونص على ان موسى كان يحارب المدينة فيستبيحها بعد فتحها فيقتل جميع سكانها حتى حيواناتها فلا يبقي ولا يذر . وورد فيه أيضا ان الله يكتبه على ابقائه على بعض أهل مدينة من المدائن التى فتحها . وكل هذا لا يمكن أن ينسبه الله ولا يعقل أن ينسب اليه بحال من الاحوال

نقول : أما وقد أريناك ما يقوله النقد العلمي في التوراة فلا تقبل الاحتجاج به على موسى عليه السلام وليس في التاريخ العام أثارة تدلنا على أن موسى كان من القسوة بحيث كان يجتاح المدائن التى يفتتحها ولو كان كذلك لعد الناس واحداً من الطوافى أمثال بختنصر وقمبيز ونيرون وجنكيزخان وتيمورلنك فلم يحصون على موسى عمله هؤلاء أعمالهم ولا يحصون على موسى عمله فيحشروه معهم !

الخلاصة ان الادلة النقلية والتاريخية كلها متظاهرة على ان موسى كان واحداً من الانبياء الكرام أولى العزم ، الذين أرسلوا لنقل النوع البشرى الى مرحلة جديدة من مراحل المدنية فأقام دولة موحدة ذات مدنية راقية وسط أمم عريقة في الوثنية فساعد بحركته هذه على وجود الديانة المسيحية بتمويده السبيل لها كما مهدت المسيحية السبيل للديانة الاسلامية خاتمة الاديان السماوية

(الآيات القرآنية الواردة في موسى عليه السلام) يجدر بنا هنا أن نأتي على قصة موسى من النص القرآني نفسه لتتم الفائدة من هذا الفصل . وقد ذكر الله موسى كثيراً في كتابه وأجمع ما جاء عنه هو ما ذكره في سورة القصص فننقله برمته وهو :

(بسم الله الرحمن الرحيم)

طسم تلك آيات الكتاب المبين

نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون . ان فرعون علا في الارض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم انه كان من المفسدين. ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين . ونمكن لهم في الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون . وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين. فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزنا ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين . وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وهم لا يشعرون واصبح فؤاد أم موسى فارغا ان كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين. وقالت لاخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون . وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون . فرددناه الى امه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم ان وعد الله حق ولكن اكثرهم لا يعلمون .

ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين . ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين . قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم. قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيراً للمجرمين فأصبح في المدينة خائفا يترقب فاذا الذى استنصره بالامس يستصرخه قال له موسى انك لغوى مبين . فلما أراد أن يبطش بالذى هو عدو لهما قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالامس أن تريد الا أن تكون جباراً في الارض وما تريد أن تكون من المصلحين . وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين . فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين . ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل . ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون . ووجد من دونهم

امرأتين تذودان ، قال ماخطبكما ، قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير. فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال رب اني لما أنزلت الي من خير فقير. فجاءته احداهما تمشي على استحياء قالت ان أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا ، فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين . قالت احداهما ياأبت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين قال اني أريد أن أنكحك احدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فان أتممت عشراً فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدني ان شاء الله من الصالحين . قال ذلك بيني وبينك أيما الاجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل . فلما قضى موسى الاجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا قال لاهله امكثوا اني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون . فلما أتاها نودي من شاطيء الواد الايمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى اني أنا الله رب العالمين وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب ، يا موسى أقبل ولا تخف انك من الآمنين . اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم اليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملأه انهم كانوا قوما فاسقين . قال رب اني قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون. وأخي هرون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءاً يصدقني اني أخاف أن يكذبون . قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما بآياتنا أنتما ومن تبعكما الغالبون. فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ماهذا الا سحر مفترى وما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين . وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون . وقال فرعون ياأيها الملأ ماعلمت لكم من إله غيري فأوقد لي ياهامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي أطلع الى إله موسى واني لاظنه من الكاذبين. واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق وظنوا انهم الينا لا يرجعون. فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين. وجعلناهم أئمة يدعون الى النار ويوم القيامة لا ينصرون .

وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين . ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون. وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين . ولكنا انشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاوياً في اهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين . وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون .

﴿ موسى ﴾ بن علي الخشني البصري من علماء الحديث النبوي توفي سنة (١٧٣) ه

﴿ موسى ﴾ بن نصير هو أبو عبد الرحمن . كان من التابعين روى عن تميم الداري وكان عاقلا كريما شجاعا ورعا تقيا وكان احد كبار قواد الدولة الاموية لم يهزم له جيش قط وهو فاتح بلاد الاندلس ولما خرج معاوية لقتال علي بن ابي طالب لم يخرج معه فقال له معاوية ما منعك من الخروج معي ولي عندك يد لم تكافئني عليها ؟ فقال لا يمكنني ان اشركك بكفر من هو أولى بشكري . فقال ومن هو ؟ قال الله عز وجل . فقال وكيف لا أم لك ؟ قال وكيف لا أعلمك هذا فأغض وامض قال فأطرق معاوية مليا ثم قال استغفر الله ورضي عنه

تولى افريقية وللمغرب سنة (٧٧)ه ولم يسمع في الاسلام بمثل صباياه وغنائمه حارب البربر سكان بلاد المغرب الاصليين حتى وصل الى طنجة فولى عليها مولاه طارق بن زياد . ثم رجع وكتب بعد ذلك الى طارق يغزو الاندلس .فامتثل وركب البحر ونزل بالاندلس وصعد الى الجبل الذي سمي باسمه وهو جبل طارق وكان معه (١٢) الفا من البربر وقليل من العرب . فلما علم بمر ودريك ملك الاندلس داهمهم بجيش جرار يبلغ ثمانين الفا فصمد طارق الى اسطوله فأحرقه وخطب في اصحابه وقال لهم : ايها الناس ابن المفر والبحر من ورائكم والعدو امامكم فليس لكم والله الا الصدق والصبر واعلموا انكم في هذه الجزيرة اضيع من الايتام في مأدبة اللئام وقد استقبلكم عدوكم بجيشه واسلحته واقواته موفورة وانتم لا وزر لكم

غير سيوفكم لا قوات لكم لا ما تستخلصون من أيدى أعدائكم إلخ . ثم هجموا على عدوهم فانهزم امامهم ووقعت في أيدى العرب بلاد كثيرة . ثم لحق به مولاه موسى بن نصير لتتميم الفتح

ولد سنة (١٩) هـ وتوفي سنة (٩٩) هـ

وقد رأينا اقامة الفائدة في هذا ان أتي على تفصيل استيلاء موسى بن نصير على المغرب والاندلس بلسان ، ولف قريب من تلك العصور وهو العلامة أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة المتوفي سنة (٢٧٠) في كتابه (الامامة والسياسة) فان فيه تفصيلا من سير الامور في ذلك العهد و بيانا من الاسلوب الاستعمارى الذى كان يجرى عليه العرب ، وهذا البيان قيمته من الوجهة التاريخية عظيمة يجب امعان النظر فيها . قال أبو محمد عبد الله بن مسلمة بن قتيبة :

تولية موسى بن نصير البصرة

قال وحدثنا يزيد بن سعيد مولى مسلم ان عبد الملك بن مروان لما أراد أن يولي اخاه بشر بن مروان على العراق كتب الي أخيه عبد العزيز ابن مروان وهو بمصر و بشر معه يقود الجنود وكان يومئذ حديث السن : اني قد وليت أخاك بشرا البصرة فأشخص معه موسى بن نصير وزيراً ومشيراً وقد بعثت اليك بديوان العراق فادفعه الي موسى وأعلمه أنه ماخوذ بكل خلل وتقصير . فشخص بشر من مصر الي العراق ومعه موسى بن نصير حتى نزل البصرة فلما نزلها دفع الى موسى بن نصير خاتمه وتخلى عن جميع العمل . فلبث موسى مع بشر مالبث ثم ان رجلا من أهل العراق دخل على بشر بن مروان فقال له هل لك أن أسقيك شرابا لاتشيب معه أبداً بعد ان اشترط عليك شروطا ؟ قال بشر وماهي؟ قال . لاتغضب ولا تركب ولا تجامع امرأة في أربعين ليلة ولا تدخل حماما . فقبل ذلك بشر وأجابه وشرب ما سقاه واحتجب عن قريب الناس وبعيدهم وخلا مع جوار به وخدامه فكان كذلك حتى أتته ولاية الكوفة وقد ضمت اليه مع البصرة فأتاه من ذلك مالم يحتمل فرحه ولا السرور به فدعا بركاب ليركبها . فأتاه الرجل فناشده لايخرج ولا يركب وان لايتحرك بحركة من مكانه فلم يلتفت بشر الي كلامه ولم يقبل ماأمره به فلما رأى

الرجل عزمه قال فاشهد لي على نفسك بأنك قد عصيتني . ففعل بشر ذلك وأشهد انه قد أبرأه فركب وهو يريد الكوفة فلم يسر الا اميالا حتى وضع يده على حلقه فاذا هي في كفه قد سقطت من وجهه . فلما رأى ذلك انصرف الي البصرة فلم يلبث الا قليلا حتى هلك . فلما بلغ عبد الملك موته وجه الحجاج بن يوسف واليا عليها فقال له موسى بن نصير ماقالك فلا يفوتك وكان عبد الملك قد أراده لامر غضب عليه منه . فكتب خالد بن ابان من الشام الى موسى بن نصير : انك معزول وقد وجه اليك الحجاج بن يوسف وقد أمر فيك بأغلاظ أمر فالنجاة النجاة والوحا الوحا فاما أن تلحق بالفرس فتأمن أو أن تلحق بعبد العزيز بن مروان مستجيراً به ولا تمكن ملعون ثقيف من نفسك فيحكم فيك . فلما أتاه الكتاب ركب النجائب ولحق بالشام وبها يومئذ عبد العزيز بن مروان وقد وفد بأول مصر فكتب الحجاج من العراق : ياأمير المؤمنين انه لاقدر لما اقتطعه موسى بن نصير من أموال العراق وليس بالعراق فاحبث به الي

(دخول موسى بن نصير على عبد الملك بن مروان) قال وذكروا ان عبد الرحمن بن سالم حدثهم عن أبيه انه حضر يومئذ شأن موسى ودخوله على عبد الملك . قال وكانت لموسى يد عظيمة عند عبد العزيز بن مروان يطول ذكرها . قال سالم قال لى موسى لما قدمت الشام لقيت بها عبد العزيز وكان ذلك من صنع الله فأدخلني على عبد الملك فلما رآني عبد الملك قلت موسى قال ما تزال تعرض لحينك علينا ؟ قال قلت لم ياأمير المؤمنين ؟ قال لجرأتك علي وانقطاعك الي . قال فقلت مافعلت ياأمير المؤمنين وما ألونك نصحا واجتهادا و اصلاحا . قال اقسم لتؤدين دينك خمسين مرة . قال قلت لم ياأمير المؤمنين ؟ قال فاتركني أتنها حتى قال قم لتؤدينها مائة مرة . فذهبت لأتكلم فأشار علي عبد العزيز ان قل نعم ، فقلت نعم ياأمير المؤمنين . ثم خرجت فأعانني عبد العزيز بخمسين الفا وأديت خمسين الفا في ثلاثة أشهر ثم بها على

(تولية موسى بن نصير على افريقية) قال وذكروا ان عبد العزيز لما رجع الي مصر صار موسى معه فكان من أشرف

الناس عنده فأقام بها ما أقام حتى قدم حسان بن النعمان من افريقية بريد الشام الي عبد الملك وقد فتح له بها فتحا وقتل الكاهنة فأجازه عبد الملك وزاده برقة وردده اليها (الي افريقية) والياً فأقبل حتى نزل مصر وبعث معه بعثا من هناك فأخذوا اعطياتهم منه ثم ساروا حتى نزلوا ذات الجماجم قال فبلغ عبد العزيز ان حسان بن النعمان يطلب برقة من عند عبد الملك وانه قد ولاه اياها فبعث اليه فقال له أولاك أمير المؤمنين برقة ؟ قال نعم فقال له عبد العزيز لا تمرض وكان عليها مولي لعبد العزيز فقال حسان ما أنا فاعل فغضب عبد العزيز وقال له انت بعهدك عليها ان كنت صادقا . قال فأتي بحسان فلما قرأه عبد العزيز وجدها فيه فالتفت الى حسان فقال ما أنت بتاركها ؟ قال والله لا أعزل عما ولانيه أمير المؤمنين. قال فقد في يدك فسيولي هذا الامر من هو خير منك وأولي به منك في سيرته ومعرفته وسياسته ويغني الله أمير المؤمنين عنك . ثم أخذ عبد العزيز عهده ومزقه وردها بموسي بن نصير فعقده علي افريقية يوم الخميس في صفر سنة تسع وسبعين فتجهز موسي بن نصير وحمل الاموال الى ذات الجماجم وبها الجيوش ينتظرون واليهم فقدم عليهم موسى بن نصير فلما صار علي الجيش الاول أتي بعصفور حتى وقع علي صدره فأخذه موسي فذعا بسكين فذبحه موسي ولطخ بدمه صدره من فوق الثياب ونتف ريشه وطرحه علي صدره وعلي نفسه . ثم قال الفتح ورب الكعبة والظفر ان شاء الله

(خطبة موسي بن نصير رحمه الله)

قال وذكروا ان موسى لما قدم ذات الجماجم وقد توافت الجيوش بهاجم الناس فقام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أيها الناس ان أمير المؤمنين أصلحه الله رأى رأيا في حسان بن النعمان فولاه تقدمكم ووجهه أميراً عليكم وانما الرجل في الناس بما أظهر والرأى فيما أقبل وليس فيما أدبر فلما قدم حسان بن النعمان علي عبد العزيز أكرمه الله كفر النعمة وضيع الشكر ونازع الامر أهله فغير الله ما به . وانما الامير أصلحه الله صنو امير المؤمنين وشريكه ومن لا يتهم في عزمه ورأيه وقد عزل حسان عنكم ورلاني مكانه عليكم ولم يأل ان اجهد نفسه في الاختيار لكم

وانما أنا رجل كأحدكم فمن رأى مني حسنة فليحمد الله وليحض علي مثلها ومن رأى مني سيئة فلينكرها فاني اخطيء كما تخطئون واصيب كما تصيبون . وقد امر الامير اكرمه الله لكم بعطاياكم وتضعيفها ثلاثا فخذوها هنيئاً مريئاً ومن كانت له حاجة فليرفعها الينا وله عندنا قضاؤها علي ما عز وهان من المواساة ان شاء الله ولا حول ولا قوة الا بالله

(دخول موسي بن نصير افريقية)

قال وذكروا ان موسي لما صار متوجها الي المغرب بقية صفر ثم ربيع وربيع ودخل في جمادى الاولي يوم الاثنين لخمس خلون منه سنة تسع وسبعين فأخذ سفيان ابن مالك الفهري وأبا صالح فغرم كل واحد منهما عشرة آلاف دينار ووجههما الي عبد الملك في الحديد . قال وكان قدوم موسي افريقية وما حولها مخوف بحيث لا يقدر المسلمون أن يبرزوا في العيد بن لقرب العدو منهم وأن عامة بيوتها الخصوص وافضلها القباب وبناء المسجد يومئذ بالحظير غير أنه قد سقف ببعض الخشب وقد كان ابن النعمان بنى القبلة وما يليها بالمدر بنيانا ضعيفا وكانت جبالها كلها محاربة لازام وعامة السهل

(خطبة موسي بأفريقية) قال وذكروا أن موسي لما قدم افريقية ونظر الي جبالها والي ماحولها جمع الناس ثم صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال : ايها الناس انما كان قبلي علي افريقية أحد رجلين مسالم يحب العافية ويرضى بالدون من العطية ويكره أن يكلم ويحب ان يسلم أو رجل ضعيف العقيدة قليل المعرفة راض بالهوني . وليس اخو الحرب الا من اكتحل السهر وأحسن النظر وخاض الغمر وصمت به همته ولم يرض بالدون من المغنم لينجو ويسلم دون أن يكلم أو يكلم ويبلغ النفس عذرها في غير خرق بريده ولا عنف يقاسيه متوكلا في حزمه ، جازما في عزمه مستزيدا في علمه ، مستشيراً لاهل الرأى في أحكام رأيه ، متحنكا بتجاربه ، ليس بالمتجاني اقحاما ، ولا بالمتخاذل احجاما ان ظفر لم يزده الظفر الا حذراً ، وان نكب اظهر جلادة وصبرا ، راجيا من الله حسن العاقبة فذكر بها المؤمنين ورجاهم اياه بقول الله تعالي أن العاقبة للمتقين أي الحذرين . وبعد فان كل ماكان قبلي كان بعهد

الى العدو الاقصى ويشرك عدواً منه ادنى يتميز منه الفرصة ويدل منه على العورة ويكون هونا عليه عند النكبة وأيم الله لاديم هذه القلاع والجبال المتمنعة حتى يضع الله أوقدها ويذل أمنعها ويفتحها على المسلمين بعضها أوجميعها أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين

(فتح زهوان) قال وذكروا أنه كان بزهوان قوم من البربر يقال لهم عبدوه عليهم عظيم من عظمائهم يقال له ورقطان فكانوا يغيرون على سرح المسلمين ويرصدون غرتهم والذى بين زهوان وبين القيروان يوم الى الليل فوجه اليهم موسى خمسمائة فارس عليهم رجل من خشين يقال له عبد الملك فقاتلهم فهزمهم الله وقتل صاحبهم ورقطان وفتحها الله على موسى فبلغ سبيهم يومئذ عشرة آلاف رأس وانه كان أول سبى دخل القيروان في ولاية موسى ثم وجه ابنا له يقال له عبد الرحمن بن موسى الى بعض نواحيها فأتاه بمائة الف رأس ثم وجه ابناً له يقال له مروان فأتاه بمثلها فكان الخمس يومئذ مئتين الف رأس

(قدوم كتاب الفتح على عبد العزيز بن مروان) قال وذكروا أن موسى بن نصير كتب الى عبد العزيز بن مروان يعلمه بخبره بالذى فتح الله عليه وأمكن له ويعلمه ان الخمس بلغ ثلاثين الفا وكان ذلك وهما من الكاتب فلما قرأ عبد العزيز الكتاب دعا الكاتب قال له ويحك اقرأ هذا الكتاب فلما قرأه قال هذا وهم من الكاتب فراجعه. فكتب اليه عبد العزيز: انه بلغنى كتابك وذكر فيه انه قد بلغ خمس ما أفاء الله عليك ثلاثين الف رأس فاستكثرت ذلك وظننت أن ذلك وهم من الكاتب فاكتب الى بعد ذلك على حقيقة واحذر الوهم. فلما قدم الكتاب على موسى كتب اليه: بلغنى أن الامير أبقاه الله يذكر انه استكثر ما جاءه من العدة التى أفاء الله على وانه ظن أن ذلك وهم من الكاتب فقد كان ذلك وهما على ما ظنه الامير والخمس ايها الامير ستون الفا حقا ثابتاً بلا وهم. قال فلما أتى الكتاب الى عبد العزيز وقرأه ملأه سروراً

(انكار عبد الملك تولية موسى ابن نصير) وذكروا أن عبد العزيز لما ولى موسى وعزل حسان كما تقدم وفتح الله لموسى بلغ ذلك عبد الملك بن مروان

فكره ذلك وانكره ثم كره رد رأى عبد العزيز ثم هم بعزل موسى لسوء رأيه فيه ثم رأى أن لا يرد ما صنع عبد العزيز فكتب عبد الملك الى عبد العزيز: اما بعد فقد بلغ امير المؤمنين ما كان من رأيك في عزل حسان وتوليتك موسى مكانه وعلم الامر الذى هزلته وقد كنت انتظر منك مثلها في موسى وقد امضى لك امير المؤمنين من رأيك ما أمضيت وولا ينبغى من وليت فاستوص بحسان خيراً فانه ميمون الطائر والسلام.

(جوابه)

فلما قدم الكتاب على عبد العزيز كتب الى أخيه عبد الملك: اما بعد فقد بلغنى كتاب امير المؤمنين في عزل حسان وتوليتى موسى بن نصير وقد كان مثلها فى منتظراً في موسى ويعلمنى انه قد امضى لي من رأيي ما امضيت ولا ينبغى من وليت وقد علمت ان امير المؤمنين يتفاءل بحسان الذى فتح الله على يديه ولم اعد مع نظرى لامير المؤمنين بأن عزلت حسانا وليت موسى في يمن طائره وحسن أثره. فأما قول امير المؤمنين قد كنت انتظرها منك في موسى فلعمرى لقد كنت لها فيه مرصداً ولامير المؤمنين ان يسبق بها اليه منتظراً حتى حضر أمر جهدت فيه نفسي لامير المؤمنين ولنفسى الرأى والنصيحة والسلام

(كتاب عبد العزيز بالفتح الى عبد الملك) وذكروا ان عبد العزيز كتب الى عبد الملك: أما بعد فانى كنت وانت يا أمير المؤمنين في موسى وحسان كالمراهنين ارسلا فرسيهما الى غايتهما مأليا معاً وقد مدت الغاية لاحدهما وذلك عنده مزيدان شاء الله وقد جاءنى يا امير المؤمنين كتاب من موسى وقد سوجهته اليك لتقرأه وتحمد الله عليه والسلام

(جوابه)

فكتب اليه عبد الملك: اما بعد فقد بلغ امير المؤمنين كتابك وفهم المثل الذى مثلته في حسان وموسى ويقول ذلك عند احدهما مزيد وكل قد عرف الله على يده خيراً ونصراً وقد أجريت وحدك وكل بجر باخلاء مسرور والسلام. ثم وجه عبد الملك رجلا الى موسى ليقبض ذلك منه على ما ذكر موسى وعلى ما كتب به فلما قدم الرسول على موسى دفع اليه ما ذكر وزاده الفا الوقاء

(فتح هـوارة . وزناتة . وكتامة) قال وذكروا ان مومي أرسـل عياش بن أخيـل الى هوارة وزناتة في الف فارس فأغار عليهم وقتلهم وسـباهم فبلغ سبيهم خمسة آلاف رأس وكان عليهم رجل منهم يقال له كامون فبعث به مومي الى عبد العزيز في وجوه الاسرى فقتله عند البركة التي عند قرية عقبة فسميت بركة كامون فلما ارجع عياش فيهم دعوا الى الصلح فقدم علي مومي بوجوههم فصـالحوهم واخرجوهم وكانت كتامة قد قدمت علي مومي فصالحته وولي عليهـا رجلا منهم واخذ منهم رهونهم وكتب أحدهم الى مومي انما نحن عبدانك فتل احدنا صاحبه وانا خير لك منه فلم يشك مومي از ذلك انما كان من حيلة من كتامة وقد كانت رهون كتامة استأذنوا مومي قبل ذلك بيوم ليتصيدوا فأذن لهم فلما أتاه ما أتاه تحقق ظنه فيهـم وانهم انما هربوا فوجه الخيول في طلبهم فأتي بهم فأراد صلبهم فقالوا لاتفعل ايها الامير يقتلنـا حتى يتبين امرنا فان آبادنا وقومنـا لم يكونوا ليدعوا في خـلاف ابدا ونحن في يدك وانت علي البيان اقدر منك علي استحيائنا بعد القتل فأوقرهم حديدا واخرجهم معه الى كتامة وخرج هو بنفسـه فلما بلغهم خروج مومي تلقاه وجوه كتامة معتذرين فقبل منهم وتبينت له براءتهم واستحيي رهونهم

(فتح صنهاجة) قال وذكروا أن الجواسيس أتوا مومي فقالوا له أن صنهاجة بغرة منهم وغفلة وان ابلهم تنتج ولا يستطيعون براحا فأغار عليهم مومي بأربعة آلاف من أهـل الديوان والفين من المتطوعة ومن قبائل البربر وخلف عياشا علي أثقال المسلمين وعيالهم بظبية في الفي فارس وعلي مقدمة مومي عياض بن عقبة وعلي ميمنته المغيرة بن ابي بردة وعلي ميسرته زرعة بن ابي مدرك فسار مومي حتى غشي صنهاجـة ومن كان معها من قبائل البربر وهم لايشعرون فقتلهم قتل الفناء فبلغ سبيهم يومئذ مائة الف رأس ومن الابل والبقر والغنم والخيل والحرث والثيـاب مالا يحصي ثم انصرف قافلا الى القيروان وهذا كله في سنة ثمانين فلما سمعت الاجناد بما فتح الله علي مومي وما أصاب معه المسلمون من الغنائم رغبوا في الخروج الى الغرب فخرج نحو مما كان

معه فالتقي المغيرة وصنهاجة فاقتتلوا قتالا شديداً ثم ان الله منحه أكتافهم وهزمهم فبلغ سبيهم ستين الف رأس ثم انصرف قافلا

(فتح صجوما) قال وذكروا انه لما كانت سنة ثلاث وثمانين قسم علي مومي نجدة ابن مومي في طائفة أهل مصر فلما قدم عليه أمر الناس بالجهاد والتأهب ثم غزا يريد صجوما وما حولهـا واستخلف عبد الله بن مومى علي القيروان ثم خرج وهو في عشرة آلاف من المسلمين وعلي مقدمته عياض بن عقبة وعلي ميمنته زرعة بن أبي مدرك وعلي ميسرته المغيرة ابن أبي بردة القرشي وعلي ساقته نجـدة ابن مومى فأعطي اللواء ابنه مروان فسار حتى اذا كان بمكان يقال له سجن الملوك خلف به الاثقال وتجرد في الخيول وخلف علي الاثقال عمرو بن اوس في الف وسار بمن معه حتى انتهي الي نهر يقال له ملوية فوجده حايلا فكره طول المقام عليه خوفة من نفاد الزاد وأن يبلغ العدو مخرجه ومكانه فأحدث مخاضة غير مخاضة عقبة ابن نافع وكره أن يجوز عليهـا فلما أجاز وانتهي اليهم وجدهم قد أنذروا به وتأهبوا وأعدوا الحرب فاقتتلوا قتالا شديداً في جبل منيع لايوصل اليهم الا من أبواب معلومة فاقتتلوا يوم الخميس ويوم الجمعة ويوم السبت الى العصر فخرج اليهم رجل من ملوكهم فوقف والناس مصـطفون فنادى بالمبـارزة فلم يجبه أحـد فالتفت مومى الي مروان ابنه فقال له اخرج اليه أي بني فخرج اليه مروان ودفع اللواء الى أخيه عبدالعزيز بن مومي فلما رآه البربري ضحك ثم قال له ارجع فاني أكره أن أعدم منك اباك وكان حديث السن قال فحمل عليه مروان فكره حتى ألجأه الي جبله ثم انه زوق مروان بالزراق فتلقاه مروان بيده وأخذه ثم حمل مروان عليه وزرقه به زرقة وقعت في جنبه ثم لحقت حتى وصلت الى جوف برذونه قال فوقع به البرذون ثم التقي الناس عليه فاقتتلوا قتالا شديداً أشد ما كان قبله ثم ان الله هزمهم وفتح المسلمين عليهم وقتل ملكهم كسيلة بن لزم وبلغ سبيهم مائتي الف رأس فيهـم بنـات كسيلة وبنات ملوكهم ومالا يحصي من النساء السـبيات اللاتي ليس لهن ثمن ولا قيمة . قال فلما وقفت بنات الملوك بين يدى موسى قال

على بمروان ابني قال فأتي به قال له أي بني اختر قال فاختار ابنة كيلة فاستراها فهي أم عبد الملك بن مروان هذا . قال قائل يومئذ زرعة بن أبي مدرك فقالا شديداً أبلي فيه حتى اندقت ساقه قال فأتي موسى أن لا يحمل الا على ركاب الرجال حتى يدخل القيروان وأن يحمله خمسون رجلا كل يوم يتعاقبون بينهم ثم انصرف موسى وقد دانت له البلاد كلها وجعل يكتب الى عبد العزيز بفتح بعد فتح وملأت سباياه الاجناد وتمايل الناس اليه ورغبوا فيما هنالك لديه فكان عبد الملك بن مروان كثيراً ما يقول اذا جاءه فتوح موسى . لتهنئك الغلبة أبا الاصبغ ثم يقول وعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيراً كثيراً . قال وبعث موسى الى عياض وعنبان والي عبيدة بن عقبة فقال اشتفوا وضعوا أسيافكم في قتله قال فقتل منهم عياض مائة رجل صبرا من خيارهم وكبارهم فأرسل اليه موسى أن أمسك فقال : أما والله لو تركتني ما أمسكت عنهم ومنهم عين تطرف

(قدوم الفتح على عبد الملك بن مروان) قال وذكروا ان موسى لما قدم وجه بذلك الفتح الى عبد العزيز بن مروان مع علي بن رباح فسار حتى قدم على عبد العزيز بمصر فأجازه ووصله ووجهه الى عبد الملك بن مروان أخيه فلما قدم عليه أجازه أيضاً وزاد في عطائه عشرين فلما انصرف قال له عبد العزيز كم زادك أمير المؤمنين قال عشرين قال ولولا أكره أن أعمل مثل ما فعل لزدتك . تلها ولكن تعدلها زيادة عشرة وكتب عبد الملك الى موسى يعلمه ان قد فرض لجميع وفده في مائة ويأمره به هو الى المائتين وفرض في مواليه وأهل الجزاء والبلاء ممن معه خمسمائة رجل ثلاثين ثلاثين وكتب اليه ان أمير المؤمنين قد أمر لك بمائة الف التي أغرمها لك خذها من قبلك من الاخماس قال فلما قدم على موسى كتاب عبد الملك بن مروان يأمره بأخذ المائة الف مما قبله قال فاني أشهدكم انه رد على المسلمين ومعونة لهم وفي الرقاب وكان موسى اذا أفاء الله عليه شيئا اشترى من ظن منهم انه يقبل الاسلام ويحبب فيعرض عليه الاسلام فان رضي قبله من بعد أن يمحص عقله ويجرب فطنة فهمه فان وجده ماهراً أمضى عتقه

وولاه وان يجهد فيه مهارة رده في الحبس والسهام . قال وكتب موسى الى عبد العزيز ببلاء زرعة بن أبي مدرك وما اوصله وانه لولا ذلك أوفده الى امير المؤمنين فعرض له عبد العزيز في مائة وفرض لثلاثين رجلا من قومه وانصرف موسى قافلا وذلك في سنة أربع وثمانين

(غزوة موسى في البحر) قال وذكروا ان موسى اقام بالقيروان بعد قفله شهر رمضان وشوال فأمر بدار صناعة بتونس وجرى البحر اليها فعظم عليه الناس ذلك وقالوا له هذا امر لا نطيقه فقام الى موسى رجل من مسلمة البربر ممن حسن اسلامه فقال له : أيها الأمير قد مر علي مائة وعشرون سنة وان ابي حدثني لاصاحب قرطاجنة لما اراد بناء قناتها اتاه الناس يعظمون عليه ذلك فقام اليه رجل فقال له أيها الملك انك ان وضعت يدك بلغت منها حاجتك فان الملوك لا يعجزها شيء لقوتها وقدرتها فضع يدك أيها الامير فان الله تعالى سيعينك على ما نويت ويؤجرك فيما توليت . فسر بذلك موسى وأعجبه قول هذا الشيخ فوضع يده فبنى دار صناعة بتونس وجرى البحر اليها مسيرة اثني عشر ميلا حتى أفضى داره الصناعة فصارت مشتى للمراكب اذا هبت الانواء والارياح ثم أمر بصناعة مائة مركب فأقام بذلك بقية سنة اربع وثمانين وقدم عطاء بن ابي نافع المذلي في مراكب اهل مصر وكان قد بعثه عبد العزيز بريد مردانية فأرسي بسوسة فأخرج اليه موسى الارماق وكتب اليه ان ركوب البحر قد فات في هذا الوقت وفي هذا العام فأقم لا تغرر بنفسك فانك في تشرين الآخر فأقم بمكانك حتى يطيب ركوب البحر . قال فلم يرفع عطاء لكتاب موسى رأسا وشحن مراكبه ثم رفع فسار حتى أتى جزيرة يقال لها سلسلة وافتتحها وأصاب فيها مغانم كثيرة وأشياء عظيمة من الذهب والفضة والجواهر ثم انصرف قافلا فأصابته ريح عاصف فتفرق عطاء واصحابه واصيب الناس وقعوا بسواحل أفريقية فلما بلغ ذلك موسى وجه يزيد بن مسروق في خيل الى سواحل البحر يفتش على ما يلقى البحر من سفن عطاء وأصحابه فأصاب تابوتا منحوتا قال فيه كان اصل غناء يزيد بن مسروق . قال ولقد لقيت شيخاً متوكئاً على قصبة فذهبت لاناشه

فنازعني فأخذت القصبة من يده فضربت بها عنقه فانكسرت فتناثر منها اللؤلؤ والجوهر والدنانير . ثم ان موسى أمر بتلك المراكب ومن فيها من النوانية فأدخلهم دار الصناعة بتونس . ثم لما كانت سنة خمس وثمانين امر الناس بالتأهب لركوب البحر وأعلمهم أنه راكب فيه بنفسه فرغب الناس وتسارعوا ثم شحن فريق شريف ممن كان معه الا وقد ركب حتى اذا ركبوا في الفلك ولم يبق احد الا أن يرفع دعا برمح فقده لعبد الله بن موسى ابن نصير وولاه عليهم وامره ثم أمره أن يرفع من ساعته وانما أراد موسى بما أشار من مسيره ان يركب أهل الجلد والنكاية والشرف فسميت غزوة الاشراف ، ثم صار عبد الله بن موسى في مراكبه وكانت تلك أول غزوة غزيت في بحر افريقية قال فأصاب في غزوته تلك صقلية ففتح مدينة فيها فأصاب مالا يدرى فبلغ سهم الرجل مائة دينار ذهبا وكان المسلمون مابين الالف الى الثمانمائة ثم انصرف قافلا سالما . فأتت موسى وفاة عبد العزيز ابن مروان واستخلاف الوليد بن عبد الملك سنة ست وثمانين فبعث اليه البيعة ويفتح عبد الله بن موسى وما أفاء الله على يده ثم ان موسى بعث زرعة بن ابي مدرك الى قباش من البربر فلم يلق حربا منهم ورغبوا في الصلح فوجه رؤوسهم الى موسى فأعطاهم الأمان وقبض رهونهم وعقد لعياش بن اخيل على مراكب اهل أفريقية فنشق في البحر وأصاب مدينة يقال لها سرقوسة ثم قفل في ست وثمانين ثم ان عبد الله بن مرة قام بطالعة اهل مصر على موسى في سنة تسع وثمانين فعقد له موسى على بحر افريقية فأصاب سردانية وافتتح مدائنها فبلغ سبيها ثلاثة آلاف رأس سوى الذهب والفضة والحرث وغيره

(غزوة السوس الاقصى) قال وذكروا ان موسى وجه مروان ابنه الى السوس الاقصى وملك السوس يومئذ مزدانة الاسوارى فسار في خمسة آلاف من اهل الديوان . فلما اجتمعوا ورأى مروان ان الناس قد تجاولوا الى قتال العدو وان في يده اليمنى القناة وفي يده اليسرى الترس وانه يشير بيده الى الناس أن كما أنتم . فلما التقى مروان ومزدانة اقتتل الناس اذ ذاك قتالا شديداً ثم انهزم مزدانة

ومنح الله مروان اكتافهم فقتلوا قتلة الفناء فكانت تلك الغزوة استئصال اهل السوس على يدى مروان فبلغ السبي اربعين الفا وعقد موسى على بحر افريقية حتى نزل بمبورقة فافتتحها

(قدوم الفتوحات على الوليد بن عبد الملك) قال وذكروا أن خادما للوليد ابن عبد الملك بن مروان اخبرهم قال. اني لقريب من الوليد بن عبد الملك وبين يديه طشت من ذهب وهو يتوضأ منه اذ أتي رسول من قبل قتيبة بن مسلم من خراسان يفتتح من فتوحاتها فأعلمته قال خذ الكتاب منه فأخذه فقرأه فما اتي على آخره حتى اتي رسول آخر من قبل موسى بن نصير يفتتح السوس من قبل مروان ابن موسى . فاعلمته قال هاته فقرأه فحمد الله وخر ساجداً لله حامداً ثم التفت الى قال امسك الباب لا يدخل أحد قال وكان عنده ابن له يحبسو بين يديه فما خر الوليد ساجدا شاكرا لله جاء الصبي الى الطشت فاضطرب فيه وصاح فما التفت اليه قال وصرت لا استطيع ان اغيثه لما امرني به من امساك الباب واطال السجود حتى خفي صوت الصبي ثم رفع رأسه فصاح بي فدخلت وأخذت الصبي وانه لما به روح

(فتح قلعة ارساف) قال ثم أن صاحب قلعة ارساف اغار على بعض سواحل أفريقية فنال منهم وبلغ موسى خبره فخرج اليه بنفسه فلم يدركه فاشتد ذلك على موسى قال قتلني الله ان لم أقتله وانا مقيم هنا . قال فأقام موسى ما اقام ثم انه دعا رجلا من اصحابه فقال له اني موجهك في أمر وليس عليك فيه بأس ولك عندي فيه حسن الثواب خذ حذين الاذنين فسر فيهما بمن معك حتى تأتي موضع كذا وكذا في مكان كذا فانك تجد كنيسة وتجد الروم قد جعلوها لعيدهم فاذا كان الليل فاذن من ساحلها وودع احدى حذين الاذنين بما فيهما ثم انصرف الى بالاذن الاخرى وبعث معه موسى قبة من الخز والوشي ومن طرائف أرض العرب ثيباً مليحا وكتب كتابا بر ومية جوابا لكتاب كأنه كان كتب به الى موسى يسأله الامان على أن يدله على عورة الروم وكتب فيه امان من موسى مطبوع . فسار حتى انتهى الى الموضع الذى وصف له موسى فترك الاذن

بها فيها وانصرف راجعاً في الاذن الاخرى حتى قدم على موسى . وان الروم لما عثروا على اذن موسى استنكروها فرفع أمرها الى بطريق تلك الناحية فأخذ مافيها فلما رأى مافيها من الكتب والهدية عاب ذلك فبعث بها كما هي الى الملك الاعظم فلما افضت اليه وقرأ الكتب تحقق ذلك عنده فبعث الى ارماقر رجلا وملكه عليها وأمر أن يضرب عنق صاحبها الذى اغار على ساحل افريقية ففعل فقتله الله بحيلة موسى

(فتح الاندلس) قال وذكروا أن موسى وجه طارقا مولاه الى طنجة وما هنالك فافتتح مدائن البربر وقلاعها ثم كتب الى موسى اني قد اصبت منة صفن فكتب اليه موسى اتمها سبعاً ثم سيرها الى شاطىء البحر واستعد لشحنها واطلب قبلك رجلا يعرف شهور السريانيين فاذا كان يوم احد وعشرين من شهر اذار بالسرياني فاشحن على بركة الله ونصره في ذلك اليوم فان لم يكن عندك من يعرف شهور السريان فشهور العجم فانها موافقة لشهور السريان وهو شهر يقال له بالاعجمية مارس فاذا كان يوم احد وعشرين منه فاشحن على بركة الله كما امرتك ان شاء الله فاذا جريت قدر حتى يلقاك جبل أحمر وتخرج منه عين شرقية الى جانبها صنم فيه تمثال صور فاكسر ذلك التمثال وانظر في من معك اليه رجل طويل اشقر بعينه قبل ويده شلل فاعقد له على مقدمتك ثم أقم مكانك حتى ينشاك ان شاء الله . فلما انتهى الكتاب الى طارق كتب الى موسى: اني منته الى مامر الامير ووصف غير اني لم أجد صفة الرجل الذى امرتني به الا في نفسي فسار طارق في الف رجل وسبعمائة وذلك في شهر رجب سنة ثلاث وتسعين وقد كان لوذريق ملك الاندلس قد غزا عدوا يقال له البشكنس واستخلف ملكا من ملوكهم يقال له تدمير فلما بلغ تدمير مكان طارق ومن معه من المسلمين كتب الى لوذريق : انه قد وقع بأرضنا قوم لاندري أمن السماء نزلوا أم من الارض نبعوا. فلما بلغ لوذريق ذلك أقبل راجعاً الى طارق في سبعين الف عنان ومعه العجل تحمل الاموال والزخرف وهو على سرير بين دابتين وعليه قبة مكللة بالدر والياقوت

والزبرجد ومعه الحبال ولا يشك في أسرهم فلما بلغ طارقا دنوه منهم قام في أصحابه فحمد الله ثم حض الناس على الجهاد ورغبهم في الشهادة وبسط لهم في آمالهم ثم قال أيها الناس أين المفر البحر من ورائكم والعدو أمامكم فليس ثم والله الا الصدق والصبر فانهما لا يغلبان وهما جندان منصوران ولا تضر معهما قلة ، ولا تنفع مع الخور والكسل والفشل والاختلاف والعجب كثرة ايها الناس ما فضلت من شيء فاعلموا انه ان حملت فاحملوا وان وقفت فقفوا ثم كونوا كهيئة رجل واحد في القتال الا واني عامد الى طاغيتهم بحيث لا تنهيه حتى اخالطه او اقتل دونه فان قتلت فلا تهنوا ولا تحزنوا ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم وتولوا الدبر لعدوكم فتبددوا بين قتيل وأسير واياكم اياكم أن ترضوا بالدنية ولا تعطوا بأيديكم وارغبوا فيما عجل لكم من الكرامة والراحة من المهنة والله وما قد أحل لكم من ثواب الشهادة فانكم ان تفعلوا والله سكم وسيذكم تبوؤن بالخسران المبين وسوء الحديث غداً بين من عرفكم من المسلمين وها انا ذا حامل حتى أفشاه فاحملوا بصلق . فحمل وحملوا فلما غشيهم اقتتلوا قتالا شديداً ثم ان الطاغية قتل وانهزم جميع العدو فاحتز طارق رأس لوذريق وبعث به الى موسى بن نصير وبعث به موسى مع ابنه وجهز معه رجالا من أهل افريقية فقدم به على الوليد بن عبد الملك ففرض له في الشرف وأجاز كل من كان معه ورده الى أبيه موسى . وان المسلمين قد أصابوا مما كان مع لوذريق ما لا يدرى ما هو ولا ما قيمته .

قال وكتب طارق الى مولاه موسى : ان الامم قد تداعت علينا من كل ناحية فالغوث الغوث ، فلما أتاه الكتاب نادى في الناس وعسكر وذلك في صفر سنة ثلاث وتسعين وكان أحب الخروج اليه يوم الخميس اول النهار فاستخلف عبدالله ابن موسى على افريقية وطنجة والسوس وكتب ساعة قدم عليه كتاب طارق الى مروان يأمره بالمسير فسار مروان بمن معه حتى أجاز الى طارق قبل دخول أبيه موسى وخرج موسى بن نصير والناس معه حتى أتى الجواز فأجاز بمن زحف معه في جوفه وعلى مقدمته طارق مولاه فوجد الجموع قد شردت اليه من كل مكان فسار حتى

افتتح قرطبة وما يليها من حصونها وقلاعها ومدائنها فذل الناس يومئذ ذلا لم يسمع بمثله ولم يسلم من النذول يومئذ الا أبو عبد الرحمن الجبلي . ثم ان موسى صار لا يرفع له شيء الا هذه يفتتح له المدائن يمينا وشمالا حتى انتهى الى مدينة الملوك وهي طليطلة فوجد فيها بيتا يقال له بيت الملوك وجد فيه أربعة وعشرين تاجا تاج كل ملك ولي الاندلس كان كلما ملك ملك جعل تاجه في ذلك البيت وكتب على التاج اسم صاحبه وابن كم هو ويوم مات ويوم ولي ووجد في ذلك البيت أيضا مائدة عليها اسم سليمان بن داود عليه السلام ومائدة من جزع فحمد موسى الى التيجان والآنية والموائد فقطع عليها الاغشية وجعل عليها الاسماء ليس منها شيء يدرى ماقيمته ، فأما الذهب والفضة والمتاع فلم يكن يحصيه أحد .

(اتهام الوليد موسى بالظلم) قال وذكروا ان الوليد بن عبد الملك بن مروان لما بلغه مسير موسى بن نصير الى الاندلس ظن انه يريد أن يخلع ويقيم فيها ويمتنع بها وقيل ذلك له وأبطأت كتب موسى عليه لاشتغاله بما هنالك من العدو توطئة لفتح البلاد فأمر الوليد القاضي أن يدعو على موسى اذا قضى صلاته ، وان موسى لما دخل طليطلة بعث علي بن رباح بفتحها وأوفد معه وفداً فسار حتى قدم دمشق صلاة العصر فدخل المسجد فأتى القاضي فدعا على موسى فقال : أيها الناس الله الله في موسى والدعاء عليه والله ماتزع يداً من طاعة ولا فرق جماعة وانه لفي طاعة أمير المؤمنين والذب عن حرمات المسلمين والجهاد للمشركين واني لأحدثكم عهداً به وما فسحت الآن الا من عنده وان عنده لخبره وما أداه الله على يده لامير المؤمنين وما أيد به المسلمين ماتقر به أعينكم ويسر به خليفتكم

(دخول وفد موسى على الوليد بن عبد الملك) قال وذكروا ان الوليد لما بلغه خبر هذا المتكلم الوافد من عند موسى أرسل اليه فأدخل عليه ثم قال ماوراءك ؟ فقال كل ماتحب ياأمير المؤمنين تركت موسى بن نصير في الاندلس وقد أظهره الله ونصره وفتح على يديه مالم يفتح على يد أحد ، وقد أوفد الي أمير المؤمنين في نفر من وجوه من معه بفتح من فتوحه

فدفع اليه الكتاب من عند موسى فقرأه الوليد فلما أتى على آخره خر ساجداً فطار نوم رأسه أثناء فتح آخر فخر أيضاً ساجداً ثم رفع رأسه، فأتاه آخر بفتح آخر وخر ساجداً حتى ظننت انه لايرفع رأسه

(ذكر ما وجد موسى في البيت الذي وجد فيه المائدة مع صور العرب) قال وذكروا ان هرم بن هياض حدثهم عن رجل من أهل الغزو انه كان مع موسى بالاندلس حين فتح البيت الذي كانت فيه المائدة التي ذكروا انها كانت لسليمان ابن داود عليه السلام فقال : كان بنى عليه أربعة وعشرون قفلا كان كلما تولى ملك جعل عليه قفلا اقتداء منه بفعل من كان قبله حتى اذا كانت ولاية الوذريق القوطي الذي افتتحت الاندلس على يديه وفي ملكه قال والله لا أموت بغم هذا البيت ولا أفتحه حتى أعلم مافيه فجمعت اليه النصرانية والاساقفة والشماسة وكل منهم معظم له فقالوا له ماتريد بفتح هذا البيت ؟ فقال والله لا أموت بغمه ولاعلمت مافيه . فقالوا أصلحك الله انه لاخير في مخالفة السلف الصالح وترك الاقتداء بالاولياء فانه بمن كان قبلك وضع عليه قفلا كما صنع غيرك ، لايحملك الحرص على مالم يحملهم عليه فانهم أولي بالصواب منا ومنك فأبى الا فتحه فقالوا له انظر ماظننت ان فيه من المال والجوهر وماخطر على قلبك فانا ندفعه اليك ولا نحدث علينا حدثا لم يحدثه فيه من كان قبلك من ملوكنا فانهم كانوا أهل معرفة وعلم . فأبى الا فتحه ففتحه فوجد فيه تصاوير العرب ووجد كتابا فيه : اذا فتح هذا البيت دخل هؤلاء الذين هيئاتهم هكذا هذه البلاد فملكوها. فكان دخول المسلمين من العرب اليه في ذلك العام

(ذكر مأقام الله عليهم) قال وذكروا عن الليث بن سعيد ان موسى لما دخل الاندلس ضربوا الاوتاد لخيولهم في جدار كنيسة من كنائسها فتلفت الاوتاد فلم تلج فنظروا فاذا بصفائح الذهب والفضة خلف بلاط الرخام . قال وذكروا ان رجلا كان مع موسى ببعض غزواته بالاندلس وانه رأى رجلين يحملان طنفسة منسوجة بالذهب والفضة والجوهر والياقوت . فلما أثقلتهما أنزلاها ثم حملا عليها الدأس فقطعاها نصفين فأخذا نصفا وتركا الآخر قال فلقد رأيت الناس يمرون

بيننا وشيالا مايلتفون اليها استغناء عنها بما هو أنفس منها وأرفع . قال وأقبل رجل الى مومي فقال ابعث معي أدلكم على كنز . فبعث معه مومى رجلا فقال الذى دلهم انزلوا هاهنا فنزلوا فسال عليهم من الزبرجد والياقوت ما لم يروا مثله قط فلما رأوه بهتوا وقالوا لا يصدقنا مومى أرسلوا اليه . فأرسلوا حتى جاء ونظر قال وكانت الطنفسة قد نظمت بقضبان الذهب والفضة المسلسلة باللؤلؤ والياقوت والزبرجد . قال وكان البربر يأن ربما وجداها فلا يستطيعان حملها حتى يأتيا بالفأس فيضربا وسطها ويأخذا منها ما أمكنهما استثقالا بثير ذلك مما هو أنفس منها. قال الليث وبلغني ان رجلا خل في غزوة عطاء بن نافع فحمل ماقل حتى جعله في مزفت بين كتفيه وصدره فحضره الموت فجعل يصيح المزفت المزفت وحدثنا ابن أبي ليلى النجيبي عن حميد عن أبيه انه قال لقد كانت الغاية تطلع في بعض غزوات مومي فينظر في حازها فيوجد فيه مسامير الذهب والفضة . قال وكتب مومي حين افتتح الاندلس الى أمير المؤمنين : انها ليست كالفتوح يا أمير المؤمنين ولكنه الحشر . وأخبرني عن عبد الحميد بن جعفر عن أبيه انه قال قدمت الاندلس امرأة عطارد فخرجت بخمسمائة رأس فأما الذهب والفضة والآنية والجوهر فذلك لايحاط بعلمه . قال وحدثني ياسين بن رجاء انه قدم عليهم رجل من أهل المدينة شيخ فجعل يحدثنا عن الاندلس وعن دخول مومي اياها . فقلنا له فكيف علمت هذا ؟ قال اني والله من سببه ولأخبرنكم بعجيب. والله ما اشتراني الذى اشتراني الا بقبضة من فلفل لمطبخ مومي بن نصير. فقلنا له ما أقدمك؟ فقال أبي كان من وجوه الاندلس فلما سمع بمومي بن نصير عمد الى عين ماله من الذهب والفضة والجوهر وغير ذلك فدفنه في موضع قد عرفته فتقدمت أنا للخروج الى ذلك الموضع لاستخراجه. قلنا له وكم لك منذ فارقته قال سبعون سنة قلنا له أفنسيته ؟ قال نعم، فلم ندر بعد مافعل

(غزوة مومي بن نصير البشكيس والافرنج) قال وذكروا ان مومي خرج من طليطلة بالجموع غازيا يفتح المدائن جميعا حتى دانت له الاندلس وجاءه وجوه جليقية فطلبوا الصلح فصالحهم

وغزا البشكيس فدخل في بلادهم حتى اتى قوما كاليهائم ثم مال الى الزنجة حتى انتهى الى سرقسطة ففتحها واقتتح مادونها من البلاد الى الاندلس قال فأصاب فيها مالا يدرى ماهو ثم سار حتى جاوزها بعشرين ليلة وبين سرقسطة وقرطبة شهر أو اربعون ليلة قال وذكروا أن عبد الله ابن المنيرة بن ابي بردة قال كنت ممن غزا مع مومي اندلس حتى بلغنا سرقسطة وكانت من أقصى مابلغنا مع مومي الا يسيراً من ورائها فأتينا مدينة على بحر ولها اربعة ابواب قال فبينا نحن محاصروها اذ اقبل عياش بن اخيل صاحب شرطة مومي قال أيها الامير انا قد فرقنا الجيش ارباعا على نواحي المدينة وقد بقي الباب الاقصى وعليه رتبة . قال له مومي بن نصير دع ذلك الباب فانا سننظر فيه قال ثم أن مومي التفت الي وقال لي كم معك من الزاد قلت مابقي معي غير تليس قال فأنت لم يبق معك غير تليس وانت من امراء الجيش فكيف غيرك ؟ اللهم أخرجهم من ذلك الباب قال المنيرة فأصبحنا من تلك الليلة وقد خرجوا من ذلك الباب فدخلوا مومي منه ووجه ابنه مروان في طلبهم فأدركهم فأسرع القتل فيهم وأصابوا مما كان معهم ومما في المدينة شيئاً عظيما . قال وذكروا أن جعفر بن الاشتر قال كنت فيمن غزا الاندلس مع مومي فحاصرنا حصنا من حصونها عظيما بضعا وعشرين ليلة لم نقدر عليه فلما طال ذلك عليه نادى فينا أن أصبحوا على تعبئة ، وظننا انه قد بلغه مادة من العدو قد دنت منا وانه يريد التحول عنهم فأصبحنا على تعبئة فقام فحمد الله ثم قال . ايها الناس اني متقدم أمام الصفوف فاذا رأيتموني قد كبرت وحملت فكبروا واحملوا . فقال الناس صبحان الله أترى قد عقله أم هرب عنه رأيه يأمرنا نحمل على الحجارة ومالا سبيل اليه ؟ قال فتقدم بين يدى الصفوف حيث يراه الناس ثم رفع يديه وأقبل على الدعاء والرغبة وأطال ونحن ركوب منتظرون تكبيره فاستمد دنا ثم ان مومي كبر وكبر الناس وحمل وحمل الناس فتهدت ناحية الحصن التي تلينا فدخل الناس منها وما راعنى الا خيل المسلمين تموج فيها وفتحها الله علينا فأصبنا منها من السبي والجوهر مالا يحصى . قال وحدثني

مولاة لعبد الله بن بن مومي وكانت من أهل الصدق والصلاح أن مومي حاصر حصنها الذي كانت من أهله وكان تلقاءه حصن آخر قالت فأقام لنا محاصراً حيناً ومعه أهله وولده وكان لا يغزو الا بهم لما يرجو في ذلك من الصواب . قالت ثم أن أهل الحصن خرجوا الى مومي فقاتلوه قتالا شديداً ففتح الله عليه . قالت فلما رأى ذلك أهل الحصن الآخر نزلوا على حكمه ففتحهما مومي في يوم واحد فلما كان في اليوم الثاني الى حصناً ثالثاً فالتقى الناس فاقتتلوا قتالا شديداً ايضا حتى حال المسلمون حوله . قال فأمر مومي بسرادقه فكشطه عن نسائه وبنائه حتى برزن قال فلقد كسرت بين يديه من اغماد السيوف مالا يحصى وحمي المسلمون واحتدم القتال ثم أن الله فتح عليه ونصره وجعل العاقبة له . وقال عبد الرحمن بن سلام كنت فيمن غزا مع مومي في غزواته كلها فلم ترد له راية قط ولا هزم له جمع قط حتى مات . وقال ابن صخر لما قدم مومى الاندلس قال له اسقف من اساقفتها انا لنجدك في كتب الحدثان عن دانيال يصفك صياداً تصيد بشبكتين رجل الك في البر ورجل في البحر تضرب بهما هاهنا وهاهنا فتصيد . قال فسر بذلك مومي وأعجبه . وقال عبد الحميد بن حميد عن ابيه أن مومي لما أوغل وجاوز سرقسطة اشتد ذلك على الناس وقالوا ابن تذهب بنا حسبنا مالي ايدينا . وكان مومي قال حين دخل افريقية وذكر عقبة بن نافع قد كان غرر بنفسه حين أوغل في بلاد العدو والعدو من بينه وعن شماله وامامه وخلفه اما كان معه رجل رشيد ؟ فسمعه حبيش الشيباني قال فلما بلغ مومي ذلك المبلغ قام حبيش فأخذ بعنانه ثم قال : ايها الامير اني سمعتك وأنت تذكر عقبة ابن نافع تقول لقد غرر بنفسه وبمن معه اما كان معه رجل رشيد وانا رشيدك اليوم ابن تذهب تريد أن تخرج من الدنيا أو تلتمس أكثر وأعظم مما آتاك الله عز وجل واعرض عما فتح الله عليك ودونك ؟ اني سمعت من الناس مالم تسمع وقد ملأوا ايديهم واحبوا الدعة . قال فضحك مومي ثم قال ارشدك الله وكثر في المسلمين مثلك . ثم انصرف قافلا الى الاندلس . فقال مومي يومئذ اما والله لو انقادوا الى لقدمتهم الى رومية ثم يفتحها

الله على يدى ان شاء الله

(خروج مومى بن نصير من الاندلس) قال وذكروا ان عبد الرحمن ابن سلام أخبرهم وكان مع مومي بن نصير بالاندلس ، قال أقام مومي بقية سنته تلك وأشهراً من سنة أربع وتسعين ثم خرج وافداً الى الوليد بن عبد الملك وكان ما أقام بها مومي عشرين شهراً واستخلف عبد العزيز بن مومي فجاز مومي البحر على الاندلس فغزا بالناس حتى بلغوا اربونة ومعه أبناء الملوك من الافرنج وبالتيجان والمائدة والآنية والذهب والفضة والوصفاء الوصائف ومالا يحصى من الجوهر والطرائف وخرج معه وجوه الناس . قال وذكروا عن صفة المائدة عن عبد الحميد انه قال : كانت مائدة خوان ليست لها أرجل قاعدتها منها وكانت من ذهب وفضة خليطين فهي تتلون صفرة وبياضا مطوقة بثلاثة أطواق طوق لؤلؤ وطوق ياقوت وطوق من زمرذ قال قلت : فما عظمها ؟ قال: كنا بموضع والناس معسكرون اذ أقلت بغل لرجل من موالي مومى يقال له صالح أبو ريشة على ركبة فكردها في العسكر فقام الناس اليه بأعدة الاخبية وجال في العسكر جولة فتطلع مومي فقال ما هذا وتطلع الجواري فاذا هو بالفيل يكرد الركبة وقد أدلي فغار مومي وقال احملوا عليه المائدة فلم يبلغ بها الا منقله حتى تفتحت قوائمه لكثرة ثقلها على هذا الفيل القوى

(قدوم مومي افريقية) قال وذكروا أن يزيد بن مسلم مولى مومي أخبرهم انه لما جاز مومي لحصن أمرهم بصناعة العجل فعملت له ثلاثون ومئة عجلة ثم حمل عليها الذهب والفضة والجوهر وأصناف الوشي الاندلسي حتى أتي افريقية فلما قدمها بقي بها سنة أربع وتسعين ثم قفل واستخلف ابنه عبد الله على افريقية وطنجة والسوس وخرج معه وافد مروان بن مومي وعبد الأعلى بن مومي وعبد الملك بن مومي وخرج معه مائة رجل من أشراف الناس من قريش والانصار وسائر العرب ومواليها منهم عياض بن عقبة وعبد الجبار بن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف والمغيرة بن أبي بردة وزرعة بن أبي مدرك وسليمان بن نجد ووجوه من وجوه الناس وأخرج معه من

وجوه البربر مائة رجل فيهم بنو كسيلة وبنو قصدو وبنو ملوك البربر وملك السوس ومزدانة وملك قلعة ابوصاف وملك ميورقة وخرج بعشرين ملكا من ملوك جزائر الروم وخرج معه مئة من ملوك الاندلس ومن الافرنجيين ومن القرطبيين وغيرهم وخرج معه أيضاً بأصناف ما في كل بلد من بزها ودوابها ورقيقها وطرائفها وما لايحصى فأقبل يجر الدنيا وراءه جراً لم يسمع بمثله ولا بمثل ماقدم به

(قدوم موسي الي مصر) قال وذكروا أن يزيد بن سعيد بن مسلم أخبرهم قال لما أتي بموسي مصر وانتهي ذلك الى الوليد بن عبد الملك كتب الى قرة بن شريك أن ادفع الى موسي من بيت مال مصر ما أراد فأقبل موسي حتى اذا كان في بعض الطريق لقيه خبر موت قرة بن شريك ثم قدم مصر سنة خمس وتسعين فدخل المسجد فصلي عند باب الصوال وكان قرة استخلف ابن رقاعة علي الجند حتى توفي فلما سمع بموسي خرج مبادراً حتى لحقه حين استولي علي دابته فلقيه فسلم عليه فقال له موسي من أنت يالبن أخي ؟ فانتسب له فقال مرحبا وأهلا ، فسار معه حتى نزل منية عمرو بن مروان فعسكر بها موسي فكلمه حينئذ رقاعة في المال الذى كان استخرجه من صفيان بن مالك الفهرى وذلك بعد هلاك صفيان فقال هو لك قال فأمر بدفع عشرة آلاف دينار الى ولد صفيان بن مالك قال فأقام موسي ثلاثة أيام تأتيه أهل مصر في كل يوم فلم يبق شريف الا وقد أوصل اليه موسي صلة ومعروفا كثيراً وأهدى لولد عبد العزيز بن مروان فأكثر لهم وجامعهم بنفسه فسلم عليهم ثم سار متوجها حتى أتي فلسطين فتلقوه آل روح بن زنباع فنزل بهم فبلغني أنهم نحروا له خمسين جزوراً وأقام عندهم يومين وخلف بعض أهله وصغار ولده عندهم وأجاز آل مروان وآل روح ابن زنباع بجوائز من الوصائف وغيرذلك من الطرف

(قدوم موسي علي الوليد رحمهما الله تعالى) قال وذكروا ان محمد بن سليمان وغيره من مشائخ أهل مصر أخبروهم ان موسي لما قدم علي الوليد وكان قدومه عليه وهو في آخر شكايته التي توفي منها وقد كان لسليمان بن عبد الملك بعث الي موسي من لقيه في الطريق قبل قدومه

علي الوليد يامره بالتثبط في مسيره وان لايعجل فان الوليد يأخر دمقه . فلما أتي موسي بالكتاب من سليمان وقرأه قال : خيبت والله ماغدرت وماوفيت والله لاتربصت ولا تأخرت ولا تعجلت ولكن اسير بمسيرى فان اوافه حيا لم أتخلف عنه وان عجلت منيته فأمره الى الله . فرجع الرسول الى سليمان فأعلمه فقال لئن ظفر بموسي ليصلبنه أو ليأتين علي نفسه . فلما قدم موسي علي الوليد وكان الوليد لما بلغه قدوم موسي واقترابه منه وجه اليه كتابا يأمره اليه بالعجلة في مسيره خوفا أن تعجل به منيته قبل قدوم موسي وانه أراد أن يرا موان يحرم سليمان ماجاء به فلم يكن لموسي شيء يثبطه حين أتاه كتاب الوليد فأقبل حتى دخل عليه وقدم تلك الطرائف من الدر والياقوت والزبرجد والوصفاء والوصائف والوشي ومائدة سليمان بن داود عليه السلام ومائدة ثانية من جزع ملون والتيجان قال فقبض الوليد الجميع وامر بالمائدة فكسرت وعمد الى الخرز ما فيها والتيجان والجزع فجعله في بيت الله الحرام وفرق غير ذلك ولم يلبث الوليد أن مات رحمه الله .

(خلافة سليمان بن عبد الملك وما صنع بموسي بن نصير) قال وذكروا أن عبد الرحمن أخبرهم ان سليمان بن عبد الملك لما أفضت الخلافة اليه بعث الي موسي فأتي به فعنفه بلسانه وكان فيما قال له يومئذ . أهلي اجترأت وأمرى خالفت والله لأقتلن عبدك ولأفرقن جمعك ولأبددن مالك ولأضعن منك ماكان يرفه غيرى ممن كنت تمنيه اماني الغرور وتخدعه من آل ابي سفيان وآل مروان . فقال له موسي . والله يالمير المؤمنين ماعملت علي بذنب سوى أنى وفيت للخلفاء قبلك وحافظت علي ولى النعمة عندى فيه . فأما ماذكر امير المؤمنين من أنه يقل عددى و يفرق جمعي و يبدد مالي ويخفض حالي فذلك بيد الله والي الله وهو الذى يتولي النعمة علي الاحسان الي و به استعين و بيده الله عز وجل امير المؤمنين ويعصمه أن يجرى علي يديه شيئا من المكروه لم استحقه ولم يبلغه ذنب اجترمته . فأمر به سليمان فوقف في يوم صائف شديد الحر علي طريقه قال وكانت بموسي نسمة فلما أصابه حر الشمس وأتعبه الوقوف هاجت عليه . قال وجعلت

قرب الدرق تنتوره فما زال كذلك حتى سقط وعمر بن عبد العزيز حاضر الى أن نظر سليمان الى موسي وقد وقع مغشياً عليه قال عمر بن عبد العزيز : مامر بي يوم كان أعظم عندي ولا سكنت فيه أكرب من ذلك اليوم لما رأيت من الشيخ موسي وما كان عليه من بعد اثره في سبيل الله وما فتح الله علي يديه . قال فالتفت الي سليمان فقال ياابا حفص ماأظن الا قد خرجت من يميني قال عمر فغشيت ذلك منه فقلت ياامير المؤمنين شيخ كبير بادن وبه نسمة قد اهلكته وقد انت علي مافيه من السلامة لك من يمينك وهو موسي البعيد الاثر في سبيل الله العظيم البناء عن المسلمين. قال عمر والذي منعني من الكلام فيه ماكنت اعلم من يمينه وحقده عليه ، فخشيت ان ابتدأته أن يلح عليه وهو لموح . قال فما قال لي ماقال حمدت الله علي ذلك وعلمت أن الله قد أحسن اليه وان سليمان قد ندم فيه فقال سليمان من يضمنه ؟ فقال يزيد بن المهلب أنا اضمنه يامير المؤمنين . قال وكانت الحال بين يزيد وموسي لطيفة خاصة قال سليمان فضمنه اليك ياابن يزيد ولا تضيق عليه . قال فانصرف به يزيد وقد قدم اليه دابة ابنه مخير فركبها موسي فأقام أياما قال ثم أنه تقارب مابين موسى وسليمان في الصلح حتى افتدى منه موسي بثلاثة آلاف الف دينار

(عدد موالي موسي بن نصير) قال وذكروا عن بعض البصريين أن رجلا منهم اخبرهم أن يزيد قال لموسي ذات ليلة وقد سهر سهراً طويلا ياابا عبد الرحمن كم تعد مواليك وأهل بيتك فقال كثير قال يكونون الفا قال له موسي نعم والفا والفا حتى ينقطع النفس لقد خلفت من الموالي مالاأظن أن احداً خلف مثلهم قال له يزيد انك لعلي مثل ماوصفت وتعلي يدك ألا اقمت بدار عزك وموضع سلطانك وبعثت بما قدمت به فان اعطيت الرضا اعطيت الطاعة والا كنت علي التخيير من امرك ؟ فقال موسي والله لو أردت ذلك ماتناولوا طرفا من اطرافي الي أن تقوم الساعة ولكن آثرت حق الله ولم أر الخروج من الطاعة والجماعة. ثم خرج يزيد من عنده فنظر اليه موسي وقال لمن عنده والله أن في رأس أبي خالد لنفرة وليأتين عليها

(ذكر ما رآه موسى بالمغرب من العجائب) قال وذكروا عن محمد بن سليمان من مشائخ أهل مصر قال لما بعث موسى رحمه الله بالجيش الذي أقاله الله عليه وكان مائة الف وأس فنزلوا بالاسكندرية ونزل بعضهم كنيسة فيها فسميت كنيسة الزقيق الي اليوم ونزلوا موضعا بالفسطاط فتسوقوا فيه فسمي سوق البربر الي اليوم قال محمد بن سليمان ومحمد بن عبد الملك ان موسى اتخذ لنفسه داراً وسكناً حتى كان من أمر سليمان ما قد ذكر وهو الذي أخرجه وأهله من المغرب قال وحدثنا بعض أهل أفريقية ان موسي ركب يوما حتى خرج من القيروان فوقف قريبا من افريقية علي رأس أميال فأخذ بيده ترابا فشمه ثم أمر بحفر بئر وابتنى داراً واتخذ فيها خيلا فسميت بئر منية الخيل فليس يعلم بالمغرب بئر أعذب منها ، وحدثنا البكر بن أبو بكر عبد الوهاب بن عبد الغفار شيخ من مشائخ تونس قال ان موسي انتهي الى صنم يشير بأصبعه حلفه ثم تقدم الى صنم أمام الصنم الاول فاذا هو يشير بأصبعه الي السماء ثم تقدم فاذا بصنم علي نهر ماء جار يشير بأصبعه تحت قدميه فلما انتهي موسي الى الصنم الثالث قال موسي احفروا فاذا بمحدث مختوم الرأس قد أخرج فأمر به موسى فكسر فخرجت ريح شديدة فقال موسى للجيش أتدرون ماهذا قالوا لا والله أيها الامير ماندري. قال ذاك شيطان من الشياطين التي صجنها نبي الله سليمان بن داود . قال وحدثنا بعض مشايخ أهل المغرب ان موسي أرسل ناسا في مراكب فأمرهم أن يسيروا حتى ينتهوا الى صنم يشير بأصبعه أمامه في جزيرة في البحر ثم يسيروا حتى يأتوا صنما آخر في جزيرة يشير بأصبعه أمامه ثم يسيروا الليالي والايام ويجدوا في السير حتى يأتوا صنما آخر في جزيرة في البحر فيها أناس لايعرف كلامهم قال فاذا بلغتم ذلك فارجعوا . وذلك في أقصى المغرب ليس وراءه أحد من الناس الا البحر المحيط وهو أقصي المغرب في البر والبحر . قال وحدثنا بعض المشايخ من أهل المغرب ان موسي بلغ نهراً من أقصي المغرب فاذا عليه في الشق الايمن أصنام ذكور وفي الايسر أصنام اناث وان موسي لما انتهي الي ذلك الموضع خاف الناس لما رأى ذلك منهم وجمع

بالناس ثم مضى في وجهه ذلك حتى انتهى الى أرض تميد بأهلها فزع الناس وخافوا فرجع بهم قالوا وحدثنا عبد الله بن قيس قال بلغنى ان موسى لما جاز الاندلس أتي موضعاً فاذا فيه قباب من نحاس فأمر بقبة منها فكسرت فخرج منها شيطان نفخ ومضى فعرف موسى انه شيطان من الشياطين التي سجنها سليمان بن داود فأمر موسى بالقباب فتركت على حالها وسار بالناس . قال وحدثنا عمارة بن راشد قال بلغنا ان موسى كان يسير في بعض غزواته وهو يأمني المغرب اذ غشي الناس ظلمة شديدة فعجب الناس منها وخافوا وسار بهم موسى في ذلك اذ هجم على مدينة عليها حصن من نحاس فلما أتاها أقام عليها وطاف بها فلم يقدر على دخولها فأمر بنقبل ورماح وندب الناس فجعل يقول من يصعد هذه وله خمسمائة دينار فصعد رجل فلما استوى على سورها نزدى فيها . ثم ندب الناس موسى ثانية وقال من يصعد وله الف دينار فصعد آخر ففعل به مثل ذلك . ثم ندب الناس ثالثة قال من يصعد وله الف وخمسمائة دينار فصعد رجل ثالث فأصابه ما أصاب صاحبيه فكلم الناس موسى فقالوا هذا أمر عظيم أصيب اخواننا وغررت بهم حتى هلكوا قال لهم على رسلكم يأتيكم الامر على ما تحبون ان شاء الله ثم أمر موسى بالمنجنيق فوضعت على حصن المدينة ثم أمر أن يرمي الحصن فما علم من في الحصن ما عمل موسى ضجوا وصاحوا وقالوا يا أيها الملك لسنا بنينك ولا نحن ممن تريد نحن قوم من الجن فاعرف هنا . فقال لهم موسى أين أصحابي وما فعلوا ؟ قالوا هم عندنا على حالهم . فقال أخرجوهم الينا قالوا نعم فأخرج الثلاثة نفر فسألهم موسى عن أمرهم وما صنع بهم فقالوا مادرينا ما كنا فيه وما أصابنا شوكة حتى أخرجنا اليك . فقال موسى الحمد لله كثيراً . ثم تقدم بالناس سائراً يفتح كل ما مر به . ثم نرجع الى حديث سليمان بن عبد الملك

(تولية سليمان بن عبد الملك أخاه مسلمة وما أشار به موسى عليه) قال وذكروا ان سعيد بن عبد الله أخبرهم قال ان سليمان بن عبد الملك بعث مسلمة الى أرض الروم ووجه معه خمسمائة وثلاثين الف رجل وخمسمائة رجل ممن قد ضمه الديوان واكتسب في العطاء وغلب في

الارزاق ثم دعا سليمان بموسى بعد ان رضى عنه على يد عمر بن عبد العزيز فقال سليمان له أشر علي يا موسى فلم تزل مبارك الغزوة في سبيل الله بعيد الاثر طويل الجهاد . فقال له موسى : أي يا أمير المؤمنين ان توجه بمن معه فلا يمر بحصن الا صير عليه عشرة آلاف رجل حتى يفرق نصف جيشه ثم يمضي بالباقي من جيشه حتى يأتي القسطنطينية فانه يظفر بما يريد يا أمير المؤمنين . قال فدعا سليمان مسلمة فأمره بذلك من مشورة موسى وأوعز اليه ولم يعلم مسلمة بالمشورة فكأنه كره ذلك وكان في مسلمة بعض الاباية ثم رجع الى قول موسى فما صنع بأرض الروم حين ظفر ببطريق ليس فوقه الا ملك الروم فقال البطريق لمسلمة آمني على نفسي وأهلي ومالي وولدي وأنا آتيك بالملك ؟ فأمنه ومضى البطريق الى الملك الاعظم فأعلمه بما فعل مسلمة وما ظفر به منه ومن حصون الروم فلما رأى ذلك ملك الروم أعظم ذلك وسقط في يديه فقال البطريق له عند ذلك مالي عليك ان صرفت مسلمة عنك وجميع من معه ؟ فقال الملك اجعل تاجي على رأسك وأقعدك مكاني فقال البطريق أنا أكفيك ذلك فرجع البطريق الى مسلمة فقال أخرني ثلاثا حتى آتيك بالملك . فبعث البطريق الى جميع الحصون بأمرهم بالقدوم الي الجبال وحمل ما قدروا عليه من الطعام وأمر باحراق الزرع وغير ذلك مما يؤكل وينتفع به مما كان خلفه مسلمة وحنده وما بين المسلمين وملك الروم فلما فعلوا ما أمروا به وعلم انه أحكم أمره بعث الى مسلمة فقال له : لو كنت امرأة لقلت بك كما يفعل الرجل بامرأته . قال فتنغيظ مسلمة وآلى الا يبرح حتى يظفر بملك الروم

(سؤال سليمان موسى عن المغرب)

قال وذكروا ان محمد بن سليمان أخبرهم أن سليمان بن عبد الملك قال لموسى من خلفت على الاندلس ؟ قال له عبد العزيز ابن موسى . قال ومن خلفت على أفريقية ؟ وطنجة والسوس ؟ قال عبد الله ابني فقال له سليمان لقد أنجبت يا موسى . فقال موسى ومن انجب مني يا أمير المؤمنين ان ابني مروان الذي يملك الاندلس وابني عبد الله الذي يملك ميورقة وصقلية وسردانية وان ابني مروان الذي يملك السوس الاقصى فهم متفرقون في الأمصار وغيرهم يتبرون

فيأتون من السبي بما لايحصى فمن أعجب مني يا أمير المؤمنين ؟ قال فغضب سليمان فقال ولا أمير المؤمنين ليس بأعجب منك؟ فقال موسى شأن أمير المؤمنين شأن ليس فوقه شأن وكل شأن وان عظم دونه لأنه به وبنسه وعلى يديه وأمره . قالوا وحدثنا عبد الله بن شريح قال بلغني ان موسى لما نزل الجزيرة عند قدومه من المغرب أتاه رجل من بني أمية فقال له يا موسى أنت ملك المغرب وأعلم الناس فمخرج الى الوليد وتعلم من سليمان ؟ فقال له موسى : يا ابن اخي حسبك من قريش ثم من بني أمية ما تعلم ألا ترى يا ابن أخي ان الصبي يأخذ العظم فيمقفه بمجسل ثم ينصبه ويهيء ويضم فيه حبة بر أو ذرة فينصب الهدهد العالم ما تحت الارض ثم يدفعه المقادير الى الوقوع فيه . فاحذر يا ابن أخي أن ترك الشام أو تراها . فخرج موسى الى الوليد بدمشق فات الوليد واستخلف سليمان أخاه فلقي منه موسى ما ذكرنا وخرج القرشي الى الشام فقربت عنقه

(ذكر قدوم موسى على الوليد)

قال وذكروا ان موسى لما قدم على الوليد وذلك يوم الجمعة في حين جلوس الوليد بن عبد الملك على المنبر وكان موسى قال لبعض من وفد معه بأن يلبس كل رجل من الامراء تاجا وثياب ملك ذلك التاج ثم يدخلوا معه المسجد قال فلبس ثلاثين رجلا ثلاثين تاجا وهيأهم هيئة الملوك وأمر بأبناء ملوك البربر فهيئوا وأمر بأبناء ملوك الجزائر والروم فهيئوا كذلك ولبسوا التيجان وأمر بأبناء ملوك الاسبان فهيئوا بمثل ذلك وأمر بالاموال والجوهر واللؤلؤ والياقوت والزبرجد والجزع والوطاء والكساء المنسوج بالذهب والفضة الحرش باللؤلؤ والياقوت والزبرجد فوقف الجميع بباب الوليد وابناء ملوك الزنجة وأقبل موسى بالذين ألبسهم التيجان حتى دخل مسجد دمشق والوليد على المنبر يحمد الله وهو موهون قد أثرت فيه العلة وانهكه المرض وانما كان متحملا لأجل قدوم موسى ومن معه فلما رآهم بهت القوم وقال الناس موسى موسى ثم أقبل حتى سلم على الوليد ووقف الثلاثون بالتيجان عن يمين المنبر وشماله ثم ان الوليد أخذ في حمد الله تعالى والثناء عليه والشكر لما أيده الله ونصره فتكلم بكلام

لم يسمع منه وأطال حتى فات وقت الجمعة ثم صلى بالناس فلما فرغ جلس ثم دعا بموسى فنصب عليه الوليد الطعام ثلاث مرات وأجازه بخمسين الف دينار وفرض لولده جميعا في الشرف وفرض لخمسمائة من مواليه ثم أدخل عليه موسى ملوك البربر وملوك الروم وملوك الاسبان وملوك الزنجة ثم ادخل عليه رؤوس اهل البلاد ممن كان معه من قريش والعرب فأحسن جوائزهم وفرض لهم في الشرف ثم أقام موسى عند الوليد أربعين يوما ثم ان الوليد هلك

(ذكر اختلاف الناقلين في صنع سليمان بموسى) قالوا لما استخلف سليمان بعد أخيه الوليد فكان احنق الناس على الحجاج وموسى بن نصير وكان يحلف لئن ظفر بهما ليصلبنهما وكان حنقه عليهما لامر يطول ذكره . قال فأرسل سليمان الى عمر بن عبد العزيز فأتاه فقال اني صالب غداً موسى بن نصير فبعث عمر الى موسى فأتاه فقال له : يا ابن نصير اني أحبك لاربع : الواحدة بعد أثرك في سبيل الله وجهادك لعدو الله ، والثانية حبك لآل محمد صلى الله عليه وسلم ، والثالثة حبك عياض بن عقبة لما تعلم من حسن رأيي فيه ، وكان عياض من عباد الله الصالحين ، والرابعة ان لا أبي عندك يداً وصنيعة وأنا أحب أن تتم يده وصنيعته حيث كانت وقد سمعت أمير المؤمنين يذكر انه صالبك غداً فأحدث عهدك وانظر فيما أنت فيه ناظر من أمرك . فقال له موسى قد فعلت وأصدقت ذلك اليك. فقال له عمر لو قبلت ذلك من أحد قبلت منك ولكن اسند الي من أحببت . فانصرف فلما أصبح اغتسل وتحنط وراح ولم يشك في الصلب فلما انتصف النهار واشتد الحر وذلك في حارة الصيف دعا سليمان موسى فأدخل عليه متمبا وكان بادنا جسيما به نسمة لا تزال تعرض له فلما وقف بين يديه شتمه وخوفه وتوعده فقال له موسى : أما والله يا أمير المؤمنين ماهذا بلائي ولا قدر جزائي ، اني البعيد الاثر في سبيل الله العظيم الغناء عن المسلمين مع قدمة آبائي مع آبائك ونصيحتي لهم . قال فيقول له سليمان كذبت فناني لقد ان لم أقتلك. فلما أكثر على موسى قال له اما والله لمن في بطن الارض أحب الي ممن على ظهرها فقال سليمان ومن أولئك ؟ أراك تصغر

موسى مروان وعبد الملك والوليد أخوك وعبد العزيز عمك . قال فكاد سليمان ينكسر ثم يقول قتلني الله ان لم أقتلك . فيقول له موسى ما أنت بفاعل يا أمير المؤمنين . فيقول ولم لا لانم لك فيقول له موسى اني لأرجو أن لا يكرم موسى بهوان أمير المؤمنين وموسى حينئذ قائم في الشمس قد ارتفع غمه وعظم بهره . ثم التفت سليمان الى عمر بن عبد العزيز فقال ما ارى بيني الا قد برت يا عمر . قال عمر فاغتنمتها منه ولم أبل أن يحنث باحياء رجل من المسلمين . فقلت أجل يا أمير المؤمنين امرؤ كبرت سنه وكثر حلمه وبه سمة وبهر وسقم فما أراه الا ميتا . قال ثم التفت سليمان الى جلسائه فقال من يأخذ هذا الشيخ فيستخرج منه هذه الاموال؟ فقال يزيد بن المهلب أنا يا أمير المؤمنين قال خذه ولا تمسه وضع العذاب على ابنيه مروان وعبد الاعلى . فخرج به يزيد فحمله على دابة ابنه ثم انصرف به الى منزله فأكرمه وبره وقال له : أطع أمري وأجب أمير المؤمنين الى مقاضاته عن نفسك وعن ابنيك وحاني كل قضيته عليه . فقال له موسى أما اذا كنت أنت صاحب هذا الشأن فأنا غير مخبرك فيما ضمنت لأمير المؤمنين وأيم الله لو أمر سواك بي وأمره بالبسط علي لكان أحب الي أن ألقى الله عز وجل وأقرب الي من أن يأخذ مني ديناراً واحداً ولكن اديا يابني عن أنفسكما وعن أبيكما . فقالا نعم فعندا يزيد بن المهلب الى سليمان فأعلمه بذلك وبرضاء موسى بقاضائه فأدخله سليمان عليه فقال موسى أرأيت لو لم أقاضك ماكنت فاعلا ؟ فقال سليمان أضم العذاب عليك وعلى ابنيك حتى أبلغ ما أريد أو آتي على أنفسكم . فقال موسى الآن طابت نفسك يا أمير المؤمنين فأعطى أربع خصال ولك ما دعوتني اليه من هذا المال . فقال وما هن ؟ قال لا تعزل عبد الله بن موسى عن افريقية وجميع عمله سنتين وان كل ما جباه عبد الله بافريقية وعبد العزيز بالاندلس فهو لي فيما قاضيت عليه أمير المؤمنين . وأن تدفع الي طارقة مولاي وأكون أعلى به عيناً وبماله . فقال له سليمان أما ماسألتني من اقرار عبد العزيز وعبد الله على مكانهما فذلك . وأما ماسألت من دفع طارق اليك فتكون أعلى عينا به وبماله فليس

هذا جزاء أهل النصيحة لامير المؤمنين فلست بفاعل ولا حائل بينك وبين عقوبته ولا آخذ ماله . فقاضاه موسى على مال فأجله في ذلك وخلى سبيله

(نسخة القضية) هذا ماقاضى عليه عبد الله سليمان امير المؤمنين موسى بن نصير قاضاه على أربعة آلاف الف دينار وثلاثين الف دينار وخمسين ديناراً ذهباً طيبة يؤديها الى امير المؤمنين وقد قبض منها امير المؤمنين مائة الف وبقي على موسى سائر ذلك اجله امير المؤمنين الى صير رسول امير المؤمنين الى ابن موسى الذى بالاندلس يمكث شهراً بالاندلس وليس له أن يمكث وراء ذلك يوما واحدا حتى يقبل واجماً بالمال الا ما كان من افريقية وما دونها وليس لموسى أن يتكثر بشيء على ماكان عليه من العمل منذ استخلص الله امير المؤمنين من ذمة أو في أو امانة فهو لامير المؤمنين يأخذه ويقتضيه ولا يحسبه موسى من غرامته فان ادى موسى الذى سمي امير المؤمنين في كتابه هذا من المال الى ماقد سمي امير المؤمنين من الاجل فقد برىء موسى وبنوه واهله وموالية : ليس عليهم تبعة ولا طالبة في المال ولا في العمل يقرون حيث شاؤا وما كان قبض موسى أو بنوه من عمال موسى الى قدوم رسول امير المؤمنين افريقية فهو من الذى على موسى من المال يحسب له من الذى عليه وما لم يقبض قبل وصول رسول امير المؤمنين فليس منه في شيء وقد خلى امير المؤمنين بين موسى وبين اهله وموالية ليس له بظلم احد منهم غير أن امير المؤمنين لا يدفع اليه طارقة مولاه ولا شيئاً من الذى قد أباه عليه أول يوم . شهد ايوب ابن امير المؤمنين وداود ابن امير المؤمنين وعمر ابن عبد العزيز وعبد العزيز بن الوليد وسعيد بن خالد ويعيش بن سلامة وخالد ابن الريان وعمر بن عبد الله ويحيى بن سعيد وعبد الله بن سعيد وكتبه جعفر بن عثمان في جمادى سنة تسع وتسعين . فلما تقاضيا أمر سليمان يزيد بن المهلب بتخلية موسى وابنيه والكف عنه فأعانه يزيد ابن المهلب بمائة الف دينار فاهدى اليه موسى حقا فيه ثلاث خرزات فبعث بهن الى بن المهلب فقومن فقومن بثلاثمائة الف دينار فقال ابن المهلب لموسى ترى لم قلت لامير المؤمنين انا اضبه ؟ قال لا

قال خفت أن يجيبه قبلي من لا يرى فيك ما انا عليه لك وكانت لك يد عند المهلب رحمه الله فأحببت ان أجزيك بها عنه وبالله لو لم تغسل وايت عن القاضاة ما شاكتك عندي شوكة حتى لا يبقى لآل المهلب مال ولا ثوب . قال فجزاه موسى خيرا

(ذكر يد موسى الى المهلب) قال وذكروا أن مخبراً اخبرهم من شيوخ الشام ممن أدرك القوم وصحبهم قال كانت اليد التي أسداها موسى الي المهلب ان عبد الملك بن مروان لما ولي العراق بشراً اخاه جعل معه موسى ابن نصير وزيراً ومدبرا لامره وقد كانت الازارقة افسدت ماهنالك فأمر عبد الملك بشر بن مروان أن يولي المهلب قتالهم وكان بشر المهلب مسيئا فلما قدم بشر العراق وعلم المهلب برأيه اعتزل بشراً فلم يأته فولي بشر بن مروان قتال الازارقة الوليد بن خالد فانهزم وافتضح ثم ولي بشر رجلا آخر فلم يصنع شيئاً فكتب عبد الملك الى بشر اخيه يقنه ورأيه فيما صنع ويوبخه لما خاف رأيه . فصمم بشر على رأيه فلما استغلظ أمر الازارقة استشار بشر بن مروان اسماء بن خارجة وعكرمة بن ربعي وموسى بن نصير في امر المهلب فأما عكرمة واسماء فوافقا هواه فيه ، واما موسى فقال له أن امير المؤمنين لا يحتملك على المعصية وليس مثل المهلب في فضله وشرفه وقدره في قومه وعرفته أقصيت أو بقوت فان كان ما بلغك امر يقال انه اناه فاكشفه عنه حتى تعلم قدره فيه أو ذنبه. فلم يزل موسى يردد امر المهلب على بشر ويعظمه عليه بعد ان كان هم بقتله ان ظفر به حتى ارسل اليه بشر فجاءه المهلب فتنصل اليه المهلب فقبل منه بشر وولاه ماكان يلي فبعث اليه موسى بخمسين فرسا وبمائة بعير وقال له استعن بها على حربك ثم لم يزل موسى قائما بأمره عنده بشر حتى هلك بشر . قالوا واخبرنا محمد بن عبد الملك ان المهلب في الايام التي كان يخاف فيها بشر بن مروان على نفسه خرج الى مال له فكان فيه وحده فأتي رجل الى بشر وعنده موسى فقال له ان كان لك ايها الامير بالمهلب حاجة فابعث خيلا الى موضع كذا وكذا فانه فيه في غار وحده وليس معه فيه رجل من قومه . فبعث بشر خيلا

قال فنهض من مجلسه موسى فوجه اليه غلاما له ثم قال له انت حر لوجه الله ان انت سبقت هذه الخيل حتى تنتهي الى موضع كذا وكذا فتأتي المهلب فتقول له ان موسى يقول لك النجاة بنفسك فخرج غلام موسى حتى انتهى الى المهلب فأعلمه فاستوى على فرسه فذهب وأتت الخيل فلم تجد أحداً هناك فانصرفوا راجعين الى بشر فاعلموه ذلك

(ذكر قتل عبد العزيز بن موسى بالاندلس) وذكروا أن محمد بن عبد الملك أخبرهم قال أقام موسى بن نصير مع سليمان بن عبد الملك يطلب رضاه حتى رضي عنه وابنه عبد الله بن موسى على افريقية وطنجة والسوس وابنه عبد العزيز على الاندلس كما هو فلما بلغ عبد العزيز الذي فعل سليمان بأبيه موسى تكلم بكلام خفيف حمله عليه حمية لما صنع بأبيه على حسن بلائه فمنت الى سليمان خاف سليمان أن يخالع فكتب الى حبيب بن عبيد وابن وعلة التميمي وسعد بن عثمان ابن ياسر وعمرو بن زياد اليحصبي وعمر ابن كثير وعمرو بن شرحبيل كتب الى كل رجل منهم كتابا يعلمه بالذي بلغه عن عبد العزيز بن موسى وما هم به من الظلم وانه قد كتب الى عبد الله بن موسى يأمره بأشخاصهم الي عبد العزيز وأعلمه انما دعاه الي ذلك الذي أحب من مكافئتكم لانه بأزاء العدو وأعطاهم العهود ان من قتله منهم فهو أمير مكانه وكتب الي عبد الله بن موسى اني نظرت فاذا عبد العزيز بأزاء عدو يحتاج فيه الى الغناء والبلاء فسأل أمير المؤمنين فأخبر ان بمك رجالا منهم فلان وفلان فأشخصهم الي عبد العزيز بن موسى . وكتب سليمان الي عبد العزيز . أما بعد فان أمير المؤمنين علم ما أنت بسبيله من العدو وحاجتك الي الرجال أهل النكاية والعناية فذكر له ان بأفريقية رجالا منهم فكتب أمير المؤمنين الي عبد الله بن موسى يأمره بأشخاصهم اليك فوفهم أطرافك وتغورك واجعلهم أهل خاصتك . وكتب اليهم سليمان اني قد بعثت لكم بكتاب الي أهل الاندلس بالسمع والطاعة لكم والقدر في قتله فاذا ولاكم أطرافه فأقروا عهدي على من قبلكم من المسلمين ثم ارجعوا اليه حتى تقاتلوه . فلما قدم الكتاب على عبد الله بن موسى بأفريقية أشخص القوم

فخرجوا حتى قدموا على عبد العزيز بالاندلس بكتاب سليمان في الطافهم واكرامهم فقربهم عبد العزيز وأكرمهم وحباهم وقال لهم اختاروا أى نواحي تنورى شئتم فتشاوروا الرأى فقالوا انكم ان فعلتم ماأنتم فاعلون ثم رجعتم اليه من أطرافه لم تأمل أن يميل معه عظيم الناس فان في يديه الاموال والقوة من مواليه وغيرهم ولكن اعملوا رأيكم في الفتك به قالوا فان معنا رجلا ان دخل منا استقام لنا الامر ووصلنا الى ماأردنا وهو أيوب بن حبيب بن أخت موسى قال فلقوه ودعوه الى انه ان قتله فهو مكانه فقبل وبايعوه على ذلك ثم انهم أتوا عبدالله بن عبد الرحمن الناقي وكان سيد أهل الاندلس صلاحا وفضلا فأعلموه ثم اقرأوه كتاب سليمان . فقال لهم قد علمتم يدموسى عند جميعكم صغيركم وكبيركم وانما بلغ أمير المؤمنين أمر كتب عليه فيه والرجل لم ينزع يداً من الطاعة ولم يخالف فيستوجب القتل وأنتم ترون وأمير المؤمنين لايرى فأطيعوني ودعوا هذا الامر فأبوا ومضوا على رأيهم فأجمعوا على قتله فوقفوا له فلما خرج لصلاة الصبح ودخل القبة وأحرم وقرأ بأم القرآن الكريم واستفتح (اذا وقعت الواقعة) ضربه حبيب بن أبي عبيدة ضربة فدمغه ولم يصنع شيئا فقطع عبد العزيز الصلاة وخرج وتبعوه فقتله بن وعلة التميمي وأصبح الناس فأعظموا ذلك فأخرجوا كتاب سليمان بذلك فلم يقبلوا أهل الاندلس وولوا عليهم عبدالله ابن عبد الرحمن الناقي ووفد حبيب بن أبي عبيدة برأى عبد العزيز ابن موسى رحمهما الله. انتهى

﴿ الموسوية أو المفضلية ﴾ — فرقة من الشيعة قالت بامامة موسى بن جعفر نصا عليه بالاسم حيث قال الصادق سابعكم قائمكم وقيل صاحبكم قائمكم الا وهو موسى صاحب التوراة ولما رأت الشيعة ان أولاد الصادق على تفرق فمن مات في حال حياة أبيه ولم يعقب ومن مختلف في موته ومن قائم بعد موته مدة يسيرة مات غير معقب وكان موسى هو الذى تولى الامر وقام به بعد موت أبيه ورجعوا اليه واجتمعوا عليه مثل المفضل بن عمر وزرارة بن أعين وعمار الساباطي وروت الموسوية عن الصادق عليه السلام انه قال لبعض أصحابه بعد الايام فعدها من الاحد حتى بلغ السبت

قال له كم عددت ؟ قال سبعة فقال جعفر بعد السبوت وشمس الدهور ونور والشهور من لايلهو ولا يلعب وهو سابعكم قائمكم هذا ، وأشار الى موسى . وقال فيه أيضاً أنه شبيه بعيسى . ثم أن موسى لما خرج واظهر الامامة حمله هارون الرشيد من المدينة فحبسه عند عيسى بن جعفر ثم أشخصه الى بغداد فحبسه عند السندى ابن شاهك وقال ان يحيى بن خالد بن برمك سمه في رطب فقتله وهو في الحبس ثم أخرج ودفن في مقابر قريش ببغداد . واختلف الشيعة بعده فمنهم من توقف في موته وقال لاندرى أمات أم لم يمت . ويقال لهم الممطورة وسماهم بذلك علي ابن اسماعيل فقال ماأنتم الا كلاب ممطورة ومنهم من قطع بموته ويقال لهم القطعية ومنهم من توقف عليه وقال انه لم يمت وسيخرج بعد الغيبة . ويقال لهم الوقفية . أسامي الائمة الاثنا عشر عند الامامية المرتضى والمجتبى والشهيد والسجاد والباقر والصادق والكاظم والرضي والتقي والنقي والزكي والحجة والقائم والمنتظر

﴿ الموشكانية ﴾ — من اليهود أصحاب موشكا على مذهب يوذعان غير أنه كان يوجب الخروج على مخالفه ويصيب القتال معهم فخرج في تسعة عشر رجلا فقتل بناحية قم وذكر عن جماعة من الموشكانية أنهم أثبتوا نبوة المصطفى عليه السلام الى العرب وسائر الناس سوى اليهود لانهم أهل ملة وكتاب . وزعمت فرقة من (المقاربة) ان الله تعالى خاطب الانبياء بواسطة ملك اختاره وقدمه على جميع الخلائق واستخلفه عليهم قالوا فكل مافي التوراة وسائر الكتب من وصف الله عز وجل فهو خبر عن ذلك الملك والا فلا يجوز أن يوصف البارى تعالى بوصف . قالوا فان الذى كلم موسى عليه السلام تكليما هو ذلك الملك والشجرة المذكورة في التوراة هو ذلك الملك ، يتعالى الرب تعالى عن أن يكلم بشراً تكليما وحمل جميع ماورد في التوراة من طلب الرؤية وشاهوت الله ومجاء الله وطلع الله في السحاب وكتب التوراة بيده واستوى على العرش قراراً وله صورة آدم وشعر قطط ووفرة سوداء وانه بكى على طوفان نوح حتى رمدت عيناه وانه ضحك الجبار حتى بدت نواجذه لي غير ذلك على ذلك الملك قال ويجوز في العادة أن يبعث ملكا واحداً من جملة خواصه ويلقي عليه اسمه

ويقول هذا هو رصولي ومكانه فيكم مكاني وقوله وأمره قولي وأمري ، وظهوره عليكم ظهوري ، كذلك يكون حال ذلك الملك. وقيل أن اريوس قال في المسيح أنه هو الله وأنه صفوة العالم أخذ قوله من هؤلاء وهم كانوا قبل أريوس بأربعمائة سنة وهم أصحاب زهد وتنسك وقيل صاحب هذا المقالة هو بنيامين النهاوندي قرر لهم هذا المذهب وأعلمهم أن الآيات المتشابهة في التوراة كلها مؤولة وأنه تعالى لا يوصف بأوصاف البشر ولا يشبه شيئاً من المخلوقات ولا يشبهه شيء منها وانما المراد بهذه الكلمات الواردة في التوراة ذلك الملك المعظم وهذا كما يحمل في القرآن المجيء والاتيان على اتيان ملك من الملائكة وهو كما قال في حق مريم عليها السلام ونفخنا فيها من روحنا وفي مواضع أخر فنفخنا فيه من روحنا وانما النافخ جبريل حين تمثل لها بشراً سوياً ليهب لها غلاماً زكياً

﴿الموصل﴾ قال ياقوت بفتح الميم وكسر الصاد المدينة المشهورة العظيمة احدى قواعد بلاد الاسلام قليلة النظير كبراً وعظماً وكثرة خلق وسعة رقعة فهي بشاطئ العراق ومفتاح خراسان منها يقصد اذربيجان قال وكثيراً ماسمعت أن بلاد الدنيا العظام ثلاثة نيسابور لأنها باب الشرق ودمشق لأنها باب الغرب والموصل لان الواصل الى الجهتين قل مايرى بها وسميت الموصل لانها وصلت بين الجزيرة والعراق وقيل وصلت بين دجلة والفرات وقيل لانها وصلت بين بلد سنجار والحديثة وقيل بل الملك الذي أحدثها كان يسمى الموصل وهي مدينة قديمة الاس على طرف دجلة ومقابلها من الجانب الشرقي نينوى وفي وسط مدينة الموصل قبر جرجيس النبي وفي داخل سورها جامعان أحدهما وسط السوق جديد بناه نور الدين محمود والآخر عتيق قيل بناه مروان بن محمد اخر ملوك بني أمية وهو الذي عظمها وألحقها بالأمصار وجعل لها ديوانا مفرداً ونصب جسرها وبنى سورها وزادت بعد ذلك عمارتها وتضاعف حاصلها وبينها وبغداد أربعة وسبعون فرسخا

وقال ابن حوقل وأما مدينة الموصل فعلى غربي دجلة صحيحة التربة والهواء وشربهم من ماء دجلة وفيها نهر يقطعها وبين مائه ووجه الارض نحو الستين ذراعا ولم يكن فيها شجر وبساتين الا الشيء

القليل فلما كان في وقتنا هذا (القرن الرابع) غرست فيها الاشجار وكثرت الكروم والفواكه والنخيل والخضر وبها مسكن سلطان الجزيرة ودواوينها ويجبى أموالها ولها أقاليم ورساتيق ومدن كثيرة مضافة اليها وارتفاع جبايات زادت على ما كان في سالف الزمان بالظلم والعدوان وذلك لان ابن حمدان اغتصبهم ضياعهم الخراجية واشترى منها القليل بسهم من أعشار ثمنها واصطفى رباعها وداخلها وخارجها. الى أن قال وهي مدينة أبنيتها بالجص والحجارة كبيرة غناء أهلها عرب ولهم بها خطط وأكثرهم نافلة الكوفة والبصرة وكان بها من كل جنس من الاسواق الى الاربع مما يكون في السوق مائة دكان وبها من الفنادق والحمامات والمحال مارغب اليه سكان البلاد النائية فقطنوها وجذبهم اليها رخص أسعارها فسكنوها وهي فرضة لاذربيجان وأرمينية ولها بوادٍ وأحياء كثيرة تصيف في مصائفها وتشتو في مشاتيها الى أن قال وكانت بها بيوت فاخرة وقوم أهل مروءة ظاهرة ففرقهم جور بني حمدان بعد انتزاع أملاكهم ثم مهد لوصف ما كان عليه البلد من السداد والعدد وكثرة ارتفاعه (ايراده) بقوله « والعبرة في الدلالة على قوة البلد وقوة أهله بارتفاعه وجبايته اذ قوام الدنيا بالمال وهذه عبرة لجميع العقلاء ومرآة لسائر الفهماء » وأخذ يسرد أنواع الايراد بابا بابا مما تجده مفصلا في كتابه من صحيفة ١٤٠. الى ١٤٢. ثم قال ولا تزال مدينة الموصل قاعدة لولاية تنسب اليها ويكاد لا يزيد بعدد سكانها اليوم عن خمسين الف نسمة وتجارتها ضعيفة في البسط وبعض الاقمشة

﴿الموصلي﴾ هو أبو محمد اسحق ابن ابراهيم بن ماهان بن بهمن بن نسك التميمي بالولاء الارجاني الاصل المعروف بابن النديم الموصلي وقد سبق ذكر أبيه والكلام في نسبته ونسبه فأغنى عن الاعادة

وكان من ندماء الخلفاء وله الظرف المشهور والخلاعة والغناء الذي تفرد بهما وكان من العلماء باللغة والاشعار وأخبار الشعراء وأيام الناس وروى عنه مصعب ابن عبد الله الزبيري والزبير بن بكار وغيرهما وكان له يد طولى في الحديث والفقه وعلم الكلام . قال محمد بن عطية العطوي الشاعر كنت في مجلس القاضي يحيى بن أكثم فوافى اسحق بن ابراهيم الموصلي

وأخذ يناظر أهل الكلام حتى انتصف منهم ، ثم تكلم في الفقه فأحسن وقاس واحتج ، وتكلم في الشعر والفقه ففاق من حضر ، ثم اقبل على القاضي يحيى فقال له اعز الله القاضي أني شيء مما ناظرت فيه وحكيته نقص أو مطعن ؟ قال لا . قال فما بالي أقوم بسائر هذه العلوم قيام اعلمها وانسب الي فن واحد قد انتصر الناس عليه ؟ يعني الغناء. قال المعطوى فالتفت الي القاضي يحيى وقال لي الجواب في هذا عليك . وكان المعطوى من أهل الجدل فقال القاضي يحيى اعز الله القاضي الجواب على ثم أقبل على اسحق فقال يا ابا محمد أنت كالفراء والاخفش في النحو؟ فقال لا فقال فأنت في اللغة ومعرفة الشعر كالاصمعي وأبي عبيدة ؟ قال لا . قال فأنت في علم الكلام كأبي الهذيل العلاف والنظام البلخي ؟ قال لا قال فأنت في الفقه كالقاضي وأشار الى القاضي يحيى ؟ قال لا قال فأنت في قول الشعر كأبي العتاهية وأبي نواس ، قال لا قال فمن ههنا نسبت الي ما نسبت اليه لانه لا نظير لك فيه وانت في غيره دون رؤساء اهله. فضحك وقام وانصرف فقال القاضي يحيى للمعطوى لقد وليت الحجة

حقها وفيها ظلم قليل لاسحق وانه ممن يقل في الزمان نظيره . وذكر صاحبنا عماد الدين أبو المجد اسماعيل بن باطيش الموصلي في كتابه الذي سماه التمييز والفصل ان اسحق بن ابراهيم الموصلي كان مليح المحاورة والنادرة ظريفا فاضلا كتب الحديث عن سفيان بن عيينة ومالك بن أنس وهشيم بن بشير وأبي معاوية الضرير وأخذ الأدب عن الاصمعي وأبي عبيدة وبرع في علم الغناء فنسب عليه ونسب اليه. وكان الخلفاء يكرمونه ويقربونه . وكان المأمون يقول لولا ماسبق لاسحق على ألسنة الناس واشتهر بالغناء لوليته القضاء فانه أولى وأعف وأصدق وأكثر دينا وأمانة من هؤلاء القضاة ولكنه اشتهر بالغناء وغلب على جميع علومه مع أنه أصغرها عنده ولم يكن له فيه نظير . وله نظم جيد وديوان شعر فمن شعره ماكتبه الى هرون الرشيد :

وآمرة بالبخل قلت لها اقصري
فليس الى ما تأمرين سبيل
أرى الناس خلان الجواد ولا أرى
بخيلا له في العالمين خليل

واني رأيت البخل يزري بأهله
فاكرمت نفسي أن يقال بخيل
ومن خير حالات الفتى لو علمته
اذا نال شيأ أن يكون ينيل
عطاء عطاء المكثرين تكرما
ومالي كما قد تعلمين قليل
وكيف أخاف الفقر أو أحرم الغنى
ورأى أمير المؤمنين جميل

وكان كثير الكتب حتى قال أبو العباس ثعلب رأيت لاسحق الموصلي الف جزء من لغات العرب وكلها سماعه وما رأيت اللغة في منزل أحد قط أكثر منها في منزل اسحق ثم منزل ابن الاعرابي ونقلت من حكاياته انه قال كان لنا جار يعرف بأبي حفص وينبز بالوطي فمرض جار له فعاده فقال له كيف تجدك اما تعرفني فقال له المريض بصوت ضعيف بلى أنت أبو حفص الوطي فقال له تجاوزت حد المعرفة لارفع الله جنبك . وكان المعتصم يقول ماغناني اسحق بن ابراهيم قط الا خيل لي أنه قد زيد في ملكي . وأخباره كثيرة وكان قد عمي في أواخر عمره قبل موته بسنين . ومولده في سنة خمسين ومائة وهي السنة التي ولد فيها الامام الشافعي رضي الله عنه كما تقدم بترجمته في مادة شفع . وتوفي في شهر رمضان سنة خمس وثلاثين ومائتين بعلة الدرب وقيل في شوال سنة ست وثلاثين والاول أشهر . وقيل توفي يوم الخميس بعد الظهر لخمس خلون من ذي الحجة سنة ست وثلاثين رحمه الله تعالى ورثاه بعض أصحابه بقوله :

أصبح الهو تحت عفر التراب
ثاويا في محلة الاحباب
اذ مضى الموصلي وانقرض الا
نس وبحت مشاهد الاطراب
بكت الملهيات حزنا عليه
وبكاء الهوى وصنو الشراب
وبكت آلة المجالس حتى
رحم العود عبرة المضراب

وقيل ان هذه المرثية في أبيه ابراهيم والصحيح الاول

الموصلي هو محمد بن دانيال بن يوسف الموصلي الحكيم الفاضل الاديب شمس الدين صاحب النظم الحلو والنثر العذب والطباع الفاخرة والنكت الغريبة والنوادر العجيبة

قال الشيخ صلاح الدين الصفدي

هو ابن حجاج عصره وابن سكرة مصره وضع كتاب طيف الخيال فأبدع طريقه وأغرب فيه فكان هو المطرب والمرقص على الحقيقة . من شعره :

قلت لمولاى السنى المحسن المتحسن
من قال انك ماتن فان عبدك ماتنى

(وقال ايضا رحمه الله تعالى)

ولرب ليل بالخليج قطعته
اذ بت منه ساهراً بالشاطي
أمسي الضناء منادمي وحشاشتي
محشوة بغرائب الاخلاط
واشقوني بتنا معاً في مضجع
متردين على الثرى ببساط
عصفت على رياحه فوجدتها
أقوى هبوبا من رياح شباط
قد كنت انعس لانتشاق فسائه
غشيا فيوقظني بصوت ضراط
مازلت أنشق منه ريحا منتنا
حتى استحال لي الخراء مخاطي

(وقال ايضا رحمه الله تعالى في فراشه)

قد كمل الله برذوني لمنقصة
وشانه بعد ما أعماه بالعرج
أسير مثل أسير وهو يعرج بي
كأنه ماشيا ينحط من درج
فان رماني على مافيه من عرج
فما عليه اذا مامت من حرج

وقال في الشيخ ابن تعلية وقد ترك الغناء واللهو وتصوف في المشتهى من روضة مصر :

لطمت بعدك الخدود الدفوف
وتحامت تلك الصروف الكفوف
وتساوى عند الرقاق وقدما
ت لدينا ثقيلها والخفيف
وعلت ضجة المواصل حزنا
والندامى على السرور عكوف
وجرت أدمع الرواويق حتى
عاد منها النزيف وهو نزيف
وبدا الشمع وهو من سيلان الد
م انسان عينه مطروف
ياامام الملاح دعوة قاض
في قضايا المجون ليس يحيف
كيف ذقت الخشوع هل هو حلو
ياحريفي بالله او حريف
تبت لله توبة الشيخ ان الز
هد لايحتوى عليه الضعيف
لاتكن راسب المقر فماير
سب في المقر الا الكثيف

واذا قمت للصلاة فقم تع
لية ناشقا فأنت نظيف
واذا ماخلوت في خلوة المس
جد قل للمريد عندى ضيوف
واذا ما أخرجت كيسك بالمع
لوم قل للحضور هذا سفوف
حبذا زهدك التليد فما أنـ
ـت به في الشيوخ الاطريف
قسما ياقلية البين اني
قرم الشوق للقا ملهوف
أترجي منك الرجوع قريبا
طمعا فيك والمحب عطوف

(وقال أيضا رحمه الله تعالى)

أصبحت أفقر من يروح ويغتدى
ما في يدى من فاقة الايدى
في منزل لم يحو غيرى قاعداً
فاذا رقدت رقدت غير ممدد
لم يبق فيه سوى رسوم حصيرة
ومخدة كانت لام المهتدى
ملقي على طراحة في حشوها
قمل كمثل السمسم المتبدد
والفار يركض كالخيول تسابقت
من كل جرداء الاديم واجرد
هذا وكم من ناشر طاوى الحشا
يبدو كمثل الفاتك المتردد
هذا ولى ثوب تراه مرقعا
من كل لون مثل ريش الهدهد

(وقال أيضاً رحمه الله تعالى)

قد عقلنا والعقل أى وثاق
وصبرنا والصبر مر المذاق
كل من كان فاضلا كان مثلي
فاضلا عند قسمة الأرزاق

(وقال أيضا رحمه الله تعالى)

ماعاينت عيناى في عطلتى
أدبر من حظى ولا بختى
قد بعت عبدى وحمارى وقد
أصبحت لا فوقي ولا تحتى

(وقال أيضا رحمه الله تعالى)

ياسائلي عن حرفتي في الورى
وصنعتي فيهم وافلاسي
ما حال من درهم انفاقه
يأخذه من أعين الناس

(وقال أيضا رحمه الله تعالى)

رأيت سراج الدين للصفع صالحا
ولكنه في علمه فاسد الذهن
واستره بالكف خوف انطفائه
وآفته في طفئه كثرة الدهن

وقالوا وقد صلبوا ابن الكازروني وفي عنقه جرة خمر في الايام الظاهرية شعراً:

لقد كان حد الخمر من قبل صلبه
خفيف الاذى اذ كان في شرها جلدا
فلما بدا المصلوب قلت لصاحبي
ألا تب فان الحد قد جاوز الحدا

(وقال أيضا رحمه الله تعالى)

لقد منع الاسلام الخمر فينا
وصير حدها حد الحرابة
فاجسرت لولا الخمر تدخل في الفتاني
لاجل الخمر تدخل في الفتاني

(وقال أيضا رحمه الله تعالى)

كم قيل لي اذ دعيت شمسا
لا بد الشمس من طلوع
فكان ذاك الطلوع داء
سما الي السطح من شلوعي

(وقال أيضا رحمه الله تعالى)

فسر لي طير مناما
أحسن لي في قوله وأجمل
وقال لا بد من طلوع
فكان ذاك الطلوع دمل

(وقال أيضا رحمه الله تعالى)

يارشا لحظه الصحيح العليل
كل صب بسيفه مقتول
لك روف غادرته رهن خصر
وهو رهن كما علمت تميل

(وقال أيضا سامحه الله تعالى)

يالائمي في العذار مهلا
فأنت بالعذل لي مهيج
الحسن قد زادني غراما
اذ رقم الورد بالبنفسج
وكل ديباج خد ظبي
ان لم يكن معلما قد حرج

(وقال أيضا سامحه الله تعالى)

وقد أبطلت المسكرات في أيام حسام الدين لاجين:

احذر ندمي أن تذوق المسكرا
أو أن تحاول قط أمراً منكراً
لاتشرب الصهباء صرفا قرقفا
وتزور من نهواه الا في الكرى
انا ناصح لك ان قبلت نصيحتي
أشرب اذا مارمت سكرا سكرا
والرأي عندي ترك عقلك سالما
من أن تراه بالمدام تنهبا
ذي دولة المنصور لاجين الذي
قهر الملوك وكان سلطان الورى
اياك تأكل أخضراً في عصره
ياذا الفقير يصير جسمك احمرا

والمزر يامسعود دعه جانبا
واشرب من الابن الخبيص مبكرا
وبنى حرام احفظوا ايديكم
فالوقت سيف والمراقب قدري
توبوا وصلوا داعيين لملكه
فيه تنالون النعيم الأكبرا

(وقال سامحه الله وقد دعي الي عرس):

دعوني العرس يامسعدي
فكدت أن احضر من أمس
وها أنا الليلة في داركم
فالكلب مايهرب من عرس

وقال في البرهان الفاحشة وقد صفع وهو ارمد

صفع البرهان وما رجعا
فبكي من بعد الدمع دما
قد كان شكا رمدا صعبا
فازداد بذلك الصفع عمي

ورمي النوروز اخادعه
حتى بانت تشكو ورما
ادماه القوم بآجرة
كانت حوراً لا بل ادما
نزلوا صحرا في ساحته
فرأى الاصباح بهم غلما

من كل فتى بالنظم بدا
مثل القصار اذا احزما
فسقاه بها صرفا صبيا
وسقاه بها صبين بما

(وقال أيضاً سامحه الله تعالى)

في وصف حسنكم تكل الالسن
وجمالكم فهو الجمال الاحسن
ياسادة غابوا فات تصبري
وبكيتهم حتى بكاني المسكن
لي فيكم ظبي ذكرت لحسنه
مين الجنان أجم احور اعين
قاسى الفؤاد علي لكن عطفه
مثلي علي غمز الصبابة لين
بادولكن في الضمير محجب
سهلي ولكن بالرماح محصن
حلفوا بأن الورد زهرة خده
صدق الوشاة وعارضاه سوسن
متلون الميثاق لكن وجهه
بسوى لحياء الطلق لايتلون
في خط عارضه ونقطة خاله
شكل يصاد في الهوى ويبرهن

(قال أيضاً سامحه الله في شرح حاله وشكوى زوجته)

قل لقاضي الفسوق والادبار
عضد البله عمدة الفجار
والذي قد غدا سفينة جهل
وله من قرونه كالصواري
بك اشكو من زوجة صيرتني
غائبا بين سائر الحضار
غيبتني عني بما اطعمتني
فأنا الدهر مفكر في انتظار
غبت حتى لو انهم صفعوني
قلت كفوا بالله عن صفع جاري
فنهاري من البلادة ليل
في التساوي والليل مثل النهار
دار رأسي عن باب داري فبالله
اخبروني ياسادتي اين داري
ملكتني عيارة وعيارا
حين زادت بالدرديس عياري
أين مخ الجمال من طبع مخي
في التساوي وأين مخ الحمار
غفر الله لي بما رحت للبـ
ـحر من البرد اصطلي بالنار
وتجردت للسياحة في الآ
ل لظني به الزلال الجاري
ولكم قد عصبت رجلي برؤيا
أوطأتني حلما على مسمار
ولكم رمت قلع ضرس ضروب
بعد ماضر غاية الاضرار
فاذا بي قلعت بعد عنائي
واجتهادي القوى من أوزاري
ورحي حزنها لطحن فارا
ت ضلالا ادور حول المدار
وانادي وقد سئمت من الركـ
ـض الي اين منتهي مضماري
أنا أختار لو قعدت من الجهـ
ـد ولكن امشي بغير اختيار
أنا انسي أني نسيت فلا يخـ
ـشي سميري اذاعة الاسرار
أنا سطل الشرائحي بما أو
دعت من عجة ومن أبزار
ولكم قد رأيت في الماء شيخا
وهو جاث في الجب كالعيار
شيخ سوء كالثلج ذقنا ولكن
وجهه في سواده كالقار
أشبه الناس بي وقد يشبه التيـ
ـس اخاه في حومة الجزار
فاعتراني رعب وناديت ماكنـ
ـت اخال اللصوص في الازيار
أين ترسي وأين درعي الحقيني
ام عمرو بصارمي البتار

ان امت كنت في الغزاة شهيدا
او اعش كنت شاطر الشطار
ثم أثخنت ذلك الزير ضربا
بحسامي حتى هوى لانكسار
وجرى الماء فاختشيت والا
كدت اقفو الآثار في التيار
انا كالبان في قوامي وان اقـ
ـردتني كنت في التهارش ضاري
أنا مثل الخروف قرنا وان أسـ
ـقطت فاني أعد في الاقذار
أنا لو رمت للعلاج طبيبا
ماتعديت دكة البيطار
بعد ماكنت من ذكائي أدري
ان بابي من صنعة النجار
أحرز البيض قبل مايكسروه
ان فيه البياض فوق الصفار
وبعيني نظرت كوز نحاس
كان عندي أقوى من الفخار
وكثير مني على شيب رأسي
حفظ هذي الاشياء مثل الكبار
(وقال موشحا يعارض به احمد الموصلي رحمه الله)
غصن من البان مثمر قمراً
يكاد من لينه اذا خطرا
بديع حسن صبحان خالقه
مسك ذكي الشذا لناشقه
أبيض ثغر يبدي لعاشقه
نمل عذار يحير الشعرا
وفرق شعر يستوقف النظرا
يابابي شادن فتنت به
يهواه قلبي على تقلبه
مذ زاد في التيه من تجنبه
أحرمني النوم عند مانفرا
حتى لطيف الخيال حين سرا
جوى أذاب الحشى فحرقني
ونيل دمعي جرى فغرقني
لكنه بالدموع خلفني
فرحت امشي في الدمع منحدرا
ذاك لاني غدوت منكسرا
(وأما موشح الموصلي فانه قوله)
بي رشأ عند مارنا وسرى
باللحظ للعاشقين اذ أسرا
بما بأجفانه من الوطف
وما بأعطافه من الهيف
وما بأردافه من الترف
ذا الاسمر اللدن ردني سمرا
وفي فؤادي من قده سمرا

السحر من لحظه ومقلته
والرشد من فرقه وغرته
والغي من صدغه وطرته
بدر لصبح الجبين قد سترا
بليل شعر فانظر له سترا
ان قلت بدر فالبدر ينخسف
أو قلت شمس فالشمس تنكسف
أو قلت غصن فالغصن ينقصف
وسنان جفن سما عن النظرا
وكل طرف اليه قد نظرا
يزهو بثغر كالدر والشهب
والطلع والاقحوان والحبب
رصع شبه اللجين في الذهب
حوى الثريا من ثغره أثر
له الذي ادعي به نثرا
حاجبه مشرف على شغفي
عارضه شاهد على اسفي
ناظره عامل على تلفي
به غرامي قد شاع واشتهرا
وسيفه في الحشا اذا شهرا
عذاره النمل في الفؤاد سعي
والنحل من ثغره الاقاح رعي
ويوسف أيدي النسا قطعا
بالنور من وجهه سبى الشعرا
وردني بالجفا وما شعرا

﴿ الموصلي ﴾ هو علي بن عدلان ابن حماد بن علي الامام العلامة عفيف الدين أبو الحسن الربعي الموصلي المترجم ولد سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وتوفي سنة ست وستين وستمائة وكان علامة تصدر بجامع الصالح وكان من أذكياء بني آدم انفرد بحل المترجم والالغاز وله في ذلك تصانيف منها كتاب عقلة المجتاز في حل الالغاز ومصنف في حل المترجم للملك الاشرف وكتب لعلم الدين السخاوي وهو بدمشق باللبادين قول الحسين بن عبد السلام في المعمي :

ربما عالج القوافي رجال
في القوافي فتلتوي وتلين
طاوعتهم عين وعين وعين
وعصتهم نون ونون ونون

فحلها ابن الحاجب فقال قوله عين وعين وعين يعني نحو غد ويد ودد لانها عينات مطاوعات في القوافي مرفوعة كانت أو منصوبة أو مجرورة لان وزن غدفع ووزن يدفع ووزن ددفع وقوله عصتهم نون ونون ونون الحوت يسمي نونا والدواة لانها تسمي نونا والنون الذي هو الحرف

وكلها نونات غير مطاوعة في القوافي اذ لا يتم واحد منها الا مع الآخر . ونظم ابن الحاجب :

أي غد مع يد ودد حروف
وطاوعت في الروي وهي عيون
ودواة والحوت والنون نونا
ت عصتهم وأمرها مستبين

وقال عفيف الدين أنشدني اسماعيل المسمول الذي ينسب الي صلاح الدين الاربلي رحمه الله تعالي :

وما بيت له في كل عضو
عيون ليس تنكرها العقول
اذا بسطوه تلقاه قصيراً
وان قبضوه تبصره طويل

فقلت هذه شبكة صياد طيور فأخذ يباهت فقلت قد تركته ولا يلزمني أكثر من هذا فأخذ في المباهتة فقلت هذا في جركاه فاعترف انه هو . وكتب اليه ناصر الدين بن النقيب ملغزاً في سيف:

ياعفيف الدين يامن
رق في الفهم وجلا
والذي سموه في النا
س عليا وهو أعلي
يا أخا الفضل الذي فيـ
ـه لنا القدح المعلي
أي شيء طعمه مـ
ـر وان كان محلي
وهو شيخ لا يصلي
ولكم بالضرب صلي
ماله عقل وكم منـ
ـه استفاد الناس عقلا
جفنه من غير سهد
ما يذوق النوم أصلا
وهو لا يحسن قولا
وهو قد يحسن فعلا
وهو ان تعكسه قيـ
ـس فصحفه والا
وهو مطبوع نحيف
عند ما يلقاك بسلا
ولكم بدد جمعا
ولكم شتت شملا
ولكم قد سبق العذ
ل وكم قطع وصلا
فأبن عنه بأجلي
منه في اللفظ وأحلي
وابق في ايوان عز
وبناء ليس يبلي

فكتب عفيف الدين الجواب :

ناصر الدين الذى فا
ق جميع الناس فضلا
والذى وافق في الاسـ
ـم الذى وافق فعلا
والذى اشعاره اشـ
ـهى من الحلي واحلى
هو حلو في فم النا
س وفي العينين يحلي
أن تسلني عن رفيق
لك تجلي حين يجلي
هو أنثى في زمان
ويرى في ذاك فحلا
يشرب الماء ولا يأ
كل الا اللحم اكلا
والندى يؤذيه والنا
ر له الف فيصلي
وهو يسمي العين لاشك
متى ماكان كحلا
محرم في كل وقت
مارآه الناس حلا
عجمي وفصيح
جمع الوصفين كلا
وهو كالمرآة يبدى
مثل رأى الشكل شكلا
ولموع برقه الخـ
ـلب لايمطر وبلا
وعليه أبد الدهـ
ـر ذباب ماتولي
هو مثل الناس في النشـ
ـأة مذ قد كان طفلا
ويرى شرخا وشيخا
بعد ماقد كان كهلا
سبق التصحيف ذا الشي
شنف الآذان حلي
قلت لما جاءني اهـ
ـلا بذا اللغز وسهلا
لغز كالشمس قد
دقت معانيه وجلا

﴿ الماء ﴾ قد بقى الماء زمناً طويلا وهو معدود من الاجسام البسيطة مع أن العلامة كافنديش شاهد تكونه عند احتراق الايدروجين واستمر تركيبه مجهولا الى أن أبان لافوازييه انه مركب من اوكسيجين وايدروجين وعين نسبة مقدارهما

وتوصل لمعرفة تركيب الماء بطريق

التحليل أى بفصل عناصره بعضها عن بعض وبطريق التأليف أى بتكوينه من عناصره التى دل التحليل عليها

يمكن تحليل الماء بعدة طرق منها تحليله بطريقة لافوازييه وهي أن ينفذ بخار الماء على الحديد المسخن لدرجة الاحمرار في جهاز فيأخذ الحديد اوكسيجين الماء ويترك ايدروجينه يتصاعد فيجنى في مخبار مملوء بالزئبق منكس على حوض مملوء بالزئبق أيضاً فاذا قيس حجم الايدروجين وما ازداده الحديد من الوزن تعرف مقادير الاكسيجين والايدروجين المركبين للماء. ومنها تحليله بالتيار الكهربائي ويستعمل لهذه الطريقة جهاز يسمى فولطامتر

وهو جهاز مركب من آنية من زجاج مملوءة بماء يذاب فيه قليل من ملح الطعام ليصير الماء اكثر توصيلا للكهربائية ومن مخبارين مملوءين أيضاً بالماء المملح وهذان المخباران منكسان على سلكين من البلاتين مارين في الآنية ومتصلين بقطبي عمود كهربائي فيتحلل الماء بمرور التيار ويتصاعد على السلكين اللذين من البلاتين فقاقيع غازية ترتفع الى قمتى المخبارين وتطرد مافيهما من الماء ويكون الايدروجين في المخبار المنكس على السلك المتصل بالقطب السالب والاوكسيجين في المخبار الآخر. وبهذه الطريقة يشاهد ان حجم الايدرجين ضعف حجم الاوكسيجين ، اى ان الماء مكون من حجمين من الايدروجين وحجم من الاوكسيجين وبما أن كثافة هذين الغازين معلومة فيستدل منها على الوزن النسبي لهما

فكثافة الاوكسيجين ١٠٥٦ و ١ وكثافة الايدروجين ٠٦٩٢٦ر٠ اى ان الحجم الواحد من الجسم الاول يزن قدر مايزن حجم مساوله من الثاني ١٦ مرة

فالماء اذاً مكون من حجمين من الايدروجين وحجم من الاوكسيجين وبالوزن من ٢ من الايدروجين و١٦ من الاوكسيجين وبعبارة أخرى ان ١٨ جزءاً من الماء النقي تحتوى على غرامين من الايدروجين و١٦ غراما من الاوكسيجين

وتركيب الماء بطريق التأليف يؤيد هذه النتيجة التى دل عليها تحليل الماء ويستعمل لتأليف الماء جهاز يسمي اوديومتر وهو عبارة عن انبوبة من

زجاج سميكة الجدران مسدودة أحد طرفيها مدرجة يمر فيها سلكان من البلاتين ثملا بالزئبق وتنكس على الحوض الزئبقي ويدخل فيها وهي في هذا الوضع حجمان من الايدروجين وحجم من الاوكسيجين ثم يوصل سلكا البلاتين بقطبي عمود كهربائي فيتحد حجما الايدروجين بحجم الاوكسيجين من غير أن يبقى شيء بدون اتحاد

واذا ادخل في هذا الاديومتر حجوم متساوية من الايدروجين والاوكسيجين ١٠٠ سنتي متر مكعب مثلا من كل منهما فبعد الاتحاد يشاهد أنه زال نصف الاوكسيجين فقط أي ان تكون الماء حصل من اتحاد ١٠٠ سنتي متر من الايدروجين بخمسين سنتي مترا مكعبا من الاوكسيجين وبعبارة أخرى ان الماء تكون من اتحاد حجمين من الايدروجين بحجم من الاوكسيجين ومن تعيين حجوم الايدروجين والاوكسيجين المركبين للماء استخرج غيلوساك وهومبولد وزن هذين الجسمين في الماء

وقد عين هذا الوزن دوماس مباشرة بطريقة خاصة له مؤسسة على ما الاوكسيد النحاس من الخواص فهذا الاوكسيد جسم مركب من اوكسيجين ونحاس لونه اسود اذا سخن على درجة حرارة الاحمرار ونفذ عليه تيار من الايدروجين الجاف النقي فأن هذا الاخير يتحد مع مافيه من الاوكسيجين فيتكون الماء ويتركب الجهاز الذي استعمله دوماس من آنية يتصاعد منها الايدروجين بتأثير حمض الكبريتيك على الخارصين ومن عدة أنابيب معدة لتنقية وتجفيف الايدروجين فالانبوبة الاولى من هذه الانابيب تحتوى على أزوتات الرصاص لتخليص الايدروجين مما يكون فيه من الايدروجين المكبرت والثانية تحتوى على كبريتات الفضة لتخليصه من الايدروجين المفسفر والثالثة والرابعة تحتويان على البوتاسا لتخليصه من الايدروجين المكربن والايدروجين السليسي والخامسة والسادسة تحتويتان على حجر الطفاف المندى بحمض الكبريتيك موضوعتان في مخلوط مبرد وهاتان الانبوبتان معدتان لتجفيف الايدروجين والانبوبة السابعة محتوية على حجر الطفاف المندى بحمض

الكبريتيك ليتحقق أن الايدروجين جف جفافا تاما قبل نفوذه على أوكسيد النحاس وذلك بمدم ازدياد وزنها . ويتركب أيضا من دورق وضع فيه اوكسيد النحاس ووزن بما فيه بعد استفراغ الهواء منه ومن دورق آخر متصل بعدة أنابيب محتوية على مواد ذات شراهية عظيمة للماء وهذا الدورق والانابيب توزن خالية من الهواء وتبرد بعد الوزن فاذا سخن الدورق المحتوى على أوكسيد النحاس ونفذ الايدروجين فيه فان أوكسيد النحاس يتحلل ويتحد اوكسيجينه بالايدروجين فيتكون الماء ويتكاثف في الدورق الثاني وما لا يتكاثف منه تمتصه المواد الشرهة للماء والفرق بين وزن الدورق المحتوى على أوكسيد النحاس قبل التحليل وبعده هو وزن ما دخل في الاتحاد من الاوكسيجين والفرق بين وزن الدورق الثاني وما يتبعه من الانابيب قبل الاتحاد وبعده هو مقدار ما تكون من الماء والفرق بين وزن الاوكسيجين الداخل في الاتحاد والماء الناتج عن هذا الاتحاد هو مقدار الايدروجين الذي كون باتحاده مع الاوكسيجين هذا الماء

وقد أثبتت هذه التجربة العالم دوماس أن الماء مكون بالوزن من

ايدروجين	١١و١١
اوكسيجين	٨٨و٩٩
	١٠٠و٠٠

أي أن نسبة مقدار الايدروجين للاوكسيجين في الماء هي كنسبة ١ : ٨ أو ١٦ : ٢

(تنقية الماء) المياه التي تشاهد في الكون لا تكون نقية بل تكون مذيبة أو مملقة لمواد غريبة كالمواد العضوية والاملاح والغازات فمياه المطر المأخوذة مباشرة تكون موسخة بآثار من النوشادر والاملاح الغازية وحمض الكربونيك ، ومياه المطر أقل وسخا من المياه الجارية على سطح الارض وأوساخ هذه تختلف باختلاف الارض التي تمر فيها وينقي الماء بتقطيره والجهاز المستعمل لعمل هذا التقطير يسمى (انبيقا) وهو يتركب من جزء معد لتسخين الماء واحالته الى بخار يسمى (قرعة) وهي عبارة عن قدر من نحاس ذي غطاء يوضع على فرن ومن جزء معد لتكاثف بخار الماء يسمى (الملتوى) وهو عبارة عن أنبوبة من رصاص ملتوية

على نفسها ليا حلزونيا موضوعة في آنية من النحاس يخرج طرف هـذا الملتوى من الجزء السفلي منها الى الخارج ومنه يجنى الماء المقطر في آنية ومن أنبوبة معدة لتوصيل ماتكون من البخار في القرعة الي الملتوى أحد طرفيها مثبت على ثقب في فتحة القرعة والطرف الآخر مثبت على الملتوى

ولاجل أن يكون تبريد الملتوى مستمراً يوجه اليه سلسول مستمر من الماء البارد ولهذا الغرض يوجد في الآنية النحاسية أنبوبة مجوفة موضوعة فيها وضعا عموديا طرفها العلوى متصل بينبوع مائي وطرفها السفلي ينتهي قرب قاع الآنية النحاسية فبسبب هذا الوضع يطرد الماء البارد الواصل لقاع الآنية مافوقه من الماء الساخن فيخرج من فتحة جانبية توجد في الجزء العلوى من الآنية النحاسية

ويرمي ما تقطر من الماء في ابتداء العمل لانه يكون محتويا على حمض الكربونيك ولا يقطر الا ثلثا ما وضع من الماء في القرعة ولا يكون الماء نقيا الا اذا كانت فيه الاوصاف الآتية

١ — اذا سخن جزء منه على صفيحة من البلاتين فانه يتطاير بتمامه بدون أن يترك باقيا

٢ — انه لا يرسب بمحلول كلورور الباريوم لان المياه التي ترسب بهذا المحلول تكون محتوية على كبريتات

٣ — انه لا يرسب بمحلول نترات الفضة لان الذى يرسب بمحلول هذا الجوهر يكون محتويا على كلورور

٤ — انه لا يرسب بمحلول اوكسالات النوشادر لان الذى يرسب بهذا الجسم يكون محتويا على أملاح جيرية

٥ — انه لا يرسب منه بالغلي مع محلول كلورور الذهب راسب أسود يكتسب بالدلك اللون الخاص بالذهب الفلزى فان رسب كان محتويا على مواد عضوية

٦ — انه لا يتعكر بماء الجير فان تعكر به كان محتويا على حمض الكربونيك

٧ — انه لا يرسب منه راسب أصفر مسمر بمحلول ثاني يودور الزئبق في السليماني المضاف اليه بعض نقط من محلول البوتاسا والا كان محتويا على النوشادر

٨ — انه لا يؤثر في ورق عباد الشمس سواء أكان أحمر أو أزرق

(أوصافه) : الماء لا لون له اذا

نظر لقليل منه ويظهر له لون ازرق جميل اذا نظر لمقدار عظيم منه واللون الاحمر أو الاخضر اللذان يشاهدان في مياه الانهر يأتيان من المواد المعلقة فيها . ولا طعم ولا رائحة للماء ومنتهى كثافته تكون في درجة ٤ فوق الصفر وينقبض بتبريده ويستمر انقباضه الى أن تصير درجة حرارته ٤ فوق الصفر فاذا انخفضت الحرارة عن ذلك أخذ في التمدد فيكبر حجمه فيخف ولذلك يطفو الجليد على سطح مياه الانهر زمن الشتاء فيبقى ماتحته من الماء من البرد فلا تنخفض درجة حرارته عن ٤ فيستمر جريان الماء تحت الجليد وتستمر حياة مافيه من الحيوانات لتحملها هذه الدرجة

ويتجمد الماء على درجة الصفر فيستحيل جليداً واذا كان الماء خاليا من الهواء وكان في حالة سكون تام أمكن انخفاض درجة حرارته الي درجة الصفر بدون تجمده والماء الذى وصلت حرارته الي هذه الدرجة يتجمد بمجرد اهتزازه وحينئذ ترتفع حرارته الي درجة الصفر

ويصهر الجليد أى يصير سائلا على الصفر وتبقي هذه الدرجة ثابتة الى أن يستحيل جميع الجليد الي سائل وقد جعل الطبيعيون درجة صهر الجليد احدى النقط الثابتة في تدريج الترمومترات وهي تقابل درجة الصفر في الترمومتر المئيني وترمومتر ريومور ويمتص الجليد لاستحالته من الصلابة الي السيولة كمية من الحرارة وكذلك في استحالة الماء الي بخار يمتص كمية من الحرارة والحرارة الممتصة في استحالة الماء من الصلابة الي السيولة ومن السيولة الى البخارية تسمي بالحرارة الكامنة وتقاس بكمية الحرارة التي يمتصها كيلو غرام واحد من الماء لترتفع حرارته درجة واحدة (من درجة الصفر الى درجة واحد مثلا) وهذه الكمية المأخوذة وحدة تسمي (السعر) والحرارة الكامنة لصهر الجليد تساوى ٧٩ سعرا أى أنه لاحالة كيلوغرام من الجليد الذى حرارته في درجة الصفر الي ماء حرارته في درجة الصفر أيضا يلزم كمية من الحرارة يمتصها الجليد فتصير فيه كامنة ومقدار هذه الكمية هو مقدار مايلزم من الحرارة لاحالة كيلو غرام من الماء من درجة حرارة الصفر الى درجة ٧٩ وبعبارة اخرى أن الحرارة التي يمتصها الجليد تكفي لرفع حرارة ٧٩ كيلوغراما من الماء درجة واحدة

واستحالة الماء الي جليد هو تبلور حقيقي فان الجليد مكون من اجتماع بلورات منشورية ذات ستة سطوح والثلج الذى هو عبارة عن ماء متجمد بالبرودة الكائنة في الطبقات العليا من الجو يكون في هيئة ندف شبيهة بالقطن مكونة من اجتماع نجوم ذات ستة أشعة جميلة

وتتأخر درجة تجمد الماء بوجود املاح فيه ومتى تجمد تخاص مما فيه من الاملاح فانه يتركها في (المياه الامية أى التى حصل فيها التجميد ولم تتجمد)

وفي الصنائع يجمد الماء بالبرودة الناشئة عن تمدد الهواء فجأة فان الغازات والهواء اذا ضغطت انتشرت منها كمية من الحرارة فاذا تركت مضغوطة بردت فتصير درجة حرارتها هي درجة حرارة الوسط الذى هي فيه وذلك بسبب مايحصل بينها وبين هذا الوسط من التشعيم فاذا زال الضغط الواقع عليها دفعة واحدة فانها تمتص ماتركته من الحرارة وقت ضغطها وبامتصاصها هذه الحرارة من الاجسام المجاورة لها تبرد تلك الاجسام فاذا كان الماء في اناء محاط بكتلة عظيمة من الهواء المضغوطة ضغطا قويا ثم ازيل هذا الضغط فان الهواء يتمدد ويأخذ مايلزم من الحرارة لتمدده من أقرب الاجسام اليه وهو الماء المحيط به فيبرد هذا الماء برودة كافية لان يتجمد

ويغلي الماء النقي علي درجة ١٠٠ اذا كان الضغط الجوى يساوى ٧٦٠ ملليمترا والحرارة الكامنة في استحالة الماء الي بخار تساوى ٥٧٦ سعراً أى انه يلزم لاحالة كيلوغرام من الماء من درجة ١٠٠ الي بخار درجته ١٠٠ كمية من الحرارة كافية لرفع حرارة ٥٧٦ كيلوغراما من الماء درجة واحدة وفي مدة غليان الماء تكون درجة حرارته واحدة فالحرارة المعرض لها الماء حال اغلائه تصير كامنة فيه بها يستحيل من سائل الي بخار ولكون درجة غليان الماء ثابتة جعلت هي النقطة الثانية للترمومتر وهي نقطة ١٠٠ فوق الصفر في الترمومتر المئيني

ووجود أملاح في الماء يرفع درجة غليانه فالماء المشبع بكلورور الكالسيوم لايغلي الا علي درجة ١٧٩

وازدياد الضغط الواقع علي سطح الماء يرفع درجة غليانه فالماء المضغوط

بضغط جوين أى بضغط يساوى ضغط الهواء مرتين لايغلي الا علي درجة ١٢٠ وبانخفاض الضغط تنخفض درجة غليان الماء فالماء الموضوع في الفراغ يغلي علي درجة ٢٠

ويتصاعد من الماء بخار علي جميع درجات الحرارة ويسمي (تبخرا) ومن الجليد يتصاعد بخار أيضا

ويذيب الماء عدداً عظيما من الاجسام ولا يذيب المواد الدهنية ولاغالب الاجسام الخنوية علي كثير من الكربون

ويتحلل الماء بالتيار الكهربائي وبالحرارة ببعض الاجسام أيضا كالكلور والبروم واليوتاسيوم والصوديوم

والمياه المذيبة لكثير من الانديد كربونيك تذيب مقداراً عظيما من كربونات الجير بمرورها في أرض جيرية وكلما تصاعد شيء من حمض الكربونيك المذاب فيها رسب ما يكون ذائباً به في الماء من كربونات الجير وهذه المياه بمرورها من شقوق المغارات تسيل نقطة بعد نقطة وهذه النقط تبقي معلقة في سقف المغارة برهة ثم تسقط وفي أثناء هذا التعلق يتصاعد بعض الانديد كربونيك فيرسب في سقف المغارة ما كان مذيبا له من كربونات الجير وما يسقط من الماء في قاع المغارات يتبخر فيترك مافيه من الاملاح ومنها كربونات الجير فتنتهي هذه الرواسب بعد مضي أعوام بأن تكون عمودين احدهما متدل من سقف المغارة والآخر قائم من أرضها ويسميان بالاستلكتيت والاستلجميت

وتنقسم المياه الي مياه (صالحة للشرب) وهي مياه الامطار والانهر والينابيع ومياه لاتصلح للشرب وهي مياه البحار والمياه المعدنية

(المياه الصالحة للشرب) المياه التى تصلح للشرب تحتوى علي العناصر الداخلة في البنية ولا تحتوى الاغذية علي مقدار كاف منها أما الاجسام التى لادخل لها في البنية فوجودها في مياه الشرب مضر بالصحة ومن الاملاح التى يلزم وجودها في المياه الصالحة للشرب ثاني كربونات الكالسيوم وثاني كربونات المنيسيوم ومقدار قليل من الفلورور والكلورور وآثار من السليس ولاجل أن تكون المياه صالحة للشرب يلزم أن يكون فيها الصفات الآتية

١ـ أن تكون صافية باردة لارائحة لها

٢ـ أن يكون طعمها خفيفا ليس بملح ولا حلو ولا نفه

٣ـ أن تكون مذيبة لمقدار من الهواء

٤ـ أن تذيب الصابون بدون أن يكون حبوبا وان تنضج البقول فيلزم ان تكون حرارة المياه مابين ٨ و١٥ والمياه المكرة والتي لها رائحة كريهة تكون محتوية في الغالب على مواد عضوية متعفنة بها او متعفنة ومثل هذه لا تصلح للشرب و ينبغي أن لا يتعدى مقدار المادة العضوية في القمر الواحد من الماء ملليغراما واحدا

والمياه المحتوية على مادة عضوية في حالة تحليل أو على مادة متعفنة تكون مضرة بالصحة

والمياه المجردة عن الهواء تكون نهمة عسرة الهضم ومقدار مايكون من الهواء في المياه الصالحة للشرب هو بين ٣٠ و ٨٠ سنتي متر مكعب لكل لتر من الماء

وليس مقدار الاجسام المكونة للهواء المذاب في الماء عين مقدار المكونة للهواء الجوى فيكون الاوكسيجين أكثر ذوبانا في الماء من الازوت فمقداره في هواء الماء أكبر منه في الهواء الجوى فالمائة الحجم من الهواء المذاب في الماء تحتوى على ٣٤٫٩ من الاوكسيجين والمائة الحجم من الهواء الجوى لاتحتوى الا على ٢١٠ ومن هذا تعرف كيف تجد الاسماك التي لاتتنفس الا بالهواء المذاب في الماء المقدار الكافي من الاوكسيجين لحياتها

وينبغي أن تكون المياه محتوية على مقدار من الاملاح لا يتعدى ٥٠ سنتي غراما في اللتر الواحد فاذا زادت كمية الاملاح من ذلك صارت لاتصلح للشرب ولا للاستعمال المنزلي فان كان مقدار الاملاح الجيرية فيها عظيما صارت لاتذيب الصابون من غير أن تكون حبوبا لان الاملاح الجيرية تكون مع الحوامض الدسمة الداخلة في تركيب الصابون مركبات لا تذوب ولا تنضج البقول كالعدس والفول والبسلة لانها تصير غلافها صلبا لايلين بالطبخ لان ما في الماء من الجير يكون في غلافها مركبا عديم الذوبان ولا تصلح هذه المياه المحتوية على كثير من الاملاح الجيرية للاستعمال في الآلات البخارية بسبب الرواسب التي تتكون

من الاملاح الجيرية في قدورها فتكون سببا للاخطار

(المياه المعدنية) بعض المياه يحتوى على أجسام ملحية بسببها يكون فيها خواص طبية تصيرها نفيسة في معالجة بعض الامراض فهذه المياه هي المسماة (المياه المعدنية) واحيانا ينتفع بهذه المياه لاستخراج أملاح منها نافعة في الصنائع وقد تكون درجة حرارة هذه المياه مرتفعة عن درجة الحرارة الاعتيادية لكونها آتية من انهار عميقة في الارض أو لكونها بالقرب من براكين. فهذه المياه تسمى (بالمياه المعدنية الحارة) وذلك كمياه فيشي التي درجة حرارتها ٤٥

وتسمى المياه المعدنية باسماء مختلفة بحسب الاجسام الموجودة فيها فمن المياه المعدنية مايكون معظم مافيها من حمض الكربونيك دائماً وتكون أيضا محتوية على كربونات قلوية وقليل من كلورور الصوديوم واحيانا على كربونات حديد ويحصل منها فوران بتعريضها للهواء فهذه المياه تسمى (المياه الغازية والمياه الحمضية) ومثالها مياه صدلتس ومنها مايكون معظم مافيها من الكربونات الحمضية القواعد القلوية والقرابية وخصوصا كربونات الصوديوم فهذه تسمى (المياه القلوية) ومثالها ماء فيشي. ومنها مايكون معظم مافيها من الكلورورات خصوصا كلورور الصوديوم مع قليل أو كثير من كلورور البوتاسيوم والكالسيوم والمغنيسوم فهذه المياه تسمى (المياه الكلورورية) ومثالها ماء بارك. ومنها مايكون معظم مافيها من الكبريتورات القلوية أو من حمض الكبريت ايدريك والاولي تكون في العادة حارة والثانية باردة فهذه تسمى (المياه الكبريتورية) ومثالها مياه حلوان ومنها مايكون معظم مافيها من الكبريتات اما من كبريتات الصوديوم كمياه كرلسباد أو من كبريتات المغنيسيوم كمياه بولندا وصدلتس وهذه المياه تسمي (المياه الكبريتاتية) ومنها مايكون محتويا على الحديد على حالة كربونات الحديد أو على حالة كبريتات الحديد وهذه تسمي (المياه الحديدية) ومثالها مياه اوتز ومنها مايكون محتويا على بروموورات قلوية ويودورات قلوية وهذه المياه تسمى (المياه البروموورية والبودورية ومياه كروزناخ ومياه البحر تحتوى على ملح الطعام

ومقداره يختلف بين ٣٣ و ٣٨ غراما في اللتر منها ونحتوى كذلك على كبريتات وبرومورات ويودورات قلوية واملاح جيرية ومغنيسية (انظر الدروس الابتدائية في الكيمياء العمومية)

﴿ الاستعمالات الطبية للماء ﴾ الماء يستعمل كثيراً واسطة من وسائط العلاج في أمراض كثيرة بل ان في أوروبا وأمريكا اليوم مذهب لايعول في علاج الامراض الا على الماء فيجدر بنا أن نأتي على بيان شاف لهذه الطرق وكيفية تطبيقها وعلى تاريخ ظهور هذا المذهب الى غير ذلك مما يهم الالمام به وليس لدينا مما قرأناه عن هذا الموضوع اكمل وأدق مما كتبه الطبيب المصرى الكبير احمد افندى الرشيدى في مادته الطبية فنورد ماقاله في ذلك فهو أوفى بالغرض ، وألم باطراف الموضوع الذى نحن بصدده. قال رحمه الله:

(ادروتيرابيا أى العلاج بالماء) قال تروسو والطب التجربي أسس هذه الطريقة العلاجية على فعل صدر من فلاح من سليزيا ببلاد الاوتريش يسمى ابريسنيت واشتهر اسمه الآن بالاوربا واذا عرفت التعسرات الباطنة والظاهرة للطب أعنى كثرة عدد الأمراض المعضلة الغير القابلة للشفاء المهلكة والغير المهلكة وندرة المرضى العقلاء وندرة الاطباء القادرين على توجيه علاج مرض مزمن توجيها أدبيا وسياسياً وطبياً اتضحت لك بذلك شهرة ابريسنيت والازدحام الذى اكتسبه هذا الشخص في جرافنبرغ وهذا حال كل من الامور العلاجية الجديدة . فالادروتيرابيا اجتمع فيها مايلزم لهيجان الناس ومن المعلوم أن الماء والبرد فاعلان طبيعيان لايظن منهما سوء لان الماء ينقى الدم والبارد يقوى الاعصاب وغير ذلك والاعراق الكثيرة والاندفاعات الدملية ونحوها يحصل منها البحران واستفراغ الاخلاط الفاسدة وغير ذلك وهذا هو الذى اوقع الناس في الغش وأكد عند ابريسنيت وعند مرضاه أنه لاشيء أسهل من الطب وأن الاطباء مهووسون بل هم أشخاص مضرون للناس وانه هو أفضل منهم بابرائه داآت وأمراضا عجزوا عنها ابراء حقيقيا . ومن الشفاء الحقيقي لتلك الامراض ظهر لك سبب هذا الهيجان العلاجي بالماء الذى ينسب له أعظم غلط للمذهب العلاجي المسمى أوميو باتيا أى

احداث مرض مماثل للداء القديم في الشخص واكتسب هذا المذهب سمعة وشهرة فاذن لابد من ذكر فصل في ذلك نافع في صناعة العلاج ولا يتأتى لنا الاستعفاء عن توسيع المقام قليلا في هذا الاستعمال الجديد للماء البارد ولا شيء أحسن من ذكره هنا . انتهى

وقبل أن ننقل ماذكره تروسو نقدم ما ذكره ميره في مبحث الماء في ذيل كتابه حيث قال استعمال الماء النقي على طريقة ادروصدوباتيك موضوع جديد للدراسة لا باعتبار كونه واسطة علاجية فقط بل أيضاً باعتبار حالته الطبيعية اذ جميع الاخطار التى زعموا وجودها من البرد الوقتى ومن استعمال الماء البارد من الباطن وتخوفت منها الاطباء وفزعت منها الاعتيادات تزول بالكلية أمام التجربة التى جهزت لذلك كيفية كوضع فوطة أو ملاءة مبتلة بالماء البارد على الوجه لاجل انالة شفائه كما شوهد أن الماء البارد المشروب بكثرة يسبب عرقا كثيرا ثم شوهد أن الآلام تزول باستعمال الماء البارد بأى شكل كان مخالف للتعقلات التى قيلت الى الآن ولكن بدون خطر في ذلك الاستعمال بل مع المنفعة انتهى

وقال في مبحث ادروتيرابيا هي كيفية علاج الامراض المزمنة بالاستعمال الباطن والظاهر للماء البارد بمساعدة العرق الناتج من ذلك الماء ولذا كان التعبير بادروصدوباتيا أنسب لفهم المعنى أكثر مما يفهم من ادروتيرابيا الموضوع لذلك واستعمال الماء البارد في علاج بعض الامراض الجراحية معروف عند القدماء واستعملوا الماء في الطب نحو آخر القرن السادس عشر وأوائل السابع عشر وآخر الامر أن فلاحا من بلاد الاوتريش بالنمسا يسمى ابريسنيت اخترع طريقة جديدة لعلاج الامراض المزمنة بالماء البارد ، قال بوشرده وأسسها على قاعدة وهى أن جميع الامراض حاصلة من أخلاط معيبة ممسوكة في باطن الجسم وأنه يكفي حصول تبخير مناسب لتندفع به تلك الاخلاط الى الخارج وترجع الصحة للشخص وجدد هذا الفلاح محلا في ضيعة فيما حول مدينة ويانة تسمى جريفنبرغ على جبل سليسيا الاوتريشى قال ميره وكان هذا المحل أولا قليل المورد ثم صار في بضع سنين مورداً كبيراً يرد عليه كثير من المرضى حتى من بيوت

المالك ويعالجهم بتلك الطريقة مع النفع كما قال وأول علاج فعله ابريسنيت بالماء البارد كان في مرضي بخان والده في جريفنبرغ ثم اشتهر أمره في اقليمه سنة ١٨٣٥ وأسس مواضع مثل ذلك في جملة محال من هذه البلاد وحصل فيها الشفاء لامراض عولجت بغير ذلك من الادوية بدون نفع . قال بوشرده وهذا الشخص ممتع بحماسية جميلة يعرف بها كيف يختار من المرضي من تؤثر طريقته فيه ويبرأمن مرضه . وقال أيضاً انهم أضعفوا وقاروا مصائب هذه الكيفية وبالغوا في الاهتمام بالاحوال الحيدقعني صار العلاج بالماء صلاحا قويا غير انه لا يستعمل في جميع الاحوال ويستدعي استعماله تأملات كثيرة . وقال مبره وغب كثير من الفرنساويين في تحقيق تلك الكيفية العلاجية مثل جيبر ردوفرجي ولاطور وغيرهم ولم يمكنهم منع الاعتراف بأن هذه الكيفية متبوعة بالنجاح في كثير من الاحوال. نعم غيرهم من الاطباء مثل درش وفلبوس وبليار وغيرهم عابوا هذا الاستعمال التجريبي حتي في الامراض المزمنة المخصوص بها غالبا هذا الاستعمال

(كيفية العلاج بالماء البارد على طريقة ابريسنيت) كيفية العمل ببلاد النمسا أن يعرى المريض من ملابسه الاعتيادية ويلف في رداء أو حرام من الصوف الغليظ النسج ولا يكشف منه الا الوجه والرأس الذى يحاط بفوطة قال بوشرده ويعمل ذلك في الساعة الرابعة أو الخامسة في النهار أى بعد نصف الليل بأربع ساعات أو خمس وينطى بأغطية أخرى من منسوجات زغبية أو فراء ثم من المرضي من ينغمر بالعرق في نصف ساعة ومنهم من لا يبتدىء العرق فيه الا بعد ٣ ساعات أو ٤ فاذا كان الجلد مستعصياً على العرق استعمل له على التعاقب دلكات جافة وغسلات باردة وملاءات سرير مبللة باردة حتى ان العضو الكاسر للشعاع عن الجلد ينتهي دائما بالانقياد ويحصل منه استفراغ عظيم للعرق ومتى حكم الطبيب الموضوع قرب مريضه بأن هذا التنفيس كاف وضعه حالا بسرعة ماأمكن في حمام بارد محضر من قبل قرب سريره فأول انطباع يحصل للمرضي هو أن يستشعروا غالبا براحة عظيمة تامة ومدة ذلك الحمام تختلف

وتستدعي التقدير من الطبيب فبعض المرضي لا يمكثون في الحمام البارد الا دقيقة واحدة ومنهم من يبقي فيه الي ظهور القشعريرة الثانية والاشخاص الذين هم في غاية الرقة والنعومة ترفع لهم درجة الحرارة قليلا وغيرهم بالعكس أى تخفض بالصناعة ماأمكن ثم بعد الحمام الخارج يستعمل الحمام الداخل أى الباطن أى يبتدىء المريض في الرياضة التي في ضمنها يشرب ماء كثيراً حتى يحس بثقل متعب للمعدة ويشاهد من اعتيادات المرضي أن منهم من يشرب في العادة قليلا من الماء ومنهم من يشرب بسرعة من ٢٠ الي ٣٠ كوبا في اليوم ثم تتبع الرياضة بالغذاء فيتغذى المريض بدون أن يشرب مشروبات مهيجة وتكون قاعدة المآكل أجساما صلبة مغذية ومن السار حقيقة مشاهدة ان المرضي حتى من كان معهم سابقا عسر هضم وفقد شهية ينهشون الاغذية التي تقدم لهم بشهية عظيمة فهذه هي الكيفية التي تؤخذ من بوشرده . وأما مايفهم من مبره فهو أنه بعد أن يعرى المريض من ملابسه يلف في حرام الصوف حتى يكون له كالقماط ماعدا الوجه والرأس الذى يحاط بفوطة ثم يوضع على السرير وينطى بأغطية أخرى ويكون ذلك في حجرة يوجد في حرارتها بعض ارتفاع فحينئذ لابد وان تظهر الحرارة شيئاً فشيئاً ويتلون الوجه وغير ذلك ومتى ظهر العرق يفتح الشباك ويسقي المريض في كل ربع ساعة ماء بارداً أى ربع كوب أولا ثم يزاد المقدار تدريجيا حتى يشرب كوبا كبيراً في كل مرة بحيث ينفذ العرق حالا من السرير ويمكن اجتنابه منه بالانتار قال ويصح أن يعمل منه المريض مجلسان في اليوم بدل مجلس كبير في ٤ أو ٥ ساعات اذا كان المريض ضعيفاً ثم يحمل القماط ويغتسل المريض في حوض من ماء بارد حالة كونه عارياً ناعجاً ويمكث فيه من ٨ دقائق الي ١٠ مع اعطائه فيه زيادة حركة ماأمكن ثم يخرج من الحوض ويمسح جسمه وبدنه ثم يلبس ملابسه سريعاً ويرتاض في هواء واسع مطلق فيحصل رد فعل نحو الجلد وحرارة لطيفة واحساس براحة ظاهرة وغير ذلك وبعد ذلك بساعة يدخل في قاعة الاكل ويجلس على المائدة ويأكل قال والمرضي الضعاف هم الذين يغمسون في الماء البارد

وأما المسترخون القليلو القوة فلا يعرضون لذلك وانما يبدل الغمس لهم بوضع خرق مبتلة على أجسامهم وقد ذكرت تنوعات مختلفة وزيادة في الشرح كتبها الطبيب طريفيت في التفتيشات الطبية في شهر مرس سنة ١٨٤٤ فراجعها، وانما نقول فقط أن هذه الطريقة تستدعي لأجل اناله النجاح منها هواء نقياً في محل مرتفع وتياراً هوائياً في الحجرة التي يفعل فيها هذا العلاج وممارسة كثيرة من جانب المريض ونحو ذلك وكما يستعمل الماء البارد في هذه الطريقة مشروبا وحماما يستعمل أيضاً نصف حمام وحماما قدمياً وصبوبات وزروقات وحقناً ونحو ذلك ويدفع في الخياشيم من ذلك الماء ويتغرغر منه وغير ذلك وتغذية المرضى تكون على حسب شهية المريض فيأكل مايشتهيه انتهى . ويستفاد نحو ذلك من كلام بوشرده حيث قال ان هذا العمل المستعمل زمن العلاج الى اليوم الاخير يكون للضعفاء اللطفاء ومن يسهل انقياد وجههم الى الممارسات الرياضية ، وأما الاقوياء المصابون بأوجاع مزمنة مستعصية فيبتدؤن بالتعرض لتأثير الماء البارد المستعمل تارة بهيئة مطر أو غباراً وتارة صبوبات ومنهم من يأخذ انصاف حمامات أى حمامات مقعدية أو حمامات قدمية قال وينبغي لأجل أن يسمح للمرضى بالاستدامة على استعمال هذه الوسائط العلاجية والرغبة في السكون والراحة أن يكون عشاؤهم بعد الزوال بيسير ويمنع عنهم الماء البارد في مدة الهضم الا اذا كانوا مصابين بالسمن المفرط ثم يعودون لاستعمال الوسايط العلاجية في الصباح مالم تكن بنيتهم شديدة الضعف ومن الاشخاص من يحدد لهم التنفيس والحمام التابع له كل يوم وبعد عشائهم الذى تتطلبه شهيتهم يفتشون على سكون يحتاجون اليه في الحقيقة قال وهناك شرطان مهمان لحصول النتيجة من هذا العلاج المائي الذى دلالته المحكمة تفيد نتائج حميدة أولهما أن تكون الطرق الهضمية في حالة جيدة أو أن تصير كذلك باستعمال الماء ، وثانيهما أن يكون الماء المستعمل للحمامات والشرب هوائياً جداً وجيد الصفة مقبولا وسليما بقدر الامكان من أنواع الكبريتات التي تسهل وتخرم الهضم ولكن أيضا تلك المياه شديدة

البرودة . ويسهل أن يعلم أن هذه الكيفية العلاجية لايمكن ممارستها في جميع الاماكن اذ لاتوجد كثيراً في كل الجهات مياه جيدة الصفات ومياه باريس وان لم تكن مناسبة لهذا العلاج الا أنه تيسر لهم استعمالها مع النجاح في مارستان سنت لويس سواء لمعالجة بسر يازس مستعص أو جذام عام قديم. انتهى

ويوجد بفرنسا كما قال ميره جملة محال من هذا النوع حتى قرب باريس تعالج فيها المرضى بهذا العلاج المائي بطريقة الفلاح النمساوى وجرب الطبيب ورطين هذا العلاج بالماء في مارستان سنت لويس تجاه أعين الطبيبين جنير ودوفرجي علاجا لامراض الجلد الغير القابلة للشفاء غالبا وللاكتيوز الاسمر أى الداء السمكي الذى تتغطى فيه البشرة بفلوس ثخينة وحصل من ذلك شفاء ظاهرى وفي الحكة المستعصية وفي بسر يازس وغير ذلك (انظر الحرنال السنوى لبوشرده في سنة ١٨٤٣) انتهى وقال تروسو نحن وان لم نجعل للادروتيرابيا استعمالا ثابتا قانونيا قد استعملنا هذا العلاج بالماء أحيانا ولكن لابد أن نذكر رأينا باختصار مشبع واظن انه لاجل ذكر قواعد هذه الكيفية في العلاج يلزم أن نستعير من الكتاب الشهير الذى يظهر لنا أنه الاليق بالموضوع وهو المؤلف الجديد للطبيب سيديل بفتح السين والدال المهملة وعنوانه مبحث كلينكي في الادروتيرابيا ويكفينا بعض صفحات من مقدمته وذكرت في هذا الكتاب الكيفيات الرئيسة لهذا العلاج الجديد المائي ومؤلفه قبل أن يذكر عمليات أبريسنيت نفسه ذكر أن جملة من الاطباء لهم تفتيشات مهمة في استعمال الماء البارد في آخر القرن الاخير مثل جكسون وقورى ريوم . قال تروسو نقلا عن سيديل ان جملة من الاطباء يعنى هان وجكسون ووريج بعد استعمالهم مع نجاح عظيم صبوبات باردة في الحميات الثقيلة التي طبيعتها تيفوسية أشهروا أن هذا العلاج ممتع بفاعلية جليلة في علاج هذه الآفات وقورى وسع دائرته توسيعا جديداً فهو أول من وضع قواعد علمية للادروتيرابيا وهو بواسطة مقياس الحرارة الذى في يده أثبت أن التراكم المرضي للحرور الذى يقوم منه العنصر الرئيس لكل ثوران

حي يخرج بأسرع مايكون اذا وضع الماء البارد على سطح الجسم ثم انه بقواعده العلمية وتجريباته اشهر هذا الابراز الحرارة بواسطة الماء البارد وجعله دواء جليلا في علاج الآفات الحية بل مقدما فضله على الاستفراغات الدموية . وعلى رأى هذا الطبيب هناك واسطة وحيدة وهي العطرطير المائي يمكن أن يستعمل مع النفع عوضاً عن هذين الفاعلين القويين المسكنين فالماء البارد والاستفراغات الدموية والعطرطير المائي يقوم منها عنده القواعد الثلاث الصناعية في علاج جميع الآفات الالتهابية مع أن قورى بعيد جداً عن أن يعتبر الحمى الحقيقية مجرد تراكم الحرارة في البنية لكن كانت هذه الظاهرة هي التي يتكون منها العرض المتسلط في هذه الآفات وان اخراجها يلطف دائما الخطر بل قد يزيل سريعا كل عرض مرضي بدون فقد لقوى المريض ظن هذا الطبيب انه أسس اعتباره هذا الاخراج أحسن واسطة للعلاج ومع ذلك أطلب من الاطباء أن يتأملوا تأملا مخصوصا في هذا الرأى فان قورى وان اعتبر ذلك عملا عظيم الاهتمام لم يقصر الجسم على تأثيره بل ظن أيضاً أن الصدمة الفجائية الشديدة لوقتية المنظمة في البنية كلها من الماء البارد تقطع النقاص المرضي الذى في المجموع العصبي وفي غلافه الخصوصي وينتج من تلك الحالة المزعجة سرعة رجوع هذا النشاء لوظائفه الاعتيادية ويعلن بهذا الرجوع أعراق تحصل من ذاتها كأنها بحرانية وكان نتيجتها منع التراكم المرضي للحرارة الآتي فيما بعد أن يدوم حصوله في البنية . وقال وجكسون الذى نازع نزاعا معقولا قورى ووريج في أولية استعمال الماء البارد في علاج الآفات الحية جعل النتيجة الاخيرة الماء البارد هي نتيجة تنوع المجموع العام بخلاف رأى قورى فانه اختار كما قلنا شيئين أحدهما ابراز الحرارة وتلك نتيجة لم يلتفت اليها غيره من الاطباء وانما أثبتها بقياس الحرارة الذى في يده وثانيهما التنوع المتطبع في جميع المجموع العصبي فينتج منه أيضاً نتيجة مخصوصة جاذبة معها قطع التراكم الآتي بعد الحرارة وبموجب ذلك قطع الحمى ويظهر لي أن الادرنيرابيا الجديدة اهملت هذه النتيجة الاخيرة من استعمال الماء البارد ولم تعتبر

في علاج الآفات الالتهابية لابراز الحرارة مظهرا للاحراق والنتيجة التحويلية لذلك وهناك أمر ثالث صحيح أساسي مهم جداً ذكره قورى وهو استعمال الماء البارد من الظاهر ومن الباطن ويكون أولا خطراً كلما كانت حرارة الجسم ارفع وتلك قاعدة معارضة الرأى الطبي المعروف عموماً وهو أن وضع البارد من الباطن ومن الظاهر يكون أخطر كلما كانت الحرارة أرفع وقد عرف جيانيني حقيقة هذه القاعدة في العلاج بالماء وعاب على قورى في قصره تأثير الماء البارد على البنية حيث لم يوص باستعماله الا في الاحوال التي تكون الحرارة فيها زائدة وأما جيانيني فوجده جيد الاستعمال في الادوار الاخيرة التيفوس اذا صارت الحرارة الحيوانية ناقصة لا زائدة . ومن الغريب أن قورى عرض هذه المشاهدة الطبيب دوران الذى عاب هو عليه في كونه لم يعتبر الا اخراج الحرارة أى لم يعتبر الماء البارد الا النتيجة العصبية أى المسكنة ناسياً ان هذه الواسطة يمكن أن يحدث منها أفعال قوى جداً يدوم مع الشدة النتيجة المسكنة البارد وهذا القانون الذى ذكره قورى باعتبار كون السلامة أعظم في استعمال البارد كلما كان الجسم أشد حرارة يتأكد كل يوم باستعمالات مختلفة للادرنيرابيا الجديدة والمذهب الجديد الذى يبعد من أن يجمع جميع الآراء الطبية المقبولة لم يحصل منه الا تأكيد الرأى الذى ذكره قورى . وهناك قانون رابع للادرنيرابيا الجديدة ذكره أيضا الطبيب المذكور وهو أن الاستعمال الموضعي الظاهر للماء البارد المفعول بكيفية مايمكن أن ينتج نتيجة مسكنة وانما يوقظ الفعل الحيوى في هذه الاعضاء وينتج في الحال البعيدة نتيجة محولة وبذلك يوضح التحويل الذى ينال من الادرنيرابيا في بعض الاحوال بواسطة الحمامات الموضعية والحمامات العمومية بالماء البارد وذلك التحويل اعتبره كثيرون معارضاً بالكلية القوانين الصحية المعروفة وهذه القواعد التي ذكرها قورى ليست فرضية وانما هي مؤسسة على أمور واقعية مقننة وتقوم منها القواعد العلمية للادرنيرابيا وهي التي تستعمل في علاج الآفات الحارة ويمكن اختصارها الى ماسيذكر قولا اخراج الحرارة المتراكمة

راكا مرضياً وذلك هي النتيجة التي تنال على رأى قورى أما بواسطة الاستعمال مباشره الماء البارد واما بواسطة التبخير الذى يحصل من سطح الجسم باستعمال غسل الاعضاء بالماء البارد وثانيا عظم قدر الماء البارد بسبب غسله المخصوص الذى ينتجه في المجموع العصبي فينتج من ذلك قطع الحركة الانتهابية وثالثا أن السلامة والمنافع تكون أعظم في استعمال الماء البارد كلما كانت حرارة الجسم أرفع ورابعا ازدياد حيوية الاعضاء حيث نيل ذلك بالاستعمالات الموضعية للماء البارد فينتج من ذلك نتائج محموله تستحق زيادة الانتباه وفضل قورى الماء المالح على الماء البسيط لاستعمال العصبوات والانتفاخات وكان هذا الرأى مؤسساً على النجاح الغير المنتظر الذى ناله روبج بهذه الوسايط وسوى ذلك ظن أن الانفعال حينئذ يلزم أن يكون أسهل وآكد وهذا كان عظيم الاهتمام الا أنه لا ينبغي ان التسكين لم يكن هو الغاية الوحيدة التي تقصد من أفعاله المنيفة وأما طبيب ليفربول فلم تكن الغاية الوحيدة لاشتغاله وتمتيشاته الانتصاب لتأييد النتائج المذكورة وجعلها كقواعد أصلية وانما هي اثبات منافع الماء البارد في آفات كثيرة عصبية وتشنجية فجملة من الامور الواقعية العظيمة الاهتمام هنا تؤكد الفاعلية الزائدة للماء البارد في هذه الامراض المستعصية . وهناك عدد كثير من آفات تشنجية يدخل فيها التيتنوس عولجت وشفيت بالماء البارد وان ظن قورى أنه يلزم عموماً في هذه الآفات الاخيرة أن يضم العصبوات والانفاخات استعمال البيبد والافيون مع أنه ذكر احوالا نجحت فيها الاعصابات الباردة وحدها عند ما أكد أن الوسايط القوية المعروفة عديمة القوة ورضم قورى في علاج هذه الامراض بالماء البارد كقانون أصلي أن يستعمل دائما الاعصابات أو الانفاخات مدة أدوار النوب التشنجية واستنبط هذا الطبيب أعظم المنافع من استعمال الماء البارد من الباطن في كثير من الامراض المزمنة وظن ككثير من مشاهير الاطباء أن أعظم جزء من فاعلية المياه المعدنية آت أما من خاصة التحليل التي في نفس الماء وأما من الفعل القوى الذى وصل الى المعدة من الماء المزدرد ومن هناك انتقل لجميع البنية والامراض التي حصل

لها بالاكثر منافع عظيمة من استعمال الماء من الباطن هي الاستيريا أى اختناق الرحم والايبوخندريا والآفات المختلفة المزمنة في الطرق الهضمية واما الآفات الحادة التي اشار قورى فيها باستعمال الماء البارد من الظاهر فهي الحميات الالتهابية كالجدرى والحصبة والقرمزية فالحرارة الشديدة الغير الطبيعية في الجلد منضمة لحالة الجفاف يقوم منها على رأيه الدلالات التي تستدعي الاستعمال بدون اهمال ولا يلتجأ اليها اصلا في احوال الالتهابات الحادة المشوبة ومع ذلك ذكروا احوالا افادت فيها العصبوات الباردة الاعراض الواضحة التي للالتهاب الزائد كالاوجاع الصدرية ونفث الدم العارض في سير الحميات التيفوسية ونحو ذلك من الاعراض وقد تلطف قورى جدا في التوضيح وظهر له أن مذهب هنتير احسن لتوضيح منافع الماء البارد فعلى هذا الرأى لا يمكن أن يوجد معا تأثيران مرضيان في بنية واحدة أو في محل واحد من الجسم ولذلك اعتبر قورى التأثر المخصوص الناتج في مجموع البنية من الفعل الفجائي الحاصل من الماء البارد على سطح الجسم غير موافق للحالة المرضية الموجودة من قبل فلذلك تناسب النتائج الجيدة الفعل المزعج الحاصل من الدواء مثل ما تناسب لاخراج الحرارة . ونقول مع ذلك أن المستثنيات العديدة من القانون الذى وضعه هنتير تسقط كثيراً منها هذه القاعدة العامة والكيفية التي فعلتها الطبيعة لاجل التخلص من الحرارة الزائدة استدعت أيضا انتباه قورى لجسم الناس ومنهم فرنكلين يظنون أن تبخير العرق من سطح الجسم تقوم منه الواسطة الرئيسية التي تستخدم لاجل تحصيل تلك الغاية ومع ذلك يظنون أن فعل الاعضاء المفرزة للعرق له دخل في هذه النتيجة ويعترفون أيضا أن هذا الفعل العام الذى حصل في جميع سطح الجسم وبه استخرج من الدم السائل المائي يلزم أن يكون مصحوبا كغيره من الافرازات بتنبيه مفرط موضعي أو عام وذلك نتيجة مخالفة بالكلية للنتيجة التي فرضوها ولذلك لا يجتهدون في كشف السر غالبا وانما يعرض الشكوك والظنون ويذكر شيء من هذا المبحث المهم من علم الصحة عند ما يذكر الكيفية المرقة

للادروتيرابيا وذكر فورى بالارقام العمدية النتائج الترمومترية لخروج الحرارة الحاصل بالماء البارد فكان يجد دائما أن الجسودة تكون أرضح كلما كان هذا الاخراج أبين في الترمومتر وانما يوضع في الابطين وتحت اللسان هذا المقياس الذى ينتهي بانتفاخ مفرطح يسمح بسهولة الاستيال ودرجة الحرارة الزائدة الارتفاع التى وجدها كانت في القرمزية فانها كانت من ٣٤ الى ٣٥ من مقياس ريومور واما الحرارة الاعتيادية فهى من ٢١ الى ٣٠ من مقياس ريومور فلذا يلزم من الآن وصاعداً أن يعمل بالترمومتر الاعمال والاشغال والادروتيرابيا ولاجل ذلك تجهزت الان مستحضرات ثمينة من الاعمال والتنقيشات الجيدة من كثير من الاطباء مثل بكريل وبريشيت واندرال وغيرهم ولا سيما اشغال رديجير وابراز الحرارة بواسطة الماء البارد له حد وايضاح هذه المسئلة يؤخذ من بعض تجريبات فورى فانها تدل على انه يمكن في حالة الصحة أن يحصل الاعمال حتى مع استدامة استيال الواسطة المبردة فالحرارة الخارجة التى كانت ٣ درجات من مقياس ريومور بعد ٣ دقائق مكثت في الماء البارد الذى درجة حرارته ٤ درجات من مقياس ريومور لم تكن بعد ٦ دقائق الا درجة واحدة ونصف درجة ومن تلك اللحظة صعد الترمومتر تدريجيا بحيث انه بعد اقامة مدة من ٢٠ دقيقة الى نصف ساعة في الماء البارد لم يكن نقص الحرارة المدلول عليها بالترمومتر الموضوع تحت اللسان الا درجة واحدة فمثل هذه التجريبات جيدة الانتاج أقول لاظن ذلك لان الرأس يبقي خارجا عن الماء والدم يندفع اليه بالضرورة فالحرارة الناشئة فيه تكون اعظم كلما صار الاحتقان اكثر ولنذكر الآن القواعد المستخرجة من تجريبات فورى الموافقة للامور الواقعية الغريبة التى الادروتيرابيا الجديدة ولكنها مخالفة لآراء هذا الطبيب المتلفة بوضع الماء البارد على سطح الجسم عند مايكون هذا الجسم مغمورا بالعرق فاستعمال هذا العامل العلاجي سواء من الباطن أو من الظاهر يكون أقوى تأثيرا كلما كانت الحرارة اعلى من الحالة الاعتيادية ويمنع استعماله اذا استدام التنفيس الجلدى زمنا طويلا

ظن ان الغسل البارد المفعول مدة العرق او بعد العرق حالا يمكن ان يكون خطرا لان التنفيس المستطيل المدة حيث احدث في الشخص برداً كثيراً وابرازاً جديداً للحرارة بهذه الواسطة يمكن ان يسبب اخطاراً ثقيلة . وقد وضح فورى العوارض التى شوهدت في احوال من هذا النوع على فرض ان حرارة الجسم في هذه الاحوال ناقصة من قبل العرق الغزير فالتبريد الجديد المضعف فيه جداً المعارض للانفعال اللازم يمكن ان ينتج مرضا او الموت وظهر له ان الخطر يكون اعظم كلما كان الشخص الذى حصل له التنفيس زمنا طويلا أضعف والتجريبات اليومية في جريفنيوغ تدل على ان هذا الرأى خطأ قال وسنتكلم عند مبحث العرق المحرض بالادروتيرابيا على هذه المسئلة المهمة كلاما واسعا بقدر اللازم . قال المؤلف الذى نقل عنه تروسو هذا المبحث ان جميع ما رقاه قلم الطبيب فورى يستفاد منه عظم معارفه الطبية وتوقيره اكثر من غيره من الاطباء الذين كتبوا في هذا المبحث ورغبوا في استعمال الماء في علاج الامراض لان كتابتهم لاتخلو من نقص

واما الطبيب يوم البعيد جداً من غيره في استعمال هذا الدواء فانه استعمل لمرضاه حمامات مدتها ٦ ساعات و٨ و١٠ و١٢ و١٨ و٢٤ ساعة وحرارة تلك الحمامات العلوية تكون احيانا من ٨ درجات الى ١٠ فقط من مقياس ريومور وتحفظ تلك الدرجة الحرارية باضافة الماء البارد او الجليد كلما رفعت حرارة الجسم حرارة الحمام وينذر ان يستعمل هذا الحمام في درجة اعلى من ٢٦ أو أنقص من ١٠ درجات من مقياس ريومور ومدح هذا الطبيب نفسه باستخراجه منافع من استعمال الماء البارد من الخارج بهيئة انغماسات وصبوبات وغسلات وحمامات ومن الباطن بهيئة ماء الدجاج الذى يصنع بغلي دجاجة صغيرة بقدر قبضة اليد مدة ربع ساعة في ٦ أرطال أى ١٢ رطلا فهذا الطبيب المجسور وان استخرج نتائج نافعة من الماء في الامراض الالتهابية وسيما امراض المخ الا ان نجاحه بالاكثر في الآفات العصبية كالايبوخندريا والاستيريا بجميع اشكالها والرعشة والامراض الاخر التشنجية وتجاسر يوم

أحيانا على استعمال الماء البارد حقنا وحمامات حتى مدة دوام السيلان الطمثي وبذلك كان موافقا لابريسنيت. وأما بيانه التعليمي فلا أذكره الا لتوضيح المدة الغير المحدودة للحمامات التي غمس فيها مرضاه حتى نال الاسترخاء الطبيعي للاعضاء المتيبسة بالرشح المائي وذلك انه ما عدا الاسهال الذي يعرض غالبا للاشخاص المعرضين للعلاج الادروتيرابي عند الطبيب يوم لم أجد في الظاهرات المشاهدة فيهم ما يمكن أن يقرب للظاهرات التي تظهر في البنية المعالجة بالعلاج المائي الجديد ويظهر ان من الخطأ الحقيقي في الحس سباحة المرضى على سطح الماء والبروقات اللغطية حيث أكد يوم أنه كثيراً ما سمعها في أطراف الاشخاص الذين طالت مدة مكثهم في الحمام زمناً طويلا فاذن الاستعمال العلمي لقوري والتجربة الجنونية ليوم حيث اختصرا جميع ما فعله متقدموهما في هذا الموضوع لم يوجد في شيء منهما مشابهة تامة للمذهب الجديد الذي سلكه ابريسنيت وانما الفاعلية والاستدانة لهذا الشخص هما اللذان لهما في العلم مدحة حيث أمكن بهما انالة أمور واقعية تعطى للادروتيرابيا اتساعا جليلا

وهذه الشروح القصيرة التي ذكرناها لاستعمال قوري ويوم يستفاد منها حقية فاعلية الدواء الذي وضعته المصادفة بين يدي ابريسنيت ويتعجب من النجاح الخاص الذي حصل على يد هذا الشخص حيث سعى بتجربته شيئا فشيئا فلم يجد واسطة للاستعمال الا الماء فاستعمله بجسارة في كثير من الاحوال التي لم يخطر ببال أحد من أهل الصناعة استعماله فيها. قال وعلى حسب الاستخبار الذي استفدته بمدينة جريفنبرغ من أشخاص من عائلة ابريسنيت ظهر لي ان هذا الشخص حصر انتباهاته في خمارة صغيرة رديئة في طرف جريفنبرغ وقطع من أرض كانت له ميراثا ورثه من آبائه وعرف انه يحصل له نفع من دلالات مبهمة أعطاها له راع من الرعاة الهائمة في الخواص الشفائية للماء ومن المحقق ان الراعي زاد له كلمات مضحكة ولكن ابريسنيت فعل كما فعل برسي ولازمه زمنا طويلا وذلك ان برسي المذكور الشهير حكي ان طحانا أبرأ في اسطرسبرغ جملة مجاريح بما يظهره للناس كأنه ماء كرامة أي خارق للعادة فجرب

برسي الماء البسيط ونال منه مثل هذا النجاح فكذلك خمار جريفنبرغ ظن حالا أن الماء هو الذي حصل منه شفاء الداء لا أن الشفاء حاصل من الانبساط الشخصي فاستعمل هذا الدواء في جميع العوارض التي تحصل له نفسه ولعائلته وأحبابه ولبهائم جيرانه فاشتهر بذلك اشتهاراً عظيما في علاج أنواع الهرس والي والحرق ثم في الكسور حتى انه نفسه أبرأ من معه كسر في اضلاعه واقتصر في ذلك الزمن الذي وصل الي سنة ١٨٢٦ على أن يضع من الظاهر الماء البارد بواسطة رفائد أو يهيئه غسلات بالاسفنج الغليظ ولما كان عنده وثوق بخواص الماء أمعن في ذلك انتباهاته الطبية واستصحب معه شخصاً من أقاربه مسمي باسمه وأخذت هذا الشرح منه وقبل اشتهاره بشفاء الامراض بالماء واستعمال الاسفنج على الظهر جال في الجبال الفاصلة بين جريفنبرغ وسليسيا البروسية وهناك أخذ في اعطاء مشورات واستعمال دوائه في تلك البلاد والضيعات وصار المرضي يأتون زمراً زمراً للمحال التي أعدت لذلك ولما سمع الوالي بذلك ذهب الى الارياف لينظر ذلك فنبهت الابريسنيتيون من قبل فحملوا أثقالهم الخفيفة حتى جاوزوا حدود مملكتهم ووصلوا جريفنبرغ والي بعض قرى قريبة لها وأشهروا هناك دواءهم المذكور وجهزوه من جديد لانواع الهرس والاوجاع وآلام الاسنان وأوجاع الرأس التي تصيب الفلاحين كأوجاع بها تمهم أيضاً وسيما الخيل العرج فكانت النتيجة للماء البارد محللة جداً تنتج نتائج جيدة في البدين والرجلين المحتقنات للدوات الاربع وكثير من المرضى الذين عجز الاطباء عن معالجتهم وثقوا بهذا الفلاح أكثر من وثوقهم بالاطباء فقصدوه فابتدأ لهم باستعمال دوائه من الباطن مع نجاح لم يزل دائماً آخذاً في التقدم وكما رضي هولاء المرضى بجميع ما يستدعيه منهم تغالوا أيضاً في طلبهم وعرضوا أنفسهم عليه مع الرغبات أن يجرب لهم طريقة كذا وكذا فلذلك استعملوا مع التتابع الحمام الكبير البارد والتنطيل والتنفيسات القهرية الجلدية وهذه الواسطة الاخيرة كانت مستعملة في الازمنة السالفة بالمدينة كدواء عام ذي فاعلية عظيمة وذلك الظن في اندفاع الاخلاط الفاسدة

بواسطة الاعراق القهرية ارتسم في أذهان العامة وخصوصا أهالي جريفنبرغ وما حواليها وعرف الروسيون والبلونيون لغة فلاحي هذه الاقسام حتي تيسر لهم أن يبتاعوا منهم مايحتاجونه بدون أن يعرفوا لغة النمساويين فاسم ابريسنيت يعلن بطريقته والمرضي منقادون للرأى الخلطي العامي بحيث يبادرون بعد استعمال العرق القهرى باستعمال الماء البارد حيث ظهر لهم منه نفع عظيم فبعد تحريض العرق الغزير فيهم يغمسون انفسهم في حمام كبير بارد أو يصب عليهم الماء البارد عند الخروج حالا من تحت أغطية الصوف وذلك امتثالا للاعتيادات العامية . ولا يستغرب من جمع هذه الطرق كلها اذا تذكرنا ان سليسيا التي هي اقليم كبير من البروسيا تسلطن فيها مدة طويلة تصور مبهم للخواص العلاجية التى للماء البارد ونجي تختها المسمي بريسلو بهذا الدواء من رعب الوباء المخرب الذى حصل فيها سنة ١٧٣٧ ونقول من جهة اخرى كان العرق القهرى ثم الغسلات بعده بالماء البارد من اعتيادات العامة هناك قبل مجيء هذا الدواء لهم وأما السبب الذى أرشده لابدال حمام البخار بالاحاطة بأغطية الصوف هو أن الفلاحين كانوا معتادين فعل التنفيس بذلك من زمن قديم وأما التنفيس بالصوف المبتل فهو بالكلية من اختراعه أى نتيجة تعقله الجيد المشاهدة وهذه الوسايط المختلفة كانت منه تدريجية حتى صارت كلها جملة تستعمل في المحل اللائق بها ثم اخذ من هذا الاستعمال طريقة عامة فجعل الدلكات بالجوخ المبتل وباليدين المبتلتين بالماء البارد وبدل الدلكات الأولية بالاسفنج ثم اخترع لف المريض كله الا أجزاء منه فقط بلاءة من جوخ مبتلة بالماء البارد وزيادة على ذلك أنه شاهد ان بعض الاشخاص تنقطع أوجاع أسنانهم من الماء المنتعش قليلا بالحرارة وهو لهم أحسن بكثير من الماء البارد مع أن أشخاصا أخر بعكس ذلك فاخترع امتداد هذه التجربة لاوجاع مختلفة من الماء على سطح الجسم فكانت نتائج ذلك مساعدة جداً . ومن الواضح أن انضمام جميع هذه الطرق انما كانت من نتائج الزمن وغالبا بالمصافة التى أخذت منها فطانة ابريسنيت منفعة جليلة وكذلك

الطبيب ورتيل أوصاه بأن يسقي المرضي كثيراً من الماء البارد حيث عرف نجاح ذلك وهو أول من الف كتابا في هذه الطريقة ونتج من مدحه الزائد لها نتيجة قاطعة مساعدة لعلاج ابريسنيت فعلي رأى هذا الطبيب أن الشرب الكثير من الماء البارد وذلك الجسم به يقوم منهما جميع الطب المطلوب وهذا الكتاب نبه الالمانيين على هذه الطريقة الجديدة ومن حينئذ ظهر لابريسنيت تاريخ جديد ويظهر أن نتيجة هذا العلاج لم تزل آخذة في زيادة النفع حتى جاوز عدد المرضي في السنة ١٢٠٠ وفي كل سنة يزيد عدد المرضى الذين يأتون لجريفنبرغ للتفتيش على صحتهم وبنيت على الخمارة العتيقة طبقة من المساكن وبنيت الاماكن الخربة التى كانت حولها وتبدلت بأبنية جميلة وعمل في معظم بلاد الاوربا اماكن مخصوصة لهذا العلاج المائي على شكل مكان جريفنبرغ واحتقرت الادوية والمركبات واعتبرت كأنها سموم قتالة واقر الاطباء بشرف مخترع هذه الطريقة وان الخير والصلاح الذى حصل على يده لم يعادله فيه غيره وأطباء المدن والقرى المجاورة لجريفنبرغ كانوا أولا ينكرون فاعلية الماء في كثير من الاحوال ولكن غلطهم انما ينسب للآراء التى بقيت قوانينها خامدة عن المنافع التى يمكن أخذها من هذا الدواء يعنى انهم لما رأوا نفع استعمال الاسفنج هؤلاء المرضي قطعوه بأيديهم من الاحجار ليستعملوه في ذلك وعولج في جريفنبرغ جملة أشخاص عظام من أهل المملكة فبعضهم من آفات مزمنة في المعدة وبعضهم من احتقانات نقرسية في المفاصل وبعضهم من آفات عصبية ثم أن ابريسنيت لم يكتب شيئاً وقال لم يكن عندى زمن لذلك مع أن طريقته اشتهرت واستعملت ببلاد النمسا وانكلترة وغيرهما وكما استعملها الاغراب عن الطب استعملها أيضا كثير من الاطباء أرباب الصناعة والي الآن لم يحكم بمناسبة دراستها في مدرسة من المدارس ولم تدخل في كلينيك من الكلينيكات المنتظمة ومبالغات المتعصبين لها يتضح منها هذا التشكك الذى هو طبيعي يقينا ولكن الامل أن هذه المبالغات الخارجة من العقل توصل أهل العلم للبحث بتأكيد وبدون غرض نفساني على كيفية هذا

العلاج الذى كانت قواعده موجودة في العلم قبل ذلك وآزره المؤسسة على علاج الضد بالضد ربما استندت على قواعد بقراط وكثير من مشاهير الاطباء

(طرق مؤسسة على ماتستدعيه هذه الطريقة من الدلالات) قالوا نختار لاجل تسهيل دراسة الادرويبرايا الطرق الخمسة الآتية المؤسسة على الدلالة التى تنتهجها هذه الطريقة الجديدة . فالاولى الطريقة الصحية أى الجارية على قانون الصحة أى الحافظة للصحة والثانية الطريقة المضادة للالتهاب والثالثة الطريقة المضادة للتشنج والرابعة الطريقة المنيرة والخامسة الطريقة الاضافية أو المساعدة والطرق الثلاثة الاول تشتمل على أشياء كثيرة معروفة سابقا ولكن أجلها الاطباء والرابعة تقوم منها بالاكثر طريقة ابريسنيت والخامسة تحتوى على الاستعمالات الادرويبرايية في الداآت التى يعرف عدم امكان شفائها غير أن الاستعمال قد يكون نافعاً بقصد عرض أو جملة اعراض

فأما الطريقة الاولى الصحية فنقول فيها أن التنوعات الموجودة هنا في القواعد الاعتيادية لقوانين الصحة تقوم من كثرة استعمال الماء البارد مشروبا ووضعه على سطح الجسم بالكيفيات الادرويبرايية الجديدة التى يسهل استعمالها عند كل ما يجب ولكن من اللازم أن يضاف لهذه الوسايط الصحية الخالصة وسايط صحية أقوى فاعلية كالاهراق القهرية والصبوبات الباردة والحمامات الكبيرة الباردة ويستعمل ذلك أيضاً في فترات نوب النقرس وللاشخاص الذين يظن أن معهم جرثومة الداء الزهرى أو تكون بينهم مائلة الخنازير أو السل أو نحو ذلك

وأما الطريقة الثانية المضادة للالتهاب فهي التى ذكر فسورى قواعدها العلمية فهي هنا واسطة التسكين الذى ينتج من استخراج الحرارة ومما ينتج في المجموع العصبى من الوضع الفجائى للماء البارد الذى تستعين به الادرويبرايا على قطع كل آفة حية والنهاية وتلك نتيجة تضاف على التحويل الحاصل بالعرق القهرى وبالتمريخات القوية المفعولة على سطح الجسم بالماء المنعش كثيرا أو قليلا أى الفاتر قليلا وتلك الطريقة تستعمل بكيفيات ادرويبرايية مختلفة في الاحتقانات

والالتهابات الاصلية خفيفة كانت أو ثقيلة وفي الحميات الاندفاعية والآفات الروماتيزمية الحادة وجميع الالتهابات الحادة الظاهرة والباطنة ويقال انه شفيت بهذه الطريقة التهابات مخية ومكنات والتهابات رئوية ونحو ذلك فالماء البارد مطلقا أو المنعش أحيانا هو الفاعل الوحيد العلاجى والاستعمال يحصل بواسطة الالتفاف أى التغطية بملاءات مبتلة تجدد بكثرة أو بقلة وأحيانا بواسطة الصب أو الغسل والماء البارد يؤمر به مع ذلك بكثرة من الباطن فاذا شوهد بعد التسكين القوى والاستيال المستدام نقص الحركة الحمية العامة ووجد في الجلد علامات التندية يجتهد في اعانة هذا التنفيس بأحوال مخصوصة ومن المعلوم ان هذا التنفيس القهرى لا يستعمل في الالتهابات الحادة الا اذا نقص أعظم جزء من الالتهاب الشديد بنتيجة التسكين الحاصل من الوسايط التى استعملت سابقا

وأما الطريقة الثالثة المضادة التشنج فتستعمل في كثير من الامراض العصبية التى تكون من أدنى تضايق الى الايبوخندريا وكذا في العوارض الاستيرية الاشد مايكون وقد رأينا ان قورى استنبط أكثر من غيره من الاطباء منافع من هذه الواسطة ، شاهدنا أن الطبيب يوم لم يمدح نفسه مدحا كافياً بانلة نتايج جيدة الا من الماء البارد المستعمل في هذه الآفات المستعصية وذلك مع المنع التام لجميع الوسايط الاخر الانرفازينية وربما كان مدح فاعلية الماء عند الادرويبرايين في علاج بعض الآفات العصبية كالمانيا والصرع أقل من مدحها عند قدماء الاطباء لأن الغالب ان الادرويبرايا الحديثة تقتصر على أن تستعمل في الامراض العصبية الخالصة علاجا منيراً لا يناسب عندهم فاذا ظهر ان العلاج بالماء منع لانافع في علاج الهذيان الجنوني والصرع فذلك لانه استعمل في هذه الامراض طرق كثيرة التنبيه ففي هذه الطريقة تستعمل وسايط مسكنة ومقوية في آن واحد كغطاء واحد أو غطاءين بأردية مبتلة والماء البارد من الباطن بكثرة والدلكات بخرق مبتلة وعلى حسب الاحوال الصبوبات والانغماسات والغسلات والدلكات بالماء البارد والمفعولة باليد المبتلة والتطولات القصيرة المدة

والرياضة المنتظمة في الهواء الواسع ومنفعة هذه الطريقة واضحة في كثير من الآفات العصبية التي في المحور المخي القفري ولا سيما التخاع الشوكي وفي الاعتقالات وآفات الحرق والآفات التشنجية والرعشة وغير ذلك ويظهر أيضا أنها تنفع نفعا جليلا في بعض أحوال عصبية غريبة في بعض الاعضاء كالرحم والاثداء والخصيتين (يقول جامعه احمد الرشيدي كان لي صاحب يعتريه زمنا فزمنا صداع شديد مزمج لم ينفع فيه شيء من الادوية الا صب الماء البارد على الرأس فيسكنه حالا)

والرابعة وهي الطريقة المنيرة أو الخالة هي التي اخترعها على الخصوص ابريسنيت ففي درجات الشدة كثيراً ما تستعمل كيفيات تنوع البنية تنوعا عميقا كالتنفيسات المتحرضة اما من أغطية الصوف الجافة واما من الملاءات المبتلة وعقبها حالا تغمس المرضى في حمام كبير بارد أو تستعمل دلكات في حمامات جزئية ومثل ذلك أيضا التعاولات الباردة والصبوبات المختلفة القوة وحمامات القعدة المختلفة برودة واستطالة والتمريخات القوية باليد المبتلة على سطح الجسم والوضعيات المتنبهة المختلفة السمة وجميع الوسايط التي تفضي لاستعمال الماء البارد من الباطن بكثرة تنوع الحيوية تنوعا عميقا وغايتها انتاج انفعالات تسمى بالبحرانات وجميع الآفات المزمنة تعالج بهذه الاعمال التي تساعد بتدبير غذائي مخصوص كثير التغذية وبمزاولة جميع المجموع العضلي بحسب الطاقة في هواء واسع مع المنع التام عن جميع الوسايط الاقرباذينية ففي جريفنبرغ يعالج كل آن مع التنعم الزائد احيانا بالطريقة المنيرة المذكورة بعض الآفات المزمنة في المخ وكثير من آفات الصدر وجميع آفات البطن والنقرس والروماتزمي المزمن والآفات الباسورية والامراض الزهرية الاولية أو الثانوية أو الثلثية والامراض المزمنة الجلدية والقروح المزمنة في الاطراف السفلي والنواصير البولية وتضايق مجرى البول والاورام العظمية والامراض الاخر المزمنة في العظام والآفات الخنازيرية والاورام البيض ونحو ذلك فبواسطة الانفعال القوي والتنوع العميق الذي يطبعه هذا العلاج في جميع الوظائف

العضوية يمكن أن يوضح التحلل وزوال كثير من الاحتقانات المزمنة بالعلاج المائي فاخراج جميع مايظن غريباً ومؤذياً للجسم هو الذي ينتج الشفاء وبالاصل انه اذا لم يوصل لاناة هذا الاخراج التام بالتنبه والتوران العاملين المنطبعين في البنية فأقل أن يقف سير المرض العضوي بل يمكن أن يحصل منه حركة رجوع نحو الشفاء والانفعالات المختلفة الناتجة مدة استعمال الطريقة المحالة تسمى بالبحرانات وتعتبر كأنها أفعال شديدة من الطبيعة ليحصل عنها اندفاع السبب المرضي فعلى حسب هذه الآراء الخلطية أي المتعلقة بالاخلاط يوضح المعالجون بالماء التحليل والزوال لجميع أنواع الاحتقانات سواء في الاحشاء البطنية المختفية أو في المفاصل المختلفة ويوضحون أيضاً بهذه الكيفية شفاء الامراض التي توضع تحت تعلق مجموع الوريد الباب والاوردة الدموية في المستقيم وبالجملة نال على أيديهم بواسطة استعمال هذه الطريقة جميع النتائج التي يشاهد عروضها بعد استعمال المياه الحديدية الشهيرة جداً ومدة العلاج تطول في الغالب وأغراض هذه التجربة الصعبة تجاسر المرضى وصبرهم غالبا

وأما الطريقة الخامسة الاضافية أي المساعدة فهي التي تستعمل في الامراض التي لا يرجى شفاؤها شفاء تاما ولكن اذا استعمل فيها العلاج بالماء استعمالا مناسبا جاز أن يحصل منه نفع مهم ففي أمراض القلب وبعض الآفات الرئوية المزمنة وانواع الشلل يمكن أن يجد الطبيب مساعدة ثمينة من استعمال هذه الطريقة العلاجية . قال قد رأيت في جريفنبرغ مريضا مصابا بآفة عضوية ثميلة في القلب مصحوبة بنزلة رئوية مزمنة وربو أحوج المريض للازمة السرير مدة ١٥ يوما بسبب الازدياد الوقتي للعوارض النزلية والرئوية فترك حجرته في آخر هذا الزمن حيث كان الفصل للادروتيرابيا التي صيرت المريض في غاية الراحة وترك سريره بعد أن لازمه هناك نحو عشرة أيام بسبب ازدياد النزلة أو الربو وكان منتقع اللون ضعيفا هزيلا نحيفا لا يمكنه الزحف الا بعسر ثم لما حصل له النجاح من هذا العلاج بالغ في مدحه كثيرا . والوسايط المستعملة في جريفنبرغ وان كانت بسيطة يمكن اعتبارها

مفزعة بباريس فاستعمالها يستدعي من المريض وثوقا كبيرا ولذا كان هذا المريض الذى ذكرته شخصا عمره ٦٠ سنة وكان في كل صباح يجلس بجانب سريره على كرسي ليس له مسند ويدلك جسمه كله برداء مبتل بالماء البارد مدة دقيقتين أو ٣ ثم ينشفه جيدا وتوضع له رفائد منبهة على سوقه المحتقنة وهو موضوع على سريره وأحيانا يوضع في حمام جزئي حرارته ١٢ درجة من مقياس ريومور ويمكث فيه بعض دقائق ويدلك وهو فيه جميع جسمه بقوة

وأما المصابون بالسل الذى لا يؤمل شفاؤهم ويكونون فريسة لحمى بطيئة أنحلتهم وهم مكدرون بأعراق ليلية هزلتهم فالعلاج الادروتيرابي يكون واسطة مساعدة لهم من أعظم مايكون بشرط التشجع من المريض والأحسن في هذه الاحوال أن يلف المريض مرات في رداء مبتل فان ذلك يسكن هذه الحمى ويوصل للجلد قوة شديدة لاينتجها غيره من أنواع التداوى سوى الصب البارد وكذلك الفالج وبربليجيا أى شلل النصف الاسفل يجدان في هذا العلاج واسطة مساعدة من أنفع مايكون حتى ولو منع ثقل المرض الوثوق بالشفاء التام ولذلك شاهدنا في جريفنبرغ أشخاصا مصابين ببربليجيا يعتبرهم ابريسنيت غير قابلين للشفاء فاستعملوا مع النفع الجليل بمباشرته دلكات بملاءات من جوخ مبتلة في جميع سطح جسمهم مدة بعض دقائق وكان ينبههم بنطولات باردة مفعولة على جميع أجزائهم ماعدا العمود الفقرى مدة دقيقة أو دقيقتين فلذا نمدح هذه الواسطة حيث ان الصحة العامة التي كانت فاسدة رجعت بها مزهرة وحركات الاطراف السفلى وان كانت غير تامة الا أن المريض لم يزل عنده رجاء الشفاء والانزعاج الزائد الذى يشاهد غالبا في المرضى المصابين بشبه هذه الآفات كان في هذا الشخص نفسه يسكن سكونا عظيم الاعتبار بالتفافه في ملاءة مبتلة والادروتيرابيون يعتبرون العلاج بالماء واسطة مساعدة في علاج الرعاف الذى لا يوجد في ذاته ثقل ولا يحتاج لعلاج عام وخطر مجيء الداء دفعة لا يقاوم بمنفعة من المنافع الاخرى وهذه الطريقة على رأيهم تساعد في علاج الحميات الاندفاعية وسيما الجدرى الافعال

القوية الطبيعة وتجتاز بالداء أوجهه المختلفة مع قصر مدتها لكن من الواضح أن الحمى الاندفاعية اذا كانت خفيفة ترك الحال لفعل الطبيعة اذا التجيء الى الادروتيرابيا فذلك لأنه يوجد اذ ذاك امراض تستدعي الاستعانة بها ففي تلك الاحوال كلها أثبت فورى انما حصل النفع باخراج الحرارة وبالنتيجة المضادة للتشنج التى للدواء فتولد من ذلك كله السكون وزالت الاحتقانات الباطنة فالعلاج بالماء في هذه الاحوال لم يكن مساعداً وانما كان مسكنا ومضاداً للالتهاب والادروتيرابيا اذا استعملت بتعقل في النقاهات كواسطة اضافية جاز أن يحصل منها نفع عظيم وكذلك الغسلات العامة القصيرة المدة بالماء البارد أو الذى درجة حرارته مناسبة والدلكات المفعولة بجوخ مبتل تعين مع الرياضة على تقوية المريض وتعيد له صحته سريعاً والحركات الحمية الواضحة والانزعاجات العصبية التى تتعب الناقهين تعالج مع نجاح بالالتفاف في الجوخ المبتل وتلك واسطة يحصل منها نفع جليل في تقوية المريض في الوقت الذى يكون من المهم توفير قواه

وهذا التقسيم للادروتيرابيا أى الى الطرق المذكورة يستدعي غاية الاهتمام وأقل نفعها اعتبار هذا الفرع من العلوم الطبية وتأكيد سعه وضعياته اذ في الحقيقة لايوجد من الفواعل العلاجية ماهو واسع الاستعمال الا المسهلات مع أن استعمالها ليس متسعا كاتساع العلاج المائي والتقارب بين المسهلات والايدروتيرابيا يكون أضبط وأصح عند من ينسب لها القدرة على استفراغ الاخلاط الفاسدة في البنية وطردها عنها فالفضل في الحقيقة في شفاء الامراض لخاصتها المنقية وهذا الرأى له اعتبار وان لم يكن هو الرأى المشهور الآن ونقول هل تكون المسهلات هنا قاعدة للعلاج فاذن يلزم من طرف ابريسنيت اثبات شيء وهو أن جميع الامراض ينتج منها وجود خلط يكون من المهم استفراغه وتلك الكيفية في توضيح نتيجة الادوية بكونه ينسب لها خواص منقية كما هو المشهور عند العامة معروفة أيضاً عند أرباب المعارف وتساعد مساعدة قوية على شهرة طرق العلاج المؤسس على هذا الرأى فابريسنيت فعل هذه التنقية يلف

المريض من الخارج وبالمسهلات التي تفعل فعلها على الجلد الباطن وكل حزب منهم يذكر شفاآت عديدة اكيدة عنده عظيمة الاعتبار ثم في التأمل في المبدأ الذي ذهب منه ابريسنيت وفي بعض القضايا المبهمة في الخواص الشفائية للماء مصحوبا ذلك بدلك الجزء المريض بالماء البارد ووضع رقائد مبتلة عليه ومقابلة هذا المبدأ الدنيء بالاستعمال الكثير الزائد النفع غالبا حينما عرف هذا الشخص أنه دواء أوقعته المصادفة بين يديه لا يمنع التعجب من استدامته وشدة فاعليته فتوضح هذه النتيجة بالفاعلية الحقيقية للماء في كثير من الاحوال وبجسارة ابريسنيت وبالتجريبات التي تقوت بمبالغات المرضى في مدحهم له ومدح نجاح فعله واذا لم تتجاسر الاطباء على فعل هذه الكيفية نرى أن المرضى تمارسها بأنفسهم فتكون نتيجة ذلك زيادة الشهرة لتجربته سواء كانت تلك النتائج التابعة حميدة أو مغمة . ولم يكتف ابريسنيت بالنتائج المتالة بل كان يشتغل أيضاً بتصورات جديدة فيترك الطريق الذي سلكه أولا حتى شاهد طريقا آخر يوصله بسرعة للمقصد المطلوب له ولذا ترك من نفسه عمل التنفيس أي التبخير بعد أن كان يستعمله مرتين في اليوم فالتفاف المرضى بالاردية المبتلة كان عوضا عن الاعراق التي كانت تستعمل منذ سنتين والآن مال بأكثر للانغماسات المتعاقبة فأولا في حمام جزئي من ماء فاتر يدلك فيه جسم المريض بعض دقائق ثم يخرج منه لينغمس في حمام كبير بارد ثم يرجع المريض من هذا الحمام الى الحمام الجزئي والى الدلكات ومن ذلك الى الحمام الكبير وهكذا حتى يحصل للمريض أحيانا حالة غشي تحوج لوضعه على سريره والآن هذه الحمامات المتعاقبة مع الالتفاف في الجوخ المبتل لها تقدم على التنفيسات القهرية . انتهى مما نقله تروسو من كتاب سيديل باختصار ثم قال تروسو وهذا الشرح اللطيف الذي ذكرته برمته عنه كاف يقينا لمن أراد أن يستفيد تصوراً صحيحا للادروتيرابيا فالعلاج بالماء وان ظهر بمقتضى هذه النبذة اليسيرة أنه شيء سهل الا أن الطبيب قد يعسر عليه اتمام الشروط اللازمة للنجاح فعليه أن يعرف تفصيلا شرح كل من هذه الطرق وما يتعلق

بدلالاتها المخصوصة وأن يدرس ما سطر في المؤلفات الصحية التي كتبت في هذا المبحث ككتاب لوقر بيير واسطوطيطان فاذا أريد بالعلاج بالماء التداوي المقوي تكون حمامات البحر هي الانفع في ذلك (وقد ذكرنا لها في كتابنا هذا مبحثا مخصوصاً) فأذا اريد ان يضاف للفعل المقوي نتيجة مغيرة أو منقية فالادروتيرابيا يوجد فيها الينابيع التي لا توجد في حمامات البحر فأن من القريب للعقل أن نفوذ مقدار كبير من الماء مدة طويلة في الجهاز الدوري وفي جميع الاعضاء المفرزة يكون شيئاً موافقاً للبنية وينوع الاحوال المرضية تنوعا عميقا كالنقرس والوجع الروماتيزمي والقوابي المستعصية على العلاج ونحو ذلك وتلك آفات علاجها بحمام البحر ضعيف القوة وهنا حصل تقدم آخر أدخله في العلم فلاح جريفنبرغ من التداوي بالماء البارد حيث استعمله بأوضاع غريبة الشكل مفعولة مع التعقل والضبط فاكتسبت رتبة مميزة عن غيرها في صناعة العلاج فأما كواسطة مسكنة أو مقوية أو محللة فيلزم الانتباه في استعمالها فلا يستعملها الا طبيب نبيه . انتهى

﴿ موقان ﴾ قال ياقوت موقان بضم أوله ولاية فيها قرى ومروج كثيرة يحتلها التركمان للرعي فاكثر أهلها منهم وهي من أذربيجان يمشي القاصد من اردبيل الى تبريز في الجبال

﴿ ميافارقين ﴾ قال ياقوت ميافارقين بتشديد الياء وكسر الراء والقاف أشهر مدينة بديار بكر قيل ما بني منها بالحجارة فهو بناء أنوشروان وما بني منها بالآجر فهو بناء ابرويز والذي يعتمد عليه أنها من بناء الروم لأنها في بلادهم الى أن قال وأحكم بانيها تحصينها حتى يقال انها لم تؤخذ عنوة قط حتى ٦٢٠ هو آمد بالقرب منها وهي أحصن منها وأحسن وقد أخذت بالسيف مراراً وأمر الملك قسطنطين وزراءه الثلاثة فبنى كل واحد منهم برجا فيها وجعل لها ثمانية أبواب وقيل أنه كان مدة عمارتها حتى كملت ثمان عشرة سنة الى أن قال : وما زالت ميافارقين بأيدي الروم الى أيام قباذ بن فيروز ملك الفرس فانه غزا ديار بكر وربيعة وافتتحها وسبا أهلها ونقلهم الى بلاده وبنى لهم مدينة بين فارس والاهواز فأسكنهم فيها وجعل اسمها أبر قباذ ثم ملك بعده ابنه أنوشروان

ابن قباذ ثم ابرويز بن هرمز وكان ابرويز مشتغلا بلذاته غافلا عن مملكته فخرج هرقل فافتتح هذه البلاد واعادها الي مملكة الروم وملكها بأسرها ثمان سنين آخرها سنة ثماني عشرة للهجرة وبعد ان فتحت الشام وجاء طاعون عمواس ومات ابو عبيدة بن الجراح انفذ عمر رضي الله عنه عياض بن غنم بجيش كثيف الى ارض الجزيرة فجعل يفتحها موضعا موضعا وقيل ان خالد بن الوليد والاشتر النخعي سارا الى ميافارقين في جيش كثيف فنازلاها فيقال انها فتحت عنوة وقيل صلحا علي خمسين الف دينار علي كل محتلم اربعة دنانير وقيل دينارين وقفيز من حنطة ومد زيت ومد خل ومد عسل وان يضاف كل من اجتاز بها من المسلمين ثلاثة ايام وجعل المسلمين بها محلا وقرر اخذ العشر من اموالهم وكان ذلك بعد اخذ آمد. قال وكان المسلمون لما نزلوا عليها نزلوا بمرج هناك علي عين ماء فنصبوا رماحهم هناك بالمرج فسمي ذلك الموضع عين البيضة الى الآن

﴿ ميان ﴾ قال ياقوت ميان في المشترك ميانج من اعمال أذربيجان وهي علي مسيرة يومين من مراغة واهل اذربيجان يسمونها ميانة وهي مدينة كبيرة وقال في اللباب ميانة بلد باذربيجان خرج منها جماعة من اهل العلم منهم القاضي ابو الحسن الميانجي المشهور في اخبار موشان عند همذان

وقد عد ابن حوقل مدينتي موقان والميانج ضمن بلاد اذربيجان حيث قال واما الميانج وخوى ومرند وتبريز وموقان فهي مدن صغار متقاربة في الكبر لطاف وجميع ذلك معموم بالشجر معمور بالخيرات والثمر غير مخصوص منه مكان دون مكان بالانهار والبساتين وعمارة الارضين بل كل مملوء بالبركات

﴿ ميانروذان ﴾ قال ياقوت الحموي بفتح الميم كلمة فارسية معناها وسط الانهار وهي جزيرة تحت البصرة فيها عبادان تحيط بها دجلة من جانبيها وتصب في البحر الاعظم في موضعين احدهما يركب فيه الراكب القاصد الي البحرين وبر العرب والآخر يركب فيه القاصد الي كيس وبر فارس فهذه الجزيرة مثلثة الشكل من جانبيها دجلة والجانب الثالث البحر الاعظم وفيها نخل وعمارة وقرى

من جملتها المحرزي التي هي مرفأ سفن البحر وميان روذان أيضا ناحية في اقصي ماوراء النهر قرب اوزكندا

﴿ ماح ﴾ فلانا يميحه نفعه و (امتاح الماء) غرفه . و (استماحه) سأله العطاء

﴿ ماد ﴾ يميد ميداً تحرك و (تميد) تمايل مهتزاً و (المائدة) الطعام والخوان عليه الطعام جمعه مائدات

﴿ الميداني ﴾ هو ابو الفضل احمد ابن محمد بن احمد الميداني النيسابوري كان أديبا عارفا باللغة له فيها التصانيف المفيدة منها كتاب الامثال

توفي بنيسابور سنة (٥١٨)

﴿ مار ﴾ فلانا عياله يميرهم ميرا أتاهم بميرة . و (المير والمير) الطعام . و (امتار) مثل مار

﴿ مازه ﴾ يميزه ميزاً عزله وفرزه من غيره و (ميزه تمييزاً وأمازه) بمعنى مازه و (تميز الشيء وانماز) انفصل عن غيره

﴿ التمييز ﴾ هو اسم يذكر لبيان عين المراد من اسم سابق يصلح لان يراد به اشياء كثيرة نحو (اشتريت رطلا مسكا) فان ما يذكر بعد رطلا يصح أن يكون خبزاً وحريراً الخ فلما قلت مسكا ميزته فصار مسكا تمييزاً . والمميز اما ملفوظ أو ملحوظ فالاول كأسماء الوزن والكيل والمساحة والعدد كما رأيت والملحوظ ما يفهم من الجملة نحو (طاب محمد نفسا ، وأنا اكثر منك علما) فانك متى قلت أنا أكثر منك احتمل أن تقول مالا أو ماشية ، فلما قلت علما صار تمييزاً

﴿ ميس ﴾ ماس الرجل يميس ميسا تبختر و (تميس الرجل) تبختر و (الميسان) المتبختر

﴿ ميسان ﴾ قال ياقوت هي كورة واسعة كثيرة القرى والنخيل بين البصرة وواسط فصبتها ميسان وفي هذه الكورة قرية فيها قبر عزير النبي مشهور معمور يقوم بخدمته اليهود ولهم عليه وقوف وتأتيه النذور

﴿ ميط ﴾ ماطه يميطه أبعده و (أماطه) أبعده ونحاه و (المياط) الادبار و (المياط) أيضا الاقبال

﴿ ميع ﴾ ماع يميع سال وجرى . و (ماع السمن) ذاب فهو مائع . و (أماعه)

أصاله . و (تميّع الشيء) تسيّل و (المائع) خلاف الجامد و (ميعة الشباب) اوله

﴿الميعة السائلة﴾ هي عصارة بلسمية سائلة تسمي بالافرنجية اصطركس لكيد اى الميعة السائلة ويوم قويلم اى بلسم قويلم وقويلم لكيد اى القويلم السائل ولكيد امبر اى العنبر السائل ويسمي النبات باللسان النباتي لكيد امبر اصطراسفلوا ولكيد أمبر اورينتال وهما نوعان من الجنس تخرج منهما هذه العصارة فجنسهما لكيد أمبر كان موضوعا في فصيلة امتناسية والآن وضع في الفصيلة الشمعية وصفاته النباتية انه كثير الذكور وحيد المحال اى ان ازهاره المذكرة والمؤنثة على شجرة واحدة منفصلتين عن بعضهما فالازهار المذكرة يتكون منها عناقيد صغيرة متفرعة وتتركب من عدد كثير من ذكور خالية بالكلية من الكاس والتويج بل ومن الفلوس التى تكون في محلها وتلك العناقيد مصحوبة بمحيط رباعي الورق يسقط فيما بعد والأزهار المؤنثة يتكون منها سنابل هرمية كرية مصحوبه أيضا بمحيط فلوسى مركب من ٤ وريقات وهذه الازهار ملززة جداً وملتصقة ببعضها وكأسها متسع وحيد القطعة مقطوع وغير متساوى الحافة وهي محتوية على مبيضين وحيدى المسكن وملتصقين بقاعدتيهما مع الكاس وينتهي كل منهما بطرف حاد منحنى القمة وينفتح من جانبه الباطن ويحتوى على جملة بذور ملتصقة بجدرانه ومجنحة واسم هذا الجنس مركب من كلمتين احداهما لكيد اى سائل وثانيتهما امبر اى عنبر فمعناهما عنبر سائل وهو مأخوذ من المستنتج البلسمي الخارج من انواعه الداخلة فيه

(الصفات النباتية) الازهار يتكون منها عناقيد صغيرة متفرعة فالمذكرة فيها ذكور كثيرة وخالية من الكاس والتويج بل ومن الفلوس التى تكون في محلها وتلك العناقيد مصحوبة بمحيط رباعي الورق يسقط فيما بعد والمؤنثة يتكون منها سنابل كرية مصحوبة ايضا بمحيط فلوسي مركب من اربع وريقات وبقية الصفات كصفات الجنس المتقدمة والنوع الاول المسمي لكيد امبر اصطراسفلو شجر كبير ينبت بأمريكا الشمالية كمسيك ورجيني وريف اونيون ويسمي

هناك شجر قويلم واستنبت أيضا استنباتا جيداً في الاراضى الممتلئة من اقليم باريس وهو بمنظره وتوريقه يشبه النبات المسمي اريل وبالاكثر الجميز المسمي بالافرنجية سيقومور ولكن اوراقه متعاقبة غالبا ذنيبية ذوات ٥ فصوص سهمية عميقة ومسننة تسنينا غير متساو وتستخرج الميعة منه بنفسها او بشقوق تعمل فيه والنوع الثاني المسمي لكيد امبر اورينتال أى المشرقي ينبت بالمشرق بالنسبة لاوروبا نحو البحر الاحمر وببلاد العرب وبلاد الاثيوبيين ويسيل منه بلسم سائل شبيه ببلسم النوع السابق ويعطى أحدهما بدلا عن الآخر ويمكن ان يكون هو المسمي روزمالا أو روزمالوس الذى اكد بعضهم انه مستنتج بلسمي عليه هيئة عجين سائل يجنى من نبات سماه بعضهم بذلك وينبت بجزيرة قبرس قرب قاديس وفي طرف البحر الاحمر على ٣ أيام من السويس وينقل من هناك الي جدة ونسبه آخرون لغير ذلك مثل لكيد امبر ايطسيا والطنجيا اكسلزا من الفصيلة المخروطية قال ميره وهو بعيد لان النباتات المخروطية انما تعطي تربنتينات لا بلاسم وذلك هو ما رأيناه في جنس الطنجيا لان الطنجيا اكسلز المسمي عند رمفيوس ضماراً ألبا شجر من الفصيلة المخروطية ينبت في ملوك ويتصاعد من جذعه بالطبيعة أو بشقوق تفعل فيه راتينج يكون أولا رخواً لزجا ثم يتيبس على الشجر في أيام فيكون كتلا غليظة في بعض الاحيان وحينئذ يكون في بياض البلور ولكن اذا عتق اصفر كالكهرباء وقد يقطر نقطة نقطة على الارض ويتجمد عليها ويتوسخ فاذا كان هذا الراتينج سائلا كانت رائحته كرائحة الصنوبر والمصطكي واذا كان جافا لم يكن له رائحة أصلا واذا وضع على الفحم المتقد حصل منه ما يحصل من راتينجات الصنوبر وليس هذا الراتينج استعمال طبي ولكن ذكر رمفيوس انه يمكن استعماله في تلحيم الجروح وفي جراح القدمين ونحو ذلك وانما يخدم في ملوك لطلاء السفن ولذا كان موضوعا لمتجر كبير ويسمي بلسان المليزيين ضمارابوتى أى الراتينج الابيض فعلم من ذلك انه لا يصح نسبة الميعة لجنس الطنجيا الذى هو من الفصيلة المخروطية ثم قال وقد اوصل لنا

بعض العلماء انموذجا من عصارة بلسمية نخينة لزجة قوية الرائحة جداً ورائينجيتها أقوى من ذكارتها وهي في مصر مسماة بلسم عصارة العنبر السائل (شك لكيد أمبر) ويعكر كونها ناتجة من روزمالا قال وحيث أنها عتيقة جداً تحولت تقريبا الى دهن شحمي وذلك تغيير يحصل كثيراً في الرائينجيات كما شاهد حصول ذلك في رائينج الصنوبر

(الصفات الطبيعية للبيعة السائلة) هي نخينة في قوام العسل فاذا كانت جديدة نقية كانت قليلة اللون والذ هي تسمى بالعنبر السائل الابيض وقد تكون سنجابية مسمرة معتمة ورائحتها ذكية هي رائحة الخمش الجاوى قابلة للانتشار وطعمها مر حار عطري عبير حريف أو فيه بعض حرافة وهذا المستنتج صار الآن نادر الوجود بل لايوجد أصلا في المتجر ويستخرج منه بالتصفية أو بالعصر الجزء الاكثر سيلانا المسمى بدهن العنبر السائل فاذا تبيس هذا البلسم وذلك يحصل فيه مع طلوع الزمن سمي برائينج قد يم وهو غير الرائينج المسمى رائينج قوبال اما في أمريكا الشمالية فلا يخرج منه بلسم وانما تغلي أغصانه وتجتنى المادة التي تسيح على الماء فتكون هو القو يلم الاسود عند بعض الصيادلة وتعطي احيانا بلسم عصارة اصطوركس أو فسنال أى العلبي أى المسمي اصطوركس و يسهل حصول هذا الخلط اذا كان المستنتجان متحدين في التركيب والخواص ولكن الاصطوركس الصادق هو الذى بامريكا وأما الاصطوركس فبأوربا وهناك مستحضر من هذا الاخير يظهر كونه صناعيا ويأتي من البلاد الشرقية مسمي بالاصطوركس السائل وهو ناتج من اذابة الاسطوركس في الدهن او في النبيذ مخلوطا بالتربنتينا واعتبره بعضهم ناتجا من اغلاء أغصان وفروع الاصطيركس العلبي حيث يفعل ذلك بالبلاد الشرقية و يقوم مقام العصارة النقية التي لاتعرف الآن لهذه الاصطركس العلبي وأما الموجود عصارة صابة هي المسماة بالميعة اليابسة

(الصفات الكيماوية) هي مركبة من دهن طيار ورائينج واسطراسين وحمض سينا ميك بالدهن الطيار المسمي اصطيرول لم يكن متكونا الا من كربون وايدروجين وهو سائل يعطي مع الحمض النتري مستنتجات قريبة من جملة نانج أزوني طيار حريف كالدهن الطيار الخردل والرائينج مركب من رائينجين أحدهما صلب والآخر رخو وربما كان هذا الرخو شبيها بالسينامئين وأما الاسطراسين فاكتشفه بونسطر ودرسه الا كتر سيمون وهو يكون على شكل ابر جيلة مستطيلة بيض تميع في ٥٠ درجة وهي مركبة من ٢٤ من الكربون و ٤١ من الايدروجين و ٣ من الاوكسيجين وهو لايذوب في الماء ويذوب في ٣ غرامات من الكؤول المغلي و ٢٢ من الكؤول البارد ويذوب في ٣ غرامات من الاثير واذا ضم الحمض النتري حصل مثل مايحصل من الحمض سينا ميك الذى يشبهه كثيرا ويعطي من مستنتجاته الحمض سيانديريك وادرور البنزويل وهو مع القلويات الكاوية يتغير الي رائينج وحمض سينا ميك وزيت ثقيل سماه سيمون اصطراقون ينقل في ٢٢٠ ورائحته كرائحة الورد مقبولة أو الوز أو القرفة ويحتوى هذا الزيت على ٩ من الاوكسيجين في المائة و ينال الاصطراسين بأن يقطر البلسم مع كربونات الصودا ليستخرج الدهن

الطيار ثم يغسل الرائينج بالماء و يذاب في الكؤول فاذا قطر ذلك الي ثلثيه رسب الاصطراسين النير النقي بالتبريد فيغسل بالكؤول ثم يذاب في الاثير ثم يبخر الاثير و يذاب ثانيا حارا في الكؤول ليحصل من ذلك بالتبلور الاصطراسين

(الاستعمال) الميعة السائلة الصادقة المسماة أيضا بلسم قو يلم فيها خواص البلاسم عموما فهي منبهة للمجموع الحاملي فتعطي في النزلات المزمنة في الصدر والامعاء والطرق البولية ونحو ذلك فيكون ذلك الجوهر مقويا للمعدة ومنبها للرئة والبول وكثيراً مايستعمل من الظاهر وضعيات في مستحضرات برهمية فيوضع على الجروح القنبرية النتنة الرديئة الطبيعة ونحو ذلك وكان العطريون يستعملونه سابقا وصبا دهنه العطرى. كذا ذكر ميره وقال بوشرده استعمل هيرتير الاصطيركس السائل في ليقوريا النساء والبلينوراجيا أى السائل الزهرى بدل بلسم القوبار فجهز منه بلوعا صندكرها أى فجمل منافع هذا الجوهر كنافع بلسم القوبار. وذكر أطباء العرب أن هذه الميعة حارة طيبة الرائحة تدخل في الطيب

وفيها قبض وتجفيف وقيل أنها تسخن وتنضج وتلين وتشفي السعال والزكام وفيها جميع ماقلناه عنهم في الميعة اليابسة

(المقدار وكيفية الاستعمال) يلزم قبل استعمالها من الباطن تنقيتها بتصفيتها من خرقة مثلا وبلوع الاصطيركس تصنع بأخذ المقدار المراد من الاصطيركس السائل النقي والمقدار الكافي من مسحوق عرق السوس ويحبب ذلك حبوبا كل حبة من ٣٠ الي ٤٠ سنتي غرام يستعمل منها ٦ في اليوم ٣ في الصباح و ٣ في المساء وقد يصل المقدار في اليوم الى ١٢ وأرصى لوباج بتجويز هذه الحبوب يأخذ ثمن من المنتيسيا المكلسة تجمع مع البلسم المذكور علي حمام مارية مدة نصف ساعة وشراب الاصطيركس يصنع بأخذ غرامين من الاصطيركس النقي و ٥١ من الكحول الذي في ٤٠ درجة من الكثافة و ٦٠ جزءاً من السكر و ٣ من مسحوق الصمغ العربي فيذاب الاصطيركس في الكحول ثم يصب المحلول مغليا ويرشح علي السكر ثم يجفف في محل دفي ثم يسحق السكر ويذاب في ٣٠٠ غرام من الماء علي حمام مارية ثم يضاف له الصمغ العربي المذاب في ٥٠ غراما من الماء ويصفي. وهذا الشراب منظره كمنظر المستحلب ويحتوي كل ٢٠ غراما منه علي ٣٠ سنتي غرام من اصطيركس كذا قال لوباج وجهز هرتير شراب الاصطيركس بهضمه في الماء . قال سويران وأنا أختار التركيب الذي ذكره لوباج لأن شراب الاصطيركس ليس شرابا مقبولا للاتفاذ لانه يحتوي علي مقدار كبير من الراتينج وبالضرورة يكون أقوى فاعلية وأما طلاء الاصطيركس ففي بوشرده يصنع بأن يذاب علي نار لطيفة ١٠ غرامات من القلفونيا و ٨ من راتينج اللاري و ٨ من الشمع الاصفر ثم يضاف علي ذلك مع الاحتراس ٨ من الاصطيركس السائل ثم ١٢ غراما من زيت الجوز ثم يصفي ويحرك الي أن يبرد ويشرهم ويستعمل هذا المرهم بمفرده وكثيراً مايجمع ايضا مع مرهم جالينوس ولودنوم شيدنام وتركيب هذا الطلاء في سويران يختلف عن ذلك فانه قال في تركيبه يؤخذ من القلفونيا ٤ غرامات ومن كل من راتينج اللاري والشمع الاصفر والاصطيركس السائل غراما ن

ومن زيت الجوز ٣ غرامات ثم تمزج القلفونيا وراتينج اللاري والشمع مع بعضها في قدر فتذاب علي نار هادئة ثم يضاف لها الاصطيركس السائل ولكن مع غاية الاحتراس خوفا من نتائج شدة الغلي حيث ينتج تبخير ماء الاصطيركس اذا كان المخلوط الراتينجي شديد الحرارة فاذا ذاب الاصطيركس يضاف له زيت الجوز ثم يصفي من خرقه ويحرك الطلاء حتى يقرب البرودة فيحصل علي سطح الطلاء الاصطيركسي شبه قشرة ناشئة من تخن زيت الجوز في الطبقات السطحية بسبب الخاصة المجففة في هذا الزيت وتفصل هذه الطبقة اذا أريد استعمال الطلاء وأما الميعة المنقاة المتجمدة فتضع بأخذ ١٢٠ غراما من الميعة المنقاة و ١٠ غرامات من الكحول السائي يمزجان و يسخنان مدة ساعة علي حمام مارية ويعمل ٢٤٠ بلعة ويصح أن يستعمل منها كل يوم من ٥ الى ٢٠ بلعة في البلينوراجيا (أنظر المادة الطبية)

﴿ الميعة اليابسة ﴾ لفظة ميعة اسم عربي مشتق من الميعان لانه اذا أطلق فانما يراد به السائلة وتسمى هذه العصارة أيضا اصطيرك بضم الطاء وكسرها وهو اسمها بالافرنجية ويسمي النبات الخارجة منه بالعربية لبنى بضم اللام وسكون الياء باللسان النباتي اصطرك اوفستالس والاسم العامي عند الاوربيين اصطوركس أواصطيركس قلاميت وباللسان الافرباذبني اصطيرك قلامينا ويقال له أيضا البيوفيير والبيوسيير واصطيركس جنسه اصطيركس أو اصطوركس عشري الذكور أحادي الاناث من الفصيلة الميعية أو الآبنوسية

(الصفات النباتية للنوع المذكور) هو نبات ينبت في بروونسة وايطاليا واسبانيا وبلاد الروم والبونان وآسيا الصغرى ومعظم بلاد الشرق بالنسبة لاوربا كما يوجد أيضا في جنوب فرنسا ويألف المحال اليابسة قال ريشار ويعلو من ١٥ قدما الي ٢٥ وينتوج بفروع أوراقها متعاقبة بيضاوية كاملة ذنيبية رخوة زغبية الوجهين وصبا من الاسفل حيث تكون بيضاء قطنية . وقال ميرمان الاوراق قطنية مبيضة من الاسفل وخضر من الاعلي وتشبه أوراق السفرجل والازهار بيض عنقودية .وقال ريشار الازهار بيض

تنضم ٣ أو ٤ مع بعضها في طرف الاغصان وهي في العظم والشكل كأزهار البرتقال وكأسها قصير يقرب لان يكون دني الشكل والتويج ذو ٥ أو ٦ فصوص ضيقة والذكور يختلف عددها من ١٠ الي ١٦ وأعسابها وحيدة الاخوة من قاعدتها والثمر كرى في غلظ ثمر الكرز وغلافه الخارج جاف قطني ذو مسكن واحد يحتوى على بزور من ٢ الي ٤ يختلف شكلها جداً فيستخرج من جذعه بالشقوق في البلاد الحارة من آسيا الصغرى وجزائر اليونان عصارة تتجمد فتسمي بالميعة ولا يستخرج منه شيء بفرنسا انتهي. قال ميره ذكر دوماميل أنه رأى سيلان هذه العصارة من شجرة موضوعة في منتريو بفرنسا وذكر برنار جوسيو أنها تنفرز مما سماه لينوس لكيد أمبر أورينتال أى المشرقي وهو رأى غير مختار أصلا ولا يشتبه هذا النبات بشجر الميعة السائلة الذى سماه لينوس لكيد أمبر اصطيراسفلو وسنذكره ومع ذلك نقول كما قال جيبور ندرة هذا البلسم تقل موافقتها مع كثرة الشجر المنتجة له حيث يكثر طبيعة بإيطاليا الي برونسة وهذا ربما أوقعنا في الشك في أصل هذا البلسم وسيما ان جوسيو نسبه لغير النبات المذكور وقال ميره في الذيل ينبغي تمييز النبات المسمى بالافرنجية اليبوسيير عن المنتج للعصارة السائلة اى أن المسمي لكيد أمبر اصطراسفلو فالبلسم المسمي اصطيركس أو فستال أى الطبي هو المسمي اسطوركس والآن قد تشكك جوسيو في الاسطوركس الآتي من هذا الشجر ولم يوضح هذا التشكك ثم أن الاسطيركس الشبكي والحديدى والذهبي التي تنبت في اقليم بايا وفي البرزيل تعطى راتينجا بلسميا يقرب كثيراً لما يخرج من الاصطيركس الطبي في الرائحة والخواص ويتسلط على قشورها حشرات معروفة الانواع فتخزها فيسيل البلسم منها نقطة نقطة تجمعه الاهالى مع الاحتراس وتستعمله في الكنائس ويوضع في اللصوقات المقوية وغير ذلك. كذا نقل ميره عن مرتيوس ولاطبائنا كلام فيه أيضا ومنهم من يميل ايضا الي انهما من شجرة واحدة فقد نقلوا عن ديسقوريدس أن الميعة السائلة هي دسم المر الطوسي المستخرج بالعصر والميعة اليابسة هي الاصطرك ويقال لها

بالسريانية سطركا وهو صمغ شجرة كالسفرجل وهو ضرب من الميعة أشقر الي البياض دسم طيب الرائحة شبيه بالراتينج أى صمغ الصنوبر الي آخر ماقالوا. وقال اسحق بن عمران الميعة شجرة جليلة لها خشب يشبه خشب التفاح ولها ثمرة بيضاء أكبر من الجوز ويؤكل الظاهر منها وفيه مرارة التي في داخل النوى دسمة يعتصر منها دهن وقشرها هو الميعة اليابسة ومنه تستخرج الميعة السائلة وصمغ هذه الشجرة هو اللبني وهو ميعة الرهبان وهو صمغ أبيض شديد البياض وهو العبهر وهو لبني الرهبان. وقال أبو جريج الراهب الميعة صمغة تسيل من شجرة تكون ببلاد الروم فمنها مايخرج منها بنفسه ومنها مايؤخذ بالطبخ وقد يعتصر من لحاء تلك الشجرة فما عصر يسمي ميعة سائلة والتخين هو الميعة اليابسة. وقال صاحب المنهاج الميعة السائلة هي اللبني والرطبة منها ماتتحلل بنفسها صمغا ومنها مايستخرج بالطبخ للحاء وتلك الشجرة والمتحلب بنفسه أصفر والمستخرج بالطبخ أسود والنقل التخين هو اليابسة وقال في مبحث لبني: اللبني هو الميعة السائلة ويقال لعسله السائل عسل اللبني فقد علمت أن معظمهم يميل الي أن اليابسة والسائلة يستخرجان من شجرة واحدة وهو خلاف ماعلم الآن عند محققي النباتيين

(الصفات الطبيعية للميعة اليابسة)

ميزها جيبور الي ٣ أنواع الأول الاصطوركس الابيض وهو حبوب بيض معتمة كبيرة الحجم رخوة منضمة مع بعضها الى كتلة وحيدة بسبب التصاقها بنفسها ولرخاوتها تتشكل بشكل انائها وتشبه حينئذ الابيض القناوشق الكتلي ورائحة هذا النوع قوية ذكية وطعمه عذب عطرى وينتهي بصيرورته مراً والثاني الاصطوركس اللوزى وهو كتل جافة قابلة للكسر مكونة كالسابق من حبوب ملتصقة ببعضها وتتشكل مع الزمن بشكل الاواني الحاوية لها ومكسرها يوجد في عمقه الأسمر حبوب لوزية الشكل بيض مصفرة وذلك يعطيها شبهاً بالقناوشق الجميل العتيق والاجزاء السمر التي مع الزمن تسيل وتملأ الخلو الذى بين الاجزاء السفلي للكتلة وجدار الاناء يتكون منها طبقة زجاجية شفافة حمراء

زاهية ورائحته أشد ذكاء وتشبه رائحة القانيلا وطعمه أحلى من النوع السابق فهو في ذلك أعلى من البلاسم الاخر والثالث

الاصطوركس الاحمر المسمر وهو كتل مختلطة بنشارة من الخشب وفيها بعض لزوجة وتلين تحت الاسنان ولونها أحمر مسمر وطعمها عذب ورائحتها مقبولة جداً وهي أقل قوة من الاول وتنبدر فيها حبوب

محمرة وأما ميره فجعل الانواع ٣ أيضا باعتبار الاشكال التي توجد بالمتجر أولها الحبوبي وهو معروف من مدة طويلة وثانيها الشبكي لكونه يحفظ شبكات وهو الاقل وقد كان نادراً وهو القلاميت ويكون قطعا يختلف

حجمها ولونها الاشقر مسود وهي لامعة جافة سهلة الكسر نصف شفافة في الجافة وسهلة التفتت خفيفة شديدة العطرية من رائحة الجاوى أو القانيلا وتلين تحت الاسنان وطعمها مرراتينجي وتحترق بـ شعلة خفيفة وثالثها هو القرمي وهو أكثر سواداً ووساخة ومسلم في جميع أجزائه وأقل عطرية وقال في أنواع جيبور ان أحدها أبيض وهذا لانعرفه وربما كان هو الحبوبي وثانيها اللوزى وهو القلاميت وحجمه كالارز وثالثها الاحمر المسمر وهو المعروف بالمتجر بالاحمر وقال ميره أن مرتيوس جعل اصطيركس البربزيل ٣ أنواع أحدها اصطيركس أوريوم أى الذهبي وثانيها فيروجينوم أى الحديدى وثالثها ريطقولا نوم أى الشبكي وذكر أن الانواع الثلاثة تجهز بالشق في القشر مثل مايجهز من اصطوركس أو فسنالس أى العلبي ولتعلم أن الموجود الآن بالمتجر بكثرة هو الاصطوركس الاحمر الذى هو عصارة الشجر المعروفة ونشارة خشبها حيث يجهز ذلك في البلاد المشرقية ويباع بثمن مرتفع وأما المصنوع في بعض البلاد من النشارة والجاوى العام ويباع بثمن واه فردىء

(الخواص الكيماوية) هذه الميعة مستنتج نباتي من طبيعة البلاسم أى تحتوى على حمض جاوى ولم يقع لها تحليل صحيح لكن من المعلوم كونها مركبة من الحمض الجاوى ومن راتينج وصمغ ودهن طيار وقاعدة زيتية ثابتة واذا وضعت في الماء صيرته لبنيا ووصلت له رائحتها وهي تذوب في الكحول وغير ذلك

(الاستعمال) هذا الدواء منبه ولاسيما

للاغشية المخاطية ومقو فيشبه الرابينج في فعله وكان سابقا يستعمل في الربو الرطب وبحة الصوت والسعال المستعصي والاحتقانات الرئوية بل والسل وأوصوا به في الامراض العصبية المختلفة وفي غير ذلك ومدحها مورطون بالاكثر في شفاء قروح الرئتين ولكن المشاهدات لم تؤكد ذلك غير أن عدم قابلية الداء للشفاء تكفي عذراً لعدم تأثيره فيه لأن شفاء مثل هذا الداء بمحض تأثير الله وكانوا يستعملونها تبخيراً في الاوجاع الروماتيزمية في أى محل كان من الجسم وفي الصداع وفي الرعاف وبعض أحوال من عسر التنفس ونحوه كما تستعمل كذلك من الباطن أيضا فكانوا يمرضون الاطراف التي هي مجلس تلك الآفات لبخار هذا الجوهر المقذوف على الفحم المتقد ولكن الآن ترك استعماله. وتدخل الميعة في الترياق و نروذيطوس وديسقوريدون وغير ذلك ويعطر بها كثير من المركبات كالشكولاتا ونحوها بدل القانيلا التي هي غالية الثمن وبالجملة هي من المعطرات والطيوب التي كانت كثيرة الاستعمال وسيما في الثياب . والمشرقيون يكثرون التبخير بها وكانوا يحنطون بها موتاهم وفي كتب أطباء العرب عن جالينوس انها مسخنة ملينة منضجة فلذا تشفي السعال والزكام والنوازل والبحوحة وتدر الطمث شربا وحولا وتدخينا وقد تحرق فيؤخذ منها دخان كدخان الكندر وهن ديسقوريدس نحو ذلك وأنها اذا شربت أواحتملت وافقت انضمام الرحم والصلابة العارضة فيها وأدرّت الطمث واذا ابتلع منها شيء يسير مع صمغ البطم لينت البطن تليينا خفيفا وتخلط ببعض المراهم المحللة وبالادهان للأعياء وتحن بها ضمادات النقرس والمفاصل فيقوى عملها وان طبخت بالزيت ومرخ بها دفعت الاعياء والنافض والرعشة والخدر والكزاز بجرب وتنفع أمراض الاذن قطوراً والرياح الغليظة والاسترخاء والطحال والكلي والمثانة وأرجاع الظهر والوركين والجذام وان استحكم مطلقا ولو بخوراً ورائحة بخورها تقطع رائحة النفونة كيف كانت وتنفع من الوباء

(المقدار وكيفية الاستعمال) مقدارها عند المتأخرين من ٥٠ سنتى غرام الى غرامين بلوعا أو حبوبا ويصنع شرابها

بجزء منها و١٦ من الشراب والاستعمال من ٦٠ غراما الى ١٠٠ في جرعة امامن الظاهر فيؤخذ منها جزآن ثلاثة أجزاء من الزيت فيكون طلاء جيداً (المادة الطبية)

﴿ أبو الفضل الميكالي ﴾ هو عبد الرحمن بن احمد بن علي بن اسماعيل بن عبد الله بن محمد بن ميكال بن عبد الواحد ابن جبريل بن القاسم بن بكر بن صور بن صور بن صور بن صور أربعة من الملوك ابن فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور أبو الفضل الميكالي

مات يوم عيد الاضحى سنة ست وثلاثين وأربعمائة كان أوحد خراسان في ذلك العصر أدبا وفضلا ونسبا وحسن خلق مليح الوجه والشمائل كثير القراءة دائم العبادة زكي النفس سمع بخراسان من الحاكم أبي أحمد الحافظ وأبي عمرو ابن حمدان وعقد له مجلس للاملاء وأبوه مشهور جليل القدر

وله من التصانيف كتاب المنتخل وكتاب مخزون البلاغة وديوان رسائله وديوان شعره وكتاب ملح الخواطر ومنح الجواهر ومن شعره:

اذا ماجاد بالاموال ثنى
ولم تدركه في الجود الندامة
وان هاجت خواطره بجمع
لريب حوادث قال الندامة

وقال أيضا:

مبدع في شمائل المجد خيما
ما اهتدينا لاخذه واقتباسه
فهو فيض بالمال وقت نداه
وجواد بالعفو في وقت باسه

وقال:

الارب اعداء لئام قريتهم
متون سيوف أرصدور عوالي
اذا كلبهم يوما عوى لي رميتهم
بكلب اذا عاوى الزجال عوى لي

وقال أيضا رحمه الله تعالى:

عجبت لوغد قد جذبت بضبعه
فأصبح يلقاني بتيه و بيسما
يريد مساماتي ومن دونها السما
وكيف يباريني سمواً وبي سما

وقال:

لقد راعني بدر الدجى بصدوده
ووكل أجفاني يرعى كواكبه
فياجزعي مهلا عساه يعود لي
ويا كبدي صبراً على ما كواك به

وله:

صلي محباً أعياه وصف هواه
فضناه ينوب عن ترجمانه
كلما راقه سواك تصدت
مقلتاه بدمعة ترجمانه

وله:

ياذا الذي أرسل من طرفه
علي سيفا قدني لوفرا
شفاه نفسي منك تخميشة
تغرس في خدك نيلوفرا

وقال:

أما حان أن تشفي المستهام
بزورة وصل وتأوى له
يجمجم عن سؤله هيبة
ويعلم علمك تأويله

وله:

سقياً لدهر جرى والوصل يجمعنا
ونحن نحكي عناقا شكل تنوين
فصرت اذا علقت نفسي حبائلكم
بسهم هجرك ترمي ثم تنوبني

وقال أيضاً سامحه الله تعالى:

ان كنت تأنس بالحبيب وقربه
فاصبر على حكم الرقيب وداره
ان الرقيب اذا صبرت لحكمه
بوئت في مثوى الحبيب وداره

وقال:

شكوت اليه ما ألاقي فقال لي
رويداً ففي حكم الهوى أنت موتلي
فلو كان حقا ما ادعيت من الهوى
لقل بما تلقى اذاً أن تموت لي

وقال:

ومعشوق يتيه بوجه عاج
شبيه الصدغ منه بلا مزاج
اذا استسقيته راحاً سقاني
رضابا كالرحيق بلا مزاج

وقال:

ظبي يحار البرق في بريقه
غنيت عن ابريقه بريقه
فلم أزل أرشف من رحيقه
حتى شفيت القلب من حريقه

وقال:

ان لي في الهوى لسانا كتوما
وجنانا يخفي حريق جواه
غير أني أخاف دمعي عليه
ستراه يفشي الذي ستراه

وقال:

تمزق قلبي في هواه فمنده
فريق وعندي شعبة وفريق
اذا ظمئت نفسي أقول له اسقني
وان لم يكن راحا لديك فريق

وقال :

أهدت جفونك للهوى
د من الغرام بلابلا
فالشوق منه بلا مدى
والوجه فيه بلابلا

ومن شعره رحمه الله تعالى :

روض بروض هموم قلبي حسنه
فيه لكاس الهوى أي مساغ
ان تنتقى قضبان ريحان به
حيث بمثل سلاسل الاصداغ

ومنه :

تصوغ لنا كف الربيع بدائعا
كعقد عقيق بين صمط لآلي
وفيهن أنوار الشقائق قد حكت
خدود عذارى نقطت بغوالي

وقال في اقتران الزهرة والهلال :

أما ترى الزهرة قد لاحت لنا
تحت هلال لونه يحكي الذهب
كرة من فضة مجلوة
أوفي عليها صولجان من ذهب

وقال في طلوع الفجر :

أعلا بفجر قد تضاءل الدجي
كالسيف جرد من سواد قراب
أو غادة شقت أزاراً أزرقا
مابين نهديها الى الاقراب

وقال :

يامهدياً لي بنفسجاً أرجا
يرتاح قلبي له وينشرح
بشرني عاجلا مصحفه
بأن ضيق الامور ينفسح

وقال في ذمه :

يامهدياً لي بنفسجاً سمجا
وددت لو أن أرضه سبخ
بشرني عاجلا مصحفه
بأن عقد الحبيب ينفسخ

وقال :

ومدامة زفت الي سلسال
تختال بين ملابس كالآل
قد نالها حتى اذا ما انتضها
بالمزج أمهرها عقود لآل

التزم الميكالي الجناس في كل ماتقدم وهذا النوع من البديع يضطر صاحبه للتكلف كما رأيت

وقال أيضا :

لنا صديق يجيد لقيا
واحدنا في أذى قفاه
ماذاق من كسبه ولكن
أذى قفاه أذاق فاه

ميكائيل اسم ملك كريم (انظر ملك)

الميكروبات هذه الكلمة تطلق على أجسام حية غايه في الدقة ولاترى الا بالآلات المكبرة للمرئيات ، وهي مكونة من خلايا مستديرة أو مستطيلة أو معقدة وغير ذلك . هذه الكائنات بين حيوانية ونباتية توجد في كل مكان وتنمو اذا وافقتها شروط الحياة نموا مدهشا حتى لقد يصل نسل الواحدة منها في أربع وعشرين ساعة الى نحو خمسة تريليونات وهو عدد يكاد لايعقل ولكنه هو الواقع كما دلت عليه أبحاث المجربين . ولولا أن العوامل الطبيعية من الضوء والبرودة والحرارة مبيدة لهذه الكائنات لملأت بتكاثرها الارض في عشية أو ضحاها . وهي تسمى بأسماء مختلفة مثل خميرة وبكتريا وباسيل وميكروكوكوس وبروزويت ولم يتفق على تسميتها باسم من هذه الاسماء لعدم استيعاب واحد منها الصفات المميزة لهذه الحيوانات الدقيقة ولكن يظهر أن كلمة ميكروب تغلبت على مناظراتها وانتشرت بين رجال العلم وهذه الكلمة اقترحها الدكتور صديو في مجمع العلماء الفرنسي في سنة (١٨٧٨)

هذه الكائنات رغما عن دقتها لها أثر كبير في عالم الاحياء فهي منتشرة في الهواء والماء وعلى سطح الارض وفي باطنها وفي باطن الحيوانات دائرة في دمها . وهي أسباب التخمر وتحلل الاجساد الحية فلولاها لما تخمرت مادة ولا تعفنت جثة ولا تحللت مادة عضوية . ولا يخفى أن التخمر والتعفن والتحلل من ضروريات عالم الكون والفساد ولولاها لوقفت حركة تبادل المادة وهلك العالم الحي كله وباد . فهذه الميكروبات اذن ضرورية للحياة وان كان منها ماهو العامل الاول في توليد الامراض المعدية ونشرها على سطح الارض وقد ثبت الآن أن العدوى ليست بشيء غير انتقال هذه الحيوانات من جسم المصاب بواسطة مبرزاته من بصاق وعرق وبول وغائط الى جسم آخر فتصيبه بذات المرض الذي أصيب به الاول . فكان اكتشاف هذا السر

سبباً عظيما لتوفي الامراض المعدية بسبب التحوطات الصحية . وقد كان هذا السر محجوبا عن القدماء حتى عن الذين كانوا عائشين في مقدمة النصف الثاني من القرن التاسع عشر فكان اذا حل بأمة طاعون أو كوليرا أو نوع من الحميات الخبيثة انتشر بسرعة بين أفرادها فاجتاح الملايين منها وربما انتشر فيما يجاورها وبعد عنها من البلدان محمولا على بضائعها فأحدث فيها عين الاثر الذى يحدثه في البلاد التى ظهر فيها

فلما جاء العلامة باستور في النصف الأول القرن التاسع عشر ودرس خصائص هذه الحيوانات وهذا حذوه كوخ في ألمانيا وتتل في انجلترة وغيرهم أدركوا سر حياة هذه الكائنات واطوار نموها وعوامل ابادتها وميزوا بين أنواعها واستطاعوا بهذه المباحث ايجاد المطهرات التى تبيدها فأفادوا النوع البشرى فوائد عظيمة بل كانوا سبباً لنجاة حياة عدد لايحصى من الناس

وأهم ماعرفوا أن الرطوبة والحرارة المعتدلة تساعد على نموها وزيادة تكاثرها وتفاقم شرها ، وعلموا أن بعضها يحتاج في معيشته الى الهواء ، والبعض الآخر لايعيش الا بمعزل عنه ، وان الضوء والشمس من مبيداتها العظيمة . وتحققوا أيضاً أن وجود بعض الميكروبات يعيق نمو البعض الآخر أو يبيده فأسسوا على هذه المعلومات الثمينة فنونا ن التحوطات الصحية ، وأصولا من الوسائل العلاجية كان لها أعظم تأثير في حفظ الصحة العامة

أحسن أثر في اكتشاف هذه الحيوانات ظهر في الأعمال الجراحية فان الجروح كانت لاتبرأ الا بصعوبة بسبب تكاثر الميكروبات فيها وعدم معاملتها بما يزيلها فكانت الجراحة تعجز عن أداء وظيفتها بسبب تعفن الجروح وتسممها . ولكن لما اكتشف هذا الحيوان أمكن الجراح أن يعمل عمله بكل طمأنينة فيفتح في الجسم الانساني فتحات تختلف اتساعا وعمقا على حسب مايهديه اليه العلم وهو آمن شر هذه الآفات بتسليطه عليها المطهرات من محلول السليماني وماء الاوكسيجين وغيرهما فتبيد تلك الميكروبات وتتعمل الجراح بعيدة من الأخطار والمتاعب

وكان اكتشاف هذه الميكروبات ومعرفة أطوارها سببا في اختراع عدة أنواع من المصل تحقن في الدم فتساعد البنية على قتل ما انتشر في الدم من الميكروبات . وقد أسس مصل الدفتيريا ومصل الجدرى ومصل الحمى التيفودية على هذه النظرية وقد اكتشف حديثاً مصل (٦٠٦) لابادة الميكروبات الزهرية وما يدرينا ماذا تولده القرائح من أنواع المصل لمثل التدرن والسرطان وغيرهما من آفات النوع البشرى (انظر تاريخ اكتشاف الميكروبات في الفصل التالي)

الميكروبيولوجيا هو علم الميكروبات يبحث عن حياة الميكروبات وأطوارها وعوامل وجودها وابادتها وخصوصا فيما يتعلق بصحة النوع الانساني وصحة الحيوانات والنباتات . وهذا الاسم مرادف لكلمة بكتريولوجيا (انظر هذه الكلمة في حرف الباء) ولكنه أعم منها لانه يشمل من أنواع هذه الكائنات مالا تشمله البكتريولوجيا

اكتشفت الميكروبات عقب صنع الميكروسكوب أى النظارة المكبرة للمرئيات فان العالم (لوونهيك) اكتشف بميكروسكوبه الناقص الذى صنعه من سنة (١٦٧١) الى (١٦٩٥) كشف عدداً عظيما من هذه الاحياء الدقيقة ونبه ان هذه الميكروبات أكثر ما توجد في الاسهال . وبعد هذا التاريخ بقرن أى في سنة (١٧٧٣) اكتشف الميكروسكوب وصار جديراً باسمه فاكتشف مولر أنواعا كثيرة من هذه الحيوانات ونشر فيها كتابا . ولما أصدر العلامة أهرنبرغ سنة (١٨٣٢) كتابه على الميكروبات حدث انقلاب عظيم في هذا العلم ارتفع به الى درجته الحالية فانه وصف هذه الكائنات وصفا دقيقا وأتى على أكثر حالاتها وأطوارها . وعقبه كوهن سنة (١٨٥٣) ونوجلي سنة (١٨٦٠) فاتيا بمعلومات ثمينة على هذه الكائنات زادا بها علم الميكروبيولوجيا زيادة تذكر

الى هذا الحين لم يتقدم أحد لدرس هذه الكائنات من وجهة التاريخ الطبيعي ولم يتعرض الوجهة الطبية أحد . فلما جاء العلامة (باستور) سنة (١٨٦٢) والاستاذ كوخ سنة ١٨٧٦ بحثا في هذه الحيوانات من وجهة احداث التخمر ووجهة انتشارها في الهواء الجوى وقررا بذلك ان لهذه

للحيوانات علاقة عظيمة بالامراض الانسانية

في هذا الحين كان في فرنسا العالم (بوشيه) زعيما القائلين بتولد الاحياء تولداً ذاتياً فناقضه باستور قائلا لا يتولد الحي الا من حي مثله وان ما يشاهد من تولدها بذاتها خطأ سببه النفلة عن هذه الميكروبات المنتشرة في الهواء فاحتدم الجدال بين هذين العالمين عدة سنين وقف العالم كله بأزائهما وقفة المتفرج ثم انتهى الامر بفوز باستور على خصمه وكان ذلك في مصلحة العالم من كل وجه

وقد سلك باستور لاثبات قضيته طريق التجارب العملية فأخذ مقداراً من مرق اللحم وهو السائل الذي تسارع اليه الميكروبات وتتعفن بسرعة فملأ به قنينة وسدها سداً محكما بحيث لا يصيبها الهواء وترك مقداراً آخر معرضاً للهواء وبعد أيام فتح القنينة وبحث ما فيها من المرق فلم يجد به أثراً لتلك الكائنات وبحث المرق المعرض للهواء فوجده مشحوناً بها فثبت له ان الهواء هو سبب ذلك التعفن بما فيه من تلك الاحياء ، وان الحي لا يتولد الا من حي مثله

ثم أخذ عدة قناني من المرق مقفلة باحكام وانتقل بها الى أمكنة متباعدة ففتح في كل منها قنينة ثم عاد بها وفحصها فوجد في كل قنينة نوعا من الميكروبات من جنس النوع المنتشر في الجو الذي فتحت فيه فثبت له بدليل لا يقبل النقض ان الحي لا يتولد بذاته وان هذه الميكروبات التي كان يظنها بوشيه متولدة بذاتها في الجسم أو في المواد المتعفنة بواسطة التعفن انما تولدت من الميكروبات المنتشرة في الهواء بدليل ان المرق وهو أسرع السوائل تعفنا وشمولا للميكروبات لو عزل عن الهواء لم تتولد فيه تلك الاحياء

وفي هذا الوقت نفسه بين (دافين) سنة (١٨٦٤) ان المرض الفحمي يتولد من بكتريا تتولد في جسم الانسان والحيوان فدخل هذا العلم بهذه الاكتشافات في دور جديد وأخذ العلماء يبحثون فيه من الوجهة العلاجية فجاءت ابحاث (ابيرث) على ميكروبات الحمى التيفودية سنة (١٨٧٠ — ١٨٨) و(كوخ) على ميكروبات التدرن والكوليرا سنة (١٨٧٨ — ١٨٧٠) و(ليسير) على ميكروبات البلينوراجيا سنة (١٨٧٩)

و(فريدلاند) سنة (١٨٨٢) و(تلامون) و(فرانكل) سنة (١٨٨٦) على العوامل المولدة للبنومونيا و(لوفر) على الميكروبات المولدة للدفتيريا سنة (١٨٨٤) ونيكولاييف على ميكروبات التيتانوس سنة (١٨٨٤) جاءت كل هذه الابحاث دالة على الاندفاع العظيم الذي ظهر به العلماء لادراك فعل الميكروبات في البنية الانسانية ووسائل التوقي منها

لما ظهرت هذه المباحث وليدة النظرية تأثير الميكروبات في احداث الامراض انبرى لدحضها كثيرون من علية العلماء الطبيين فاحتدم القتال بين الفريقين عشرين سنة ثم انتهى بفوز القائلين بنظرية الميكروبات فوزاً حاسما نهائيا وثبت بكل دليل محسوس ان الميكروبات سبب أكبر العاهات الانسانية

ونحن هنا لا يجوز لنا أن ننتقل من هذا البحث حتى نبين الدور الاخير الذي وصلت اليه نظرية تأثير الميكروبات في البنية الانسانية فنقول :

لما اكتشف العالم (دافين) ميكروب المرض الفحمي في دم الحيوانات كان العلماء يظنون ان الضرر الذي يحيق بالبنية من تأثير هذه الميكروبات ينحصر في امتصاصها مصل الدم فيقع المصاب في ضعف يعرضه لكل أنواع العاهات . ولكن اذا صدقت هذه النظرية من وجه فلا تصدق من وجوه أخرى خصوصا وان الميكروبات قد تميت ولا تكون في الدم ، وتميت ولا تنتشر انتشاراً كبيرا ، وقد تتسلط في بعض أجزاء الجسم بعيدة عن مراكز الحياة فتقتل المصاب في سويعات ككروبات الكوليرا وغيرها وهذا أمر لا يعلل بأنها تنتشر في الدم فتمتص المصل الذي فيه . ولكنه يعلل بأنها تفرز سائلا سامّاً تمتصه الاوعية فينسرب الى الدم فيقتل المصاب أو يصيبه بأنواع الآفات . فالانسان قد منح وقايات كثيرة تقيه شر هذه الميكروبات ولكنه لم يمنح الوقايات من هذه السوائل فتراها تنسرب الى دمه بسهولة فتعمل فيه الاعاجيل المزعجة

ثم ان الباحثين وقفوا على نحو ٢٥ نوعا من أنواع الميكروبات المرضية فوجدوا ان كلا منها يحدث مرضاً خاصا فأكبوا على درس المظهرات التي تبديه ولكنهم رأوا بعد ذلك ان الميكروب الواحد قد

يكون مولداً لامراض متعددة على حسب الامكنة التى اختارها لاقامته من الجسم الانساني فانتهي بهم الامر الي اعتبار نوعين اثنين من الميكروبات وهما ميكروب الزهرى وميكروب البلينوراجيا ولا يخفي ان هذا يعود بأحسن الفوائد على البحث في المطهرات من هذه الحيوانات . وهو البحث الذى سيؤدى الى اكتشاف أنواع المصل الذى تحقن لكل مرض من الامراض وأول من طبق نظرية المصل على الامراض هو باستور فانه اكتشف مصلا لعضة الكلب الكلب ثم تلاه غيره في مصل الدفتيريا والحمى التيفودية والزهرى وغيرها

الميكروسكوب هو المنظار المعظم الدقائق فيرى به مالا يرى بالبصر من الاجسام البالغة حد الصغر وهذه الآلة مركبة من عدستين زجاجيتين كعدسق النظارة العادية فالعدسة الاولى ترسم المرئي مكبراً والعدسة الثانية ترسم ذلك الرسم المكبر مكبراً فيكبر عن أصله مئات من المرات فتراه العين في دقائقه الصغرى

مال الي المكان يميل ميلا. عدل اليه و (مال الي فلان) أحبه . و (مَيَّل الشيء) يميّل تميلا . كان مائلا خلقة فهو أميل و (مَيَّل الشيء) جعله مائلا و (تميّل في مشيه) تبختر ومثله تمايل و (امتاله) استعطفه و (المِيل) المِرْود

الميل البرى يساوى ٢٥٥٤٫٢٧٣ ذراعا بلديا والميل البحرى يساوى ٣١٩٢٫٧٧٦ ذراعا بلديا . وأما الميل الانجليزى فيساوى ٢١٧٦٠ ياردة

ميليا هو اسم نبات قارمي ويقال له بمصر زنزلخت وبالشام الجرود واسمه بالافرنجية أزاردراك وهو مأخوذ من الاسم العربي أو الفارسى ومعناه بالفارسية عتيق الشجر ويسمي بطيرستان طاتك أو يقال طاوك ويسمي باللسان النباتي ميليا ازادراخ فجنسه ميليا أخذ منه اسم فصيلته ميلياسية ونحن نقول ازادرختية وهذا الجنس عشرى الذكور أحادى الاناث وأخذ اسمه من مشابهة أوراقه المجنحة لأوراق الدردار أى شجر لسان العصفور المسمي بالافرنجية فرين وباليونانية ميليا وهو يحتوى على أشجار ريشية الورق أو ثنائية الغريش

والصفات النباتية النوع المذكور هنا هي أنه شجر جميل كبير يعلو من ٢٠ الى ٣٠ قدما وينبت بالهند وفارس الذى هو مأواه ومصر وغير ذلك حتى اعتاد بلاد المشرق وأمريكا بل والاقاليم الجنوبية من أوربا وأوراقه كبيرة متعاقبة ثنائية التريش فكل وريقة يتكون منها ورقة ريشية منتهية بفرد وتتركب من ٥ أزواج وغالبا من سبع وريقات متقابلة سهمية حادة جداً مسننة الحافات كالمشار وكلها خالية من الزغب والازهار بنفسجية وتنتشر منها رائحة ذكية تشبه رائحة الزنبق (ليلاس) وينعكون منها عنقود محمول على حامل او نوع باقة قائمة من آباط الاوراق العليا وهذه الباقات أكثر من الاوراق والكاس صغير جداً ذره قطع منفرجة لزاوية وزغبية قليلا والاهداب الخمسة أطول من الكاس ومنفرشة بل قد تنخفض مدة النوم وتلتوى على نفسها وتقرب من الشكل البيضاوى وهي مستطيلة منفرجة الزاوية وأنبوبة الذكور منتصبة أقصر بقليل من أهداب التويج ومنتفخة من قاعدتها ولونها بنفسجي داكن جداً ويوجد في قنتها ٢٠ سنا و١٠ حشفات ثنائية المسكن مثبتة في قاعدة هذه الاسنان من الباطن والمبيض كرى يعلوه مهبل ثخين برعم كارتفاع أنبوبة الذكور وينتهي بفرج صغير جداً ذى ٥ فصوص قائمة متقاربة لبعضها والثمر لحمي بيضاوى في غلظ الكرز يحتوى على نواة مستطيلة لها ٥ أضلاع و٥ مخازن .وثمار هذا النبات تفهة الطعم مغثية وجذوره مر الطعم مغث أيضا وأوراقه فيها بعض قبض وحرافة وهي ملسة مائلة السواد وعظيمة المرار ويوجد هذا الشجر في بعض بساتين أوربا مع أنه شديد الحساسية للبرد وأزهاره تتفتح في جزء من الفصل الجميل وقد علمت أنه انما يألف بلاكثر من البلاد الحارة بلادنا و بلاد الهند والجاوة نعم اعتنيت ببساتين النواه في بعض جنوب أوربا بسبب جمال عناقيد أزهارها المتلونة بالبياض والبنفسجية ورائحتها المقبولة ولذلك تسمي بزنبق الصين وكان القدماء يقولون انها سامة لان الاوز يبين نقلا عن ابن سينا أن خشبها وأوراقها تقتل الحيوانات ويخرج من خشبها صمغ شبيه بالصمغ العربي ويعمل من نوى ثمرها سبح في كثير من البلاد ولذا يسمي

الشجر هناك شجر التسبيح وشجر السبحة قال ميره ويظهر أن هذه الثمار سامة ولكن لايحصل التسمم الا باستعمال مقدار كبير فقد اتفق أن بنتاً صغيرة عمرها ٣ سنين أكلت من ذلك الثمر اثنتين أو ٣ فحصل لها تشنجات قوية بعد ٤ ساعات مع كزاز في الاسنان وعرق بارد واستفراغات عديدة من الاعلى ومن الأسفل فأعطى لها بعض نقط من الاثير وزيت الزيتون فسكنت هذه الاعراض حتى ذهبت بعد ذلك بالكلية وكذا ذكر أيضاً أطباؤنا كالرازى أن ثمرته رديئة للمعدة مكربة وربما قتلت وقال أحمد بن خالد الاكثار من ثمرته يعرض منه غثي، قيء، وعسر تنفس وغشاوة في البصر ودوار في الرأس وكرب وصغر في النبض وعلاجه كعلاج من استعمل القريبون والبلادر والدفلي أى فيعالج آكلها بالقيء وشرب اللبن وأكل التفاح والرمان انتهى . وقال ميره ان الطيور تأكل لب هذه الثمار بدون خطر عليها بل بعضها يعشش عليها بشراهة ولا سيما السمان والدجاج والحمام البرى وشوهد من البقر ما أكل أربعة أرطال منه بل خمسة ولم يحتج لاسعاف الصناعة منها الا بقرة واحدة فقط وأعطي من ذلك الثمر للكلاب مقدار كبير فلم يحصل منه نتيجة رديئة ولكن ضرره للآدميين مشهور ورأى بورى أن ثمار الازادرخت الذى هو طبيبي بالاندلس كما قال يصير المياه الكثيرة السمة هناك رديئة الصحة وانها تقتل الاسماك كسم الحوت ومما يقوى ذلك نادرة صحيحة حاصلها أنه يوجد في صقلية ماء يا من بلاد النمسا ينبوع ماء معين يتجمع ماؤه في أحواض مصنوعة من الحجارة ينتبه دائما لامتلائها فعساكر فرنسا مدة اقامتهم بالاندلس في حرب سنة ١٨٠٨ و١٨١٣ عيسوية حسنوا تلك الاماكن وزينوها بزراعتهم الازادرخت حول هذا الينبوع بمقدار كثير لأجل أن تظلها بظلها وتعطير ماءها فتغيرت صحة هؤلاء العساكر تغيرا رديئا وكان فى تلك الاماكن صيدلاني نباتي ماهر يسمى جوتيبيرز فنسب رداءة الماء لثمار الازادرخت التى تسقط من الاشجار في الاحواض بمقدار كبير فأمر بازالة تلك الاشجار فلما أزيلت صار الماء كامل النقاوة وزيادة على ذلك

أنهم نصبوا الطلبات على تلك المياه لاجل تنظيف تلك الاحواض ويستخرج من الجزء اللحمي لهذه الثمار زيت ويستعمل في البابونيا وقرص وغير ذلك ويقال ان نقاعه أى زهره المتفتح صالح للمشائخ والمبرودين اذا استعمل بمقدار درهم وشمه يفتح السدد الدماغية وجفر هذه الشجيرة الذى هو مر الطعم مغث وسيما الجزء الباطن القشر فيه خاصة مضادة الديدان بمقدار درهمين مطبوخا وكذلك يستعمل في بلاد الجاوة وجزيرة فرنسا وأمريكا الشمالية بل اعتبره برطون أحسن مايعرف من مضادة الديدان وكاد استعماله المذكور يكون عاماً بين الناس في بلاد الجرج وسيما اذا أعطي القشر رطباً مجففاً في شهر مارس وابريل حيث يكون زمن تكون العصارة النباتية وذكر أن المقدار الكبير منه ينتج صباناً واتساعاً في الحدقة وتعباً في التنفس واهتزازاً في الاوتار ونحو ذلك ولكن تلك الاعراض تذهب حالا . وكما يعطي الديدان المبرمة يعطي أيضاً لدودة القرع وللأمراض الديدانية وسيما الحميات المنسوبة للديدان وأوصي هذا الطبيب بأن يغلي ٣ أواق من الجذر الرطب في قنينة ماء حتى تكتسب الماء لون القهوة القوى فيعطي منه حينئذ نصف أوقية أو أوقية في كل ساعتين أو حتى يؤثر الدواء وأحيانا يوجد في هذه ما يحصل الاسهال اذا أثر الدواء تأثيراً قوياً . والثمر الجاف يستعمل أيضا مضاداً للديدان وكانوا يرهمون لب الثمر مع الشحم الخلو علاجا للسعفة مع النجاح ولأجل موت القمل ولم يزل هذا الاستعمال موجوداً في بلاد الفرس . واعتبروا أوراق هذا النبات قابضة ومقوية للمعدة ونجح ذلك أيضاً في الاستيريا ، وهو مرض يستعمل فيه ذلك عموماً في كلكوتة فتغلي أوقية من أوراقه في ٣ أرطال من الماء وتشرب المريضة من ذلك أوقيتين تجريبياً ثم بعد ساعة تشرب مثل ذلك فينتج تخفيف واضح ثم يجدد ذلك المقدار في كل ساعتين فلا ترجع النوبة لتلك المريضة الشابة أصلا وذكر أطباء العرب أن ورقه تستعمله النساء لتطويل الشعر فيدق ويلف به الشعر واذا شرب منه عصير الورق وأطراف الاغصان الرطبة الي أوقية بالعسل نفع من السموم الباردة وعرق النسا وأدر البول

والطمث وحلل الدم الجامد في المثانة وقالوا أن كلا من ورقه وثمره ينقي قروح الرأس المتقيحة اذا جعل عليه مدقوقة واذا سحق بعصارة ورقه وثمره شيء من المرداسنج وأضيف اليهما دهن ورد ولطخ به الرأس مدة أيام ويجدد ذلك مدة أيام ويترك بعضه على الرأس أي تطلي الطلية فوق الطلية ولا تغلم وفي كل ٣ أيام يدخل الحمام فاذا خرج منه طلاه ايضا بالدواء المذكور ودثره بشيء خفيف فان ذلك ينبت شعره ويذهب بقروحه واذا غسل الشعر بماء أطرافه قواه وطوله وحسنه . ومن أنواع ميليامايسي ميليا ازادركتا ينبت بالهند حيث يسمى نيم وثمره بكسر النون

في الاصبين يستعمل مضاداً للديدان كالنوع السابق وقشره مر يستعمله أطباء الهند مقويا جيداً مع بعض عطريات فيطونه مسحوقاً أو مطبوخاً في الحميات وفي الامراض الروماتيزمية المزمنة ويستخرج من لب ثماره التي في حجم الزيتون زيت شحمي فيه خاصة مضادة للديدان وقدم طبيب يسمى بيدنجتون لجس السماء بكلكوتة ملحاً مياه كبريتات الازادرختين وقال ان قاعدته مرة مضادة للحمى مستخرجة من هذا النبات ولونها بنفسجي وتكون بهيئة بلورات صغيرة لامعة وذكروا أن أوراق النبات ملحمة للجروح وعصاراتها مخرجة للديدان (المادة الطبية)

حرف النون

﴿ النون ﴾ المفردة تلحق آخر فعل الأمر والفعل المضارع لتأكيد نحو (افعلنه ولیقومن) وهي اما خفيفة ساكنة أو ثقيلة مشددة

والنون المفردة أيضا تلحق الفعل مطلقا وتسمى بنون الاناث نحو (افعلن يانساء . والزينبات يقرأن)

وهناك نون تسمى نون الوقاية تلحق الفعل قبل ياء المتكلم نحو (كلفني) لتقي الفعل من الكسر

﴿ نابلس ﴾ بلدة من بلاد الشام يعمل فيها الصابون الجيد

﴿ النابلسي ﴾ هو عبد الغني النابلسي الأديب الصوفي له ديوان شعر في كلام القوم وله كتاب (ايضاح الدلالات في الآلات) توفي سنة (١١٤٣) ه

النابلسي ديوان شعر صرح فيه بمذهب الصوفية في وحدة الوجود وأكثر في ذلك حتى بلغ ديوانه نحواً من ثلاثة عشر الف بيت من الشعر استوعب فيها كل مذهب الصوفية في الخالق والخلق ، والوجود والفناء ، والانسان والكائنات فنرى أن نأتي بشيء من هذا الشعر ليتبين القارئين مذهب الرجل بل مذهب صوفية المسلمين في كل زمان . وانا اذا أكثرنا من هذا الشعر فلأن هذا المذهب قد صار مذهب الفلسفة المصرية كما يرى القارئ في كلمة وحدة الوجود في مادة (وحد) فنحيل القارئ اليها

من شعره قوله :

وجه تعدد في المرائي
وبه تحير كل رائي
والكائنات بأمره
موج على صفحات ماء
والامر أمر واحد
فيه التقارب والتنائي
ان العوالم كلها
بظهورها والاختفاء
في سرعة وتقلب
مثل الكتابة في الهواء
قد خطها القلم الذي
هو رب ديوان العطاء
بمداد أنوار الوجود
الحق من يد ذي العلاء
قلم له عدد الورى
أمسان رقم وانتشاء
صبغ الارادة طبق ما
في الارض يظهر والسماء
يا باطنا هو ظاهر
في كل ختم وابتداء
اني وانك واحد
واثنان عند الانتهاء
من لي بمجهول المدا
عرفته كل الاولياء
ان غاب عن أغيارنا
هو عندنا ملء الاناء
يشقى ويسعد من يشا
بالماء جاء وبالدواء
هو بالتكبر في الشعار
والتعاظم في الرداء
وهو الجليس بذكره
العارفين وبالثناء
غنى بمن غنى وقد
طبنا به لا بالفناء

وبدا بكل مهفهف
زاكي الملاحة والبهاء
وبه القلوب تهيمت
لا بالوشح فى القباء
قر عما ظلماتنا
بطلوعه وقت الفناء
حتى رأيناه به
في كل أنواع الضياء
شمس وكل الخلق فى
أنوارها مثل الهباء
طلعت فأعدمت السوى
والكون آل الى الفناء
حتى تجلى في غما
ثم باطل غيب البهاء
فاختص قوماً بالضلا
ل وعمها بالاهتداء
والكشف جاء بسكر
والكون خفاق الواء
والطبل أجسام الملا
والزمر أرواح الفضاء
وبموكب الاملاك ف
ف الغيب سلطان الوفاء
هذا فكيف عقولنا
لاتضمحل من الهناء

وقال أيضا :

أنا عندى ان الشهود حجاب
والتنائي صيان والاقتراب
فادخلوا دار صبوتي ياندامي
واحذروا أن يريبكم مرتاب
هذه ملة المفضل طه
فانهموا ان لم تكن لكم ألباب
ماعليكم من لفظها المنذب فيها
للذى ينكر للماني عذاب
فهلموا الى الحي وارفعوا عن
بابه الستر فهو نعم الباب
واشربوا فضل خمرتي من اناتي
وسط حاني يا أيها الاحباب
انما عندى الشراب وغيرى
عنده موضع الشراب سراب
أنا خمار ديرها وكفوفي
هذه عند أهلها أكواب
ورهاينها رعية حكمى
كل داع بي عندهم مستجاب
قرب الفجر فاشربوا بكر دَنّ
ما على وجهها سواكم نقاب
وارفعوا لي نفوسكم عن كؤوس
هي فيها لكم بروق الشراب

هي بحر وما سواها فموج
وهي خمر والعالمون حباب
قام شماس ديرها ينشي
وعليه من نورها أثواب
وجلتها النفوس بين الناس
عندهم في جمالها أوصاب
فاحتسوها بين جنك وعود
حيث راق الصبا ورق رباب
ثم راحوا بمجردين سكارى
ونشوا ممر بدين فتابوا
خرجوا عن نفوسهم وعن الكو
ن وعن كل عالم يستطاب
ثم عن ذاك الخروج فكانوا
صوراً للوجود فيها انقلاب
وهم الحان والدنان وكاسا
ت الطلا والديار والابواب
وهم الفوز في جنان نعيم
وسواه جهنم وعذاب
طفح الكأس باسقاة الحيا
دار من فرط رقصنا الدولاب
وبأشواقنا الحمائم هاجت
فغناء على الربا وانتحاب
والبرايا من الحبيب سؤال
كلهم حائر ونحن جواب

وقال أيضا :

قلبي لعلم الاله باب
وماله دونه حجاب
وكل أحوالنا نتاج
وكل أدراكنا خطاب
وكل أرواحنا عمار
وكل أجسامنا خراب
وكل معقولنا كؤوس
وكل محسوسنا شراب
وكل أعدائنا سؤال
وكل أحبابنا جواب
وكل وقت لنا دنو
وكل حين لنا اقتراب
وكل شيء له البنا
من حيث مروقنا انتساب
وكل لفظ لنا رسول
وكل معنى لنا كتاب
وروحنا السوى حسام
يخفيه من جسمنا قراب
ورؤية الحق جل فينا
وليس فيها لنا ارتياب
والشمس في الافق ذات نور
وان بدا دونها السحاب

ونحن من ربنا كلام
لنا وألفاظه العذاب
ونحن قوم أذا أردنا
أرشدنا الدف والرباب
ونحن روح الجميع صرنا
وذهب الماء والتراب
ونحن حق ونحن خلق
ونحن قوس ونحن قاب
وكشفت وجهها سليمى
وانهتك الستر والنقاب
ورائق خمر الوجود منها
ونحن من فوقه حباب
وحاصل الأمر كل شيء
غير آله الورى سراب

وقال أيضاً :

أنت قيد الوجود ان غبت غابا
واذا ماحضرت كنت حجابا
وكذا الكائنات علواً وسفلا
هو منهن لابس أثوابا
كل ذا باعتبار نفسك أما
هو في ذاته يجل مهابا
واحد مطلق عن القيد بل عن
قيد اطلاقه يلوح اقترابا

وهو في بيت عزة وجلال
لست ألقي اليه غيرك بابا
قف على بابه به وتأدب
بخشوع وقبل الاعتابا
كن بلا أنت تكشف الحجب عنه
ويريك الذي أرى الانجابا
وجه النور ظاهر بك لكن
عنه أبدى عليك منه نقابا
يانديمي خذ المدامة مني
انني قد أردت هذا الشرابا
وبسطت البساط في دار قومي
وملأت الكؤوس والاكوابا
وكنست الكنائس السود مما
كان فيها حتى البياض أجابا
واستحالت الى الاصول فروع
أحكمتها يد الفناء انقلابا
فوجودي هو الوجود الحقيقي
والتصاوير فيه كانت خضابا
ان علمي علم اليقين بأني
كنت سعدى وزينباً والربابا
كنت ليلى أنا ومجنون ليلى
والمحبين قبل والاحبابا
وأنا الآن كل ماهو بادٍ
وسأبدو حبائباً وصحابا

مثل فعل الحسناء يصنع منها
كل لون به تلوح الاهابا
وهي في أي صبغة هي فيها
ذاتها لا تزال والاقابا
كل شيء نطق الوجود حروف
عاليات تحير الالبابا
قلم ان بحثت عنه ولوح
باعتبار وقبسوه الكتابا
وهي عين ترى وتدرك أنت
ما سواها الجفون والاهدابا
شمس ذات لها الاشعة اسما
ء عليها الجميع كان سحابا
تتجلى بنا فتظهر عنها
مثل ما يظهر البقاع السرابا
لكن الغر بالحقائق لا به
رف شيأ فيحسب الشهد صابا
ويظن الوجود قسمين هذا
خطأ منه لا يكون صوابا
ويزيد الشرك الخفي عليه
كلما غاير الشراب الحبابا
والكلام المجاز دون الحقيقي
وترى في معناهما اغترابا
لكن المنكر الجهول غبي
وعجب السوى له يتنابي
والذي يفهم الامور تراه
جامعا فرقة عصيا مجابا
هذه ملة بها الله أدنى
منه أهل الكمال والاقطابا
لم يوفق لها الاله سوى من
خرنجيا على الجهول شهابا
حافظا لم يزل هو دالنصابي
في شهود الوجود والآدابا
فعليه السلام ما حن قلب
نحو أحبابه وزاد التهابا
وبسعدى رأى العذاب نعيما
حين وافته والنعيم عذابا

وقال أيضا :

أطوف على ذاتي بكاسات جاري
وأسمع الالحان في حان حضرتي
وأنفخ مزماري وأصغي لصوته
وأضرب دفي حين ترقص قينتي
وأنشق من روضي نسيم حقائقي
ويسرح طرفي في حدائق نشأتي
وعندي الى رؤيا جمالي تشوق
كثير وماعشقي لغير حقيقتي
وبالطف أحشائي على حسن الذي
فؤادي به صب وبالفرط لوعتي

أحن الي ذاتي صباحا وفي المسا
وغاية قصدي في العوالم رؤيتي
وقد وعدتني اليوم نفسي بوصلها
غداً فسوف متى تقوم قيامتي
وأرفع عن وجهي خماري مجرداً
نيابي عن ذاتي وأهنك ستري
أبي الحب الا أن اكون مولها
بقلب علي طول النوى منفتت
وشوق كثير واصطبار يضيم
وسقم وأشجان علي شديدة
واني لارجو من حقيقتي لقا
وأطلب منها ان أفوز بنظرة
فلا عجب ان بهت بالسر الورى
وعربدت في هذا الوجود بسكرتي
ونهت بمحبوبي علي كل ناسك
وغبت علي الاكوان بل من هو بقي
وعندي انتظار كل يوم وليلة
الي وقتي بل كل وقت وساعة
وما أنا الا من احب وان من
أحب أنا من غير شك وشبهة
أردت ظهوراً لي وما كنت خافيا
فطورت في الاطوار من كل صورة
وقد كنت قدماني عما ليس فوقه
ولا تحته أيضا هواء بوجدة
والقلم الأعلي نزلت من يدي
وروح حق الذرات الكثيرة
وقد كنت عرشي واستويت عليه من
قديم زماني في الوجود برحمتي
ومنه الى الكرسي نزلت بل الي
سموات السبع الطباق العلية
وطورت أملاكي لي كنت عابداً
وطورت أملاكي فدارت بقدرتي
وعدت نجوما مشرقات علي الورى
أزيد ضياء في ظلام الدجنة
وطورت شمسا في طلوع نهاركم
وما الليل الا من نتائج ضيقتي
وصرت هلالا تحسبون الشهور بي
وأجلوه عليكم ضوء شمس الظهيرة
وقد صرت أياما لكم ولياليا
ودهراً وساعات وكل دقيقة
وطورت شكل الجان في الارض قبلكم
وجئت لهم رسلا لابلاغ حجتي
وقد كنت تكذيب الرسل منهم
فصرت لهم أوفي هلاك وقتمة
وفي كل أطوار الشياطين بينكم
ظهرت بوسواس لاصحاب شقوة
وطورت في شكل المناصر ثم في
مواليد هافي الارض تلك الثلاثة

في معدن طوراً وطوراً ظهرت في
نبات وحيوان لتتميم حكمتي
وكنت رياحا من شمال ومن صبا
أهب فأروى عن حديث الاحبة
وكنت بحاراً زاخرات علي المدى
تفيض فتبدي موجة بعد موجة
وطورت أرضاً ثم صرت جبالها
لارسائها فوق البحار المحيطة
واني علي ما كنت فيه ولم أزل
ولي رتبة التنزيه أرفع رتبة
وما كثرة الاطوار متى غيرت
صفاتي ولا ذاتي ولا قدر ذرة
وهل أنت في تخييل ذاتك باطنا
تغيرت عما كنت في كل مرة
فيجلو عليك الفكر ما قد أردت من
زخارف أشباح هنا مستحيلة
وذلك كهذا غير ان الخيال مع
تخيله في الغير لا في الهوية
وما هي الا أنت لا شيء ههنا
صوك خرق سر ذلك الحقيقة
واياك والتشبيه في كل موضع
توهمت فيه الغير واقطن فطنة
وخذ كل ما ألقي عليك منزهاً
ولا تخش عاراً ان فهمت اشارتي
وهذا الذي قد قلته كله أنا
ظهرت به لي قاصداً لتصيحتي
ولما انقضت أطوار ذاتي بقتضي
صفاتي وأسمائي العظام الجليلة
ونم التنامي بالذي أنا مظهر
له من شخوص فصلتها الرادتي
وسويت جسم الكل بي فهو قابل
لروحي وتفصيلي استعد لخلقتي
جمعت من الاشياء طينة آدم
ومنها الي الكل الرقائق مدت
وخمرتها حتي تناسق نشؤها
وسويتها حتي لتنفخي استعدت
ولما استتم الامر واستكمل الذي
أردت من الاجمال في البشرية
ففي ذلك من روحي نفخت وقد سرت
نسائم أمري في رياض الطبيعة
فقمت صبيحاً باصراً متكلما
مريداً عليما ذا حياة وقدرة
فلم يبد متى غير ما هو كائن
لدي وبي متى علي حكومتي
فكنت كماء لونه من أنائه
وكالشمس تبدي خضرة بالزجاجة
وأسجدت أملاكي بأمري لظهري
فكان سجودي لي وآدم قبلتي

ولما أبي ابليس عنى تكبراً
ولم يأت لي من بعد أمرى بسجدة
عن الملأ الأعلى له كنت مخرجا
وآب بخسران وطرد ولعنة
وأسكنته في الارض أظهر كامنا
به من شقا أصحاب قبضة يسرتي
وأظهرت في ذاك الملا فصل آدم
وأنزلته أعلى مقام بجنتي
وأخرجت حوا منه فهي له كما
هو الآن لي من حيث وصفي وصورتي
وعن بعض أشجار هناك نهيته
ولي كان منى النهي عنى لحكمتي
ولما اقتضى فعلي لما كنت عنه قد
نهيت كمال الصورة الآدمية
أتيت بأقسام الي موسوساً
وأوقعت نفسي في غرور وغفلة
وذقت كما ذاق العدو تباعدى
وما الاكل الا الفرق والجمع توبتي
وقد لاح عصياني علي ومذ بدت
طفقت باوراق أخصف سوءتي
ومن بعد ذا أهبطت للارض هيكلي
وكنت بها في العالمين خليفتي
وسخرت لي كل الوجود تفضلا
علي صورتي منى وأتممت منتي

وعرفت ما بيني وبيني كلاهما
علي عرفات بعد طول التشتت
فكان نكاح الامر في الخلق ظاهراً
ينافي كلا الشخصين قبل النتيجة
وأظهرت من صلبي جميع مظاهرى
بصورة ذر للعهود الوثيقة
وأشهدتهم عنى ألست بربكم
فقالوا بلي طراً بنفس مطيعة
وأوهمتهم غيرا فأنكر بعضهم
وأوفوا بعهدى بعضهم مع لبسة
وأول أطوارى الكوامن أنني
لآدم شيئاً كنت وهو عطيتي
وطورت نوحا جاء ينذر قومه
وكنت له التكذيب منهم ببعثتي
وألفا سوى خمسين عاماً لبثت في
جماعتهم أبغي لهم نشر دعوتي
وهم يعبدون الغير بل يعبدونني
ولا غير لكن وهمهم هو سترتي
ولما أبوا واستكبروا كافرين بي
دعوت عليهم واستجبت لدعوتي
وأرسلت طوفانا عليهم فأغرقوا
ولم ينج الا من معي في سفينتي
وطورت ادريسا ولي كنت رافعاً
مكاناً علياً لي أجل مكانة

وطورت ابراهيم يدعو الى ربي
علي قومه آتيته أى حجة
ومذ قال ذا ربي له كنت كوكبا
كذا قمراً ايضا وشمسا بوجهة
ولا فرق الا بالافول ألم تكن
اذا لم احب الآفلين مقالتي
كما قلت سموهم لقوم تعلقوا
بما قيد الامكان من مطلقيتي
وجئت الى النمروذ ادعوه للهدى
فلم يمتثل حتى ثوى بالبعوضة
وأضرم لي ناراً وأرسلني بها
فعادت بأمرى لي علي كجنة
وقد كنت منى طالبا انني أرى
لحق يقيني كيف احياء ميتة
فجاء جوابي لي بأربعة فخذ
من الطير واجعل في العلا كل قطعة
وناديهم يأتين سعيا وبعد ذا
فكن عالما لاشى الا بقدرتي
وطورت اسماعيل لما بلغت مع
أبي السعي ذبحي قد رأيت بنومتي
وناديت لما اسلما حين تله
أصدقت حتى كان بالكبش فديتي
وطورت اسحق الغيور ولم تكن
علي غير تحريم الفواحش غيرتي

وطورت يعقوب بليت يوسف
وأسلمني حبي له كل محنة
وفرقت ما بيني زمانا وبينه
ووا أسفي ناديت من طول فرقتي
وعيناى من حزني قد ابيضتا وقد
مننت بجمع الشمل بعد التشتت
ويوسف قد طورت زاد ملاحة
بوجه سبى كل الوجوه المليحة
وبالثمن البخس اشتراني مشتر
وفي الجب القتني من الكيد اخوتي
وقد عشقت حسني زليخاء والهوى
أضر بها حتى هممت وهمت
وطورت هوداً كان يشهد قومه
علي انه من شركهم ذو براءة
ولوطا لقد طورت ايضا وصالحا
اتيت الي قومي لابلاغ دعوتي
فزاغوا وعن أمرى عتوا وتكبروا
وقد عقروا لما عصوني ناقتي
وطورت موسى ضارب البحر بالعصا
وقد شق حتى قومه فيه مرت
وآنس ناراً من جوانب طوره
فرام ليأتي الاهل منها بجذوة
فنال الهدى في شكل مقصده وقد
تجلى له من مظهر الاحدية

وقد حاز منه رؤية بسؤاله
ولكنها الاطواد بالصعق دكت
وعيسى لقد طورت يبرىء أكمها
وابرص والاموات يحيى بدعوة
وأرسلت روحي طبق ماهو عادتي
الى الام حتى كان مظهر نفختي
وأظهرت ما قد كان في الاب مضمرا
وبينت للاقوام سر الامومة
فضلوا وزاغوا عن مثال ضربته
لفهم علوم في الوجود دقيقة
وقالوا باني قد غدوت له أبا
وقد خص من دون الورى ببنوتي
وأين الوجودان اللذان تباينا
وما عز خلاق كذل خليقة
ومن بعد هذا جئت في طور كل ما
مضى من رسول او نبي لامة
وأصبحت في شكل النبي محمد
الى الله أدعو الناس في أرض مكة
فآذتني الاقوام بغيا وحاولوا
بافواههم اطفاء نور النبوة
وأظهرت دين الحق بعد خفائه
فأصبحت الكفار في سوء حالة
ونكست أصنام الضلالة في الورى
أزلت ظلام الظالم من فرط سطوتي

وطورت اصحابا ومن هو تابع
لهم بالهدى مثل الكرام الائمة
ومن بعد ذا مازلت أظهر دائما
على أمد الازمان في كل هيئة
وطورت اهوال القيامة والذى
يكون غداً في يوم عرض الخليقة
واياك من قولي بأن تفهم الذى
تدين به الكفار بين البرية
فاني برىء من حلول رمت به
عقول تغذت بالظنون الخبيثة
وما بانحلال واتحاد أدين في
حياتي وان دانتهما شر أمة
وكل الذى ابديته لك ناظما
فمن فوق أطوار العقول السليمة
فان كنت من أهل المعارف لم تلم
لانك تلقاه بنفس تزكت
وان كنت مطموس البصيرة جامدا
على ما ترى من صورة بعد صورة
فانك معذور بقلة فهم ما
اقول لضعف في قواك الكليلة
فواظب على التنزيه وادأب عليه لا
تكن من اناس بالتشبه ضلت
ودع عنك تجسيما ولانك جاهلا
باوصاف من ابداك في كل حالة

وقال أيضاً :

شهرت ذاتي لذاتي
في صفات من صفاتي
وبدت في النفس نفس
سكنت في حركات
كنت كالقشر عليها
وهي كاللب المواتي
والذى أبديه عنى
هو نعتى وسماتي
عينها غابت ولكن
حصرت باللحظات
وغدت تكشف عنى
لي بها عن ظلماتي
وتبدت شمسها من
فوق سبع طبقات
فأنارت أرض قلبي
وبها ضاءت جهاتي
وأنا الحادث ماض
وأنا الدائم آت
وهو أمر واحد وا
ثنان بعد الالتفات
فتنحوا عن طريقي
يانفوساً جاهلات

واحذروا أن تدخلوا في
طرقاتي الضيقات
وابحثوا عنكم وخلوا الا
بحث عن أوصاف ذاتي
أنا الا روح أمر
فوق كل الكائنات
أنا الامحض نور
فائض باللمحات
أنا الاسر عرش
وأنا ماء الحياة
وأنا المعروف في السبـ
ـع الطباق العاليات
وأنا فوق اشارا
تي وكل الشطحات
ومعاني الكون دوني
وهي من أدنى هباتي
كيف لا والنفس مني
ذهبت في الذاهبات
وبدا الحق مكاني
يتجلى بصفاتي
والذى يعرف ربي
عارف بي وبذاتي
والذى يجهله يجـ
ـهلني بالغفلات

يا أخلائي رويداً
كم بتعويج قناتي
ظنكم أعدم نوري
عندكم ذا اللمعات
كلما لمتم شربنا
كم كؤوسا صافيات
وعلمناكم دنان الا
باقيات الصالحات
وجهلتم مالديكم
لحمير سارحات
عندكم ماء وأنتم
قد عطشتم للممات
هيئوا الاكباد منكم
في غد للحسرات
واستعدوا لسؤال
عن جميع السيئات
ليت منكم لو شربتم
ماحويتم ياسقاتي
مخرج الافلاك أضحي
بحروف الجسم ياتي
عن لسان الملأ الأعـ
لي وهاتيك الذوات
ومعاني الروح تتلي
في المسا والغدوات

وكلام الله برق
خصنا بالومضات
وصمعنا وتر الو
ر بأيدي الغانيات
ودفوف الحق من نقـ
رتها زالت صناتي
ومزامير المعاني
أطربت بالنغمات
وحلي رقصي مع الار
واح تلك الراقصات
ثم ياآتي جميعاً
دخلت في ألفاتي
وانقضي صحوي وقد عـ
ت ببحر السكرات
غرست في أرضه بالا
طف منه شجراتي
وهو يزري وهو أيضاً
ظاهراً من ثمراتي
وانثنت أغصاننا من
أمره بالنسمات
في ربا أوج التجلي
ورفيع الحضرات
ياشذا عرف غراسي
فاح ياطيب نباتي

والسوى في كل حزن
وأنا في النزعات
والذي عندي منه
غير ما عند عداتي
هم يروني في شتات
مثل ما هم في شتات
وانطوى عنهم خصوصي
وانتفي عنهم ثباتي
وانجلت شمسي وهم بالا
جسم خلف الهضبات
فاح مسكي وزكام
عنه هم عن نفحاتي
وأنا في محض ايقا
ن وهم في الشبهات
وعلي الجملة فيهم
قد أجيبت دعواتي
وأصيبوا برزايا
هي احدى السطوات

وقال أيضاً :

قف جانب الدير سل عنها القساقيسا
مدامة قدستها القوم تقديسا
بكر اذا ما انجلت في الكأس تحسبها
من فوق عرش من الياقوت بلقيسا

رقت فراقت وطابت فهي مطربة
كأنها بيننا دقت نواقيسا
مالت بها القوم صرعي عندما برزت
بها البطارق تسقيها الشماميسا
كأنها وهي في الكاسات دائرة
صافي الزلال حوى فيه طواويسا
صرف صفت وصفت دار النعيم لنا
وآدم والذي يحكي وابليسا
عجنا علي دبرها والليل معتكر
حتى زجرنا لدى حاناتها العيسا
مستخبرين سألنا عن مكامنها
توما ويوشا ويوحنا وجرجيسا
نأتي الكنائس والرهبان قد عكفوا
لدى الصوامع يدعون النواميسا
طفنا بها واستلمنا دنها شغفا
فلم نخف عندها عيبا وتدنيسا
حيث القساقس قد قاموا برانسهم
يومون بالرأس نحو الشرق عن عيسي
والكل في بحر نور اليثربي حكى
موجا أرته رياح القرب تأنيسا

وقال أيضاً :

فريدة حسن وجهها البدر طالع
أشاهد معنى حسنها وأطالع

تجلت وكل الحادثات مغارب
تجلت وكل الحادثات مطالع
ولاحت لعيني وهي نور فأعمت
ظلام سواها واستنارت مرابع
وكانت ولا شيء كما هي لم تزل
كذلك والاشياء منها وقائم
تفتنى بأنوار التجلي وأثبتت
فكلي لها منها اليها ودائم
وعندي لها انواع عشق تفصلت
على قدر ما تبديه منها البراقع
تثنت فقالوا لاح ثان وثالث
على الزور والبهتان منهم ورابع
ولو وجدوها طبق ما زعموا لما
رأوا غيرها في كل ما هو واقع
فهل من فتى ياغافلون أدله
عليها فيحظى بالذى هو طامع
وتنفتح الابواب بعد انغلاقها
ويدخل بيت العز من هو قارع
نعم هو هذا لو لبثتم على التقى
كما انا ادوى واستقلت مطالع
وصفتم الاحوال شه كلها
وفيه استقمتم ما تناكم منازع
تريدون لكن بالاماني وصالها
فبدفسكم وهم السوى ويمانع
ولا صدق الا في مراد نفوسكم
لكم وأعاقتكم دعاوو قواطع
واين اقتحام الحرب من ذاكرها
ولا يشبه الشبهان من هو جائع
ومن يخطب الحسناء يسخ بمهرها
وطالب شهد لم تخف اللواسع
ويدك مهلا ان للحق عصبة
وما منهو الا و بالحق صادع
أقاموا على محض اليقين بنادهم
وجامدهم من هيبة الامر مانع
ودامو لعلي صدق الارادة والرجا
وهم كل قرم للخطوب يقارع
وقد همروا اوقاتهم بحضوره
وعندهم الدنيا ديار بلاقع
واعلي العلا من دون دين نيالهم
يعز بهم متبوعهم والمتابع
هي الشمس ابدت ماسواها أشعة
اذا غربت نحن النجوم الطوالع
اشارت بجفن العين فافتن لورى
ولا قلب الا وهو حيران والع
وأبصرها طرفي وذاك طرفها
فكان لها منها بصير وسامع
واحييتها بل تلك كانت هي التى
قديما احبتنى فزال التقاطع

وقد ملأت عيني بأنوار قدسها
ومنها لغزلان الجمال مراتع
وما الكل الا صورة مستحيلة
كماء له موج وفيه قواقع
وما الماء الا الروح والموج أنفس
قواقعها الاجسام وهي الجوامع
وتلك تقاديرها الامر ظاهر
ومن خلف هذا كله الذات واسع
صدقتك جاء الحق والباطل انتفى
وزالت تماثيل الخيال الخوادع
ومخطوبة الارواح أنفت لثامها
عن الوجه منها وهو بالنور ساطع
فأفنت جميع الكائنات وهيمت
رجالا وهت منهم عليها الاضالع
وكم فتنت من عشقها من متيم
اذا ذكرت منها تفيض المدامع
صلت بالمصلي مهجتي بفراقها
ونلت منى أذلى منى هو جامع
وجادت على كل الذوات بذاتها
فلا ذات الا ذاتها يامدافع
وكل صفات الكون فهي صفاتها
وتنزيهها في الكون بالكون شائع
ولا قائم الا بها في وجوده
ولا صانع الا بها هو صانع
أأنت قديما حبها وهو حب ما
أحب فكانت ما أنا فيه واقع
وقرت بها عيني غداة عرفتها
فمن عينها تجرى لعيني منابع
وبانت وما بانت فلا شيء غيرها
سوى اننا عنها بروق لوامع
اذا أسفرت عن وجهها برقم السوى
هدت كل مال في الورى هو ضائع
وان سفرت بالغير وجه جمالها
أضلت عقولا تمثلي فتقارع
ولولا دفع الناس بعضا ببعضهم
لهدمت كما قال الاله صوامع
ونحن أولاء المؤمنين بحبها
عداوتنا سر حذارك ناقع
ومن رامنا بالسوء فالله دائما
كما جاء في القرآن عنا يدافع
ألمت بنا والكون كالليل مظلم
فلم تشعر الواشون اذ هم هواجع
وزارت على رغم الاعادى فأنكروا
زيارتها قالوا خيال يراوع
وما ذاك الا أنني كنت قرما
ببيدائها والغير في السير ظالع
محجبة الا على كل محرم
لها قربته فهو الوتر شافع

(٨٦ = دائرة = ٤ = ٩).

ومقبلة لكن على كل تارك
سواها بها عنها اليها يسارع
أعارت معاني الكون ثوب صفاتها
وكل معار للصيرة راجع
وأودعت الاشياء سر وجودها
ولا بد يوما أن ترد الودائع
ظهرنا بها لا بل بنا ظهرت وقد
تساوت دوان ههنا وشواسع
ولا دين الا حبها عند أهلها
فكم نحوها من ساجد وهو راكع
اليها صلاة القوم أين توجهوا
وقبلتهم وجه لها يتلامع
وبالماء ماء الروح من أمرها لهم
وضوء وغسل دائم متتابع
وان خالطوا الاغيار كانت جنابة
لهم ودمها فرض على القوم قاطع
وان لم يكن ماء هناك تيمموا
صعيداً له طيب من الجسم ضائع
هو الحق للاقوام من سواه نجاسة
فنها قد استنجوا وزالت فظائع
وعن غيره لم ينعتوا فتمضمضوا
وشموه باستنشاقهم فهو ذائع
وما سواه كان غسل وجوههم
لكي يقبلوا عنهم له ويسارعوا
وغسل يديهم من جميع امورهم
بتفويضهم فيه تنال المطامع
وتثليث هذا الغسل شكل مثلث
به ظهرت ممن يراه ضائع
وقد مسحوا فيه رؤوس رياسة
فذا الذل الا وصفهم والتواضع
وقد غسلوا أقدامهم في قيامهم
بخدمته عن كل ماهو مانع
وقد كبروه عن مدى وصفهم له
برفع يديهم ظاهراً وهو رافع
وأثنوا عليه بالذى هو أهله
ومنه استعاذوا فهو ضار ونافع
وهم باسمه قاموا ليتلوا كلامه
فما منهم الا به هو خاشع
وان ركعوا مالوا اليه بكلهم
وصاروا له به والقلوب خواضع
وان سجدوا يفنوا ويبقوا به له
اذا سجدوا الاخرى وتبدو بدائع
وفيهم سكون من قعود تشهد
له واقتضى تحريكهم والتنازع
وقد سلموا طوعا اليه وأسلموا
ومنهم له التسليم للسوء دافع
ولا مال عند القوم الا نفوسهم
تجارتهم فيها غلت والبضائع

وقد أنفقوها حين آنوا زكاتهم
على الحق لم يقطع بهم عنه قاطع
وأدوا اليه فطرة فطروا بها
وما غيروها والقلوب طوائع
وصاموا عن الاغيار فيه وأفطروا
على وجهه مذ غاب لا كون طالع
وفي الحج كانوا بيت عزته لهم
بنشأتهم طافوا فست وسابع
وقد رملوا في ذا الطواف تدللا
عليه وفخر عندهم فيه بارع
ولما بدا من قلبهم حجر الهدى
له استلموا اذ منه بانت أصابع
وفي عرفات الوصل حازوا القربا
بوقفتهم فيها فزالت موانع
ونالوا مناهم في منى وبها رموا
جمار هموم كلهن مصارع
وقد ودعوا البيت العتيق وأقبلوا
على أصلهم في العلم وهو مواضع
وفي عيد نحر الحج فازوا بذبحهم
ضحايا طباع من فيها نواسع
ذبيحة نفس قطع حرق فسادها
الى أن بقي منها خزون مخادع
وأخذ لقيط القلب في مسجد الحجي
بهم له لسمي الكرام المصانع
ومن يلتقط سراً بتعريفه له
يرد على الروح الالهي ضائع
وغيبة مفقود عن الكون حكمها
كمون له في كل أمر يضارع
وحب معاني الحق اخراج مشرها
خراج لارباب الجهالة قاطع
وجزية كفار النفوس تكون عن
يد وصغار حيث قرر واضع
ومن نال صيد الغيب كاب هواه أو
أعيقت بيارى القلب طير سواجع
فقد فاز بالقصد الذى هو راكب
اليه على خيل وعن الطبائع
وواهب ذات الظل غامة كونه
تموضه نوراً به هو لامع
وقد آجر الاقوام امكانهم له
فأجرتهم انعامه المتسارع
وباعوا نفوساً في هواه نفيسة
له فاشتراها حين أوجب بائع
فقال لهم قاستبشروا اذ بيعكم
توليتكم فاكل عندى مطاوع
وان جواد القلب للنفس واجب
عليهم لفتح الروح فهو المصارع
وقد دخلوا بالملك في قلعة الاما
فليس لهم عما يرومون دافع

وقادوا أسارى كل خلق مذمم
وفاز شجاع بالغنائم دارع
وقد شاركوه في الوجود فثامن
لفسخ اشتراك كان منهم وتاسع
وقد كفل الرحمن أرزاقهم لهم
وطالب بالاعمال وهي منافع
فان الدعاوى ألزمتهم كفالة
بأعمالهم والكل منه توابع
وتوكيلهم للحق أنتج قربهم
اليه وهذا للكمال ذرائع
أحال بهم يوما عليهم فأفلسوا
وقد أصبحوا بعض لبعض يتابع
ولما اليه بالحوله ردهم
لهم بالفنا كانت لديه مواقع
ونحن له وقف لاجل صفاته
وقد عمرت منالهن المزارع
وقاض قضي بالحق والروح شاهد
فكان لحق النفس منها مقامع
ودعوى الغنى تعطي الخصومة في الهوى
وقد جمعت للعاشقين مجامع
وجاءت بأنواع الشهادات أمة
على الحق زكتها صفات بوارع
وهذا نكاح الامر عقد محقق
ومن كل شيء خلق زوجين بادع

شهدنا على ايجابنا وقبولنا
وكانت لنا بالحضرتين وقائع

الى ان قال :

وانزاله القرآن قد حملت به
فروج قلوب بالعلوم تدافع
وبت طلاق الصبر زوج فتى الهوى
ثلاثا على سلمى فكيف يراجع
ولو دفعت كل الذي هو ملكها
على طلقة ماكان قلبي يخالع
وبرت يمين واليمين ثلاثة
غموس بحكم الغير للغير رائع
ولغو على أهل المجاهدة احتوى
ولا اثم فيه لكن القلب جازع
ومنعقد وهو الذي بين قومنا
تلذ به عند اللقاء المسامع
كلام على حكم العيان مفصل
به الغيث من سحب الحقائق هامع
وتكفيره في حنثه ستر كل ما
بدا فتمار الحظ منه أيانع
ومن يأخذ الدنيا بشفعة داره
من الحق لما باعها فهو باخع
ومن رد عبداً آبقا كان أجره
عظيما على مولاه فهو الموادع

وأحيا موات النفس بالذكر واجب
ليسعد فيها بالحراثة زارع
وقتلك معنى الروح بالروح يقتضي
قصاصا بسيف الحق اذ هو شارع
وان أخذت من وضعها دية له
فذلك حكم للقصاص يضارع
وهيأت الاقوام أرض نفوسهم
فكان المساقي شيخهم والمزارع
واقرارهم بالحق حجتهم على
سواه وكل لابس الامر خالع
واعطاء رأس المال وهو وجودهم
اليه اقتضى ربحا وضل المخادع
مضاربة منه قديما مع الذي
له كل ما في الكائنات توابع
وان غضبوا أوصافهم من ذواتها
أغارت عليهم منه خيل طلائع
وفي الصلح عن دعوى المغايرة اختفوا
فهم منه في الدنيا غيوث هوامع
وقد رهنوه بالديون قلوبهم
وماض وحال الايفي ومضارع
حدود الهوى قامت عليهم بربهم
فلم يعتدوها والحدود روادع
ومن يدعي ملكا فذلك سارق
يمد يداً فالحق اليد قاطع

وعينيك فاسمع لا تمدن قال في
امام فكيف المقتدى وهو تابع
وخمر السوى منه اذا شرب امرؤ
عليه بانواع الخطوب مقارع
وزانية لم تحصن الفرج من سوى
لها الرجم بالحرمان حد يمانع
وقذف أولي التشبيه يوجب حدهم
سياط بعاد عن حماه قوارع
وقد كان بالتقوى وصيته لنا
غداة بدت سبل ولاحت مشارع
به منه تقوانا فلا ندعي لنا
وجوداً وترضي حكمه وتطاوع
وميراثه منا بميراثنا له
فرائض كانت منه فينا بواضع
فثمن وثلث ارث ام كتابنا
على حكمها في قسمتي لا أنازع
ولا يرث المحجوب منهم بحاجب
على العين حكم قررته الشرائع
وبالعول ان زادت مهام أولي الحجى
خيالا تراءته العيون الهواجع
أعذ نظراً ما راد شيء على الذي
علمت ولكن لجة وزعازع
وقام وصي الحق يحفظ بالهدى ال
يتيم الالهي والجميع مواضع

وقد الهوى فرض على القوم درسه
وكم ناله شيخ وكهل ويافع
ومن كان مقداما يلج كل لجة
اليه وان ضجت عليه الضفادع
وأهل طريق الله قد الفوا السرى
وطال بطاح دونهم وأجارع
وغابوا عن الاكوان في النيت حيث لم
يكن ههنا الا الشخوص الطوالع
ومدت لهم منه يد أقدسية
تبايعهم فيما رأوا فتبايعوا
هم القوم لا يشقى الجليس بهم اذا
لهم كان في سر وجهر يطاوع
وقد زهدوا في الزهد عما سواه اذ
رأوا الزهد معنى المقول بخادع
وعن توبة تابوا وهذا مقامهم
لهم هو من فوق المقامات رافع
وتقواهم التقوى على كل حالة
لديهم عن التقوى وتلك بدائع
وما روح الا عن الروع اقتنوا
وما منهم الا عن القنع قانع
وقالوا مقامات السلوك لانها
على أوجه الاسرار منهم مقامع
وقد ما يوصف الذات في غيب غيبه
له فيه ختم مثل ما كان طابع
ونمت معانيهم على كلماته
وماء الهدى من عينهم هو نابع
وزال الذى كانوا يظنون أنه
سواهم له حز من الكل شاسع
وقد كان وهما ذاك عند عقولهم
كتمثل رقوم أظهرتها المدارع
وقد بدلت أرض لهم غير أرضها
كذاك سموات وزالت طوالع
وقد برزوا الواحد الاحد الذى
بهم هو فيه عالم ثم صانع
وكانوا كما كانوا على الحالة التى
بها أزلا كانوا كلم يك واضع
كما انه باق بما هو فيه من
قديم وهذا الامر الوهم قانع
بدايتهم كانت نهايتهم به
وميتهم آلت اليه المهايع
وفي العلم كل هكذا مغرب
حضوره ماقد مضي والمضارع
فمن يعلم العلم القديم يرى الذى
أقول ونرمي عن حمير براذع
وتخفي علوم العقول حوادث
عناكبها تبنى البيوت خوادع
ولم يك ذا الا بتمليه ولا
يعلم الامن لديه يوادع

وما كان فيه فهو يبدو له به
ومالم يكن فيه فما هو واقع
هيولي شهدنا انها نور نوره
لها صور شتى به تتدافع
وألوانها ذات الفنون فأزرق
سماوى لون ثم أبيض ناصع
وأسود غربيب وأخضر ناضر
وأحمر قان ثم أصفر فاقع
ظواهر منه فيه عنه له به
بواطن أخفاها من الذات لامع
وبالحق أنزلنا وبالحق نازل
لقد حققته العارفون المصاقع
وما الحق الا واجد فهو عالم
وعلم معلوم ثلاث قوارع
ومن ههنا ألهي التكاثر أمة
محتقها من كونر هو جارع
وذاك نهر الجنة العذب ماؤه
وفي الحوض أنبوبان منه شوارع
هو الحوض منه كل من نال شربة
فلا ظمأ يلقي ولا هو جازع
ويطرد عنه كل من تبع الهوى
وتعزيقه دنيا بدنياه راقع
أباريقه قوم به امتلأوا وهم
نجوم بآفاق العلوم سواطع
يضيء بهم ليل المسرات الي الحي
ومنهم رجوم للطغاة قوارع
حنانيك عني ان فزت منهم بواحد
سعيداً قرير العين غصنك يانع
وكن عبده لاحظ عبد وشهوة
فما أنت ناويه على القلب طابع
وهذا مقام حق بالبؤس والاسى
وما ناله الا الشجاع المقارع
ودم طالبا منه التحقق فيه لا
سواه تجده عنك فيك يسارع
وان زدت صدقا في محبته له
بها زدت قربا واعتدى منك ضائع
وزالت معاني الغير في العين وانطوت
مسافة نفس بالمحال تخادع
وكنت كما قد كنت من قبل لم تكن
وكان كما قد كان وهو الموادع
عليم بذات منه تجلي عليه في
معاني صفات كاين بوادع
وفيه زمان والمكان تداخلا
وكيف وكم وهو الكل جامع
له الكل وهو الكل وهو منزه
عن الكل فاعرف واعتبر يا منازع
تصاويره فيه تعانيه له
تقاديره منه فروض بوادع

من العدم امتدت الى العدم انتهت
خيالات عقل واحد يتلاعم
وما هو الا النور نور محمد
تبدى من النور الذى هو طالع
فنور على نور كذا قال ربنا
وذلك مشفوع لديه وشافع
وأعلاهم النور الالهي شأنه ا
تكبر والأدنى هو المتواضع
وذلك لا يفنى وذا كل لحظة
بأيدى الفنا ئم البقا يتنازع
تجليه يبقيه به واستناره
فناه له في الفكر والحس قائع
هو العقل مثل الكل مفرد جوهر
يلوح ويخفي عن ضيا وهو شارع
هو الروح روح الكل والقلم الذى
به الكل مكتوب له اللوح واضع
وعرش وكرسى تجسم فيهما
له صورة نحويهما وأضالع
وفي كل شيء سر أمر ملبس
بخلق جديد للخفاء مسارع
كبرق عن الذات التي بهالامع
فيالك برق من حمى الحب لامع
صرت نسمات الروح من روضة الحمى
فمطرفي طيب من الحب ضائع
وعطرت الانفاس منى بنفحها
جميع الورى حتى استطيبت مصانع
وقامت دعاة الحق بالحق من يدى
تساعد أرباب التقي وتبايع
فخيلا ياقوم نحو حقيقتي
فمن طيورى بالجمال سواجع
وحوضى ملآن ومائي مروق
وروضى بأنواع المحاسن يانع
وباعي طويل والزمان مساعد
لنا وعيون الدهر عنا هواجع
وكاسات أفراحي براحي وراحتي
دهاق وأيامى المواضي رواجع
على سلام في الورى يوم مولدى
ومولي وبعثى ماحي الدهر حاسم

وقال أيضا :

اني أنا لست أنا
فليت شعرى من أنا
صورة لاهوت بدت
في شكل ناسوت دنا
كلاهما مستحدث
من عدم ومن فنا
وذاك لا ذاك له
ومن هنا ليس هنا

والقصد منى لم يقم
على سؤالي والمنى
فالهم كلاي وانتقم
به ودع عنك العنا
أياك اياك بأن
يوقعك الجهل بنا
ولا تكن معتديا
ولا تكن مفتئنا
ودع كلام عصبة
بنا أساؤوا الظنا
من شرهم ماأحد
بين البرايا أمنا
قد شبهوا خالقهم
وجسموه هلنا
ونسبوا اليه ما
كان بهم مكتمنا
وهم على ذا درجوا
وفيه عاشو بالهنا
وعبدوة مثل قو
م يعبدون الوثنا
قد نشأوا في بدع
لايعرفون السننا
وحده حالتهم
قد جعلوها ديدنا
فاحذر تكن مستمعا
لهم بهم ممتحنا
وخذ بما لاح ودع
عنك التباساً فتنا
بالله يامن هجروا
وعظموني شجنا
وقد أطالوا سهرى
وأحرموني الوسنا
وملء قلبي شغف
ودمع عيني هتنا
ولي اليهم أبدا
فرط غرام وهنا
رفقا بصب دنف
بكم غدا مرتهنا
أيان ولي منكو
أبصر وجهاً حسنا
بشعب وادى سلم
جآذر لحن لنا
لما رنوا وانعطفوا
خلت سيرقا وقنا
أواه من جفونهم
وليس لى عنهم غنى
ياليتهم لو سمحوا
ولي أتوا المنى

عهدي بهم قد نزلوا
بالسفح من وادي منى
من كل روح جعلوا
للامر منهم بدنا
وشرفوا منازلا
حلواً بها ودمنا
وكل حي جعلوا
بالوصف فيه وطنا
وشغلوا الكون بهم
وهيجوه شجنا
فهام في بهجتهم
ولم ينل منهم منى
يخفق قلبي بهم
وكم يقاسي محنا
وجوده تحريكه
وفقده ان سكنا

وقال أيضا :

لمائه كلنا أواني
ونحن في نفسه معاني
والكل عن أمره ظلال
وذاته الشمس في البيان
مراتب بالوجود صارت
حقائق الغيب والعيان
عن كل أوصافه ابانت
عند الورى مثل ترجمان
وجوده لا يزال منها
يطلي بنيل وزعفران
وبظلام وبضياء
وبضراب وبطعان
وبجماد وبنبات
وبأناس وحيوان
وبرجال وبنساء
وأهدل شيب وعنفوان
وكل عقل وكل حسن
والمتمنين والاماني
وكل فهم وكل وهم
وكل وقت وكل آن
وملكوت وجبروت
وكل انس وكل جان
وكل ساق وكل كاس
وكل خمر وكل حان
وبحسان وبقباح
وبهموم وبتهاني
وكل شيء صرفت عنه
ولم يصرح به لساني
توهمات الجميع فيه
من فرط عز ورفع شأن

يجل عنها وعن مقالي
يجل فيما به صباني
والعلم بالجهل قد تساوى
عجزهما عنه في قران
وكل عبد بما لديه
في محنة منه وافتتان
وقد تجلى بكل شيء
والشيء من عالم الكيان
فضاء منه فضاء كل
كالنور في صبغة القناني
وفيه كانت فصار فيها
والقلب ينبيك عن بيان
وليس غير الوجود فيها
بقائم والجميع فاني
وهو على ما عليه قدما
بلا انتقال ولا اختزان
ولا اتصال ولا انفصال
ولا افتراق ولا اقتران
ولا التفات ولا جهات
ولا زمان ولا مكان
ولا حلول ولا اتحاد
ولا تناء ولا تداني
فان تكن فاهماً والا
فدع كلامي لمن يداني
ولا تعب ما جهلت منه
بقلبك القاصر الجبان
وخل ما قلته لقوم
يطرب اسماعهم اذاني
فان داعي الكمال منى
يسمع من شاء بامتنان
وكل شيء للحق شان
والحق باد في كل شان
مسك له الكل طيب عرف
معنى له الكل كالمباني
نحن التقادير منه فيه
كالكيف والكم والمكان
وهو الوجود القديم صرفا
وماله في الوجود ثاني
رآه موسى الكليم ناراً
عنه بدا الكل كالدخان
ورام منه بان يراه
فجاء عنه لن تراني
لكونه رائيا فلو لم
يرى رآه اليه داني
لكن علا شوقه عليه
منه غدا مالك العنان
وزاد حتى أزال عنه
تثبتا كان في الجنان

ومنه قد صار في ذهول
وفي اندهاش لما يعاني
والشوق يوهي العقول جداً
في رؤية الاوجه الحسان
حتى اذا دك منه طور
وعاد في الصعق في اكتمان
أفاق مستغفراً منيبا
مسبحا طالب الامان
ماقال اني رأيت أو ما
رأيت اذ كان في عيان
كان محبا له فأضحى
محبوبه الرائق الدنان
وما عليه اختفى تبدى
لها جهاراً بلا توانى
وصار يبديه كل شيء
قد كان أخفاه باجتنان
والمثاني آيات حق
تظهر في نغمة المثاني
يذوقها كل ذى فؤاد
بنيل قرب الاله هاني
سماه بالغرام شقت
ورده صار كالدهان
يموت بالفكر ثم يحيي
بالذكر في القلب واللسان

ويستريب الجهول منه
والله يلقيه في امتحان
ولا تراه يعيش الا
في فرط ذل وفي هوان
وان يمت فالجزاء نار
لانه الضلال جاني
وبافتراء وباعتداء
أنكر حقا وبامتهان
ولا يضيع الاله شيئا
فكيف ايذاء ذى العيان

وقال أيضا :

أنا النور المبين ولا أكنى
أنا التنزيل يعرفني ابن فني
يضل الله بي خلقا كثيرا
ويهدي بي كثيراً فاستبني
ولكن لا يضل سوى نفوس
بانكار بغت وبسوء ظن
واني الملك والملكوت فضلا
واني صخرة الوادى واني
ولما كنت منه بغير فصل
ولا وصل شهدت الكل مني
أحقق من أريد بعلم حقي
وأسكر من أشاء بخمر دني

وأسعد باللقا يوما وأشقي
بهجري آخرين وبالتجني
مقامي ليس يحصل بالترجي
وحالي ليس يدرك بالتمني
وما باب الهبات ولا العطايا
بمسدود على أهل التهني
ولكن القلوب لها عليها
من الأغيار ينشأ كل كن
وبالتوحيد يعرف كل شيء
ويجهل كل شيء بالتثني
هي الأبواب قد سدت جميعا
سوى بابي فدع عنك التمني
وما أنا شاعر وجميع نظمي
بعيد عن مدى شعر المغني
وميز بين الهام وشعر
وصرح بالمقام ولا تكني
ولا تكفر بجهلك في كلامي
ودعه لمن يوحد يامثني
ولا تعجل على ما لست تدرى
فانك سوف تدرى بالتأني
نصحتك فاستطع صبراً معي ان
سلكت عن الروافض نهج سني
تعالى أصلنا عن كل فرع
وجل عن التزوج والتبني

وكل فتى على مقدار ماقد
سقاه بكفه الساق يغني
وحين رويت عنه روت بصدق
جميع رجال هذا العصر عني

﴿ النارجيل ﴾ هو جنس من هذه الفصيلة يقال له قوقوس أى نارجيل ويسمي النوع المقصود لنا بالترجمة بهذا الاسم أى نارجيل وبالجوز الهندى وجوز الهند وباللسان النباتي قوقوس نيسيفيرا وهو نبات مسكنه بين المدارين وهو من أجل أشجار الكون لنفع جميع أجزائه في احتياجات الناس اذ بدونه لاتسكن جزائر الاوقيانوس الكبير الهادى ولا توجد مساكن في المتسع الكبير الاستوائي ولو لم يكن لماتوا جوعاً وعريا فلذلك سمي النبات بملك النباتات اذ يخرج نبيذ وكؤول وخل وزيت وسكر ولوز ولبن وقشدة وحبال وأواني وثياب وزنابيل وخشب . وهو شجر كالنخل من غير فرق الا أن وجه الجريدة فيه الي الأسفل ويقال انه اذا قطع لم يمت ويزوع ثمره قضبا وزمن غرسه نزول الشمس في الجوزاء ويثمر بعد سبع سنين وتبقي شجرته نحو ١٠٠ عام ويدرك ثمره اذا

نزلت الشمس الميزان وجذور هذا النبات قليلة التعمق في الارض متقاربة الفروع الكثيرة وطعمها أولا حريف ثم تصير قابضة تستعمل في الهند في الدسنطاريا المزمنة والاسهالات مسحوقة مع مسحوق الانيسون مدة ٨ أيام . وذكروا أن الجذع يعلو ١٦٠ قدما اذا كان قرب البحر وينقص علوه كلما بعده عنه وتتكون منه غابات جميلة المنظر في جزائر بولينسيا والاوقيانوس تأوى اليها السياحون بعد التعب وقد الزاد وتنفع جذوعها في العمارات والاثاث وغير ذلك وتحتوى أغصانها الصغيرة في باطنها على نخاع مأكول سكرى مقبول الذوق واذا كل تكون السوق كأن خشبها الذى من الخارج قليل النخن لكن شديد الصلابة مكونا من الياف مستطيلة بطول الجذع ويصنع من تلك الاشجار حبال السفن لكنها أقل متانة من النيل وانما تبقى في الماء أحسن منها . وأوراق النارجيل تطول من ١٥ قدما الى ١٨ وهي مركبة من وريقات متينة خضراء سهلة الانثناء يصنع منها مايصنع من خوص النخل وكل ورقة محاطة من أول منشئها بنوع شبكة خيطية هي الليف يستعمل مرشحا ومنخلا وتصنع منها ملبوسات وتسقط كل سنة مع الورقة ويبقى منها أثر على الجذع ويستعمل في بلاد الهند منسوجها القطنى لايقاف دم قدع العلق . والزر الذى ينتهي به الجذع طرى لطيف المأكل يسمى أيضا بالجمار وهو ألطف من جمار النخل ولكنه مثله فيما اذا قطع ماتت الشجرة ويظهر أنه لايستخرج من الجذع الا قليل من نبيذ وينال من ثمره اين أحسن من ذلك ويقال أن عصارته النباتية تركز في بعض الأماكن فتنال منها مادة سكرية مسوده تربى مربيات . وأزهار النارجيل كثيرة بيض أو صفر قد تؤخذ وتدق فينال منها سائل مائي يكون مشروبا لذيذا يتحول الى خل قوى واذا تخمرت كانت صدرية وقليل منها يتحول نماراً والا لكانت الثمار عديمة الجدوى . والجزء المهم من النبات هو الثمر وهو النارجيل الحقيقي وحجمه كبير ولونه مسود وشكله قريب المثلث والشجرة يوجد فيها جملة أقناء كل قنو فيه نحو ٣٠ نارجيلة ويخرج النارجيل في غلف ليفية خارجة تسمى بالافرنجية كير بفتح الكاف أو بسكانها بفتح الباء

يجهز منه بعد الدق والمرس نوع مشاق لفلفطة السفن وقد تعمل منه أقمشة غليظة وملبوسات وغير ذلك ثم في داخل هذا الغلاف غلاف خشبي صلب وهو قشرة الجوز تستعمل بمنزلة الاواني وتعمل منها أكواب وأصحن تطلى بالاطلية وتزخرف و يقطر هذا الغلاف الخشبي فينال منه دهن شياطي يستعمل في الهند لوجع الاسنان وشحم خلي قطبقي يستعمل في صناعة التصوير ثم في داخل ذلك الجوزة وهي اذا كانت طرية كانت مملوءة بمادة مائية دهنية بيضاء مسكرة وكذا اذا ارتقى الى الشجرة وقد طلع الطلع قبل أن ينشق فيقطع طرف طلعة من طلعها ويلقم كوزاً ويعلق المرجون فيقطر فيه من العالمة الى آخر النهار الرطلان والثلاثة والخمسة بحيث يسمع حس القطر من هو في أسفل الشجرة فيخرج في الكوز لبن نخين حلو مذب يسكر سكراً مفرحا قويا فان شرب الهواء شاربه طرحه بالارض وان شربه من لم يعتده أوضعيف المزاج أذهب عقله فان بات ذلك السائل ليلة صار خلا قاطعا اشد من الخل الاعتيادى مهريا لحوم الغليظة كلحوم الجواميس كذا قال أطباؤنا . وقال مبرد لا يجنى الا الثمر الذى ليس له من نضجه أقل من سنة اذ الثمار والازهار موجودة على الاشجار دائما فتختار والثمار الصغيرة الخضر النير المتلفة اذا أريد أخذها يوصف كونها شديدة القبض و يستعمل مبشورها في فيضان الدم وتدخل في مراهم تعالج بها الاوزيا فاذا اكتسب الثمر حجمه الطبيعي كان مملوءاً بعصارة أى سائل أبيض يسمى لبن النارجيل بحيث تحمل الثمرة الواحدة منه رطلين ويمكن اخراجه منها بثقب الطروق الثلاثة التي في قاعدتها وذلك اللبن عذب سكرى فيه قليل حموضة فيكون مشروبا لذيذاً مرطبا في البلاد الحارة التي ينبت فيها ويمكن أن يشرب منه مقدار كبير بدون سآمة بل ذكروا أنه نافع لآفات الصدر وذكر بعض الاوروبيين أنه شرب منه ٢٠ زجاجة مسودة في اليوم بدون أن يحصل له أدنى كدر وهو المشروب الاعتيادى لمعظم قبائل بحر الجنوب . ويقال أيضا أنه مدر البول وأما ميسون فأنهم بأنه أحدث أكلا شديداً في الجنوريا وحرض صيلانا لوث الطرق بالسودان . ونساء جزائر أنتيلة يغسلن

رجوهن بهذا اللبن . وهو قابل لان يتخمر تخمراً كؤوليا بحيث يستخرج منه الكؤول أو الخل . ووجد فيه بالتحليل الكيماوى ماء وسكر وصمغ وكربونات ومريات ملحية وغير ذلك وكلما نضج الثمر اكتسب اللبن قواما وتيبس تيبساً لوزيا من الدائرة الي المركز فيتكوّن في الوسط بين أجزاء المتيبس والجزء الباقي علي لبنيته نوع قشدة يلذ كلها بالسكر وماء زهر البرتقان ويبقي في المركز دائما بعض لبن وفي بعض الاحيان لكن مع الندرة يتكون فيه جسم بيضاوى متجمد هو نوع بادزهر نباتي أبيض مزرق كالصيني تنسب الاهالي له خواص طبية جليلة ويسمى ببلاد الهند كلابيت أو يقال كلابا ويسميه الاوربيون حجر النارجيل وتباع تلك التجمدات في الصين ويحملونها كالتمائم ويظنون انها تحفظ من الوقوع في كثير من الامراض واللوزة النضيجة تؤكل فتكون غذاء اعتياديا لاهالي الجزائر النابت فيها الشجر وهي شديدة البياض معتمة يابسة تشبه البندق في الطعم وتؤكل وحدها أو مبتلة بالفلفل والخل وتدخل في الفطاير وغير ذلك ويدخلها أهالي بلادنا في معاجين يستعملونها في العادة للتقوية ويعدونها في البلاد التي ينبت الشجر فيها عسرة الهضم ومع ذلك هي عندهم أقبل من غيرها ويعمل في جزائر أنتيلة مستحلبات ولعوقات وغير ذلك وتقوم هناك مقام اللوز الحلو ويستخرج من لوزة النارجيل دهن اذا كان جديداً جيد الاستحضار دخل في الاغذية فان عتق أو كان رديء التحضير استعمل للاستصباح . وسكان تلك البلاد يدهنون به فتصير رائحتهم كريهة ولو استعملوا الاستحمام كل يوم وكذا يدهنون به خيولهم ويستعمل في بلاد الهند لتحضير اللصوقات وغيرها وهو مركب تركيبا كيماويا كما ذكر بعض الكيماويين من دهن زيتي سايح في العصارة اللبنية يستخرج بالعصر ويتجمد بسهولة ومن ماء وسكر سائل وزلال . ومن الكيماويين من استخرج منه زيتا يتجمد في ١٥ درجة من مقياس ريومور فيكون ذلك زبدة نباتية وذكر مرسال صنفا من النارجيل يسمى ثماره بالنارجيل الملوكي ويحتوى علي لبن تنسب له خواص مرطبة أعلي من خواص النارجيل الاعتيادى ومن أنواع النارجيل نوع يقال

له نارجيل البريزيل وباللسان النباتي قوقوس بوطراسيا ينبت بالبريزيل وأمريكا الجنوبية مع انه يوجد أصلا في الهند الذى هو بحسب الظاهر ينبوع النوع السابق وربما كان ينبوع هذا أيضا ثم نقل الي أمريكا وزرع فيها وثمره اكبر من بيض الدجاج بيسير ولونه من الظاهر أخضر ويحتوى علي لوزة أى نواة تؤكل ويستخرج منها دهن أو زبد أبيض رائحته مقبولة يستعمل لتتبيل الاطعمة واذا عتق استعمل للاستصباح ويصح استعماله دواء مرخيا وملطفا . وذكر فوكس أنه يمكن تقليده بالصناعة بان يصنع من الشحم الحلو الملون بالكركم والمعطر بايرسا فلورنسة ويوجد تحت الغلاف الليفي الظاهر لهذا الثمر لحم أصفر زعفراني رقيق عديم الطعم تأكله السودان وتحته قشرة يابسة محتوية علي اللوزة التي ليس فيها خروق كخروق النارجيل الاعتيادى وهذا يدل علي انه نوع آخر غيره . وذكر برون انه يسيل من قمة هذه الشجرة صمغ شفاف رائحته مقبولة يمكن استعماله في محل الصمغ العربي ونخاع الشجرة يؤكل بالملح كما قال برون ولم يذكر هذا المؤلف أنه يستخرج منه عصارة نبيذية اذ ثمره أصغر حجما من أن يجهز لبنا (من المادة الطبية)

﴿النارنج﴾ هو نوع من أنواع البرتقال وقد استوفينا الكلام علي زراعة البرتقال في مادته فلا يحسن بنا أن نعود اليها هنا ولكن يهم قراء دائرة المعارف أن يعرفوا أموراً كثيرة عن فوائد النارنج الصحية والدوائية لان ذلك يفيدهم افادات ذاتية خصوصا وهذه الاصناف تكثر في بلادهم وتباع بثمن رخيص ويهملها الناس غفلة عن منافعها الجليلة أو يأكلونها أحيانا علي سبيل التنقل ليس الا مع أن فيها من الخواص ما يجب الالتفات اليه . فنريد الافاضة في الكلام عليها وليس امامنا مصدر اوسع مما كتبه العلامة الرشيدى في مادته الطبية فانه ترجم كل ما يمكن ترجمته مما يتعلق بهذا الموضوع فنعتمد عليه أيضا في ايراد هذا الفصل

(الفصيلة النارنجية) تسمى بالافرنجية أورنطياسية نسبة لجنس منها يسمي أورنطيون وقد تسمي أيضا اسبيرديه وانموذج هذه الفصيلة هو النارنج والليمون وتقوم من أشجار وشجيرات جميلة المنظر

تحفظ اوراقها في جميع السنة دائما خضرا وتنبت في الاقسام الحارة من العالم القديم والجديد وتلك النباتات تنتشر فيها غدد كثيرة صغيرة حوصلية مملوءة بدهن طيار رائحته ذكية نفاذة وتوجد في سمك الاوراق والكاس وفي النسيج الخاص للتويج وفي الغلاف السميك المصفر المغطي للثمر من الباطن وتلك القاعدة المريحة هي التي صيرت تلك الاشجار رائحية منبهة بحيث ان اجزاءها المختلفة تؤثر تأثيرا منبها في البنية الحيوانية وهذا الفعل واحد في جميع نباتات هذه الفصيلة فكما يكون ايضا في اوراقها التي لها طعم مر عطري يكون ايضا في ازهارها الذكية الرائحة وفي القشور المرة الخارجية لثمارها حيث يكون فيها قليل حرافة وعطرية وكما توجد تلك الاوصاف في اجزاء النارنج والبرتقال توجد ايضا في غيرهما من نباتات الفصيلة ولب ثمار تلك الفصيلة متشابه في جميع نباتاتها حيث يكون دائما حمضيا تختلف حمضيته بالقلة والكثرة ومبرداً مرطبا ففي البرتقان تكون تلك الحمضية مستورة بطعم سكري وبمادة لعابية والعصارة المأخوذة بالعصر من هذا اللب قابلة للتخمر فيخرج منها سائل كؤولي أي نوع نبيذ يستعمل في بعض جهات الهند للشرب عند أهالي تلك البلاد

(نارنج) النارنج قال اطباؤنا هو اسم فارسي . انتهي . ويسمي بالافرنجية أورنجير وباللسان النباتي ستروس اورنطيوم اى الليمون النارنجي واشتهر عند العرب تسميته بشجر النارنج وشجر البرتقال فاسم الجنس ستروس من الفصيلة النارنجية كثيرة الاخوة عشرى الذكور واسمه آت من بلد اليهود يسمى سترون فأخذ الرومانيون النوع الذى عرف اولا بأوربا وسموه بذلك وهو يحتوى على عدد يسير من الانواع كثرت أصنافها وزادت بالزراعة والفلاحة حتى صارت زينة البساتين في البلاد الحارة لجمال اوراقها البسيطة البيضاوية المتتالية البذور فيها نقط شفافة ناشئة من وجود حوصلات مملوءة بدهن طيار وخصوصا لمعانها حتى كأنها مدهونة بطلاء زاه وخضرتها الدائمة وذكاوة ازهارها ومنفعة ثمارها اللطيفة وأصلها من الصين وجزائر الهند والجزائر المتفرقة في وسط الاوقيانوس الهادى واستنبت بكثرة في جميع الاقاليم حتى في الاماكن الباردة

بإحداث حرارة صناعية حولها وأنواع هذا الجنس أشجار وشجيرات مريحة ودائما خضر ومنظرها جميل وأوراقها متعاقبة بسيطة كاملة أو مسننة وعديمة الزغب ومتصلبة في قمة ذنيب بسيط أو متسع على شكل أجنحة في جوانبها وكثيرا ما يوجد في قاعدة أوراق الانواع البرية وبعض الانواع المستنبتة شوكة مستطيلة تختلف خشونتها وكأنها أذين وحيدة الجانب والازهار في الغالب بيض أو وردية متوسطة العظم ويتصاعد منها رائحة شديدة الذكاوة وتنضم غالباً جملة منها مع بعضها في طرف الاغصان الصغيرة والثمار فيها جميع ما يمكن من التنوعات أى من مقدار الكرز الي رأس الطفل وأما شكلها فيختلف أيضا بحيث يتعسر شرحه بالضبط ولكن تلك الثمار اذا وصلت لتمام نضجها كان لونها من الظاهر أصفر زاهياً والتنوع الذى يستدعي وضع أسماء مخصوصة لها يؤخذ أصله من الالوان الأولية الاصلية التي يتشكل بها الطيف الشمسي وطعم المنسوج اللبي يختلف كثيرا باختلاف الانواع والاصناف ولكن الغالب كونه حمضياً كثيرا أو قليلا بسبب وجود حمض مخصوص فيها وسمي لاجل ذلك بالحمض الليموني وقد يكون الطعم السكرى متسلطا كما في البرتقان الحقيقي وقد يتسلطن الطعم الحمضي وفي بعض الاحيان يكون تفهاً وفي بعضها يكون مراً وغير ذلك وقد ذكرنا ان أنواع هذا الجنس قليلة ولكن يعسر تعيين صفاتها بالضبط نظراً لكثرة الاصناف التي حصلت لكل نوع منها بالزراعة في الازمنة السالفة الى الآن وقد اشتغل المؤلفون بتحديد ذلك وسيما العالم النباتي المسمي ريصو بكسر الراء فاختار أولا في رسالة ألفها خمسة أنواع : الاول سماه ستروس ميدكا واليه تنسب النباتات التي تسمي سدرات أو سدروت وأصله من آسيا واستنبت قديما في جنوب أوربا الشمالية والثاني ستروس ليطا بكسر اللام وفتح الميم واليه تنسب نباتات البرجموت ولمتيير أى الليمون الحلو وأصله من آسيا واستنبت بإيطاليا والثالث ستروس ليمونيوم وأصله من آسيا واستنبت بأوربا الجنوبية وينسب اليه أصناف الليمون أو النترون والرابع ستروس أورنطيوم وينسب له جميع أصناف البرتقان الحلو وأصله من الهند والخامس

ستروس ولجارس وهو المسمى بيجرد أى الكباد وينسب اليه أصناف البرتقان الذى ثمره مر . واختار تلك الانواع الخمسة دوقندول . ثم ألف ريصو كتابا آخر ترك فيه هذا التقسيم واختار ثمانية أصول رئيسية وتبعه ريشار في القاموس الطبيعي فذكر أصناف النارنجيات الكثيرة الوجود في البساتين فأولا أورنجير ذو الثمر العذب وثانيا بيجرديير أو أورنجير ذو الثمر المر وثالثا برجموتيير ورابعا لمتيير وخامسا بمبلموس وسادسا لومي وسابعا ليمونيير وثامنا سدرتيير . ولنخص كل واحد منها بفضل مخصوص وقبل أن نشرع في ذلك نذكر تقسيم ميره

قال هذا الماهر : هناك نوعان رئيسيان أحدهما أورنجير المسمى عند لينوس ستروس أورنطيوم وأزهاره بيض من الظاهر والباطن والاوراق لها ذنيب مجنح والذكور ٢٠ تقريبا والثمار كرية ولحمها عذب وقشرها رقيق محمر غير ملتصق وثانيهما سترونيير أى ليمون ويسميه لينوس ستروس ميدكا وأزهاره بيض من الباطن وحمر من الخارج وأوراقه عديمة الذنيب والذكور من ٣٠ الي ٤٠ والثمار مستطيلة ولحمها حمضى وجلدها يختلف ثخنه وهي صفر زاهية ملتصقة فالنباتات الليمونية تنقسم الي ٣ أقسام ثانوية الأول ليمون وبالافرنجية سترون وهو عند ريصو ستروس ليمونيوم وثمره مستطيل وقشره أملس رقيق ولبه شديد الحمضية . والثاني سدرات وهو داخل فيما سماه ريصوستروس ميدكا وثمره مستطيل وغير مستو وقشره ثخين جدا ولبه حمضى . والثالث برجموت وسماه ريصوستروس لميتا وثمره كرى صغير وقشره متين ولبه عذب . وأما النباتات البرتقالية فلا يعرف لها الا أصلان رئيسيان أحدهما البرتقان الحقيقي الذى سماه ريصوستروس أورنطيوم وثمره كرى وقشره رقيق أملس ولحمه عذب وثانيهما الكباد المسمي بالافرنجية بيجرد ويسمي عند ريصو ستروس ولجارس وثمره كرى وقشره رقيق خشن ولحمه حريف مر . ويوجد لهذه الاصول أصناف كثيرة سموها بأسماء مختلفة لكن اهتمام الاطباء بها قليل ثم مع الاشتغال الكثير النباتيين لم يزل هناك اشتباه واختلاط في تلك الانواع والاصناف

(الفصل الاول في النارنج والبرتقان)

النارنج ومعه البرتقان بل الشرح المذكور هنا شرح شجرة تسمي بالافرنجية أورنجيير وثمارها أورنج واسم النبات باللسان النباتي ستروس أورنطيون

(صفاته النباتية) هو شجر جميل يكون دائما أخضر وجذعه املس أسطواني متفرع حتى من قاعدته أحيانا وأوراقه متعاقبة وحيدة بيضاوية تكاد تنتهي بطرف دقيق وهي كاملة خالية من الزغب لماعة من وجهيها واذا وضعت بين العين والضوء شوهد فيها نقط صغيرة شفافة هي حوصلات مملوءة بدهن طيار مقبول الرائحة وتلك الاوراق مفصلية مع الذنيب الذى طوله تقريبا قيراط مجنح من حافتيه والازهار بيض كبيرة على هيئة باقات لكن بعدد يسير في أطراف الاغصان ويتصاعد منها رائحة ذكية معروفة لكل أحد والكاس قصير جداً مسطح ذو ٥ أسنان عريضة حادة والتويج ذو ٥ أهداب تقرب لأن تكون ناقوسية والاهداب ايلبسية مستطيلة منفرجة الزاوية عديمة الحامل فيها سموكة ولحمية قليلا وفيها جملة غدد حوصلية شفافة والذكور نحو ٢٠ نصفها أقصر من التويج وهي قائمة متقاربة لبعضها بجوانبها ويقوم منها أنبوبة واسعة من قمتها وهي مندغمة كالذكور حول قرص سفلي الاندغام على شكل حوية تحت المبيض والاعساب بيض منضغطة قليلا ومنضمة ملتصقة اثنين أو ٣ معاً والحشفات مخفية في باطن الزهرة قلبية الشكل حادة وعضو الاناث مركزى طوله نحو طول الذكور والمبيض بيضاوى يقرب الكرية ذو ٨ أو ٩ أو ١٠ مساكن يحتوى كل منها على بزرات عددها من ٤ الي ٦ مرتبطة بالمحور والمهبل غليظ جداً اسطواني منته بفرج ثخين مستدير كرى مصفر القمة قليلا والثمر هو المسمي برتقان او نارنج مستدير فيه بعض انضغاط ولبه عذب سكرى فيه بعض حمضية . فالمسمي نارنج اما حلو واما مالح والحلو كثير السكرية قليل الحمضية جداً والمالح كثير الحمضية قليل السكرية وهذا النبات أصله من الهند والصين وانتقل من هناك الي بلاد العرب ومصر والشام ثم أتي الي ايطاليا وبروونسة والي أمريكا قال ميره ويظهر أنه كان غير معروف للرومانيين وانما كان عندهم الليمون واستنبت بفرنسا في القرن الحادى عشر العيسوى وما زالت

زراعته نمنه شيئاً فشيئاً حتى صار كما هو الآن لكن ذكر ريشار في القاموس الطبيبي أن النارنج كان معروفاً في الخرافات القديمة حيث نمت تلك الاشجار كما قيل في بستان اسبيريد التي هي مدينة قديمة يوجد من آثارها برقة ويقال ان أكثر الشعراء خرجوا منها ولذا سميت الفصيلة اسبيريدية أيضاً. وذكر في التاريخ القديم الخرافي ان من أعمال هركول انه أخذ من بستان اسبيريد واختلف العلماء في محل هذا البستان الشهير فبعضهم جعله في الجزء الغربي من افريقية بقرب جبل الاطلس وبعضهم جعله في موريتاني والغالب كونه في جزء افريقية المبتل بمياه البحر المتوسط وعلى رأى سلميوس ان النارنج انتقل من جبال موريتاني الى ميديا ومن هناك الى بلاد اليونان وايطاليا واستبعد بورى مجيئه من آسيا الى اقاليم البحر المتوسط وانما كان مجيئه من اسبيريد ونظر في قناريا ومادير فعلم أن النارنج تطبع هناك اذا لم يكن أصله من هناك وأما البرتقان ذو الثمر العذب فاتفق المؤلفون على أن أصله من الاقاليم الجنوبية الصين وجزائر بحر الهند وبربان ومن جزائر متفرقة في الاوقيانوس الهادى واغلب المتأخرين يقولون ان البرتغاليين هم الذين أدخلوه أوروبا ولعل هذا هو السبب في تسميته برتقان لان هذا الاسم غير عربي وغير موجود في كتب اللغات وهم يقينا انتشروا في الجزائر المذكورة ودرسوا عليها ولذا توجد الى الآن أشجار برية من اليمونيات في موريس ومسقرنيو وغيرهما وزعم بعضهم أن العرب هم الذين أدخلوه بلاد اليونان وجزائر بحر الروم وايطاليا وبهما كان فقد استنبت الآن جيداً وتطبع في الاقسام الجنوبية من أوربا بل تطبع أيضاً بجزائر انتيلة وامريكا الجنوبية وأفريقا الشمالية واستنبت بفرنسا وايطاليا واسبانيا أى الاندلس و بلاد اليونان ولكن هو كثير جداً ببلاد الاندلس وما حاذاها حيث تتكون منه هناك أشجار كبار تحصل منها غابات حقيقية وبساتين جليلة كبيرة نشأت منها ثروة أصحابها ولم يزل بقرطبة أشجار منها في أراض كانت بساتين لملوك العرب الذين ملكوا تلك البلاد حتى ان منها ما عمره من ٦ أجيال الى ٧ ولما أخذ جذعها في الاضمحلال اضطر لاسناده ببعض

فروع من الاشجار كذا ذكره بورى وذكر أيضاً أن شجر البرتقان لايكون مناسبا لشيء من انواع الحزاز فشجره لايتحمل نوعا منه وأجود البرتقان ذو القشر الحلو يكون عندنا رقيق القشر أملس لامعا عظيم الحجم وكذا يكون في مالطة و بلاد البرتغال . وأما برتقان أسود فهو صغير ولكن مع الجودة وأما مايكون تخين القشر خشنه فيندر كونه جيدا. ولحم البرتقان قد يكون أحيانا ملونا بلون أحمر نبيذى وما يكون كذلك يكون أكثر حلاوة وهذا موجود ببلادنا والكلام على ثمار البرتقان حقه أن يذكر في المعدلات ولكن حيث أردنا استقصاء أجزاء النارنج والبرتقان وغيره من هذه الفصيلة هنا فلا لوم وكلما دخلت في رتبة من رتب الادوية يناسبها شيء من تلك الاجزاء تحيل على هذا الموضع فنقول البرتقان ثمر جليل طعمه سكرى ممزوج بطعم حمضي مقبول جدا مرطب ومن خصائصه حفظه زمنا مابحيث يسهل نقله لمحال بعيدة فلذا يمكن وجدانه في جميع البلاد ولكن الذى يراد نقله لمحل بعيدة يلزم اجتناؤه قبل تمام نضجه حتى قالوا ان ماينقل من برووسة الى باريس في شهر ديسمبر ليباع في الايام من السنة يكون أخضر بالكلية حينما يوضع في المحارات

(قشر ثمر النارنج والبرتقان) نعنى بذلك القشرة الظاهرة للثمر أى جزء الثمر الاصفر المنمرى حسب الامكان من المادة البيضاء العديمة الفعل الموجودة تحته وتلك القشرة غير مستوية أى خشنة فيها غدد مملوأة بدهن طيار و يكفي عرضها بين الاصابع لينقذف منها هذا السائل القابل للالتهاب بعيدا عنها وينال هذا الدهن من تلك القشور بتمزيق الخلايا الخنوية عليه ويجفى مايسيل منها وقد يستخرج منها أيضا بالتقطير في الماء ويسمى الدهن الطيار النارنجي أو البرتقاني

(صفاته الطبيعية) هذا القشر يكون على شكل قطع مسطحة صفر قاتمة خشنة مقطبة من وجه وذلك ناشيء من وجود العدد الكثير من الغدد الخنوية في الرطوبة على مقدار كبير من الدهن الطيار وطعمها مر عطرى حار لذاع ورائحتها مقبولة جدا

(خواصها الكيمارية) يحتوى هذا

القشر كما علمت على دهن طيار كثير محوى في حوصلات كثيرة تصيره شفافا وكالمنخل وذلك الدهن قريب الشبه من دهن الازهار ولكنه أنقى منه واذا ضغط على القشرة تجاه شعلة ضوئية احترق الدهن الخارج منه ناشراً رائحة مقبولة وكذا يحتوى القشر على مادة شديدة المرار والماء والكؤول يأخذان قواعده الفعالة ويستخرج الدهن الطيار من قشر ثمار أنواع النارنجيات باحدى طريقتين فتارة بالتقطير وتارة بالعصر وتقوم هذه الاخيرة من تحويل الجزء الاصفر من القشر الى لب بالحك الناعم بمحكة ثم تعريض ذلك الضغط في منسوج من الشعر فينال سائل ينفصل الى طبقتين احداهما سفلى مكونة من ماء وبعض بقايا وثانيتهما عليا هي الدهن الطيار الذى يكون ملونا دائما وذكي الرائحة جداً أكثر من الدهن المستخرج بالتقطير وهو قليل النقارة لان في محلوله بعض أجزاء ثابتة وبذلك لايكون أهلا لازالة النكت من الثياب لان الدهن وحده يتصاعد وتبقى المادة الملونة ثابتة على المنسوج (انظر مبحث الليمون)

(تحضير القشر) يجفف قشر البرتقان أو النارنج بعد تعريته حسب الامكان من الجوهر الابيض المغطي لسطحه الباطن

(الجواهر التى لاتتوافق معه) كبريتات الحديد ومنقوع الكينا الصفراء وماء الكلس

(الاستعمال) هذا القشر الكثير العطرية الحار الطعم يدخل في كثير من المستحضرات الاقرباذينية ويعمل منه منقوع بأن يؤخذ منه جافا درهم أو ٢ لاجل رطلين من حامل مغلي وقد يركب من هذا المغلي شراب يقال له شراب البرتقان وهناك فرق عظيم بين تأثير هذا الشراب وشراب ماء زهر البرتقان. قال بربيير شاهدت استعمال الشراب الاول جملة مرات غلطا عن الشراب الثاني فحرض احتراقا مؤلماً في القسم المعدى بل وفي الصدر وقلقاً وضجراً وأحدث قيأ مع أن شراب ماء الزهر لم ينتج شيئاً من هذه العوارض والدهن الطيار المحوى في هذه القشور يفيدها خاصة التنبيه فأجزاء هذا الدهن تؤثر في المنسوجات الحية فتثير الحركات العضوية ولا تنس

فعل هذه القوة المؤثرة اذا دخلت تلك القشور في تركيب أقرباذيني ولو على سبيل التعطير وكلما كان القشر أرق كان أعظم اعتباراً وكلما كان شحم البرتقان المغطى به أجود ويجفف القشر ليوضع في العطريات وفي مشروبات الموائد المشهورة بأنها مقوية للمعدة ومهضمة وطاردة للريح واشتهر كونه مضاداً للديدان وغير ذلك ويدخل في الشراب المضاد للحفر وفي الروح الطارد للرياح السلفيوس وفي الصبغة المقوية للمعدة وغير ذلك ويربي وتعمل منه عجائن وغير ذلك وذكر أطباؤنا أن قشر الثمر الخارج اذا جفف وشرب منه وزن درهم ونصف بماء حار أزال مغص الفؤاد حالا وسكن القيء والغثيان واذا شرب مع زيت وماء حار أخرج الدود الطوال واذا نقعت القشرة وهي رطبة في دهن وسيما السيرج وشمست ٣ أسابيع نفعت في كل ماينفع فيه دهن الناردين واذا شرب منه مثقالان نفع من لدغة العقرب وسائر نهش الهوام الباردة السموم وكذا حبه نافع من سموم الهوام كما أن الجذور الدقاق للشجرة اذا جففت وسحقت وشربت بشراب كانت من أنفع الادوية النافعة من السموم الباردة القاتلة والاوربيون يسمون باسم أورنجيت أى النارنج الصغير أو البرتقان الصغير ثمار النارنج أو البرتقان التى تجنى بعد تكونها بزمن يسير وقبل أن تبلغ مقدار حجم الكرز وأكثر ماتجنى من الثمار الساقطة بعد تزهرها بزمن يسير وطعم تلك الثمار مر عطرى وفيها خاصة التقوية والتنبيه واضحة وتقوم مقام الحمض في التغيير على جرح الحمصة ولا تستعمل في فرنسا الا في ذلك. أما في انكلترة فتستعمل كقشر النارنج وتدخل في تركيب كثير من الادوية ويستخرج منها بالتقطير دهن طيار يسمى بدهن النارنج الصغير وخشب النارنجيات صلب مندمج معرق معروف وقابل الصقل الجيد ويعمل منه شبه حمص صغير للحمصة يستعمل كاستعمال الثمار الصغيرة

(المقدار وكيفية الاستعمال للقشر) مقدار مسحوقه من نصف درهم الى درهمين ومنقوعه من درهمين الى ٣ لاجل رطلين من الماء المغلي ومنقوعه المركب يصنع بأربعة غرامات من ذلك القشر وغرامين من مطبوخ قشر الليمون الرطب وغرام

من القرنفل و ١٢٨ من الماء المغلي والمقدار للاستعمال من درهم الى ٤ دراهم بكون ذلك مرتين أو ٣ في اليوم والصبغة النارنجية تعمل بأخذ ٣ من القشر و ٣٢ من الكؤل والاستعمال من درهم الى درهمين والماء الليموني النارنجي من اوقية الى ٤ والشراب النارنجي من أوقية الى اوقيتين والمعجون النارنجي يصنع بأخذ غرام من قشر النارنج الرطب و ٣ من السكر والاستعمال من درهمين الى ٤ والدهن الطيار للقشر من نقطتين الى ٦ نقط والدهن السكري النارنجي مثله ثم أن أوراق النارنج والبرتقان وأزهارهما يلزم ذكرما يتعلق بهما من مباحث العلاج في مضادات التشنج ولكن أردنا استيفاء جميع أجزاء النارنج هنا واذا وصلنا لمضادات التشنج نحيل الكلام في تلك الاوراق والازهار على ماهنا

(أوراق النارنج والبرتقان) قد علمت أن رائحة هذه الاوراق عطرية تتصاعد منها وتزيد اذا دلكت بين الاصابع وطعمها حار مر وهي مملوأة بغدد حوصلية تشاهد اذا وضعت بين العين والضوء ويدخل في تركيبها أيضا مادة خلاصية ومادة تنينية ويلزم أن تجنى وهي في أعظم خضرتها ويطرح منها ماكان متغيراً وما كان متيقاً على الشجر وما يسقط بنفسه ويلزم أن تجفف منعزلة عن بعضها في محل يضطرب فيه الهواء في الظل وصناعة العلاج تجد في هذه الاوراق خاصة مزدوجة فيوجد فيها أولا قوة منبهة من دهنها الطيار وثانيا قوة مشددة أعني مقوية عامة يظهر انها ناشئة من المواد الاخر ويلزم أن ينسب لفعل هاتين القوتين المنافع التي تنال من استعمال تلك الاوراق في ضعف المعدة وبطء الهضم وعدم انتظامه ونحو ذلك ويكتفي عادة في تلك الاحوال باستعمال منقوعها وحده قبل الاكل أو مع نبيذ عند الاكل فهذا الدواء يقوي وينبه عضو الهضم فيزيد في فاعليته وشدته في آن واحد وتستعمل تلك الاوراق كثيرا في الامراض العصبية فبعض أكواب من منقوعها كثيرا ماتنجح لازالة ثقل الرأس المصاحب لضعف القوى العقلية والادبية والكسل وغير ذلك ومن المعلوم يقينا أن تجربة منافعها صيرتها دواء عاديا مستعملا عند العامة من غير استشارة الطبيب في

كثير من الآفات الحيوية والتقلصات الاستيرية أي الاختناقية والتضايقات الوتنية والخفقانات القلبية والهبوط العصبي والآلام والتضايقات المعدية ونحو ذلك مع أنه يظهر من حال الاعضاء التي تظهر فيها تلك العوارض أنها سليمة وانما التأثير الغير المنتظم لانخاع المستطيل للامتدادات الفقرية وخصوصاً للاعصاب المعدية هو الذي كدر الحركات الاعتيادية لتلك الاعضاء وحرض الافعال الغير المنتظمة الحاصلة منها فاذا كان هذا التغير في التأثير العصبي ناشئاً من سبب خفيف بحيث يكفي لاذهاب هذا السبب تنبه يغير الاستعداد الحاضر الجهاز المخي الشوكي كانت تلك الاوراق دواء قوي الفعل لكن أليس لتلك الاوراق في تلك الحالة فعل خاص على المراكز العصبية ؟ أملا ينسب لها هذا الفعل الذي أرجع هذه المراكز لحالتها الاعتيادية وصار حينئذ هو الخاصة المضادة للتشنج ؟ فاذا كانت هذه العوارض ناشئة من عمل التهابي في بعض محال من أغشية المخ أو النخاع الشوكي أو الجوهر النخاعي للصفين المخيين أو الامتدادات الفقرية فان تلك الاوراق لاتناسب حينئذ بل تولد ظاهرات جديدة عصبية يعد أن تسكن الاعراض الموجودة فالتهيج البسيط في الجوهر النخاعي للمخ والنخاع الشوكي ينير النتائج التي تنتجها في العادة أوراق البرتقان قال برمير شاهدت أن هذه الاوراق بتأثيرها في الرأس صيرت هيئة سكر وأعراضا غريبة في النساء المختنقات اللاتي يستشعرن بعمل التواني في المخ وحصل لهم على طول السلسلة الفقرية آلام ست القسم المدى وتضايق يظهر أنه حاصل من الحجاب الحاجز وخرزات منتشرة مبهمة في الصدر وفي البطن ونحو ذلك وشاهدت أن كونه من منقوع هذه الاوراق المقوي المنحل حصل منه اضطراب وحالة صبات وهيئة اندفاع توجه القلب والرأس وكانت مصاحبة لحرارة قوية لكن هذه النتائج لاتحصل الا للاشخاص الموجود في مراكز جهازهم العصبي حساسية متزايدة وحالة مرضية لاتشاهد في الاشخاص الذين جهازهم المخي الشوكي في حالة اعتيادية ولو استعملوها بمقدار كبير كما تيسر لي تأكيد ذلك في البحث عن دواء مضاد للحمى في تلك

الأوراق حين أعطيت مسحوقها بمقدار درهمين في مرة واحدة . وقال بربير أيضاً استعملوا تلك الاوراق علاجا للصرع وظنوا أنهم وجدوا منها دواء مضاداً لهذا الداء . وأقول قد اتضح نجاح أحوال تأكد فيها الوثوق بتلك الاوراق في هذا الداء عند بعض الاطباء ففي جميع المصروعين الذين بلشرت أحوالهم انتهي الحال معي بكشف آفة دائمة فيهم وتلك الآفة هي التي حرضت الآفات النوبية التي ينسب لها النوب الوارضة للصرع ويمكن ان تكون تلك الآفة التهابا مخياً جزئياً أو ورماً في أحد عظام الجمجمة أو ورماً نامياً في الأغشية المخية ضاغطا على الجوهر المخي أو دونا أو خراجا في ذلك الجوهر أو نحو ذلك ويمكن أن يكون مجلس تلك الآفة في القلب اذ كثيراً مايشاهد في المصروعين ضخامة البطين الايسر أو اتساعه واتساع الفتحة الاورطية ولكن في وقت النوبة تظهر آفات أخر فتحصل في الضفائر العصبية العظيم الاشتراكي تركزات حيوية تشير فيها نوع حركة تذهب في القسم الحجابي الحاجز الي الصدر فاذا نفذت في الجمجمة حصل في القسمين المخيين احتقان دموي وغير ذلك في الآفة التي تعالج بتلك الاوراق من تلك الآفات . تقول هي لا فعل لها في معظم الآفات المستدامة التي توجد في المصروعين لكن يمكن بتلك الاوراق التحرس من ظهور الآفات النوبية فتمنع حصول النوب . والاعتبار في هذا هو المقدار المستعمل من تلك الاوراق الموجهة قوتها المؤثر تعاطاة للصرع والتشنجات فاذا اختير مسحوقها استعمل منه كل يوم من درهمين الى أوقية لبوعا أو معجونا فاذا أختير مغليها وضع مقدار من ٣٠ الي ٣٦ ورقة بل أكثر وتغلي في لتر ونصف من الماء حتى ترجع الي لتر واحد ويشرب بالريض في مدة النهار واستعمل بعض الاطباء ١٢٠ ورقة في ٢٠ أوقية من الماء وأضاف لهذا المغلي شيئا من نبيذ أحمر وسكر ومن المعلوم جيداً أن تلك الاوراق اذا استعملت بمقادير كبيرة فان الفعل أي التأثير الحاصل منها يكون عاما فقواعدها تصير المخ والامتداد النقري في حالة جديدة وتقاوم في كثير من الأحوال الاندفاعات التي تخرجها عن الانتظام

وتمنع تولد الآفات النوبية . وقبل أن يعرض المصروع للعلاج بأوراق البرتقان كثيراً مايضطر لتهيء جسمه وتحرس من الاخطار التي يمكن أن تصدر من تنبه لجائي شديد في جميع المنسوجات العضوية فاذا كان ممكنا عولج بالفصد المناسب وكثيراً مايضطر للاستحمامات ونحو ذلك ولا ننس أنه يلزم غاية الاحتراس في علاج الآفات العصبية والتشنجية ونحو ذلك اذا أنحط الرأي علي ايقاف صبر العوارض المرضية أو ازالة شدتها بدواء من الادوية اذ هذه الامراض تكابد بطبيعتها تردداً وتقطعا بدون معرفة سبب ذلك فيلزم خصوصاً في الصرع والتشنجات والتقلصات ونحوها أن لا تنسب التحسينات التي تعرض مدة استعمال الدواء الطبي لذلك الدواء وانما تنسب الطبيعة وحدها ومعناه أن نسبتها للدواء المستعمل مشكوك فيها . قال بربير أيضاً قد استعملت مسحوق هذا الدواء كدواء مضاد للحمي فرأيت أن مقدار درهمين في نصف كوب من نبيذ أو من ماء سكري سبب أولا ثقلا في الجسم المعدي وضيق نفس وقطع الشهية وآثار القلس والقرف من الاغذية مدة ساعات وما شاهدت منه التهيان والعطش الا نادراً ثم عرضت قولنجات وحركة في البطن بدون اسهال وحصل لبعض المرضي في اليوم التالي اسهال ولما أعطيت هذه الاوراق بهذا المقدار لم يتعرض منها ظاهرة مخيفة ولا تكدر في ممارسة الحواس ولا في الادراكات ولا في القوى العقلية وأوراق البرتقان أو السارنج وامعطة ضعيفة في علاج الحميات المتقطعة فاستعمالها يكاد لا يحدث تنوعا في النوب وزيادة علي ذلك ان المقدار اللازم اعطاؤه في ذلك كبير جداً بحيث يعسر تناوله فتقذفه المرضي ويكرهون استعماله انتهي

(الاجسام التي لا تتوافق مع تلك الادوية) كبريتات الحديد ومنقوع الكينا الصفراء وماء الكلس

(المقدار وكيفية الاستعمال) قد علمت مما سبق ان أوراق البرتقان والنارنج تستعمل مسحوقة بمقدار من ١٢ قمحة الى غرام بل أكثر في مرة واحدة واذا أريد منها نتيجة عامة استعملت بمقدار درهمين الي نصف أوقية ومنقوعها يصنع بمقدار درهمين لاجل رطلين من الماء

وكذا منابها أى مطبوخها الأن المطبوخ لايحتوى الا على يسير من جزئها العطرى وانما يوجد فيه بالاكثر قواعدها المرة وأما المنقوع فيحتوى على جميع الجزء العطرى ولذا كان أعظم. وكثيراً ماتجمع مع الزبزفون والمياه المقطرة للأوراق مثل المياه المقطرة للازهار كما أن معظم مستحضرات الاوراق كالازهار سنذكرها في مبحثها الآتى على الاثر

(أزهار النارنج والبرتقان) هي أزهار النبات المسمى صغروس أورنطيوم كما سبق وهذه الاهداب الزهرية المتمرية عن الكاس أو غيره من أجزاء الزهرة شديدة الرائحة وفيها مرار يسير والعطر المتصاعد منها ممدود من أجل الاعطار المعروفة لكن لاينبغي استنشاقه في بيت صغير مغلق وسيما في الليل خوفا من الاختناق ويجنى ذلك الزهر طريا لاجل استعماله لانه اذا جف فقد جزءاً عظيما من عطريته بحيث لايعرف حينئذ وفي البلاد الحارة لايكون لاجتناء الازهار وقت معلوم فقد تجنى في معظم السنة لكون الشجرة تحمل منها دائما كما تحمل من الثمار كذلك اذا لايجنى الا جزء من ذلك ويترك الباقي على الشجرة ليصير ثمراً كاملا أما في أوربا فلا ينضج من ذلك الثمار الا يسير. كذا قال أطباء الاوربيين مع ان اجتناء الازهار له في بلادنا وقت معلوم وهو أوائل الربيع ويجمع من ذلك الازهار الساقطة تحت الشجر مقدار كبير يجمعه الزراعون ويبيعونه للتعطير ولا يأخذون مما على الشجر الا اليسير بل لايأخذون شيئاً وذكروا أن الشجرة في تيس من أعمال فرنسا قد يؤخذ منها من ٢٠ الى ٣٠ رطلا من الزهر ويؤخذ منها من نضيج البرتقان ألف وربما ارتفعت الشجرة هناك من ٤٠ الى ٥٠ قدما فرنساويا ويقال ان في فينسال من أعمال ايطاليا أيضا قد يؤخذ من الشجرة الثمار من ٥ آلاف الى ٦ آلاف في السنة

(الخواص الكيماوية) يستخرج من زهر البرتقان أو النارنج بالتقطير ماء مقطر تختلف صفاته باختلاف البلاد الآتي منها فمنها مايكون فيه دهن ومنه مالا يكون فيكون صافيا شفافا واذا سد بخشب الخفاف حمض وفسد وصار شديد المرار وأكد هنري أن الماء المقطر

بالبخار لايحمض ولا يرسب منه ندف ولا ينفصل منه دهنه بل يبقي محفوظا جيداً وذكر رويل أنه يمكن تحضير هذا الماء في كل وقت ويكفي لذلك تحويل الزهر الي عجينة في ربع وزنه من الملح عند اجتنائه ويجعل ذلك المخلوط في قنينة يؤخذ منها عند الحاجه فيمكن تقطير هذه الازهار بعد جملة سنين فيكون الماء ذكي الرائحة كما يحضر من الازهار الرطبة وأكد ذلك سلفيير أيضا

(الاستعمال) الفعل المنبه للازهار قليل الشدة ولكن يؤثر تأثيرا واضحا على المجموع العصبي كتأثير مضادات التشنج فيستعمل منقوعها ومقطوعها لمقاومة الآفات العصبية والاكثر استعمال مائها المقطر فيستعمل هذا الماء المر الطعم وحده كثيرا بالملاعق الصغيرة أو يضاف على مشروبات المرضي وقد يكون هو الداخل في كثير من الجرعات ويخدم أيضا لتعطير المربات والسكريات والمياه السكرية التي تستعملها الناس بعد الاكل لتقوية الهضم أو لدفع التكدرات الوقتية فتصير بذلك تلك المشروبات نافعة مقبولة وقد يحول ذلك الماء الي شراب ويركب أيضاً من هذه الازهار هنيرى مقبول وكحولات وتلك الازهار تحتوى على دهن طيار لطيف ثمين أشقر اللون حريف قوى الرائحة ينال بالتقطير ويسمى في بيوت الادوية بدهن زهر النارنج والبرتقان (دهن نيرولي) ويحتوى هذا الدهن على رأى بليصون على مادة قابلة للتبلور يمكن أن تعد في الاجسام الدسمة ولها خواص تميزها عن الاجسام الشبيهة بها مثل امبر يثين وقولسترين وغير ذلك. كذا قال ميرم. وقال سو بيران النيرولي أى دهن الزهر يحتوى على دهن صلب قابل للتبلور كشفه بليصون وماء أورادوفصله بوضع النيرولي في الكحول الذي في ٨٥ من مقياس الكثافة لجيلوساك وتركه ساكنا مدة أيام. انتهى ووجد بوليبه في تلك الازهار غير الدهن الطيار قاعدة صفراء مرة تذوب في الماء والكحول ولا تذوب في الايثير ومادة سمنية وزلالا وخلات الكلس وحمضا خليا زائد المقدار. ويحقق بلنس انه يوجد فيه كبريت كما وجد بوليبه أيضا في هذا الدهن المادة المذكورة التي تتجمد وتصير دسمة كبياض القيطس أى من السمك وليس لها رائحة

ولاطم وهي المادة التي ذكرها بليصون وهذا الدهن الطيار يخدم للتعطير مستحضرات دوائية مختلفة مثل بلسم أبودلدوك وغيره والماء المقطر يؤثر على الاعضاء الحية تأثيرا منبها خفيفا فاذا استعمل بالملاعق الصغيرة سكن أو أضعف العوارض التشنجية الناشئة من تغيير تأثر الاعصاب على الاعضاء الرئيسة وأذهب الضايق والقيء والتجمعات الهوائية في الامعاء والقولنجات والخفقانات القلبية وجميع أنواع الحركات التشنجية ونحو ذلك مع أن الادوية المنبهة الاخر قد لاتنجح في هذه العوارض أقلا ينسب احداث النتائج العلاجية المناة في تلك الحالة لتأثير المنبه الذي في الماء المقطر المذكور أليس هذا الماء المر محتويا على قاعدة يكون تأثيرها على المسخ والتخاع وأعصاب المجموع العقدي هو سبب نجاح علاج تلك الآفات العصبية . والغالب استعمال هذا الماء في الحيات الغير المنتظمة قبل استعمال الوسايط القوية التي فيها قوة على اذهاب التقلصات والتضايق والتوتر الناشئ في الحجاب الحاجز فان هذه أعراض تضاعف الداء وتزيد في الاخطار

وهذا الماء يدخل في أغلب الجرعات المضادة للتشنج في كثير من المستحضرات الوقتية التي تقاوم بها الآفات العصبية ككثير من المركبات الطبية المسخرة أيضا كالماء الالهي والملكي والاكسير المقوي للمعدة والمطبوخ الابيض وغير ذلك ويؤخذ ذلك الماء سواء من أزهار النارنج أو البرتقان الذهب أو النارنج المربى بفضل المستخرج من أزهار النارنج المر لان رائحتها أذكي . وقال أطباؤنا ثم الزهر يقوي الدماغ ويطرد الرياح ويحلل الزكام الخفيف واذا احتمل أدر الطمث وشربه ينفع من لسعة العقرب ويعمل منه دهن يقوم مقام دهن النارديين في جميع خصاله وهذا ألطف منه واذا شرب نقيعه سهل الولادة مجرب . وقال انه يستقطر معه ماء طيب الرائحة ذكي مفرح واذا جعل الزهر في الشيرج ٣ أسابيع ناب ذلك الدهن عن دهن النارديين وغيره . انتهى

(المقدار وكيفية الاستعمال للازهار)

تستعمل أهداب الزهر منقوعة أيضاً بمقدار من غرامين الى ٥ غرامات لكل من الماء ليكون هذا المشروب مقويا ومضادا للتشنج في آن واحد وقد يكون

نافعا أيضا لمقاومة ضعف المعدة والآفات العصبية مع كون هذا المنقوع مقبولا للشرب جداً . نعم المستعمل منه عموما ماؤها المقطر في الآفات العصبية والتشنجية وكيفية تحضيره أن يؤخذ من الازهار المجنية جديداً خمسة كيلو غرامات ومن الماء العام المقدار الكافي وتوضع الازهار بدون تراكم على حجاب حاجز منقب ومهيأ في الجزء العلوي من القرعة التي يصب فيها قبل ذلك المقدار اللازم من الماء ويتمم جهاز التقطير ويقطر بالبخار ويناقي السائل المتكاثف في مرسب لاجل عزل الدهن الطيار منه ويداوم على التقطير حتى ينال من الماء المقطر ٢٠ كيلو غراما وهذا الماء هو ماء زهر النارنج المزدوج على حسب الدستور اذا استخرج ٥٠٠ غرام ماء من ٥٠٠ غراما من الزهر فاذا استخرج من الماء بقدر الزهر ٤ مرات حصل ماء زهر النارنج المربع واذا وضعت الازهار مع الماء البارد كما كان يفعل سابقا ثم على النكل كان الناتج منكدرا . أما اذا وضع الزهر بعد غلي الماء فان الناتج يكون صافيا ويوصل ذلك اذا قطرت الازهار بالبخار كما ذكرنا . ثم ان الحمض الخلي الذي يحتوي عليه ماء زهر النارنج يمر بالتقطير وسيما في آخر العملية وجل منع وجود هذا الحمض في الماء حيث يكون خطراً اذا مر هذا الماء في أواني من نحاس ذكر بوليه ان يخلط كل ٥٠٠ غرام من الزهر بثمان غرامات من المنتيسيا والمقدار للاستعمال من الماء المقطر من ٣٠ غراما الى ٥٠ غراما في جرعة ويحضر شراب زهر النارنج بجزء من الماء المقطر وجزء من السكر الشديد البياض والمقدار منه للاستعمال من ٣٠ الى ٥٠ غراما . وأما عطر أزهار النارنج المسمى نيرولي فينفصل على سطح الماء اذ قطر زهر النارنج ويحتوي ذلك العطر كما قلنا على نوعين من الدهن الطيار أحدهما سائل والثاني صلب سماه بليصون باسم أوراد وينفصل اذا صب الكحول الذي في ٣٥ درجة من الكثافة في الدهن الطيار الخام ويستعمل هذا الدهن المسمى نيرولي على السكر بمقدار من ٢ الى ٦ نقط كدواء مضاد للتشنج ومنقوع زهر النارنج يصنع كمنقوع الاوراق بمقدار من ٥ غرامات الى ١٥ لاجل كيلو غرام من الماء والكحولات أي الصبغة للازهار

أو الاوراق أو قشور الثمار يصنع بأخذ غرام منها و ٤ غرامات من الكؤول الذى في ٢٤ درجة من الكثافة والمقدار للاستعمال من غرامين الي ١٠ غرامات في جرعة

(الفصل الثاني في الليمون وقشره)

الليمون وقد تحذف نونه سماه لينوس ستروس ميدكا وسماه ريصوستروس ليمونيوم وبعضهم يرى أن هذا اسم لنوع غير الاول وانه المسمي ليمونيير بالافرنجية وأما الاول فهو المسمي بالافرنجرية سترونيير وقد يسمي بما معناه الليمون الاعتيادى ولكن الاكثر علي أن مدلول الاسمين واحد . وهو ينبت طبيعة بالهند ثم حمل الى آسيا وأوربا الجنوبية ووصل الي جبال البرينيا ويعلو أكثر من شجر النارنج وساقه معتدلة متفرعة تفرعا كثيراً وهي غالبا بنفسجية وتحمل شوكا سيما في الحالة الوحشية وأوراقه بيضاوية مستطيلة منتهية بحرف دقيق مسننة لونها أخضر مصفر ومحموله علي ذنيبات مفصلية بدون تجنح في جوانبها والازهار عديدة متوسطة العظم ومهيئة غالبا بهيئة عناقيد ملونة من الخارج بلون أحمر بنفسجي وكاسها قصير يقرب لأن يكون مسطحا ذا خمسة أسنان والاهداب ٥ عديمة الحامل والذكور سائبة في الغالب غير ملتصقة بأعسابها علي هيئة حزم والثمار بيضاوية صفر زاهية وجلدها رقيق تختلف رقته باختلاف الاصناف وهو أملس وأحيانا يكون ثخينا خشنا وتنتهي الثمار من الاعلي بحلمة مخروطية واللب المحوى فيها مملوء بعصارة حمضية مقبولة ومن تلك الثمار ما يبلغ رأس الطفل التام الاشهر وحويصلات الدهن الطيار الذى في القشر مقعرة والمستعمل من النبات ثمره المسمي سترون وبزوره وقشر ثمره المسمي زيست وأصناف هذا النوع كثيرة واستنبت بالاكثر في حوض البحر المتوسط ويندر وجودها في بساتين البرتقانيات بباريس والفضل في انتشارها لخلفاء العرب الذين امتدت سلطنتهم لعمق آسيا الجنوبية والي جبال البرينيا وتركوا في جميع الاماكن التى كانت تحت أيديهم آثاراً مهمة من قوتهم ومعارفهم في الطب والزراعة فشجر الليمون من جملة ما انتشر في الجهات التي استولوا عليها فلذا يوجد في بلاد الشام وفلسطين أشجار منها

من أواخر القرن الحادى عشر العيسوى بل يظهر أنه في ذلك الزمن نفسه تضاعف بافريقة وبلاد الاندلس ويظهر أن المحاربين الذين تصدوا لقتال المسلمين في الحروب المشهورة هم الذين أدخلوا شجر الليمون ايطاليا وسيسليا ونشر الليمون له رائحة جميلة مخصوصة وهو أحد العطريات التي يرغب فيها بسبب ما فيه من الدهن الطيار ويحضر من هذا القشر سوائل وعطريات ومربيات وغير ذلك ويصنع منه شراب ويدخل في المياه الترياقية والمياه المليسية المركبة والماء الملكي وغير ذلك ولبه يدخل في الاقراص المعدية والاقراص الليمونية والقشر المذكور مقو وطارد للرياح والدهن الطيار المستخرج منه سائل ليموني شفاف رائحته ذكية جداً واذا نيل علي البارد ونقي كان عديم اللون وينفع للتعطير ويدخل في صناعة عمل الارواح وفي أعمال بيوت الادوية وفي بعض الترياقات وغير ذلك. ويستعمل ضد الدود القرع . والدهن المستخرج بالتقطير يكون أقل ذكاوة ويخدم لازالة الشحم من الخرق والثياب والدهن الليموني يتحد بالحمض المرياتي ويتكون من ذلك شبه ملح يصح أن يسمى مريات ليموني وبزر الليمون حريف مر يقال انه مضاد للديدان والسموم ونحوها وهو من الادوية المقوية والطارة للرياح ويدخل في معجون الياقوت ومعجون سليمان والمغلي المر والمسحوق المضاد للديدان . ويحضر من قشر جذور الليمون في جودلوب خلاصة تستعمل كمسحوق في الحميات علي رأى بعضهم وذكر أطباؤنا لليمون منافع جليلة وحصروا منافعه أيضا في القشر والحماض والبزر وقالوا أما القشر فيظهر من مرارته وحرافته اليسيرة وقبضه الخفي وعطريته الظاهرة أن طبيعته التسخين القريب من الاعتدال والتجفيف البين ولذا كان مزاجه حاراً يابساً ولما فيه من المرارة والقبض والعطرية كان مقويا للمعدة خاصة ومنبها لشهوة الغذاء ومعيناً علي جودة الاستمراء ومطيباً للنكهة محركا مطيباً للجشاء مقوياً للقلب مصلحاً لكيفية الاخلاط الرديئة وفيه مع ذلك باد زهرية تقاوم بها مضار السموم المشروبة والمصبوبة ويخلص منها هذا حكمه اذا أخذ علي جهة الدواء فأما علي جهة الغذاء فهو عسر الانهضام بطيء الانحدار قليل الغذاء

ويدل على ذلك صلابة جرمه وعسر مضغه وبقاء طعمه ورائحته في الجشاء مدة طويلة وأما حماضه فحقه أن يذكر في المعدلات وأما بزره ففيه بادزهوية يقاوم بها سم ذوات السموم كبزر الاترج الحامض الا أنه أضعف منه قليلا والشربة منه من مثقال الى درهمين مقشوراً أما بشراب واما بماء حار ومضغه يذهب ضرس حمض الليمون قالوا والليمون المملوح ادام حسن يطيب النكهة والجشاء ويقوى المعدة ويذهب بلتها ويعينها على جودة الاستمراء وهضم الأغذية الغليظة ويزيل وخامتها ويقوى القلب والكبد ويفتح سدد الكلى ويدر البول وينفع من كثير من العلل الباردة كالفالج والاسترخاء ويقاوم سم ذوات السموم وقالوا ومن الليمون صنف مركب على أترج يسمى بالليمون الصيني وهو الاستيوب المعروف في مصر بالحامض الشعيرى أو الليمون الشعيرى ويسمى أحيانا بليمون أضاليا انتهى . وأما الدهن الطيار فهو واحد في جميع النباتات النارنجية التي منها الليمون واستخراجه من الليمون كاستخراجه من غيره فاذا قطر الزهر انفصل مقدار من الدهن يسبح على سطح الماء ويسمى نيرولي كما ذكرنا ورائحته عطرية ذكية تختلف عن رائحة الازهار قال سوبيران ويظهر أن النيرولي ناتج من تغير الدهن الطيار الطبيعي فأن هذا الطبيعي أكثر ذوبانا من النيرولي ويبقى محلولا في الماء ويمكن اثبات وجوده فيه بتحريك الماء المقطر مع الاثير الخالي من الكؤول فالاثير بتصاعده من نفسه يترك مقداراً يسيراً من دهن طيار رائحته مثل رائحة الازهار ويذوب بسهولة في الماء وقد ذكرنا أن النيرولي يحتوى على دهن صلب قابل للتبلور سماه بليصون أوراد وفصله بالكؤول كما سبق وقد علمت أن قشر الثمر تنبذر في جزئه الخارج حوصلات أو خلايا مملوأة بدهن طيار منه بخلاف جزئه الابيض فأنه يحتوى على مادة مرة تكون على شكل خلاصة مرة لا تذوب في الاثير وتذوب في الكؤول وكشف في قشر الليمون أيضاً جوهر قابل للتبلور سموه سابقا اسبيردين ويظهر كما قال سوبيران انه ينسب للراتينجيات القابلة للتبلور وهو لا يذوب في الكؤول البارد أو يذوب فيه قليلا وليس للاطباء في هذا الجوهر اهتمام طبي وينبغي أن

تعلم أولا أن بزور النارنجيات لا تحتوى على دهن وانما تحتوى على مادة مرة قابلة للتبلور سماها برنيه باسم ليمونين وهي غير قابلة للذوبان في الماء ولا في الاثير وتذوب جيداً في الكؤول وفي الحوامض الممدودة وثانيا أن الادهان الطيارة المستخرجة من الليمون أو غيره من النارنجيات تستخرج كما ذكرنا سابقاً بالعصر أو بالتقطير فقشور الليمون أو النارنج أو البرتقان أو الاترج أو البرجموت أو الليميت أى الاستيوب تجهز مقداراً من الدهن يكون على حسب ما في هذا الجدول

				بالعصر	بالتقطير
برجموت	١٠٠ بالعدد فيها من اللب	٣	كيلو غرامات و ٥٥٠ غراما	٨٠	٠٠
أترج	مثله	٣	٠٠٠	٥٠	٢٧
ليمون	مثله	٣	٥٠٠	٦٠	٤٤
استيوب	مثله	٣	٥٠٠	٣٠	٣٤
برتقان	مثله	٣	٦٠٠	٨٠	٨٨

والدهن الطيار لليمون مركب من ١٠ من كربون و ٨ من أدروجين فيكون تركيبه مثل تركيب الدهن الطيار للتربنتينا ولكن سعته للشبع مزدوجة ويحصل منه مع الحمض كلورادريك كافوران أحدهما صلب والآخر سائل ودهن الليمون سوى رائحته يتميز أيضا عن دهن التربنتينا بكونه فيه قوة الدوران الى اليمين لا الى اليسار ومثل ذلك الدهن الطيار للاترج والاستيوت والبرجموت فان تركيب هذه الادهان واحد ودورانها لجهة واحدة . قال سوبيران ومع ذلك يظهر أن دهن البرجموت يحتوى على دهن أوكسيجيني ليس هو الا الادرات الذى شاهدته مع الكيماوى المسمى قبطان ويوجد أيضا مقدار يسير جداً من دهن أوكسيجيني في الادهان الاخر للنبات النارنجية والمستحضر المسمى بالدهن السكرى يصنع بنقطة من الدهن الطيار و ٤ غرامات من السكر يمرحان بالتهوين وتلك المستحضرات هي المستعملة في العادة كعطر من الاعطار وهي ذكية الرائحة اذا نيلت بحك السكر على القشر الرطب للثمر ثم تهوين ذلك لاجل انالة

مسحوق متحمل أيضاً للدهن في جميع أجزائه فيؤخذ لذلك ليمونة أو نارنجة أو برتقانة واحدة و ٨ غرامات من السكر وتحضر كؤولات الليمونات بأخذ غرام من قشر ثمر الليمونيات و٦ من الكؤول وبعد ٣ أيام أو ٤ من النقع يقطر الى الجفاف على حمام مارية ويحضر بمثل ذلك كؤولات البرتقانيات والنارنجيات والاترج والبرجموت . وذكر سوبيران هنا ماء قلونيا وجهزه بأخذ ١٦ غراماً من كل من الدهن الطيار لكل من الليمون والبرجموت والاسنبوب والنارنج والحبوب الصغيرة النارنج و ٨ من كل من الدهن الطيار الاترج واكليل الجبل والخزامي وأزهار النارنج والبرتقان و ٤ من الدهن الطيار القرفة و ١٥٠ من الكؤول الذي كثافته في مقياس كرتيير ٣٤ فتحل الادهان في الكؤول وبعد بضعة أيام يقطر على حمام مارية حتى يقرب من الجفاف ويضاف على النارنج ٢٠٠ غرام من كؤولات الليسا المركب و ٣٠ من كؤولات الرومران أي اكليل الجبل النعنعي وقال بوشرده في تحضير ماء قلونيا يؤخذ من الدهن الطيار لكل من البرجموت والليمون والاترج ٩٦ غراماً ولكل من اكليل الجبل وزهر النارنج والخزامي ٤٨ غراما ومن دهن القرفة ٢٤ ومن الكؤول الذي في ٣٤ من مقياس كرتيير ١٢٠٠ ومن كؤول الليسا المركب ١٥٠٠ غرام ومن كؤولات اكليل الجبل ١٠٠٠ غرام تذاب الادهان في الكؤول ويضاف لها النوعان من الكؤولات وتترك ملامسة لبعضها مدة ٨ أيام ثم تقطر على حمام مارية الى أن لايبقى في القرعة الا خمس المخلوط في السائل فالمقطر هو ماء القلونيا كذا في الدستور . وهذا الماء أكثر مايستعمل للزينة والتعطير ويقل استعماله للداوي فيصح استعماله مروخات خفيفة منبهة وصبغة قشور الليمون تحضر كتحضير صبغات غيرها من النارنجيات فيؤخذ غرام من القشور و٥ غرامات من الكؤول الذي في ٢١ من مقياس كرتيير فينقع ذلك مدة ١٥ يوماً ثم يصفي مع العصر ويرشح وهذه الصبغة دوائية وتحتوي في آن واحد على الجزء العطري والجزء المر الذي في القشر فاذا استخدمت للتعطير حضرت بأن يوضع في قنينة مع الكؤول النقي الجزء الاصفر الخارج العطري

الذي أخذ على هيئة خيوط رقيقة بواسطة سكين ويوجد في تلك الصبغة جميع ذكاوة الثمر الرطب وهي أهل لتعطير الاطعمة والتحاضير الدوائية ويحضر بتلك الكيفية شراب القشر من النارنجيات المرة فيؤخذ غرام من القشر و ٧ من الماء المغلي ومقدار كاف من السكر الابيض أي يقرب الى ١٠ غرامات فيصب الماء المغلي على القشور وبعد نقعه ١٢ ساعة أو ٢٤ يرشح السائل ويذوب في اناء ممدود ١٨٠ غراما من السكر لكل ١٠٠ غرام من السائل فعشرة غرامات من الشراب تعادل نصف غرام من قشر النارنج المر أو غيره وشراب القشر الرطب الليمونيات كشراب قشر البرتقان أو النارنج المذنب يحضر بجزء من القشر الرطب الرقيق النارنج أو غيره و٥ غرامات من الماء المغلي فيعمل شراب بذوبان بسيط لمائة جزء من المنقوع و١٨٠ من السكر

﴿ نار شك ﴾ قال داود الانطاكي فارسي معناه رمان برى قيل هو الجلنار أو بريه أو أقماع المندى منه أو هو رمان صغار لايفتح عن بزر يل عن شيء أحمر يوجد بخراسان وهذا هو الصحيح وهو حلو يابس في الثانية أو هو بارد في الاولى أجل منافعه قطع البخار عن الرأس وازالته الوسواس والماليخوليا ويحبس النزف والاسهال ويشد الاعضاء ويهضم بالعصر ويزيل الزوجات شربا والعرق وسيلان القروح طلاء وزوراً وهو يضر المثانة ويصفر اللون ويصلحه دهن اللوز والمرارة خصوصا ان كان حره في الثالثة كما قيل وتصلحه الهندبا وشربته درهما وبدله نصفه قشر فستق وربه زنجبيل وسدمه سنبل أو بدله مثله كمون

﴿ نار كيوا ﴾ هو فلفل الماء لا الخشخاش الاسود وهو فوق ثلاثة أذرع ورقه كورق الزيتون أسود شديد الملاسة حب كالبندق الى السواد قوى الذع والحرافة حار يابس في الثانية يحلل الرياح شربا ويزيل الاورام والآثار طلاء (ومن خواصه) ان الكرسنة والبسلة وما قاربهما اذا سلق في مائه وجفف وغش به الفلفل لم يعرف واذا مسح به الوجه عند القيام من النوم نفخه وحمر لونه جداً ويهدلس المواشط

﴿ نار قيصر ﴾ نبت دقيق أحمر الى

صفرة خفيفة يجلب من الروم ويسمي بمصر ساق الحمام وهو عطرى طيب الرائحة حار يابس في الثانية يحلل الرياح والمغص ويفتح السدد ويقال انه يفرح ويدر البول والدم شربا ويحلل الصلابات وضربان المفاصل طلاء وشربته الى مثقال

﴿ ناصور ﴾ النواصير هي قنوات ضيقة مستطيلة غالباً يخرج منها صديد واذا كانت مستطرقة الي قنوات طبيعية فيخرج منها متحصلات افراز أو مواد تمر في تلك القنوات

وتحصل النواصير من عدم التصاق جدران الجرح الخارجة بعضها ببعض لأن جلد الخارجة يكون على الغالب رقيقا ومنفصلا عما تحته فلا توجد فيه العروق الدموية الكافية لافراز الليمفا المكونة التي يتم بها الالتصاق فتخلف عنها النواصير. وقد علمنا ان تباعد الحوافي يمنع الالتحام وقلنا بوجوب تقريبها ووضع العضو الوضع اللائق لذلك فاذا لم تراع هذا الشرط تولد الناصور. ومن الاسباب أيضاً استمرار مرور القيح في مجرى طويل يمتنع به الالتحام ويشاهد ذلك بنوع خاص عند وجود جسم غريب أو عظم متسوس

العلاج — يختلف باختلاف نوع الناصور فالنواصير الجلدية تعالج بالضغط بلا زوق وبالحقن المنبهة والقابضة فان لم ينجع ذلك يستدعي الطبيب لشق الجلد المنفصل وكشف قعر الجرح ومعالجته اذ ذاك كجرح بسيط

أما النواصير المستطرقة الي التجاويف الطبيعية أو المسببة عن نخر وتسوس في العظام فعلاجها منوط بالطبيب دون سواه

﴿ ابن ناقيا ﴾ هو ابو القاسم عبد الله وقيل عبد الباقي بن محمد بن الحسين ابن داود بن ناقيا الاديب الشاعر اللغوى المترسل

قال ابن خلكان هو من أهل الحريم الظاهرى وهي محلة ببغداد وكان فاضلا بارعا وله مصنفات حسنة مفيدة منها مجموع سماه ملح الممالحة ومنها كتاب الجمان في تشبيهات القرآن وله مقامات أدبية مشهورة واختصر الاغاني في مجلد واحد وشرح كتاب الفصيح وله ديوان شعر كبير وديوان رسائل وذكره العماد الاصبهاني في كتاب الخريدة وأثنى عليه وذكر طرفا من أحواله وأورد له هذين

البيتين في بعض الرؤساء واقتصد فكتبهما اليه

جعل الله ذو المواهب عقبا
ك من الفصد صحة وسلامة
قل ليمناك كيف شئت استهلي
لاهدمت الندى فأنت غمامة

ولقد أجاد فيهما ومن شعره أيضا :

اخلاى ما صاحبت في العيش لذة
ولا زال عن قلبي حنين التذكر
ولا طاب لي طعم الرقاد ولا اجتنت
لحاظي مذ فارقتكم حسن منظر
ولا عبثت كفي بكاس مدامة
يطوف بها ساق ولا جس مزهر

وكان ينسب الى التعطيل ومذهب الاوائل وصنف في ذلك مقالة وكان كثير المجون. وحكي الذى تولى غسله بعد موته انه وجد يده اليسرى مضمومة فاجتهد حتى فتحها فوجد فيها كتابة بعضها على بعض فتمهل حتى قرأها فاذا فيها مكتوب :

نزلت بجار لا يخيب ضيفه
أرجي نجاتي من عذاب جهنم
واني على خوف من الله واثق
بانعامه فالله أكرم منعم

ومولده في منتصف ذى القعدة سنة عشر وأربعمائة. وتوفي ليلة الاحد رابع المحرم سنة خمس وثمانين واربعمائة ودفن بباب الشام ببغداد رحمه الله تعالي

وناقيا بفتح النون وبعد الالف قاف مكسورة ثم ياء مثناة من تحتها مفتوحة وبعدها الف وقد تقدمت له أبيات مرثية في ترجمة الشيخ ابي اسحق الشيرازى

﴿ نانخواه ﴾ هذا الاسم معرب عن نانخاه الفارسى ومعناه طالب الخبز كأنه يشهي الطعام اذا القي على الارغفة قبل خبزها أو في عجينة الخبز وأهل مصر تسميه نخوة هندية وأهل الاندلس يسمونه نانخة وهو أيضا الكمون الملوكي ويسمي بالافرنجية أمي بفتح الهمزة وتشديد الميم المكسورة وقد جعل الآن عند النباتيين اسما لجنس من الفصيلة الخيمية خماسى الذكور أحادى الاناث ولهذا الجنس مشابهة كبيرة واضحة ولجنس دوقوس حيث لا يختلف عنه الا بثماره الغير المرصعة بنقط شوكية اذ يوجد له كأس كامل وتويج ذو ٥ أهداب متساوية قلبية الشكل و ٥ ذكور ومهبلان متباعدان عن بعضهما

محيط وريقي علم ثنائي التشقق ومحيطات وريقية زهرية خاصة مركبة من وريقات ريشية أو بسيطة وثماره صغيرة بيضاوية وفيها على كل وجه ٥ أضلاع بارزة ويدخل في هذا الجنس ٥ أنواع أو ٦ تقرب في الشكل من نباتات الجزر واكثرها استعمالا هو المقصود لنا هنا المسمى عند لينوس بالسان النباتي اي ماجوس

(صفاته النباتية) الساق تعلو من قدم الى قدمين محززة تقرب لان تكون زوويا وهي عديمة الزغب والاوراق السفلي ثنائية التريش ووريقاتها بيضاوية سهمية بسيطة أوفصية في القاعدة مسننة تسنينا منشاريا عديمة الزغب والعليا ووريقاتها ضيقة مستطيلة والمحيط الوريقي الزهري العام وريقاته ثلاثية التشقق وأضيق ومستطيلة والمحيط الوريقي الخاص وريقاته نحو ١٢ وتقرب لان تكون دقيقة خشنة والاهداب ذوات فصين منحرفين والازهار بيض وتزهر في يوليه ويوجد هذا النبات في الحال المزروعة بأماكن كثيرة من أوربا وبلاد العجم والمستعمل من النبات بزوره

(صفاتها الطبيعية) هذه البزور صغيرة مخضرة محززة مستطيلة عديمة الزغب منتهية بطرفين دقيقين ورائحتها ضعيفة . وقال أطباء العرب هي حب معروف أصغر من الكمون ويشبه حب الخردل قوى الرائحة والحدة والحرافة يجلب من الهند وبلاد فارس وينشأ في مصر ببزر الخلال أي الوخشيرك والفرق ضعف المرار وأجوده الصغار الرزين المائل الى حمرة وبياض . انتهى . لكن تقول شبهه لحب الخردل بعيد جداً واما شبهه الوخشيرك فقريب وأما النبات المسمي أمي وبروم أي الحقيقي المسمي عند الصيدلانيين لاتين أمي وجارس أي العام الذي فضل عليه النبات المسمي أمي كنكدية المنسوب لجزيرة كندية وهو عند بعضهم امي وبتيروم فهو عند لينوس سيزون امي اي لجنسه عند لينوس غير جنس النوع السابق وان كان الجنسان من فصيلة واحدة وينبت في جنوب فرنسا وفي جزائر الروم فبزوره المحمولة على خيم جانبية تكون صغيرة كرية مضلعة سنجابية مخضرة عطرية خالية من الزغب وينذر الآن وجود هذه البزور في المتجر الاوربي واذا وجدت كان الغالب كونها من امي

ماجوس وقد يوجد النوعان معا مختلطين ومسميين باسم امي اى نانخوا ونلك البزور كلها فيها مرار قليل

(الاستعمال) اشتهرت تقوية هذه البزور للمعدة وطردها الريح وامر بها مشيول وغيره علاجا لعقم النساء واكد بعضهم فأعلنها في ذلك وفي علاج الازهار البيض وتدخل النانخواه في التوابل ولاطباء العرب كلام كثير في النانخواه فنقلوا عن جالينوس انه قال انما يستعمل من النبات بزوره وقوته بجفنة مسخنة لطيفة وفي طعمه مرارة يسيرة وحرافة واذا كان كذلك كان مدرا للبول محللا والذي وضع من الاسخان والتنجفيف في الدرجة الثالثة . وهرديسقوريدس يصلح اذا شرب بالشراب المنقص وعسر البول ونهش الهوام وقد يدر الطمث ويخلط بالادوية المدرة التي يتم في اخلاطها الزازبانج ليضاد عسر البول واذا خلط بالعسل وتضمد به قلع الكمنة من العين وما جمد في العين من نحو مدة واذا شرب أو تلطخ به أحال لون البدن الى الصفرة واذا تدخن به مع الزفت والزازبانج نقي الرحم . وقال ابو جريج طبيخه يحل النفخ البتة وحبه يذهب البلة والحبات العتيقة وطبيخه يصب على لسم العقرب فيسكن وجعه . وقال الفارسي انه يقطع القيح الذي في الصدر والمعدة ويسكن الرياح ويهضم الطعام وهو جيد لوجع الفؤاد والغثيان وتقلب النفس ويذهب بالحالة التي لا يجد الانسان فيها طعم الطعام في فيه طيبا أو طعم الماء كذلك . وقال فولس انه يسخن المعدة والكبد أي البارد بين ويضر الحارين الا اذا قل منه منقوعا في الخل أو أخذ عليه سكنجبين صادج . وقال ابن ماسويه انه ينقي الكلي والمثانة . وقال الطبري انه يذيب الحصاة وقد يخرج الدود ودودة القرع وقال اذا أكل بالعسل فعل ذلك ايضا . وقال اذا سحقت تلك البزور وعجنت بعسل وطلي به الوجع في أي موضع كان من البدن حلت ورمه وازالت وجعه واذا أضيف اليها الطفل أي طين قيمولي اكانت في ذلك ابلغ واذا حقن بها الرحم نقتها ونفقت رطوبتها العفنة وحسنت رائحتها واذا جعلت مع الادوية المسهلة نفعت من يعتريهم منها مغص . وقال اسحق ابن سليمان اذا خلطت بالادوية النافضة

من البرص والبهق قوت فعلها وزادت في تأثيرها . وقالوا ان ماءها المقطر يحل عسر النفس في الوقت وينفع من الفالج والرعشة وفيه مع قاطر الدار صيني ولسان الثور تفريح يعدل الخمر واذا غلي ٣ مثاقيل منها في رطل حليب وأوقية من السكر حتى يعود الى النصف وشرب فوق اللحم سمن بافراط وقالوا أن بدلها في غير التسمين مثلاها شونيزا. انتهي من انواع جنس امي مايذكر علي الاثر (المادة الطيبة)

﴿ الناوسية ﴾ اتباع رجل يقال له ناوس وقيل نسبوا الي قرية ناوسا قالت ان الامام الصادق حي بعد ولن يموت حتى يظهر فيظهر أمره وهو القائم المهدي ورووا عنه أنه قال لو رأيتم رأسي يدعده عليكم من الجبل فلا تصدقوا فاني صاحبكم صاحب السيف . وحكي ابو حامد الزوزني أن الناوسية زعمت ان عليا مات وستنشق الارض عنه يوم القيامة فيملأ العالم عدلا وأما الافطحية فقد قالوا بانتقال الامامة من الصادق الي ابنه عبد الله الافطح وهو أخو اسماعيل من أبيه وامه وامهما فاطمة بنت الحسين بن الحسن بن علي وكان أسن اولاد الصادق زعموا انه قال الامامة في اكبر أولاد الامام وقال الامام من يجلس مجلسي وهو الذي جلس مجلسه والامام لا يغسله ولا يصلي عليه ولا يأخذ خاتمه ولا يواريه الا الامام وهو الذي تولي ذلك كله ودفع الصادق وديعة الى بعض أصحابه وأمره أن يدفعها الي من يطلبها منه وأن يتخذه اماماً وما طلبها منه أحد الا عبد الله ومع ذلك ماعاش بعد ابيه الا سبعين يوما ومات ولم يعقب ولداً ذكراً ومن الامامية الشميطية اتباع يحيى بن ابي شميط قالوا أن جعفرا قال ان صاحبكم اسمه اسم نبيكم وقد قال له والده ان يولد لك ولد فسميته باسمي فهو امام فالامام بعده ابنه محمد

﴿ نأنأ ﴾ عجز و (نأنأ في الرأى) ضعف

﴿ نآى ﴾ عنه ينأى نأيا بعد . و (أنآه) أبعده

﴿ نبا ﴾ عنه سمعه ينبو اى تجافي و (نَبَّأه الخبرَ) اخبره به ومثله (انبأه) و (تنبَّأ) ادعي النبوة وتكلم بالنبوة . و (النَّبَأ) الخبر. و (النُّبُوءة) اسم من النبي وهي الاخبار عن الله . و (النبي) المخبر عن الله بوحي

﴿ النبوة والانبياء ﴾ الكلام في النبوة والانبياء من أهم أركان الفلسفة الدينية والكلام فيها يطول لما يقتضيه من ايراد آراء علمائنا المتقدمين وشبهات الماديين المعاصرين والخوض في أقوالهم واستخلاص نتيجة حاسمة من مجموع نظرياتهم لذلك عولنا أن نبدأ هذا البحث بايراد أقوال علمائنا الاقدمين ثم نردفه بشبهات الماديين المعاصرين ثم ندلي برأينا في هذا الباب والله الموفق للصواب

قال العلامة ابن حزم في كتاب (الفصل) .

«ذهبت البراهمة وهي قبيلة بالهند فيهم أشراف أهل الهند ويقولون انهم من ولد برهمي ملك من ملوكهم قديم ولهم علامة ينفردون بها وهي خيوط ملونة بحمرة وصفرة يتقلدونها تقلد السيوف وهم يقولون بالتوحيد علي نحو قولنا الا انهم أنكروا النبوات . وعمدة احتجاجهم في دفعها ان قالوا لما صح ان الله عز وجل حكيم وكان من بعث رسولا الي من يدرى أنه لا يصدقه فلا شك في أنه متعنت عابث فوجب نفي بعث الرسل عن الله عز وجل لنفي العبث والعنت عنه وقالوا أيضا ان الله تعالي انما بعث الرسل الي الناس ليخرجهم بهم من الضلال الي الايمان فقد كان أولي به في حكمته وأتم لمراده أن يضطر العقول الي الايمان به. قالوا فبطل ارسال الرسل علي هذا الوجه أيضاً ومجيء الرسل عندهم من باب الممتنع وأما نحن فنقول ان مجيء الرسل قبل أن يبعثهم الله تعالي واقع في باب الامكان وأما بعد ان بعثهم الله عز وجل ففي حد الوجوب . ثم أخبر الصادق عليه السلام عنه تعالي انه لا نبي بعده فقد جد الامتناع ولسنا نحتاج الى تكلف ذكر قول من قال من المسلمين أن مجيء الرسل من باب الواجب واعتلالهم في ذلك بوجوب الانذار في الحكمة اذ ليس هذا القول صحيحا وانما قلنا الذي بيناه في غير موضع أنه تعالي لا يفعل شيئا لعلة وانه تعالي يفعل ما يشاء وان كل ما فعله فهو عدل وحكمة أى شيء كان. فيقال وبالله التوفيق لمن احتج بالحجة الاولي من أن الحكمة تضاد بعثة الرسل وان الحكيم لا يبعث الرسل الي من يدرى أنه يعصيه انكم اضطركم هذا الاصل الفاسد الحاكم

بذلك الي موافقة المثانية علي أصولها في
ان الحكيم لا يخلق من يعصيه ولا من
يكفر به ويقتل أولياءه وهم يقولون ان الله
تعالي خلق الخلق ليدلهم بهم علي نفسه ويقال
لهم قد علمنا وعلمتم ان في الناس كثيراً
يجحدون الربوبية والوحدانية فقالوا انه
ليس حكيما من خلق دلائل لمن يدري انه
لا يستدل بها . فان قالوا انه قد استدل
بها كثير . قيل لهم وقد صدق الرسل أيضاً
كثير . فان قالوا انه خلق الخلق كلهم
وكذلك بعث الرسل أيضا كما شاء .
فبعثته تعالي الرسل هي بعض دلائله التي
خلقها تعالي ليدل بها علي المعرفة به تعالي
وعلي توحيده . ويقال انه احتج بالحجة
الثانية من ان الاولي بانه كان يضطر العقول
الى الايمان به ان هذا قول مرذول مردود
عليكم في قولكم ان الله عز وجل خلق
الخلق ليعلمهم به علي نفسه ووحدانيته فيلزمكم
علي ذلك الاصل الفاسد انه كان الاولي
اذ خلقهم أن لا يدعهم والاستدلال
وقد علم ان فيهم من لا يستدل
وان فيهم من يعترض عليه
الاستدلال فكان الاولى في الحكمة
أن يضطر عقولهم الى الايمان به
ولا يكلفهم مؤنة الاستدلال وأن يلطف بهم
الطاقة يختار جميعهم معها الايمان كما فعل
بالملائكة

(قال أبو محمد) يعني نفسه . وملاك
هذا كله ما قد قلناه في غير موضع من أن
الخلق لما كانوا لا يقع منهم فعل الا لعلة
ووجب بالبراهين الضرورية ان الباري
تعالى بخلاف جميع خلقه من جميع الجهات
وجب أن يكون فعله لا لعلة بخلاف
أفعال جميع الخلق وانه لا يقال في شيء
من أفعاله تعالي انه فعل كذا لعلة ولا
اذا جاء الانسان بالنطق وحرمه سائر
الحيوان وخلق بعض الحيوان صائداً
وبعضه مصيداً وبان بين جميع مفعولاته
كما شاء فليس لاحد أن يقول لم خلق
الانسان ناطقا وحرم الحمار النطق وجعل
الحجر جامداً لا حياة له ولا نطق . وهذا
أصل قد أوقفتنا البراهين عليه وسائر من
خالفنا من تفريع هذا المعنى ممن يقول
بالتوحيد وهكذا اذا بعث تعالى الانبياء
ليس لاحد أن يقول لم بعثهم أو لم بعث
هذا الرجل ولم يبعث هذا الآخر ولا لم
يبعثهم في هذا الزمان دون غيره من
الازمان ولا لم يبعثهم في هذا المكان

دون غيره من الامكنة كما لا
يقال لم حباه بالسعد في الدنيا دون غيره
وهكذا كل ما في العالم اذا نظر فيه تعالي
الذي لا يسأل عما يفعل وهم
يسألون

(قال أبو محمد) واذ قد نقضنا
شغبهم بحول الله تعالي وتأييده فلنقل الآن
بعون الله تعالي وتأييده في اثبات النبوة اذ
وجدت قولا بينا والله تعالى التوفيق : قد
قدمنا فيما خلا اثبات حدوث الاشياء وان
لها محدثا لم يزل واحداً لا مبدأ له ولا كان
معه غيره ولا مدبر سواه ولا خالق غيره فاذ
قد ثبت هذا كله وصح انه تعالى أخرج العالم
كله الي الوجود بعد ان لم يكن بلا كلفة
ولا معاناة ولا طبيعة ولا استعانة ولا مثال
سلف ولا علة موجبة ولا حكم سابق قبل
الخلق يكون ذلك الحكم لغيره تعالى فقد ثبت
انه لم يفعل اذا لم يشأ وفعل اذا شاء كما شاء فيزيد
ما شاء وينقص ما شاء فكل منطوق به مما
يتشكك في النفس أولا يتشكك فهو داخل
له تعالي في باب الامكان علي ما بينا في
غير هذا المكان الا اننا نذكر ههنا
طرفة ان شاء الله عز وجل فنقول وبالله تعالي
نتأيد

ان الممكن ليس واقعا في العالم وقوعا
واحداً ألا ترى ان نبات اللحية الرجال ما
بين الثمان عشرة الي عشرين سنة
ممكن وهو في حدود الاثنتي عشرة سنة
الي العامين ممتنع . وان فك الاشكالات
العويصة واستخراج المعاني الغامضة
وقول الشعر البديع وصناعة البلاغة الرائعة
ممكن لذي الذهن اللطيف والذكاء النافذ
وغير ممكن من ذي البلادة الشديدة
والتباوة المفرطة . فعلي هذا ما كان ممتنعا
بيننا اذ ليس في بنيتنا ولا في طبيعتنا ولا
من عادتنا فهو غير ممتنع علي الذي لا بنية
له ولا طبيعة له ولا عادة عنده ولا رتبة
لازمة لفعله فاذ قد صح هذا فقد صح انه
لانهاية لما يقوى عليه تعالي فصح ان النبوة
في الامكان وهي بعثة قوم قد خصهم الله
تعالي بالفضيلة لا لعلة الا انه شاء ذلك
فعلمهم الله تعالي العلم بدون تعلم ولا تنقل
في مراتبه ولا طالب له ومن هذا الباب
ما يراه أحدنا في الرؤيا فيخرج صحيحا
وما هو من باب تقدم المعرفة فاذ قد أثبتنا
ان النبوة قبل مجيء الانبياء
عليهم السلام واقعة في حد الامكان فلنقل
الآن بحول الله تعالى وقوته علي

وجوبها اذا وقعت ولا بد فنقول اذ قد صح ان الله تعالي ابتدأ العالم ولم يكن موجوداً حتى خلقه الله تعالي فبيقين ندري ان العلوم والصناعات لا يمكن البتة أن يهتدي أحد اليها بطبعه فيا بيننا دون تعليم كالطب ومعرفة الطبائع والامراض وسببها علي كثرة اختلافها ووجود العلاج لها بالعقاقير التي لا سبيل الي تجربتها كلها أبداً وكيف يجرب كل عقار في كل علة ومتي يتهيأ هذا ولا سبيل له الا في عشرة آلاف من السنين ومشاهدة كل مريض في العالم وهذا يقطع دونه قواطع تلوث الشغل بما لا بد منه من أمر المعاش وذهاب الدول وسائر العوائق وكعلم النجوم ومعرفة دوراتها وقطعها وتعودها الي أماكنها مما لا يتم الا في عشرة آلاف من السنين ولا بد من أن يقطع دون ضبط ذلك العوائق التي فيها وكالنحو التي لا يصح تربية ولا عيش ولا تصرف الا بها ولا سبيل الي الاتفاق عليها الا بلغة أخرى ولا بد فصح انه لا بد من مبدأ للغة ما .وكالحرث والحصاد والدراس والطحن وآلاته والعجن والطبخ والحلب وحراسة المواشي واتخاذ الانسان منها والغزل واستخراج الادهان ودق الكتان والقنب والقطن وغزله وحياكته وقطعه وخياطته ولبسه وآلات كل ذلك وآلات الحرث والارحاء والسفن وتدبيرها في القطرها البحار والدواليب وحفر الآبار وتربية النحل ودود الخز واستخراج المعادن وعمل الابنية منها ومن الخشب والفخار وكل هذا لا سبيل الى الاهتداء اليه دون تعليم فوجب بالضرورة ولا بد انه لا بد من انسان واحد فأكثر علمهم الله تعالي ابتداء كل هذا دون معلم لكن بوحي خلقه عنده .هذه صفة النبوة فاذا لا بد من نبي أو أنبياء ضرورة فقد صح وجود النبوة والنبي في العالم بلا شك

ومن البرهان علي ما ذكرنا اننا نجد كل من لم يشاهد هذه الامور لا سبيل له الى اختراعها البتة كالذي يولد وهو أصم فانه لا يمكن له البتة الاهتداء الى الكلام ولا الي مخارج الحروف وكالبلاد التي ليست فيها بعض الصناعات وهذه العلوم المذكورة كبلاد السودان والصقالبة وأكثر الامم وسكان البوادي . نعم والحواضر لا يمكن البتة منذ أول العالم الي وقتنا هذا ولا الى انقضائه اهتداء

أحد منهم الي علم يعرفه ولا الي صناعة لم يعرف بها فلا سبيل الى تهديهم اليها البتة حتى يعلموها ولو كان ممكناً في الطبيعة التهدي اليها دون تعليم لوجد من ذلك في العالم علي سعته وعلي مرور الازمان من يهتدي اليها ولو واحداً وهذا أمر يقطع علي أنه لا يوجد ولم يوجد وهكذا القول في العلوم ولا فرق ولسنا نعني بهذا ابتداء جمعها في الكتب لأن هذا أمر لا مؤنة فيه انما هو كتاب ما علمه الكتاب واحصاه فقط كالكتب المؤلفة في المنطق وفي الطب وفي الهندسة وفي النجوم وفي الهيئة والنحو واللغة والشعر والعروض انما نعني ابتداء مؤنة اللغة والكلام بها وابتداء معرفة الهيئة وتعلمها فابتداء اشخاص الامراض وانواعها وقوى العقاقير والمعاناة بها وابتداء معرفة الصناعات فصح بذلك انه لا بد من وحي من الله تعالي في ذلك

(قال ابو محمد رضي الله عنه) وهذا ايضا برهان ضروري علي حدوث العالم وان له محدثا مختاراً ولا بد (اذ لا يقاء) العالم البتة الا بنشأة ومعاش ولا نشأة ولا معاش الا بهذه الاعمال والصناعات والآلات ولا يمكن بوجود شيء من هذه كلها لا بتعليم الباري تعالى فصح أن العالم لم يكن موجوداً اذ لا سبيل الى بقائه الا بما ذكرنا ثم وجد معدا مدبراً مبتدئاً بتعليمه علي ماذكرنا وبالله تعالي التوفيق

(قال ابو محمد رضي الله عنه) واذ قد تكلمنا علي أنه لا بد من نبوة وصح ذلك ضرورة فلنتكلم علي براهينها التي يصح بها علم صدق مدعيها اذا وقعت فنقول انه قد صح أن الباري تعالي هو فاعل كل شيء ظهر وانه قادر علي اظهار كل متوهم لم يظهر وعلمنا بكل ماقدمنا انه تعالى مرتب هذه الرتب التي في العالم ومجريها علي طبائعها المعلومة منا الموجودة عندنا وانه لا فاعل علي الحقيقة غيره تعالى (ثم) رأينا خلافا لهذه الرتب والطبائع قد ظهرت ووجدنا طبائع قد احيلت واشياء في حد الممتنع قد وجبت ووجدت كصخرة انفلقت عن ناقة ، وعصي انقلبت حية وميت احياء انسان ، ومتين من الناس رووا وتوضؤا كلهم من ماء يسير في قدح صغير يضيق عن بسطها اليد فيه لا مادة له (فعلموا) أن محل هذه الطبائع وفاعل

هذه المعجزات هو الاول الذى أحدث كل شيء ووجدنا هذه القوى قد أسبغها الله تعالى رجلا يدعون اليه ويذكرون أنه تعالى أرسلهم الي الناس ويستشهدون به تعالي فيشهد لهم بهذه المعجزات المحدثة منه تعالى في عين رغبة هؤلاء القوم اليه فيها وضراعتهم اليه في تصديقهم بها فعلمنا علما ضروريا لا مجال للشك فيه انهم مبعوثون من قبله عزوجل وانهم صادقون فيما اخبروا به عنه تعالي اذ لا سبيل في طبيعة مخلوق في العالم الي التحكم علي البارىء ولا علي طبائع خلقه بمثل هذا ووجوب النبوة اذ ظهر علي مدعيها معجزة من احالة الطبائع المخالفة لما بنى عليه العالم وقد تكلمنا في غير هذا المكان علي أن هذه الاشياء لها طرق توصل الي صحة اليقين بها عند من لم يشاهدها كصحتها عند من شاهدها ولا فرق وهي نقل الكافة التى قد استشعرت العقول ببدايتها والنفوس بأول معارفها انه لا سبيل الي جواز الكذب ولا الوهم عليها وأن ذلك ممتنع فيها فمن تجاهل واجاز ذلك عليها خرج عن كل معقول ولزمه أن لا يصدق أن من غاب عن بصره من الانس بأنهم أحياء ناطقون كمن شاهد وأذ صورهم علي حسب الصورة التى عاين ولزم أن يكون عنده ممكنا في بعض من غاب عن بصره من الناس أن يكونوا بخلاف ما عهد من الصورة اذ لا يعرف أحد ان كل من غاب عن حسه فأنه في مثل كيفية ماشاهد من نوعه الا بنقل الكواف ذلك كما قلت أن بعضهم بخلاف ذلك في بعض الكيفيات فوجب تصديق ذلك ضرورة كبلاد السودان وما أشبه ذلك .

ويلزم من يصدق خبر الكافة ويجيز فيه الكذب والوهم أن لا يصدق ضرورة بأن أحداً كان قبله في الدنيا ولا أن في الدنيا أحدا الا من شاهد بحسه . فان جوز هذا عرف بقلبه انه كاذب وخرج عن حدود من يتكلم معه لان هذا الشيء لا يعرف البتة الا من طريق الخبر لا غير فان انزعن هذا وأقر بأنه قد كان قبله ملوك وعلماء وقائع وأمم وأيقن بذلك ولم يكن في كثير منها شك بل هي عنده في الصحة كما شاهد ولا فرق ، سئل من أين عرفت ذلك وكيف صح عندك فلا سبيل له اصلا الى أن يصح ذلك عنده الا بخبر منقول نقل

كافة وبالله تعالي التوفيق ، فنقول له حينئذ فرق بين ما نقل اليك من كل ذلك وبين كل ماتقل اليك من علامات الانبياء ولا سبيل له الى الفرق بين شيء من ذلك أصلا فان قال الفرق بينها وبينها انه لا ينكر أحد هذه الامور وكثير من الناس ينكرون اعلام الانبياء قيل له وبالله تعالي التوفيق ان كثيراً من الناس لا يعرفون كثيراً مما صح عندك من الاخبار العارضة لمن كان في بلادك قبلها فليس جهلهم بها ودفعهم لها لوجدانها مخرجا لها من الصحة وكذلك جحد من جحد أعلام الانبياء ليس مخرجا لها من الوجوب والصحة فان قال انه ليس يجد الناس علي الكذب فيما كان قبلنا من الاخبار ما نجدهم علي الكذب في اعلام النبوة قيل له وبالله التوفيق هذا كذب بل لا مران سواء لا فرق بينهما ومن الملوك من يشتمه عليهم وصف أسلافهم بالجور والظلم والقبائح ويحمي هذا الباب بالسيف فما دونه فما انتفعوا بذلك في كتمان الحق . قد نقل ذلك كله وعرف كما نقلت فسائل من ينتضب من ملوك الزمان من مدحه كفضائل علي رضي الله عنه ما قدر قط ملوك بني مروان علي ستره وطيها وقد رام المأمون والمعتصم والواثق علي صحة ملكهم لاقطار الارض فلم القول بأن القرآن غير مخلوق فما قدروا علي ذلك وكل نبي فله عدو من الملوك والامم يكذبونهم فما قدروا قط علي طي اعلامهم ولا علي تحقيق مازادوا علي ذلك لمن ينتضب له من لا دين له فصح ان الامرين سواء وان الحق حق . فان قال قائل فلعل هذا الذى ظهرت منه المعجزات قد ظفر بطبيعة رخاصية قدر بها علي اظهار ماظهر قيل له وبالله التوفيق ان الخواص قد علمت ووجوه الحيل قد أحكمت وليس في شيء منها عمل يحدث عنه اختراع جسم لم يكن كنحو ما ظهر من اختراع الماء الذى لم يكن ولا في شيء منه احالة نوع الي نوع آخر دفعة علي الحقيقة ولا جنس الى جنس آخر دفعة علي الحقيقة وهذا كله قد ظهر علي أيدى الانبياء عليهم السلام فصح انه من عند الله تعالي لا مدخل لعلم انسان ولا حيلة فيه ونحن نبين ان شاء الله الفرق الواضح بين معجزات الانبياء عليهم السلام وبين ما يقدر عليه بالسحر وبين حيل المحالين بين

فنقول وبالله تعالى التوفيق

ان العالم كله جوهر وعرض لاسبيل الى وجود قسم ثالث في العالم دون الله تعالى . فأما الجواهر فاختراعها من ليس الى انس وهو من العدم الى الوجود ممتنع غير ممكن البتة لاحد دون الله تعالى مبتدىء العالم بخترعه في ظهر عليه اختراع جسم كالماء النابع من أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم بحضرة الجيش فهي معجزة شاهدة ان الله تعالى له بصحة نبوته لا يمكن غير ذلك أصلا وكذلك احالة الاعراض التي هي جوهر بات ذاتيات وهي الفصول التي تؤخذ من الاجناس وذلك كقلب العصا حية وحنين الجذع واحياء الموتى الذين رموا وصاروا عظاما والبقاء في النار ساعات لاتؤذيه وما أشبه ذلك وكذلك الاعراض التي لا تزول الا بفساد حاملها كالفطس والزرق ونحو ذلك فهذا لايقدر عليه أحد دون الله تعالى بوجه من الوجوه . واما احالة الاعراض من التغيرات التي تزول بغير فساد حاملها فقد تكون بالسحر ومنه طلسمات كتنفير بعض الحيوانات عن مكان ما فلايقر به أصلا وكابعاد البرد ببعض الصناعات وما أشبه هذا وقد يزيد الامر ويفشو العلم ببعض هذا النوع حتى يحبسه أكثر الناس كالطير والاصباغ وما أشبه هذا وأما التخييل نوع من الخديعة كالكهين متقوية النصاب تدخل فيها السكين ويظن من رآها انها دخلت في جسد المضروب بها في حيل غير هذه من حيل أرباب العجائب والحلاج وأشباهه فأمر يقدر عليه من تعلمه وتعلمه ممكن لكل من أراده فالذي يأتي به الانبياء عليهم السلام هو احالة الذاتيات ومن ذلك صرف الحواس عن طباعها كمن أراك مالا يراه غيرك أو مسح يده على مريض فأفاق أو سقاه مايضر علته فبرىء أو أخبر عن الغيوب في الجزئيات عن غير تعديل ولا فكرة فهذه كلها احالة الذاتيات وما ثبت اذ ثباتها لا يكون الا لنبي قد تكلمنا على مكان النبوة قبل مجيئها ووجوبها حين وجودها فلنتكلم الآن بحول الله وقوته على امتناعها بعد ذلك فنقول وبالله تعالى التوفيق . اذ قد صح كل ماذكرنا من المعجزات الظاهرة من الانبياء عليهم السلام شهادة من الله تعالى لهم بصدق بها أقوالهم فقد وجب

علينا الانقياد لما أتوا به وأيقن كل ماقالوا وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنقل الكواف التي نقلت نبوته واعلامه وكتابه أنه أخبر انه لا نبي بعده الا ماجاءت الاخبار الصحاح بنزول عيسى عليه السلام الذي بعث الى بني اسرائيل وادعى اليهود قتله وصلبه فوجب الاقرار بهذه الجملة وصح أن وجود النبوة بعده عليه السلام باطل لايكون البتة وبهذا يبطل أيضا قول من قال بتواتر الرسل ووجوب ذلك أبداً وبكل ماقدمناه مما أبطلنا به قول من قال بامتناعها البتة اذ عمدة حجة هؤلاء هي قولهم ان الله حكيم والحكيم لايجوز في حكمه أن يترك عباده هملا دون انذار

(قال ابو محمد) وقد احكمنا بحول الله تعالى وقوته قبل هذا أن الله تعالى لاشرط عليه ولا علة موجبة عليه أن يفعل شيئاً ولا أن لايفعله وانه تعالى لو اهمل الناس لكان حقاً وحسناً لو خلقهم كما خلق سائر الحيوان الذي لم يلزمه شريعة ولا حظر عليه شيء وانه تعالى لو واتر الرسل والنذارة أبداً لكان حقا وحسنا لما فعل بالملائكة الذين هم حملة وحيه ورسله أبداً وانه تعالى لو خلق الخلق كفارا كلهم لكان ذلك منه حقا وحسناً أو لو خلقهم مؤمنين كلهم لكان حقا وحسنا كما أن الذي فعل تعالى من كل ذلك حق وحسن وانه لا يقبح شيء الا من مأمور منهي تقدمت الاوامر وجوده وسبقت الحدود المرتبة للاشياء كونه ، وأما من سبق كل ذلك فله أن يفعل مايشاء ويترك مايشاء لامعقب لحكمه . وأما الملائكة فكل من له معرفة ببنية العالم والافلاك والعناصر يقر أن الارض وعمقها أقرب الى الفساد من سائر العناصر ومن سائر الاجرام العلوية وانها مواتية كلها وأن الحياة انما هي النفوس المنزلة قسراً الى مجاورة الاجساد الترابية المواتية من جسم الحيوان فقط ثبت يقينا بضرورة المشاهدة أن محل الحياة وعنصرها ومعدنها ومواضعها انما هو هنالك من حيث جاءت النفوس الحية الناقصة بما في طبعها من مجاورة هذه الاجساد والتشبث بها عن كمال ماخص بالحياة الدائمة ولم يشن ولا نقص فضله وضاؤه بمجاورة الاجساد الكدرة المساوية آفات ودرنا وعيوبا نصح أن العالم الصافي هو محل الاحياء

الفاضلين السالمين من كل رذيلة ومن كل نقص ومن كل مزاج فاسد المحبوبين بكل فضيلة في الخلق وهذه صفة الملائكة عليهم السلام وصح بهذا أن علي قدر سعة ذلك المكان يكون كثرة من فيه من أهله وعماره وانه لانسبة لهاهذا المحل الضيق والنقطة الكدراء وما هنالك كما لانسبة لمقدار هذا المكان من ذلك وبهذا صحت الرواية وهكذا أخبر رسول الله صلي الله عليه وسلم عن كثرة الملائكة في الاخبار المسندة الثابتة عنه صلي الله عليه وسلم وبهذا وجب أن يكونوا هم الرسل والوسائط بين الاول تعالي الذى خصهم بالنبوة والرسالة وتعليم العلوم وبين انقاذ النفوس من الهلكة

(الرد علي من زعم أن الانبياء عليهم السلام ليسوا أنبياء اليوم ولا الرسل اليوم رسلا)

(قال ابو محمد) حديث فرقة مبتدعة تزعم أن محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب صلي الله عليه وسلم ليس هو الآن رسول الله صلي الله عليه وسلم ولكنه كان رسول الله صلي الله عليه وسلم وهذا قول ذهب اليه الاشعرية

وأخبرني سليمان بن خلف الباجي وهو من مقدميهم اليوم لأبي محمد بن الحسن بن فورك الاصبهاني علي هذه المسئلة قتلة بالسم بمحمود ابن سبكتكين صاحب مادون وراء النهر من خراسان رحمه الله

(قال ابو محمد) وهذه مقالة خبيثة مخالفة لله تعالي ولرسوله صلي الله عليه وسلم ولما أجمع عليه جميع أهل الاسلام مذ كان الاسلام الي يوم القيامة وانما حملهم علي هذا قولهم الفاسد أن الروح عرض والعرض يفنى أبداً ويحدث ولا يبقي وقتين فروح النبي صلي الله عليه وسلم عندهم قد فنيت وبطلت ولا روح له الآن عند الله تعالي وأما جسده في قبره موات فبطلت نبوته بذلك ورسالته

(قال ابو محمد) ونعوذ بالله من هذا القول انه كفر صراح لاتردد فيه ويكفي من بطلان هذا القول الفاحش العظيم انه مخالف لما أمر الله عز وجل به ورسوله صلي الله عليه وسلم واتفق عليه جميع أهل الاسلام من كل فرقة وكل نحلة من الأذان في الصوامع كل يوم خمس مرات في كل قرية من شرق الارض الي غربها بأعلي اصواتهم قد

قرنه الله تعالي بذكره اشهد ان لااله الا الله وان محمداً رسول الله فعلي قول هؤلاء الموكلين الي أنفسهم يكون الاذان كذبا ويكون من امر به كاذبا وانما كان يجب ان يكون الاذان علي قولهم أشهد ان محمداً كان رسول الله والا فمن اخبر عن شيء كان وبطل انه كائن الآن فهو كاذب فالاذان كذب علي قولهم وهذا كفر مجرد . وكذلك ما اتفق عليه جميع أهل الاسلام بلا خلاف من أحد منهم من ملقين موتاهم لااله الا الله محمد رسول الله فانه باطل علي قول هؤلاء وكذلك ماعمل به رسول الله صلي الله عليه وسلم مدة حياته الامة وامره عن الله عز وجل بان يعمل به بعده أبداً واجمع علي القول به والعمل جميع اهل الاسلام من أول الاسلام الي آخره ومن شرق الارض الي غربها انسهم وجنهم يقين مقطوع به دون مخالف فما تخرج به الدماء من التحليل الي التحريم او الي الحقنة بالجذبة من أن يعرض علي أهل الكفر أن يقولوا لااله الا الله محمد رسول الله فيجب علي قول هؤلاء المخرجين ان هذا باطل وكذب وانما كان يجب ان يكونوا ان يقولوا محمد كان رسول الله وكذلك قوله تعالي (ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك) وكذلك قوله تعالي (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم) وقوله تعالي (وجيء بالنبيين والشهداء) فسماهم الله رسلا وقد ماتوا وسماهم نبيين ورسلا وهم في القيامة وكذلك ماأجمع الناس عليه وجاء به النص من قول كل مصل فرضاً أو نافلة السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته فلو لم يكن روحه عليه السلام موجوداً قائماً لكان السلام علي العدم هذراً . فان قالوا كيف يكون ميتا رسول الله وانما الرسول هو الذى يخاطب عن الله بالرسالة ؟ قيل لهم نعم يكون من أرسله الله تعالي مرة واحدة فقط رسولا لله تعالي ابداً لانه حاصل علي مرتبة جلالة لايحطه عنها شيء أبداً ولا يسقط عنه هذا الاسم أبداً ولو كان ماقلتم لوجب ان لايكون رسول الله صلي الله عليه وسلم رسولا الى أهل اليمن في حياته لانه لم يكلمهم ولا شافههم ويلزم أيضاً ان لايكون رسول الله الا مادام يكلم الناس فاذا سكت او أكل أو نام أو جامع لم يكن رسول الله

وهذا حق مشوب بكفر وخلاف للاجماع المتيقن ونعوذ بالله من الخذلان . وأيضاً فأن خبر الاسراء الذى ذكره الله عز وجل في القرآن وهو منقول نقل التواتر وأحد أعلام النبوة ذكر فيه رسول الله صلي الله عليه وسلم أنه رأى الانبياء عليهم السلام في سماء سماء فهل رأى الأرواح هي أنفسهم ومن كذب بهذا أو بعضه فقد انسلخ من الاسلام بلا شك ونعوذ بالله من الخذلان وهذه براهين لا بعد عنها وقد صح عن رسول الله صلي الله عليه وسلم أنه أخبر أن لله ملائكة يبلغونه منا السلام وأنه من رآه في النوم فقد رآه حقا ولقد بلغني عن بعضهم أنهم يقولون أن أمهات المؤمنين رضوان لله عليهم لسن الآن أمهات المؤمنين لكنهن كن أمهات المؤمنين

(قال أبو محمد) وهذا ضلال بحت وحماقة محضة ولو كان هذا لوجب ان لا تكون أم المرء التى ولدته وأبوه الذى ولده أبا له ولا أمه الا في حين الولادة والحمل من الام فقط وفي حين الانزال من الاب فقط لا بعد ذلك وهذا من السخف الذى لا يرضي به لنفسه ذو مسكة فان قالوا أتقولون أن عمر أمير المؤمنين اليوم أو عثمان ايضاً كذلك ؟ قلنا لهم لا وهذا اجماع لانه لا يكون أميراً الا من الائتمار لامره واجب وليس هذا لاحد بعد موته الا النبي صلي الله عليه وسلم وانما هو خليفة بعد خليفة طول حياته فقط فبطل أن يكون لهم فيها متعلق . انتهي

نقول هذا ماقاله العلامة ابن حزم في كتابه الفصل ونرى أن نأتي بقول عالم كبير من علمائنا المحدثين وهو الشيخ محمد عبده في كتابه رسالة التوحيد ثم نبدى رأينا علي هذه الاقوال ونظر الى أى حد قام الشبهات المادية العصرية ثم نلقي علي مجموع هذه المذاهب المختلفة نظرة عامة ونحاول حلها علي حسب اطلاعنا وبالله التوفيق

قال العلامة الشيخ محمد عبده في كتابه المذكور تحت عنوان حاجة البشر الي الرسالة قال .

﴿ حاجة البشر الي الرسالة ﴾

« سبق لك في الفصل السابق مايهم الكلام عليه من الوجه الاول وهو وجه مايجب علي المؤمن اعتقاده في الرسل والكلام في هذا الفصل موجه ان شاء الله

الي بيان الحاجة اليهم وهو ممترك الافهام ومزلة الاقدام ومزدحم الكثير من الافكار والاوهام ولسنا بصدد الاتيان بما قال الأولون ولا عرض مذهب اليه الآخرون ولكنا نلزم ماالتزمنا في هذه الورقات من بيان المعتقد والذهاب اليه من أقرب الطرق من غير نظر الي ماميل اليه المخالف أو استقام عليه الموافق انهم الا اشارة من طرف خفي أو الماعا لا يستغنى عنه القول الجلي

« والكلام في بيان الحاجة الي الرسل مسلكان (الاول) وقد سبق الاشارة اليه يبتدىء من الاعتقاد ببقاء النفس الانسانية بعد الموت وأن لها حياة أخرى بعد الحياة الدنيا تتمتع فيها بنعيم أو تشقي فيها بعذاب أليم وأن السعادة والشقاء في تلك الحياة الباقية معقودان بأعمال المرء في حياته الفانية سواء كانت تلك الاعمال قلبية كالاعتقادات والمقاصد والارادات أو بدنية كأنواع العبادات والمعاملات

« واتفقت كلمة البشر موحدين ومثنيين ملليين وفلاسفة الا قليلا لا يقام لهم وزن علي أن النفس الانسان بقاء نحيا به بعد مفارقة البدن وانها لاتموت موت فناء وانما الموت المحتوم هو ضرب من البطون والاختفاء وان اختلفت مذاهبهم في تصوير ذلك البقاء وفيما تكون عليه النفس فيه وتباينت مشاربهم في طرق الاستدلال عليه فمن قائل بالتناسخ في أجساد البشر أو الحيوان علي الدوام ومن ذاهب الي أن التناسخ ينتهي عند مانبلغ النفس أعلي مراتب الكمال . ومنهم من قال انها متى فارقت الجسد عادت الي تجردها عن المادة حافظة لما فيه لذتها أو مابه شقوتها . ومنهم من رأى أنها تتعلق بأجساد اثيرية ألطف من هذه الاجسام المرئية وكان اختلاف المذاهب في كنه السعادة والشقاء الأخرويين وفيما هو متاع الحياة الآخرة وفي الوسائل التى تمد بالنعيم أو تبعد عن النكال الدائم وتضارب آراء الامم فيه قديما وحديثاً مما لانكاد نحصي وجوهه

« هذا الشعور العام بحياة بعد هذه الحياة المنبث في جميع الانفس عالمها وجاهلها وحشيها ومتأنسها وباديها وحاضرها قديمها وحديثها لايمكن أن يعد ضلة عقلة أو نزغة وهمية وانما هو بالالهامات التى اختص بها هذا النوع

فكما ألهم الانسان عقله أن عقله وفكره هما عماد بقائه في هذه الحياة الدنيا وارشد افراد منه ذهبوا الى أن العقل والفكر ليسا بكافيين للارشاد في عمل ما أو الى أنه لا يمكن العقل أن يوقن باعتقاد ولا الفكر أن يصل الي مجهول بل قالوا أن لا وجود للعالم الا في اختراع الخيال وانهم شاكون حتى في انهم شاكون ولم يطعن شذوذ هؤلاء في صحة الالهام العام المشعر لسائر أفراد النوع أن الفكر والعقل هما ركن الحياة ورأس البقاء الى الأجل المحدود كذلك قد ألهمت العقول وأشعرت النفوس أن هذا العمر القصير ليس هو منتهي ما للانسان في الوجود بل الانسان ينزع هذا الجسد كما ينزع الثوب عن البدن ثم يكون حياً باقياً في طور آخر وان لم يدرك كنهه. ذلك الهام يكاد يزاحم البديهة في الجلاء يشعر كل نفس أنها خلقت مستعدة لقبول معلومات غير متناهية من طرق غير محصورة شيقة الى لذائذ غير محدودة ولا واقفة عنه غاية مهيأة لدرجة من الكمال لا تحددها اطراف المراتب والغايات، معرضة لآلام من الشهوات، ونزغات الاهواء ونزوات الامراض على الاجساد ومصارعة الاجواء والحاجات وضروب من مثل ذلك لا تدخل تحت عد ولا تنتهي عند حد. الهام يستلفتها بعد هذا الشعور الي أن واهب الوجود للانواع انما قدر الاستعداد بقدر الحاجة في البقاء ولم يعهد في تصرفه العبث والكيل الجزاف فما كان استعداده لقبول ما لا يتناهي من معلومات وآلام ولذائذ وكمالات لا يصح أن يكون بقاؤه قاصرا على أيام أو سنين معدودات

شعور يهيج بالارواح الى تحسس هذا البقاء الأبدي وما عسي أن تكون عليه متى وصلت اليه، وكيف الاهتداء وأين السبيل وقد غاب المطلوب وأعوز الدليل. شعور بالحاجة الي استعمال عقولنا في تقويم هذه المعيشة القصيرة الأمد لم يكفنا في الاستقامة على المنهج الا قوم بل لزمتنا الحاجة الى التعليم والارشاد وقضاء الازمنة والأعصار في تقويم الانظار وتعديل الافكار واصلاح الوجدان وتثقيف الاذهان ولا نزال الي الآن من هم هذه الحياة الدنيا في اضطراب لا ندري متى تخلص منه وفي شوق الي

طمأنينة لا نعلم متى تنتهي اليها

«هذا شأننا في فهم عالم الشهادة فماذا نؤمل من عقولنا وأفكارنا في العلم بما في عالم الغيب هل فيما بين أيدينا من الشاهد معالم نهتدي بها الي الغائب وهل في طرق الفكر ما يوصل كل أحد الي معرفة ما قدر له في حياة يشعر بها وبان لا مندوحة عن القدوم عليها، ولكن لم يوهب من القوة ما ينفذ الى تفصيل ما اعد له فيها والشؤون التي لا بد أن يكون عليها بعد مفارقة ما هو فيه أو الى معرفة بيد من يكون تصريف تلك الشؤون. هل في اساليب النظر ما يأخذ بك الى اليقين بمناطها من الاعتقادات والاعمال وذلك الكون مجهول لديك وتلك الحياة في غاية الغموض بالنسبة اليك؟ كلا فان الصلة بين العالمين تكاد تكون منقطعة في نظر العقل ومرامي المشاعر ولا اشترك بينهما الا فيك أنت فالنظر في المعلومات الحاضرة لا يوصل الي اليقين بحقائق تلك العوامل المستقبلة

«أفليس من حكمة الصانع الحكيم الذي أقام أمر الانسان على قاعدة الارشاد والتعليم الذي خلق الانسان وعلمه البيان علمه الكلام للتفاهم والكتاب للتراسل أن يجعل مراتب الأنفس البشرية مرتبة يعد لها بمحض فضله بعض من يصطفيه من خلقه، وهو اعلم حيث يجعل رسالته، يميزهم بالفطر السليمة ويبلغ بأرواحهم عن الكمال ما يليقون معه للاستشراق بأنوار علمه والامانة على مكنون سره مما لو انكشف لغيرهم انكشافه لهم لفاضت له نفسه أو ذهبت بعقله جلالته وعظمه فيشرفون على الغيب بأذنه ويعلمون ما سيكون من شأن الناس فيه ويكونون في مراتبهم العلوية على نسبة من العالمين نهاية الشاهد وبداية الغائب فهم في الدنيا كأنهم ليسوا من أهلها وهم وفد الآخرة في لباس من ليس من سكانها ثم يتلقون من أمره أن يحدثوا عن جلاله وما خفي على العقول من شؤون حضرته الرفيعة بما يشاء أن يعتقده العباد فيه وما قدر أن يكون له مدخل في سعادتهم الاخروية وان يبينوا للناس من أحوال الآخرة ما لا بد لهم من علمه معبرين عنه بما تحتمله طاقة عقولهم ولا يبعد عن متناول افهامهم يبلغون عنه شرائع عامة تحدد لهم سيرهم في تقويم نفوسهم وكبح شهواتهم

وتعلمهم من الاعمال ما هو مناط سعادتهم وشقائهم في ذلك الكون المغيب عن مشاعرهم بتفصيله اللاصق علمه بأعماق ضمائرهم في اجماله ويدخل في ذلك جميع الاحكام المتعلقة بكليات الاعمال ظاهرة وباطنة ثم يؤيدهم بما لا تبلغه قوى البشر من الآيات حتى تقوم بهم الحجة ويتم الاقناع بصدق الرسالة فيكونون بذلك رسلا من لدنه الي خلقه مبشرين ومنذرين

«لاريب أن الذى أحسن كل شيء خلقه وأبدع في كل كائن صنعه وجاد علي كل حي بما اليه حاجته ولم يحرم من رحمته حقيراً ولا جليلا من خلقه يكون من رأفته بالنوع الذى اجاد صنعه وأقام له من قبول العلم ما يقوم مقام المواهب التى اختص بها غيره ان ينقذه من حيرته ويخلصه من التخبط في أهم حياتيه والضلال في أفضل حاليه

«يقول قائل ولم لم يودع في الغرائز ما تحتاج اليه من العلم ولم يضع فيها الانقياد الي العمل وسلوك الطريق المؤدية الى الغاية في الحياة الآخرة ؟ وما هذا النحو من عجائب الرحمة في الهداية والتعليم وهو قول يصدر عن شطط العقل والغفلة عن موضوع البحث وهو النوع الانساني ذلك النوع علي ما به وما دخل في تقويم جوهره من الروح المفكر وما اقتضاه ذلك من الاختلاف في مراتب الاستعداد باختلاف أفراده وان لا يكون كل فرد منه مستعداً لكل حال بطبعه وان يكون وضع وجوده علي عماد البحث والاستدلال فلو ألهم حاجاته كما تلهم الحيوانات لم يكن هو ذلك النوع بل كان اما حيوانا آخر كالنحل والنمل أو ملكا من الملائكة ليس من سكان هذه الارض

(المسلك الثاني) في بيان الحاجة الى الرسالة يؤخذ من طبيعة الانسان نفسه أرتنا الايام غابرها وحاضرها أن من الناس من يختزل نفسه من جماعة البشر وينقطع الي بعض الغابات أو الي رؤس الجبال ويستأنس الى الوحش ويعيش عيش الاوابد من الحيوان يتغذى بالاعشاب وجذور النبات ويأوى الي الكهوف والمغاور ويتقي بعض العوادى عليه بالصخور والاشجار ويكتفي من الثياب بما يخصف من ورق الشجر أو جلود الهالك في حيوان البر ولا يزال كذلك حتى يفارق الدنيا ولكن مثل

هذا مثل النحلة تنفرد عن الدبر وتعيش عيشة لا تتفق مع ما قدر لنوعها وانما الانسان نوع من تلك الانواع التى غرز في طبعها أن تعيش مجتمعة وان تعددت فيها الجماعات علي أن يكون لكل واحد من الجماعة عمل يعود علي المجموع في بقائه والمجموع من العمل ما لا غنى للواحد عنه في نمائه وبقائه، وأودع في كل شخص من اشخاصها شعوراً ما بحاجته الي سائر أفراد الجماعة التى يشملها اسم واحد وتاريخ وجود الانسان شاهد بذلك فلا حاجة الي الاطالة في كيانه وكفاك من الدليل علي ان الانسان لا يعيش الا في جملة ما وهبه من قوة النطق فلم يخلق لسانه مستعداً لتصوير المعاني في الالفاظ وتأليف العبارات الا لاشتداد الحاجة به الى التفاهم وليس الاضطرار الي التفاهم بين اثنين أو أكثر الا الشهادة بأن لا غنى لاحدهم عن الآخر

«حاجة كل فرد من الجماعة الى سائرها مما لا يشتبه فيه وكلما كثرت مطالب الشخص في معيشته ازدادت به الحاجة الى الايدى العاملة فتمتد الحاجة وعلي أثرها الصلة من الأهل الي العشيرة ثم الي الامة والى النوع بأسره . وأيامنا هذه شاهدة علي أن الصلة التابعة للحاجة قد تعم النوع كما لا يخفي. هذه الحاجة خصوصا في الامة التى حققت عنوانها لها صلات وعلائق ميزتها عمن سواها حاجة في البقاء حاجة في التمتع بمزايا الحياة حاجة في جلب الرغائب ودفع المكاره من كل نوع

«لو جرى أمر الانسان علي أساليب الخلقة في غيره لكانت هذه الحاجة من أفضل عوامل المحبة بين أفراده عامل يشعر كل نفس ان بقاءها مرتبط ببقاء الكل . فالكل منها بمنزلة بعض قواها المسخرة لمنافعها ودرء مضارها والمحبة عماد السلم ورسول السكينة الي القلوب هي الدافع لكل من المتحابين علي العمل لمصلحة الآخر الناهض بكل منهما للمدافعة عنه في حالة الخطر فكان من شأن المحبة أن تكون حفاظا لنظام الامم وروحا لبقائها وكان من حالها أن تكون ملازمة للحاجة علي مقتضى سنة الكون فان المحبة حاجة لنفسك الي من تحب أو ما تحب فان اشتدت كانت ولعا وعشقا

« لكن كان من قوانين المحبة أن تنشأ وتدوم بين متحابين اذ كانت الحاجة الى ذات المحبوب أو ماهو فيها لا يفارقها ولا يكون هذا النوع منها في الانسان الا اذا كان منشؤه أمراً في روح المحبوب وشمائله التي لاتفارق ذاته حتى تكون لذة الوصول في نفس الاتصال لا في عارض يتبعه فاذا عرض التبادل والتعارض ولوحظ في العلاقة بينهما تحولت المحبة الى رغبة في الانتفاع بالعوض وتعلقت بالمنتفع به لا بمصدر الانتفاع وقام بين الشخصين مقام المحبة أما سلطان القوة أو ذلة الخوف أو الدهان والخديعة من الجانبين

« يحب الكلب صيده ويخلص له ويدافع عنه دفاع المستميت لما يرى انه مصدر الاحسان اليه في سداد عوزه فصورة شبعه وريه وحمايته مقرونة في شعوره بصورة من يكفلها له فهو يتوقم فقدها بفقده فيحرص عليه حرصه على حياته ولو انه انتقل من حوزته الى حوزة آخر وغاب عنه السنين ثم رآه معرضا لخطر تعاودت اليه تلك الصور يصل بعضها بعضا ويندفع الى خلاصه بما تمكنه القوة

« ذلك لأن الالهام الذي هدى به شعور الكلب ليس مما تتسع به المذاهب فوجد انه يتردد بين الاحسان ومصدره وليس له وراءهما مذهب لحاجته في سد عوزه هي حاجته الى القائم بأمره فيحبه محبته لنفسه ولا يبخس منها شوب التعاوض في الخدمة

« أما الانسان وما أدراك ما هو فليس أمره على شيء من ذلك ليس ممن يلهم ولا يتعلم ولا ممن يشعر ولا يتفكر بل كان كماله النوعي في اطلاق مداركه عن القيد ومطالبه عن النهايات وتسليمه على صغره الى العالم الاكبر على جلالته وعظمه يصارعه بعوامله وهي غير محصورة حتى ينتصر منه منافعه وهي غير محدودة وايداعه من قوى الادراك والعمل ما يمكنه على المغالبة ويمكنه من المطالبة بسعيه ورأيه ويتبع ذلك أن يكون له في كل كائن مما يصل اليه لذته وبجوار كل لذة ألم ومخافة فلا تنتهي رغائبه الى غاية ولا تقف مخاوفه عند نهاية (ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا) تفاوتت أفراده في مواهب الفهم وفي قوى العمل وفي الهمة

والعزم فمنهم المقصر ضعفا أو كسلا المتطاول في الرغبة شهوة وطمعا يرى في اخيه انه العون له على مايريد من شؤون وجوده لكنه يذهب من ذلك الى تخيل اللذة في الاستئثار بجميع ما في يده ولا يقنع بمعاوضته في ثمرة من ثمار عمله وقد يجد اللذة في ان يتمتع ولا يعمل ويرى الخير في ان يقيم مقام العمل اعمال الفكر في استنباط ضروب الحيل ليتمتع وان لم ينفع ويغلب عليه ذلك حتى يخيل له ان لا ضير عليه او انفرد بالوجود عمن يطلب مغالبته ولا يبالي بارساله الى عالم العدم بعد سلبه فكلما حثه الذكر والخيال الى دفع مخافة أو الوصول الى لذيذ فتح له الفكر بابا من الحيلة أو هيأ له وسيلة لاستعمال القوة فقام التناهب مقام التواهب وحل الشقاق محل الوفاق وصار الضابط لسيرة الانسان أما الحيلة وأما القهر

« هل وقف الهوى بالانسان عند التنافس في اللذائذ الجسدانية ومجالها افراده طمعاً في وصول كل الى مايظنه غاية مطالبه وان لم تكن له غاية . كلا ولكن قدر له ان تكون له لذائذ روحانية وكان من أعظم همه ان يشعر بالكرامة له في نفس غيره ممن تجمعه معهم جامعة ما حسبما يمتد اليه نظره وقد بلغت هذه الشهوة حداً من الانفس كادت تتغلب على جميع الشهوات وأخذت لذة الوصول اليها من الارواح مكانا كاد لا تصعد اليه صائر اللذات وهي من أفضل العوامل في احراز الفضائل وتمكين الصلات بين الافراد والامم لو صرفت فيما سيقت لاجله ولكن انحرف بها السبيل كما انحرف بغيرها الاسباب التي أشرنا اليها من التفاوت في مراتب الادراك والهمة والعزيمة حتى خيل لكثير من العقلاء ان يسمو الى اعلاء منزلته في القلوب باخافة الامن وازعاج الساكن واشعار القلوب رهبة الخائفة لا هيب الحرمة

« وهل يمكن مع هذا أن يستقيم أمر جامعة بغى نظامهم وعلق بقاؤهم في الحياة على تعاونهم ورفد بعضهم بعضا في الاعمال أولا تكون هذه الاقاعيل السابق ذكرها سببا في فنائهم الاريب ان البقاء على تلك الاحوال من ضروب المحال بلا بد للنوع الانساني في حفظ بقائه من المحبة أو ما ينوب منابها

« لجأ بعض أهل البصيرة في أزمنة مختلفة الي العدل وظنوا كما ظن بعض العارفين ونطق به في كلمة جليلة أن العدل نائب المحبة . نعم لايخلو القول من حكمة ولكن من الذي يضع قواعد العدل ويحمل الكافة علي رعايتها ؟ قيل ذلك هو العقل فكما كان الفكر والذكر والخيال ينابيع الشقاء كذلك تكون وسائل السعادة وفيها مستقر السكينة. وقد رأينا ان اعتدال الفكر وسعة العلم وقوة العقل واصالة الحكم تذهب بكثير من الناس الي ماوراء حجب الشهوات وتعلو بهم فوق ماتخيله المخارف فيعرفون لكل حق حرمته ويميزون بين لذة مايفنى ومنفعة مايبقي وقد جاء منهم افراد في كل امة وضعوا اصول الفضيلة وكشفوا وجوه الرذيلة وقسموا اعمال الانسان الى ماتحضر لذته وتسوء عاقبته وهو مايجب اجتنابه ، والي ماقد يشق احتماله ولكن تسر مغباته وهو مايجب الاخذ به . ومنهم من انفق في الدعوة الي رأيه نفسه وماله وقضى شهيد اخلاصه في دعوة قومه الي مايحفظ نظامهم فهؤلاء العقلاء هم الذين يضعون قواعد العدل وعلي أهل السلطان أن يحملوا الكافة علي رعايتها و بذلك يستقيم أمر الناس

« هذا قول لايجافي الحق ظاهره ولكن هل سمع في سيرة الانسان وهل ينطبق علي سنته أن يخضع كافة افراده أو الغالب منهم لرأى العاقل لمجرد أنه الصواب ، وهل كفي في اقناع جماعة منه كشعب أو أمة قول عاقلهم انهم مخطئون وأن الصواب فيما يدعوهم اليه ، وان اقام علي ذلك من الادلة ماهو أوضح من الضياء ، وأجلي من ضرورة المحبة للبقاء ؟ كلا لم يعرف ذلك في تاريخ الانسان ولا هو مما ينطبق علي سنته فقد تقدم لنا أن مهب الشقاء هو تفاوت الناس في الادراك وهم مع ذلك يدعون المساواة في العقول والتقارب في الاصول ولا يعرف جمهورهم من حال الفاضل الا كما يعرف من أمر الجاهل ومن لم يكن في مرتبتك من العقل لم يذق مذاقك من الفضل فمجرد البيان العقلي لايدفع نزاعا ولايرد طمأنينة وقد يكون القائم علي مايضع من شريعة العقل ممن يزعم انه أرفع من واضعها فتذهب بالناس مذهب شهواته فتذهب حرمتها ويتهدم بناؤها ويفقد ماقصد بوضعها

« أضف الى ماسبق من لوازم نزعات الفكر ونزعات الاهواء شعوراً هو ألصق بالغريزة البشرية وأشد لزوما لها . كل انسان مهما علا فكره وقوى عقله أو ضعفت فطنته وانحطت فطرته ، يجد من نفسه أنه مغلوب لقوة أرفع من قوته وقوة ماأنس منه الغلبة عليه مما حوله وانه محكوم بارادة تصرفه وتصرف ماهو فيه من العوالم في وجوه قد لانعرفها معرفة العارفين ولاتتطرف اليها ارادة المختارين تشعر كل نفس أنها مسوقة لمعرفة تلك القوة العظمي فتطلبها من حسها تارة ومن عقلها أخرى لاسبيل لها الا الطريق التي حددت لنوعها وهي طريق النظر فذهب كل في طلبها وراء رائد الفكر فمنهم من تأولها ببعض الحيوانات لكثرة نفعها أو شدة ضررها ، ومنهم من تمثلت له في بعض الكواكب لظهور اثرها. ومنهم من حجبته الاشجار والاحجار لاعتبارات له فيها ، ومنهم من تبدت له آثار قوى مختلفة في انواع متفرقة تتماثل في افراد كل نوع وتتخالف بتخالف الانواع فجعل لكل نوع الها . ولكن كلما رق الوجدان ولطفت الاذهان ونفذت البصائر ارتفع الفكر وجلت النتائج فوصل من بلغ به علمه بعض المنازل من ذلك الي معرفة هذه القدرة الباهرة واهتدى الي أنها قدرة واجب الوجود غير أن من أسرار الجبروت ماغمض عليه فلم يسلم من الخبط فيه ثم لم يكن له من الميزة الفائقة في قومه مايحملهم علي الاهتداء بهديه فبقي الخلاف ذائعا والرشد ضائعا. اتفق الناس في الاذعان لما فاق قدرهم وعلا متناول استطاعتهم لكنهم اختلفوا في فهم ماتلجئهم الفطرة الى الاذعان له اختلافا كان أشد أثراً في التقاطع بينهم واثارة أعاصير الشقاق فيهم من اختلافهم في فهم النافع والضار لغلبة الشهوات عليهم

ان كان الانسان قد فطر علي أن يعيش في جملة ولم يمنح مع تلك الفطرة مامنحه النحل وبعض أفراد النمل مثلا من الالهام الهادى الي مايلزم لذلك وانما ترك الى فكره يتصرف به علي نحو ماسبق كما فطر علي الشعور بقاهر تنساق نفسه بالرغم عنها الى معرفته ولم يفض عليه مع ذلك الشعور عرفانه بذات ذلك القاهر ولا صفاته وانما ألقي به في مطارح

النظر تحمله الافكار في مجاريها وترمي به الى حيث يدري ولا يدري وفي كل ذلك الويل على جاسته والخطر على وجوده فهل منى هذا النوع بالنقص ورزىء بالقصور عن مثل مابلغه أضعف الحيوانات وأحطها في منازل الوجود ؟ انهم هو كذلك لولا مأتاه الصانع الحكيم من ناحية ضعفه

«والانسان عجيب في شأنه يصعد بقوة عقله الى أعلى مراتب الملكوت ويطاول بفكره اوفع معالم الجبروت ويسامي بقوته ما يعظم عن أن يسامى من قوى لكون الاعظم ثم يصغر ويتضاءل وينحط الى ادنى درك من الاستكانة والخضوع متى عرض له امر مالم يعرف سببه ولم يدرك منشأه ذلك لسر عرفه المستبصرون واستشعره نفوس الناس اجمعين

« من ذلك الضعف قيد الى عداه ومن تلك الضعة أخذ بيده الى شرف سعادته . اكل الواهب الجواد لجملته مااقتضت حكمته في تخصيص نوعه بما يميزه من غيره أن ينقص من افراده وكما جاد على كل شخص بالعقل المصرف لحواسه لينظر في طلب القمة وستر العورة والتوقي من الحر والبرد جاد على الجملة بما هو أمس الحاجة في البقاء وآثر في الوقاية من غوائل الشقاء وأحفظ لنظام الاجتماع الذى هو عماد كونه بالاجماع . من عليه بالنائب الحقيقي عن المحبة بل الراجع بها الى النفوس التي أقفرت منها لم تخالف سنته فيه من بناء كونه على قاعدة التعليم والارشاد غير أنه أناه مع ذلك من أضعف الجهات فيه وهي جهة الخضوع والاستكانة فأقام له من بين أفراده مرشدين هادين وميزهم من بينهم بخصائص في أنفسهم لايشركهم فيها سواهم وأيد ذلك زيادة في الاقناع بآيات باهرات تلك النفوس وتأخذ الطريق على سوابق العقول فيستخذى الطامح ويذل الجامح ويصطدم بها عقل العاقل فيرجع الى رشده ويبهر لها بصر الجاهل فيرتد عن غيه يطرقون القلوب بقوارع من أمر الله ويدهشون المدارك ببواهر من آياته فيحيطون العقول بما لامندوحة عن الاذعان له ويستوى في الركون لما يجيئون به المالك والمملوك والسلطان والمسلوك والعاقل والجاهل والمفضول الفاضل فيكون الاذعان لهم أشبه

بالاضطرارى منه بالاختيارى النظرى يعلمونهم ماشاء الله أن يصلح به معاشهم ومعادهم وما أرادوا أن يعلموه من شئون ذاته وكمال صفاته وأولئك هم الانبياء والمرسلون فبعثة الانبياء صلوات الله عليهم من مقتضيات كون الانسان ومن أهم حاجاته في بقائه ومنزلتها من النوع منزلة العقل من الشخص نعمة أتمها الله لكيلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وسنتكلم عن وظيفتهم بنوع من التفصيل فيما بعد. ثم قال الاستاذ :

«امكان الوحي»

«الكلام في امكان الوحي يأتي بعد تعريفه لتصوير المعنى الذى يراد منه والتعرف المعنى الحاصل بالمصدر فيفهم معنى المصدر نفسه ولا يعنينا ما تثيره الالفاظ في الاذهان ولنذكر من اللغة ماينا سبه . يقال وحيت اليه وأوحيت اذا كلمته بما تخفيه عن غيره . والوحى مصدر من ذلك والمكتوب والرسالة وكل ماألقيته الى غيرك ليعلمه . ثم غلب فيما يلقى الى الانبياء من قبل الله . وقيل الوحى اعلام في خفاء . ويطلق ويراد به الموحي . وقد عرفوه شرعا أنه كلام الله تعالى المنزل على نبي من أنبيائه . أما نحن فنعرفه على شرطنا بأنه عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطة أو بغير واسطة والاول يصوت يتمثل لسمعه أو بغير صوت ويفرق بينه وبين الالهام بأن الالهام وجدان تستيقنه النفس وتنساق الى ما يطلب على غير شعور منها من أين أتى وهو أشبه بوجدان الجوع والعطش والحزن والسرور . أما امكان حصول هذا النوع من العرفان (الوحي) وانكشاف ماغاب من مصالح البشر عن عامتهم لمن يختصه الله بذلك وسهولة فهمه عند العقل فلا تراه مما يصعب ادراكه الا على من لا يريد أن يدرك ويحب أن يرغب نفسه الفهامة على أن لا يفهم . نعم انه يوجد في كل أمة وفي كل زمان أناس يقذف بهم الطيش والنقص في العلم الى ما وراء سواحل اليقين فيسقطون في غمرات من الشك في كل مالم يقع تحت حواسهم الخمس . بل قد يدركهم الريب فيما هو من متناولها كما سبقت الاشارة اليه فكأنهم بسقطتهم هذه انحطوا الى ماهو أدنى من مراتب أنواع أخرى من الحيوان فيسون العقل

وشؤونه وسره ومكنونه ويجهدون في ذلك لذة الاطلاق من قيود الاوامر والنواهي بل عن محابس الحشمة التي تضمهم الى التزام ما يليق وتحجزهم عن مفارقة مالا يليق كما هو حال غير الانسان من الحيوان فاذا عرض عليهم شيء من الكلام في النبوات والاديان وهم من أنفسهم هائم بالاصناء دافعوه بما أوتوا من الاختيار في النظر وانصرفوا عنه وجعلوا أصابعهم في آذانهم حذر أن يخالط الدليل أذهانهم فيلزمهم العقيدة وتنبو بالشريعة فيحرموا لذتها فاذا قوا وما يحبون أن يتذوقوا وهو مرض في الانفس والقلوب يستشفي منه بالعلم ان شاء الله

« قلت أي استحالة في الوحي وان ينكشف انسان مالا ينكشف لغيره من غير فكر ولا ترتيب مقدمات مع العلم ان ذلك مر قبل واهب الفكر ومانح النظر متى حفت العناية من ميزته هذه النعمة

« مما شهدت به البديهة أن درجات العقول متفاوتة يعلو بعضها ببعض وان الادنى منها لا يدرك ما عليه الاعلى الا على وجه من الاجمال وان ذلك ليس لتفاوت المراتب في التعليم فقط بل ولابد منه من التفاوت في الفطر التي لا مدخل فيها لاختيار الانسان وكسبه ولاشبهة في أن من النظريات عند بعض العقلاء ما هو بديهي عند من هو أرقى منه ولاتزال المراتب ترتقي في ذلك الى ما لا يحصره العدد وان من أرباب الهمم وكبار النفوس مايرى البعيد عن صقاعها قريبا فيسعى اليه ثم يدركه والناس دونه ينكرون بدايته ويعجبون لنهايته ثم يألفون ماصار اليه كأنه من المعروف الذي لاينازع والظاهر الذي لا يجاحد فاذا أنكره منكر ثاروا عليه ثورتهم في بادىء الامر على من دعاهم اليه ولا يزال هذا الصنف من الناس على قلته ظاهراً في كل أمة الى اليوم

« فاذا سلم ولا محيص عن التسليم بما أسلفنا من المقدمات فمن ضعف العقل والتكول عن النتيجة اللازمة لمقدماتها عند الوصول اليها أن لا يسلم بأن من النفوس البشرية ما يكون لها من نقاء الجوهر بأصل الفطرة ما تستعد به من محض الفيض الالهي أن تتصل بالافق الاعلى وتنتهي من الانسانية الى الذروة العليا وتشهد من أمر الله شهود العيان مالم

يصل غيرها الى مثله أو نحسه به على الدليل والبرهان وتتلقى عن العليم الحكيم ما يعلو وضوحا على ما يتلقاه احدنا عن أساتذة التعليم ثم تصدر عن ذلك العلم الى تعليم ما علمت ودعوة الناس الى ماحازت على ابلاغه اليهم وان يكون ذلك سنة الله في كل امة وفي كل زمان على حسب الحاجة يظهر برحمته من يختصه بعنايته ليفي للاجتماع بما يضطر اليه من مصلحته الى ان يبلغ النوع الانساني أشده وتكون الاعلام التي نصبها لهدايته الى سعادته كافية في ارشاده فتختم الرسالة ويغلق باب النبوة كما سنأتي عليه في رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم

« أما وجود بعض الارواح العالية وظهورها لاهل تلك المرتبة السامية فما لا استحالة فيه بعد ما عرفنا من انفسنا وارشدنا اليه العلم قديمه وحديثه من اشتمال الوجود على ما هو اللطف من المادة وان غيب هنا فأي مانع من ان يكون بعض هذا الوجود اللطيف مشرقا لشيء من العلم الالهي وان يكون لنفوس الانبياء اشراف عليه فاذا جاء به المخبر الصادق حملنا على الاذعان بصحته

« أما تمثل الصوت وأشباح لتلك الارواح في حس من اختصه الله بتلك المنزلة فقد عهد عند اعداء الانبياء مالا يبعد عند بعض المصابين بامراض خاصة على زعمهم فقد سلموا ان بعض معقولاتهم يتمثل في خيالهم ويصل الى درجة المحسوس فيصدق المريض في قوله انه يرى ويسمع بل يجالد ويصارع ولا شيء من ذلك في الحقيقة بواقع ، فان جاز التمثل في الصور المنقولة ولا منشأ لها الا في النفس وان ذلك يكون عند عروض عارض على المخ فلم لا يجوز تمثل الحقائق المنقولة في النفوس العالية وأن يكون ذلك لها عند ما تنزع من عالم الحس وتتصل بمظائر القدس وتكون تلك الحال من لواحق صفة العقل في أهل تلك الدرجة لاختصاص مزاجهم بما لا يوجد في مزاج غيرهم وغاية ما يلزم عنه ان يكون لعلاقة أرواحهم بأبدانهم شأن غير معروف في تلك العلاقة من سواهم وهو مما يسهل قبوله بل يتحتم لان شأنهم في الناس ايضا غير الشؤون المألوفة وهذه المغايرة من أهم ما امتازوا به وقام منها الدليل لي رسالتهم والدليل على سلامة شهودهم وصحة ما يحدثون عنه

ان امراض القلوب تشفي بدوائهم وان ضعف العزائم والعقول يتبدل بالقوة في أممهم التي تأخذ بقالهم ومن المنكر في البديهة ان يصدر الصحيح من معتل و يستقيم النظام بمختل

« اما ارباب النفوس العالية والعقول السامية من العرقاء ممن لم تدن مراتبهم من مراتب الانبياء ولكنهم رضوا ان يكونوا لهم اولياء على شرعهم ودعوتهم امناء فكثير منهم نال حظا من الانس بما يقارب تلك الحال في النوع او الجنس لهم مشاركة في بعض احوالهم على شوء من علم الغيب ولهم مشاهد صحيحة في عالم المثل لا تنكر عليهم لتحقق حقائقها في الواقع فهم لذلك لا يستبعدون شيئا مما يحدث به عن الانبياء صلوات الله عليهم ومن ذاق عرف ومن حرم انحرف ودليل صحة ما يتحدثون به وعنه ظهور الاثر الصالح منهم وسلامة أعمالهم مما يخالف شرائع انبيائهم وطهارة فطرهم مما ينكره العقل الصحيح او يمجه الذوق السليم واندفاعهم بباعث من الحق الناطق في سرائرهم المتلألىء في بصائرهم الى دعوة من يحف بهم الى ما فيه خير العامة وترويج قلوب الخاصة ولا يخلو العالم من متشبهين بهم ولكن أسرع ما ينكشف حالهم و يسوء مآلهم ومآل من غرروا به ولا يكون لهم الا سوء الاثر في تضليل العقول وفساد الاخلاق وانحطاط شأن القوم الذين رزؤا بهم الا ان يتداركهم الله بلطفه فتكون كامتهم الخبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار . فلم يبق بين المنكرين لاحوال الانبياء ومشاهدهم وبين الاقرار بامكان ما أنبؤا به بل و بوقوعه الاحجاب من العادة وكثيراً ما حجبت العقول حتى عن ادراك أمور معتادة . ثم قال الاستاذ :

﴿ وقوع الوحي والرسالة ﴾

« والدليل على رسالة نبي وصدقه فيما يحكي عن ربه ظاهر المشاهد الذي يرى حاله ويبصر ما آتاه الله من الآيات البينات ويحقق بالعيان ما ينفيه عن البيان كما سلف في الوجه الاول من الكلام على الرسالة اما الغائب عن زمن البعثة فدليلها التواتر وهو كما تبين في علم آخر رواية خبر عن مشهود من جماعة يستحيل تواطؤهم على الكذب وآيته قهر النفس على اليقين بما جاء فيه كالاخبار بوجود مكة أو بأن

الصين عاصمة تسمى بكين وسبب استحالة التواطؤ على الكذب استيفاء الخبر لشرائط معلومة وخلوه من عوارض تضعف الثقة به ومرجع كل ذلك الى العدد وبعد الراوي عن التشيع لمضمون الخبر

« لا نزاع بين العقلاء في أن هذا النوع من الاخبار يحصل اليقين بالمخبر به وانما النزاع في اعتبارات تتعلق به ومن الانبياء ما استوفى الخبر عنهم شرائط التواتر كابراهيم وموسى وعيسى وما جاء به الخبر انهم لم يكونوا فيمن بعثوا بينهم بالاقوى سلطانا ولا بالاكثر مالا ولم يختصهم احد بالعناية بهم لتعليمهم علم مادعوا اليه وغاية الامر انهم لم يكونوا من الادنين الذين تنافهم النفوس وتنبو عنهم الانظار ومع ذلك واستحكام السلطان لغيرهم ووفرة المال لديه واستعلائه عليهم بما اكتسب من العلم قاموا بدعوة الى الله على رغم الملوك واجنادهم وصاحوا بهم صيحة زلزلتهم في عروشهم وادعوا انهم يبلغون عن خالق السموات والارض ما لا رد شرعه الناس واقاموا من الدليل ما تصاغرت دونه قوة المعارضة ثم ثبتت في الكون شرائعهم ثبات الغريزة في الفطر وكان الخير لامهم في اتباع ما جاؤا به حالفتهم القوة واحتضنتهم السعادة ما كانوا قائمين عليها ورزأهم الضعف وغالبهم الشقاء ما انحرفوا عنها وخلطوا فيها فهذا ما أقاموه من الأدلة عند التحدي لا يصح منه في العقل أن يكونوا كاذبين في حديثهم عن الله ولا في دعواهم أنه كان يوحي اليهم ما شرعوا الناس على أن من لا يستند ما يقول لا يبقي لمقاله أثر في العقول والباطل لا بقاء له الا في الغفلة عنه. كالنبات الخبيث في الارض الطيبة ينبت بما لها وينمو باقفالها فاذا لامستها عناية الزارع غلبه الخصب وذهب به الزكاء ولكن تلك الديانات التي جاءبها اولئك الانبياء قامت في العالم الانساني ما شاء الله مما قدر لها مقام سائر قواه مع كثرة المعارضين وقوة سلطان الغالبين فلا يمكن أن يكون اصلها الكذب ودعامتها الحيلة وكلامنا هذا في جوهرها الذي يلوح دائما في خلال ما ألحق بها المبتدعون أما بقية الرسل مما يجب علينا الايمان بهم فيكفي في اثبات نبوتهم اثبات رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم فقد أخبرنا برسالتهم وهو الصادق فيما بلغ به وسنأتي على الكلام

في رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في باب على حدته ان شاء الله

﴿ وظيفة الرسل عليهم السلام ﴾

« وبين مما تقدم في حاجة العالم الانساني الى الرسل انهم من الامم بمنزلة العقول من الاشخاص وان بمثلهم حاجة من حاجات العقول البشرية قضت رحمة المبدع الحكيم بسدادها ونعمة من نعم واهب الوجود ميز بها الانسان عن بقية الكائنات من جنسه ولكنها حاجة روحية وكل ما لامس الحس منها فالقصد فيه الى الروح وتطهيرها من دنس الاهواء الضالة أو تقويم ملكاتها أو ايداعها ما فيه سعادتها في الحياتين اما تفصيل طريق المعيشة والخلق في وجوه الكسب وتطاول شهوات النفس الى درك ما لعد الوصول اليه من اسرار العلم فذلك مما لا تدخل الرسالات فيه الا من وجه العظة العامة والارشاد الى الاعتدال فيه وتقرير ان شرط ذلك كله أن لا يحدث ريبا في الاعتقاد بأن الكون الها واحداً قادراً عالما حكيما منصفا بما اوجب الدليل أن يتصف به وباستواء نسبة الكائنات اليه في انها مخلوقة له وصنع قدرته وان تفاوتها فيما اختص به بعضها من الكمال وشرطه أن لا ينال شيء من تلك الاعمال السابقة احدا من الناس بشر في نفسه أو عرضه أو ماله بغير حق يقتضيه نظام عامة الامة على ما حد في شريعتها

« يرشدون الخلق الى معرفة الله وما يجب أن يعرف من صفاته ويبينون الحد الذي يجب أن يقف عنده في طلب ذلك الفرقان على وجه لا يشق عليه الاطمئنان اليه ولا يرفع ثقته بما آتاه الله من القوة . يجمعون كلمة الخلق على الواحد لا فرقة معه ويخلون السبيل بينهم وبينه وحده وينهضون نفوسهم الى التعلق به في جميع الاعمال والمعاملات ويذكرونهم بعظمته بفرض ضروب من العبادات فيما اختلف من الاوقات تذكرة لمن ينسى وتزكية مستمرة لمن يخشى تهوى ما ضعف منهم وتزيد المتيقن يقينا

« يبينون للناس ما اختلفت عليه عقولهم وشهواتهم وتنازعته مصالحهم وأهواؤهم فيفصلون في تلك الخاصمات بأمر الله الصادع ويؤيدون بما يبلغون عنه ما تقوم به المصالح العامة ولا تنهوت به المنافع الخاصة . يعودون بالناس الى الالفة ويكشفون لهم سر المحبة ويلفتونهم الى أن فيها انتظام شمل الجماعة ويفرضون عليهم مجاهدة أنفسهم ليستوطنوها قلوبهم ويشعروها أفئدتهم . يعلمونهم ذلك ان يرعى كل حق الآخر وان كان لا يغفل حقه وأن لا يتجاوز في الطلب حده وأن يعين قويهم ضعيفهم ويمد غنيهم فقيرهم ويهدي راشدهم ضالهم ويعلم عالمهم جاهلهم

« يضعون لهم بأمر الله حدوداً عامة يسهل عليهم أن يردوا اليها أعمالهم كاحترام الدماء البشرية الا بحق مع بيان الحق الذي تهدر له ومحظر تناول شيء مما يكسبه الغير الا بحق مع بيان الحق الذي يبيح تناوله واحترام الاعراض مع بيان ما يباح وما يحرم من الابضاع ويشرعون لهم مع ذلك أن يقوموا أنفسهم بالملكات الفاضلة كالصدق والامانة والوفاء بالعقود والمحافظة على العهود والرحمة بالضعفاء والاندام على نصيحة الاقوياء والاعتراف لكل مخلوق بحقه بلا استثناء . يحملونهم على تحويل أهوائهم عن الفوائد الفانية الى طلب الرغائب السامية آخذين في ذلك كله بطرف من الترغيب والترهيب والانذار والتبشير حسبما أمرهم الله جل شأنه

« يفصلون في جميع ذلك للناس ما يؤهلهم لرضاء الله عنهم وما يعرضهم لسخطه عليهم ثم يحيطون بيانهم بنبأ الدار الآخرة وما أعد الله فيها من الثواب وحسن المآب لمن وقف عند حدوده وأخذ بأوامره وتجنب الوقوع في محاظيره . يعلمونهم من أنباء الغيب ما أذن الله لعباده في العلم به مما لو صعب على العقل اكتناهه لم يشق عليه الاعتراف بوجوده

« بهذا تطمئن النفوس وتثلج الصدور ويعتصم المرزوء بالصبر انتظاراً لجزيل الاجر أو ارضاء لمن بيده الامر وبهذا ينحل أعظم مشكل في الاجتماع الانساني لا يزال العقلاء يجهدون أنفسهم في حله لي اليوم

« ليس من وظائف الرسل ما هو من عمل المدرسين وملي الصناعات فليس مما جاؤا له تعليم التاريخ ولا تفصيل ما يجري به عالم الكواكب ولا بيان ما اختلف من حركاتها ولا ما امتكن في طبقات الارض ولا مقادير الطول فيها والعرض ولا ما تحتاج اليه النباتات في نموها ولا

ماتفتقر اليه الحيوانات في بقاء أشخاصها وأنواعها وغير ذلك مما وضعت له العلوم وتسابقت في الوصول الي دقائقه الفهوم فان ذلك كله من وسائل الكسب وتحصيل طرق الراحة ، هدى الله اليه البشر بما أودع فيهم من الادراك يزيد في سعادة المحصلين ويقضي فيه بالنكد علي المقصرين ولكن كانت سنة الله في ذلك أن يتبع طريقة التدرج في الكمال وقد جاءت شرائع الانبياء بما يحمل علي الاجمال بالسعي فيه وما يكفل التزامه بالوصول الي ماأعد الله له الفطر الانسانية من مراتب الارتقاء

« أما ماورد في كلام الانبياء من الاشارة الى شيء مما ذكرنا في أحوال الافلاك او هيئة الارض فانما يقصد منه النظر الى مافيه الدلالة علي حكمة مبدعه او توجيه الفكر الي الغوص لادراك أسراره و بدائعه ولفهم عليهم الصلاة والسلام في مخاطبة أممهم لايجوز أن تكون فوق مايفهمون والا ضاعت الحكمة في ارسالهم ولهذا قد يأتي التعبير الذي سبق الي العامة بما يحتاج الي التأويل والتفسير عند الخاصة وكذلك ماورد الى الخاصة يحتاج الي الزمان الطويل حتى يفهمه العامة وهذا القسم أقل ماورد في كلا يهم

« علي كل حال لايجوز أن يقام الدين حاجزاً بين الارواح وبين ما يهزها الله به من الاستعداد للعلم بحقائق الكائنات الممكنة بقدر الامكان بل يجب أن يكون الدين باعثا لها علي طلب البرهان فارضاً عليها أن تبذل مانستطيع من الجهد في معرفة مايبن يديها من العوالم ولكن مع التزام القصد والوقوف في صلاة الاعتقاد عند الحد ومن قال غير ذلك فقد جهل الدين وجنى عليه جناية لايغفرها له رب الدين

« اعتراض مشهور »

« قال قائل ان كانت بعثة الرسل حاجة من حاجات البشر وكالا لنظام اجتماعهم وطريقا لسعادتهم الدنيوية والاخروية فما بالهم لم يزالوا أشقياء ، عن السعادة بعداء ، يتخالفون ولا يتفقون يتقاتلون ولا يتناصرون ، يتناهبون ولا يتناصفون ، كل يستعبد الوثنية ولاينتظر الا مجيء النوبة ، حشو جلودهم الظلم وملء قلوبهم العلم ، عند أهل كل ذي دين دينهم حجة لمقارعة من خالفهم واتخذوا منه

سببا جديداً للعداوة والعدوان فوق ما كان من اختلاف المصالح والمنافع . بل أهل الدين الواحد قد تتشق عصاهم وتختلف مذاهبهم في فهمه وتتفارق عقولهم في عقائدهم و يثور بينهم غبار الشر وتتشبث أهواؤهم بالفتن فيسفكون دماءهم ويخربون ديارهم الي ان ينقلب قويهم ضعيفهم فيستقر الامر للقوة لا للحق والدين فما هو الدين الذي تقول انه جامع الكلمة ووصول المحبة كان سببا في الشقاق ومضرما الضغينة فما هذه الدعوى وما هذا الاثر ؟ تقول في جوابه نعم كل ذلك قد كان ولكن بعد زمن الانبياء وانقضاء عهدهم ووقوع الدين في أيدي من لايفهمه او يفهمه ويتلو فيه اولا يتلو فيه ولكن لم يمتزج حبه بقلبه او امتزج بقلبه حب الدين بل كن ضاقت سعة عقله عن تصريفه تصريف الانبياء انفسهم او الخيرة من تبعتهم والا فقل لنا اي نبي لم يأت امته بالخير الجم والفيض الأعم ولم يكن دينه وافيا بجميع ماكانت تمس اليه حاجتها في أفرادها وجملتها ؟

« اظن انك لاتخالفنا في ان الجمهور الاعظم من الناس بل الكل الا قليلا لايفهمون فلسفة افلاطون ولا يقيسون افكارهم وآرائهم بمنطق ارسطو بل لو عرض أقرب المعقولات الى العقول عليهم بأوضح عبارة يمكن ان يأتي بها معبر لما أدركوا منها الا خيالا لا أثر له في تقويم النفس ولا في اصلاح العمل فاعتبر هذه الطبقات في حالها التي لاتفارقها من تلاعب الشهوات بها ثم انصب نفسك واعظا بها في تخفيف بلاء ساقه النزاع اليها فأي الطرق أقرب اليك في مهاجمة شهواتهم وردها الى الاعتدال في رغائبها ؟

« من البديهي انك لاتجد الطريق الأقرب في بيان مضار الاسراف في الرغب وفوائد القصد في الطلب وما ينحو نحو ذلك مما لايصل اليه أرباب العقول السامية الا بطويل النظر وانما تجد قصد الطرق وأقومها أن يأتي اليه من نافذة الوجدان المطلة علي سر الفهر المحيط به من كل جانب فتذكره بقدرة الله التي وهبه ما رهب الغالب عليه في ادني شؤونه اليه المحيط بما في نفسه لآخذ بأزمة همه وتسوق اليه من الامتثال في ذلك مايقرب الي فهمه ثم تربي له ما جاء في الدين المتقدم به من مواعظ وعبر ومن سير

السلف في ذلك الدين مافيه اسوة حسنة وتنعش روحه بذكر رضاء الله اذا استقام وسخطه عليه اذا انحرف . عند ذلك يخشع منه القلب وتدمع العين ويستغذى الغضب وتخمد الشهوة والسامع لم يفهم من ذلك كله الا انه يرضي الله واولياءه اذا اطاع ويسخطهم اذا عصى . ذلك هو المشهود من حال البشر غايرهم وحاضرهم وتذكره يسر نفسه انه ليس منهم. كم سمعنا ان عيونا بكت وزفرات صعدت وقلوبا خشعت لواعظ الدين . لكن هل سمعت بمثل ذلك بين يدى نصاح الادب وزعماء السياسة ؟ متى سمعنا ان طبقة من طبقات الناس يغلب الخير على أعمالهم لما فيه من المنفعة لعامتهم او خاصتهم وينفي الشر من بينهم لما يجلبه عليهم من مضار ومهالك هذا أمر لم يعهد في سير البشر ولا ينطبق على فطرهم وانما قوام المكنات هو العقائد والتقاليد ولا قوام للأمرين الا بالدين فعامل الدين هو اقوى العوامل في اخلاق العامة بل والخاصة وسلطانه على نفوسهم اعلى من سلطان العقل الذي هو خاصة نوعهم

« قلنا ان منزلة النبوات من الاجتماع هي منزلة العقل من الشخص او منزلة العلم المنصوب على الطريق للسلوك بل نصعد الى مافوق ذلك ونقول منزلة السمع والبصر، أليس من وظيفة الباصرة التمييز بين الحسن والقبيح من المناظر وبين الطريق السهلة السلوك والمعابر الوعرة ومع ذلك فقد يسيء البصير استعمال بصره فيتردى في هاوية يهلك فيها وعيناه سليمتان تعملان في وجهه . يقع ذلك لطيش أو اهمال أو غفلة او لجاج وعناد . وقد يقوم من العقل والحس الف دليل على مغبة شيء ويعلم ذلك الباغي في رأيه من اهل الشر ثم يخالف تلك الدلائل الظاهرة ويقتحم المكروه لقضاء شهوة الجاج أو نحوها ولكن وقوع هذه لامثال لاينقص من قدر الحس او العقل فيما خلق لاجله . كذلك الرسل عليهم السلام اعلام هداية نصبها الله على سبيل النجاة فمن اهتدى بها انتهى الى غايات السعادة ومنهم من غلط في فهمها او انحراف عن هديها فأنكب في مهاوى الشقاء فالدين هاد والنقص بمرض لمن دعوا الى الاهتداء به ولا يطعن نقصهم في كماله واشتداد حاجتهم اليه « يضل به كثيرا

ويهدى به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين. ألا ان الدين مستقر السكينة وملجأ الطمأنينة به يرضى كل بما قسم له وبه يدأب عامل حتى يبلغ الغاية من عمله وبه تخضع النفوس الى أحكام السنن العامة في الكون وبه ينظر الانسان الى من فوقه في العلم والفضيلة والى من دونه في المال والجاه اتباعا لما وردت به الاوامر الالهية . الدين أشبه بالبواعث الفطرية الالهامية منه بالدواعي الاختيارية. الدين قوة من اعظم قوى البشر وانما قد يعرض عليها من العلل مايعرض لنيرها من القوى وكل ماوجه الى الدين من مثل الاعتراض الذي نحن بصدده فنتيجته في اعناق القائمين عليه الناصبين انفسهم منصب الدعوة اليه أو المعروفين بأنهم حفظته ورعاة لحكمته وما عليهم في ابلاغ القلوب بغيتها منه الا أن يهتدوا به ويرجعوا به الى اصوله الطاهرة الاولى ويضعوا عنه اوزار البدع فترجع اليه قوته وتظهر للاعين حكمته

« ربما يقول قائل ان هذه المقابلة بين العقل والدين تميل الى رأى القائلين باهمال العقل بالمرة في قضايا الدين وبأن اسمه هو التسليم المحض وقطع الطريق على أشعة البصيرة ان تنفذ الى فهم ماأودعه من معارف وأحكام . فنقول لو كان الأمر كما عساه أن يقال لما كان الدين هدى يهتدى به وانما الذى سبق نقرره هو أن العقل وحده لا يستقل بالوصول الى مافيه سعادة الامم بدون مرشد الهي كما لا يستقل الحيوان في درك جميع المحسوسات بحاسة البصر وحدها بل لابد معها من السمع لادراك المسموعات مثلا كذلك الدين هو حاسة عامة لكشف مايشتبه على العقل من وسائل السعادات والعقل هو صاحب السلطان في معرفة تلك الخاصة وتصريفها فيما منحت لأجله والاذعان لما تكشف له من مستقلات وحدود اعمال .

كيف ينكر على العقل حقه في ذلك وهو الذى ينظر في ادلتها ليصل منها الى معرفتها وانها آية من قبل الله وانما على العقل بعد التصديق برسالة نبي أن يصدق بجميع ماجاء به وان لم يستطع الوصول الى كنه بعضه والنفوذ الى حقيقته ولا يقضي عليه ذلك بقبول ماهو من باب المحال المؤدى الى مثل الجمع بين النقيضين أو بين الضدين في موضوع واحد

في آن واحد فان ذلك مما تنزه النبوات عن ان تأتي به فان جاء ما يوهم ظاهره ذلك في شيء من الوارد فيها وجب على العقل أن يعتقد أن الظاهر غير مراد وله الخيار بعد ذلك في التأويل مسترشداً ببقية ما جاء على لسان من ورد المتشابه في كلامه وفي التفويض الى الله في علمه وفي سلفنا من التابعين من اخذ بالاول ومنهم من أخذ بالثاني » انتهى كلام الشيخ

(رأينا نحن في مسألة النبوة والانبياء)

هذه المسئلة أصعب مسائل الفلسفة الدينية وعلى حلها يتوقف ثبوت الاديان السماوية . فقد يسهل على الانسان في هذا العصر أن يستدل على وجود الخالق من النظر الى الكون ، وعلى وجود الروح من عرض المباحث والتجارب النفسية التي قام بها اقطاب العلم الاوروبي في هذا العصر ، ولكن لا يسهل عليه وجدان الادلة الكافية على مسئلة النبوة ، ولا يهتدي الى الطريق المؤدية الى الاعتقاد بصحة الاديان التي توزعت النوع الانساني منذ ازمان بعيدة

ان كلامنا في هذه المسئلة يجب ان يكون حالا لشبهات الملحدين المعاصرين ، ومن بلا شكوك المترددين من الاعتقادين ، فلا نوا خذ في رجال الدين ان آنسوا في خلالا لمقرراتهم في بعض هذه المرابي فان شبهات الملحدين في هذه المسئلة لم تدع وجها من وجوه توهينها الا انت عليه ، فأصبح ايمان المؤمنين موهداً بالانحلال ، وفي هذا ما فيه من الضرر العظيم ، لا بالمؤمنين وحدهم ، بل وبالعلم نفسه . واني أرى انه مادام الاعتقاديون حريصين على ما ورد في كتبهم الرسمية من أقوال اسلافهم وان لم يؤيده نص صريح من الوحي فان موقفهم بأزاء الملحدين لا يحتمل المقاومة ، وينتهي امرهم كما انتهى في هذا العصر الى ضعف يمدو على كيانهم ، ويضيع من وجودهم . ونحن اعتمادا على هذا سنسلك في هذا البحث مسلك النقد العلمي حتى يكون ما نكتبه حالا لشبهات الرائجة في هذا العصر

يقرأ الناقد المصري ما كتبه العلامة ابن حزم في حاجة العالم الى الانبياء ، وما كتبه الاستاذ الشيخ محمد عبده وهو أحسن ما يستطيع أن يقوله الاعتقاديون في هذا الباب ، فلا يقنعه ولا يحل له بعض ما فيه من الشبهات

اما شبهاته على قول ابن حزم فكثيرة فقد ذهب الى أن الانسان لم يهتد الى أصغر صناعة من صناعاته ، بل أحقر لهجة من لهجاته ، الا بوحي الهي خط بالانسان الى مادون حركة الحيوان الاعجم ، وغط قواه العاقلة حقها في هدايته وارشاده ، ومثل هذا الكلام لا يقوى على النقد ، ولا يحتمل المناقشة

واما شبهاته على قول الاستاذ الشيخ محمد عبده ، وهو اقل وابلغ ما يستطيعه الاعتقاديون ان يحتجوا به ، فلا تزال قوية في نظره ولم تنفك غير محلولة ، فاذا لم يجد من القائمين على العقائد من يؤيه بنظرية في موضوع النبوة والوحي تتمشى مع العقل والعلم اضطر الى ترك الدين والانضمام الى صفوف الملحدين مضطراً بحكم الدافع العلمي

ونحن في هذا المقام سنخول هذا الناقد العلمي الحق في الادلاء بجميع شبهاته مصغين الى ما يقول بسعة صدر ، وشدة اهتمام حتى لا يدع في جعبة شكوكه سهما من تلك السهام التي نصيبه في أعماق ضميره الا كشف عنه الغطاء وأرانا مكان وجوده ومبالغ تأثيره ، علما منا بأن تلك الشبهات لو بقيت كامنة في صدور الناس ساقتهم الى الالحاد بقوتها الذاتية ، و بقيت عاملة في الخفاء عندهم عمل النار في الهشيم ، وذهب وعظ الواعظين ، وتنبيه المنبهين سدى كما هو حاصل اليوم ، وأخذ الدين في التضاؤل أمام العلم حتى ينتهي أمره الى التلاشي كما دل عليه الدلائل اليوم

يمكن تلخيص ما قاله الاستاذ الشيخ محمد عبده في هذه الكلمات.

الانسان في حاجة الى النبوة بدافعين طبيعيين فيه

(أولهما) اعتقاده ببقاء الروح بعد الموت في عالم وراء هذا العالم وحاجته لمعرفة ما عليه ذلك العالم من الشؤون وما أعد له فيه من الحالات ، فرحمه الخالق بان أرسل اليه من يكشف له من أمور ذلك العالم ما تطمئن نفسه اليه ، ومن الحالات التي تنتظره فيه ما يجب التعويل عليه

(ثانيهما) قيام أمر الانسان على الاجتماع والتضامن بين افراده في الحياة ولم يفطر الانسان على ما فطر عليه النحل أو النمل مثلا من الاجتماع والتضامن بل ترك لتأثير عقله وفكره ، واستدلاله ونظره ، وليس

في صفاته هذه مايحمله على احكام روابط الاجتماع على بني جنسه لغلبة الشهوات عليه، فكان لابد للناس من أنبياء يرسلهم الله بالاوامر الصادعة ، والعظات الرادعة والمعجزات الباهرة ليحملهم كل ذلك على الاجتماع عليه ، وعلى ماجاء به من امر الله فيتحابون بواسطته في الله ، ويجتمعون على هديه وهداه

يقول الناقد العلمي : ليس في هذين العاملين مايكفي لتعليل نظرية حاجة الانسان الى الانبياء لجريان السنن الاجتماعية على خلافها ، ولتظاهر الاحوال الانسانية في مناقضتها ، ولمخالفة بعض المسلمات التي استند عليها الاستاذ لمقررات العلم وكلامنا في نقدها ينحصر في الوجوه التالية :

(أولا) ليست الامم كلها تعتقد بخلود الروح فعلى الارض امم منها من هي على الحالة الوحشية ومنها من هي من أرسخ الامم قدما في المدنية لاتقول بهذه العقيدة أو تقول بها على نقص فيها ، ولم يمنع هذا من ظهور النبوات أو مايشابهها فيها فالامة البوذية وهي تعد بمئات الملايين لاتقول بخلود الروح (على رأى العلماء الاوربيين وان كان بعض الباحثين في دينهم ينقضه) فرمي عقيدتها على ماقبل الخلاص من آلام الحياة ومنغصات هذا التكوين بالفناء وضياع كل حس بالوجود الذاتي . وقد دعا الى هذه العقيدة في الهند قبل نحو الفي سنة رجل منهم يقال له بوذا فلباه الناس سراعا والتفوا حوله وتحمسوا لدعوته تحمسا لاغاية بعده حتى كان أحدهم يعذب بالحديد والنار ليصبأ عن دينه فيحتقر انواع هذه الآلام في سبيل تمسكه بمذهبه . وانتشر هذا الدين في سنين معدودة بين الهنود والصينيين انتشاراً زعزع اركان الدين البرهمي القديم

بل هذه امامنا الديانة الموسوية لم يذكر كتابها (التوراة) الخلود بكلمة واحدة بل اقتصر في حث اليهود الى الطاعات على مكافأتهم بالوصول الى أرض الميعاد وهي فلسطين . ولم تنشأ هذه العقيدة فيهم الا بعد موت موسى عليه السلام كما يدل عليه ماسطر في كتاب التلمود . فلم يكن علة ظهور نبيهم هدايتهم الى مايتلمسونه من العلم بحال الحياة الآخرة ولا ارشادهم الى اتقان الاعمال التي توصلهم اليه

والامة المصرية القديمة وان كانت تعتقد بخلود الروح الا انها كانت تعتبره من حظ الذين تسعدهم العناية بتصبير أجسادهم بعد موتهم ، وما كان يحصل منهم على هذه الميزة الا الملوك وأفراد من سراة الامة ، وهذا كله لم يمنع تمسكهم بأنواع من الاعتقادات ، وضروب من العبادات بعثتهم لاقامة الهياكل وتعظيم الكهان

وفي الارض امم تعتقد بالخلود ولكنها تقصره على ملوكها وكبرائها ومحاربيها ولم يمنعها ذلك من تمسكها ببعض العقائد وتحمسها لها تحمسا تسترخص معه في سبيل نصرتها حياتها النفيسة

فيتبين من هذه النظرة الاجتماعية لكل متأمل ان العقيدة بالخلود لاتصح ان تكون علة في بعث الانبياء ولاسببا موجبا لارسالهم . فان الامم كما رأيت لاتستوى في الجرى وراء هذه العقيدة بل منها ما جعلت الخلاص من الآلام والنجاة من مقتضيات الوجود مرتبطا بالفناء البحت فجعلت عقيدة الفناء غايتها الدينية كبعض الفرق . فقول الاستاذ اتفقت كلمة البشر الا قليلا لايقام لهم وزن على ان لنفس الانسان بقاء تحيا به بعد مفارقة البدن الخ لاينطبق على مقررات العلم الاجتماعي ولايصح ان يكون اساسا لارسال الانبياء الى الامم

(ثانيا) قد تقرر في علم الاجتماع البشرى ان السائق الوحيد لاجتماع الانسان على بني جنسه هو حاجة أفراده الى التضامن في الحياة وان هذا الاجتماع والتضامن ليسا في حاجة الى عامل من الاعتقاد بالنبوات لظهور اثرهما في الامم التي لاتدين للانبياء اكثر من ظهوره في الامم التي تدين لهم . ونحن لا نذهب بالقارىء الى العهود البعيدة من تاريخ الامم غابرها وحاضرها وهذه امامنا الامم المتمدنة قد أقامت وحدانها على الوطنية المجردة عن كل صبغة دينية حتى ان منها ماحرم تدريس الدين في مدارسه الرسمية وانت ترى ان هذه النزعة فضلا عن انها لم توه روابطها ولم تحل حوافظها قد زادتها قوة على قوة وكل منها اليوم تناضل عن وحدتها مناضلة الحي عن وجوده لاتبالي في سبيلها بما تريق من مهجاتها ، وماتبذل من اموالها : وقد قال فيها التضامن والتكافل والترافد والعدل

على قواعد الصانعة المجردة عن كل غرض دنيء ، ولم يظهر على بنائها تضعضع ، ولا على اركانها تزعزع رغما عن جريها شوطا بعيداً في مناقضة الانبياء والقائمين على تعاليمهم ، فلو كان لاقوام العدل والحياة الاجتماعية والتضامن في الوجود الا بالنبوات لكانت انحلت روابط هذه الامم ، وساورتها المحللات من حيث تدري ولا تدري ولسنا نشذ عن ،قررات العلم لو قلنا ان هذه الامم ما انجهت لهذه الوجهة الصالحة في الحياة ،ولا وصلت الى هذه الغايات البعيدة من العلم والعمران الا بترك التعاليم الدينية ، والانفكاك من تقاليدها القديمة

(ثالثا) لو كانت النبوة كما يقول الاستاذ ضرورية لحياة النوع البشرى ، ولاقوام لها الا بها فلم كثرت الانبياء في أمم وحرمتهم امم أخرى ، كثيرا في الامة الاسرائيلية مثلا وحرمتهم الامم الافريقية وكثير من الامم الاسيوية والاوربية؟ ولم كان يمضي بين رسول ورسول مئات من السنين مع اقتضاء حالة الامم وخصوصا في اول عهدها بالحياة لمن يواليها النصيحة ،ويتابع لها الموعظة ولم تنقطع النبوة بعد خاتم النبيين مع ان اكثر الامم لاتزال على ما كانت عليه قبل آلاف من السنين ؟ ولم لم ترسل لمثل أمم الهوتانتوت والنيام نيام في افريقيا وأمثالهم في الاوقيانوسية وأمريكا وآسيا أنبياء ونحن نرى هذه الملايين من المخلوقات في حاجة الى من يقوم اعوجاجهم ويهديهم الى سواء السبيل ؟ هل يعقل أن يحابي الخالق الحكيم بعض الامم فيرسل لها مئات الانبياء كالامة الاسرائيلية ويحرم من هذه النعمة بقية البشر ، أو يكتفي بأن يرسل اليهم واحداً او اثنين في الوف من السنين؟

يقول الاستاذ قد كان ارسال الانبياء لهداية الخلق الى الحق وان النبوة كانت حاجة من حاجات الاجتماع التي لا محيص عنها ،وقد نص القرآن على عكس هذا فذكر في آيات لاتحصى ان الله كان يرسل المرسلين للامم فتنفر منهم وتنكر عليهم تعاليمهم وتناصبهم الحرب فتارة تقتلهم ،وطوراً ينتصر الله لانبيائه فيبيد تلك الامم ،حتى صرح بأن الامم كافة قد اتحدت كلمتها على مناقضة الانبياء والنفور منهم والتألب عليهم ، فكيف

توفق بين هذه التصريحات وبين قول الاستاذ أن النبوة حاجة من حاجات الامم وعماد لايمكن أن يقوم مقامه غيره في بناء هيئتها ؟

لو كانت النبوة حاجة من حاجات الحياة الانسانية لقبلت الأمم دعوتها وعملت بما أتت به طائعة مختارة ولظهر أثرها عليها في أدوار وجودها ولكن الذي نص عليه الكتاب ان الامم والنبوات كانا على طرفي نقيض ولم يكن من اثر تلك النبوات الا هلاك تلك الامم التي وجدت فيها . فان أقوام نوح وابراهيم وصالح وهود وسواهم ممن لايحصي لهم عدد قد كذبوا رسلهم فأيدوا ودام الحال على هذا المنوال حتى جاء موسى فلقي من قومه مالقي ووجد قومه من جراء عصيانهم له ماوجدوا حتى مات فانشقت عصاهم وتفرقوا في الارض . وتمسكوا بقشور من تعاليمهم الاولى . وجاء عيسى فدعا الناس فلم يجتمع عليه الا ضعفاؤهم ممن لايغني عن نفسه شيئا ودام أمرهم على هذه الحال حتى جاء الامبراطور كونستانتان بعد عيسى بثلاث مئة سنة واتفق انه كان مسيحيا فحمل الناس على التنصر بالقوة فحملوا الى عقيدتهم الجديدة عقائد اسلافهم في تفصيل ليس هذا موضعه ، وجاء خاتم النبيين فكان أوفر الانبياء حظا فعانت له امته بعد مجالدات عنيفة ، ومصادمات شديدة ، ولكنه لم ينتقل الى جوار ربه حتى ارتد العرب الى وثنيتهم ولولا أبو بكر انتدب لمحاربتهم ولجبارهم على الاسلام لكان هذا الدين قاصراً على أفراد من سكان مكة والمدينة ، ومع هذا كله عادت الجزيرة جاهليتها ولكن على شكل آخر ، فرجعت العصبية القبيلية ، والمفاخرة بالانساب ، والفرقة والشقاق ، وما هي الا حياة الخلفاء الاربعة حتى انقلبت الخلافة الى ملك مضوض وطمت البدع ، ولم يبق من الاسلام الا اسمه ، ولا من القرآن الا رسمه ، وخضع الملك الاسلامي للناموس الاجتماعي العام الذي تخضع له كل امة فلم يكن تحولها على مقتضى دينها وشريعتها بل على مقتضى القوانين الاجتماعية التي تخضع لها كل هيئة انسانية . فانقسمت الى طوائف ، وجعلت تلك الطوائف همها مقاتلة بعضها بعضا . على نحو ماعليه سائر الطوائف فأين أثر الدين في كل هذا . وماهي حكمة

ارسال الانبياء بعد أن اربناك ما رأيت؟

هذه أقوال يستطيع أن يقولها ناقد علمي وهي التي تحيك في صدور النشء وتعمل في اخفاء على سليهم العقيدة واخراجهم الى متاهة الالحاد وأنا لم يجرؤوا على الادلاء بها، وقد رأينا أن نبرزها للناس من مكامنها حتى يقف عليها كل قائم على الدين ويجتهد في مكافحتها بالاسلحة التي تناسبها. وانا لو كنا رأينا أن ماكتبه الاستاذ الشيخ محمد عبده يحل هذه الشبه لاكتفينا بنقله كما هي عادتنا. ولكنه كما نرى لايقوى على النقد الجدي. ولا يزيل من النفوس بعض ماعلق بها من شبهات المادين في هذا العصر

وبما أن مسألة النبوة من أهم اركان الفلسفة الدينية وعليها يقوم بناء الدين الاسلامي وكل دين سبقه فقد رأينا أن نبذل الوسع في رد هذه الشبهات ببيان الحقيقة الناصعة في هذه المسألة بذات الاسلحة العلمية وفي المجال الذي يقف فيه الناقد العلمي. ولا يؤاخذني أحد فيما اخالف فيه من سبقني في الكلام في هذا الصدد. فالامر جلل والحقيقة أثمن من أن تضيع تعصبا لمذهب من مذاهب المتقدمين، أو في سبيل نظرية من نظرياتهم. ان الشبه في عصور آبائنا لم تبلغ الى مثل مابلغته في هذا العصر ولم يكن العلم بأحوال الاجتماع شائعا بين الناس على ماهو عليه اليوم فكان قليل من العلم يكفي لرد شبهات الشاكين

ولكنا اليوم حيال مشاهدات علمية مقررة وامور واقعية ثابتة، وازاء ملحدة قد جددوا فنون الجدل، ومرنوا على التلاعب بالادلة الحسية فاذا أردنا أن ننصر العقيدة نصراً صحيحا وجب علينا أن نقابل هؤلاء المناضلين بمثل علومهم وبذات أسلحتهم. ولو أدانا هذا النضال الى التسامح في بعض مقرراتنا الرسمية والا ضاعت العقيدة بالجمود على تلك المقررات التي لايقوم عليها دليل. بل التي قد قام الدليل العلمي على بطلانها. واذا كان الله هو الحق، وليس لنا من حياتنا ومجهوداتنا الا ماتقوله ونعمله من حق، فلا يجوز أن يقف في سبيل وصولنا الى الحق حائل من التعصب القديم ولا مانع من الجمود على موروث

(رأينا في حلول هذه الشبه) هل النبوة حق ويمكن اثباتها علميا؟ هل هي حاجة من حاجات الانسان الاجتماعية والروحية؟ هل أمرها ينطبق على نواميس الاجتماع البشري؟ وهل يمكن وجدان الناموس الاجتماعي الذي تسير بموجبه، وقد ثبت لنا من النظر في أحوال البشر ان شؤونهم مقودة بنواميس ثابتة لاتتغير تشبه النواميس العاملة في المواد الطبيعية؟ وهل للنبوة أن تثبت، لا تزال حاجة من حاجات البشر أم انقطعت بانقضاء دورها؟ وهل هي شرط من شروط صحة الاعتقاد بحيث يدان في العالم الاخروي من لا يسلم بها؟

لا مناص لنا في هذا البحث من استقصاء الكلام في كل هذه المسائل فان الروح العصرية تتطلبها وأصبح الناس من أمرها شيعا متفرقين، وينتظر منا اعطاؤها القسط الواجب لها من الكلام في هذا الكتاب. فنقول والله المستعان:

﴿ هل النبوة حق ﴾
(ويمكن اثباتها علميا؟)

نعم النبوة حق وقد تناهضت الادلة العلمية اليوم على اثباتها بعد شيوع المباحث النفسية في اوروبا حتى صار في مكنة من يريد تمحيص مسائلها أن يقف على أدلتها بالبراهين المحسوسة. هذه جرأة منا في التعبير. ولكنها جرأة يسوغها مالدينا من المعلومات وان كان الشرقيون لايزالون في ناحية عنها. لقد أكب علماء الغرب وأفطاب فلسفته على دراسة الروح ومظاهرها على الاسلوب العلمي في النصف الاخير من القرن التاسع عشر واعنوا بها اعتناما لم يسبق له مثيل في مسئلة أخرى من المسائل العلمية وبلغ من عنايتهم بها ان انتدب لبحثها ألوف من رجال العلم في كل أمة من الامم المتمدنة ودونوا مباحثهم في كتب لاتحصى كثرة وأسسوا لها المجلات الخاصة وأقاموا لها المجتمعات والنوادي حتى اجتمعوا لها في شكل مؤتمر مرات عديدة. هذا كله حصل ولا يزال يحصل في العالم المتمدن والشرقيون بما هم فيه من الاعراض عن دراسة المسائل العلمية لايزالون في ناحية عنه وقد انقسموا فيما بينهم الى فئتين فئة تؤيد المذاهب القديمة في الروح وأحوالها والنبوة وشؤنها، وفئة ضربت الصفح عن كل ذلك ووقر في

روعها ان المدنية لا تعني غير الخروج من كل عقيدة ، والاتملاس من كل رابطة روحية، فاداهم ذلك الي أشنع حالات الاباحة ، ولم يرزقوا رجالا من ذوي الغيرة العلمية ينبهونهم الي ما هو حاصل في العالم الغربي، وما فتح الله به علي الناس في آخريات القرن التاسع عشر ومقدمة القرن العشرين . وقد كنا أول من نبه علي خطورة هذه المسائل منذ استطعنا ان نمسك القلم أي منذ نحو عشرين سنة بعد أن هدينا الى هذه المباحث في أثناء اشتغالنا بدراسة المسئلة الدينية ونحن في سن الدراسة التجهيزية فتجلي لنا منها ماتجلي وأخذنا منذ ذلك الحين نشيعها وندعو الناس الي تأملها منفردين لم ينصرنا في الالفات اليها كاتب بل كانت بعض المجلات تسأل عنها فتجيب بأن هذه حركة قام بها الغفل من الناس ، وجرى وراءها من يسهل عليه الانخداع للمشعوذين والدجاجلة . والله يعلم ان أصحاب تلك المجلات كانوا أجهل بما يفتنون فيه من سائليهم، بل كان من الكتاب من كتب في الحط من شأنها ماكتب فجنى بذلك علي الناس والعلم أكبر الجنايات وكان من أثر ذلك ان وقفت هذه المسئلة عند حد محدود من أذهان الشرقيين . ونحن قبل أن نخطو خطوة في الاعتماد علي هذه المباحث ننقل للقراء بعض أقوال أقطاب العلم فيها

قال الفيلسوف جان فينو صاحب مجلة المجلات الفرنسية في مجلته :

« ان عدد أشياع المذهب الروحي قد بلغ الآن نحو العشرين مليونا . وهم اما علماء أو أساتذة في الفنون أو أطباء أو مهندسون . ولا يصح أن نتوهم ان هؤلاء الرجال يستخدمون التدليس لانجاح الخرافات ، و يصعب علينا أن نتهم هؤلاء العلماء بالسذاجة فان دقتهم الشديدة في التجارب العلمية أشهر من أن تذكر » انتهى

وقال الاستاذ العلامة روسل ولاس الانجليزي وهو مكتشف مذهب التحول والارتقاء اي مذهب دارون مع دارون في وقت واحد ولكن ثبت ان دارون كان أطلع بعد اصدقائه علي مذهبه قبل ان ينشر روسل ولاس مذهبه ببضع سنين فرأى العلماء من العدل ان ينسب المذهب الي دارون ، يكفيك هذا ادلالا علي

فضل الرجل وسعة اطلاعه ودقته في البحث قال في كتابه المسمي المعجزات في العصر الحاضر .

« لقد كنت ماديا صرفا مقتنعا بمذهبي تمام الاقتناع ولم يكن في ذهني ادني محل للتصديق بحياة روحية ولا بوجود عامل في هذا الكون غير المادة وقوتها ولكني رأيت أن المشاهدات الحسية لاتنالب فانها قهرتني واجبرتني علي اعتبارها أشياء مثبتة قبل أن اعتقد نسبتها الى ارواح الموتي بمدة طويلة . ثم اخذت هذه المشاهدات مكانا من عقلي شيئاً فشيئا ولم يكن ذلك بطريقة نظرية تصورية ولكن بتأثير المشاهدات التي كان يتلو بعضها بعضا بطريقة لا يمكن التخلص منها بوسيلة اخرى » (اي بغير نسبتها الي العالم الروحاني » انتهي

ونحن نستطيع أن نأتي علي آراء لايحصى لها عدد في هذا الصدد وكلها منسوبة للعلماء الاعلام امثال الاساتذة وليم كروكس وارليفر لودج وجارتي وميارس ومورجان وشارل ريشيه وكاميل فلامريون وزولنر ولومبروزو ومايس وهار وهيزلوب وهودسون من كل امة من الامم الاوروبية والامريكية فراجع ماكتبناه في كلمة (الله وروح) لتقف علي بعض هذا. وما ترددنا لمثل هذه الاسانيد في هذه المناسبات الا ليذكر القارىء اننا لانعتمد في ابحاثنا علي الاوهام ، ولا نستند علي الاحلام . فان قال قائل بعد هذا ان جميع هؤلاء ممخرقون أو واهمون ، وهم أقطاب العلم الطبيعي وأساتذة اساتذة اكبر رأس في هذا الشرق الفقير من العلم والعلماء ، فعلي الفلسفة والفلاسفة السلام

لنرجع الى ماكنا فيه . قلنا أن النبوة ، حق فقد ثبت علمياً وبالتجارب الحسية أن الانسان مكون من جوهرين متميزين المادة والروح ، فهو بجسده مرتبط بهذا العالم المادي المحسوس المحدود ، وبروحه متعلق بعالم روحاني ليس له حد ينتهي اليه ، ولا غاية يقف عندها ، فهو اذا كان بجثمانه لايفترق عن الحيوان الأعجم في حاجته الى الغذاء والتزاوج لحفظ جنسه ونوعه ، الا انه بروحه يلحق بعالم عال لايدرك كنه رفعته وهم ، ولا يحوم حول جماله وجلاله خيال ، عالم متسلط علي المادة يوجدها ويلاشيها ،

متصرف فيها يميتها ويحييها. هو العالم الالهي الحق الذي يعتبر مصدر ومرجع كل وجود غيره . وما هذه المادة الا مظهرا من مظاهره ومجلى من مجاليه. نسبتها اليه كنسبة الزبد الي البحر أو الاشعة الي النور

وقد ثبت بما لايحصي من الأدلة العلمية أن الانسان لو أنيم نوما مغناطيسيا فانقطعت عنه خواطر الحس ظهر تعلق روحه بذلك العالم ظهوراً لايحتاج معه الدليل. فتراه يرى بغير عينيه ويسمع بغير أذنيه ويحس بغير مشاعره يرى البعيدين عنه والقريبين منه علي السواء ويسمع مايقال بجانبه وما يتكلم به علي ابعاد شاسعة في أقطار متنائية يقرأ الخواطر التي تجيش بنفس المحيطين به ويطلع علي هواجسهم فيصورها كأنه يشاهد جيشانها في صميم النفوس واعماق الصدور. فاهذه الحال اذا كان الانسان مادة محضاء وجسداً صرفاً اذا كان الانسان لايشعر الا بحواسه ، ولا يدرك الا بمشاعره . فاهذا الاحساس بما هو بعيد عنه والاخبار عما ليس بينه وبينه اتصال ؟

من هنا اقتنع العلماء بالحس علي أن للانسان روحا من غير جنس المادة وان هذه الروح لاحد لسلطانها ، ولا غاية لارتقائها ، وانها تتصل بأرواح متجردة عن المادة فتخبر عنها عن شهود وعيان ، لاعن وهم وخيال . قال العلامة (بيو) الفرنسي في كتابه (المذكرات علي المغناطيس الحيوى)

« النوم المغناطيسي يثبت وجود الروح وخلودها ويبرهن علي امكان اختلاط أرواح متجردة عن المادة باخرى لم تزل مكسوة بها

وكتب الكاتب الكبير (جول يوا) في جريدة الطان الشهيرة في ٢١ يونيو سنة ١٩٠٥ يقول :

(ان ماحدث من أنواع الشفاء بواسطة التنويم المغناطيسي مما يكاد يعد معجزة ، وما حصل من الفوائد بواسطة التلقين والاستهواء ، وما يشاهد من مزايا الاعتقاد وثبات الارادة ، والمحاورات المدهشة بواسطة التليائيا (وهي التأثير علي الغير والتأثر به من بعد) ومسائل الاحساس بالمستقبل وقراءة الافكار وظهور شبح الانسان في مكان بينما يكون هو في محله لم يتحرك . واستخراج القوة الحيوية من الجسد (وقد توصلوا الى

رسمها وقياسها) وما يراه الانسان من الغيوب في النوم والانباء بالامور المستقبلة والخوارق التي تتم علي يد الوسطاء ودراويش الهنود وهي في أكثر الاحوال صحيحة صادقة كل هذا يتكون منه مجموع عظيم من حوادث ومشاهدات يستحيل علي الانسان أن يزدريها وأن لايعبأ بها » انتهي

هذا العالم الروحاني الذى تجلي بجلاله وأبهته لعلماء العالم المتمدن أصبح نكرانه ضلة من أكبر الضلالات ، وزلة لاتغتفر لفاعلها

هذا العالم الروحاني مصدر الخلق والايجاد ، ومنشأ الحس والادراك لايحدث في عالمنا المادى حادث صغر أو كبر ، ولا يتحول فيه أمر جل أو حقر ، الا كان متنزلا منه ، وصادراً منه

فاذا ثبت ان المنوم نوما مغناطيسيا يتصل به فيروى عنه معلومات تفوق معلومات البشر ، وان الوسيط الذى يستخدم لتحضير الارواح يتصل منه بالارواح المجردة فتظهر للحاضرين بعد أن تكتسي بالمادة فيلمسونها أو يزنونها ويفحصونها وتأتيهم من الخوارق بما يشبه معجزات الانبياء وكرامات الاولياء ، اذا ثبت هذا كله ، وقد ثبت ثبوت المشاهدات العلمية علي أيدى أقطاب العلم العصرى ، فهل يسوغ أن ينكر علي أفراد من النوع البشرى ادعوا انهم أنبياء أن يتصلوا بذلك العالم علي قدر مراتبهم فيأتوا منه للناس يعلم مالا يعلمون ، وتفسير ماكانوا يجهلون ، ويوحي اليهم منه مايرفع نفوسهم ويزيل شكوكهم ، ويفيدهم في دنياهم وأخراهم ؟

من الظلم البين ، بل من الجهل الفاضح أن ينكر الرجل العصرى هذا الامر بعد ماثبت بالمشاهدة في المجامع العلمية. وقد آب العلماء الماديون الي التصديق بالنبوات بعد أن كانوا ينكرونها ويحشرون الانبياء الي مصاف المصابين بالهستريا أو المخادعين المرائين ، وأصبحوا يعتقدون بأن الانبياء كانوا صادقين في ادعائهم الاتصال بالعالم الروحاني ، واستقاء معلوماتهم منه

بقي علينا أن نعرف ماهية الوحي ومراتب الاتصال بالعالم الروحاني ، وشؤون ذلك العالم الي غير ذلك من المعارف الضرورية لهذا البحث فنوجه نظر القارىء

الي ما كتبناه في كلمة وحي في حرف الواو فقد أسهبنا الكلام عليه وأتينا علي آراء العلماء المعتبرين فيه

﴿ هل النبوة حاجة من حاجات ﴾
﴿ (الانسان الاجتماعية والروحية ؟) ﴾

ان دراسة الاحوال الانسانية ، والنظر الي شؤون الاجتماع البشرى يرينا ان النبوة ليست حاجة من حاجات الاجتماع ولكنها حاجة روحية بمعنى ان الاجتماع لا يتوقف عليها ولكن يتوقف عليها استقامة النفوس علي جادة الصواب في مراميها المعنوية

فالاجتماع تدعو اليه الضرورات الحيوية المادية ، وكفي بهذه الضرورات صائغا انضمام الافراد وتضامنهم في سبيل الحياة وقد نص القرآن الكريم علي ان الله كان يرسل رسلا الي أمم كانت قائمة علي اقوى الدعائم الاجتماعية وعلي جانب عظيم من المدنية المادية فكانت تكذيبهم وتستهزىء بهم فيحل بها النكال بسبب ذلك التكذيب . وفي الارض اليوم أمم رفضت تعاليم الانبياء وهي علي احسن مايكون من التضامن الاجتماعي . فالنبوة اذن حاجة روحية بحتة لم تحرم منها امة من امم الارض مهما كانت درجتها من سلم الارتقاء

قد دلنا تاريخ البشرية علي انه لم توجد امة علي سطح الارض مهما سفلت منزلتها في درجات العقل محرومة من أساطير دينية ولو علي أحط الاشكال ، اللهم الا أفرادا من النوع البشرى يهيمون علي وجوههم كالانعام لا يفترقون عن القردة الا في تجرد أجسادهم من الشعر يصادفهم السائحون في بعض الغابات علي حال من الانحطاط العقلي ليس وراءها غاية ، ويظنهم من يراهم انهم من بعض القردة . ومثل هؤلاء لا يصح أن يعتمد علي حالهم في نقض الحقيقة الاجتماعية التي قررناها من شيوع التدين بين جميع طوائف البشر بغير استثناء وفي كل درجات الاجتماع. فان هؤلاء الهمل أفراد لم يرقوا لدرجة الاجتماع ، ولم يصلوا من الحياة الانسانية لادراك شأن من شؤونها الجامعة

فالتدين عام في جميع الطوائف غابرها ومعاصرها ، باديها وحاضرها . وهذا التدين فيها يتمثل الناظر في عقائد رسمية ، وأصول ايمانية ، وتقاليد محترمة

وان كان منها مايأباه العقل ، وينفر منه الطبع ، الا انه علي أي الاحوال كان دين قائم علي اسس راسخة في عقول تلك الطوائف ، ومتسلط علي أهوائها بحيث تسترخص في الدفاع عنه أرواحها وتستهين في حياطته كل المراكب الخشنة ، فمن أين أتت هذه الامم تلك المقررات الدينية وكيف اجتمعت كلمتها عليها وبأية وسيلة رسخت اصولها فيها ؟

ان قلنا ان التدين فطرة في النفس البشرية وانها ساقت الامم الى تأليه قوى الطبيعة أو بعض مظاهرها ، فكيف تدرك اتفاق كل طائفة علي رسوم مقررة منها ، واصول معينة فيها ، وكيف توحدت وجوه العبادة فيها واجتمعت اهواؤها علي أشكال محصورة من شؤونها ؟

لايمكن تعليل هذه الوحدة في الوجهة الا بأحد امرين وهما اما قيام نبي فيهم دعاهم الي دين يناسب عقولهم واحوالهم الاجتماعية فخف القوم لتلبيته حتى احالوها الي الوثنية ، واما نبغ فرد من أفرادهم لامن طريق النبوة بل من طريق النظر والاستدلال ، والتحمس الديني علي شكل من الاشكال ، فاتفق له حجاب الحس عن عالم الروح فنال منه طرفا اختلط عليه فيه شيء من الوهم فأتاهم منه بعلم يناسب اهواءهم ومداركهم فتبعوه ، وتوحدت وجهتهم علي يديه وتلاه علي قيادتهم الروحية خلفاؤه من بعده الى اليوم

لامناص من التسليم بأمر من هذين ، وكلاهما يدل علي أن النبوة بمعناها العام حاجة من الحاجات الروحية للأمم

قلنا النبوة بمعناها العام ونريد بذلك أن تشمل كلمة النبوة مايشتبه بها من الكهانة والعرافة فان كلا من هذه الوظائف تشترك في اظهار وجودها علي العالم الروحاني والفرق بينهما أن النبوة حالة سامية تتوارد بواسطتها المعارف علي صاحبها من مصدر علوى ، وأن الكهانة والعرافة وغيرهما حالات لم تبلغ مبلغ النبوة فتختلط فيها المعارف العلوية علي أصحابها بكثير من الخرافات والاضاليل الشائنة

فالامم في درجات من أدوار تكونها لاتستطيع أن تتدين الا علي الشكل الوثني كما يدل عليه شيوع الوثنية بين جميع الطوائف المنحطة فاذا اتفق أن ارسل الي مثل تلك الامم رسول يدعوها الى

التوحيد عارضت دعوته بكل قوة ونفرت منه أشد النفور ، وبالغت في مناصبته العداء حتى قتلته أو استوجبت قارعة من القوارع التي تصيب الامم عند نشوء الشعب الديني فيها . وهذا فيما يظهر لنا السبب في عدم موالاة الله ارسال الانبياء للأمم المنحطة فهو يدعها حتى تنضج عقولها لقبول التوحيد الخالص، أو تستدعي حالتها ان تبتلي بدعوة من تلك الدعوات فتبيد في سبيل معاصاتها كما حدث في امم كثيرة

فبطلت من هذا البيان شبه كثيرة من شبه الناقد العلمي فيما يختص بارسال انبياء كثيرين الي امة وعدم ارسال نبي واحد الي غيرها ، أو في اطالة الفترة بين رسول ورسول ، أو في قصرهم علي اقطار دون اقطار في أزمنة محدودة

وقد ثبت بهذا التحليل العلمي ان النبوة أو مايشاكلها حاجة من الحاجات الروحية للامم لتساوى الامم قاطبة اما في الخضوع الى نبي من الانبياء أو لكاهن من الكهان . فلو لم تكن النبوة أو مايشبهها حاجة روحية فلم كان هذا الاجماع من الأمم علي التدين ، ولم كان اطباقها علي الالتفاف حول نبي معلوم أو كاهن معين أو هيئة ثابتة تدعي الوساطة بين العالمين

فهل تسمح لنا المعلومات الحاضرة بوجدان الناموس الذى تسير علي موجبه النبوات أو مايشبهها علي نحو كل الاحوال الاجتماعية ذات النواميس المقررة ؟

لامشاحة في أن اجماع جميع الطوائف البشرية علي التدين وعلي الخضوع لزعيم ديني يدل علي وجود ارتباط تام بين ميول الانسان الذاتية ، والمعلومات الروحية ، فهو بهذا الارتباط قد دل علي انه لايقنعه من الحياة مجرد اشباع حاجاته الجسدية ، بل يميل لان ينفق النفف المادية الوصول الي مايشعر بالانجذاب اليه من العوالم الغيبية

قد كان يصح أن يقال أن سبب هذا الانجذاب هو الجهل بأسرار الطبيعة ، والغاية عن نواميس الخليقة ، لولا أن الانسان قد امعن في طريقه هذا حتى بعد بلوغ علم الطبيعة هذه الغاية البعيدة التي نحن عليها الآن ، بل لانبالغ أن قلنا أن ميل الانسان لفتق حجب المادة والنفوذ الى ماوراء الطبيعة لم يكن في عصر من العصور مثل ماهو عليه في هذا

العصر من القوة وشدة الاندفاع ، فقد تصدى لهذا البحث الوف من العلماء كما ترى في كلمتي الله والروح وغيرهما من هذا الكتاب ، وقد تكللت هذه الجهود بالنجاح فصار لدينا من علم ما وراء المادة معارف مقررة ثابتة دون انكارها انكار الشمس في رائعة النهار

هذا الارتباط التام بين ميول الانسان وبين المعارف الروحية ، يقتضي وجود الموصل بينهما والقائم علي كسر الحجب التي تفصلها ، ولايكون هذا الاعلي يد نبي او مايشبهه من الوسطاء بين هذين العالمين

والذى يشاهد بالحس انه لم ينقطع المدد الالهي عن الناس من هذه الوجهة في زمن من الازمان فان لم يكن في الامة نبي قام مقامه فيها نابه له علي قدمه أو كاهن أو مايشبهه من الذين يجدون وراء اختراق الحجب الوصول الي عالم الروح حتى وصل الامر الي عصرنا هذا وهو عصر العلم فتولي أمر فتح الطريق الي العالم الروحاني علماء الطبيعة أنفسهم كما قال الاستاذ (كارل دوبرل) « كانت العلوم الطبيعية أول من جاراًت علي انكار الروح فعاقبها الله بان كانها هي أن تقيم علي وجودها الادلة الطبيعية »

فالناس لم يجروا في دور من أدوار وجودهم ولا في درجة من درجات مداركهم ممن يمدهم بحاجتهم من هذه الوجهة

اننا لا نستطيع ادراك الناموس الذى أوصلت الانبياء علي موجبه كما لا نستطيع ادراك الناموس الذى تولي توليد القادة والفاتحين أمثال قمبيز وبختنصر والاسكندر وجنكيزخان وغيرهم ولا الفلاسفة الاولين كفيثاغورس وسقراط وافلاطون وارسطو، ولكن هذا الجهل منا بناموسهم لا يمنع اعتقادنا بضرورة رسالاتهم لاحداث الانقلابات الاجتماعية التي لامناص منها لترقية النوع البشرى وقد تأثرت البشرية برسالات الانبياء اكثر مما تأثرت بفتوحات الفاتحين . فقد أثارت تلك الفتوحات ثائرة الشعوب وأحدثت في أحوالها الاجتماعية انقلابات كان لها أثر في دفعها الى الامام دوائر معينة ، ولكن تلك الرسالات مع احداثها مثل هذه الانقلابات الاجتماعية من الوجهة المادية احدثت انقلابات نفسية لاتقل عنها خطورة فلطفت

من خشونة تلك الشعوب وهذبت من أخلاقها وبعثتها الي باحات جديدة من الحياة الروحية ولا سبيل الى انكار هذه الآثار الخالدة الي اليوم

يقول الناقد العلمي في نقده ما الحكمة في ارسال الرسل ولم يلبث الناس على تعاليمهم الا سنين معدودة ثم ارتكسوا الي أسوأ مما كانوا عليه وصاروا شيعاً وضرب الامثال بالاسرائيليين والمسيحيين والمسلمين في تنكبهم مناهج رسلهم وعدم تمسكهم من أصولهم الا بالاسم

نقول ان في هذا الاعتراض شطحا عظيما فيجب رده الي حده المعقول ثم الاجابة عليه

نعم ان اتباع الانبياء لم يسيروا على مادعوا اليه الا مدة وجود انبيائهم بين ظهرانيهم ثم نزعوا الى التبديل والتحريف من بعدهم . وجروا في هذا الدور الي مدى بعيد ، ولكنهم لا يزالون متمسكين منه بما يرفعهم عن حالتهم السابقة درجات كثيرة تصلح لان تأخذ بيدهم الي أدوار من الانقلابات جديدة ، ولا أحيلك الا الي ما يشبه الحس من مقررات التاريخ

جاء موسي الي بني اسرائيل وهم في أسر فراعنة مصر على حال من الضعف والذل ليس بعدهما مرمي فأنقذهم من هذا النير الثقيل وأنشأ لهم دولة ذات بأس شديد صلحت لان تبقي ثابتة قوية مدة حياته وقرونا بعد وفاته ولا يزال لليهود شخصية الى اليوم

نعم ان اتباع موسي انحرفوا عن صراطه بعد موته ولكنهم حافظوا من تعاليمه على ما يجعل الفرق بينهم في حالتهم بعده وحالتهم قبله كبيراً جداً وهذا كل ما يطلب من حوادث الانقلابات الاجتماعية فان الطفرة محال والقرون في اعمال الجماعات كالسنين في عمر الانسان

وجاء عيسي الي قومه فأخذ باصوله منهم من أخذ ، وجمد على ما كان عليه من جمد ، فلم يمض الا نحو ثلاثة قرون بعده حتى ظهر مذهبه يتلألأ في جو أوروبا تلألؤا يأخذ الابصار فحل الاعتراف بالروح وسلطان الروح ، والتخلق بالرحمة والحنان والعطف والزهد ، محل الالحاد والقسوة والفظاظة والانغماس في الترف وغيرهما من الاخلاق التي كانت سائدة في آخريات عهد الدولة الرومانية فانقلبت

الحال في هذا المدى القصير واخذت الاصول الجديدة تعمل عملها في تهيئة الاوروبيين الي الباحات الجديدة حتى تأدوا بعوامل الترقي الى ما وصلوا اليوم اليه لا باسم الدين بل باسم العلم

نعم ان اتباع عيسي انحرفوا عن طريقته في تمسكهم بمذهبه في كثير من الشئون ولكنهم ابقوا من اصوله على ما يميزهم عما كانوا عليه ويكفي لادخالهم في الادوار التي تؤدي اليها تلك الاصول . ولا ينكر هذا الا متعنت

يقول قائل ان أقطاب النهضة الاوروبية يزعمون انهم ما نهضوا بالعلم الا بمنابذة الدين وما أسسوا ما أسسوه من أصول المدنية الا بقهر زعماء الدين ومن لف لفهم من افراد الامة

نقول كل ذلك كان ولكنه لا يقدح في قولنا ان الدين المسيحي اوجد لاروبا مزاجا جديداً لم يكن لها في عهد الرومان ولم يكن في اصول المدنية الرومانية ما يؤدي اليه وقد انتهي امرها الى اخلاق تستحيل معها الحياة من البذخ والترف والاباحة فلولا ان اسعفها الله بالدين المسيحي في ذلك العهد بما فيه من ملطفات الحياة البهيمية لارتكست تلك المدنية الرومانية الي وحشية ليس لها مثيل

نعم ان المسيحية بما كان في اصولها من الزهد وترك الدنيا وبما جمد زعماؤها على درجة معينة من العلم الكنيسي قد وقفت بأوروبا نحو الف سنة فلم تمد نحو الترقي قدما ولكنها كانت وقفة لا بد منها لازالة ما تركته وثنية الرومانيين من صفات الوحشية ولازهاق عوامل الفناء التي كانت ولدتها تلك المدنية المادية ، فلما تهيأت النفوس هنالك للنهضة وجد العاملون عليها من القائمين على الدين ما لم يجده من سبقهم من العاملين في امة من انواع الاضطهاد ، ولكنه كان اضطهاداً أشبه بالوثني منه بالمسيحي لان الدين المسيحي ينهي عن الاكراه ولو في مصلحة الدين ويحرم استعمال القوة ولو للدفاع عن النفس . فلما نشأ العلم بشكوكه وعدائه للدين لم يأنف الاوروبيون ان ينتسبوا للمسيحية مع ما أثاره العلم من الشبهات فيها اجلالا لاصول من التحاب والتعاطف والتراحم فيها لم تأت بأرفع منها فلسفة الي اليوم

ولما جاء محمد الى قومه كانوا على حال من الانحطاط والوثنية ليس وراءها

مدى فدعاهم الي دين لانقول أنه يصلح لمباراة غيره من الاديان بل لمباراة العلم العصرى في جلالة قدره : اصول راقية للاخلاق ، ومبادىء قويمة للشريعة ، وحدود حكيمة للمعاملات ، ووجهة كريمة للحياة ، وغاية معقولة للعبادة ، وميدان مفتوح للترقي الصورى والمعنوى ، فقابله العرب بالنفور والمصادمة ، ثم انتهي امره بالغلبة . فخرج العرب به من حضيض انحطاطهم الى باحات من الحياة جديدة تؤديهم الى درجات من المدنية عالية ، فتم لهم في عشرات من السنين مالم يتم لسواهم في مئات منها فصارت لهم دولة نشرت سلطانها علي اكثر المعروف من الاقطار علي عهدها . ثم لما ضعف امر العرب قام مقامهم باسم الاسلام غيرهم من امم الفرس والديلم والكرد وسواهم ، وكان من اثر هذا كله ان تم في العالم الانساني انقلاب كبير باسم الاسلام ولا يزل هذا الدين عاملا كبيرا من عوامل الامم التى تدين به وان بعدت به عن اصوله ، وجردته من اكثر مزاياه

فلا يسوغ بعد هذا لناقد مهما استند علي مقررات العلم ان يزعم بأن الانبياء لم يفيدوا المجموعة الانسانية بكبير شيء وهو يرى بعينيه ان العالم قد توزعته عدة أديان وصبته في قالبها، وقادته الي وجهاتها ، والفت الحالة التى عليها الناس اليوم

ربما قال الناقد هنا : أليس من شر المصائب علي الناس ان توزعتهم هذه الاديان فجعلتهم أعداء الداء ، يتوارثون العداوة والبغضاء ؟ أليس كان الاولي بهم أن لايكون لهم دين من أن يكونوا علي هذه الحال ؟

نقول لم تكن الاديان سبباً أولياً لهذا الخلاف فليس في اليهودية نص يأمر ببغض غير اليهود والحقد عليهم ، وطبيعة الديانة المسيحية تنافي التعصب الذميم ، وناهيك بدين يأمر الآخذ به أن يعطي قميصه لمن يسلبه رداءه ، وجوهر الاسلام يجافي التقاطع لاجل الدين وتاريخ نبيه وخلفائه ومن تبعهم باحسان مفعم بآيات في باب التسامح فالاديان لم تنشىء هذا التحاقد المشاهد بين الامم وانما هي الطبيعة البشرية حولت الاديان الي هواها فتحاقدت باسمها كما هو شأنها في جميع اهوائها ، ولو كانت هذه الامم غير متدينة لكان هذا التحاقد علي أشد مما هو عليه

الآن ؟ ألا ترى بعينيك الامم ذات الدين الواحد بل المذهب الواحد تتصارع وتتناحر من أجل مصالحها المادية لاغير

يستخلص من كلامنا الذى مر ان النبوة آتت الامم التى حدثت فيها خيراً عظيما ، وأحدثت بها في العالم انقلابات كانت ضرورية لبعثها الي باحات جديدة من الترقي، وان هذه الاديان لا تزال من أكبر العوامل المؤثرة في تلك الامم وان بعدت بأهواء أهلها عن حقائقها الاولي ، وخرجت بأوهامهم عن حدودها النافعة

﴿ هل النبوة لاتزال حاجة ﴾
(من حاجات البشر ؟)

الانسان مسوق الى التدين بفطرته، والتدين اذا أحلناه الى معناه الحقيقي وجدنا انه هو شعوره بأن فوق هذا العالم المادى المحسوس عالما أرقي منه يعرفه ويتولي تدبيره ، وانه هو مخلوق تلك القوة ومسخر لها لا يملك لنفسه نفعا ولا ضراً الا بها ، وان سعادته وشقاءه في يد تلك القوة التى لا يدركها عقله .

هذا الشعور الفطرى من الانسان دفعه لتلمس تلك القوة العالية في ذلك العالم الأقدس فاحتاج لمن يحدثه عنها ويدله علي ما يرضيها ومالا يرضيها من الاعمال لتدر عليه اخلاف الرزق ، وتهبه من القوة مايتغلب بها علي أعدائه ومزاحميه

فكان الانسان في جهله هذا مستعداً لقبول كل ما يقال له عن تلك القوة ، ومتطلعاً لخبير من بنى جنسه يستطيع أن يعاونه علي كشف حقيقتها ومعرفة شؤونها لا لأنه يتوق للخلود في حياة بعد هذه الحياة ، ولا لأنه يعشق جمال العالم الروحاني ، ولكن لأنه كان يتخيل من تغير أحوال الطبيعة حوله ان تلك القوة ترضى وتغضب ، وتهب وتمنع ، فاذا رضيت أشرقت الشمس وهبت النسمات اللطيفة، وأخصبت الارض ، وبعدت الحيوانات المفترسة ، وان غضبت غامت السماء ، وزمجر الرعد وسقطت الصواعق، وجرفت السيول أكواخ الناس ، وأجدبت الارض، وانتشرت الامراض ، وأغارت الحيوانات الكاسرة . فكان يرى ان هذه القوة الخفية يجب أن يُخضَع لها ويُتقرب اليها بالطاعات والأضحيات لترضى عنه وتحبوه مواهبها

هـذا هو الذى كان يدفع الانسان في دوره الاول لطلب الدين وهو دافع شديد كان يضطره لتلقف كل ما يقال له من الخرافات حتى قيـل في صبيـله ان يضحي فلذة كبده لارضـاء ذلك الاله المنتقم الجبـار . ولا أدرى أكان اخلاق يرسـل الي أمثال هذه الشعوب أنبيـاء مزودين بالعقائد الضرورية لهم ، أم كان يقوم فيهم مقام الانبياء كهنـة يملؤنهم من خيالاتهم وأوهامهم ماكانوا يرون انه حق يجب الجرى عليه ؟ لا أستطيع ان أبت في هـذه المسأله فان تاريخ الامم الاولية غامض ولم تقص علينـا الكتب السماوية من أنباء الانبياء الا عدداً محصوراً أرسلوا الأمم معدودة

فلما ارتقي علم الانسان بعد ألوف من السنين ، وتلطف شعوره بعض التلطف ارتقت عقائده ، وتلطفت تبعـاً لذلك وظهرت فيه ميول جديدة تقتضيها درجة الرقى التى وصل اليه من حياته العملية ، فأخذ يتخيل الموت وآلامه ، والفنـاء وقبحه ، فتنبهت فيه عاطفة الخلود فى عالم وراء هذا العالم ، فاندفع يتطلبه فراجت فيه الاساطير التى تمثل الحياة في العالم الآخر ووقف فريق أنفسهم لاختـراق الحجب التى تحصل بين العالمين بأفكارهم فتوصلوا الي درجات مختلفة من الفلسفة النفسية حتى أداهم هذا الميل الي الاهتداء الي التنويم المغناطيسي واستحضار أرواح الموتي كما دل علي ذلك تاريخ المصريين القدماء والهنود والصينيين

ولكن مثل هذا الاندفاع الاعتقادى وراء مسئلة من المسائل الغيبيـة يؤدى عادة الي اختلاط بين الحق والباطل فيها ، والباطـل يجر وراءه جيشا من الاضاليل والاوهام فتسوء حالة الامم وتفسد نفوسها وعقولها ، فكان الخلاق يرسل اليها رسلا لاقامتها علي الطريق القويم ولاعطائها من علم ما وراء المادة القدر الذى ينفعها ولا يصح أن تتجاوزه فكان يقف عند حدود ماجاؤا به أفراد ويعصيهم الباقون الى أن استعد النوع الانساني لقبول الرسالات الكبرى كرسالة موسي وعيسي ومحمد صلوات الله عليهم فجاؤا يحدثون الناس عما جا من عالم ماوراء المادة بل كانوا هم أنفسهم في وقوفهم بين العالمين، وتوسطهم بين عالم الشهادة وعالم الروح آيات الناظرين ، فكان موسي يضرب البحر

بعصاه فتظهر اليابسـة ويكون كل فرق من الماء كالطود العظيم ، ويضرب الصخر بها فينفجر منها العيون الغزيرة ، ويمكن بذلك من انقاذ قومه من فرعون مصر الطاغية علي حال لم يسبق لمثيل في تاريخ الشعوب المهضومة الحقوق . وكان عيسي يبرىء الاكمه والابرص ويحيي الموتى. وكان محمد في اتيانه بهذا القرآن المعجز واتصاله بجبريل واسترشاده بالوحي في كل صغيرة وكبيرة اكبر آية للمتوسمين

استقرت هذه الاديان الثلاثة الكبرى فى أقطارها المقـدرة لها وثبتت أديان أخرى فى أقطار أخرى لدى الامم وصلت من الرقي الي درجات صالحـة ورضي أهل كل دين عن دينهم وان كان اكثرهـم قد خرجوا عن مناهجها بمـا زادوا الي أصولهـا وما نقصوا منها علي ما يوافق اهوامهم الا أن اولئك المرسلين قد عرف تاريخهم ودونت آثارهم واعتبروا بحق مؤسسين لمجموعات كبيرة من الاسرة البشرية العامة ودام الحال بين تلك المجموعات علي ما يكون بين الامم من التدافع حتى وصلوا الي القرن السادس عشر الميلادى الذى فيه ولد العلم، ذلك العـلم الذى يطلق اليوم ويراد به مجموع الثمرات العقلية التى حصلها الانسان بجهاده المتكرر الطبيعـة وخلصتها العقول النقادة مما أضيـف اليها من الاوهام . ذلك العلم الذى اوجد جميـع المخترعات والمكتشفات الصناعية التى هي اليوم روح هذه المدنية الفتانة وقوامها ، قال بعض المفكرين الي الزعـم بان عصر النبوات قد انقضي وجاء العصر الذى ينظر الانسان لنفسه بنفسه فيتخذ لها العقائد التى يمولها غير متقيد بتعاليم نبي ولا رسول . وتطرف بعضهم فزعم أن اولئك الانبياء كانوا مدلسـين ظهروا بما ظهروا به لامتلاك نواصي الامم في طفولة العقل البشرى .فان قلت لهم ان اولئك الرسل كانوا يأتون الخوارق الخيرة للعقول هزوا اليك أكتافهم وقالوا أساطير الاولين ....

بهؤلاء القوم جاء دور الماديين فنشروا في العالم تعاليمهم الالحادية مستهزئين بكتب الوحي وزارين علي رجالها فوجدت هذه الاقوال هوى من الافئدة وكان العلم الطبيعي في أثناء ذلك يؤتيهم الملهيات

ويفتح لهم من ألوف الباحات بعد الباحات فطم الالحاد وانزوى الدهريون والقائلون بعالم الروح الى زاوية لا تسمع لهم فيها ركزاً فان تجاوز واحد منهم وضاح بالناس قائلا: أيها الاخوان لقد اهملتم عالم الروح . صاحوا اليه من جميع الجهات أرأيت ذلك العالم بعينيك؟ أطفت ارجاءه برجليك؟ ألمست أعلاه بيديك؟

فان قال لهم ان ذلك العالم لا يدرك الا ببصائر وليس هو من اختصاص المشاعر . صاحوا به لا نصدق الا ما نرى لان البصائر التي تذكرها قد تهيم فتضل أصحابها كما ضلت اهل القرون الاولى . خذ ما تراه ودع شيأ سمعت به

في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

ولكن عالم الروح ذلك العالم العلوي الحق الموجد لهذه المادة والمتصرف فيها لم يحل صيره على هذا التحدي الا وبها يدرك الناس الشبهة فانبثق من خلال المادة العمياء عارضا نفسه التجارب الحسية وكان أول ظهوره في اوروبا على يد المتعاب (مسمر) باسم المغناطيس الحيواني ثم في أمريكا باسم (استحضار الارواح) فثارت ثائرة الماديين واستنجدوا بالعلم المادي ،ذلك الصول الكبير ، لتبديد هذه الاوهام. وما هي الا جولات حتى سجد العلم امام ذلك المظهر الالهي الحق، وأقر لنفسه بالنقص، وشاع الامر في أمريكا ومنها تعدى الى اوروبا ، وانتشر فيها انتشار النور في الظلام فابتدأت اليوم دولة الروح ،تلك الدولة الخالدة ، التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها لقيامها على دعائم العلم العملي ، والفلسفة الحسية ،فاخذت العقول المتعطشة للنور الحق تستهدي بأعلام الروح سالكة في طريق عروجها ،راقية في درجات صعودها ،سابحة في انوار قدسها ، مهتدية بمقررات العلم الطبيعي في أمور دنياها ، وباصول الفلسفة الروحانية في شؤون أخراها، فهل انقضى دور الانبياء ولم يعد الناس بهم حاجة ؟

لا . ان هؤلاء الانبياء كانوا في ازمانهم اعلاما لعالم الروح ونجوما مشرقة يهتدي بهم السالك فيه وهم لا يزالون على ذلك الطريق يمر السالك بهم وهو يقلم من مراحله، و يمر ج عليهم وهو ينتقل في منازله ، حتى أن بحاثي اوروبا لم يكادوا يسيرون في هذه الطريق الروحانية حتى

صادفوا هذه النبوات فيه قائمة ، فآمنوا بها عن بينة ونم قول ربك : « كتب الله لاغلبن أنا ورسلي ان الله قوي عزيز » فأنظر كيف بدأ القرن التاسع عشر ملحداً مكذبا بالروح والخلود والانبياء والنبوات، وكيف ختم مؤمنا بكل ذلك ايمانا مؤيدا بكل الوسائل العلمية

لا أريد أن يفهم القارىء من هذا ان أقطاب العلم الاوروبي آمنوا بالانبياء ايمان الآخذين بأديانهم فأخذوا يمرون البيع والكنائس والمساجد مشتغلين بتلاوة الكتب المقدسة تعبداً بألفاظها ، وتبركا بحروفها . لا . وانما أريد انهم اهتدوا في بحثهم الى فهم حقيقة الانبياء فاعترفوا بأنهم لم يكونوا مشعوذين ولا مدلسين، وانما كانوا وسطاء بين العالم الروحاني والعالم المادي ، قرأوا (أعني الانبياء) تلك المشاهد الروحانية، واجتمعوا بأرواح مجردة فدينهم الى ارشاد أممهم الى طريق الحياة الصحيحة ، فصدعوا بأمرهم يدعون الى عقائدهم ، معززين دعاواهم بخوارق تحير الالباب ، وتدهش المشاعر على نحو الخوارق التي تحدث على أيدي الوسطاء اليوم

هذه هي عقيدة رجال العلم اليوم في الانبياء والنبوة ، ولا يدري الا الله الى أي درجة يصل بهم البحث في سبيل الايمان بهم ، فلندعهم في بحثهم دائبين، فسيؤدون بحول الله الى معارف سامية لا يدركها خيال أحدنا الآن ، ومن وجد وجد ، وكل من سار على الدرب وصل

المتنبي هو أبو الطيب المتنبي الشاعر الأشهر. اسمه احمد بن الحسين ابن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكندي الكوفي وانما سمي المتنبي لانه على ما قيل ادعى النبوة في بادية السماوة وتبعه خلق كثير من بني كلب وغيرهم فخرج اليه لؤلؤ أمير حمص نائب الاخشيدية فأسره وتفرق أصحابه وحبسه طويلا ثم استتابه وأطلقه وكان قد قرأ على البوادي كلاما ذكر انه قرآن أنزل عليه (فمنه) والنجم السيار، والفلك الدوار، والليل والنهار ، ان الكافر لفي أخطار، امض على سننك، واقف أثر من كان قبلك من المرسلين، فان الله قاسم بك زيغ من ألحد في الدين وضل عن السبيل (وكان) اذا جلس في مجلس سيف الدولة وأخبروه من هذا الكلام أنكره وجحده ولما

أطلق من السجن التحق بالامير سيف الدولة بن حمدان ثم فارقه ودخل مصر سنة ست وأربعين وثلاثمائة ومدح كافور الاخشيدى وأنوجور بن الاخشيد وكان يقف بين يدى كافور وفي رجليه خفان وفي وسطه سيف ومنطقة ويركب بحاجبين من مماليكه وهما بالسيوف والمناطق ولما لم يرضه هجاه وفارقه ليلة عيد النحر سنة خمسين وثلثمائة فوجه كافور خلفه عدة رواحل فلم تلحقه وقصد بلاد فارس ومدح عضد الدولة بن بويه الديلمي فأجزل صلته ولما رجع من عنده عرض له فاتك بن أبي جهل الاسدى في عدة من أصحابه فقاتله فقتل المتنبي وابنه محسد وغلامه مفلح بالقرب من النعمانية في موضع يقال له الصافية من الجانب الغربي من سواد بغداد . ويقال انه قال شيئا في عضد الدولة فدس عليه من قتله لانه لما وفد عليه وصله بثلاثة آلاف دينار وثلاثة أفراس مسرجة محلاة وثياب فاخرة . ثم دس عليه من سأله أين هذا العطاء من عطاء سيف الدولة . فقال هذا أجزل الا انه عطاء متكلف ، وسيف الدولة كان يعطي طبعاً . فغضب عضد الدولة فلما انصرف جهز عليه قوما من بني ضبة فقتلوه بعد أن قاتل قتالا شديداً ثم انهزم فقال له غلامه أين قولك :

الخيل والليل والبيداء تعرفني
والطعن والضرب والقرطاس والقلم

فقال قتلتني قتلك الله ثم قاتل فقتل. ويقال ان الخفراء جاؤه وطلبوا منه خمسين درهما ليسيروا معه فمنعه الشح والكبر فتقدموه فوقع له ما وقع . وكان قتله يوم الاربعاء لست بقين وقيل لثلاث بقين وقيل لليلتين بقين من شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلاث مئة ومولده كان في سنة ثلاث مئة بالكوفة في محلة تسمى كندة وليس هو من كندة التي هي قبيلة بل هو جعفي . وقيل ان أباه كان سقاء بالكوفة وكان يلقب بعبدان ثم انتقل الي الشام بولده والي هذا أشار بعض الشعراء في هجوه فقال:

أى فضل لشاعر يطلب الفضـ
ـل من الناس بكرة وعشيا
عاش حيناً يبيع في الكوفة الما
ء وحيناً يبيع ماء المحيا

ولقد أولع بعض شعراء عصره بهجوه حسداً له على فضله وتمكنه من

الملوك ومراعاة لتيهه وتكبره وممن أفحش في ذلك ابن حجاج

ولقد كان المتنبي من المكثرين من نقل اللغة والمطلعين على غريبها وحواشيها ولا يسأل عن شيء الا ويستشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر حتى قيل ان الشيخ علي الفارسي قال له يوما كم لنا من الجموع على وزن فعلى فقال المتنبي في الحال حجلي وظربي قال الشيخ أبو علي فطالعت كتب اللغة ثلاث ليال على ان اجد لهذين الجمعين ثالثا فلم اجد. وحسبك من يقول أبو علي في حقه هذه المقالة . وقال ابو الفتح بن جنى قرأت ديوان المتنبي عليه فلما بلغت الي قوله في كافور الاخشيدى :

ألا ليت شعرى هل أقول قصيدة
فلا اشتكى فيها ولا أتعتب
وبي ما يذود الشعر عنى أقله
ولكن قلبي يا ابنة القوم قلب

قلت له يعز علي كون هذا الشعر في غير سيف الدولة. فقال حذرناه وانذرناه فما نفع ، ألست القائل فيه :

أخا الجود أعط الناس ما أنت مالك
ولا تعطين الناس ما أنا قائله

فهو الذى أعطاني بسوء تدبيره وقلة تمييزه. والناس في شعره على طبقات فمنهم من يرجحه على أبي تمام ومن بعده ومنهم من يرجح أبا تمام عليه . ورزق في شعره السعادة واعتنى العلماء بديوانه فشرحوه حتى قيل انه وجد له ما يزيد على الاربعين شرحا ومن شعره مما ليس في ديوانه بل رواه الشيخ تاج الدين الكندى بسند صحيح متصل به ببيتان وهما :

أبعين مفتقر اليك نظرتني
فأهنتني وقذفتني من حالق
لست الملوم أنا الملوم لانني
أنزلت آمالي بغير الخالق

ولما قتل رثاه أبو القاسم المظفر بن علي الطبسي بقوله :

لا رعى الله سرب هذا الزمان
اذ دهانا في مثل ذاك اللسان
ما رآى الناس ثاني المتنبي
أى ثان يرى لبكر الزمان
كان من نفسه الكبيرة في جيـ
ـش وفي كبرياء ذى سلطان
هو في شعره نبي ولكن
ظهرت معجزاته في المعاني

(ويحكي) أن المعتمد بن عباد اللخمي

صاحب قرطبة واشبيلية انشد يوما في مجلسه بيت المتنبي الذي هو من جملة قصيدته المشهورة وهو :

اذا ظفرت منك العيون بنظرة
أثاب بها معيي المطي ورازمه

وجعل يردده استحسانا له وفي مجلسه ابو محمد عبد الجليل بن وهبون الاندلسي فأنشد ارتجالا :

لئن جاد شعر ابن الحسين فانما
تجيد العطايا واللها تفتح اللها
تنبأ عجبا بالقريض ولو درى
بأنك تروي شعره لتألها

وهذا مثل قديم قاله أبو سعيد القصار في جعفر بن يحيي

لابن يحيي مآثر بلغت بي الى السها
جاد شعري بجوده واللها تفتح اللها

واللها بالضم العطايا وبالفتح جمع لهاة الحلق ، ورثاه ايضا محمد بن عبد الله الكاتب النصيبي بقصيدة يستجيش فيها عضد الدولة على مدحضي قدمه ومريقي دمه

للمتنبي قصائد مطولة تعد الي اليوم من معجزات الشعر فترى ان تلم بطرف منها لان الرجل في نظرنا أشعر شعراء العرب جاهلية واسلاما وانه قد انتهي اليه الابداع الشعري فصار آيته الكبرى وسيكونها مادامت اللغة العربية . فمن محاسن شعره قوله :

كم قتيل كما قتلت شهيد
ببياض الطلي وورد الخدود
وعيون المهي ولا كعيون
فتكت بالمتيم المعمود
درّ درُّ الصباء أيام تجري
ر ذيولي بدار أثلة عودي
عمرك الله هل رأيت بدوراً
طلعت في براقع وعقود
راميات بأسهم ريشها الهـ
ـب تشق القلوب قبل الجلود
يترشفن من فمي رشفات
هن فيه حلاوة التوحيد
كل خمصانة أرق من الخمـ
ـر بقلب أقسى من الجلمود
ذات فرع كأنما ضرب العنـ
ـبر فيه بماء ورد وعود
حالك كالغداف جثل دجو
جي أثيث جعد بلا تجعيد
تحمل المسك عن غدائرها الريـ
ـح وتفتر عن شنيب برود

جمعت بين جسم احمد والسقـ
ـم وبين الجفون والتسهيد
هذه مهجتي لديك لحيني
فانقصي من عذابها أو فزيدي
أصل ما بي من الضنى بطل صيـ
ـد بتصفيف طرة وبجيد
كل شيء من الدماء حرام
شربه ما خلا ابنة العنقود
فاسقنيها فدى لعينيك نفسي
من غزال وطارفي وتليدي
شيب رأسي وذلتي ونحولي
ودموعي على هواك شهودي
أي يوم سررتني بوصال
لم ترعني ثلاثة بصدود
ما مقامي بأرض نخلة الا
كمقام المسيح بين اليهود
مفرشي صهوة الحصان ولكـ
ـن قميصي مسرودة من حديد
لأمة فاضة أضاة دلاص
أحكمت نسجها يدا داود
أين فضلي اذا قنعت من الدهـ
ـر بعيش معجل التنكيد
ضاق صدري وطال في طلب الرز
ق قيامي وقل عنه قعودي
أبداً أقطع البلاد ونجمي
في نحوس وهمتي في صعود
ولعلي مؤمل بعض ما أبلـ
ـغ باللطف من عزيز حميد
لسري لباسه خشن القطـ
ـن ومروي مرو كبس القرود
عش عزيزاً أو مت وأنت كريم
بين طعن القنا وخفق البنود
فرؤوس الرماح أذهب للغيـ
ـظ وأشفي لغل صدر الحقود
لا كما قد حييت غير حميد
واذا مت مت غير فقيد
فاطلب العز في لظى ودع الذ
ل ولو كان في جنان الخلود
يقتل العاجز الجبان وقد يعـ
ـجز عن قطع بخنق المولود
ويوفي الفتى المخش وقد خو
ض في ماء لبة الصنديد
لا بقومي شرفت بل شرفوا بي
وبنفسي فخرت لا بجدودي
وبهم فخر كل من نطق الضا
د وعوذ الجاني وغوث الطريد
ان أكن معجبا فعجب عجيب
لم يجد فوق نفسه من مزيد

{ ٩٩ = دائرة = ٤ = ٩ }

انا ترب الندى ورب القوافي
وسهام العدى وغيظ الحسود
أنا في أمة تداركها الله
غريب كصالح في ثمود

وقال أيضاً في صباه يمدح أبا المنتصر شجاع بن محمد بن اوس بن معن بن الرضى الازدى

أرق على أرق ومثلي يأرق
وجوى يزيد وعبرة تترقرق
جهد الصبابة أن تكون كما أرى
عين مسهدة وقلب يخفق
ما لاح برق أو ترنم طائر
الا أنثنيت ولي فؤاد شيق
جربت من نار الهوى ما تنطفي
نار الغضى وتكل عما يحرق
وعذلت أهل العشق حتى ذقته
فعجبت كيف يموت من لا يعشق
وعذرتهم وعرفت ذنبي انني
عيرتهم فلقيت منه ما لقوا
ابنى أبينا نحن أهل منازل
أبداً غراب البين فيها ينعق
نبكي على الدنيا وما من معشر
جمعتهم الدنيا ولم يتفرقوا

أين الأكاسرة الجبابرة الألى
كنزوا الكنوز فما بقين ولا بقوا
من كل من ضاق الفضاء بجيشه
حتى ثوى فحواه لحد ضيق
خرس اذا نودوا كأن لم يعلموا
ان الكلام لهم حلال مطلق
فالموت آت والنفوس نفائس
والمستعز بما لديه الاحمق
والمرء يأمل والحياة شهية
والشيب أوقر والشبيبة أنزق
ولقد بكيت على الشباب ولمتي
مسودة ولماء وجهي رونق
حذراً عليه قبل يوم فراقه
حتى لكدت بماء جفني أشرق
أما بنو أوس بن معن بن الرضى
فأعز من تحدى اليه الاينق
كبرت حول ديارهم لما بدت
منها الشموس وليس فيها المشرق
وعجبت من أرض سحاب أكفهم
من فوقها وصخورها لا تورق
وتفوح من طيب الثناء روائح
لهم بكل مكانة تستنشق
مسكية النفحات الا انها
وحشية بسواهم لا تعبق

أمريد مثل محمد في عصرنا
لا تبلنا بطلاب ما لا يلحق
لم يخلق الرحمن مثل محمد
أحداً وظني أنه لا يخلق
ياذا الذي يهب الكثير وعنده
أني عليه بأخذه اتصدق
أمطر على سحاب جودك ثرة
وانظر الي برحمة لا أغرق
كذب ابن فاعلة يقول بجهلة
مات الكرام انت حي يرزق

وقال يمدح شجاع بن محمد الطائي المنجي

عزيز اسا من داؤه الحدق النجل
عياء به مات المحبون من قبل
فمن شاء فلينظر الى فمنظرى
نذير الي من ظن أن الهوى سهل
وما هي الا لحظة بعد لحظة
اذا نزلت في قلبه رحل العقل
جرى حبها مجرى دمي في مفاصلي
فأصبح لي عن كل شغل بها شغل
سبتني بدل ذات حسن يزينها
تكحل عينيها وليس لها كحل
كأن لحاظ العين في فتكه بنا
رقيب تعدى او عدو له ذحل

ومن جسدي لم يترك السقم شعرة
فما فوقها الا وفيها له فعل
اذا عذلوا فيها اجبت بأنه
حبيبة قلبي فؤادي هيا جمل
كأن رقيبا منك سد مسامعي
عن العذل حتى ليس يدخلها العذل
كأن سهاد الليل يعشق مقلتي
فبينهما في كل هجر لنا وصل
أحب التي في البدر منها مشابه
وأشكو الى من لا يصاب له شكل
الي واحد الدنيا الى ابن محمد
شجاع الذي لله ثم له الفضل
الي الثمر الحلو الذي طيء له
فروع وقحطان بن هود لها أصل
الي سيد لو بشر الله امة
بغير نبي بشرتنا به الرسل
الي القابض الارواح والضيغم الذي
تحدث عن رقعاته الخيل والرجل
لي رب مال كلما شئت شمله
تجمع في تشتيته العلي شمل
همام اذا ما فارق الغمد سيفه
وعاينتها لم تدر أيهما النصل
رأيت ابن ام الموت لو أن بأسه
فشا بين أهل الارض لانقطع النسل

على سابح موج المنايا بنحرة
غداة كأن النبل في صدره وبل
وكم عين قرن حدقت لنزاله
فلم تغض الا والسنان لها كحل
اذا قيل رفقا قال للحلم موضع
وحلم الفتى في غير موضعه جهل
ولولا تولي نفسه حمل حلمه
عن الارض لانهدت وناء بها الحمل
تباعدت الآمال عن كل مقصد
وضاقت بها الا الى بابه السبل
ونادى الندى بالنائمين عن السرى
فأسمعهم هبوا فقد هلك البخل
وحالت عطايا كفه دون وعده
فليس له انجاز وعد ولا مطل
فأقرب من تحديدها رد فائت
وأيسر من احصائها القطر والرمل
وما تنقم الايام ممن وجوهها
لاخمصه في كل نائبة نعل
وما عزة فيها مراد أراده
وان عز الا أن يكون له مثل
كفى نعلا فخراً بأنك منهم
ودهر لان امسيت من أهله اهل
وويل لنفس حاولت منك غرة
وطوبى لعين ساعة منك لا تخلو

فما بفقير شام برقك فاقة
ولا في بلاد أنت صيبها محل

وقال يمدح عبد الله بن يحيى البحتري

بكيت يا ربع حتى كدت ابكيكا
وجدت بي وبدمعي في مغانيكا
فعم صباحا لقد هيجت لي طربا
واردد تحيتنا انا محيوكا
بأي حكم زمان صرت متخذاً
رئم الفلا بدلا من رئم أهليكا
أيام فيك شموس ما انبعثن لنا
الا ابتعثن دما باللحظ مسفوكا
والعيش أخضر والاطلال مشرقة
كأن نور عبيد الله يعلوكا
نجا امرؤ يا ابن يحيى كنت بغيته
وخاب ركب ركاب لم يؤموكا
أحييت للشعراء الشعر فامتحوا
جميع من مدحوهم بالذي فيكا
وعلموا الناس منك المجد واقتدروا
على دقيق المعاني من معانيكا
فكن كما شئت يا من لا شبيه له
وكيف شئت فما خلق يدانيكا
شكر العفاة لما اوليت اوجدني
الى نداك طريق العرف مسلوكا

وعظم قدرك في الآفاق أوهمني
اني بقلة ما اثنيت أهجوكا
كفى بأنك من قحطان في شرف
وان فخرت فكل من مواليكا
ولو نقصت كما قد زدت من كرم
على الورى لرأوني مثل شانيكا
لبى نداك لقد نادى فأسمعني
يفديك من رجل صحبي وأفديكا
مازلت تتبع ما تولى يداً بيد
حتى ظننت حياتي من اياديكا
فان تقل ها فعادات عرفت بها
او لا فانك لا يسخو بلا فوكا

وقال يمدحه أيضا :

مُلث القطر أعطشها ربوعا
والا فاسقها السم النقيعا
أسائلها عن المتدبريها
فلا تدري ولا تذري دموعا
لحاها الله الا ماضييها
زمان اللهو والخود الشموعا
منعّمة ممنعة رداح
يكلف لفظها الطير الوقوعا
كأن نقابها غيم رقيق
يضيء بمنعه البدر الطلوعا

أقول لها اكشفي ضري وقولي
بأكثر من تدللها خضوعا
أخفت الله في احياء نفس
متى عصى الاله بأن اطيعا
غدا بك كل خلو مستهاما
وأصبح كل مستور خليعا
أحبك أو يقولوا جر نمل
ثبير أو ابن ابراهيم ريعا
بعيد الصوت منبث السرايا
يشيب ذكره الطفل الرضيعا
يغض الطرف من مكر ودهي
كأن به وليس به خشوعا
اذا استعطيته ما في يديه
فقدك سألت عن سر مذيعا
قبولك منّه من عليه
وان لا يبتدي يره فظيعا
لهون المال افرشه اديما
وللتفريق يكره أن يضيعا
اذا ضرب الامير رقاب قوم
فما لكرامة مد النطوعا
فليس بواهب الا كثيراً
وليس بقاتل الا قريعا
وليس مؤدبا الا بنصل
كفى الصمصامة التعب القطيعا

علي ليس يمنع من مجيء
مبارزه ويمنعه الرجوعا
علي قاتل البطل المفدى
ومبدله من الزرد النجيعا
اذا اعوج القنا في حامليه
وجاز الي ضلوعهم الضلوعا
ونالت ثأرها الاكباد منه
فأولته اندقاقا أو صدوعا
فحد في ملتقي الخيلين عنه
وان كنت الخبعثنة الشجيعا
ان استجرأت ترمقه بعيداً
فأنت استطعت شيأ ما استطيعا
وان ماريتني فاركب حصانا
ومثله تخر له صريعا
غمام ريما مطر انتقاما
فأقحط ودقه البلد المريعا
رآني بعد ما قطع المطايا
تيممه وقطعت القطوعا
فصير سيله بلدي غديراً
وصير خيره سنتي ربيعا
وجاودني بأن يعطي وأحوى
فأغرق نيله أخذي سريعا
امنسي السكون وحضرموتا
ووالدتي وكندة والسبيعا

قد استقصيت في سلب الاعادي
فرد لهم من السلب الهجوعا
اذا مالم تسر جيشاً اليهم
أسرت الي قلوبهم الهلوعا
رضوا بك كالرضي بالشيب قسراً
وقد وخط النواصي والفروعا
فلا عزل وأنت بلا سلاح
لحاظك ما تكون به منيعا
لو استبدلت ذهنك من حسام
قددت به المغافر والدروعا
لو استفرغت جهدك في قتال
أتيت به علي الدنيا جميعا
سموت بهة تسمو فتسمو
فما تلفي بمرتبة قنوعا
وهبك سمحت حتى لا جواد
فكيف علوت حتي لا رفيعا

وقال يمدح علي بن منصور الحاجب :

بأبي الشموس الجانحات غواربا
اللابسات من الحرير جلابيبا
المنهبات عقولنا وقلوبنا
وجناتهن الناهبات الناهبا
الناعمات القاتلات المحييا
ت المبديات من الدلال غرائبا

حاولن تفديتي وخفن مراقبا
فوضعن ايديهن فوق ترائبا
وبسمن عن برد خشيت اذيبه
من حر انفاسي فكنت الذائبا
يا حبذا المتحملون وحبذا
واد لثمت به الغزالة كاعبا
كيف الرجاء من الخطوب تخلصا
من بعد ما أنشين في مخاليبا
اوحدنني ووجدن حزنا واحداً
متناهيا فجعلته لي صاحبا
ونصبنني غرض الرماة تصيبني
محن أحد من السيوف مضاربا
اظمتني الدنيا فلما جئتها
مستسقيا مطرت علي مصائبا
وحبيت من خوص الركاب بأسود
من دارش فغدوت امشي راكبا
حال متى علم ابن منصور بها
جاء الزمان الي منها تائبا
ملك سنان قناته وبنانه
يتباريان دما وعرفا ساكبا
يستصغر الخطر الكبير لرفده
ويظن دجلة ليس تكفي شاربا
كرما فلو حدثته عن نفسه
بعظيم ما صنعت لظنك كاذبا

سل عن شجاعته وزره مسالما
وحذار ثم حذار منه محاربا
فالموت تعرف بالصفات طباعه
لم تلق خلقا ذاق موتا آئبا
أن تلقه لا تلق الا جحفلا
أو قسطلا أو طاعنا أو ضاربا
أو هاربا أو طالبا أو راغباً
أو راهبا أو هالكا أو نادبا
واذا نظرت الى الجبال رأيتها
فوق السهول عواسلا وقواضبا
واذا نظرت الى السهول رأيتها
تحت الجبال فوارساً وجنائباً
وعجاجة ترك الحديد سوادها
زنجاً تبسم او قذالا شائباً
فكأنما كسى النهار بها دجي
ليل واطلعت الرماح كواكبا
قد عسكرت معها الرزايا عسكراً
وتكتبت فيها الرجال كتائبا
أسد فرائصها الأسود يقودها
اسد تصير له الاسود ثعالبا
في رتبة حجب الورى عن نيلها
وعلا فسموه علي الحاجبا
ودعوه من فرط السخاء مبذراً
ودعوه من غصب النفوس الغاصبا

هذا الذي أفنى النضار مواهبا
وعداه قتلا والزمان تجاربا
ومخيّب العذال مما أملوا
منه وليس يرد كفا خائبا
هذا الذي ابصرت منه حاضراً
مثل الذي ابصرت منه غائبا
كالبدر من حيث التفت رأيته
يهدي الي عينيك نوراً ثاقبا
كالبحر يقذف للقريب جواهراً
جوداً ويبعث للبعيد سحائبا
كالشمس في كبد السماء وضوؤها
يغشى البلاد مشارقا ومغاربا
أمهجتن الكرماء والمزري بهم
وتروك كل كريم قوم عاتبا
شادوا مناقبهم وشدت مناقبا
وجدت مناقبهم بهن مثالبا
لبيك غيظ الحاسدين الراتبا
انا لنخبر من يديك عجائبا
تدبير ذي حنك يفكر في غد
وهجوم غر لا يخاف عواقبا
وعطاء مال لو عداه طالب
انفقته في ان تلاقي طالبا
خذ من ثناي عليك ما اسطيعه
لا تلزمني في الثناء الواجبا

فلقد شهدت لما فعلت ودونه
مايدهش الملك الحفيظ الكاتبا

وخرج بدر بن عمار الي اسد فهرب الاسد منه وكان قد خرج قبله لي أسد آخر فهاجه عن بقرة افترسها بعد أن شبع وثقل فوثب الي كفل فرسه فأعجله عن استلال سيفه فضربه بالسوط وداربه الجيش فقال ابو الطيب :

في الخد ان عزم الخليط رحيلا
مطر تزيد به الخدود محولا
يا نظرة نفت الرقاد وغادرت
في حد قلبي ما حييت فلولا
كانت من الكحلاء سؤلي انما
اجلي تمثل في فؤادي سولا
اجد الجفاء علي سواك مروءة
والصبر الا في نواك جميلا
وأرى تدلك الكثير محببا
وأرى قليل تدلل مملولا
حدق الحسان من الغواني هجن لي
يوم الفراق صبابة وغليلا
حدق يذم من القواتل غيرها
بدر بن عمار بن اسماعيلا
الفارج الكرب العظام بمثلها
والتارك الملك العزيز ذليلا

محك اذا مطل الغريم بدينه
جعل الحسام بما أراد كفيلا
نطق اذا حط الكلام لثامه
أعطي بمنطقه القلوب عقولا
أعدى الزمان سخاؤه فسحابه
ولقد يكون به الزمان بخيلا
وكأن برقا في متون غمامة
هندية في كفه مسلولا
ومحل قائمة بسيل مواهبا
لو كن سيلا ما وجدن مسيلا
رقت مضاربه فهن كأنما
يبدين من عشق الرقاب نحولا
أمعفر الليث الهزبر بسوطه
لمن ادخرت الصارم المصقولا
وقعت علي الاردن منه بلية
نضدت بها هام الرفاق تلولا
ورد اذ ورد البحيرة شاربا
ورد الفرات زئيره والنيلا
متخضب بدم الفوارس لابس
في غيله من لبدتيه غيلا
ما قوبلت عيناه الا ظننتا
تحت الدجي نار الفريق حلولا
في وحدة الرهبان الا أنه
لا يعرف التحريم والتحليلا

يطأ الثرى مترفقا من تيهه
فكأنه آس يجس عليلا
ويرد عفرته الي يأفوخه
حتى تسير لرأسه أكليلا
وتظنه مما يزمجر نفسه
عنها لشدة غيظه مشغولا
قصرت مخافته الخطي فكأنما
ركب الكمي جواده مشكولا
ألقي فريسته ويربر دونها
وقربت قربا خاله تطفيلا
فتشابه الخلقان في أقدامه
وتخالفا في ذلك المأكولا
أصديري عضويه فيك كليهما
متنا أزل وساعدا مفتولا
في سرح ظامئة الفصوص طمرة
يأبي تفردها لها التمثيلا
نيالة الطلبات لولا أنها
تعطي فكان لجامها مانيلا
تندى سوالفها اذا استحضرتها
ويظن عقد عنانها محلولا
مازال يجمع نفسه في زوره
حتى حسبت العرض منه الطولا
ويدق بالصدر الحجار كأنه
يبغي الى ما في الحضيض سبيلا

وكأنه غرته عين فأدنى
لا يبصر الخطب الجليل جليلا
انف الكريم من الدنيئة تارك
في عينه العدد الكثير قليلا
والعار مضاض وليس بخائف
من حتفه من خاف مما قيلا
سبق التقاءكه بوثبة هاجم
لو لم تصادمه لجازك ميلا
خذلته قوته وقد كافحته
فاستنصر التسليم والتجديلا
قبضت منيته يديه وعنقه
فكأنما صادفته مغلولا
سمع ابن عمته به وبحاله
فنجا يهرول امس منك مهولا
وامر مما فر منه فراره
وكقتله ان لا يموت قتيلا
تلف الذي اتخذ الجراءة خلة
وعظ الذي اتخذ الفرار خليلا
لو كان علمك بالاله مقسما
في الناس ما بعث الاله رسولا
لو كان لفظك فيهم ما انزل الـ
فرقان والتوراة والانجيلا
لو كان ما تعطيهم من قبل ان
تعطيهم لم يعرفو التأميلا

فلقد عرفت وما عرفت حقيقة
ولقد جهلت وما جهلت خمولا
نطقت بسؤددك الحمام تغنيا
وبما تجشمها الجياد صهيلا
ما كل من طلب المعالي نافذا
فيها ولا كل الرجال فحولا
وسار بدر الي الساحل ولم يسر أبو
الطيب معه ثم بلغه أن ابن كروس الاعور
كتب الى بدر يقول له ان أبا الطيب انما
تخلف عنك رغبة بنفسه عن المسير معك.
ولما عاد بدر الي طبرية ضربت له قباب
عليها امثلة من تصاوير فقال ابو الطيب
الحب ما منع الكلام الالسنا
وألذ شكوى عاشق ما أعلنا
ليت الحبيب الهاجري هجر الكرى
من غير جرم واصلي صلة الضنى
بتنا ولو حليتنا لم تدر ما
الواننا مما استفعن تلونا
وتوقدت انفاسنا حتى لقد
اشفقت تحترق العواذل بيننا
أفدي المودعة التي اتبعتها
نظرا فرادى بين زفرات ثنا
انكرت طارقة الحوادث مرة
ثم اعترفت بها فصارت ديدنا

وقطعت في الدنيا الفلا وركائبي
فيها ووقتي الضحى والموهنا
فوقفت منها حيث أوقفني الندى
وبلغت من بدر بن عمار المنى
لابي الحسين جدا يضيق وعاؤه
عنه ولو كان الوعاء الازمنا
وشجاعة أغناه عنها ذكرها
ونهي الجبان حديثها ان يجبنا
نيطت حمائله بعاتق محرب
ماكر قط وهل يكر وما انثنى
فكأنه والطعن من قدامه
متخوف من خلفه أن يطعنا
نفت التوهم عنه حدة ذهنه
فقضي على غيب الامور تيقنا
يتفزع الجبار من بغتاته
فيظل في خلواته متكفنا
أمضي ارادته فسوف له قد
واستقرب الأقصى فتم له هنا
يجد الحديد على بضاضة جلده
ثوبا أخف من الحرير وألينا
وأمر من فقد الاحبة عنده
فقد السيوف الفاقدات الاجفنا
لا يستكن الرعب بين ضلوعه
يوما ولا الاحسان أن لا يحسنا

مستنبط من علمه ما في غد
فكان ما سيكون فيه دونا
تتقاصر الافهام عن ادراكه
مثل الذي الافلاك فيه والدني
من ليس من قتلاه من طلقائه
من ليس ممن دان ممن حينا
لما قفلت من السواحل نحونا
قفلت اليها وحشة من عندنا
أرج الطريق فما مررت بموضع
الا أقام به الشذا مستوطنا
لو تعقل الشجر التي قابلتها
مدت محيية اليك الأغصنا
سلكت تماثيل القباب الجن من
شوق بها فأدرن فيك الاعينا
طربت مراكبنا فخلنا انها
لولا حياء عافها رقصت بنا
اقبلت تبسم والجياد عوابس
يخبين بالحلق المضاعف والقنا
عقدت سنابكها عليها عثيرا
لو تبتغي عنقا عليه لأمكنا
والامر امرك والقلوب خوافق
في موقف بين المنية والمنى
فعجبت حتى ما عجبت من الظبي
ورأيت حتى ما رأيت من السنى

اني اراك من المكارم عسكراً
في عسكر ومن المعالي معدنا
فطن الفؤاد لما أتيت على النوى
ولما تركت مخافة أن تفطنا
أضحى فراقك لي عليه عقوبة
ليس الذي قاسيت منه هينا
فاغفر فدى لك واحبني من بعدها
لتخصني بعطية منها أنا
وانه المشير عليك في بضلة
فالحر ممتحن بأولاد الزنى
واذا الفتى طرح الكلام معرضا
في مجلس أخذ الكلام اللذعني
ومكايد السفهاء واقعة بهم
وعداوة الشعراء بئس المقتنى
لعنت مقارنة اللئيم فانها
ضيف بجر من الندامة ضيفنا
غضب الحسود اذا لقيتك راضيا
رزء أخف علي من أن يوزنا
امسي الذي امسي بربك كافراً
من غيرنا معنا بفضلك مؤمنا
خلت البلاد من العزالة ليلها
فأعاضها الله كي لا تحزنا

وقال يمدح ابا عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد الخطيب الخصيبي وهو يومئذ يتقلد القضاء فانطاكية :

أفاضل الناس أغراض لدى الزمن
يخلو من الهم اخلاهم من الفطن
وانما نحن في جيل سواسية
شر على الحر من سقم على بدن
حولي بكل مكان منهم خلق
تخطي اذا جئت في استفهامها يمن
لا اقترى بلداً الا على غرر
ولا امر بخلق غير مضطغن
ولا اعاشر من املاكهم ملكا
الا احق بضرب الرأس من وثن
اني لأعذرهم مما اعنفهم
حتى اعنف نفسي فيهم واني
فقر الجهول بلا قلب الى ادب
فقر الحمار بلا رأس الى رسن
ومدقعين بسبروت صحبتهم
عارين من حلل كاسين من درن
خراب بادية غرثى بطونهم
مكن الضباب لهم زاد بلا ثمن
يستخبرون فلا اعطيهم خبري
وما يطيش لهم سهم من الظنن
وخلة في جليس الفيه بها
كيما يرى اننا مثلان في الوهن

وكلمة في طريق خفت اعربها
فيهتدي لي فلم أقدر على اللحن
قد هون الصبر عندي كل نازلة
ولين العزم حد المركب الخشن
كم مخلص وعلي في خوض مهلكة
وقتلة قرنت بالذم في الجبن
لا يعجبن مضيما حسن بزته
وهل تروق دفينا جودة الكفن
لله حال أرجيها وتخلفني
وأقتضي كونها دهري ويمطلني
مدحت قوما وان عشنا نظمت لهم
قصائداً من إناث الخيل والحصن
تحت العجاج قوافيها مضمرة
اذا تنوشدن لم يدخلن في اذن
فلا أحارب مدفوعا الى جدر
ولا أصالح مغروراً على دخن
مخيم الجمع بالبيداء يصهره
حر الهواجر في صم من الفتن
ألقى الكرام الألى بادوا مكارمهم
على الخصيبي عند الفرض والسنن
فهن في الحجر منه كلما عرضت
له اليتامى بدا بالمجد والمنن
قاض اذا التبس الامران عن له
رأى يخلص بين الماء واللبن
غض الشباب بعيد فجر ليلته
مجانب العين للفحشاء والوسن
شرابه النشح لا للري يطلبه
وطعمه لقوام الجسم لا السمن
ألقائل الصدق فيه ما يضر به
والواحد الحالتين السر والعلن
الفاصل الحكم هي الاولون به
والمظهر الحق للساهي على الذهن
أفعاله نسب لو لم يقل معها
جدي الخصيب عرفنا العرق بالغصن
العارض الهتن ابن العارض الهتن ابـ
ـن العارض الهتن ابن العارض الهتن
قد صيرت أول الدنيا وآخرها
آباؤه من مغار العلم في قرن
كأنهم ولدوا من قبل أن ولدوا
أو كان فهمهم أيام لم يكن
الخاطرين على أعدائهم أبداً
من المحامد في أرقى من الجنن
للناظرين الى اقباله فرح
يزيل ما يجباه القوم من غضن
كأن مال ابن عبد الله مغترف
من راحتيه بأرض الروم واليمن
لم نفتقد بك من مزن سوى لثق
ولا من البحر غير الريح والسفن

ولا من الليث الاقبح منظره
ومن سواه سوى ما ليس بالحسن
منذ احتبيت بانطاكية اعتدلت
حتى كأن ذوى الاوتار في هدن
ومذ مررت على أطوادها قرعت
من السجود فلا تبت على القنن
اخلت مواهبك الاسواق من صنع
أغنى نداك عن الاعمال والمهن
ذا جود من ليس من دهر على ثقة
وزهد من ليس من دنياه في وطن
وهذه همة لم يؤتها بشر
وذا اقتدار لسان ليس في المتن
فمرو أومي، تطع قدست من جبل
تبارك الله مجرى الروح في حضن

وقال يمدح علي بن احمد بن عامر الانطاكي :

أطاعن خيلا من فوارسها الدهر
وحيدا وما قولي كذا ومعي الصبر
وأشجع منى كل يوم سلامتى
وما ثبتت الا وفي نفسها امر
تمرست بالآفات حتى تركتها
تقول أمات الموت أم ذعر الذعر
وأقدمت اقدام الابي كأن لى
سوى مهجتى أو كان لي عندها وتر
ذر النفس تأخذ وسعها قبل بينها
فتفترق جاران دارهما العمر
ولا تحسبن المجد زقاً وقينة
فما المجد الا السيف والفتكة البكر

ومنها :

وتركك في الدنيا دويا كأنما
تداول سمع المرء أنمله العشر
اذا الفضل لم يرفعك عن شكر ناقص
على هبة فالفضل فيمن له الشكر
ومن ينفق الساعات في جمع ماله
مخافة فقر فالذى فعل الفقر
على لأهل الجور كل طمرة
عليها غلام ملء جبزومه غمر
يدير بأطراف الرماح عليهم
كؤوس المنايا حيث لا تشتهي الخمر
وكم من جبال جبت تشهد انني
جبال وبحر شاهد انني البحر
وخرق مكان العيس منه مكاننا
من العيس فيه واسط الكور والظهر
يجدن بنا في جوزه وكأننا
على كرة أو أرضه معنا صفر
ويوم وصلناه بليل كأنما
على أفقه من برقه حلل حمر

وليل وصلناه بيوم كأنما
على متنه من دجنه حلل خضر
وغيث ظننا تحته ان عامراً
علا لم يمت أو في السحاب له قبر

او ابن ابنه الباقي علي بن احمد

يجود به لو لم أجز ويدى صفر
وان صحابا جوده مثل جوده
سحاب على كل السحاب له فخر
فتى لا يضم القلب همات قلبه
ولو ضمها قلب لما ضمه صدر
ولا ينفع الامكان الا سخاؤه
وهل نافع لولا الاكف القنا السمر
قران تلاقي الصلت فيه وعامر
كما يتلاقي الهند والقنا والنصر
فجاء به صلت الجبين معظما
ترى الناس قلا حوله وهم كثر
مفدى بآباء الرجال صميدعا
هو الكرم المد الذى ما له جزر
وما زالت حتى قادني الشوق نحوه
يسابرني في كل ركب له ذكر
واستكبر الاخبار قبل لقائه
فلما التقينا صغر الخبر الخبر
اليك طمنا في مدى كل منصف
بكل وآة كل ما لقيت نحر
اذا ورمت من لسعة مرحت لها
كأن نوالا صر في جلدها النبر
فجئتك دون الشمس والبدر في النوى
ودونك في اخوانك الشمس والبدر
كأنك برد الماء لا عيش دونه
ولو كنت برد الماء لم يكن العيش
دعاني اليك العلم والحلم والحجي
وهذا الكلام المنظم والنائل النثر
وما قلت من شعر تكاد بيوته
اذا كتبت يبيض من نورها الحبر
كأن المعاني في فصاحة لفظها
نجوم الثريا أو خلائقك الزهر

ومنها :

واني رأيت الضر أحسن منظراً
واهون من مرأى صغير به كبر
لساني وعبى والفؤاد وهمتى
أود الواتي ذا اسمها منك والشطر
وما انا وحدى قلت ذا الشعر كله
ولكن لشعرى فيك من نفسه شعر
وماذا الذى فيه من الحسن رونقا
واكن بدا في وجهه نحوك البشر
واني ولو نلت السماء لعالم
بأني ما نلت الذى يوجب القدر

ازالت بك الايام عتبى كأنما
بنوها لها ذنب وانت لها عذر

وقال يمدح سيف الدولة ايضا :

لعينيك مايلقى الفؤاد وما القى
والحب مالم يبق منى وما بقى
وما كنت ممن يدخل العشق قلبه
ولكن من يبصر جفونك يعشق
و بين الرضى والسخط والقرب والنوى
مجال لدمع المقلة المتفرق
وأحلى الهوى ماشك فى لوصل ربه
وفى الهجر فهو الدهر يرجو ويتقى
وغضبى من الادلال سكرى من الصبى
شفعت اليها من شبابى برّيق
واشنب مسول الثنيات واضح
سترت فى عنه فقبل مفرقى
واجياد غزلان كجيدك زرتنى
فلم ابين عاطلا من مطوّق
وما كل من يهوى يعف اذا خلا
عفانى ويرضى الحب والخيل تلتقى
سقى الله ايام الصبى ما يسرها
ويفعل فعل البابلى المعتق
اذا مالبست الدهر مستمتعا به
تخرقت والملبوس لم يتخرق
ولم أر كالاحاظ يوم رحيلهم
يمنن بكل القتل من كل مشفق
ادرن عيونا حائرات كأنها
مركبة احداقها فوق زئبق
عشية يعدونا عن النظر البكا
وعن لذة التوديع خوف التفرق
نودعهم والبين فينا كأنه
قتال ابى الهيجاء فى قلب فيلق
قواض مواض نسج داود عندها
اذا وقعت فيه كنسج الخدرنق
هواد لاملاك الجيوش كأنها
تخير ارواح الكماة وتنتقى
تقد عليهم كل درع وحوشن
وتفرى اليهم كل سور وخندق
يغير بها بين القنان وواسط
ويركزها بين الفرات وجلّق
ويرجمها حمراً كأن صحيحها
يبكّي دماً من رحمة المتدفق

الى هنا انتهى المجلد التاسع ويليه المجلد العاشر
ان شاء الله واوله مادة (نبب)